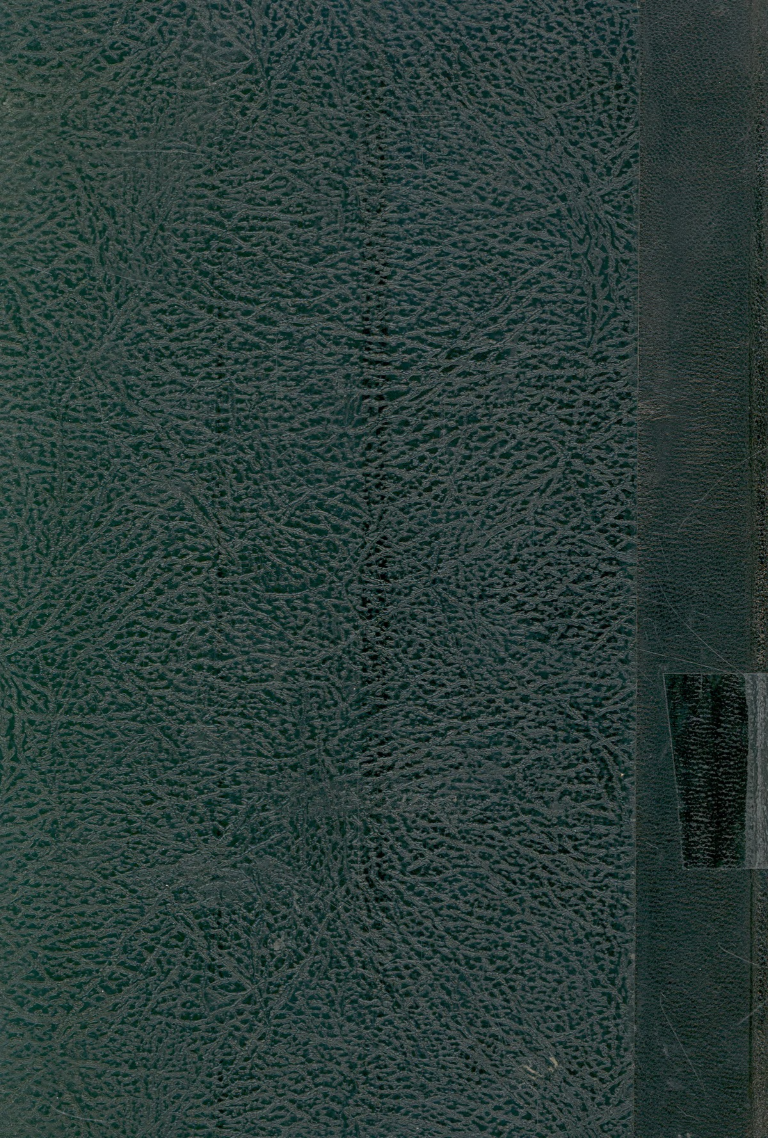


المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٥ — الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣٣٣

هل هذه آخر الحروب

نحن الآن في السنة الخامسة عشرة من القرن العشرين وقد ثارت في هذا القرن حتى الآن ست حروب كبيرة الاولى حرب البوير في جنوب افريقية (بين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٢) بلغت نفقات انكلترا فيها اكثر من مئتي مليون جنيه وخسرت هي وخصمها مئة الف نفس · والثانية حرب الولايات المتحدة في جزائر فيلبين (بين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٢) لامتلاكها بعد ان تنازلت لها اسبانيا عنها وقد بلغت نفقات الولايات المتحدة على هذه الحرب وحرب اسبانيا السابقة لها تسعين مليونًا من الجنيهات وخسرت هي وخصومها نحو مئة الف نفس · والثالثة حرب الروس واليابان (بين سنة ١٩٠٤ و١٩٠٥) وقد بلغت النفقات فيها نحو ٤٥٠ مليون جنيه والخسارة في النفوس ٣٥٠ الفًا · والرابعة الحرب الايطالية في طرابلس الغرب (بين سنة ١٩١١ و١٩١٢) وقد بلغت نفقات ايطاليا فيها ثلاثين مليونًا من الجنيهات · والخامسة حرب البلقان او حروب البلقان بين سنة ١٩١٢ و ١٩١٣ وقد بلغت النفقات فيها مبلغًا طائلاً وخسر المتحاربون لا اقل من ٣٣٠ الف نفس

ومجموع ما خسره المتحاربون في هذه الحروب الخمس لا اقل من مليون نفس ومن ثمانمئة مليون جنيه عدا ما اصاب الزراعة والصناعة والتجارة من الخسائر الفادحة

والآن اشتبكت اوربا كلها في هذه الحرب الطاحنة وستكون نفقاتها من الارواح والاموال اكثر من نفقات الحروب الخمس السابقة اضعافًا مضاعفة · كل ذلك ومؤتمرات السلم يتلو بعضها بعضًا ومبادئ الاشتراكيين الذين يطلبون ابطال الحرب آخذة في الانتشار فلا بدَّ اذًا من فواعل اخرى تغلبت على مبادئ الاشتراكيين واماني طالبي السلم

يُسمَع عن الجنود الاسترالية والنيوزيلندية التي تصل الى هذا القطر من وقت الى آخر انها

نقيم فيهِ قلقة طالبة ان ترسل الى ميادين القتال · وقد رأَينا رجلاً استراليًا قدم هو واخوهُ للاشتراك في الحرب وابوهما على ثروة طائلة فليس لهما من الحرب مغنم مالي ثم بلغنا انهما قتلا كلاهما في غاليبولي وان اخاهما الثالث وهو الاخير قادم ليقوم مقامهما في القتال · ولا شبهة ان الدافع لهؤلاء الناس ليجودوا بنفوسهم هو حميتهم الوطنيَّة ولكن لا شبهة ايضاً في انهم هم لم يثيروا هذه الحرب ولا كان لهم فيها ناقة ولا جمل· وما يقال عنهم يقال عن كل جندي انكليزي وفرنسوي وروسي وايطالي وسربي والماني ونمسوي · وما من احد من العشرين مليونًا من الجنود المشتركين في هذه الحرب لهُ يد في اثارتها

فهل يحتمل ان تثار حرب عظيمة مثل هذه ينفق فيها كل يوم اكثر من ١٧ مليونًا من الجنيهات ويقتل فيها كل يوم الوف من النفوس والجنودُ المحاربون فيها لا يد لهم في اثارتها فمن اثارها اذاً ولاي غرض اثيرت

داء عضال ووباء جارف يحاول البعض ان يعالجوهُ من غير ان يبحثوا عن اسبابهِ وقد آبوا بالفشل وسيبقى الفشل نصيبهم الى ان يبحثوا عن الاسباب ويزيلوها

وقد قيل ان الاستعداد للحرب يمنع الحرب · وانهُ لو استعدَّ الانكليز والروس والفرنسويون استعداد الالمان لما ثارت هذه الحرب او لانقضت في شهر او شهرين· ولكن الاستعداد للحرب لم يكن قليلاً وقد كاد يرهق اوربا كلها حتى قيل ان الناس في حرب خوفًا من الحرب· وان نفقات هذا الاستعداد بلغت حدًّا لا يطاق ولا بدَّ من ان ترزح اوربا تحتهُ وتجتنب الحرب بسببهِ

« قال الاستاذ الكبير الدكتور داود ستار جوردان قبل نشوب هذه الحرب ببضعة اشهر انها الحرب الاوربية التي يخشى منها فيستحيل ان تقع الاَّ اذا اثار نقيعها امير احمق او وزير مغفَّل ومع ذلك فاولو الامر يخشون شرها ولا يحتمل انهم يقدمون عليها »

ولم يكن الاَّ شهور قليلة حتى كُذِّبت نبوَّتهُ ووقعت الحرب بكل ويلاتها واشتبكت فيها ممالك يبلغ سكانها خمس مئة مليون من النفوس عدا سكان الهند وما ذلك الاَّ لان اسباب الحرب لا تزال عاملةً ومتى وجدت الاسباب فلا بد من مسبباتها · ويكفي لاظهار اسباب الحرب البحث في الحروب الخمس التي حدثت في هذا القرن قبل الحرب الاخيرة فان البحث فيها يؤيد ما ذكرناهُ منذ تسع سنوات في تعقيبنا على خطبة المستر اندروكارنجي المحسن الشهير التي موضوعها رابطة السلام فقد ابنا هناك ان السبب الاكبر للحرب هو الكسب من ورائها ادبيًّا كان او ماديًّا وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي

فظائع الحرب

وما الحرب الاَّ ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ولضرَ اذا ضريتموها فتضرمِ
فتعرككمُ عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافًا ثم تحمل فتتئمِ
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كاحمر عادٍ ثم ترضع فتفطمِ

هذا ما قالهُ زُهَير بن ابي سلمى منذ اكثر من الف وثلثمائة سنة · وقلما كتب احد عن الحرب من ابناء هذا اللسان الاَّ استشهد بهِ ولا سيما بقولهِ « فتعرككمُ عرك الرحى بثفالها » فان الحرب تطحن الناس طحنًا كما تطحن الرحى حبوب الحنطة

ومدار الحرب على قتل الخصم او اسرهِ او جرحهِ وتركهِ عاجزاً عن استعمال السلاح · وقتلهُ مباح في شرع كل الامم التي تبيح الحرب · وقد يتبادر الى الذهن انهُ اذا حلَّ القتل فكل شيء دونهُ · ولكن العواطف البشرية التي تخضع للضرورة وتغضي عن قتل الخصم تشمئزُّ من تعذيبهِ وتنفر من التنكيل بالذين لا يستطيعون حمل السلاح من المرضى والنساء والشيوخ والاطفال · بل تنفر ايضًا من اتلاف كل ما منهُ نفع اذا لم يكن من اتلافهِ فائدة حربيَّة · ولذلك قامت قيامة الكتَّاب على من ادَّعى ان عمرو بن العاص حرق مكتبة الاسكندرية لانهم حسبوا حرقها جريمة لا تغتفر · بل قامت قيامتهم على نبوليون بونابرت لانهُ نقل الصور الشهيرة من ايطاليا الى فرنسا حاسبين ان نفائس الفنون يجب ان لا تنقل من مكان الى آخر على هذه الصورة لئلاَّ تتلف في الطريق · ولو قتل نبوليون اصحاب تلك الصور في معركة من المعارك لما لامهُ احد بكلمة

وكنا ننتظر ان نرى العمران سائراً من حسنٍ الى احسن وان نجد العواطف الانسانية آخذة في الارتقاء والتغلُّب على الاميال الوحشيَّة ولا سيما في البلدان الاوربية الى ان ثارت هذه الحرب فاذا فيها من صنوف الهمجيَّة ما يندى لهُ جبين البشرية خجلاً

لما تواترت الشكاوى من الفظائع التي ارتكبها الالمان في بلجكا وفرنسا انتدبت الحكومة الانكليزية لجنة من الكبراء المشهود لهم بالفضل والنبل برئاسة لورد برِيس لتبحث عن حقيقة هذه الشكاوى فبحثت وحققت ورفعت تقريراً بذلك جاء هو وشواهدهُ كتابًا كبيراً شاهداً لها بخلو الغرض وتوخي الحقيقة كأَن اعضاءها من قضاة التحقيق الذين يقصدون تبرئة المتَّهم ولا يثبتون عليهِ تهمة الاَّ بعد توفر الادلة القاطعة

وكانت وزارة الداخلية الانكليزية قد انتدبت العلاَّمة الاستاذ مورغان منذ نوفمبر الماضي لتحقيق بعض الفظائع التي ارتكبها الالمان فسلَّم الادلة والبينات التي جمعها للجنة المشار اليها فاختارت منها ما يختص ببلجكا لانها انما انتدبت للبحث في الفظائع التي ارتكبت هناك واهملت ما ارتُكب منها في فرنسا فاخذها هو واضاف اليها بيّنات وشواهد اخرى وقعت في يدهِ بعد ذلك واستخلص منها مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها الحوادث التالية

معاملة الجنود

المتفق عليهِ عند الامم المتمدنة في هذه الايام ان الجنود المحاربة تتقابل وتترامى بالرصاص والقنابل وتتضارب بالسيوف وتطاعن بالحراب ويجتهد كل جندي ان يقتل خصمهُ او يجرحهُ او يأسرهُ . ومتى رأَى ان خصمهُ صار عاجزاً عن مقاومتهِ بالقوة إِما لجرح اصابهُ او لانهُ رمى سلاحهُ واستسلم عفا عنهُ جرياً على القول المأثور « العفو عند المقدرة من شيم الكرام » . ولم يقف عند ذلك بل عاملهُ بالرفق كأَنهُ اخوهُ فيطعمهُ ويسقيهِ ويوآسي جراحهُ . هكذا فعل الجنود الانكليز والمصريون بالذين وقعوا في يدهم من جرحى الدراويش واسراهم وهكذا فعلوا الآن في الذين وقعوا في يدهم من جرحى الاتراك واسراهم . بل ان اسرى الاتراك يعاملون في مصر الآن احسن مما يعامل بهِ افراد الجيش الانكليزي وضباطهم . وقد جاءنا كتاب بالامس من الهند من اسير عثماني بغدادي في رتبة يوزباشي قال فيهِ انهُ يعامَل احسن معاملة وحكومة الهند تنقدهُ كل شهر ٢٧٠ ربيَّة اي ١٧٥٠ غرشاً مصريًّا وهو راتب اليوزباشي

هذا ما تفعلهُ الآن الحكومة المصرية والحكومة الهندية اللتان تسيطر عليهما الحكومة الانكليزية . وهذا ما نتوقعهُ من كل حكومة متمدنة تجري على القوانين الدولية التي اقرَّ عليها مؤتمر جنيفا . بل ان دول اوربا كلها تقول ان هذه القوانين مقدسة لا يجوز العبث بها اما الجنود الالمانية فقد عبثت بها عن قصد وتعمُّد على ما اثبتهُ الاستاذ مورغان فقد قال ان بعض الالمان كانوا يرفعون الراية البيضاء وهي علامة التسليم فاذا تقدَّم اليهم بعض الانكليز ليقبلوا تسليمهم ويأْخذوهم اسرى عادوا الى بنادقهم وكانوا قد اخفوها وقابلوهم بنار آكلة . او كانوا يرفعون الراية البيضاء طالبين المذاكرة في التسليم فاذا دنا ضابط بريطاني منهم للمذاكرة في ذلك اطلقوا عليهِ الرصاص وقتلوهُ . وقد تكررت هذه الحوادث مراراً عديدة حتى ثبت لي ان الالمان يفعلون ذلك مأمورين من ضباطهم . وكثيراً ما وضعوا الصليب الاحمر على مركبات فيها ذخائر لا غير لكي يُحمَى جانبها مع انهُ لا يجوز ان يوضع حسب قوانين الحرب الأَ على المركبات التي فيها جرحى او ما يتعلق بالجرحى . واذا رأَوا اناساً من

الانكليز والفرنسويين يحملون الجرحى حقيقة من ميدان القتال اطلقوا الرصاص عليهم حتماً حتى لم يعد الانكليز يجسرون ان ينقلوا جرحاهم الاَّ ليلاً · والجرحى الذين يصابون في الصباح يُتركون في الخنادق الى ان يخيّم الليل لا مغيث لهم ولا معين مع ان اطلاق الرصاص على الجرحى مخالف لقوانين الحرب عند كل الدول

ومثل ذلك في الفظاعة قتل الجرحى المطروحين في ميدان القتال· قال الاستاذ مورغان انهُ كثيراً ما كان يحدث ان يرتدَّ جنود الانكليز من امام الالمان و يتعذر عليهم ان يلتقطوا جرحاهم و يأخذوهم معهم ثم تأتيهم نجدة فيعودون الى حيث كانوا فيجدون الجرحى الذين تركوهم اولاً قد طُعنوا بالحراب ودقت رؤُوسهم حتى ماتوا مع انهم لما تركوهم كانوا مصابين بالرصاص فقط في غير مقتل

وقال ومن هذا القبيل قتل الاسرى فقد توفرت الادلة على ان الذين يؤْسرون فرقاً صغيرة يُقتلون كلهم والذين لا يقتلون يهانون اشد الاهانة فيسلبون ما معهم ويرفسون بالارجل ويهددون بالقتل حتى يخبروا عمَّا يسأَلون عنهُ ويُجبَرون على حفر الخنادق

و يظهر من الادلة التالية ان معاملة الجرحى والاسرى على هذه الصورة سياسة مقصودة صدرت الاوامر بها من القواد العظام · ثم تبيَّن ان هذه المعاملة خاصة بالبريطانيين واما الهنود فيعاملون بالرفق و يقال لهم ان المانيا تشفق عليهم لانها تعلم انهم مرغمون على الحرب· وكثيراً ما يُطلق الاسرى منهم بعد ان يوصوا بان يأتوا برفاقهم و ينضموا الى الجيش الالماني قال لي جندي هندي ما يأتي

« وقعت انا وثلاثة من رفاقي جرحى فوجدَنا الالمان كذلك وضمدوا جراحنا وطلبوا منا ان ننضم اليهم وعرضوا علينا مالاً واراضي فقلت لهم اني اكلت ملح الملك فلا يمكنني ان اخونهُ واجلب العار على قومي · فاخذوا منا البقسماط الجاف الذي معنا واعطونا بدلاً منهُ خبزاً من خبزهم فقلت لهم اننا براهمة ولا يمكننا ان نأكل من خبزهم فتركونا وهم يقولون اننا اذا اسرناكم ثانية قتلناكم »

وفي الثالث من شهر مايو ذهبتُ الى وزارة الحربية في باريس فاراني المسيو رنه بتي رئيس قلم القضايا اليوميات التي وجدت مع اسرى الالمان فوجدت بينها يومية جندي اسمهُ غوتش وقد كتب فيها بتاريخ ٦ اكتوبر ١٩١٤ ما ترجمتهُ

« دعانا اليوزباشي وقال لنا المرجح انكم تجدون في الحصن (انفرس) جنوداً من الانكليز اما انا فلا اريد ان ارى اسرى منهم في يدكم فكان جوابنا لهُ براڤو »

ويومية اخرى وجدت مع قتيل اسمهُ رنشرد جرلود قتل في سبتمبر وفيها ما ترجمتهُ « وهنا ايضاً يعامَل الانكليز والبلجيكيون باشد انواع القسوة فيقتلون بلا شفقة ولكن ويل لمن يقع في يدهم من الالمان »

والظاهر ان العبارة الاخيرة مبنيَّة على ما كان الضباط الالمان يقولونهُ للجنود لكي لا يسلموا . ويؤيد ذلك ان جنديًّا المانيًّا اسمهُ شلز كتب في يوميتهِ ان الضباط الالمان اخترعوا هذه التهمة لكي يمنعوهُ هو ورفاقهُ من التسليم

ووجد في يومية جندي اسمهُ راغ بتاريخ ٢١ اكتوبر ما ترجمتهُ « لتبعنا العدو وقتلنا كثيرين من الانكليز فانبذرت اشلاؤهم في الارض والذين وجدناهم في الخنادق ولا يزالون احياء قتلناهم واسر بلوكنا ٦١ اسيراً » . اي قتلوا الجرحى الذين وجدوهم في الخنادق

هذه شهادات الالمان انفسهم عمَّا كانت بلوكاتهم الصغيرة تفعلهُ من قتل الجرحى والاسرى . وقد وجدتُ بعد البحث الطويل ادلة قاطعة على صحة ذلك فقد نشرت الحكومة الفرنسوية صورة الاوامر التي اصدرها امير اللواء ستنجر الذي يقود اللواء الثامن والخمسين وفيها يأمر جنودهُ ان لا يأسروا احداً بل يقتلوا كل مَن يقع في يدهم من اعدائهم سواء كان سليماً او جريحاً . لكن الحكومة الالمانية كذَّبت ذلك مدعية انهُ غير صحيح فبحثتُ عن هذه الاوامر حتى عثرت على نسخة منها وهذه ترجمتها

« اوامر عسكرية في ٢٦ اغسطس ١٩١٤ الى الجنود من البلوك السابع من الاي المشاة ١١٢ عند الدخول الى غابة سان بارب . من الآن فصاعداً لا يؤسر احد بل يقتل كل الاسرى ولو كان عددهم كبيراً ويجب ان لا نترك وراءنا احداً حيًّا »

لما اطلعت على هذا الامر العسكري الصريح اخذت ابحث عن افعال الالاي ١١٢ الالماني فوجدت في قلم المخابرات عندنا نتيجة التحقيق مع اسيرين من هذا الالاي فقد قال احدهما ان الاوامر صدرت لالايهم بان يحسنوا معاملة الهنود ويعاملوا الانكليز كما يريدون . وقال ايضاً ان ٦٥ اسيراً من الانكليز قتلوا صبراً في ٢٣ اكتوبر في طريقهم الى ليل قتلهم الذين كانوا يحرسونهم في الطريق فمُدحوا على ما فعلوا . وشهد غيرهُ من اسرى الالمان انهم كانوا مأمورين بقتل كل مَن يقع في يدهم من الانكليز

ووقع في يدنا اسير من هذا الالاي بعد ذلك وقد كتب في مذكرتهِ Keine Gefangene اي لا اسرى

ورأيت في اواخر ابريل في قلم المخابرات يومية اسير الماني اسمهُ رينهرت برنيسن من

الالاي ١١٢ وفيها يقول « ثم جاء امر من اللواء ان الفرنسويين الذين يقعون في ايدينا سواء كانوا جرحى او غير جرحى يجب ان نقتلهم ولا نأسر احداً »

وعندي ان هذا دليل قاطع على ان امير ذلك اللواء امر جنوده هذا الامر لاسيما وانهُ موءيد بشهادات كثيرين من رجالنا الذين رأوا الالمان يطلقون الرصاص على اسراهم ويقتلونهم · ولا يعقل ان جنود الالمان يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم من غير ان يأمرهم ضباطهم

معاملة غير الجنود

اني احصر كلامي في ما حدث في شمال فرنسا لان ما حدث في البلجيك جاء تفصيلهُ في تقرير اللجنة المشار اليها آنفًا

لما مرَّ جنود الالمان في نواحي الايبر وهزبروك وبتون وليل اطلقوا الرصاص على السكان الذين كانوا يشاهدونهم في طريقهم من غير تمييز سواء كانوا فلاحين يحرثون ارضهم او مهاجرين هاربين من وجههم او فعلة عائدين الى بيوتهم واذا حاول احد ان يهرب من وجههم قتلوهُ لا محالة · ولقد كانوا يطلقون الرصاص على النساء والاولاد والعجائز كأنهم ارانب ومن خالف اقل امرٍ لهم فعقابهُ القتل حالاً · طلبوا مرةً من قسيس كنيسة ان يعطيهم مفتاح برجها ولما لم يجدهُ حالاً اطلقوا عليهِ الرصاص وقتلوهُ · وطلبوا من راعٍ ان يعطيهم خبزاً ولما لم يلبِّ طلبهم حالاً قتلوهُ · وحاول خباز ان يهرب من وجههم فربطوا عنقهُ بحزامهِ وخنقوهُ · وطلب ثلاثة وعشرون جنديًا من امرأة ان تقدم القهوة لهم ولما لم يكن عندها من البن ما يكفيهم كلهم اخذوا ابنها الرضيع من يدها وغطسوا رأسهُ في الماء الغالي · وحاول رجل شيخ عمرهُ ٧٧ سنة ان يخفي امرأتين في بيتهِ لينجيهما من البغاء فاطلقوا الرصاص عليهِ وقتلوهُ

وقد ذكرتُ هذه الامثلة مما لديَّ من الشواهد الكثيرة من غير انتقاء وهي تدل على اخلاق الجنود الالمانية · وكان يمكن حسبانها من قبيل الفعال الشاذة التي يرتكبها الجنود احيانًا مخالفين بها اوامر ضباطهم ولكن كثرتها تدل على ان ضباطهم قد غرسوا في نفوسهم ان لا قيمة لحياة الانسان · وهناك فعال لا يمكن ان يأتيها الجنود الاَّ اذا امروا بها امراً كما حدث في بليول ولاغورغ ودولبو حيث لم يبدِ السكان اقل مقاومة وكان الجنود مع ضباطهم فاخذوا السكان وامروهم ان يحفروا قبورهم بايديهم ثم وقفوا والضباط معهم واطلقوا عليهم الرصاص دفعةً واحدة · وقد قتل في دولو ١١ نفساً على هذه الصورة وهي قرية صغيرة وهؤلاء ليسوا من سكانها بل من سكان القرى المجاورة لها · واخذ الجنود ٢٥ رجلاً من سكان بليول

ولم يسمع عنهم شيء بعد ذلك والمرجح انهم قُتلوا كما قُتل غيرهم . والمرجح عندي ان الذين قيل عنهم انهم أُمروا بحفر قبورهم إنما أُمروا بحفر الخنادق ثم طُلب منهم ان يخبروا عمّا يعرفونهُ من حركات الجيش ولما تلكأوا قُتلوا . ولكن كل ما فعلهُ الالمان هناك غير جائز حسب قوانين الحرب . وقد فرَّ بعض الاسرى الانكليز وقرروا ان الالمان كانوا يجبرونهم على حفر الخنادق ووجد في يومية جندي سكسوني ما ترجمتهُ

« ان الاسيرين اللذين كانا معي عملا عملاً شاقًّا في حفر الخنادق وعند الظهر أُمرت ان اذهب الى القرية مع اسيريَّ فسررت لانني كنت مأموراً ان اقتلهما اذا هجم الفرنسويون واني اشكر الله لانني لم اضطر الى ذلك »

ثم ان من عادة الالمان ان يحسبوا اهل كل بلد مسأولين عمّا يفعلهُ واحد منهم فاذا اتفق ان احداً اطلق بندقيتهُ عرضاً ولو كان من الالمان انفسهم فالالمان يقتولون الرهائن التي عندهم من اهالي البلد او يختارون بعض السكان و يقتلونهم او يقتلونهم كلهم . وقد يحسبونهم مسؤولين عن اعمال الجنود الحربية فاذا ذهب بعض الجنود الفرنسويين للاستطلاع قرب قرية فرنسوية او بلجيكية عرَّضوا اهلها كلهم للقتل او للغرامات الفاحشة . وقد أمر شيوخ البلدان الفرنسوية سكانها ان لا يطلقوا بندقية مطلقاً وان يسلموا بنادقهم كلها لاولي الامر لكي لا يبقوا سبيلاً للالمان عليهم ومع ذلك لم يسلموا من شرهم لانهم عاملوهم بالتعنُّت والافتئات وحسبوهم مسؤولين عن كل ما يتعبهم او يكدّر صفاءهم فقد هددوا مرةً شيخ بلدة بالقتل لان غاز الضوء انقطع عن البلدة . وقُرع جرس المحطة في بلدة اخرى فاتى الالمان بشيخها وكادوا يقتلونهُ لو لم يثبت لهم ان الذي قرع الجرس هو جندي الماني . فاذا اعتبرت السلطة العليا حياة السكان رخيصة الى هذا الحد فلا عجب اذا استخفَّ بها الجنود وقتلوا السكان كما يقتلون الخنافس

الاعتداء على النساء

جنود الالمان مسيحيون كلهم والمسيحيون يقدسون اوامر التوراة والانجيل و يقولون انها اوامر الهيَّة لا يجوز العبث بها . ومن اخص هذه الاوامر الوصية السابعة من الوصايا العشر وهي « لا تزنِ » ويقول اليهود والمسيحيون ان الله تعالى كتبها باصبعهِ في لوحي الشهادة . ومع ذلك فقد فعل جنود الالمان فعالاً من هذا القبيل يستنكف منها زنوج افريقية وتأباها الوحوش الضارية . والحوادث التي استشهد بها الاستاذ مورغان تعاف النفس الاطلاع عليها فيعذرنا القراء اذا ابينا تستطيرها

رأي اميركي في الحرب

رد على منشور علماء الالمان

(تابع ما قبلهُ)

وجاء في منشوركم «ان ما يُزعم من اعتدائنا على حياد البلجيك ليس بصحيح» . فهل قرأ هؤلاء الثلاثة والتسعون عالمًا منشورهم بانعام وروية قبلما وقعوهُ ؟ هل تقدر عقول مثقفة افضل تثقيف ان تصرح مختارةً تصريحًا غير صحيح كهذا ؟ وهل يطَّلع اهل المانيا على الوقائع والحقائق التي تبلغ سائر العالم ؟ الم يقرأ احد من هؤلاء العلماء ما قالهُ نائب الامبراطور فون بتمان هولفج في الريخستاغ بتاريخ ٤ اغسطس اذ قال «اضطررنا الى ان نخرق حياد لكسمبرج والبلجيك وقد احتلت جنودنا البلاد الاولى ولعلها الآن ضمن حدود الثانية . ايها السادة ان هذا خرق للقوانين الدولية . نعم ان الحكومة الفرنساوية صرحت باحترام حياد البلجيك بشرط ان يراعيهُ خصومها ايضًا على ان فرنسا كان في استطاعتها الانتظار اما نحن فلم نستطع . واقول بصراحة اننا بعد ما نبلغ غايتنا الحربية نسعى وسعنا لاصلاح الخطإِ الذي نحن آخذون في ارتكابهِ»

ثم هل اطَّلع احدكم على الحقيقة الثابتة وهي ان نائب امبراطوركم قد سعى بنفسهِ الى اكتساب مرضاة الاميركيين ببيان نشرتهُ صحف اميركا بتاريخ ١٥ اغسطس اعترف فيهِ ثانيةً بما جنيتموهُ على البلجيك وهو كما يلي «ارغمتنا الضرورة على خرق حياد البلجيك ولكننا وعدنا وعدًا اكيدًا بان نعوض تلك البلاد عن كلما اصابها من التلف»

بماذا يوحي ضمير الالمانيين الصالح عند ما يعلم فحوى هذا الاعتراف الذي اعترفهُ نائب امبراطورهم ؟ وما هي الضرورة التي يقصدها ؟ ومن الذي كان يفكر في اقتحام بلادكم لو لم يسير امبراطوركم جيوشهُ لاجتياز حدود جيرانكم المخلدين الى السكينة والسلم . وماذا يعني بقولهِ «الخطاء الذي نحن آخذون في ارتكابهِ» ايقصد بهِ تخريب بلاد آمنة لم تؤْذكم وذبح ابنائها ونفي ملكها وحكومتها ودك مدنها بما فيها من البيوت الآهلة والآثار التاريخية الكريمة واعمال النوابغ النفيسة ؟

«الخطاء الذي نحن آخذون في ارتكابهِ» ايعني بذلك ما هو انكد وامر مما تقدم اي

إعمال عساكركم السيوف في البلجيكيين غير مبقين على كبير ولا صغير ولا امرأة وذلك لان البلجيكيين المنكودي الحظ فقدوا صوابهم وتولاهم اليأس والقنوط لما رأوا ابناءهم يُذبحون ومنازلهم تلتهمها النار فاخذوا يطلقون بنادقهم من النوافذ على عساكركم! الخطاء الخطاء! نعم لماذا تنكرونهُ ايها العلماء وحكومتكم تعترف بهِ اعترافاً رسمياً مخجلاً؟ بربك ايها الاستاذ شابر اذا عُكست هذه الاحوال واجتاحت جنود الحلفاء شوارع برلين ألا تنبري انت وكل زملائك العلماء عند ما ترون منازلكم تدمر واولادكم يتضرجون بدمائهم وتطلقون الرصاص على المعتدين القساة؟ اما انا فان وقع لي مثل هذا فاني افعل كذلك بلا شك . عند ما أرسلت جنودنا الامريكية حديثاً الى المكسيك ليس لغزوها ومحاربتها بل لتثبيت دعائم الامن واعادة النظام والقانون الى مجاريهما اطلق عليهم بعض اهالي ڤيره كروز الرصاص من نوافذ منازلهم وقتلوا عشرين منهم فاطلقت الجنود الرصاص عليهم ولكن لم تدمر المدينة ولم تقتل الابرياء . واسرت بعض المعتدين عليها فلم تعدمهم بل وبختهم واوصتهم بحسن السلوك واخلت سبيلهم . اكاد اتمنى لو كان لاميركا قدرة ومشيئة فتقصد فرنسا والبلجيك وتكبح جماح اولئك الغزاة الاشرار وتعيد الامن الى نصابهِ والنظام والسلطة والقانون الى مجاريها

ولا بد ان ينظم ابناء هذا العالم يوماً من الايام سلطة كهذهِ حتى اذا قامت امة تعدُّ موتاً وجهناً حمراء لجميع بني البشر كما فعلت امتكم في اثناء الخمسة والعشرين عاماً الاخيرة عدَّت عدوة عمومية لبني البشر . على ان الغلاظة التي دفعت حملتنا على المكسيك تظهر رقة ولطفاً اذا قوبلت بالفظائع الوحشية التي تأتيها جنودكم في البلادين الموما اليهما

بربك ايها الاستاذ العزيز اذا كانت المانيا بريئة مما يتهمها العالم بهِ فما شأن جنودكم في البلجيك وفرنسا؟ فلو تربصتم حتى تهاجَموا لما اشتبكت امتكم بحرب قط . قال نائب امبراطوركم انكم خرقتم حرمة القوانين الدولية وانكم ستحاولون على قدر طاقتكم ان تصلحوا الخطأ الذي انتم آخذون في ارتكابهِ . إي ايها الاستاذ شابر ان الذهب الذي تستطيعون اعطاءهُ لفرنسا والبلجيك في اثناء الف سنة وصلوات التوبة والندم التي تقدمونها بجزن وقلوب منكسرة في كل ساعة من الالف سنة لا تصلح ما جررتموهُ على تينك الامتين بالذبح والنار والخراب والدمار ولا تجفف اوقيانوس الدموع الذي اسالتهُ غزواتكم الفظيعة . يسألنا بعض الناس احياناً هل تفضلون العنصر السلافي على العنصر الالماني . والجواب على

ذلك واحد مطرد «نعم» . بعد ما رأينا الحرب الالمانية نفضل العنصر السلافي بل التركي بل الهوتنتوت

تذكرون في منشوركم انكم لم تلحقوا ضرّا بمال فردٍ واحد من اهل البلجيك او حياته الأ مرغمين بضرورة الدفاع عن النفس وان عساكركم لم تعتدِ على لوڤان . فالحكم في هذه المسألة يجب ان يبنى على الحقائق وهذه الحقائق مشهورة لا تحتاج الى تبيان . على اني اورد شاهداً واحداً لتأييد هذه التهمة وهو قول امبراطوركم الذي قال «ان الدمار والاضرار التي الحقتها جيوشنا بالحياة والاموال في لوڤان نجمت عن الضرورة الملجئة وان قلبي يقطر دماً من اجل لوڤان»

وتنكرون ايضاً ارتكاب جنودكم للفظائع والموبقات فاليكم ما كتبتهُ احدى ممرضاتنا المتطوعات بجمعية الصليب الاحمر في البلجيك قالت . «ان بين المصابين الذين نمرضهم صبيًّا شجاعًا اطلق الرصاص من نافذة منزلهِ على الجنود التي كانت تسلب بلادهُ فكان جزاؤهُ ان الالمان قطعوا يديهِ بلا شفقة ولا حنان . الم يذبح جنودكم شيخ بلدة ترموند لانهُ دافع عن شرف ابنتهِ عند ما اراد احد الضباط اقترامها وهو نازل في بيت ابيها ؟ وقد بلغتني حكاية اخرى من صديق في بروكسل اضطر الى الفرار الى نانت قال ان جنودكم اطلقوا الرصاص على صراف البنك الاهلي وولديهِ لانهُ ابى ان يبوح بسر فتح خزائن البنك . وهنالك حكايات كثيرة كهذه شائعة لا ريب في صحتها . وماذا يفيد انكارها ولدينا منها حوادث اجمالية مما وقع في لوڤان والوست وترموند . ان الحرب ذاتها في نظر ابناء امتي فظيعة والامة التي تضرم نارها تعد لديهم مجرمة كالمحرض على القتل في نظر قانون الجنايات . نظر الناس الى امبراطوركم نظرة الاعجاب وعدوهُ من اعظم رجال العالم ولكن ما هو الاسم الذي سيتركهُ للخلف ؟ باللعار ! انهُ قد طعن الانسانية في اعماق نفسها باضرامهِ نار هذه الحرب وروى ارض اوربا بدماء بني الانسان . وسيكون سكان اوربا ارامل نائحات وثكالى نادبات وايامى وايتام وعجزة ورجال مبتوري الاذرع والسيقان . انهُ سيورث ذريتهُ الكراهة والاحقاد والضغائن !

وتختمون منشوركم بالمدافعة عن السلطة العسكرية الالمانية وهذا يعود بنا الى السؤال كيف ابتدأت الحرب . لا يستطيع ذو عقل سليم ان يرتاب في ان مسؤولية هذه الحرب المشؤومة على عاتق المانيا لانها شجعت النمسا على مهاجمة السرب وهي تعلم ان النتيجة تكون حربًا اوربية . فالنمسا ليست سوى امبراطورية على شفا الانحلال مشدودة الاطراف بحبل واهن غير قادرة على تمثيل عناصرها المتباينة ليكون لها جامعة جنسية واحدة كما هي

الحال عندنا في اميركا والسبب في ذلك ان حكومتها ليست على اساس متين من العدل والمساواة ولا يتسنى لها ان تأتي عملاً متقناً من تلقاء نفسها خيراً كان او شرًّا وذلك يرجع الى علل واسباب · ولما كان الشيء بالشيء يذكر اقول ان اشارتكم الى السلطة العسكرية الالمانية تذكرنا بقول القائلين ان هذه الحرب ابتدأت كامنة منذ خمسة وعشرين عاماً اي عند ما ارتقى الامبراطور وليم الثاني عرش المانيا وصرح انهُ رب الحرب الاعظم وشرع يهيئ امتهُ للحرب وغرس في انجالهِ منذ نعومة اظفارهم الاميال العسكرية والنظر الى مستقبل مصبوغ بالدماء · ونحن في اميركا نعرف صورة ابنتهِ من بذلة الكولونيل (مير آلاي) التي ترتديها · ومثلما نشأ انجالهُ نشأت ابناء امبراطوريتهِ · والخدمة العسكرية الالزامية جعلت كل الماني جنديًّا · ولما كنت انا في المانيا تحققت افتقار البلاد الى الهدوء والسكينة فان الشوارع كانت غاصة بالجنود على الدوام ولا يقع النظر الاَّ على لمعان الخوذ ولا يسمع الاَّ صليل السيوف وصهيل الجياد ووقع حوافرها · ان هذه الضوضاء والجلبة والمعدات الحربية قد افسدت افكار الشعب الالماني وغرست فيهِ الميل الى الحرب

والرجل الذي يرتدي بذلة القيصر (البذلة العسكرية) يعد من طبقةٍ ممتازة فقد تشاجر مرة ضابط مترنح سكراً وخادم احدى المحلات العمومية فطعن الضابط الخادم في قلبهِ وكانت البذلة العسكرية خير شفيع مبرر للضابط من هذه الجناية الفظيعة · واتفق ان اسكافاً في بلدة اجتاحها الالمان تلفَّظ بعبارات يشتمُّ منها القدح في جنود الامبراطور فمزقهُ احد الضباط بسيفهِ تمزيقاً وكان جزاء هذا التهجم الفظيع المقرون بالجبن والنذالة الثناء العاطر من ولي عهد المانيا · واراد احد افراد العامة ان يقترب من صديق كان يعرفهُ قبلما يرتدي بذلة الضباط ليحييهُ كالمعتاد فعدَّ الضابط ذلك وقاحةً واعتداء من صديقهِ فقتلهُ وكتب الى والدة القتيل يبرر عملهُ لديها · وقد رأيت انا ضباطاً من الالمان يدفعون سيدات مرهفات بغلظة من طريقهم وسمعت بعضهم يتشوق بلهفة الى اليوم الذي يتاح لهُ فيهِ خوض غمار الحرب

في كل يوم من كل سنة من الخمسة والعشرين عاماً كان الامبراطور يذكي صدور الجمهور شوقاً الى هذه الحرب بخطبهِ الحماسية وكان نصيب الذين يقترحون وسائل فعالة لحفظ الامن وتأييد السلام الهزء والازدراء · ولما رزحت طبقات الفقراء في العالم تحت عبء الضرائب التي كانت تجبى استعداداً للحرب (فقد كان يُنفَق في هذا السبيل ٧٥ في المئة من دخل جميع الحكومات) اقترحت الحكومة الانكليزية ايقاف زيادة التسلح عاماً واحداً وكان

جواب الامبراطور على هذا الاقتراح انهُ اضاف الى الاسطول اربع بوارج والى الجيش البري ثلثمائة الف جندي والجأ فرنسا الى جعل مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدلاً من سنتين

من اقوال جنرالكم فون برنهردي ان محاولة تأييد السلم آفة عظيمة للصحة العمومية وقد غرس العلماء والاساتذة في كلياتكم وجامعاتكم في عقول الناشئة المبدأ القائل ان الحرب ضرورية لا بد منها · ان روح الوطنية في المانيا قد جنحت عن القواعد الذهبية التي تعلمناها من فيلسوفكم العظيم «كانت» وتشربت بمذهب نيتشه المادي الحيواني وبمبدإ الجنرال فون برنهردي المقرون بالتعطش الى سفك الدماء وباحلام تريتشكي الحربية الشيطانية وبآداب فون بيلوف المرذولة ·وفي كل صغيرة وكبيرة من الحقائق التي نستطيع جمعها سواء كانت تتعلق بامبراطوركم او بانجاله او بجنوده او بساسة حكومته او باساتذته نرى جليًّا ان المانيا تنظر الى نفسها كامَّة منفصلة عن سائر الامم واسمى منها وانهُ حتم عليها ان تحافظ على هذا الترفع ولو بالحرب

ومما يخالف روح هذه الوطنية العقيمة المهلكة ما نتعلمهُ ونعمل بهِ في اميركا من تفضيل الانسانية على الجنسية فاننا نكرم جميع العناصر وبلادنا ترحب بهم وتفسح لهم صدرها

اسمح لي ايها العزيز الاستاذ شابر ان اقول في هذا المقام ان رجال الحكومة الالمانية قد تشربوا مبدأً مضلاً هو سبب ويلات هذه الحرب الالمانية · ان قوانينكم العسكرية قد رسخت في قلوب ابناء امتكم الاعتقاد بان الراية الالمانية يجب ان تلازم الالمانيين في مهاجرهم ويظهر ان القصد من ذلك هو التملك والاستعمار · ثم ان امبراطوركم يقول لرعيته ان المانيا فوق كل شيء· أليس نشيدكم الوطني بهذا المعنى يتعلمهُ اطفالكم ويرضعونهُ مع اللبن فيعتقدون انهم فوق كل البشر · قلت ان في الولايات المتحدة ثمانية ملايين نفس من الالمانيين فهؤلاء ليسوا في حاجة الى الراية الالمانية لتخفق فوق رؤوسهم وتضمن لهم سعادتهم وهناءهم وفي كندا والبرازيل والارجنتين وغيرها من بلدان المعمور الوف غيرهم وهم في امان ورغد وهناء من غير ان تظلهم الراية الالمانية · وعند ما يهاجر الاميركيون الى بلاد اخرى ويتخذونها موطنًا لهم لا يحملون رايتنا معهم · أليس من الهزء والسخرية ان تحافظوا على المبدإ المومإ اليهِ اي ان الالمان يجب ان يعيشوا تحت الراية الالمانية اينما ساروا وحلوا ! أليس اساس هذه الفظائع الشائنة هو الحلم الوحشي بسيادة العنصر الالماني على العالم ؟ وحبذا يوم نرى

فيهِ الانسانية فوق الجنسية ونشاهد الحكومة او الدولة التي تخالف هذا المبدأ يُحكم عليها بالتلاشي والاضمحلال

ثم ان الطبقة العسكرية تذيع آراء تقصد بها اقناع الامة الالمانية انها لا تقدر ان تقلد الانكليز والاميركان في ما يسمونهُ الحكم الذاتي فقد قال جنرالكم فون برنهردي ليس هنالك شعب كالشعب الالماني غير كفوء لحكمهِ نفسهُ بنفسهِ . واني لاعجب كيف تكون العلاقات بين الشعب الالماني وحكومتهِ بعد هذه الحرب

ان احلامكم الحربية والهيأة العسكرية الالمانية والطموح الى تسويد العنصر الالماني والسياسة الكاذبة والافراط في التسلح وتأييد الحكومة المطلقة والزعم بان المانيا فوق البشر. وميل حكامكم العسكريين الى القتل ورغبتهم الشديدة في اتلاف كل ما من شأنهِ الدلالة على تقدم بني البشر وارتقائهم كل هذه امور حملت العالم على الخوف والتحذر منكم. ونفوسكم التي لا تعرف الشبع قد اذعرتنا جميعاً. ان مركز رئاستكم الحربي قد وضع خطة الهجوم على اميركا ايضاً فاذا انتصرتم على الامبراطورية البريطانية أفلا يأتي دورنا ؟

واقول اخيراً ايها العزيز الاستاذ شابر اننا ليدهشنا ويخجلنا ويكدرنا ان تكون دولة مسيحية السبب في اضرام هذه الحرب الجنائية. وعند ما اقول اننا نكرهُ هذه الحرب ونمقت السلطة العسكرية الالمانية انطق بآراء السواد الاعظم من الشعب الاميركي ومئات الالوف من الالمان الاميركيين . ولسنا نرى اقل تبرير لهذا العمل فان المانيا بما لديها من المعدات الحربية ووسائل الدفاع في مأمن من شر العالم باجمعهِ . فاي دولة كانت تجرأُ على اجتياز حدودكم . ان الامة الالمانية وان كانت لا يزال ينقصها تثقيف وتربية اقتداء بجيرانها قد بلغت شأواً رفيعاً من الرقي العقلي الذي كان يجب ان يرفع شعبها الى ما هو اسمى وافضل لهُ ولغيرهِ من الشعوب . فسفن امتكم العظيمة كانت تمخر في كل بحر ومتاجركم تباع في كل صقع وكنتم متمتعين بكل نعم الانسانية لان الامم كانت تثق بكم كدولة تراعي حقوق غيرها اما الآن فقد فقدتم هذه المزايا واضعتم ثقة الناس بكم وهيهات ان يتسنى لكم ان تعيدوا ما فقدتموهُ ادبيًّا وماديًّا ولو بعد خمسين سنة . وحبذا يوم نرى فيهِ دولة المانية جديرة باحترامنا محبة للسلم الحقيقي والتقدم الصحيح والتربية القويمة دولة المانية تتوخى الاعتدال وتنبذ التشامخ وتتحرر من اسيادها الحربيين وجيوشها الشاكية السلاح . حبذا يوم تعود فيهِ الى التعاليم السامية الرفيعة تعاليم نوابغكم العظام لوثيروس وغوته وبيتهوفن وكانت . على ان المانيا سواء انتصرت او انكسرت في هذه الحرب قد سقطت وتلك الامة التي بلغت اسمى درجات

المجد ستواصل سيرها في ظلام الفظائع والمذابح الى ان يلهمها ضميرها فتسترد جيوشها الى بلادها وتنتظر عفو العالم وصفحهُ عن هذه الزلة العظيمة

اظنكم لا تؤاخذونني اذا اقترحت عليكم ان ينهض الثلاثة والتسعون عالماً الذين وقعوا هذا المنشور و يبذلوا كلما في طاقتهم ليؤثروا في ضمائر امتهم لتوقف هذه الحرب وتسترجع جنودها وتطلب الصلح على شروط تعترف بها بالزلات التي اقر بها امبراطوركم ونائبهُ و بذلك تخدمون الانسانية خدمة تفوق جميع الفضائل

لا ريب انهُ سينجم من هذه الحرب الشريرة كثير من الخيرات والبركات واحسن ما ينجم عنها تأييد السلام . انا عضو في كل الجمعيات الساعية الى تأييد السلام وقد رأيت رجال السلم يبثون آراءهم خافتي الصوت و يسيرون بحذر يتوارون من نظر رجال الحرب . اما من الآن فصاعداً فسيسود السلام في العالم و يؤيد الشرائع والقوانين ويسحق باقدامهِ الذين يحاولون انشاء امبراطوريات عظيمة على جثث العمال الفقراء والفلاحين البسطاء وعندئذٍ تصبح الانسانية اسمى من كل شيء آخر

اود قبل ختام ردي هذا على منشوركم ان اعبر لكم عن مشاركتي الشعب الالماني في شعورهِ واني البس معهُ الحداد على الشجعان الامناء الذين ذهبوا ضحايا المطامع الدولية في الذبح والسلب والنحب مع النساء الامينات اللاتي كسرت قلوبهنَّ واصبحنَ بلا سند ولا معين وارثي لحالة الاولاد المساكين (وهم نحو مليون او اكثر) الذين سيشبون محرومين من محبة الوالد وعنايتهِ واود لو تسنى لي ان اقول او افعل شيئاً يساعد على تخفيف احزان الامة الالمانية ولكن ليس في طاقة بني البشر طرّاً ان يخففوا عبئاً ثقيلاً كهذا

واختم اسطري هذه بالشكر الجزيل على كتابكم واقدم تحياتي الخالصة للزملاء الكرام الذين وقعوا المنشور الآنف الذكر راجياً من صميم الفؤاد ان يعود السلام الدائم الى هذا العالم المضطرم بنار الحروب وتأكدوا انني باقٍ على ودادكم واقبلوا فائق احترامي ودمتم

للمخلص الامين

ص · ا · تشرلش

انتهت ترجمة هذه الرسالة بقليل من التصرف

سليم الخوري

القيصر كاليغولا

جعل الناظرون في التاريخ يبحثون عن ندٍّ لامبراطور الالمان. فشبهه احد كتّاب الانكليز بالملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا وشبهه احد المؤرخين الايطاليين بالقيصر كاليغولا . وقد رأينا في ما كتبه هذا المؤرخ عن كاليغولا حقائق لم نرها في تاريخ آخر فآثرنا اقتطافها واضفنا اليها بعض ما ذكره سوتونيوس اشهر مؤرخي الرومان الاقدمين

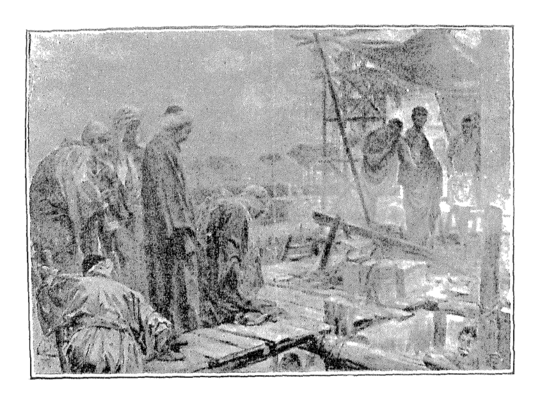
كان القيصر طيبار يوس الذي توفي سنة ٣٧ للميلاد شديد الوطأة على شعبهِ فلما مات تنفسوا الصعداء ونظروا الى من يخلفهُ نظرهم الى منقذ ينقذهم من جورهِ

وقد مات طيبار يوس غيلةً في مسينا على خليج نابلي وكان كاليغولا هناك ولعلّ اغتيالهُ كان بدسيسة من كاليغولا لكنهُ رافق رفاتهُ الى رومية كانهُ اعز اصدقائهِ فلقي في طريقهِ اليها من احتفال الناس بهِ ما لا يلقاهُ الاَّ ملك ظافر

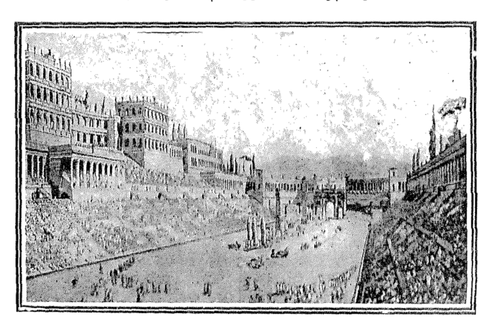
وكان كاليغولا حينئذٍ شابًّا في الخامسة والعشرين من عمرهِ فاقرَّهُ مجلس الشيوخ امبراطوراً وخصَّ الملك بهِ مع ان طيبار يوس كان قد اشرك معهُ آخر في ولاية العهد . وبلغ السرور من اهل رومية انهم ضحوا في ثلاثة اشهر ١٦٠٠٠٠ ضحيَّة شكراً للآلهة على منحها اياهم هذا القيصر

وظهر في اول الامر ان سرورهم كان في محلهِ لان كاليغولا ردَّ السلطة الى مجلس الشيوخ في كل الامور الجوهرية وخفض الضرائب وعفا عن كثيرين من المجرمين وردَّ الذين نُفوا في عهد طيبار يوس وامر ان تحرق السجلات التي فيها قصصهم لكي لا يبقى سبيل للانتقام من الذين شكوهم . وعمل اعمالاً اخرى من هذا القبيل فزاد ابتهاج الرومانيين بهِ ولقَّبوهُ بالتقي والصالح والعظيم . ومرَّت الشهور الاولى من ملكهِ على ما قالهُ فيلون الاسكندري ولا يُرى في المدن الاَّ الضحايا تضحَّى على المذابح شكراً للآلهة والناسُ في البياض والاكاليل على رؤُوسهم كأَنهم في عيد دائم

ولكن هذا السرور كان قصير المدة لم يدم الاَّ سبعة اشهر لان كاليغولا لم يكن سليم الجسد ولا سليم العقل بل كان معرَّضاً لداء الصرع من صغرهِ . والمعرَّضون لهذا الداء يكونون في الغالب قساةً كثيري التقلُّب محبين لسفك الدماء ويستنتج مما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون من اعمال كاليغولا انهُ كان من الذين صرعهم يحملهم على القسوة وارتكاب الجرائم فكان اول عمل عملهُ بعد الحسنات الكثيرة التي اسداها الى شعبهِ في الاشهر الاولى من



وفد يهود الاسكندرية امام القيصر كاليغولا



قصور القياصرة في رومية

المقتطف صفحة ١٦ مجلد ٤٧

ملكهِ انهُ افرط في الاكل والشرب والفجور فتلفت صحتهُ واعتراهُ مرض شديد كاد يودي بهِ . ولم يكن اعوانهُ يعلمون سبب مرضهِ فسهروا عليهِ وودوا ان يفدوهُ بارواحهم ثم فارقهُ المرض واخذ معهُ كل ما كان فيهِ من حنان وعدل واعتدال وتركهُ في حالة الجنون المطبق

وكان من اول آثار جنونهِ انهُ اضطرَّ حفيد القيصر طيباريوس سلفهِ الى الانتحار وفتك بماركوس سليانوس حميهِ ابي زوجتهِ الاولى وبمكرون رئيس الحرس الخاص وكان اصدق مشيريهِ . سعى في قتل الاول لانهُ اوجس منهُ خيفة وقتل الاخيرين لانهما نصحاهُ ليعتدل كما كانا ينصحانهِ قبل مرضهِ . والشريعة الرومانية لا تبيح للقيصر ان يقتل احداً او يأمر بقتل احد الاَّ اذا حوكم وحكم عليهِ بالقتل فلما اشتهر في رومية والاقاليم الرومانية قتلهُ لهؤُلاء الثلاثة اندهش الشعب ووقفوا حيارى ولكن اهالي الولايات الشرقية لم يستغربوا ذلك لانهم كانوا قد الفوا هذا النوع من الاستبداد في ملوكهم وهو كان اميل اليهم منهُ الى اهالي رومية ولذلك جعل كل حاشيتهِ منهم قبل ان صار امبراطوراً وكان خدمهُ كلهم تقريباً من المصريين فلما صار امبراطوراً حاول الاقتداء بالبطالسة في ابهة ملكهم وان يُعبَد مثلهم ومثل الفراعنة الاقدمين فادَّعى اولاً انهُ اله من الآلهة الصغار لانهُ خشي ان يرتقي الى مصاف الآلهة الكبار دفعةً واحدة . فدهش الرومانيون من ذلك لانهم لم يألفوهُ من قبلُ ولا ادَّعى احد من اكبر قياصرتهم انهُ اله اما هو فلم يعبأ بدهشتهم بل جعل يلبس لبس الالهة الصغار على ما هو مسطور في الكتب او مشاهد في الهياكل . ولما رأى اشمئزاز الشعب من ذلك لم يخجل لان الجنون والخجل لا يجتمعان بل عمد الى اغاظتهم بالايغال في ادعاء الالوهية فجعل يلبس كالآلهة الكبار عطارد والمريخ وابلون

وكان الاقدمون اقرب من ابناء هذا العصر الى مزج البشر بالآلهة ولكن افعال كاليغولا لم تركب على عقول الرومانيين خاصتهم وعامتهم لا سيما وانهم رأَوا من استبدادهِ ما اثار سخطهم . ومن المحتمل ان المؤَرخين بالغوا كثيراً في ما نسبوهُ اليهِ من الفظائع ولكن لا شبهة في انهُ ساس المملكة سياسة شاب مصاب بالصرع تتقلَّب اطوارهُ من يوم الى يوم ويعمل اعمالهُ حسب تقلب اهوائهِ غير مقيد بقانون او ناموس او عادة

ولدينا شهادة مؤَرخ من اصدق المؤَرخين وفيلسوف من اكبر فلاسفة اليهود وهو فيلون الاسكندري صاحب التصانيف الكثيرة فانهُ لما ادَّعى كاليغولا الالوهية وامر الناس ان يعبدوهُ في كل مكان لم يعمل اليهود بامرهِ وكان لهم خصوم كثيرون ولا سيما في الاسكندرية حيث كانوا كثاراً وعلى ثروة طائلة فاثاروا رجال الحكومة عليهم ليجعلوهم ينصبون التماثيل لكاليغولا

في معابدهم فابوا وكثر الشغب بسبب ذلك وشكي عليهم الى كاليغولا فاغتاظ منهم وامر والي سورية ان ينصب تمثالهُ في هيكل اورشليم · فارسل يهود الاسكندرية وفداً الى رومية برئاسة فيلون هذا ليبسط لهُ سبب امتناعهم عن وضع تمثالهِ في هياكلهم وان ذلك ليس ناتجاً عن احتقارهم لهُ او عصيانهم لاوامرهِ بل لان دينهم يأمرهم بعدم وضع التماثيل في هياكلهم · وكان فيلون من اهل الوجاهة كما انهُ كان من رجال العلم والفلسفة فان اخاهُ كان ملتزماً اعشار الحوف الشرقي من بلاد مصر مما يدل على انهُ كان على ثروة طائلة وجاه عريض

ولما رأى خصوم اليهود انهم ارسلوا هذا الوفد ارسلوا هم ايضاً وفداً آخر لكي يحبط مساعي اليهود فوصل الوفدان الى رومية واقاما فيها زمناً طويلاً قبلما تمكنا من مقابلة الامبراطور لانهُ كان مشغولاً باشغال كثيرة واخيراً سُمح لهما ان يقابلاهُ في مكانين بضواحي رومية كان قد ذهب اليهما ليشرف على بعض التغيير في القصور التي بناها فيهما ولما أمر الوفدان بالمثول بين يديهِ التفت الى رجال الوفد اليهودي وقال لهم

أ أنتم اعداء الآلهة الذين يحتقرونني ويفضلون عبادة الهكم الذي لا اسم لهُ على عبادتي

ولما سمع رجال الوفد الآخر هذا الكلام جعلوا يعيرون اليهود وقام النزاع بين الفريقين فنهض الامبراطور وتركهم يتخاصمون وجعل يجول في قصرهِ ويتفقد ما فيهِ من المباني واعمال الترميم وهو ينتقد ما يراهُ ويأمر بتغييرهِ او تعديلهِ · قال فيلون «فقمنا وتبعناهُ نحن وخصومنا والخصوم يعيروننا ويشتموننا ونحن نصعد وراءهُ وننزل من طبقة الى اخرى كأننا في ملعب من الملاعب» · ولما اتمَّ اشرافهُ على مباني القصر وقف بغتةً والتفت الى الوفد اليهودي وقال لهم لماذا لا تأكلون لحم الخنزير · فقهقه رجال الوفد الآخر حتى كادوا يقعون على الارض واراد اليهود ان يتكلموا فحُصروا عن الكلام ولكن الامبراطور قال لهم هاتوا اخبروني ما هي شريعتكم وقبل ان يجيبوهُ تركهم وجعل يعدو في القصر من مكان الى آخر يأمر هذا وينهى ذاك ثم عاد اليهم وقال لهم قولوا ما تريدون · ولم يكادوا يشرعون في الكلام حتى التفت الى الذين حولهُ وجعل يكلمهم عن بعض الادهان التي تدهن بها الجدران ثم التفت الى اليهود وقال ان هؤلاء الحمقى احق بالشفقة منهم بالعقاب لانهم لا يعلمون اني الهٌ أُعبَد

وقد يكون فيلون مبالغاً في ما ذكرهُ ولكن مهما اسقطنا من كلامه يبقى منهُ ما يدل على ان كاليغولا لم يكن سليم العقل وعلى ان مَن كان كذلك لا ينتظر منهُ الاَّ ان يلقي التشويش في مملكتهِ · فاضطربت شؤون الامبراطورية الرومانية من اقصاها الى اقصاها وكثر فيها الظلم والجور والاستبداد وظلَّ هو يعتقد انهُ الهٌ عالم بكل شيء وقادر على كل شيء وانهُ فوق كل

احد علماً ومعرفةً . واراد مرةً ان ينزع اشعار فرجيل وتاريخ ليفي من كل المكاتب زاعماً ان اشعار فرجيل خالية من الاختراع الشعري وتاريخ ليفي خالٍ من الدقة . وعزم مرةً اخرى ان يستأصل اشعار هوميروس قائلاً ان افلاطون نفاها من جمهوريتهِ فعليَّ لا يحق لي ما حقَّ لافلاطون . وخطر لهُ في وقت آخر ان يمنع المفتين من الافتاء قائلاً انهُ لا يحق لاحد غيره ان يفتي

واشار بانواع جديدة من الحمامات واخترع الواناً غريبة من الاطعمة وانفق اموالاً فاحشة على بدع قديمة وعمل اعمالاً هندسية كبيرة ولا غرض لهُ منها الاَّ انفاق الاموال الطائلة او اظهار مقدرتهِ على الطبيعة فكان يقطع اصلب الصخور ويهد الجبال فيجعلها سهولاً ويرفع السهول فيجعلها جبالاً ويبني السدود في اعمق البحار غير قاصد منفعة ولا سائل عن نفقة

كان القيصر اغسطس قد نصب تماثيل اعظم العظماء في التاريخ الروماني فامر كاليغولا بنزع هذه التماثيل كلها لكنهُ استثنى منها تمثال مرقس انطونيوس لانهُ فكَّر في نقل كرسي الملك الى الاسكندرية واحياء دولة البطالسة . وابطل عيد معركة اكتيوم التي قُهر فيها انطونيوس لانهُ قال ان قهرهُ من المخازي التي يجب ان تنسى . وامر ان لا ينصب تمثال لحي ولا لميت الاَّ باذنهِ لجعل نفسهُ فيصلاً في الحكم على استحقاق الناس في الحاضر وفي الماضي ايضاً . ونزع ترس الاسكندر المكدوني من مدفنهِ في الاسكندرية واتى بهِ الى رومية وجعل يلبسهُ في الحفلات الكبيرة

وانقلب جنونهُ ذات يوم الى رغبة في الحرب والظفر . ولم يكن يعلم شيئاً من فنون الحرب ولا خاض معركة من معاركها لكنهُ جمع جنود رومية وزحف بهم على بلاد الغال (فرنسا) قاصداً ان يبلغ المانيا وانكلترا فالتقى في طريقهِ بادمينوس بن كمبلين ملك الانكليز وكان ابوهُ قد نفاهُ من بلادهِ فعرض عليهِ ادمينوس ان يعود معهُ الى رومية وللحال بعث بالبشائر الى رومية انهُ تغلَّب على بلاد الانكليز وامر الرسل الذين يحملون هذه البشرى ان لا يسلموها لحاكم المدينة الاَّ في هيكل المريخ وفي حضور مجلس الشيوخ

وقد وصفهُ سوتونيوس ووصف غزوتهُ هذهِ وصفاً بديعاً قال ما خلاصتهُ

عزم مرةً ان يلبس تاجاً مثل احد الملوك ويجعل الامبراطورية الرومانية مملكة فقال لهُ احد اعوانهِ ان مجدهُ يفوق مجد الملوك كلهم فقال اصبت وادَّعى الالوهية وامر ان يؤتى من اثينا باعظم تماثيل الآلهة المشهورة وتقطع رؤوسها وتبدل بتمثال رأسهِ وبنى هيكلاً لنفسهِ نصب فيهِ تمثالاً لهُ من الذهب وامر ان يلبس كل يوم ثوباً مثل الثوب الذي كان يلبسهُ هو . وتسابق عظماء رومية الى جعل انفسهم كهنة في هذا الهيكل وكانوا يبتاعون

هذا المنصب باغلى ثمن . وكانت الضحايا التي تضحّى فيهِ من اغلى انواع الطير كالطاووس والبشلون والحباري والقبج ودجاج الحبش . وكثيراً ما كان يُرَى مخاطباً البدر ليلاً والمشتري نهاراً . وكان يغضب ان عدَّهُ احد من القياصرة وانكر انهُ من سلالة اغريبا وادعى انهُ ابن القيصر اغسطس من ابنتهِ جوليا . وادعى ان جدتهُ ليفيا ام جوليا هي عولوس الحكيم نفسهُ متقمصة بجسم امرأة . وتزوج باخواتهِ كلهنَّ وجعل احداهنَّ دروسلاَّ ولية لعهدهِ ولما ماتت امر ان تحد البلاد عليها ومن ضحك او اغتسل مدة الحداد فعقابهُ الموت ولم يعد يحلف الاَّ باسمها . ولما كان ذاهباً في الغزوة المشار اليها آنفاً كان يغذ السير احياناً حتى كان حملة الاعلام يضطرون ان يلفوها و يضعوها على ظهور خيلهم لكي يستطيعوا ان يجاروهُ في عدوهِ ثم يتمهل و يأمر ان يوضع في محفَّة يحملها ثمانية رجال و يسيروا بهِ الهوينا و يأمر ان تكنس الطريق امامهُ وترش بالماء . ولما استعرض الجيش عزل كل القواد الذين جاؤُوا متأخرين مع الجنود الاضافية وكل القواد الذين استوفوا سن الخدمة لكي يظهر ان القيادة العامَّة لهُ وانهُ الآمر الناهي . و بعد ان حدثت حادثة ادمينوس المشار اليها آنفاً امر ان يذهب بعض حرسهِ الى الجانب المقابل من نهر الرين ثم يأتيهُ المخبرون قائلين ان العدو مقبل عليهِ فلما اتوا خرج بجانب من رجالهِ الى غابة مجاورة وقطع منها اغصاناً من الاشجار وعاد حاسباً انها غنائم غنمها من العدو ووبخ بقية رجالهِ الذين لم يتبعوهُ في هذه الغزوة رامياً اياهم بالجبن وضعف العزيمة وانعم على الذين تبعوهُ في غزوتهِ واحرزوا النصر معهُ باكاليل عليها شعار الشمس والقمر والنجوم . وامر ان يؤخذ رهائن من تلامذة مدرسة ويطلق سبيلهم ثم أُنفذ خبرهم اليهِ وهو على المائدة فركب جوادهُ وجدَّ في اثرهم كأنهم هاربون من وجههِ وردهم مكبلين بالقيود . وبعث الى رجالهِ في رومية يعنّفهم لانهم يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب وامبراطورهم يتجشم مشاق الحرب ويعرّض نفسهُ للمخاطر

واخيراً وصل الى ساحل الاوقيانوس بجيشهِ وآلات حربهِ فوقف وامر الجنود ان يجمعوا اصداف البحر و يملأوا بها خوذهم قائلاً انها غنائم الاوقيانوس ثم اقام هناك برجاً عالياً تذكاراً لظفرهِ هذا وامر ان يوقد فيهِ نور ساطع كل ليلة ارشاداً للسفن ثم وعد الجنود ان يعطي كلاًّ منهم مئة دينار وقال لهم انصرفوا الآن وافرحوا فقد صرتم اغنياء

ولما ازمع العودة قبض على كل طويل القامة من الغالة وامرهم ان يطلقوا شعورهم ويصبغوها بصبغ اصفر ويتعلموا اللغة الالمانية لكي يقال انهم من اسرى الالمان . وكتب الى جباة الاموال الاميرية في رومية ليعدوا المعدات لاستقباله من غير اسراف ولكن يجب ان

تكون تلك المعدات اعظم ما عمل لملك قبلهُ

وكان طويل القامة قبيح المنظر اصفر الوجه دقيق العنق والساقين غائر العينين والصدغين عريض الجبين قليل شعر الراس اصلعهُ اما بقية جسمهِ فكان شعرها غزيراً ولذلك كان من الجرائم الكبرى ان ينظر انسان اليهِ من فوق رأسهِ او ان يذكر اسم المعزى في حضرتهِ. وكان يشعر احياناً انهُ مختل الشعور ويودُّ العزلة عن الناس ليريح عقلهُ. ولم يكن ينام الاَّ ثلاث ساعات او اربعاً كل يوم وكان نومهُ كثير الاحلام المزعجة

وكان يبعد عن المألوف في لبسهِ فيلبس تارة ثوباً مرصعاً بالجواهر الكريمة ويضع الاساور في يديهِ ويلبس اخرى ثوباً من الحرير مثل ثياب النساء. وكثيراً ما يحمل بيدهِ صولجاناً او حربةً مثلثة السنان او نحو ذلك مما يصوَّر في ايدي الآلهة او يلبس لباس الزهرة

ولم يكن على شيء من العلم ولكنهُ اتقن فن المحاضرة والخطابة وكان صوتهُ جهورياً يسمع عن بُعْد وبرع ايضاً في الغناء والرقص والفروسة وبلغ من غرامهِ بالغناء انهُ كان يشارك المغنين في الملاعب واللاعبين في اشاراتهم اما استحساناً واما انتقاداً

وكان مغرماً بركَّاب المركبات الذين يلبسون الاثواب الخضراء حتى انهُ كان يتعشى معهم ويبيت معهم في اصطبلات الخيل. واهدى مرةً الى واحد منهم مليوني سسترمي (اي نحو ستين الف جنيه) وكان ليلة يوم السباق يوجب على الناس الصمت في جوار الاصطبل الذي فيهِ جوادهُ انسيتاتوس لئلاَّ يقلق فتضعف قوتهُ. وبنى لهُ اصطبلاً من الرخام وعمل لهُ معلفاً من العاج والبسهُ اساور مرصعة بالجواهر

والمرجح ان سوتونيوس بالغ في ما رواهُ عنهُ لانهُ كتب بعد ان ضعفت سلطة القياصرة وتمكنت كراهتهم من نفوس الشعب ولكن مَن كان فيهِ جِنَّة لا تستغرب منهُ هذه الفعال. واخيراً نفد صبر الناس لان النفوس لم تمت كلها في رومية فتمرَّد رجالهُ عليهِ اولاً وثانياً قاصدين قتلهُ فلم يفلحوا واخيراً فتنوا عليهِ ثالثةً في الرابع والعشرين من يناير سنة ٤١ للميلاد حينما اتم السنة الرابعة من ملكهِ وقتلوهُ في قصرهِ برومية وانقذوا البلاد من جنونهِ. والظاهر ان الرومانيين احتملوهُ هذه السنوات الاربع او الثلاث الاخيرة منها واحتملوا طيباريوس في السنوات الاخيرة من ملكهِ لان ما نالوهُ من الراحة والغنى والمجد في عهد يوليوس واغسطس كانت ذكراهُ راسخة في نفوسهم يعسر نزعها وكثيراً ما تحتمل مساوئ الاولاد لاجل فضل الآباء والاجداد

هذه خلاصة ما قيل عن هذا القيصر ولا نرى فيها شبهاً بينهُ وبين امبراطور الالمان بل هما في امور كثيرة على طرفي نقيض .

كتاب عباس الثاني

دعانا تلخيص كتاب لورد كرومر الى مراجعة اعداد المقطم الصادرة سنة ١٨٩٣ و١٨٩٤ فوجدنا فيها مقالات كثيرة لجماعة من علماء هذا القطر واصحاب الرأي فيهِ من ابلغ ما كتبهُ الكتّاب الصادقون في حب وطنهم المخلصون في اسداء النصح لهُ . و يظهر من كثرتها ومما تشير اليهِ من الردود عليها في بعض الجرائد الاخرى ان الناس كانوا حينئذٍ شديدي الاهتمام باحوال القطر السياسية وان البعض منهم كانوا يعتقدون انهُ يسهل اخراج الانكليز من القطر المصري بالمغاضبة على ضد ما كنا نعتقد فاثبتت الايام فساد اعتقادهم وايّدت ما كنا نقولهُ وهو ان المغاضبة تمكّن الاحتلال

وذهب كاتب هذه السطور الى بلاد الانكليز في شهر اوغسطس سنة ١٨٩٣ وقابلهُ احد اصدقائهِ من مراسلي جريدة الدَيلي كرونكل وسألهُ مسائل كثيرة عن القطر المصري فاجابهُ عنها بما لا يخرج عمَّا كنا نكتبهُ في المقطم . فلما نُشر حديثهُ في جريدة الديلي كرونكل تصدَّى رجل انكليزي للرد عليهِ وهو من الكتّاب المعروفين في هذا القطر ولهُ كتاب عن مصر وكأَنهُ لا يرى لقومهِ حسنةً ويغضب اذا قال فيهم احد كلمة طيبة . وهذا الرجل وامثالهُ كانوا دئبين على تقريع حكومتهم وتعنيفها لانها احتلت القطر المصري وعندهم ان احتلالها لهذا القطر اضرَّ بها واوقع المشاكل بينها و بين فرنسا وغيرها من الدول الاوربية ولم يستفد منهُ الاَّ جماعة تعدُّ على الاصابع من الاسرائيليين اصحاب الديون المصرية . والمرجح عندنا انهُ كان مصيباً في قولهِ . ولورد كرومر لا ينكر ذلك بل قد ايدهُ في كتابهِ مصر الحديثة ولكنهُ يقول هو واكثر الساسة الانكليز انهُ وان كنَّا قد أُرغمنا على احتلال القطر المصري الاَّ ان بقاءنا فيهِ صار ضربة لازب علينا فلا يليق بشرفنا ان نتخلَّى عنهُ . وهذا لا يسلّم بهِ الكاتب المشار اليهِ آنفاً واضرابهُ فكانوا يخوضون في المسألة المصرية من وقت الى آخر فظن بعض الذين كانوا يطلعون على اقوالهم من ابناء هذا القطر ان القول ما قالوهُ واعتقدوا ان يوم الجلاء قريب ولا يحتاج الاَّ الى مغاضبة المحتلين ففعلوا وكانت النتيجة ازدياد الاحتلال تمكناً لان اصحاب المصالح في القطر المصري من الاوربيين اوجسوا من ذلك شرًّا فاضطروا الحكومة الانكليزية الى العدول عن الجلاء . ثم حدث اخيراً من الاغارة على حدود مصر ما اضطرَّ انكلترا الى بسط حمايتها عليها . وقد قيض الله لمصر في هذه

الآونة ان يجلس على اريكتها سلطان حكيم متفان في خدمة امتهِ حتى اننا لا نسمع الآن من العقلاء الاَّ التحسّر لان عهدهُ لم يتقدم عشرين سنةً

وكان لورد كرومر قد ذهب الى انكلترا في اوائل يوليو تلك السنة فلما عاد في اكتوبر وجد الدلائل كلها تدلُّ على اضطراب مقبل فان الخلاف وقع بين الموظفين الوطنيين والانكليز في كل دائرة من دوائر الحكومة · قال لورد كرومر في كتابهِ ان الموظفين الوطنين كانوا يظهرون العداء للانكليز ويصدونهم عن العمل وان الانكليز نقموا عليهم ذلك ولم يحسبوا حساباً لصعوبة المركز الذي كانوا فيهِ · وكانت المعارضة من النوع الذي يعسر التغلّب عليهِ فانهُ اذا حدثت معارضة ظاهرة في امر من الامور المهمة وطُلب مني النظر فيها لم يكن يصعب عليَّ حلها بالحسنى ولكن كان من المستحيل ان انظر في كل امر طفيف من امور الادارة وكان اكثر المعارضات خفيًا ولكن خفاءهُ لم يقلل ضررهُ فوقف الاصلاح في جهات كثيرة واعتصب كل رجال الحكومة على الانكليز من اكبرهم الى اصغرهم لا لانهم كانوا كلهم يكرهون الانكليز كلاَّ بل لان مستقبلهم من الارتقاء في مناصب الحكومة يتوقف على انحيازهم الى جهة الخديوي ورياض باشا · وقد ابان لهم الخديوي ورياض باشا انهما لا يرضيان الاَّ عمَّن يبدي الكراهة للانكليز · واظهر الخديوي اشد العداء لكل الذين يظهرون الوداد للموظفين الانكليز او يبدون الرغبة في مساعدتهم . وكان اذا جاء المشايخ والعمد لمقابلتهِ يوبخ علانيةً مَن كان منهم صديقًا للانكليز · ومُنع وجيه من وجهاء الوجه القبلي من دخول عابدين وقيل لهُ انك القيت سهمك مع الانكليز فلم يبقَ لك محل عندنا وذنبهُ الوحيد انهُ كان على وفاق مع بعض ضباط البوليس من الانكليز

واتضح حينئذٍ ان هذه الحالة لا يمكن ان تدوم ولكنني كنت اكره التسرُّع فاصغيت الى شكاوي الموظفين الانكليز وعزمت ان اتحيَّن الفرص لانهُ لا يحسن ان اناهض الخديوي الاَّ في مسألة يدرك الشعب الانكليزي خطارتها ولا يكون فيها مجال لاعتراض دولة من الدول الاخرى

وكنت واثقًا انني اذا صبرت سنحت لي الفرصة لعمل ما اريد عملهُ لانني كنت اعرف اطوار الذين اعاملهم فكان كما قدَّرت

ولما كنت في انكلترا في فصل الصيف عُيّن ماهر باشا وكيلاً لنظارة الحربية فلما بلغني خبر تعيينهِ علمت انهُ سيجرُّ بعض المشاكل فان الخديوي كان قد عمل ما يدل على قلّة حنكتهِ اذ تداخل في الامور الحربية وكان ماهر باشا من صنائعهِ فجعل يسعي ليضعف سلطة

الجنرال كتشنر سردار الجيش المصري · وصعد الخديوي الى الصعيد في اوائل يناير سنة ١٨٩٤ واخذ معهُ ماهر باشا وكان مختار باشا الغازي قد صعد قبلهُ واستعرض الجيش المصري في اصوان وكروسو ووادي حلفا و بالغ في مدحهِ واطراء كفاءتهِ (١) ·

اما الخديوي وهو يجهل الفنون الحربية نخالف ذلك البطل المحنك الذي قاد جيوش مولاهُ احسن قيادة في زمن الحرب وانتقد كل ما رآهُ انتقادات صبيانية واهان الضباط الانكليز و بذل وسعهُ في بث الشقاق في كل صفوف الجيش الى ان تفاقم الخطب حينما وصل الى وادي حلفا فبعث اليَّ الجنرال كتشنر في ١٩ يناير بالتلغراف التالي

لما استعرض سمو الخديوي الجيش اليوم بعد الظهر ابدى ملاحظات مختلفة تحط من مقام الضباط الانكليز ثم قال لي ان من العار ان يكون الجيش المصري على هذه الصورة من عدم الكفاءة · وللحال قدَّمت لهُ استعفائي بكل احترام · وقد اتضح لي ولغيري ان الخديوي لم ينفك عن اظهار كراهتهِ لكل الضباط الانكليز تقريباً من حين وصل الى الحدود وكلامهُ لي الآن كان خاتمة سلسلة من انتقادات غير محق فيها ولذلك رأيت انني لا استطيع ان اسمع ملاحظاتهِ التي تمس شرف الجيش المصري من غير ان اعترض عليها حفظاً لكرامة الجيش وسمعتهِ · ولكن لما قدمت لهُ استعفائي اخذ يتودَّد اليَّ وطلب مني ان استردهُ فقلت لسموهِ انهُ ان كان الضباط الانكليز يوبَّخون علانية على هذه الصورة صار مركزهم في هذه البلاد غير محتمل واذا استمرَّت الحال على هذا المنوال تعذَّر عليَّ ان استخدم الضباط الاكفاء في المستقبل للجيش المصري · فاكَّد لي سموهُ انهُ يثق بي ثقة تامَّة فقلت لهُ ما يفهم منهُ اني لا اصرُّ على الاستعفاء ولكنني لا استردهُ حتماً »

اول امر لاح ببالي حينما قرأت هذا التلغراف هو خطر الموقف لانهُ ان كانت التربية السياسية التي ربيتها تؤثر في العقل تأثيراً اشد من غيرهِ فيكون هذا التأثير هو ان الاستخفاف

(١) [المقتطف] نشرنا في مقتطف ٥ يناير سنة ١٨٩٤ رسالة لمكاتبنا في حلفا قال فيها ان مختار باشا استعرض حامية حلفا فسرَّ جدًّا بنظامها وطلب قومندانات الاسلحة والقى عليهم خطبة ترجمها القائمقام ابرهيم بك فتحي (هو الآن الوزير ابرهيم باشا فتحي) المعين لمرافقة دولتهِ مدة اقامتهِ في حلفا وها هي « اني مكثت في القطر المصري ثماني سنوات كنت اسمع في خلالها عن نظام الجيش الشاهاني المصري ما كان يشوقني لمشاهدة ذلك بالعيان ولم تسمح لي الفرص بذلك والآن هذه اول مرة شاهدتهُ فرأيت من نظامهِ اكثر مما كان يبلغني عنهُ وما هو عليهِ الجيش المصري الآن من النظام انما هو نتيجة تعليم الضباط ولذلك فاني اشكر جميع الضابطان والصف ضابطان على هذا النظام البديع واعدكم برفع نتيجة ما شاهدتهُ الى الجناب العالي الفخيم واني ممنون من قومندان الطابور الذي هو حضرة القائمقام مكدونلد بك قومندان مركز حلفا »

بنظام الجيش حماقة شديدة وخطر مروّع . ومهما عظمت هذه الحماقة وهذا الخطر فامرهما اعظم جدًّا في الحالة الحاضرة حيث الجنود مسلمون افريقيون او اسيويون وضباطهم مسيحيون اوربيون . وقد بذل الضباط البريطانيون جهدهم في السنوات العشر السالفة لكي يغرسوا الولاء للخديوي في نفوس الجنود المصريين وحقهم ان يفعلوا ذلك اذ قد جيء بهم الى مصر لان الجيش المصري تمرّد على الخديوي السابق . والآن اراد الخديوي الحالي ان يعكس الآية فيغري الجنود بالتمرّد على ضباطهم فوجّه سهام انتقادهِ الى اصل النظام العسكري ولم يقف عند هذا الحد فان الجيش المصري بعضهُ من السودانيين وبعضهُ من المصريين ابناء الفلاحين وبين هذين الفريقين شيءٌ من النفور فبذل الخديوي كل ما في طاقتهِ ولو عن غير قصد منهُ لاثارة الاحقاد بينهما وايقاد نار العداء . ويصعب عليَّ ان اجد كلاماً يكفي للتعبير عن ضرر هذه الخطة . ولا اتذكَّر انني سمعتُ عن رجل في منصب عالٍ ارتكب خطأً اضرَّ من الخطإِ الذي ارتكبهُ الخديوي عباس في هذه النوبة

والامر الثاني الذي لاح ببالي ان الفرصة التي كنت اتحيَّنها قد حانت بل لو خُيّرتُ لما اخترت فرصة اصلح منها فان كل الذين نظروا في امر الجيش المصري حتى من الخصوم شهدوا ان الطريقة التي جرى عليها الضباط البريطانيون في تنظيمهِ تفوق كل مدح . وبديهي ان آراء الخديوي في كفاءة الجيش او عدم كفاءتهِ لا قيمة لها في ذاتها ولكن اطلاق العنان لهُ ليسير في هذه الخطة وخيم العواقب . فقد يجوز ان يباح لهُ التعرُّض للامور الطفيفة في نظام الجيش كما يبيح كل القواد المحنكين للشبان القليلي الاختبار ولو نتج عن تعرضهِ هذا كثير من المتاعب التي لا داعي لها . ولكن هذه الاباحة لا تبرر عمل شاب يقصد ان يبث روح التمرُّد في نفس جيشهِ قضاء لاهوائهِ فيعرّض غيرهُ لعواقب طيشهِ . ولا عجب ان اغتاظ الانكليز من معاملتهِ هذه لضباطهم الذين كانوا يفتخرون بعملهم ويحق لهم ان يفتخروا . والفرنسويون لا يستحسنون ذلك منهُ ولقد كان في مصلحتهم الاطناب في كفاءة الجيش المصري لانهُ اذا ضعف شأنهُ زالت اقوى حجة يحتجون بها على وجود الحامية البريطانية في مصر . وهذا شأن السلطان ايضاً . اما الدول الراضية بالاحتلال البريطاني فكانت ترى في تصرُّف الخديوي هذا باعثاً جديداً على استمرار الاحتلال . ولا تستطيع الوزارة المصرية ان تدافع عن هذا التصرُّف ولاسيما رياض باشا لانهُ كان يعلم بالاختبار الضرر الذي ينتج من تمرُّد الجنود . ومهما كان يرغب في معاضدة الخديوي على مقاومة الانكليز فانهُ لا يرضى ان يشاركهُ في ما فعلهُ اخيراً

ولهذه الاسباب رأيت ان الخديوي يستحق ان يعاقب على عمله وان عقابهُ هذا في مصلحة اوربا وفي مصلحة مصر ايضاً وانهُ جعل نفسهُ في مركز لا يصعب عقابهُ فيهِ . ولكن المواقف السياسية لا تخلو من شيءٍ من الخطر مهما ظهرت سليمة العاقبة وعلى السياسي ان يقدر مقدار الاخطار التي تترتب على كل حادثة . واذا حانت الفرصة للعمل فقد لا يكون التأني من الحزم في شيءٍ بل يجب بت الامر حالاً . ومن الامثلة الحديثة في تاريخ مصر على فائدة الحزم ومبادرة الفرصة خلع اسمعيل باشا وضرب الاسكندرية . وقد يميل المرء الى اخذ الامور بالشدَّة فيجب عليهِ ان يتساهل حينئذٍ ولا يعطي نفسهُ مداها . ولقد كنت في مثل هذه الحال في يناير سنة ١٨٩٤ فرأيت الاعتدال اولى وانفع لانهُ ان كانت الحكومة البريطانية تفرط في الشدة وتذل الخديوي جاء الامر على ضد ما تودُّ لان الخديوي واعوانهُ يقلبون الحقائق والشعب البريطاني سموح كريم الاخلاق فينحاز الى الخديوي حاسباً انهُ اخطأ في حكمهِ لقلَّة اختبارهِ فعومل بصرامة شديدة لا يستحقها . اضف الى ذلك اننا اذا اخذنا الامر بالعنف فالدول المعادية للاحتلال تتوسل بذلك الى لومنا واذا اخذناهُ باللين لم يبقَ لها حجة علينا . ولما كان الامر في يدي عزمت ان انال من الخديوي ترضية كافية ولكنها لا تذلهُ فارسلت الرسالة التالية الى الجنرال كتشنر في ٢٠ يناير قلت فيها

اني اوافق تمام الموافقة على ما فعلتهُ واذا استحسنتَ فاخبر الخديوي اني اسفت جدًّا لمَّا بلغني ما قالهُ عن الجيش المصري الذي لا شك في كفاءتهِ واني ابلغت الخبر الى وزارة الخارجية البريطانية

وارسلت خلاصة ما حدث بالتلغراف الى لورد روزبري واشرت بان يُفصَل ماهر باشا من نظارة الحربية واذا بدت معارضة شديدة لفصلهِ فانا اشير بان يوضع الجيش المصري تحت قيادة قائد جيش الاحتلال مباشرة

فاجابني لورد روزبري في اليوم التالي بما يأتي

اتاني تلغرافك بتاريخ ٢٠ الجاري حاملاً ملاحظات الاحتقار التي وجهها الخديوي الى السردار والضباط الانكليز في وادي حلفا من جهة الجيش المصري

فقل للخديوي اني احسب عملهُ هذا شديد الخطر ويظهر ان سموهُ قد ألف اهانة الضباط البريطانيين لحكومة جلالة الملكة لا تستطيع الصبر على ذلك واذا استطاعت فالامَّة البريطانية لا تستطيعهُ . وعندي ان العمل الوحيد الذي يجب ان يعملهُ الخديوي الآن تكفيراً عمَّا مضى هو فصل ماهر باشا لانهُ اساء النصح وسبَّب الخصام ووقف عثرة في

سبيل الوفاق واصدار امر خديوي في الاوامر العسكرية يمدح فيهِ الضباط البريطانيين والجيش · فاذا ابى ان يعمل هذه الترضية العادلة اضطررنا ان نلتجئ الى وسائل فعالة من شأنها وضع الجيش المصري تحت ادارة الحكومة البريطانية مباشرةً وحماية الضباط البريطانيين من ان يعاملوا معاملة تضرُّ بهم

فلما جاءني هذا التلغراف طلبت مقابلة رياض باشا وتغران باشا وابنت لهما خطر الموقف وطلبت فصل ماهر باشا ونشر امر عسكري يظهر فيهِ الخديوي رضاهُ من نظام الجيش · فرأيا خطأ الخديوي في ما فعل وقالا قد يكون الذين سمعوا كلامهُ اساؤُوا فهمهُ · فقلت لهما انني لا انتظر ان حكومة جلالة الملكة ترضى بالاعذار الشفاهيَّة وان ما طلبتهُ هو اقل شيء يمكن القبول بهِ

فبعث الناظران تلغرافًا الى الخديوي ولم يرياني جوابهُ عنهُ وقد احسنا في ذلك لانهُ لم يكن مرضيًا فعزم رياض باشا حينئذٍ ان يصعد الى الوجه القبلي ويقابل الخديوي ويقنعهُ بالكلام

واشتدَّ القلق في القاهرة حينئذٍ وودَّ الناس ان يعرفوا ما تفعلهُ فرنسا وروسيا · اما هما ففعلتا ما كنت اتوقعهُ فان قنصل فرنسا الجنرال جاءني وطلب مني ان اخفف ما طلبتهُ من الخديوي فقلت لهُ انني لا يمكنني ان اتنازل عن شيء مما طلبت · وكان قنصل فرنسا وقنصل روسيا يكرهان ان يقع خلاف بين الخديوي والحكومة البريطانية في مسألة اللوم فيها على الخديوي حتمًا ولذلك حاولا التوسط لا غير

اما الخديوي فسلَّم بما طلبتُ وفي السادس والعشرين من يناير ارسل رسالة الى السردار نشرت في الجريدة الرسمية نقض فيها كل ما قالهُ قبلاً واعرب فيها عن رضائهِ التام عن حالة الجيش اذ قال « اني اؤَيد تمام رضائي الذي ابديتهُ لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامهِ واني لمسرور ان اهنئَ الضباط الذين يرئسونهُ مصريين كانوا او انكليزًا ويسرني ايضًا ان اقدر الخدمات التي ادتها الضباط الانكليز لجيشنا حق قدرها »

وبعد ايام قليلة فُصل ماهر باشا من نظارة الحربية وعُيّن محافظًا لبورت سعيد وخلفهُ في الحربية رجل اختارهُ الجنرال كتشنر

وترتب على حادثة الحدود استعفاء رياض باشا فانهُ لما كان هو واخوانهُ النظار يشيرون على الخديوي بمقاومة انكلترا كان الخديوي راضيًا عنهم فلما ابانوا لهُ خطأهُ في حادثة الحدود سخط عليهم · وتوالت دلائل سقوط الوزارة في الشهرين التاليين وكان في

طاقتي ان اطيل اجلها لو اردت ولكنني لم ارَ سبباً كافياً لذلك

ولم يكن من حسن الرأي ان تسقط تلك الوزارة لاجل العمل الوحيد الذي عملتهُ بالحكمة والسداد ولكن الخديوي لم يكن ملوماً على غيظهِ منها فانهُ يحق لهُ ان يقول انها شجعتهُ على سياسة المغاضبة للانكليز فلما وصل الى عاقبة هذه السياسة تركتهُ يتحمل نتيجتها وحدهُ . وعندي ان عملاً واحداً حكيماً عملتهُ تلك الوزارة رغماً عنها لا يكفي للتكفير عن كل سيئاتها الماضية وكنت عالماً انني اذا لزمت الحياد فهي تسقط لا محالة ففضلت ذلك على ان اجاهر بما يدعو الى اسقاطها

وفي ١٤ ابريل استدعاني الخديوي واخبرني ان الوزارة استعفت(١) وانهُ يود ان يستشيرني في مَن يعينهُ بدلاً من رياض باشا جرياً على وعدهِ للحكومة البريطانية في يناير سنة ١٨٩٣ فاشرت عليهِ بتعيين نوبار باشا فقبل مشورتي . وطلبتُ ان يكون مصطفى باشا فهمي وابرهيم باشا فؤاد من اعضاء الوزارة وهما الناظران اللذان عزلا سنة ١٨٩٣ على اسلوب مهين وابنت اني لا اعترض على تعيين فخري باشا في هذه الوزارة فقبل الخديوي ما اشرت بهِ بعد تردُّد قليل

وقد ثبت لي من فشل رياض باشا في وزارتهِ هذه انهُ لا يمكن لاحد ان يدير دفة الحكومة المصرية في هذا العهد ما لم يكن قد تربَّى تربية اوربية فيجب ان يكون الوزراء من الآن فصاعداً من المصريين الذين تربوا هذه التربية

اما نوبار باشا فدامت وزارتهُ ١٨ شهراً ويمكن ان يلخص ما جرى فيها بسطور قليلة . فانهُ كان سياسيًّا محنكاً فلم يخفَ عليهِ خطأ الخطة التي كان الخديوي جارياً فيها وقد جاء لكي يصلح بين الموظفين البريطانيين والمصريين فتكلل سعيهُ بالنجاح وتمت اصلاحات كثيرة في عهدهِ اهمها اصلاح نظارة الداخلية

وفي ربيع سنة ١٨٩٥ سقط نوبار باشا فكسر كعب رجلهِ فاضطرَّ ان يغيب عن مصر مدةً طويلة وعاد في نوفمبر ضعيف الجسم ورغب في الاستقالة . وعندي ان مصر مدينة لهُ في الثمانية عشر شهراً التي قضاها في وزارتهِ الاخيرة اكثر مما هي مدينة لهُ في كل مدة خدمتهِ السابقة

---

(١) تدل الدلائل على ان رياض باشا غيرَّ رأيهُ بعد ذلك في الخطة التي يجب ان تتبع تجاه الحكومة البريطانية فانهُ القى خطبة سنة ١٩٠٤ كان لها تأثير عظيم ذكر فيها التقدم الذي تقدمتهُ مصر تحت السيطرة البريطانية بعبارات المدح والاطراء

وكان الخديوي قد ذهب الى الاستانة في صيف سنة ١٨٩٥ واغتاظ من معاملة السلطان لهُ فرأى حينئذٍ انهُ لا فائدة من المهيجين الاوربيين مثل ده لونكل الذي كان يدعي ان ايام الاحتلال صارت معدودة · وزد على ذلك ان البحث كان جاريًا حينئذٍ في مسألة الارمن وكانت انكلترا قد اخذت الامور بالشدة فخاف الخديوي واضطر ان يغيّر سلوكهُ نوعًا فرضي بتعيين مصطفى باشا فهمي رئيسًا للنظار بدل نوبار باشا

قال شكسبير ان الخبرة جوهرة ولكنها تشترى بثمن باهظ وهذا شأن الخديوي فان الخبرة التي استفادها في السنوات الثلاث الاولى من توليهِ سدة الخديوية دفع ثمنها جانبًا كبيرًا من سطوتهِ واسمهِ ولكنها كانت نافعة لهُ جدًّا فانهُ تعلم ان لا فائدة لهُ من المجاهرة بمقاومة السياسة الانكليزية في مصر

ولقد حدث في تاريخ العلاقة السياسية بين بريطانيا العظمى ومصر حادثتان جوهريتان الاولى حدثت سنة ١٨٨٧ حينما رفض السلطان ان يوقع الاتفاق المعروف باتفاق ولف لان رفضهُ هذا انقذنا من المشاكل التي كان يمكن ان تقع لو عجّلنا في الجلاء عن مصر· والثاني حدث سنة ١٨٩٤ · ولم تصفُ الايام تمامًا بعد الحوادث المذكورة في هذا الكتاب بل كانت المشاكل تقع من وقت الى آخر ولكن يمكن ان يقال ان السيطرة البريطانية تأيدت في مصر وقتما كان لورد روزبري في وزارة الخارجية فلهُ الفضل في ذلك لانهُ لولا معاضدتهُ لما استطعت شيئًا

وارى نفسي مدفوعًا لنشر الكتابين التاليين اللذين كُتبا حينما بلغني الخبر الذي ساءني جدًّا وهو ان لورد روزبري ترك وزارة الخارجية· ففي ٩ مارس سنة ١٨٩٤ كتب هو اليَّ يقول

عزيزي كرومر —جاءت الساعة ساعة الفراق الاليم التي اودعك فيها فلقد خضنا المعارك سوية فثبت لي انك ابن بجدتها والآن وقد حان الفراق فلم يبقَ لي الاَّ ان اقف على رابية حيث اراك في هذا المعترك ولكني قد انفع اذا دعت الحاجة اليَّ

اني اتمنى لك كل نجاح ويشق عليَّ ان ينفصم حبل الاتصال بيننا

المخلص روزبري

وكان قد بلغني انهُ صار رئيسًا للوزراء بدل غلادستون فكتبت اليهِ في ٦ مارس اقول

عزيزي لورد روزبري

اذا صح ما جاءنا بهِ روتر فلا ادري هل اهنئك او لا لانني لا اظن ان انتقالك هذا يستحق ان تهنأ بهِ اما انا فنظري من هذا القبيل مقصور على ما ارى منهُ فائدة لي· ويسوءني

جداً ان لا تكون خدمتي في المستقبل متعلقة بك رأساً لانني لا استطيع ان انسى ابداً العضد الشديد الذي لقيتهُ منك في علاقتنا السياسية والمودة والثقة اللتين ابديتهما لي في العلاقات غير السياسية. وارجو ان مشاغلك الجديدة لا تمنعك من مراقبة الجهاد مع عباس

كرومر

لما حدثت حادثة الحدود المشومة اشرنا اليها في المقطم الصادر يوم الاثنين في ٢٢ يناير سنة ١٨٩٤ وذكرنا اهتمام لورد كرومر بها واجتماعهُ برياض باشا في شأنها وتتبعنا ما جرى في هذا الشأن في الاعداد التالية من المقطم ثم فصّلنا هذه الحادثة يوم الاربعاء في ٢٤ يناير وذكرنا ما طلبتهُ الحكومة الانكليزية من الترضي وقلنا «ان الوزارة الرياضية سلكت في هذه المسألة مسلك الحكمة والسداد واعتصمت بالسياسة التي تنفع الامة والبلاد وقد رأت بثاقب بصيرتها ان هذه الحادثة من الحوادث الخطيرة التي يجب تداركها بالحزم والعزيمة قبل استفحال امرها فهي الآن تفرغ الجهد في حل المشكل واصلاح الامر على الوجه الموافق ونحن نخلص لها الثناء ونخص بالذكر صاحب الدولة رياض باشا وصاحب السعادة تكران باشا»

ثم نشرنا في مقطم ٢٦ يناير ان الخديوي اعرب عن نيتهِ بان ينشر عبارات المدح لجيشهِ والثناء على ضباطهِ وان سعادة ماهر باشا وكيل الحربية ينقل الى وظيفة من الوظائف الملكية في اول فرصة مناسبة

وانشأنا في اليوم التالي مقالة موضوعها «اليوم هذا وغداً ماذا» ذكرنا فيها انتهاء حادثة الحدود وقلنا ان انقضاء هذا المشكل يسوق الانسان طبعاً الى التفكير في ما يكون وراءهُ فيسأل اترى انقضت المشاكل بانقضائهِ وانتهى الخلاف بانتهائهِ ام هو حادث من حوادث تتوالى وتتعاظم والخلاف فيها يكثر ويتفاقم» وبعد ان افضنا في هذا الموضوع وابنا ان سياسة المغاضبة عقيمة لا تجدي نفعاً ولا تزيل احتلالاً وددنا من الوزارة ان لا تشير الاَّ بما يرفع شأن الامير ويرقي مصالح الامة. ونشرنا في اليوم التالي صورة الامر العسكري الخصوصي الذي صدر بهِ النطق العالي وارسل الى سعادة السردار ليبلغهُ الى الضباط والعساكر وهو

«الى سعادة السردار

«قبل ان اترك الوجه القبلي للعودة الى مصر اريد ان اكرر اظهار كمال عنايتي وحسن

التفاتي للجيش الذي تفقدتهُ في الحدود وان اؤيد تمام رضائي الذي ابديتهُ لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامهِ واني لمسرور بان اهنئ الضباط الذين يرأسونهُ مصريين كانوا او انكليزاً ويسرني ايضاً بان اقدر الخدمات التي ادتها الضباط الانكليز لجيشنا حق قدرها واملنا ايها السردار ان تعلنوا امرنا هذا للضباط والعساكر»

والظاهر ان مدح الخديوي لجيشهِ لم يرضِ الذين كانوا يحرضون الوطنيين على مغاضبة المحتلين واشتد سخطهم على الوزارة الرياضية لانها اقنعت الخديوي باصلاح ما فرط منهُ . اما نحن فقلنا حينئذٍ « ان عقلاء القوم الناظرين في عواقب الامور ناقمون على الوزارة لا لانها فازت بحل هذا المشكل على الوجه المطابق لمقتضى الحكمة ومصلحة البلاد بل لان سياستها هي التي ادت الى هذا المشكل وغيرهِ من المشاكل التي تعددت على القطر في مدتها . ولو اقلعت عن هذه السياسة بُعَيد تربعها في دست الوزارة واشارت على الدوام باتباع سياسة الاتفاق والمسالمة لما حدث شيء مما حدث » وقلنا في ١٤ ابريل ان استعفاء وزارة رياض باشا جاء في محلهِ وانهُ لو راعى مصلحتهُ الخصوصية والمصلحة العمومية لعجّل بهِ قبل هذه الايام فان الآمال كانت كلها معقودة بهِ في اوائل وزارتهِ وعقلاء الامة جميعاً يؤملون انهُ يجلو صدأ الجفاء بحكمتهِ ويؤلف بين القلوب المتنافرة بحسن سياستهِ لتعود الهيئة الحاكمة الى الاتفاق على ما فيهِ خير البلاد ومصلحة الامة وهذه كانت الغاية العظمى من قيام وزارتهِ والمفخرة الكبرى لوزير خطير مثلهِ ادرك ما يبغي من بعد الصيت وشهرة الشان ومراتب الشرف ومناصب الحكومة ولم يبقَ امامهُ مطمع الا ان يخدم بلادهُ في ما لا يتيسر لغيرهِ خدمتها فيهِ ولكن وزارتهُ هذه لم تقضِ الغاية المقصودة منها ولو استعفى حالما تحقق ذلك لكان استعفاؤهُ اولى »

وقابلنا في ذلك اليوم عينهِ نوبار باشا قبل ان يكلَّف رسميًّا بتقلد الوزارة ونشرنا حديثنا معهُ وفيهِ اننا قلنا لدولتهِ في عرض الحديث ان المسألة الاولى في هذه الايام هي مسألة التأليف بين القوتين المتنافرتين وجمع القلوب على خدمة البلاد بالاتفاق والوئام فما هي سياسة دولتكم في ذلك . فقال اني اعلم ان هذا هو الامر الذي ينتظر مني اذا أُلقيت مقاليد الوزارة اليَّ فانا اسعى فيهِ جهدي وافرغ دونهُ قوة عقلي واراني قادراً عليهِ باذن الله والمسألة انما تحل بالعقل فانا ابذل لها قوة عقلي . فقلنا ومَن تعينون نظاراً في وزارتكم . قال لما كان القصد الصلح فلا بأس عندي بتعيين نظار يسمون اليهِ من جهة الفريقين ولكنني افضل على كل حال رجال الاعمال والاشغال الذين استطيع ان اكل اليهم مهام البلاد لاقوم انا بقضاء

مهمة الصلح التي تعهد اليَّ . فقلنا هب انكم فزتم بالصلح المطلوب بين الجناب العالي وجناب لورد كرومر فهل دولتكم واثقون بامكان الصلح المطلوب في ما يلي من التوابع والفروع مع المحافظة على مصلحة مصر . قال اذا تمَّ الصلح بين الرأسين تمَّ بين سائر الاعضاء التابعة لها . ومصلحة مصر تقوم بالتعاون على الاعمال والوئام »

الرحلات القديمة حول افريقية

قال استرابون المؤرخ الجغرافي اليوناني ان ابعد ما عرف عن الرحلات القديمة رحلة ربان قرطجني ارتاد بسفنهِ سواحل ليبية وافريقية الشمالية الى ان بلغ خط الاستواء

وقال هيرودوتس الرحالة اليوناني الذي ساح في مصر وشمالي افريقية ان نخو احد فراعنة مصر اوفد بعثة فينيقية لارتياد سواحل افريقية الجنوبية واكتشاف بلدانها فجازت تلك البعثة بسفنها الى البحر الاحمر بترعةٍ حفرت في عهد هذا الملك وبعد ان قضت ثلاث سنين على سواحل افريقية وصلت الى اعمدة هرقل (اي بوغاز جبل طارق) وقد عجب هيرودوتس من امر حدث لرجال هذه البعثة وهو ان الشمس كانت تطلع اولاً عن يسارهم ثم صارت تطلع عن يمينهم

وذكر استرابون رحلة اخرى يونانية مصرية على عهد البطالسة قام بها يوناني اسمهُ ارطميدورس اجتاز سواحل افريقية من البحر الاحمر الى راس الرجاء الصالح

وذكر ايضاً رحلة اخرى اقدم من هذه قام بها يوناني اسمهُ اودكسوس لكي يأتي بالبخور والطيوب والبهارات فاتى اولاً الى مصر وذلك على عهد البطالسة واجتمع بملكها ووزرائهِ وطلب منهم ان يعينوهُ على رحلتهِ هذه لاستجلاب الطيوب والتقادم للآلهة . وكان قد وُجد قبل وصول اودكسوس الى مصر بمدة وجيزة رجل غريب على شاطئ البحر الاحمر ملقى على الرمل مشرفاً على الموت فعولج وبعد ان شفي اتي بهِ الى الملك فسألهُ عن امرهِ فلم يقدر ان يفهمهُ شيئاً لجهلهِ اليونانية التي كانت لغة البطالسة في مصر وقتئذٍ فعُلّم هذه اللغة ولما صار يفهمها قال انهُ من بلاد الهند اتى مع جماعة في مركب للتجارة على شواطئ بلاد العرب فطلع عليهم نوء حمل مركبهم الى سواحل افريقية وحطمهُ فغرق اصحابهُ كلهم ولم ينجُ غيرهُ . فامر بطليموس هذا الرجل ان يصحب اودكسوس كدليل يدلهُ على البلاد التي مر بها وعلى طريق الهند . ثم زود اودكسوس بالمال والرجال واعطاهُ هدايا ليقدمها للملوك الذين يأتي بلادهم وجهز لهُ مركباً كبيراً فسافر بهِ واخذ معهُ الرجل الهندي وبعد بضع سنين رجع من سفرتهِ ومثل بين يدي الملك

واخبره بانهُ اجتاز مضيق باب المندب وتتبع سواحل افريقية الشرقية وذكر لهُ عوائد اهلها ووصفهم بآكلي السمك والبشر وقال ان عندهم كثيراً من الذهب والعاج والطيور الكبيرة الجثة كالجمل ووصف وجوههم وفطس انوفهم وتجعد شعورهم وصفاً ينطبق على اهالي سواحل افريقية وزنجبار . واحضر معهُ كثيراً من البهارات والطيوب والحجارة الكريمة والمرجان واللؤلؤ فاخذ الملك كل ما اتى بهِ اودكسوس من تلك البلاد وحرمهُ منها وتركهُ وشأنهُ فاقام في الاسكندرية حزيناً ليس معهُ مال يرجع بهِ الى بلادهِ

ثم توفي هذا الملك وملكت بعدهُ زوجتهُ الملكة كليوباطرة الشهيرة فرُفع اليها امر هذا الرجل فامرتهُ ان يسافر سفرة ثانية واعطتهُ من السلع والتحف اكثر مما كان معهُ في السفرة الاولى وجهزتهُ بمركب ومال ونوتية فسافر وغاب مدة طويلة وقذفت الريح مركبهُ الى اثيوبية (الحبشة) فجال فيها مدة ثم غادرها وسار الى ما وراءها من البلاد على سواحل البحر وخالط اهلها وتعلم لغاتهم واعطاهم القمح والنبيذ والتين اليابس والحبوب التي لا يعرفونها فسروا بها جداً واعطوهُ عوضاً عنها كثيراً من العاج والذهب وغيرهما . ووجد اودكسوس عند احد ملوك البلاد التي مر بها مقدم مركب منقوش عليهِ راس فرس وقيل لهُ انهُ مقدم مركب لجماعة غرباء جاؤُوا من الجنوب فانكسر بهم وغرقوا . ولما رجع الى مصر كانت الملكة كليوباطرة قد ماتت فاستولى الحاكم الروماني على كل ما جاء بهِ من التحف الثمينة والهدايا والحيوانات الغريبة والطيور والطيوب والعنبر وحرمهُ منها ايضاً ولم يبقِ لهُ سوى مقدم المركب فاخذهُ الى السوق في الاسكندرية ليبيعهُ ويسد رمقهُ بثمنهِ فعرفهُ الملاحون وقالوا لهُ انهُ مقدم سفينة ايبيرية (ايبيريا هي بلاد اسبانيا والبرتغال اليوم) لان هذه السفن لا تصنع الاَّ في تلك البلاد . فادرك اودكسوس بثاقب فكرهِ انهُ يمكن السفر حول افريقية من مضيق جبل طارق اذ لا يمكن ان تكون هذه السفينة قد اجتازت الى البحر الاحمر من البحر المتوسط ولا بد انها اجتازت الى بحر الظلمات (المحيط الاتلنتيكي) ومرت بسواحل افريقية الغربية الى راس الرجاء الصالح ثم صعدت شمالاً على سواحل افريقية الشرقية . ولما خطر لهُ ذلك رجع الى بلادهِ (اليونان) وباع بيتهُ وكل ما يملكهُ وجهز سفينة وسافر بها الى صقلية ومنها الى مورِيتانيا (مراكش والجزائر) ثم الى مدينة قادس في اسبانيا فعرض على بعض اهلها مقدم السفينة الذي وجدهُ في شرق افريقية فعرفهُ بعضهم بانهُ مقدم سفينة سافرت مع سفن كثيرة في بحر الظلمات جنوباً ثم انقطعت اخبارها ولم ترجع . فتأكد اودكسوس عند ذلك انهُ مصيب في ما ظنهُ من امر هذه السفينة وحكى لاهالي قادس

حكاية رحلاتهِ ورغبهم في تجهيز رحلة بحرية الى شرق افريقية وكان سكان سواحل ايبيريا وقتئذٍ حسب اتفاق المؤرخين من الفينيقيين الذين هجروا بلادهم بعد ان افتتحها الاسكندر. والفينيقيون اهل اسفار وتجارة جابوا الامصار واكتشفوا البلاد القاصية وامتلكوا ناصية التجارة في الدنيا بما لهم من الخبرة في سلك البحار ومعرفة تخطيط البلدان ومواقعها وعادات اهلها ومحصولاتها واتقان صنع السفن فلم يحجموا عن امداد اودكسوس بالمال والرجال فجهز سفناً عديدة وجعل نوتيتها من اهل قادس الخبيرين في سلك البحار واخذ معهُ اطباء واناساً يعزفون على الآلات الموسيقية وملأ السفن بالتحف ودار حول افريقية واكتشف بعض جزائرها الى ان وصل الى شرقيها. وهبت عليهِ عاصفة فجنحت سفنهُ على ساحل جزيرة فنزل اليها وتعرف باهاليها ووصف معيشتهم ومحصولاتهم وحيواناتهم بما ينطبق على اوصاف اهالي زنجبار وشرقي افريقية والحبشة ثم تركهم وسار الى الهند ثم عاد الى قادس

وبعد ردح من الزمن جهز سفناً اخرى وسافر حول افريقية وحدث لهُ اثناء رحلتهِ هذه حوادث شتى ذكرها ملطبرون في جغرافيتهِ نقلاً عن استرابون المؤرخ . وقال انهُ اكتشف جزيرة كبيرة عند سواحل افريقية الشرقية واقام فيها مع رفاقهِ طول الشتاء وزرع فيها وحصد ولا شك انها جزيرة مدغسكر لانها اكبر جزيرة هناك . فعلى حسب رواية استرابون هذه كان الايبيريون او الفينيقيون الذين استوطنوا اسبانيا والبرتوغال اول من اكتشف راس الرجاء الصالح بقيادة هذا الرحالة اليوناني المظيم وهم اول من طاف حول افريقية من قادس الى زنجبار والحبشة

واذا صدقت رواية هيرودوتس التي تقدم ذكرها عن رحلة فينيقية مصرية في زمن الملك نخو فرعون مصر فيكون عهد اكتشاف تلك الاصقاع قبل المسيح بزمن طويل

وذكر بعض المؤرخين الاولين ان جميع سواحل افريقية الشرقية كانت معروفة عند المصريين القدماء وانهم جابوها وعمروها وتجروا مع اهلها ولكن الرواية ضعيفة لان المصريين القدماء قلما كانوا يتغربون عن بلادهم ولم يتجاوزوا في حروبهم الى ما وراء النوبة

وقال بلينيوس المؤرخ الطبيعي ان سواحل افريقية والحبشة وغيرها كانت معروفة لدى التبابعة ملوك اليمن القدماء وكانوا يتجرون مع اهلها بالقرفة وانواع الطيب المختلفة وكانوا يحرمون على العامة التجارة بهذه الاصناف لئلاَّ يفشوا سرها او يبيعوها للرومان واليونان

ومحصل ما تقدم ان الفينيقيين واليونان والمصريين والايبيريين كانوا يعرفون معظم سواحل افريقية قبل الميلاد

ديمتري نقولا

مستعمرة الكمرون

هي احدى المستعمرات الالمانية في افريقية · وموقعها في غرب افريقية يحدها غرباً الاوقيانوس الاتلنتيكي ونيجيريا الانكليزية وشمالاً نيجيريا الانكليزية وبحيرة تشاد وشرقاً وغرباً بلاد الكونغو الفرنسوية · ويحاذيها من الجنوب ايضاً مستعمرة اسبانية صغيرة تعرف بمستعمرة نهر موني وقد كثر ذكرها الآن بين المستعمرات الالمانية فاردنا وصفها

تبلغ مساحتها نحو ١٩٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها اكثر من مليونين ونصف بقليل منهم ١٨٧٠ اوربيون · عاصمتها بويا واهم مدنها دوالا وسكانها نحو ٢٢ الفاً · وفيها اربع مدارس للحكومة ومدارس اخرى للمبشرين وعدد الطلبة فيها جميعها حوالي ٣٥٠٠

وهي من البلاد الحارة تكثر فيها الغابات والادغال وفيها كثير من انواع الشجر الجيد الخشب كالابنوس وغيره · وينبت فيها القطن وشجر اللستك والذرة والقمح والارز وقصب السكر وفيها كثير من المراعي · وسواحلها خصبة التربة واكثر ما يزرع فيها الآن النارجيل والبن واللستك والكولا والنخل الذي يستخرج من ثمره الزيت · وحيواناتها البرية كثيرة منها الفيل والجاموس البري والغورلا والشمبانزي والظبي والقنفذ

ومعظم صادراتها من نوى البلح واللستك وزيت النخل والعاج والكاكاو · واهم وارداتها الانسجة والاشربة الروحية والخشب والملح وادوات الحديد · وسنة ١٩١٢ بلغت قيمة وارداتها ٨٩٥ ٦٢٩ ١ جنيه وقيمة صادراتها ٨٠٣ ١٠٢ ١ جنيه

واول من اتاها من الاوربيين البرتغاليون وذلك حوالي سنة ١٤٧٠ فاتوا الى مصب نهر عند جبل كبير فسموا النهر نهر الكمرو لكثرة ما رأوا فيه من الحيوان المائي القشري المعروف بجراد البحر واسم هذا الحيوان في البرتغالية كمرو واسمهُ في الاسبانية كمرون وعن الاسبان اخذ سائر الاوربيين اسم البلاد · وعند جبال الكمرون خليج سماهُ البرتغاليون خليج امبواز من كلمة سمعوها من اهالي البلاد على الراجح ويسميه الانكليز خليج امباز

ويعتقد البعض ان الجنويين اكتشفوا بلاد الكمرون قبل البرتغاليين من خريطة يرجح انها رسمت في مدينة جنوى سنة ١٣٥١ وفيها رسم افريقية وجبال الكمرون

ولكن البرتغاليين لم يحلّوا في البلاد ولا اقاموا لهم مستعمرات فيها فبقيت وشأنها ينتابها النخاسون من الاوربيين بين حين وآخر لاختطاف العبيد او شرائهم ثم بيعهم ارقاء · ولعل

الذي اخّر حلول الاوربيين في البلاد وارتيادهم لها هو ان في قبائلها قبيلة تعرف بالدوالا رجالها اقوياء الابدان ذوو نجدة و بطش امتنعت على الاوربيين ومنعت القبائل الاخرى منهم . وسنة ١٨٤٥ اتاها المبشرون الانكليز فاخذوا يهذبون اهلها ويعلمونهم فلم يمضِ وقت طويل حتى عدلت عشائر الدوالا والايسو بو عن المتاجرة بالرقيق الى المتاجرة بغلات البلاد كزيت النخل والعاج وغيرهما . وعلّمهم المبشرون ان يكتبوا لغاتهم و يقرأوها و يطبعوها وراجت بينهم الصنائع اليدوية كالنجارة وعمل الاجر وبناء البيوت فمهروا فيها وصاروا يسمحون للاجانب ان يحلوا فيهم ويجولوا في بلادهم من غير ان يتعرضوا لهم

وعند ذلك تقاطر التجار الاوربيون اليها خصوصاً من الانكليز والالمان وانشأوا لهم متاجر واسعة فيها . ولما اخذت الدول الاوربية تتسابق الى الاستيلاء على البلاد الافريقية في القرن الماضي خشيت قبائل الكمرون ان تستولي عليهم فرنسا او البرتغال فوقّعوا سنة ١٨٨٢ عرائض رفعوها الى الحكومة الانكليزية لكي تعلن حمايتها لهم لانهم كانوا يكرهون ان يستولي على بلادهم غير الانكليز بعد ان تعلموا اللغة الانكليزية على ايدي المبشرين والفوا الانكليز في التجارة على ان الحكومة الانكليزية لم تهتم كثيراً بهذا الامر . فبادرت المانيا الى ذلك وارسلت الرحالة الالماني الدكتور نختنغال فعقد مع ملك احدى القبائل القريبة من ساحل البحر معاهدة على ان تبسط المانيا حمايتها على بلادهِ وترفع عليها العلم الالماني . فاستاء الانكليز من ذلك وعقدوا معاهدات مثل هذه مع باقي ملوك الكمرون واعلنوا حمايتهم لسائر البلاد الآ انهم عادوا فتركوا البلاد لالمانيا حوالي سنة ١٨٨٥ فقامت القبائل في وجه الالمان وقاومتهم فاخضعوها بالقوة

وجبال الكمرون بركانية تكثر فيها الفوهات الساكنة واعلى قمة فيها علوها اكثر من ١٣٠٠٠ قدم بقليل وسفح هذه الجبال تغطيهِ الغابات والادغال وفيها نخل الزيت والنخل المتعرش والخيزران وشجر السوسن والابنوس والخيا واشجار التين الكبيرة والسنط وجذوع البعض من هذه الاشجار ملساء بيضاء ضاربة الى الحمرة او سنجابية وتتدلى من اغصان البعض الآخر النباتات المتعرشة والنباتات الطفيلية كالسحلب والصبر والسرخس وغيرها . وتكثر بين الاشجار الضخمة السامقة اشجار الموز واللوف الكبير وانواع كثيرة من الاشجار الصغيرة والانجم المتنوعة الاوراق والازهار التي تروق النظر وتروع الناظر باختلاف اشكالها والوان ازهارها . وجذوع الاشجار التي على علو ثلاثة آلاف قدم الى سبعة آلاف فوق سطح البحر في حلل من الاشنة السنجابية الضاربة الى الخضرة . وعلى ارتفاع سبعة آلاف قدم منطقة

شجر السرخس وتكثر في هذه المنطقة النباتات ذوات الازهار الجميلة كالبلسم والعطر وغيرها · وفي الاماكن التي يزيد ارتفاعها على سبعة آلاف وخمسمائة قدم تقل الاشجار ويكثر العشب وتنمو النباتات ذوات الازهار في كل مكان فيهِ تربة · وتكثر الفوهات البركانية بين كبيرة وصغيرة في اعالي الجبال والقمة العليا منها تمتاز بكثرة بقاعها المختلفة الالوان بين سنجابية وحمراء ورمادية وخضراء وصفراء · وسبب هذا الاختلاف في اللون هو اختلاف المواد التي قذفتها الفوهات في القديم واختلاف العشب والنباتات ذوات الازهار

وجبال الكمرون من البراكين الساكنة ولكن يتصاعد من بعض فوهاتها دخان في بعض الاحيان وقد تقذف مواد مصهورة · وفي اعاليها اودية بردت الحمم فيها فصارت مثل انهر الجليد وتمتاز بان لونها بين السواد ولون الارجوان · وفي البلاد جبال اخرى غير جبال الكمرون وجميعها طيبة الهواء منشطة للابدان يصلح معظمها للاستعمار

وفيها ايضاً انهار كبيرة وغابات سامقة الاشجار ملتفة الاغصان يظن انهُ لم يسكنها بشر حتى الآن لكثرة الغورلا الشرس فيها

اما سكان الكمرون فمن الزنوج وفيهم خليط قليل من العنصر العربي السوداني · وفي شمال البلاد قبيلتان تعرفان بالفولا والهوسا في ملامحهم ولونهم وطول قاماتهم وسباطة شعورهم شبه من البيض · وفي الغابات في داخلية البلاد اقزام فطس الانوف كبار الاحناك · وفي قلب البلاد والجانب الجنوبي منها قبائل البانجوي وهم معتدلو القوام اتوا البلاد غازين منذ نحو ثمانين سنة واقاموا فيها · وكان لهم بعض الصنائع قبل ان اتاهم الاوربيون فقد كانوا يصنعون السُّرج والقسي ويبنون القلاع وقد بيّن الاستاذ فون لوشن ان بعض مصنوعاتهم قريبة مما كان يصنع في البلاد المجاورة للبحر المتوسط في القديم

ويقال ان في البلاد كثيراً من الحيوانات الغريبة التي لم يصفها العلماء حتى الآن ولم يُعنَ الالمان بالبحث عنها ووصفها مع انهم عنوا بحيوانات املاكهم في شرق افريقية وبحثوا في نباتها وجيولوجيتها · ويظن انهُ سيكون لبلاد الكمرون شان في المستقبل لانها بلاد كبيرة خصبة التربة وفيها جبال طيبة الهواء تصلح لسكن الاوربيين وتعيد اليهم نشاطهم اذا ضعفوا على ساحل البحر او في السهول المنخفضة · واهلها فوق ذلك اقوياء الابدان يميلون الى العمل وفيهم الفولا والهوسا الذين هم على جانب من الذكاء الفطري فيمكنهم ان يكونوا صلة بين الاوربيين وسائر اهل البلاد

اللبن وما يصنع منهُ

(تابع ما قبلهُ)

اللبن الرائب

لما رأى الناس اللبن الحليب لا يقيم زمناً طويلاً من غير ان يفسد جمَّدوهُ وصنعوا الجبن منهُ وتفننوا فيهِ على اساليب شتَّى حتى تعدَّدت انواع الجبن وصار منها ما يقيم السنة والسنتين . وقد اهتدوا ايضاً الى تخمير اللبن وحفظهِ مختمراً من غير ان يفسد وذلك بترويبهِ وتمليحهِ واخراج اكثر الماء منهُ وتغطيتهِ بالزيت فيقيم شهوراً كثيرة كما يقيم الجبن. وهذا النوع من التخمير او الترويب صحي سليم . واللبن الرائب كثير الاستعمال في جنوب روسيا والبلغار والبلاد العثمانية والقطر المصري ويسمَّى في القطر المصري بلبن الزبادي . ويخصُّ بهِ اسم اللبن عند اهالي الشام فاذا ارادوا اللبن غير الرائب قالوا حليباً واذا ارادوا الرائب قالوا لبناً . وقد نُقل استعمال اللبن الرائب الآن الى اوربا واميركا نقلهُ السوريون اليها. ونظن اننا نحن اول من استعملهُ في سويسرا فقد اخذنا الروبة معنا اليها من مصر منذ اكثر من عشرين سنة وكنا نروب اللبن فيها كل شهور الصيف ونأ كلهُ رائباً

ومعلوم ان اللبن الحليب يتخثر في المعدة بعد ما يُشرَب فيصير كاللبن الرائب ولكن يقال انهُ لا يكون سهل الهضم حينئذٍ كاللبن الرائب ولهذا يفضّل بعض الاطباء اللبن الرائب عليهِ من هذا القبيل . ويظن بعضهم ان لميكروبات التي يُروَّب بها اللبن فائدة دوائية في قتل ميكروبات الفساد التي تكون في الامعاء وفي انها تقوي القناة الهضمية . ولا شبهة في ان اللبن الرائب لذيذ الطعم ومفيد للذين يهضمونهُ ولاسيما اذا عسر عليهم هضم اللبن الحليب

واللبن المخيض اي الذي يخض وتنزع الزبدة منهُ يجمد لذاتهِ اذا حمض فيصير كاللبن الرائب وقد يغش اللبن الرائب بهِ ولكن بينهما فرق كبير في بقاء السمن في اللبن الرائب ونزعهِ في المخيض وهاك الفرق بينهما لدى تحليلهما تحليلاً كيماويًّا

	اللبن الرائب	اللبن المخيض
الماء	٨٨,١٢ في المئة	٩٠,٣٩ في المئة
السمن	٣,٦٢ «	٠,٥٠ «
البروتين	٣,٠٣ «	٣,٦٠ «
سكر اللبن	٣,٧٠ «	٤,٠٦ «

	اللبن الرائب	اللبن المخيض
الحامض اللبنيك	٠٫٦٦ في المئة	٠٫٨٠ في المئة
الالكحول	٠٫٢٣ »	... »
الرماد	٠٫٦٤ »	٠٫٧٥ »

ومعظم الفرق في كثرة المادة السمنية في اللبن الرائب ووجود شيء من الالكحول فيهِ وهو الذي يجعل طعمهُ لذيذاً منعشاً كأَن فيهِ شيئاً من الخمر

اللبن المكثَّف

يظهر مما تقدم من تحليل اللبن الحليب واللبن الرائب ان نحو تسعة اعشار اللبن ماء فاذا امكن نزع جانب كبير من هذا الماء قلّ حجم اللبن ولم تقلّ فائدتهُ الغذائية لان لا عبرة بما فيهِ من الماء بل بما فيهِ من المواد الاخرى . والماء تسهل اضافتهُ اليهِ في كل حين . ومتى قلّ حجم اللبن سهل نقلهُ من مكان الى آخر وقلّت نفقات النقل فينقل من المزارع حيث يكون كثيراً رخيص الثمن الى المدن حيث يكون قليلاً غالي الثمن . وكثيراً ما يضاف اليهِ سكر وقت تكثيفهِ لتحليتهِ وزيادة حفظهِ . ومن امثلة ذلك ان بعض السكان في هذه العاصمة يبتاعون اللبن المكثَّف آتياً من بلاد سويسرا اوغيرها من البلدان الاوربية لانهم يجدونهُ ارخص واصلح من اللبن البلدي . والغالب ان يوضع اللبن المكثف في آنية من الصفيح وتسدّ سدّاً محكماً لكي لا تدخلهُ ميكروبات فيحفظ كذلك شهوراً وسنين ويكون شديد القوام كالعسل

وتكثيف اللبن صناعة كبيرة والتجارة باللبن المكثَّف واسعة جدًّا فقد ورد الى بلاد الانكليز سنة ١٩١٣ من اللبن المكثَّف ٢٥٢٠٠٠١ قنطار وصنعت معامل الولايات المتحدة من اللبن المكثَّف سنة ١٩٠٠ نحو ١٨٧ مليون رطل ثمنها نحو ١٢ مليون ريال ثم زادت ما صنعتهُ رويداً رويداً حتى بلغ ٤٩٥ مليون رطل سنة ١٩٠٩ ثمنها نحو ٣٤ مليون ريال نصفها من اللبن المحلَّى بالسكر ونصفها من اللبن غير المحلَّى

ويكثَّف اللبن المحلَّى هكذا :— يسخَّن اللبن الجديد على الدرجة ١٦٠ الى ١٨٠ بميزان فارنهيت لطرد الغازات الذائبة فيهِ ثم يصب في اناء مفرغ من الهواء ويضاف الى كل مئة رطل منهُ ١٦ رطلاً من السكر ويبخَّر على درجة ١٣٠ الى ١٥٠ فارنهيت حتى يصير بالكثافة المطلوبة او حتى يصير من كل رطلين ونصف من اللبن الحليب رطل واحد من اللبن المكثَّف فلا يبقى فيهِ الأ نحو ٣٠ في المئة من الماء . ولكن مقدار الماء والتكثيف يختلفان كثيراً باختلاف المعامل فقد يقلّ الماء حتى يصير اقل من ٢٢ في المئة وقد يزيد حتى يكون اكثر من ٣٧ في

المئة والمتوسط نحو ٢٧ في المئة . وقس على ذلك سائر مواد اللبن فان نسبتها تقلُّ بزيادة الماء وتزيد بقلة الماء الاَّ السمن فانهُ قد يقلُّ كثيراً اذا مُخض جانب من اللبن قبل تكثيفهِ

واللبن غير المحلَّى يكثَّف كما يكثف اللبن المحلَّى ولكن لا يضاف اليهِ سكر . وهو في الغالب اقل كثافة من اللبن المحلى و يعقَّم بعد وضعهِ في آنية الصفيح ولحمها لئلاَّ يفسد

ومتى علم مشترو اللبن المكثف ان كل رطل منهُ يقوم مقام رطلين ونصف رطل من اللبن الجديد غير المكثف عرفوا ما يستحقهُ من الثمن فاذا كان ثمن الرطل من لبن البقر العادي غرشاً فالرطل من لبن البقر المكثف يساوي غرشين ونصف غرش

مسحوق اللبن

وقد يجفف اللبن و يباع مسحوقاً كالدقيق وذلك بتجفيفهِ في آنية مفرغة من الهواء على حرارة معتدلة ثم اخراجهِ منها وضخهِ رشاشاً في آنية كبيرة فيها هواء حار جاف فيزول ما بقي فيهِ من الماء و يقع هو ذرات صغيرة جامدة ليس فيها الاَّ نحو ٢ في المئة من الرطوبة . وقد بلغ عدد الاساليب المختلفة لعمل مسحوق اللبن التي نال اصحابها حق الامتياز في الولايات المتحدة حتى سنة ١٩١١ ستين اسلوباً وصنع فيها ٨٥٠٠٠٠٠ رطل من مسحوق اللبن سنة ١٩١٠ ولكن اكثرهُ من اللبن المخيض لانهُ يصعب بيع اللبن المخيض في اميركا ولان تجفيفهُ وحفظهُ مسحوقاً اسهل من تجفيف اللبن غير المخيض وحفظهِ

الزبدة

اذا وضع اللبن في اناء واسع قريب القاع حتى انبسط فيهِ طفت القشدة على وجههِ ومنها تستخرج الزبدة . وكانت الزبدة تستخرج من القشدة بالمخض اما الآن فصارت تستخرج من اللبن مباشرة بقوة التباعد عن المركز فان اللبن المخيض اثقل من الزبدة التي فيهِ فينفصل عنها بقوة التباعد عن المركز اذا وضع في اناء يدور على نفسهِ بسرعة فائقة و يكون لهُ في الاناء انبوب يخرج منهُ . وهذه الآلات منها ما هو صغير يدار باليد ومنها ما هو كبير يدار بالبخار وعلى سرعتها يتوقف مقدار ما يفصل من القشدة عن اللبن فقد لا يبقى في كل الف رطل من اللبن الاَّ رطل واحد من الزبدة

السمن

السمن زبدة سُخنت حتى انفصلت عنها المواد الجبنية المتصلة بها وهي مواد نيتروجينيَّة معرَّضة للفساد فيبقى السمن سليماً بعد ذلك وما هو الاَّ المادة الدهنية او الزيتية التي في اللبن . والغالب ان كل مئة رطل من الزبدة يخرج منها ٨٥ الى ٩٤ رطلاً من السمن

اقطاب الدولة الالمانية

لما وصفنا اقطاب الدولة الالمانية منذ سنتين ذكرنا بينهم رجلاً اسرائيليًا اسمهُ بلين وهذا ما قلناهُ عنهُ حينئذٍ

« قيل سأل سائل احد الرجال المختارين للجندية وهو يمتحنهُ في علم التاريخ قائلاً « مَن هو اعظم الالمانيين » فاجابهُ على الفور « بلين » . وهذا ما يقولهُ الآن ملايين من سكان المانيا عن رئيس شركة وابورات همبرج اميركا

« اراد الامبراطور مرةً ان يلقي مقاليد الوزارة الى بالين او يجعلهُ من اشراف المملكة فقال لهُ بلين تكرَّم عليَّ بصورة جلالتكم الفوتوغرافية وحسبي . فاعطاهُ الصورة وكتب تحتها « الى رائد تجارتنا الهُمام البعيد النظر »

« لما دخل بلين شركة وابورات همبرج اميركا سنة ١٨٨٦ كان رأس مالها ٧٥٠ الف جنيه فصار الآن سبعة ملايين و ٥٠٠ الف جنيه اي زاد عشرة اضعاف . وكان دخلها السنوي ١٢٥ الف جنيه فصار الآن مليونين و٨٢٥ الف جنيه وكانت سفنها التجارية ٢٦ سفينة فصارت الآن ١٨٠ وكان محمولها ٦٠ الف طن فصار الآن مليون طن ونصف مليون اي انهُ زاد ٢٥ ضعفًا . وقد بنت بالامس سفينة محمولها وحدها ٥٠ الف طن

« سر نجاح هذا الرجل اهتمامهُ بالصغائر مهما كانت وحفظها في ذاكرتهِ . وقد جرى على ذلك من حين كان كاتبًا صغيرًا في بلاد الانكليز من غير اجرة الى ان تبوأ اعظم مركز مالي صناعي تجاري . فان حفظهُ لهذه الدقائق مهَّل عليهِ بناء الاحكام الصائبة فلما انتظم بين مديري شركة همبرج اميركا وهو شاب جعل يقترح انشاء السفن على طرز جديد وكبار المديرين يقاومونهُ فيتغلَّب عليهم بالحجة والدليل وتأتي النتائج مؤيدة لرأيهِ حتى اضطروا ان يسلموا الادارة كلها لهُ سنة ١٩٠٠

« وهو اسرائيلي صغير القد خجول محب للعزلة مواظب على العمل متمسك بديانتهِ ولكنهُ غير متعصّب فيها لا ولد لهُ فتبنَّى ابنة صغيرة من بنات احد المستخدمين لا يأتي الامبراطور مدينة همبرج الاَّ زار بيتهُ في ضواحي المدينة وابدى لهُ دلائل اكرامهِ واحترامهِ . ولما رأى كبراء الالمانيين ذلك فتحوا لهُ ابوابهم وصاروا يعدونهُ من خاصتهم ومن اعظم رجالهم » انتهى

وقد قابل مكاتب جريدة الورلد الاميركية الهر بلين هذا في اوائل ابريل الماضي فقال

لهُ ان انكلترا هي التي اثارت هذه الحرب وان السر ادورد غراي كان يستطيع ان يمنعها ولكنهُ لم يفعل. واطَّلع مكاتب التيمس في نيو يورك على حديث الهر بلين وبعث بهِ الى جريدتهِ فنشرتهُ والحقتهُ برسالة كان الهر بلين نفسهُ قد بعث بها الى المستر ولتر احد اصحاب التيمس في ١ اغسطس الماضي وصرَّح فيها ان روسيا هي التي اثارت هذه الحرب وهي وحدها المسؤولة عنها. واطَّلع الهر بلين على ما ذكرتهُ التيمس فبعث بتلغراف الى غازتة كولون في ١٧ ابريل زعم فيهِ ان التيمس قلبت الحقائق وان الكتاب الذي بعث بهِ الى المستر ولتر احد اصحاب التيمس ليس فيهِ شيء من ذلك . ونشرت غازتة كولون ذلك الكتاب برمتهِ مع ان جريدة التيمس لم تشر الى هذا الكتاب بل اشارت الى كتاب اخر. ثم فصَّلت جريدة التيمس ذلك في اواخر ابريل تفصيلاً حسناً مفحماً . وقد رأينا في هذا التفصيل فكاهةً وفائدة فاثرنا تعريبهُ : اما الفكاهة ففي ما يبديهِ بعض الناس من المهارة في المحاولة واما الفائدة ففي تأييدِ القول المأثور وهو ان الغرض يعمي ويصم والاَّ لما وجدنا بعض الاسرائيليين مع كل امة من الامم المحاربة

قالت التيمس ما خلاصتهُ

ان الصدفة التي تخبط احياناً احكم التدابير قد مكَّنتنا الآن من تصفية الحساب مع الهر بلين الذي اختارهُ امبراطور المانيا صديقاً لهُ وهو رئيس شركة السفن التجارية المعروفة بشركة همبرج اميركا . فانهُ اقدم على الطعن في صدقنا واتهمنا باننا نشرنا رسالةً ليست لهُ ونسبناها اليهِ زوراً وبهتاناً ونحن قادرون الآن ان نفنّد مزاعمهُ هذه

والهر بلين امهر رجل من رجال الاعمال بين يهود المانيا وبمهارتهِ ومعاضدة الامبراطور لهُ وسَّع شركة همبرج اميركا العظيمة وجعل لها المقام الاول في المسكونة . ولم يكتفِ بما نال من النجاح المالي بل حاول نيل المصالح السياسية فجعل دور الشركة في نيو يورك واسطة لدعوة الاميركيين الى الاخذ بناصر الالمان. وسنبين كيف انهُ اراد ان يجعل دارها في لندن واسطة للتأثير في الرأي العام البريطاني

ففي ٢ اغسطس الماضي قبلما اعلنت انكلترا الحرب جاءتنا رسالة (او مقالة) من الهر بلين ادَّعى فيها ان امبراطور المانيا يكره الحرب وانهُ بذل كل ما في طاقتهِ لمنعها ولكن روسيا اثارتها رغماً عنهُ . وسُلّمت هذه الرسالة الى المستر جون ولتر احد اصحاب التيمس يوم الاحد في ٢ اغسطس نحو الظهر سلَّمهُ اياها الكونت فنجرسكي مدير اعمال شركة همبرج اميركا في لندن قائلاً انها اتتهُ بالالمانية بتلغراف من الهر بلين وقد امرهُ ان يترجمها ويقدمها الى جريدة التيمس

وسيظهر مما يلي ان كلام الكونت فنجرسكي كان على تمام الصحة . وقد سلمنا المستر جون ولتر الرسالة بالانكليزية ولكننا فضلنا ان نؤخر نشرها لان فيها اموراً تنقضها وقائع الحال التي كنا نعلمها . وزد على ذلك ان السر ادورد غراي كان عازماً ان يتكلم في مجلس النواب في ٣ اغسطس فلم نرَ من الحكمة ان نسبقهُ وننشر اقوالاً لرجل الماني لا تخلو من الغرض فان المانيا كانت قد عبأت جيوشها البرية والبحرية في ٣٠ يوليو وبلغت روسيا بلاغاً اخيراً جعلت مدتهُ ١٢ ساعة مع ان روسيا كانت لا تزال تبحث عن وسيلة لمنع الحرب جرياً على رغبة انكلترا وفرنسا . وكانت فرنسا قد اجابت انكلترا في ٣١ يوليو انها تحترم حياد البلجيك . ولكن المانيا كانت قد ارسلت بلاغاً نهائياً الى البلجيك . فلم يبقَ محل لان يعلن الهر بلين في جريدة التيمس ان امبراطور المانيا يحب السلم وان ذلك مغروس في نفسهِ غرساً دينياً ومتأصل فيهِ كما جاء في رسالتهِ

وأُعلنت الحرب بين بريطانيا العظمى والمانيا في ٤ اغسطس وفي عصر ذلك اليوم قال الوزير الامبراطوري في مجلس النواب الالماني «ان المانيا اضطرت اضطراراً الى ارتكاب امر غير محلل بهتكها حياد البلجيك وان ما فعلتهُ مخالف لنصوص الشرائع الدولية المتبادلة» . ولما جاء مكاتبنا من برلين لدى اعلان الحرب اتى بنصّ ما قالهُ وزير الامبراطورية ولم يكن قد عُرف في انكلترا فنشرناهُ في ١٢ اغسطس ولما رأينا ما بينهُ وبين رسالة الهر بلين المشار اليها آنفاً من التناقض عقبنا عليهِ بنشر تلك الرسالة ولم ننسبها الى كاتبها بل قلنا انها لرجل لهُ منصب سام في المانيا ولهُ اتصال شديد بامبراطورها . واتفق انهُ في الثالث من اغسطس سلمتنا ادارة التلغراف تلغرافاً مرسلاً الى رجل لم نستطع ان نقرأ اسمهُ وفيهِ يقول مرسلهُ «ان جريدة التيمس ستنشر اليوم رسالة بلين فيجب عليك ان ترسلها بالتلغراف الى برلين بعد ان تترجمها الى الالمانية حرفياً» . فلما رأت ادارة التلغراف ان اسم التيمس مذكور في هذا التلغراف ظنت ان ادارتنا تعرف اسم من أُرسلت اليهِ وعنوانهُ فارسلتهُ الينا مفتوحاً فقرأناهُ ونسخناهُ واعدناهُ الى الرسول . ويستدل من هذا التلغراف ان لرسالة الهر بلين شأناً كبيراً في المانيا حتى طُلب ان ترسل اليها حرفياً . ولو نشرت في التيمس لنقلت الى المانيا حتماً وهذا الامر جعلنا نصمم على عدم نشرها حينئذٍ

وكان في الامكان ان يقف الامر عند هذا الحد لولم يقل الهر بلين لمكاتب جريدة الورلد الاميركية ان اللوم كلهُ في هذه الحرب على انكلترا ولاسيما على السر ادورد غراي فرأينا ان نعقّب على قولهِ هذا ببعض ما جاء في رسالتهِ المشار اليها آنفاً واشرنا في المقالة

الافتتاحية الى ما حدث من الفرق الكبير بين القولين من اغسطس الى ابريل . وهذه اول مرة بحثنا فيها باسم الهر بلبن قائلين انهُ صاحب رسالة اغسطس

واطلع الهر بلبن على التيمس فوقع في حيرة ولجأ الى المحاولة وادعى اننا حرّفنا كلامهُ حتى يوافق غرضنا واثباتاً لذلك نشر صورة كتاب قال انهُ كتبهُ وارسلهُ الى المستر جون ولتر في اول اغسطس . ونشر كتاب بلبن هذا في غازتة كولون تحت عنوان « التيمس النمام »

ونحن نصرّح الآن ان الكتاب الذي نشرهُ الهر بلبن في غازتة كولون وقال انهُ ارسلهُ الى المستر ولتر في اول اغسطس لم يصل الى المستر ولتر مطلقاً ولا الى ادارة التيمس ولا يمكننا ان نقول ان نصهُ كان كما نشر الآن اولم يكن لاننا لم نرهُ وبعيد عن التصديق ان كتاباً أُرسل من همبرج في اول اغسطس لا يصل الى لندن مع ان البوسطة بين المدينتين لم تنقطع قبل صباح الخامس من اغسطس

ولكن اتفق لنا الآن ما ازال حيرتنا فقد عثرنا على صورة التلغراف الذي ارسلهُ الهر بلبن الى الكونت فنجرسكي وفيهِ اصل الرسالة التي سلَّم الكونت فنجرسكي ترجمتها للمستر ولتر وفيهِ ايضاً نص صريح على ان الهر بلبن عدل الآن عن ارسال الكتاب الى المستر ولتر بعد ما كتبهُ الى غير ذلك مما تراهُ في ترجمة هذا التلغراف

وقد نشرت جريدة التيمس صورة التلغراف الاصلية بلغتها الالمانية مأخوذة بالتصوير الشمسي والحفر ونشرت ترجمتهُ بالانكليزية وها ترجمتها بالعربية

« همبرج ١ اغسطس (الساعة ٢٠ و١١ مساء)

« الكونت فنجرسكي ٧١ كورنول غاردنس لندن

« ترجم المقالة التالية الى الانكليزية وخذ الترجمة الى المستر ولتر صاحب التيمس وقدّم لهُ خالص تحياتي واطلب منهُ ان ينشرها في تيمس الاثنين

« فاذا ابى ولتر نشرها يجب ان تقنع واحداً غيرهُ من اصحاب الجرائد الكبرى بنشرها في مكان بيّن من جريدتهِ

« واخبرني عمّا تمّ تلغرافيًّا بالالمانية لان التلغرافات بلغة اجنبية لم تعد تنقل في المانيا

« لم تُعلَن الحرب حتى الآن ولا يزال باب الرجاء مفتوحاً ولذلك فالكتاب الذي كان كنوث عازماً ان يأخذهُ الى ولتر قد أُبدل بهذه المقالة. والمكتوب للورد هولدين سأرسلهُ اليهِ بالبريد رأساً ولذلك فكنوث غير ذاهب وما يأتي هو صورة المقالة التي يجب ان تترجمها الى الانكليزية

« سمعت بدهشة ان الناس في فرنسا وغيرها يتصورون ان المانيا تودُّ ان تثير حرباً عدائية وانها مهدت السبيل لهذه الغاية بما فعلتهُ الآن · وقيل ان الامبراطور يرى ان الوقت قد حان لمحاسبة اعدائهِ · ما افظع هذا الخطأ · كل من يعرف الامبراطور كما اعرفهُ كل مَن يعرف مقدار ما يشعر بهِ الامبراطور من المسؤولية في المنصب الذي هو فيهِ وكيف ان اخلاقهُ مبنية على معتقدهِ الديني الصحيح متأصلة فيهِ يندهش اذا سمع ان احداً يستطيع ان ينسب اليهِ هذه المقاصد · فانهُ لم يكن يريد هذه الحرب بل قد الجأتهُ الضرورة اليها ولقد بذل كل جهدهِ لاجل الاحتفاظ بالسلم وسعى مع انكلترا بكل ما في طاقة يدهِ لكي يجد حلاًّ سلميًا فينجي شعبهُ من ويلات الحرب ولكن ذهبت كل المساعي سدًى بسبب روسيا التي زحفت بجيشها وقتما كانت المخابرات لا تزال جارية وكانت الآمال معقودة بنجاحها فاثبتت انها لا تنوي ان تفعل ما كانت تدَّعيهِ وتؤكدهُ من مقاصدها السلمية

« والآن صارت تخوم المانيا مهدَّدة بروسيا التي ستجر حليفتيها الى الحرب وصار شرفها تحت الخطر فهل يستطيع ارغب الملوك في السلم ان يحجم في الاحوال الحاضرة عن امتشاق الحسام للدفاع عن اقدس مصالح امتهِ

« اما الشعب الالماني فقد غُرست فيهِ كلمة بسمارك ضد الحروب العدائية وهي لا يجوز للانسان ان يجازف معتمداً على الصدف

« واعيد واقول ان روسيا وحدها ارغمت اوربا على الدخول في هذه الحرب التي لا تريدها دولة غير روسيا · فعلى روسيا وحدها يجب ان تقع كل مسؤولية هذه الحرب

٢ اغسطس ١٩١٤ البرت بلين »

« انتهت المقالة عرفني بوصولها تلغرافيًا · السلام بلين » (انتهى التلغراف)

ولقد كنا نودُّ ان ننظر الى وجه الهر البرت بلين حينما اطلع على مقالتهِ هذه في التيمس وما كتبتهُ التيمس عنها بعد ان كتب ما كتب في غازتة كولون · ولعلهُ لا يزال يقول ان قولي صحيح فان روسيا هي التي ارغمت اوربا على الدخول في هذه الحرب وان انكلترا كانت تستطيع منعها لو قال السر ادورد غراي في اول الامر من غير تردد انهُ اذا نشبت الحرب فنحن نحارب مع فرنسا وروسيا حتماً · ولكن الهر بلين لا يجهل ان البت في امر الحرب ليس في يد السر ادورد غراي ولا في يد الوزارة الانكليزية كلها بل في يد مجلس النواب فانهُ هو وحدهُ الذي يستطيع البت في امر الحرب وهو وحدهُ يستطيع ان يعطيها النفقات

اللازمة لها . وان كان دخول انكلترا في الحرب يمنع المانيا من الدخول فيها حقيقة كما يدعي بلين فلماذا لم تقل المانيا حينما اعلنت انكلترا الحرب انها وقفت عند هذا الحد فلا تحارب ولا تمنع حل المشكل بين النمسا والسرب بالتحكيم . فانها لو قالت ذلك لما ارغمتها دول الحلفاء على الحرب لانهنَّ يعلمن من انفسهنَّ انها اوفر استعداداً منهنَّ ولشكرها الناس اجمع وابقوا ذكرها في التاريخ مقروناً بالاجلال والاكرام

ولاة مصر في عهد العرب

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في مقتطف يونيو بولاية محمد بن زهير الازدي الذي ولّي مصر من قبل هرون الرشيد سنة ١٧٣ . ثم تتابعت الولاة في عهد الرشيد فكان منهم ٢١ والياً في ٢٢ سنة مدة خلافتهِ وذلك مما لم يكن ينتظر من خليفة رشيد مثلهِ لان الاسراع في تولية الولاة وعزلهم لا يصلح حال بلاد بل يفسدها . ولم يذكر الكندي عملاً واحداً صالحاً عملهُ هؤلاء الولاة في القطر المصري مدة ٢٢ سنة بل ذكر ان غاية ما كانوا يفعلونهُ جمع الخراج وارسالهُ الى بغداد وان واحداً منهم وهو الليث بن الفضل الذي وليها سنة ١٨٦ بعث بمُسَّاح يمسحون اطيان الحوف الشرقي فانقصوا من القصبة اصابع حتى يزيد عدد الافدنة فتظلَّم الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم في اربعة آلاف من جند مصر فهزمهم وبعث الى الفسطاط ثمانين رأساً من العبسيَّة منهم

ثم امتنع اهل الحوف من اداء الخراج في ولاية الحسين بن جميل فارسل اليهم يحيى بن معاذ في جيشهِ فلما فرغ منهم سنة ١٩٢ قال إمامهُ ابو عثمان السكري متبجحاً

قد جبينا قيساً ولم تكُ تجبي   وقتلنا ابا الندى وابن عابسْ
وتركنا لخماً وحيَّي جذام   لا يطيقون رفع كف تلامس

وقال ايضاً

يا قيس عيلان اني ناصح لكمُ   ادُّوا الخراج وخافوا القتل والحربا
اني احذركم يحيى وصولتـهُ   فما رأيتُ لهُ تقياً اذا غضبا

ولا شبهة في ان بعض الخارجين على الوالي كانوا يستحقون التأديب وان اداء الخراج

فرض واجب ولكن لا تثور الرعية كلها وتخرج على ولاتها الأ من جوع او من جور وكان الاجدر بالوالي ان يرفق بالناس ويزيل ظلامتهم قبلما يأخذهم بالشدَّة لاسيما وان مُساحهُ جنوا عليهم . ولا ندري كيف يحق لعشرين واليًا ان يشكوا من اهل مصر ولا يُذكَر لهم عمل واحد نافع والظاهر انهُ لم يكن لهم همٌّ الاَّ جباية الخراج

وتوفي الرشيد سنة ١٩٣ في ولاية الحسن بن التختاخ وخلفهُ محمد الامين ووقع الخلاف بينهُ وبين اخيهِ المأمون . وكتب المأمون الى اشراف اهل مصر يدعوهم الى القيام بدعوتهِ فكلهم اجابوا سرًّا ثم خلعوا الامين وبايعوا المأمون وصار على مصر واليان واحد من قبل الامين وواحد من قبل المأمون وانقسم السكان قسمين ونشبت الحروب بينهم الى ان بلغهم قتل الامين وبيعة المأمون سنة ١٩٨ . وبقيت الفتن ثائرة في القطر المصري وصار الجند يولّون الولاة الى ان ولّى المأمون السري بن الحكم فطاعهُ الجند ولكن المأمون جعل عليَّ بن موسى ابن جعفر بن علي بن ابي طالب وليًّا لعهدهِ وكتب الى السري يأمرهُ بالبيعة لهُ . وقام بفساد ذلك ابرهيم بن المهدي ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولي عهدهِ وبالوثوب بالسري فثارت الحرب في مصر بين الحزبين الى ان مات علي بن موسى العلوي وانخذل ابرهيم بن المهدي فاظهروا بيعة المأمون . وورد كتاب المأمون الى السري بذلك وبغسل المنابر التي دُعي عليها لعلي بن موسى فغسلت . واجمع السري على الغدر بوجوه الجند الذين معهُ وكان يخافهم فجمعهم اليهِ واخبرهم ان رسولاً قد قدم من قبل طاهر بن الحسين واشار عليهم ان يتلقوهُ فخرجوا في النيل وخرج معهم في مركب غير مركبهم وجعل في باطن مركبهم غلامًا وامرهُ ان يخرقهُ ففعل الغلام ذلك فغرقوا ومعهم اخوهُ وأُخرجوا امواتًا . ولا ندري كيف استحل هذا الغدر القبيح . وتوفي السري سنة ٢٠٥ وعاد الجند الى اختيار الولاة ومبايعتهم ونشبت الفتن واستحرَّ القتل وكان شعراؤُهم يتغنون بوصف تلك المعارك قال معلّى الطائي

فيا مَن رأَى جيشًا ملا الارض فيضهُ اطلَّ عليهم بالهزيمة واحدُ
تبوَّا دمنهوراً فدمَّر جيشهُ وعرَّد جيش الليل والليل راكدُ

وقال ايضًا

أَلا هل اتى اهل العراقين وقعةٌ لنا بجمى بُلقين شيَّبتِ الولدا
وما كان منا قتلهم عن جهالة خطاءً ولكنَّا قتلناهمُ عمدا

سنهدي الى المأمون منا نصائحًا نضمنها طي الصحائف والبردا
بفعل علي والذي كان مجمعًا عليهِ بإظهار الخلاف الذي ابدا

واشترك اهل الشام في هذه المعارك فان ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين اقبل الى الشام وجاء منها بسفن الى مصر وحارب من ناوأهُ فيها وفي ذلك يقول ابو تمام حبيب بن اوس الطائي

لَعَمْرِي لقد كانتْ بِمِصْرَ وُقَيْعَةٌ أقامت على قصدِ الهدى كلَّ مائلِ
على الخندق الأقصى وما كان حولَهُ وما قدْ يليهِ من فضاهُ وساحلِ
رأى ابنُ السَّريِّ النَّصرَ أوَّلَ يومهِ وأودي بليثٍ من أبي السَّروِ باسِلِ
لَوَيْنَ جموعُ ابنِ السَّريِّ وخيلُهُ شماطيطَ تترى كالنَّعام الجوافلِ
فلمَّا رأوْا أنْ لا محيصَ وأنَّهُ كفاحُ الرَّدى في كلِّ حقٍّ وباطلِ
توَخَّوْا أمان الأرْيَحيِّ ابنِ طاهرٍ فمن فارسٍ يأتيهِ طوعًا وراجلِ

وامَّن عبد الله بن طاهر البلاد ولما انتهت ايام ولايتهِ عادت الحروب والفتن وقتل الثائرون الوالي عُمَيْر بن الوليد باليهودية (قرب الزقازيق) يوم الثلاثاء لثلاث عشرة من ربيع الآخر سنة ٢١٤ وفي ذلك يقول ابو تمام

ألا رزئت خُراسانٌ فتاها غداة ثوى عُمَيْر بن الوليدِ
فيا يوم الثلاثا كم كئيب رماهُ الحزن فيكَ وكم عميدِ
فكم سخَّنت فينا من عيونٍ وكم اعبرت فينا من خدودِ
فما زُجرتْ طيورك عن سنيحٍ ولا طلعت نجومكَ بالسعودِ

وخلفهُ عيسى بن يزيد الجلودي فحاربهُ اهل الحوف بمنية مطر ثم تبعوهُ الى النُوَيْرة وفي ذلك يقول ابو تمام

الله ارهقك الهزيمةَ إذْ جذبتكَ احبالُ الرَّدى جذبا
واتتك خيلٌ لو صبرتَ لها انهبنَ روحك في الوغى نهبا
من حيِّ عدنانَ وإخوتهمْ قحطان لا ميلاً ولا نكبا
أعصمتَ بالليلِ البهيمِ وقدْ القى عليك ظلامهُ حجبًا
وتركتَ جندكَ للقنا جزرًا والبيض تحدبُ هامهم حدبا
فأشكرْ ايادي ليلةٍ سمحتْ لك بالبقا فركبتها ركبا

واقبل ابو اسحق بن هرون الرشيد الى مصر في اربعة آلاف من اتراكهِ وقاتل العصاة ونزل ببلبيس وقبض على اثنين من زعمائهم وجاء الفسطاط ثم خرج الى الجيزة وقتل ذينك الزعيمين وصلبهما · وخرج الى الشام في اتراكهِ وبجمع من الاسارى في ضرّ وجهد · وهذه اول مرة ذُكر فيها الاتراك جنوداً في مصر والشام · وتوالت الفتن في مصر حتى انتقض الوجه البحريّ كلهُ عربهُ وقبطهُ سنة ٢١٦ واخرجوا العمال وخالفوا الطاعة وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم · وقدم الافشين(١) من برقة واخذ الناس بالشدة وتفاقمت الخطوب الى ان قدم المأمون من الشام الى مصر سنة ٢١٧ فسخط على الوالي عيسى بن منصور وقال لهُ «لم يكن هذا الحدث العظيم الاَّ من فعلك وفعل عمَّالك حمَّلتم الناس ما لا يطيقون وكتمتموني الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلد» · وهو قول حكمة وسداد · «وركب فنظر الى المقياس وامر باقامة جسر آخر على النيل وارتحل الى سخا ثم صار الى البشرود وكان الافشين قد اوقع بالقبط بها فنزلوا على حكم امير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتتبع كل من يومى اليهِ بخلاف فقتلهُ فقتل ناساً كثيراً» ولا بد للمنصف ان يقول انهُ ان كان اللوم على العمَّال فما ذنب الرعية وما ذنب النساء والاطفال · ولا ندري كيف تلتئم فعال المأمون هذه مع كلامهِ الاول ومع ما يروى عنهُ من محبتهِ للعلم والعلماء

وارتحل المأمون عن مصر في ١٨ صفر سنة ٢١٧ بعد ان اقام في الفسطاط وسخا وحلوان ٤٩ يوماً وولى على مصر رجلاً اسمهُ كيدُر وبعث اليهِ برجل من العجم اسمهُ بسطام ولاهُ الشُّرَط فعزلهُ كيدر لرشوة ارتشاها وامر بضربهِ بالسوط في صحن المسجد الجامع وولى رجلاً بخاريًّا يقال لهُ ذاوَه اي ابدل عجميًّا بعجمي آخر

وتوالى الولاة بعد ذلك وبينهم العجمي والتركي والارمني وليس في اعمالهم كلهم مأثرة تذكر وكان عنبسة بن اسحق الضبي الذي ولي مصر سنة ٢٣٨ آخر من وليها من العرب وتوالى الاتراك بعدهُ الى عهد الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ كما سيجيء

(١) امير تركي اسمهُ حيدر بن كاوس استخدمهُ المأمون قائدًا للجيوش ثم استخدمهُ ابو اسحق المعتصم اميرًا للجيوش

تغير الجسم في الحداثة والشيخوخة (١)

تكمل اعضاء الجنين في الاشهر الثلاثة الاولى من تكونهِ وبعد ذلك لا يتكون فيهِ عضو جديد بل تنمو اعضاؤُهُ وتتركن الى ان يولد ويستمرُّ نموهُ بعد ذلك الى ان يبلغ اشدَّهُ . وقد يتبادر الى الذهن ان الاسنان تتكون في فمهِ بعد ان يولد والحقيقة انها تكون قد بدأَت تتكون قبل ولادتهِ وتظل تنمو الى ان تنبت . فيمكن ان نقسم حياة الانسان من هذا القبيل الى دورين دور التكون من بداءة تكون الجنين الى نهاية الشهر الثالث ودور النمو والتكيُّف من الشهر الثالث الى نهاية الحياة

وعندما يولد الطفل يطرأُ عليهِ تغير كبير اذ تتكيف رئتاهُ وتأْخذان في التنفس ويتكيف قلبهُ واوعيتهُ الدموية سريعاً على ما يقتضيهِ التنفس وتأْخذ معدتهُ وامعاؤُهُ تعمل على استخلاص الغذاء من الطعام . وهذا التغير في الرئتين والقلب والاوعية الدموية والمعدة والامعاء الذي يحدث عند الولادة لا يمتاز بهِ الانسان وحدهُ بل تشاركهُ فيهِ الحيوانات اللبونة العليا

ولا ينفك جسم الانسان يتغير من حين يولد الى حين يموت فلا تمر عليهِ سنة الاَّ وتترك فيهِ اثراً . وما من احد الاَّ ويعرف شيئاً عما يحدثهُ تقدم السن في الجسم فاذا رأَينا انساناً قدَّرنا عمرهُ معتمدين في تقديرنا على ما نراهُ من علامات الكبر في ظواهرهِ وخصوصاً في وجههِ . واشد الاعضاء تأَثراً من هذا القبيل الجلد وعضلات الوجه فكلما تقدم الانسان سنة في العمر تغيرت حال جلدهِ وعضلات وجههِ . الاَّ ان التغير لا يسير على وتيرة واحدة في جميع الناس فمنهم من يشيخ باكراً ومنهم من لا تظهر عليهِ الشيخوخة ولو تقدم في السن

ومن مميزات الحداثة الرشاقة وخفة الحركة ولين الاطراف في التثني . وقد يتكلف الشيخ الظهور بمظهر الشباب فيشدّد نفسهُ ويمشي منتصباً ولكن ذلك لا يغنيهِ شيئاً ويكون مثلهُ مثل الكبيرة التي تطري وجهها وتدهنهُ لتظهر حديثة السن فتنمُّ ملامحها وحركاتها عن كبرها. وقد تظهر علامة من علامات الكبر في عضو من اعضاء الانسان دون غيرهِ كما يقع للذين يشيبون صغاراً مثلاً ولكن مثل ذلك لا يخفى على احد فاذا رأَيت شابًّا شائبًا عرفت من ملامحهِ ان شيبهُ ليس عن كبر. ويتغير شكل الصدر والبدن عموماً في الكبر ولكن اكثر الاعضاء تغيراً هو الجلد . والجلد نسيج حي كباقي انسجة الجسم ولكن اعمال الحياة فيهِ ليست

(١) منقولة بتصرف قليل عن كتيب للدكتور كيث

قوية مثل ما هي في غيره فلا يتجدد ما يندثر منهُ بسرعة ولذلك كان اشد من غيره تأثراً بكل حوءول او ضعف يطرأُ على الجسم فلا يلبث ان تذهب بضاضتهُ وطراوتهُ . وافضل ما تكون جدران الاوعية الدموية في الانسان في سن الخامسة والعشرين فيكون عند ذلك في عنفوان مقدرتهِ على القيام بالاعمال البدنية العنيفة التي تقتضي بذل القوة الكثيرة في الوقت القصير كلعب الكرة وغير ذلك . ويبلغ الدماغ معظم مقدرتهِ على تحريك العضلات والاعضاء والاحتكام فيها بين سن الثلاثين وسن الاربعين ولا يبلغ معظم مقدرتهِ على القيام بالاشغال العقلية والتفكير الاَّ بين الاربعين والخمسين . ومن ذلك يتضح ان اجهزة الجسم المختلفة لا يكمل نموها في وقت واحد ولا تشيخ في وقت واحد ولكن تغيُّر بعضها مرتبط بتغير البعض الآخر حتى لا يصعب تقدير عمر الانسان من تغيرها

قال صاحب المزامير ان ايام الانسان سبعون سنة وقد قام في نفوس الكثيرين ان السبعين هي العمر الكامل . ولننظر في صحة ذلك من الوجهة النشوئية اي بمقابلة الانسان بالحيوانات القريبة منهُ وهي القرود . ولنقابل اولاً بين طفولتهِ وطفولتها لان دور الطفولة يطول ويقصر بطول متوسط عمر الحيوان وقصرهِ . ودور الطفولة هو الدور الذي ينقضي على الحيوان بين ولادتهِ واكتمال اسنان الرضاع . وتكمل اسنان الرضاع في الطفل البشري (وهي عشرون سنًّا) عادةً عند ما يصير عمرهُ سنتين وقد يتأخر اكتمالها الى ان يبلغ عمرهُ سنتين ونصفاً . فدور الطفولة في الانسان اذن سنتان . وتكمل اسنان الرضاع في الغبون والقرود الدنيا قبل ان تتم السنة الاولى من العمر . ومن القرود الدنيا انواع تولد وثناياها نابتة ولا تبلغ الشهر الثامن من العمر الاَّ وتكون اسنانها كلها قد نبتت . ولا يهمنا من هذه القرود في هذا البحث الاَّ الغبون لانهُ على الراجح درجة من درجات النشوء التي مرَّ بها الانسان والقرود العليا الشبيهة بهِ فدور طفولة الغبون لا يستغرق سنة . اما القرود الكبيرة الشبيهة بالانسان فلا تبدأُ اسنان الرضاع تنبت في افواهها الاَّ في الشهر الثالث او الرابع بعد ولادتها ولا تكمل الاَّ في خلال السنة الثانية . فدور الطفولة في القرود الكبيرة الشبيهة بالانسان يقرب اذن من دور الطفولة في الانسان ولكنهُ اقصر منهُ قليلاً . ويرجح ايضاً ان مدة الحبَل في الغبون سبعة اشهر وفي والقرود الكبيرة الشبيهة بالانسان تسعة اشهر مثل الانسان وذلك يدل على ان مدة الحبل ومدة الطفولة طالتا تدريجاً في خلال نشوء القرود الكبيرة الشبيهة بالانسان من القرود الصغيرة الشبيهة بهِ

ولننظر ايضاً في دور البلوغ . ودور البلوغ هو الدور الذي ينقضي على الحيوان من

حين تبدأُ اسنانهُ الدائمة تنبت الى حين تكمل . ويبدأُ ذلك في الانسان عادةً في السنة الخامسة وينتهي في السنة الثانية والعشرين . وقد يمتد الى ما بعد الثانية والعشرين في اهل المدنية اذ يتأخر ظهور اسنان العقل فيهم وقد يتم قبل الثانية والعشرين في الاقوام الذين لا يزالون بعيدين عن اسباب المدنية . ويبدأُ دور البلوغ في القرود الدنيا في اواخر السنة الثانية وينتهي في اواخر السنة الخامسة ويبدأُ في الغبون في اواخر الثانية ولا ينتهي الاَّ في السادسة اما في القرود الكبيرة الشبيهة بالانسان فلا يبدأُ الاَّ في السنة الرابعة ولا ينتهي الاَّ في السنة الرابعة عشرة . فدور البلوغ اذن ينتهي في القرود الشبيهة بالانسان حوالي السنة الرابعة عشرة اما في الانسان فلا ينتهي الاَّ في الثانية والعشرين . ولا يعرف كم تعيش القرود عادةً وهي في الغابات ولا يصح بناءِ حكم على ما تعيشهُ في الاقفاص وحدائق الحيوانات ولكن اذا حسبنا ان دوري الطفولة والبلوغ يستغرقان ثلث سني الحيوان كانت سنو الغبون ثماني عشرة وسنو القرد من القرود الشبيهة بالانسان اثنتين واربعين وسنو الانسان ستا وستين . ولكن اهل المدنية قد اطالوا سنيهم واخروا موعد هرمهم . وقد وجد المحققون ان الاقوام الذين لا يزالون بعيدين عن المدنية كسكان اوستراليا الاصليين يظهر عليهم من علامات الشيخوخة في الثانية والاربعين ما لا يظهر على الاوربي الاَّ في الثانية والستين . وجميع الادلة التي لها علاقة بهذا الامر تدل على ان الانسان كان يعمّر مثل الحيوانات التي نشأ منها منذ سنين عديدة وعلى ان الناس اليوم يعمرون اكثر من الناس في القديم

ومن اوجه التغير التي تستلفت النظر اكثر من غيرها في الصغير نمو رأسهِ فان الراس يسرع في نموهِ في دور الطفولة اكثر من كل عضو آخر . والقسم الذي يسرع في النمو هو القحف الذي يحتوي على الدماغ . ولا تخفى مكانة الدماغ من الاهمية ولذلك وجب ان ينمو في اوائل الحياة ويصير قادراً على القيام بما هو موكول بهِ . ولا تنقضي السنة الثانية على الولد الاَّ ويكون حجم دماغهِ قد صار اكبر من نصف حجمهِ بعد اكتمال نموهِ . ولا تنقضي السنة الرابعة الاَّ وتكون مادتهُ العصبية قد تكوَّن اكثر من اربعة اخماسها . والمرجح ان الخلايا العصبية تكمل في دماغ الولد في الخامسة من العمر وينمو الدماغ بعد ذلك مع نمو الجسم عموماً ولكن نموهُ عند ذلك لا تكون لهُ علاقة باعمال العقل العليا . وهذا الاسراع في نمو الدماغ لا يكون في صغار الحيوانات الاخرى فالغورلا يولد ودماغهُ ٦٥ في المئة من حجمهِ الكامل ويأخذ ينمو باطراد الى ان يكمل نموهُ من غير ان يسرع في دور مخصوص كدماغ الانسان . وعند ما يولد الغورلا لا يكون دماغهُ اصغر من دماغ الطفل المولود

جديداً بكثير. فيمتاز الانسان على سائر الحيوان اذن في ان دماغهُ يظل ينمو بسرعة بعد ولادتهِ. واسراع الرأس في نموهِ في الطفولة واوائل الصبوة حالة من احدث الحالات عهداً في نشوء الانسان

والوجه من الوجهة التشريحيَّة جزءٌ من جهاز الهضم فعظامهُ وجدت لتكون فيها الاسنان. وعندما تنبت اسنان الرضاع يكون الوجه آخذاً في النمو من غير ان يطرأ عليهِ تغير كبير ظاهر. ولكن عند ما تنبت الاسنان الدائمة تكبر عظام الوجهِ لكي تسعها وتسرع عضلات الفك الاسفل في النمو وتتغير الملامح تغيراً بيناً. وتنمو النتوات العظمية في الجمجمة والخدين اذ لا بد لعضل المضغ من نتوات عظمية يتصل بها

اما العنق فلا يكون نموهُ كنمو الراس ولا في وقت واحد معهُ. ويمكن ان يظل لباس راس الولد من قياس واحد بضع سنوات ولكنهُ لابد لهُ من ابدال طوق قميصهِ باكبر منهُ كل سنتين او ثلاث وينمو العنق وعضلات المضغ نموًّا متماثلاً في وقت واحد وسبب ذلك هو انهُ متى نمت عضلات المضغ وزاد عملها كان على الجمجمة ان تكون مكينة الارتكاز لاعتماد عضلات المضغ عليها فتنمو عضلات العنق لكي تمكنها. وغلاظة العنق تكاد ترافق كبر الحنك وغلاظة الخدود من غير شذوذ. واحناك القرود الشبيهة بالانسان وعضلات المضغ فيها كبيرة حتى انها تغطي الجمجمة كلها واعناقها غليظة عضلية حتى تظهر كأن رؤُوسها مندغمة فيها اندغاماً. ولا يحدث تغير كبير في ارتكاز الراس وحجم الحنك الاَّ عند اكتمال نمو الجسم

وما تقدم ذكرهُ من التغير في الراس والعنق هو من قبيل النمو لا التكون ويتم في الصغر والشباب. على ان الراس والعنق يتغيران تغيرات اخرى تقع بعد ذلك فاذا كمل نمو الراس وتم فيهِ التغير الذي تقدم ذكرهُ بدأ فيهِ الحؤُول فيزيد شحمهُ ويسترخي لحمهُ في قليل من الناس ولكنهُ في الكثير منهم ينضب الشحم منهُ فيسترخي عند ذلك الجلد حتى تظهر من تحتهِ العظام والعضلات والاوردة. واذا تقدم الانسان في العمر ضمرت عضلات المضغ في وجههِ وتقعَّر خداهُ وتشوه فمهُ. وتدق العنق ويتغضن جلدها مع ضمور عضلات المضغ وتغير عظام الوجه

ونعود الآن لننظر في التغير الذي يُعِدُّ الطفل للوقوف والانتصاب على قدميهِ ويكون ذلك في اواخر دور الطفولة. ولا يقدر الطفل ان يقف في السنة الاولى بعد ولادتهِ وسبب ذلك ليس في ضعف رجليهِ بل في ان دماغهُ لم ينمُ نموًّا كافيًا يمكنهُ من الاحتكام في عضلات الوقوف. وقد بيَّن احدهم ان يدي الطفل تكونان قويتين عند ولادتهِ حتى يمكنهُ ان يتدلى

بهما . والقرد المولود جديداً يتعلق بشعر امهِ باصابعهِ فتثب بهِ من شجرة الى اخرى . وصغار القرود الشبيهة بالانسان قصار الارجل مثل اطفال البشر ولا تقدر ان تمد ارجلها في خط مستقيم مع سائر ابدانها . وعندما يبدأُ الطفل يقف ويمشي تظل رجلاهُ محنيتين قليلاً في الركبتين والاربيتين . واذا خرج الولد من طور الطفولة واخذ يقوى في المشي تسرع رجلاهُ في النمو اكثر من سائر اعضائهِ وتتغير ركبتاهُ واربيتاهُ ليصير في امكانهِ ان يستوي على رجليهِ ويتحكم فيهما . فالفرق كبير بين الطفل الذي يتعلم الوقوف تعلماً وفرخ الدجاج الذي يدرج حالما تنقف البيضة عنهُ . وعند ما يولد الطفل يكون طول رجليهِ خمس طول قامتهِ اما في الانسان البالغ فطول الرجلين نصف طول القامة او اكثر . ويختلف طول الارجل باختلاف الشعوب واختلاف الافراد في الشعب الواحد

ولننظر الآن في تغير الرجلين اذا قيس طولهما بطول البدن والراس معاً . يكون طول رجلي الجنين في الشهر السادس ٥٥ في المئة من طول بدنهِ ورأسهِ معاً فيصير عند ولادتهِ ٦٢ في المئة وعندما يبلغ اشدهُ ١٠٢ في المئة من طولهما اي ان رجلي البالغ اطول من بدنهِ ورأسهِ معاً . وطول رجلي القرد من القرود الشبيهة بالانسان عند ولادتهِ بين ٥٠ و ٧٠ في المئة من طول بدنهِ ورأسهِ معاً اي انهُ لا يختلف كثيراً عن الانسان من هذا القبيل عند ذلك ولكن رجليهِ لا تنموان بسرعة بعد ذلك كما تنمو رجلا الانسان . وطول رجلي الغبون البالغ ٧٨ في المئة من طول بدنهِ ورأسهِ معاً وطول رجلي الغورلا ٦٦ في المئة من طول بدنهِ ورأسهِ معاً وطول رجلي الاوران ٥٨ في المئة من طول بدنهِ ورأسهِ . فمن ذلك يتضح ان رجلي الانسان عند ولادتهِ اذا قيستا ببدنهِ ورأسهِ لم تفرقا كثيراً عن رجلي القرود العليا اذا قيست بابدانها ورؤُوسها وانما يمتاز الانسان على القرود من هذا القبيل في اسراع رجليهِ في النمو بعد ولادتهِ وتكيفهما على ما يقتضيهِ وقوفهُ ومشيهُ

وعند ما تكون رجلا الولد آخذتين في النمو يحدث تغير في ظهرهِ ايضاً فانك اذا راقبت طفلاً يحاول الوقوف رأَيتهُ يلوي ظهرهُ الى الوراء فضلاً عن بسطهِ رجليهِ في مستوى جسمهِ . فبين حقوي الانسان وتجويفهِ الصدري خمس فقرات يرتكز عليها الجزء الاعلى من بدنهِ وتعرف بالجزء القطني من العمود الفقري . والجزء الفقري تصير في جميع القرود الشبيهة بالانسان حتى تظهر كأَن الاقسام السفلى من ابدانها مندغمة في صدورها وهذه القرود تستعين بايديها على المشي بقدر ما تستعين بارجلها او اكثر فلا تحتاج الى تثنية ظهورها لكي تحافظ على موازنة اجسامها . وعند ما يولد الطفل يكون طول الجزء القطني من صلبهِ ٢٧

في المئة من طول عموده الفقري والحال على مثل ذلك في الشمبانزي البالغ · واذا اخذ الطفل يحاول المشي اسرع الجزء القطني من ظهره في النمو حتى يصير عند بلوغه ٣٢ في المئة من عموده الفقري · فطول الجزء القطني من العمود الفقري يساعد الانسان على الانتصاب وهو ميزة لهُ يمتاز بها على جميع الحيوانات العليا القريبة منهُ

فالتكيف الذي يتكيفهُ ظهر الانسان ورجلاهُ في صغره يؤهلهُ للانتصاب والمشي ولكنهُ اذا شاخ تيبست مفاصلهُ وتقلصت عضلاتهُ وتقوس ظهرهُ وضعفت فقراتهُ وعضلات ظهره عن حفظ جسمه منتصباً

فاهم التغير في جسم الانسان بعد ولادته يتعلق بنمو دماغه واعداد جسمه للانتصاب والمشي على القدمين · وكبر الدماغ وانتصاب القامة احدث الصفات التي اكتسبها الانسان في نشوئه · وواضح مما تقدم ان الانسان يسير في دورين مهمين الدور الاول يغلب فيهِ النمو والدور الثاني يغلب فيهِ الانحطاط والانحلال ويبدأ الثاني حيث ينتهي الاول

التعفن والانحلال

التعفن[1] — للمكروبات المرضية قدرة على اتلاف الاجسام الحية فانها اذا دخلت في جسم حي نمت وتكاثرت بما تجدهُ من الغذاء الكافي واخذت تعمل على افساده في قليل من الزمن حيث تستنزف مادتهُ الغذائية فيضعف ثم ينتهي امرهُ بالموت[2] وحينئذٍ يكون عرضة للتعفن والانحلال · وكذلك المحاصيل الحيوانية والنباتية كالافرازات والفضلات المشتملة على مواد بروتينية[3] تتطرق اليها انواع من المكروبات فتختمر وتحلل ما بها من المواد البروتينية والكربوهيدراتية والدهنية وغيرها من المواد المعقدة التركيب الى مركبات ابسط

---

(١) (Putrefaction) (٢) ان الاجسام الحية توفق في الغالب لاعدام المكروبات المرضية او اضعافها الى درجة تمنع ضررها فان الجسم الحي بحسن نظامهِ وبما فطر عليهِ من التيقظ الى دفع الضرر ينجو منها بطريقتين الاولى هي ان لكرات الدم البيضاء والخلايا المبطنة للاوعية الدموية واللمفاوية وغيرها من الاعضاء الباطنية اقتدارًا على الاحاطة بالمكروبات والشوائب الغريبة التي تصل الى مجاري الدم فتهضمها وتستخدمها غذاء · والثانية ان خلايا الاجسام الصحيحة تكون فيها مواد كيماوية تشبه الانزيمات تعرف بالاجسام المضادة (Anti-bodies) تتقي بها غوائل المكروبات فان حدث مرض للجسم ولم تكن الاجسام المضادة له متكونة من قبل تكونت لمقاومته حالاً والمظنون ان عمل هذه الاجسام المضادة كعمل كريات الدم البيضاء التي تقتل المكروبات المرضية (٣) (Proteins)

منها . ان انواع الاختمار التي تتم في المواد المذكورة تكون مصحوبة برائحة منتنة كريهة ناتجة عن فساد المواد الآلية النتروجينية خاصة ولذلك اطلق العلماء كلمة تعفن على الاختمار الذي يحدث في المواد البروتينية بشرط ان تكون هناك متخلفات ذوات رائحة كريهة

والتعفن او الاختمار التعفني لا يحدث في الطبيعة منفرداً بل يكون على الدوام مصحوباً بعمليات اختمار اخرى تحدث في المواد الآلية الغير النتروجينية ولهذا السبب يصعب معرفة جميع التغيرات التي تسببها انواع المكروبات المختلفة اثناء هذه العمليات

تتوقف عمليات التعفن على عدة شروط ضرورية مناسبة لحياة المكروبات التعفنية منها وجود الرطوبة الكافية والحرارة المناسبة والبيئة الصالحة فهي تكثر في الاماكن الرطبة المحتوية على كميات عظيمة من المواد الآلية النتروجينية مثل القبور واكوام السباخ والمراحيض وفي قيعان البرك والبحار ومجاري الانهار وغيرها من الاماكن التي يندر وجود الهواء فيها لان المكروبات التعفنية من المكروبات اللاهوائية التي يناسبها قلة وجود الهواء او عدم وجوده مطلقاً ومتى توفرت الشروط المذكورة وقل الهواء نشأت المركبات ذوات الرائحة الكريهة اما اذا كانت الاحوال بعكس ما تقدم كأن وجد الهواء وكثر كما هي الحالة في اكوام السباخ المفككة والتربة الزراعية المحروثة التي يتخللها الهواء بسهولة ففي هذه الحالة قد لا تتكون المواد ذوات الرائحة الكريهة البتة او تتكون ولكن اكسجين الهواء لا يسمح لها بالبقاء زمناً طويلاً بل يؤكسدها بمساعدة مكروبات الانحلال فتنقلب الى مركبات عديمة الرائحة فمثلاً يتحول الهيدروجين المكبرت ذو الرائحة الكريهة الى كبريت وماء باتحاده مع الاكسجين ثم الى حامض كبريتيك باتحاد الكبريت والماء مع الاكسجين ثم الى املاح الكبريتات باتحاد الحامض الكبريتيك بالقواعد المختلفة في الارض ومثلاً يتحول النشادر ذو الرائحة النفاذة الى حامض نتروس باتحاده مع الاكسجين ثم الحامض النتروس الى الحامض النتريك باتحاده مع الاكسجين ثم الى املاح النترات باتحاد الحامض النتريك مع القواعد المختلفة في الارض . ومثلاً يتحول الميثان[1] المعروف بغاز البرك او المستنقعات الى غاز ثاني اكسيد الكربون وماء باتحاده مع الاكسجين وكل هذه المركبات عديمة الرائحة

واول ما يحدث في عمليات التعفن للمواد البروتينية في كثير من الاحوال هو انتاج مركبات البيوموزية[2] وپپتونية[3] قابلة للذوبان في الماء ويتم ذلك بتأثير انزيمات مختلفة

---

(1) Methane (2) Albumoses (3) Peptones

تفرزها مكروبات التعفن لها وجه شبه بانزيم البيسن الذي يوجد في العصارة المعدية وبانزيم التربسن الذي يوجد في العصارة البنكرياسية فان هذين يحولان كذلك المواد البروتينية الغير الذائبة اثناء هضم الطعام الى مواد البيوموزية و ببتونية ذائبة . ثم تحول المركبات المذكورة الى مركبات اميدية[١] ابسط منها تركيباً مثل اللوسين[٢] والتيروسين[٣] والجليكوكول[٤] والحامض الاسبرتيك[٥] وزيادة على هذه المركبات التي تنشأ كدرجة وسطى بين البروتينات والنتائج الغازية الاخيرة لعمليات التعفن يتكون عدد عظيم من الحوامض الدهنية وغيرها من الحوامض كالحامض السمنيك والحامض الكبرويك[٦] والحامض البروبيونيك[٧] والحامض الفورميك[٨] والحامض الخليك والحامض اللبنيك والحامض الفلريانيك[٩] والحامض السكسينيك . وكذلك تتكون مركبات اخرى متنوعة اهمها الاندول[١٠] والاسكاتول[١١] اللذان تنسب اليهما رائحة براز الانسان والحيوان الكريهة . ثم لا تزال هذه المركبات تحول في ادوار متتالية الى عناصر ومركبات ابسط من المركبات الاولى بتأثير الانزيمات المختلفة الى ان ينتهي الحال الى النتائج الاخيرة لعمليات التعفن التي هي النتروجين والهيدروجين والنشادر وثاني اكسيد الكربون والهيدروجين المكبرت[١٢] والميثان وغازات اخرى تتصاعد الى الجو او تبقيها مياه المطر في الارض فيؤكسد بعضها الى مركبات اخرى عديمة الرائحة كما تقدم

الانحلال[١٣] — الانحلال كالتعفن يحدث في المواد الآلية بواسطة مكروبات مخصوصة وهو يتميز عن التعفن بامرين الاول انهُ يحدث بواسطة مكروبات هوائية تعمل عملها عند ما يكون الاكسجين كافياً والثاني انهُ يتم انحلال المواد الآلية الى عناصر ومركبات معدنية بسيطة عديمة الرائحة

التوكسين[١٤] والتومين[١٥] — لوحظ بين المحاصيل المكروبية التعفنية بعض المواد السامة التي وان لم تعرف حقيقة اكثرها كيماوياً فقد عرف انها مسببة للامراض في الغالب وانها تختلف في اصلها وفعلها كثيراً

---

(١) Amides (٢) Leucin (٣) Tyrosin (٤) Glycocol (٥) Aspartic acid

(٦) Caproic acid (٧) Propionic acid (٨) Formic acid (٩) Valerianic acid

(١٠) Indol (١١) Skatol (١٢) Sulphuretted Hydrogen (١٣) Decay

(١٤) Toxin (١٥) Ptomaine

هذه المحاصيل اما ان تكون انزيمات افرزت لتذيب غذاء المكروبات واما ان تكون فضلات طردت من اجسام المكروبات كما يطرد البول من جسم الانسان والحيوان او انها نتجت من نفس المواد المتعفنة بعمل المكروبات . وقد اطلق العلماء على كل من النوعين الاول والثاني كلمة توكسين[1] وعلى النوع الثالث كلمة تومين . فالتوكسين يراد به المادة المتكونة في جسم المكروبات المرضية كمكروب التتانوس والدفتيريا وغيرهما او انهُ محصول الخلية المكروبية السام ويكون عادةً اشد فعلاً في التسميم من التومين . وقد يبقى التوكسين داخل الخلية فيسمى التوكسين الداخلي[2] او يفرز منها الى البيئة التي تعيش فيها ويسمى التوكسين الخارجي[3] . والتوكسينات عموماً تذوب في الماء ولم تعرف حقيقتها الكيماوية تماماً الى الآن وهي غير ثابتة تفقد خواصها اذا تركت زمناً طويلاً وتنعدم اذا عرضت للحرارة على درجة مخصوصة او للضوء

اما التومين فهو عبارة عن مادة قاعدية نتروجينية اكثر انواعها سام جداً ومسبب لنتائج مميتة ويتكون عادةً في اللحوم المتعفنة وفي الجبن وما اشبه ذلك . ومن صفاته انهُ لا ينعدم بمجرد الطبخ المعتاد بل يبقى حافظاً لقوته فاذا اكل الانسان او الحيوان من الاطعمة المحتوية عليه تسمم جسمهُ وربما مات ايضاً بسبب ذلك . والتومينات كثيرة يعرف منها الكداڤرين[4] والبيوترسين[5] اللذان فصلهما العالم بريجر[6] من لحوم الحيوانات والاسماك المتعفنة والكولين[7] والبتين[8] وغيرها . والانواع المذكورة لا تكون سامة الأ اذا وجدت في الطعام بكميات وافرة . وهناك انواع اخرى سامة جداً حتى لو اخذت بكميات قليلة مثل المسكرين[9] الذي يتولد في السمك المتعفن والنيورين[10] الذي يتولد من لحوم الحيوانات المتعفنة والتيروتوكسيكون[11] الذي يتكون من الجبن المتعفن وغيرها

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) كان العلماء يطلقون كلمة توكسين على التومين ايضاً بالنظر الى خصائصهِ السامة ولكنهم فرقوا فيما بعد بين مدلول التوكسين والتومين على ما في الاصل

(٢) Endo-toxin (٣) Exo-toxin (٤) Cadaverine (٥) Putrescine

(٦) Brieger (٧) Choline (٨) Betaine (٩) Muscarine (١٠) Neurine

(١١) Tyrotoxicon

ايطاليا والحرب

انضمت ايطاليا الى الحلفاء في هذه الحرب الطاحنة واعرب وزيرها الاول عن السبب الذي دعاها الى ذلك وهو انها انضمت الى النمسا والمانيا وكونت معها المحالفة الثلاثية لغاية شريفة وهي حفظ الموازنة السياسيَّة في اوربا ومنع الحرب. ولكن النمسا اغفلت هذه الغاية باعتدائها على السرب الاعتداء الذي اثار هذه الحرب الاوربية. وقد فعلت النمسا ذلك من غير ان تستشير ايطاليا. وكانت قد فعلت في البلقان افعالاً من شأنها الاجحاف بحقوق ايطاليا فوق ما فعلتهُ من تهديدها وقت الحرب الطرابلسية . فتذرعت ايطاليا الآن الى خوض غمار الحرب بطلبها البلدان التي سواد سكانها من الايطاليين او التي مصالح ايطاليا فيها تفوق مصالح النمسا ولما لم تجبها النمسا الى طلبها شهرت الحرب عليها في ٢٣ مايو بعد اخذ ورد طال امرهما. ولما قام الساسة الالمان والنمسويون يلومون ايطاليا ويقرعونها بقوارص الكلم نهض السنيور سلندرا رئيس وزرائها وخطب في الكابتول خطبة مفعمة بالحجج قال فيها ما ترجمتهُ

« ارسل كلامي الآن الى ايطاليا العظيمة والى سائر العالم . ولكنني اخالف الساسة الالمان والنمسويين فلا اسب مثلهم ولا اشتم شتمهم بل انا اورد الحقائق والادلة لابيّن لكم عظم جهاد اعدائنا في انقاصنا قدرنا والقضاء على حقوقنا وآمالنا . فقد علّمنا جلالة الملك في خطابهِ الى جنودنا البرية والبحرية ان لا نلقي الكلام على عواهنهِ ولا نرسلهُ من دون ان نتثبتهُ ونمحصهُ فمقامنا وعظمة بلادنا يقضيان علينا بالتأني والاحتراس

« ان السياسة الخرقاء التي نهجتها المانيا والنمسا في يوليو الماضي اضطرتهما هذه الايام الى شتمنا وسبنا في كلامهما عنا لتلقيا تبعة اعمالهما علينا وتزيدا جنودهما كرهاً لنا وحقداً علينا

« اما انا فلا قبل لي بان اجاريهما على التفوه بالفاظ هي من بقايا العصور الغابرة لانني في بلاد تفاخر وتباهي بمدنية القرن العشرين

« يزعم رجال حكومتي المانيا والنمسا اننا دسنا المعاهدات فهل هم على حق في زعمهم وهم هم الذين قتلوا النساء وحرقوا المدن والقرى ودكوا صروح العلم ومزقوا المعاهدات واغرقوا الابرياء وداسوا المدنية والقوانين الدولية

« اننا لم نمزق معاهدة التحالف الثلاثي تهوراً ونزقاً بل خرجنا منها لسبب موجب . فقد بعث السنيور سان جليانو ناظر الخارجية في ٢٥ يوليو الماضي تلغرافاً طويلاً الى حكومة

فينا شرح لها فيهِ خطة ايطاليا . وقال ان تعدي النمسا على سربيا من غير مشاورة ايطاليا في الامر يقضي على المحالفة الثلاثية و يضطر حكومة رومية الى ترك حليفتيها . وفي ٢٧ يوليو و ٢٨ منهُ عرضنا مطاليبنا على حكومتي برلين وفينا وقلنا ان رفض هذه المطاليب يقضي علينا بانتهاج الخطة التي تلائم مصالحنا ومرافقنا

« يقول الكونت تسرا ان النمسا ابلغتنا انها لا ترغب في ضم بعض املاك سربيا اليها. فهذا القول لا صحة لهُ . و يؤيد نفي لهُ ان سفير النمسا في رومية ابلغ المركيز دي سان جليانو في ٣ يوليو الماضي ان حكومتهُ قد تضطر الى امتلاك بعض المقاطعات السربية . وقال الكونت برختولد لدوق افارنا (السفير الايطالي في فينا) في ٢٨ يوليو ان النمسا لا يسعها ان تعد وعداً جازماً بانها تحافظ على استقلال سربيا

« وحقيقة الامر ان النمسا والمانيا كانتا تعتقدان اننا ضعفاء وتظنان ان في استطاعتهما ان تغلا ايدينا الى اعناقنا ببضعة ملايين من الفرنكات تنفقانها على الدسائس فتوقعان بين الحكومة والامة نفوراً وشقاقاً

« ولقد كان الجنرال كوناردي هوتزندروف رئيس اركان الحرب في الجيش النمسوي يفكر دائماً في ان وقوع الحرب بين النمسا وايطاليا محتمل بسبب حوادث البلقان حتى لقد قال « ان ايطاليا تستعد جهدها لقتالنا وستقدم على ذلك متى وجدت اليهِ سبيلاً . وهي تدأب الآن في احباط مساعينا في البلقان فعلينا ان نضربها ضربة تقصم ظهرها فنتخلص في المستقبل من شرها » . واسف هذا الجنرال لان النمسا لم تشهر الحرب على ايطاليا سنة ١٩٠٧ . ولم يكتم ناظر خارجية النمسا عنا ان الاندية النمسوية العسكرية تميل الى محاربتنا لتقضي على آمال الايطاليين الذين في النمسا

« ولقد اظهرنا في اثناء المفاوضات مع النمسا رغبة اكيدة في حسم المشاكل الحاضرة حسماً سلمياً . فتبعة الحرب وتبعة فسخ المعاهدة الثلاثية واقعتان على النمسا وحدها لان ما عرضتهُ علينا لا يتفق مع مصالحنا الحيوية التي هي اولاً الدفاع عن الفكرة الايطالية . وثانياً تعديل الحدود التي أُرغمنا على قبولها سنة ١٨٦٦ . وثالثاً تحسين موقفنا في بحر الادرياتيك . فكل هذه المطاليب الحقة رفضتها النمسا رفضاً باتاً

« وقد كفلت المانيا ان تحقق وعود النمسا لنا بعد الحرب ولكن من يكفل لنا ان المانيا تستطيع المحافظة على كلامها ؟ . ومهما يكن من الامر فاننا لو قبلنا ذلك لصارت المحالفة الثلاثية عبارة عن دولة حاكمة او دولتين حاكمتين

انا لا اريد ان اتكلم عن المانيا الاَّ بالاحترام والاعجاب لانني رئيس وزارة ايطاليا ولست وزير الامبراطورية الالمانية فافقد رشدي وصوابي . فمع احترامي لها واعجابي بقوتها وعملها وعظمتها وشجاعتها وحسن نظامها لا يسعني ان اضع بلادي تحت حمايتها . فالغاية التي نتوخاها من هذه الحرب ابرام صلح على اساس استقلال العناصر بحيث تكون المانيا مساوية لسواها من الدول لا سيدة العالم

« اعتقد ان البرنس بيلوف كان محبًّا لايطاليا وانهُ بذل ما في وسعهِ لارضائها ولكنهُ ارتكب في سياستهِ خطاءً عظيمًا محا جميع حسناتهِ . توهم انهُ يستطيع استمالة ايطاليا واكتسابها ببضعة ملايين وزعها على اناس فقدوا ثقة الامة (تصفيق شديد) وبالدسائس التي دسها في بعض الاندية السياسية ولكنني علمت ان هذا البعض لم يوافقهُ على مرامهِ

« ولما رأت الامة الايطالية ان شرفها اهين وان سفيراً اجنبيًّا يبذر في بلادها بذور الشقاق ليوقع النفور بين الحكومة والامة ومجلس نواب الامة قامت الامة قومة واحدة للدفاع عن شرفها والذود عن كرامتها وتحقيق امانيها في ساحات القتال »

واشار الوزير في هذه الخطبة الى خطة النمسا وقت الحرب الطرابلسية وكان ظاهرها الانتصار لتركيا على ايطاليا . ولو كان هذا الانتصار مجرداً عن كل غاية نفسية لحق لها المدح عليهِ ولكن اتضح بعد ذلك اولاً ان المانيا كانت تفكر في امتلاك طرابلس الغرب فغاظها ان ايطاليا سبقتها الى ذلك وثانيًا ان المانيا كانت تتوخى امتلاك البلاد العثمانية كلها او جعلها تحت سيطرتها للتوصل منها الى الهند فلا يوافقها ان ترسخ قدم ايطاليا في البلقان ولذلك قاومتها جهدها بواسطة النمسا وكادت تحرمها من ثمار حربها

وايطاليا اقدم الممالك الاوربية بعد اليونان ولقد بلغت في زمن يوليوس قيصر وخلفائهِ مبلغًا لم تبلغهُ دولة اخرى في سعة الملك الاَّ الدولة الانكليزية في هذا العصر ثم انقسمت الى دولتين شرقية وغربية وتقلَّص ظلها رويداً رويداً وتقلَّبت الشؤُون على ايطاليا وسكانها الى ان انضموا حديثًا تحت لواء بيت سافوى في اواسط القرن الماضي فتكونت منهم المملكة الايطالية الحالية

وكان عدد سكان الولايات التي تتألف منها هذه المملكة نحو ١٦ مليونًا سنة ١٨١٦ ثم زادوا رويداً رويداً كما ترى في الجدول التالي

سنة ١٨٦٢	٢٥٠٠٠٠٠٠	سنة ١٩٠١	٣٢٤٧٥٠٠٠
« ١٨٧٢	٢٦٨٠١٠٠٠	« ١٩١٢	٣٤٨١٣٩٧٥
« ١٨٨٢	٢٨٤٦٠٠٠٠	« ١٩١٣	٣٥٢٨٨٩٩٧

وذلك عدا الايطاليين الذين هاجروا من ايطاليا وقد قدر عددهم سنة ١٩١٠ باكثر من خمسة ملايين ونصف مليون

ولا يخفى ان عدد الرجال الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ هو في الغالب نحو ١٤ في المئة من السكان فيكون عند ايطاليا نحو خمسة ملايين نفس في سن الخدمة العسكرية واذا جندت نصفهم فقط كان لها من الجنود مليونان ونصف مليون

وقد كانت ميزانية الحكومة الايطالية في العام الماضي من الدخل ١٠٦ ٢٧٩ ٨٣٦ جنيهاً ومن النفقات ١٠٤ ٨٣٧ ٤٨٤ جنيهاً اي ان دخلها يزيد على نفقاتها ٠ وعليها دين كان مقدارهُ منذ ثلاث سنوات ٥٥٠ مليون جنيه رباها السنوي ١٨ مليون جنيه ولكن كان عند الحكومة حينئذٍ من الاملاك والمعامل والنقود ما يساوي نحو ٣٣٠ مليون جنيه

والذين يبلغون السن الصالح للخدمة العسكرية كل سنة يؤْخذ ثلثهم للجندية ويمرنون التمرين التام والثلث يحسب احتياطياً ويمرَّن التمرين الكافي للاحتياطي ويعاد تمرينهُ من وقت الى آخر والثلث الثالث لا يمرَّن مطلقاً ولذلك فالثلثان الاولان يبلغان بحسب التعديل السابق ثلاثة ملايين وثلث وهذا مطابق للواقع فان عدد الجيش الايطالي وقت الحرب من النظامي والرديف والاحتياطي والمحلي ٣٢٢٠٠٠٠ ونحو نصفهِ متعلم التعليم العسكري التام

وعند ايطاليا ١٥ بارجة بعضها من نوع الدردنوط و ١٠ طرادات مدرعة وهي من البوارج و ١٦ طراداً خفيفاً و٣٣ مدمرة و٩٤ من سفن التربيد و٢٠ غواصة ٠ ويعد اسطولها الرابع في اوربا فلا يفوقهُ الاَّ الاسطول الانكليزي والالماني والفرنسوي

ولا شبهة ان انتصار ايطاليا لدول الحلفاء وانضمامها اليهنَّ يزيد هذه الحرب هولاً ولكنهُ يقصر مدتها عدا عمَّا لهُ من التأثير الادبي لانهُ اعتراض صريح على خطة المانيا والنمسا وتخطئة لسياستهما ٠ ومن الغريب ان المانيا لم تشهر الحرب على ايطاليا حتى كتابة هذه السطور مع ان هجوم ايطاليا على النمسا يوجب على المانيا ان تنتصر لها وتحارب ايطاليا معها حسب المعاهدة الثلاثية الاَّ اذا حسبت ان النمسا هي المهاجمة ٠ ويقال ان المانيا احجمت عن شهرها الحرب على ايطاليا لان رومانيا تضطر حينئذٍ ان تنتصر لايطاليا حسب اتفاق سابق بينهما

وغاية ما يرجى ان تبلغ هذه الحرب غايتها العظمى وهي الضرب على ايدي مثيري الحروب حتى تبطل الحرب بزوال مسببّاتها وان يتم ذلك باسرع ما يمكن من الزمن واقل ما يمكن من مهج الرجال و بدرات الاموال

الالغام البحرية

اللغم والطربيد شقيقان نشأا سوية ثم تميز كلٌّ منهما عن الآخر . والفرق بينهما هو ان للطربيد جهازاً يسيرهُ الى هدفهِ وليس للغم جهاز مثلهُ . وقد شرحنا تركيب الطربيد ونشوءهُ في مقتطف فبراير الماضي ونحن شارحون الآن نشوء اللغم وتركيبهُ وطرق بثهِ واتقائهِ

يرجح ان اول من توفق الى صنع الالغام التي تنفجر تحت الماء بشنل الاميركي الذي كان لهُ شأن في اختراع الغواصات . ولم يكن احد يصدق انهُ يمكن اشعال البارود او مادة اخرى قابلة للانفجار تحت الماء فدعا بشنل جماعة من ذوي الوجاهة في ولاية كونكتيكت احدى الولايات المتحدة الاميركية واشعل امامهم رطلين من قطن البارود على عمق اربعة امتار تحت سطح الماء في نهر من انهر تلك الولاية . فانفجر القطن بشدة ورفع عموداً من الماء والحصى

وحدث بعد ذلك ان بشنل استاء من عدم اكتراث ذوي الشأن للغواصة التي كان يشتغل بتحسينها فوجَّه كل همتهِ الى تحسين الالغام فنال بعض النجاح في ذلك حتى صار البحارة الانكليز يخشون الالغام الاميركية في حرب استقلال الولايات المتحدة وامر اميرال الاساطيل الانكليزية جميع بوارجهِ ان تطلق مدافعها على كل ما تراهُ في الماء وتظنهُ لغماً

وبعد ذلك اشتغل فلتون المخترع الاميركي المشهور بتحسين الالغام راجياً ان يتقن صنعها ويسهّل تدمير البوارج الحربية لكي لا تبقى للدول اساطيل فيكفى البشر بذلك شر الحروب البحرية ان لم يكفوا شر الحروب كلها

ولما تم لهُ بعض ما اراد عرض اختراعهُ على الحكومة الفرنسوية لكي تستخدمهُ في حروبها البحرية فلم تبالِ كثيراً باختراعهِ . فعرضهُ على الحكومة الانكليزية فراق اختراعهُ رجال البحرية الانكليزية فاستخدموهُ في حربهم مع الفرنسو بين سنة ١٨٠٥ فكانوا يسيّبون الالغام في مجاري الماء الجارية نحو البوارج الفرنسوية فتنفجر اذا اصطدمت بها وترفع الماء فينصبُّ على البحارة ولكنها لم تأتِ بضرر يذكر فأُهملت

واول من استعمل الالغام البحرية لتحصين الموانئ الروس وذلك في حرب القرم (من سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٥٦) اذ بثوا الالغام امام موانئ سباستوبول وسفيبرج وكرونستات لكي تغرق بها بوارج الحلفاء اذا حاولت اقتحام هذه الموانئ . وكان في كل لغم منها ١٢ كيلوغراماً من قطن البارود وانبوب من الزجاج الرقيق السريع الانكسار فيهِ حامض كبريتيك ومعهُ مواد اخرى لاجل اشعال البارود عندما تصدم بارجة اللغم وينكسر انبوب الزجاج

وأُغرق في الحرب الاهلية الاميركية بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٦٥ ثماني عشرة بارجة بالالغام البحرية · ومست البارجة البرازيلية ريودى جانيرو لغماً عائماً في الحرب التي وقعت بين البرازيل وبراغواي (من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٤) فاغرقها

وسنة ١٨٧٠ بث الالمان كثيراً من الالغام البحرية امام موانئهم لتغرق بها البوارج الفرنسوية ولكن الفرنسويين لم يقربوا منها

وفي الحرب الروسية اليابانية (من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٥) اصيب بالالغام اربع بوارج روسية وست عشرة سفينة يابانية بين كبيرة وصغيرة

واهم الالغام هي الثابتة التي توضع في مكان مخصوص فلا تنتقل منهُ وهي على نوعين (١) الالغام الراسبة وترسل الى قاع البحر ويرقبها اناس يشعلونها عند اللزوم و (٢) الالغام العائمة وتكون على عمق مخصوص تحت سطح الماء وتنفجر اذا مستها بارجة او مركب من اي نوع كان

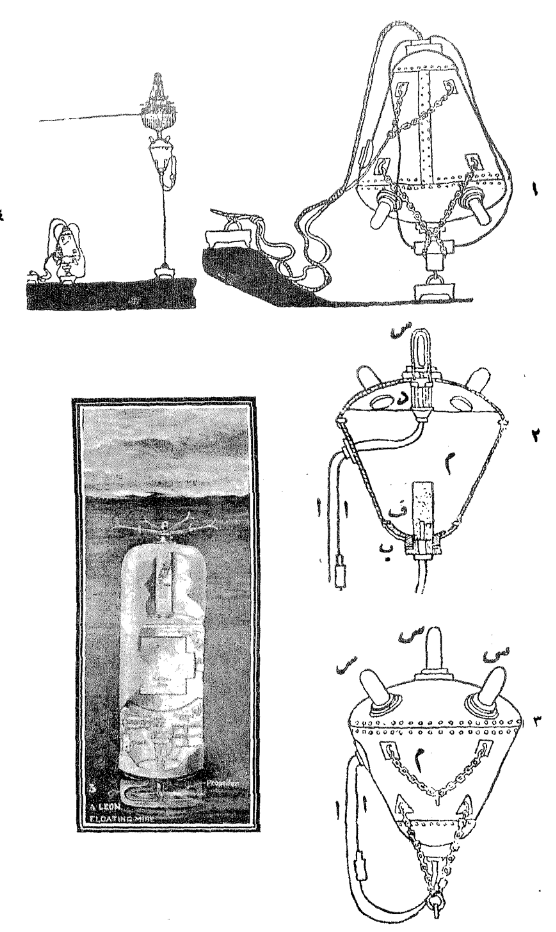
واكثر ما تبث هذه الالغام في المضايق وقرب المرافئ والحصون فتكون خطراً كبيراً على البوارج التي تدنو منها

وتجعل الالغام الراسبة اثقل من الماء لكي ترسب وتستقر في قاع البحر والغالب ان تكون مستديرة الشكل لان الشكل المستدير يقوى على احتمال الضغط واذا مرت بهِ مجاري الماء لم تحملهُ كما تحمل غيرهُ · وغلاف هذه الالغام من الصاج المغشى بالزنك او من الصلب · وتحشى بقطن البارود المضغوط الرطب يوضع معهُ قليل من قطن البارود الجاف ليشعلهُ · ويُشعل قطن البارود الجاف املاح سريعة الاحتراق يحرقها مجرى كهربائي يرسلهُ القائمون على الالغام

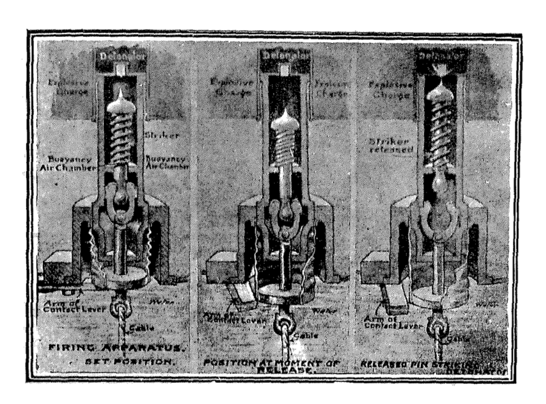
ولا فرق بين الالغام الراسبة التي تستعملها الدول الا في الحجم ومقدار ما يوضع فيها من قطن البارود · ويختلف ما يوضع في اللغم الواحد من قطن البارود بين مئتين وخمسين كيلو غراماً الى سبع مئة

وتبث هذه الالغام صفوفاً مستقيمة في ممار السفن ويجعل البعد بين الواحد والآخر بحيث لا تستطيع سفينة ان تمر عليها من غير ان تمس احدها

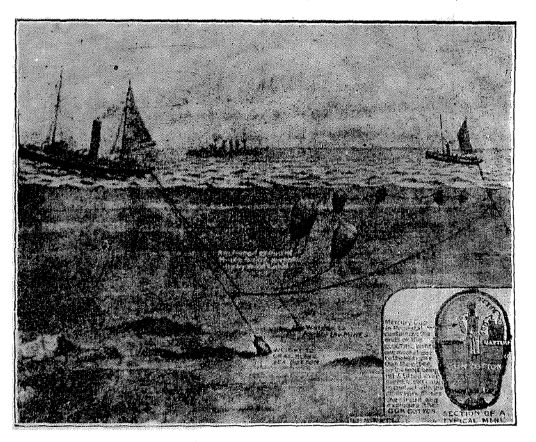
ويرقب كل صف من الالغام رجلان على الشاطىء يكون احدهما على امتداد الخط الذي تمتد فيهِ الالغام والآخر قبالتها · واذا اقبلت بارجة معادية عرف الثاني على اي لغم تمر فيصل المجرى الكهربائي لذلك اللغم · ويتربص الاول الى ان يراها دنت من صف الالغام فيطلق الكهربائية فينفجر اللغم المقصود · ويتخاطب الرجلان بالتلفون ولدى كل منهما



(١) لغم قديم راسٍ في البحر (٢) هذا اللغم مشقوق ليرى باطنه (٣) هذا اللغم افلت وتعرضت انابيبه س س س لتمسها سفينة وتكسرها (٤) هذا اللغم ارتفع ومسته سفينة (٥) لغم عائم يبث في الابحر العميقة فيلطم القاع اذا غرق ويصعد من نفسه الى قرب وجه الماء



كيفية اشغال بعض الالغام من الداخل بلولب يضرب الكبسول



تنظيف البحر من الالغام

المقتطف صفحة ٦٥ مجلد ٤٧

نظارات وآلات لمراقبة البوارج وتقدير ابعادها .

وقد يبطَّن غلاف الالغام الراسبة بالسمنت فيمنع وصول الماء الى قطن البارود ويزيد ثقل اللغم فلا تحركهُ مجاري الماء . ولا يمكن بث الالغام الراسبة في كل مكان من البحر لانهُ اذا كان بعيد القاع لم يعد انفجارها في قاعهِ يؤثر في البوارج فضلاً عن ان ضغط الماء في العمق يحطم اللغم

فاذا كان البحر المراد بث الالغام فيهِ بعيد القاع بث فيهِ الالغام العائمة التي تشتعل من نفسها اذا صُدمت . وهذه الالغام اخف من الماء تطفو اذا تركت فيهِ ولكنها توضع على عمق مخصوص تحت سطح الماء وتربط باثقال ترسل الى القاع . واذا اريد بثها حيث يتوقع ان تمر بها سفن اصحابها كما تمر بها سفن العدو جُعلت من النوع الذي لا ينفجر بمجرد الاصطدام ووصلت بالشاطىء بسلك كهربائي يقوم عليهِ رجل يطلق الكهربائية فيهِ عند ما يرى بارجة معادية فتصيرها الكهربائية قابلة للانفجار بمجرد الاصطدام .

وقد تبث هذه الالغام في المضايق وعند مداخل الموانئ قبل وقوع الحرب ولكنها ترسل الى القاع مع الاثقال المنوطة بها ويجعل لها اجهزة فيها مواد قابلة للانفجار فاذا وقعت الحرب واحتيج اليها ارسلت الكهربائية في اجهزة الاربطة فيشتعل ما فيها من المواد القابلة للانفجار ويحل الالغام فترتفع من القاع وتعوم على العمق المطلوب تحت سطح الماء

واذا ارادت دولة حصر ميناء او مضيق لعدوها بثت مثل هذه الالغام بالقرب منهُ . وقد تربط بعضها ببعض حتى اذا مر مركب بين اثنين منها علق بهِ السلك الذي يربطهما وادناهما منهُ ليصطدم بهما . وقد علقت البارجة الروسية بتروباولوفسك بلغمين مربوطين على هذه الطريقة امام بورت ارثر في شهر ابريل سنة ١٩٠٤ في اثناء الحرب الروسية اليابانية

وتبث هذه الالغام ببواخر مخصوصة تبنى لهذا الغرض وقد كان عند الانكليز منها عند ابتداء الحرب الحاضرة سبع بواخر وعند الالمان ثلاث . ولكن كل دولة من الدول البحرية كانت قد اعدت الاجهزة والآلات اللازمة لتحويل البواخر التجارية الى بواخر لبث الالغام . وقد جرب كثيرون ان يبنوا غواصات تبث الالغام فلم يفلحوا على ان البعض يرجحون ان ذلك قد تسنى للالمان والاَّ لما تمكنوا من بث الالغام في بحر الشمال وبحر المانش وبحر ارلندا والاساطيل الانكليزية واقفة لهم بالمرصاد . زد على ذلك ان الجرائد الالمانية ذكرت مثل هذه الغواصات مراراً

والاجهزة التي تشعل الالغام التي تشتعل من نفسها عند الاصطدام على انواع . فمنها اجهزة كهربائية يكون المجرى الكهربائي فيها مقطوعاً حتى اذا صدم اللغم شيء من الخارج

تحرك فيهِ ثقل او مخل او ما اشبه فوصل قطبي المجرى واشعل اللغم · ومنها ما يكون فيهِ رفاس او ما اشبه تفلتهُ الصدمة فيشعل مادة مخصوصة كما يشعل زناد البندقية كبسولة الخرطوشة · ومنها ما يجعل فيهِ اوعية من الزجاج الرقيق السريع الانكسار تملأُ مواد تولد ناراً اذا امتزجت بعضها ببعض كالحامض الكبريتيك وكلورات البوتاس مثلاً فاذا صُدم اللغم انكسرت الاوعية الزجاجية فامتزجت هذه المواد واشعلت البارود · ويظهر ان الدول — ما عدا المانيا — صارت تقلل استعمال هذه الالغام الآن لانها خطر على بوارج اصحابها كما هي خطر على بوارج اعدائهم ولان الامواج قد تحملها الى كل جهة

المواد التي تحشى بها الالغام البحرية — اكثر ما يستعمل في حشو الالغام البحرية قطن البارود المضغوط الرطب وهو يصنع بتنظيف القطن وتغطيسهِ في محلول غالٍ من البوتاس الكاوي وغسلهِ مراراً بالماء بعد ان يجف · ثم يغطس في مزيج من جزء من الحامض النتريك وجزئين من الحامض الكبريتيك فيخرج قابلاً للانفجار ثم يقطع ويضغط على اشكال متنوعة

ولكن قطن البارود الجاف شديد الخطر لسرعة اشتعالهِ فلا يستعمل جافًّا الاَّ بمقادير قليلة جدًّا وذلك لاشعال غيرهِ من المواد القابلة للانفجار · ويُتقى خطرهُ بترطيبهِ بالماء فانهُ اذا رُطّب قلَّ خطرهُ وصار يمكن ان يُقطع بالسكين وينشر بالمنشار من غير حذر كأنهُ خشب · وقد تصيبهُ رصاصة او قنبلة فلا ينفجر واذا ادني من النار اشتعل رويداً رويداً من غير انفجار

وقد اجتهد الكيماويون كثيراً في ان يكتشفوا مادة غير قطن البارود تكون شديدة الانفجار مثلهُ ولا يلزم ان ترطب اتقاء لخطرها ويقال ان الالمان استبدلوهُ بمادة اخرى يقال لها الترونيل يقولون انها لا تمتص الماء ولا تذوب فيهِ ويمكن ان تبقى فيهِ سنوات من غير ان تفقد قابليتها للانفجار · ولا تنفجر اذا ادنيت من النار ولا اذا اصابتها قنبلة · ولكن الالمان لم يعدلوا عن حشو الغامهم بقطن البارود فلو كان للترونيل هذه المزايا لعدلوا عن استعمال قطن البارود بتاتاً

اتقاء الالغام البحرية — قد اقتُرحت طرق كثيرة لاتقاء الالغام ولكنها لم تنفع كثيراً عند الامتحان · واول ما يعرض على الخاطر من الطرق لاتقاء شر الالغام هو زيادة تصفيح البوارج الى ما تحت خط الماء او تصفيحها كلها ولكن ذلك يزيد ثقل البارجة كثيراً ويعوقها · ومن طرق تخفيف ضررها قسمة البارجة الى اقسام متعددة لا ينفذ الماء من احدها الى غيرهِ

فاذا انخرقت في احد اقسامها لم ينفذ الماء الاَّ الى قسم واحد منها و بقيت عائمة · وقد مست البارجة جان بار الفرنسوية لغماً في بحر الادرياتيك احدث ثغرة فيها ولم تغرق لانها كانت مقسومة كذلك

ولكن افضل طريقة لاتقاء شر الالغام هي اشعالها او اغراقها ولا يمكن ذلك الاَّ اذا عرف موضعها · ولعلَّ افضل الطرق لاشعالها هي اشعال الالغام في الماء قريباً منها اذ تتحرك بعنف كما تحركها البارجة التي تصدمها · واذا لم تنفجر عند ذلك فالغالب ان تنشقَّ اغلفتها فتغرق

واذا اراد اسطول ان يقتحم مضيقاً او ممرًّا ارسل امامهُ البواخر الرافعة للالغام لتنظفهُ منها كما فعل الانكليز مراراً في الدردنيل · والغالب ان تكون هذه البواخر قريبة القاع لا تغور في الماء كثيراً وتسير كل اثنتين منها سوية و بينهما حبل من السلك علقت بهِ اثقال من الرصاص تنزلهُ في الماء فتتعلق بهِ الالغام وترفع · وقد كان لالمانيا من رافعات الالغام عند ابتداء الحرب عشرون سفينة ولبريطانيا اربع عشرة وكلها من الطرادات القديمة المحولة لهذا الغرض · ولكن جلَّ الاعتماد في بث الالغام ورفعها على البواخر التجارية لان العدو ينخدع بها· وقد التقى الانكليز مراراً بسفن صيد تبث الالغام في بحر الشمال · والهمة مبذولة الآن في جعل الغواصات ترفع الالغام ومزية الغواصات هي انها تقوم بذلك طي الخفاء ولا يرى منها غير اطراف مناظيرها

واشهر البوارج التي اغرقتها الالغام في هذه الحرب الطراد يورك الالماني الذي غرق في شهر نوفمبر في بحر الشمال والبارجتان البريطانيتان القديمتان اوشن وارزستبل اللتان غرقتا في الدردنيل في شهر مارس والبارجة الفرنسوية القديمة بوفه التي غرقت في الدردنيل في شهر مارس ايضاً· على ان خسائر الاساطيل بالالغام لم تبلغ في هذه الحرب حتى الآن ما بلغتهُ في الحرب الروسية اليابانية

وقد اضرت الالغام بالانكليز اكثر مما اضرت بالالمان وذلك لان البواخر والبوارج الانكليزية لم تنفك تروح وتجيء في البحار كانها ليست في حرب اما البوارج والبواخر الالمانية فلا تجسر ان تبعد عن المرافئ التي احتمت بها زد على ذلك ان الالمان بثوا الغامهم العائمة في بحر الشمال و بحر المانش و بحر ارلندا غير مبالين بقرارات مؤتمر الهاي التي وقعها مندو بوهم وصدق عليها امبراطورهم

سر النمو

في حديقة الحيوانات بالجيزة كهوف وصخور صناعيَّة من عهد اسمعيل باشا فيها نبات ورقهُ عريض مثل ورق البرتقال او اعرض ولكنهُ اسمك منهُ والين . اذا قطعت ورقة منهُ وشككتها بدبوس في جدار غرفتك لم تذبل بل نمت من جوانبها اغصان دقيقة ذات اوراق صغيرة شكلها كشكل الورقة التي نمت فيها

لا يعهد ان الاوراق تعيش وحدها اذا فصلت عن النبات الذي هي منهُ واغرب من ذلك ان تنمو منها اغصان واوراق وهي غير مزروعة في الارض . ويظهر بادئ بدء ان لا اغرب من ذلك حتى ان الذين شاهدوا هذه الاوراق اول مرة مشكوكة في جدار غرفتنا والاغصان نامية منها دهشوا اشد الدهشة . ولكن كل اطوار النمو غريبة كذلك وانما ازالت الالفة غرابتها . وما نمو الاغصان من حافة الورقة باغرب من نمو السنبلة من حبة القمح والنخلة من نواة التمر والزيتونة من بزرة الزيتون وكل النباتات والاشجار من بزورها. وهل هذا منتهى غرابة النمو ألا ترى ان الثور والاسد والفيل والذبابة والبعوضة والبرغوث وكل الحيوانات كبارها وصغارها يولد كلٌّ منها من جرثومة صغيرة لا ترى بالعين لصغرها . وان ارسطوطاليس وافلاطون والاسكندر المكدوني ويوليوس قيصر وابن سينا وابن رشد وجنكيزخان وتيمورلنك وده كارت واسحق نيوتن ومحمد الفاتح وبونابرت وكل رجل وكل امرأة من اول وجود الانسان على هذه البسيطة الى الآن كل واحد منهم تولَّد ونما من جرثومة صغيرة لا ترى بالعين لصغرها فكيف حدث ذلك وما هو سر النمو وهل في الامكان البلوغ اليهِ .

الورقة التي اشرنا اليها آنفاً تنمو فيها الاغصان اذا قُطعت من النبات ولا تنمو فيها اذا بقيت متصلة بهِ . وحبة القمح ونواة التمر وبزرة الزيتون تنمو اذا غرست ورويت ولا تنمو اذا لم تغرس ولم تروَ . والجرثومة التي يتولَّد منها الانسان والحيوان تنمو اذا لقحت ولا تنمو اذا لم تلقح. وكذلك حبة القمح ونواة النخل وبزرة الزيتون لا تنمو اذا لم تلقَّح اولاً ولو زرعت ورويت . وقد لا تتكوَّن مطلقاً اذا لم تلقح . فللنمو شروط بعضها معروف مألوف ولكن هذا المعروف لا يكفي لايضاح اسرار النمو كلها ولو عرفت كل هذه الاسرار لاستطعنا تكوين بعض الاحياء من العناصر التي تتركب منها كما نستطيع طبخ الصابون من الزيت والقلي وسبك الزجاج من القلي والرمل

وقد اطّلعنا الآن على مقالة للدكتور جاك لوب احد الباحثين في معهد ركفلر تليت في اكادمية وشنطون الاهلية في ١٩ ابريل الماضي[1] ضمنها خلاصة ما وصل اليهِ هو وغيره من الباحثين في هذا الموضوع فاعتمدنا عليها في كتابة السطور التالية

ان الاحياء تنمو والبلورات تنمو ايضاً ولكن نمو الاحياء يختلف عن نمو البلورات في ثلاثة امور جوهرية

الاول ان البلورات مثل بلورات الملح والسكر لا تتولد ولا تنمو الاّ في سائل مشبَّع من مادتها لكي يغذيها · واما الاحياء فتنمو ولو كان الغذاء في السائل المحيط بها قليلاً جدًّا

والثاني ان المادة التي تتكون البلورة منها يجب ان تكون موجودة في السائل مركبة كما هي مركبة في البلورة · فملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم فلا تتكون بلوراتهُ من سائل فيهِ كلور صرف وصوديوم صرف بل من سائل فيهِ المركب الكيماوي المعروف بكلوريد الصوديوم اي فيهِ ملح الطعام ذائباً فيهِ · والسكر مركَّب من الاكسجين والهيدروجين والكربون فاذا وجدت هذه العناصر في سائل لم تتولد بلورات السكر منها وانما تتولد اذا كان في السائل سكر ذائب فيهِ · واما الاجسام الحيَّة فتنمو بتناول العناصر البسيطة ممَّا حولها كأنَّ فيها قوة لتركيب هذه العناصر تركيباً كيماويًّا · فشجرة المشمش لا تستلزم ان يكون في التراب الذي تنمو فيهِ ورق اخضر ومشمش اصفر حتى تنمو منهما وانما تستلزم ان يكون فيهِ العناصر التي يتركب منها ورق المشمش واغصانهُ وثمرهُ فتأخذ هذه العناصر وتركب منها مادتها · والطفل ينمو ويزيد لحمهُ وعظمهُ وعصبهُ وشعرهُ باللبن الذي يرضعهُ من امهِ لان عناصرها موجودة كلها في اللبن

والثالث ان البلورات تنمو وتزيد نموًّا ولا تقف عند حد محدود فقد اتفق لبعضهم ان وجد بلورة من الزبرجد طولها نحو متر مع ان بلورات الزبرجد صغيرة غالباً واما الخلية التي يتألف منها الجسم الحي فلها حد من النمو تبلغهُ ولا تزيد عليهِ ومتى بلغتهُ انقسمت الى اثنتين او اكثر فتتكوّن الاجسام الحية من خلايا كثيرة بالانقسام على هذه الصورة

واذا كانت الخلايا التي يتألف منها الجسم الحي تغتذي وتنمو وتنقسم على هذه الصورة فما دام الغذاء متوفراً لها وما دامت قادرة على تناول هذا الغذاء والاغتذاء بهِ وجب ان تبقى حيَّة

(1) The Stimulation of Growth, by Dr. Jacques Loeb. Read at the meeting of the National Academy in Washington on April 19-1915.

نامية . وهذا هو الواقع حسب الظاهر في كثير من الاشجار فان منها ما يعمّر الوفاً كثيرة من السنين و يبقى حيًّا نامياً . وهو الواقع ايضاً على ما يظهر في كل ما يفصل من النباتات والحيوانات ليكون اصلاً لغيرهِ اي في البزور والبيوض فيخلد النبات ببزرهِ والحيوان خالد ببيضهِ . وقد قطع الدكتور كارل قطعاً صغيرة من فرخ طائر وجعل يقدم لها الغذاء الذي تغتذي بهِ فمضى عليها الآن ثلاث سنوات وهي حيَّة تنمو وتزيد كأنها لا تزال في جسم الفرخ . وقد يظهر باديء بدء انها ستبقى حيَّة على الدوام ما دام الغذاء يقدَّم لها ولكن هذا غير الواقع لان للخليَّة اجلاً محدوداً كما للحي الكبير فمتى بلغتهُ عجزت عن زيادة الاغتذاء والنمو فتنقسم حينئذٍ الى خليتين او اكثر . ولا يجري نمو الخلايا على نسق واحد بل بعضها ينمو من هذه الجهة و بعضها من غيرها ولولا ذلك لكانت الاحياء كلها كرات مستديرة . ولا تتنوع اشكال الاشجار والحيوانات واعضاؤُها الاَّ لان الخلايا التي تتركب منها تنمو على اساليب مختلفة في جهات مختلفة

وقد تنقسم الخلية الى اثنتين او اكثر اذا هُيّجت كما تنقسم اذا نمت واكثر ما يقع ذلك في البيضة فانها تشرع تنقسم اذا لقحت ولو لم يزد نموها حينئذٍ اي ولو لم يزد حجمها بل لو صار اصغر ممَّا كان ولكن البيضة لا تكون حينئذٍ في جرم الخلية الاصلية بل تكون قد نمت كثيراً قبلما لقحت . فبقي النمو شرطاً لازماً يتقدَّم الانقسام والغالب ان تبلغ جرثومة البيضة حدها من النمو وتقف عندهُ مع كثرة الغذاء حولها كما ترى في بيض الطيور فان البيضة منهُ تبتديء صغيرة جدًّا وتكبر الى ان تصل الى حد معلوم فتقف عندهُ ولا تزيد عليهِ مطلقاً . ولكن اذا لقحت قبل ذلك ووضعت في مكان حرارتهُ كافية لنمو الفرخ فيها فان اللقاح الذي دخلها يهيج الجرثومة التي فيها حتى تغتذي من الغذاء الذي حولها وتنمو وتنقسم و يزيد نموها وانقسامها رويداً رويداً الى ان يصير منها فرخ كامل بلحمهِ وعظمهِ وريشهِ واعضائهِ المختلفة . اما اذا لم تلقح جرثومتها بقيت على حالها معها كثر الغذاء حولها . فما هو الشيء الذي يمنع جرثومة البيضة من النمو وما هو الشيء الذي يجعلها تنمو اي يزيل هذا المانع . ان مباحث العلماء في هذا الباب كشفت القناع عن بعض اسرارهِ

اذا دخل اللقاح بيضة توتيا البحر تغيَّر سطحها حالاً فانها تحوّط نفسها بما يسمى بغشاء التلقيح . واذا احدثنا هذا الغشاء فيها ببعض المواد الكيماوية بدلاً من التلقيح ورددناها الى ماء البحر جعلت تنمو من نفسها من غير تلقيح ولكن اذا كانت حرارة الماء عالية نوعاً لم يستمر نموها واما اذا لقحت تلقيحاً فان نموها يستمر ولو كانت الحرارة عالية نوعاً . اي ان النمو يبتديء

بالمؤثر الكيماوي كما يبتدئ بالتلقيح الطبيعي ويبقى الفرق في ان الحرارة تُبطِل الاول ولا تبطل الثاني كأنَّ تأثير المؤثر الكيماوي يكفي للشروع في النمو ولكنهُ لا يكفي لاستمراره. ويمكن جعلهُ كافياً بان تعالج البيضة ايضاً بمحلول مقوّ او بان يطال استعمال المؤثر الكيماوي مع قلة في الاكسجين فاذا عولجت البيضة كذلك نمت نموًّا تامًّا وتولّدت توتيا البحر منها على درجة الحرارة المعتاد ولكن توتيا البحر المتولدة كذلك يموت منها اكثر مما يموت من التوتيا التي تلقح باللقاح الطبيعي كأنها تحتاج الى علاج ثالث يجعلها مثل الملقحة تلقيحاً طبيعيًّا

ولماذا يحتاج نمو البيضة الى تكوين الغشاء عليها اولاً او ما علاقة هذا الغشاء بالنمو سواء لقحت تلقيحاً طبيعيًّا بلقاح الذكر اوصناعيًّا بالمعالجة ببعض المواد الكيماوية. لقد وجد الدكتور لوب ان البيضة الملقحة لا تنمو اذا قطع الاكسجين عنها ثم اذا اعيد الاكسجين اليها عادت الى النمو فاستنتج من ذلك ومن قرائن اخرى ان غشاء التلقيح يزيد اخذ البيضة للاكسجين سواء كان طبيعيًّا او صناعيًّا. وثبت ذلك بالامتحان فقد وجد دربرج ووستنز ان دخول اللقاح الى البيضة يزيد التأكسد من ٤٠٠ في المئة الى ٦٠٠ في المئة وان تكوين غشاء التلقيح بالحامض الزبديك يزيد التأكسد على هذه النسبة تماماً

وواضح من ذلك ان التغيير الذي يحدث في البيضة فيزيد تأكسدها انما يحدث في سطحها او في طبقتها السطحية وغايتهُ تكوين الغشاء على سطحها وهذا الغشاء يمكن تكوينهُ بكل مادة تشق الخلية وتكون منها غشاء على سطحها فكل مادة تشق الخلية تكوّن هذا الغشاء وتجعل البيضة تنمو ولو لم تكن ملقَّحة ولكن لا بد من ان تبعد حينئذٍ عن هذه المادة بعد ما يتكوَّن غشاؤُها والأ هُتك جسمها كلهُ وتعذَّر عليها النمو بعد ذلك

فالقوة التي تجعل البيضة تنمو محلُّها في سطح البيضة وهي تقوم بتغيُّر في الطبقة القشرية من البيضة يتبعهُ زيادة في التأكسد. والظاهر ان زيادة التأكسد هذه متوقفة على الحديد الذي في قشرة البيضة فانهُ يصير حينئذٍ يتناول الاكسجين من الهواء ويعطيهِ الى ما حولهُ فينمو بهِ

وكما تنمو خلية البيضة باللقاح او بمادة كيماوية تولد منها غشاء التلقيح وتحركها للنمو كذلك تنمو الخلايا في جسم الانسان بفعل مادة كيماوية في الدم ولولاها لبطل نموها ونمو الانسان وسنفصل ذلك في الجزء التالي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مس غرايس نيل

هي سيدة انكليزية كانت في بدء امرها خادمة لا شأن ولا قدر لها فالَّفت باقدامها وجدها نقابة للخدم تنظر في شؤُونهم وتعمل على تحسين حالم فذاعت شهرتها لذلك حتى صارت من اللواتي يشار اليهنَّ بالبنان وصارت الجرائد والمجلات تذكرها بين مشاهير العالم

قضت سنوات في اوائل حياتها تخدم في بيت تنهض للعمل الساعة السادسة صباحاً ولا يُسمح لها بالراحة الاَّ حوالي الحادية عشرة مساء وكانت احياناً تضطر الى مواصلة العمل حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل فحملها ذلك على التفكير في انشاء نقابة للخدم لكي تنتصر لهم اسوة بغيرهم من العمال وتخفف وطأة الارهاق عنهم . وفي المثل من احْرجتهُ اخرجتهُ

وبقيت تدأب في هذا السبيل الى ان توفقت الى جمع ١٣ امرأة في آخر مارس من سنة ١٩١٠ لينظرن في انشاء نقابة للخدم وكان سبع منهنَّ خادمات مثلها فقررن ان يعيّن سكرتيراً للنقابة فانبرت هي لهذا العمل وعرضت خدمتها بلا مقابل . واعترض سبيلها وسبيل رفيقاتها عقبات جمة في اول الامر لم يحسبن لها حساباً لانهنَّ لم يكنَّ يعرفن شيئاً عن تأليف النقابات وقد قالت ان جهلها وجهل رفيقاتها في هذا الامر نفعهنَّ لانهنَّ لو عرفن المصاعب التي تعترض سبيلهنَّ لما اقدمن على تأليف النقابة ولا قامت لهنَّ قائمة . ولكن العقبات مها صعبت لا تحبط مسعًى تمس اليهِ الحاجة ويوقن القائمون بهِ ان لا بد لهم منهُ فلم تنقضِ السنة الاولى على نقابتهنَّ حتى صار اعضاؤُها خمسة وتسعين

وبعد تأليف النقابة طُرد ثلاث من الخادمات السبع اللواتي عملن على انشائها من البيوت التي كن يخدمن فيها وخرجت مس نيل ايضاً من البيت الذي كانت تخدم فيهِ وابت معلمتها ان تعطيها شهادة بحسن سلوكها وصدقها في الخدمة فكان ذلك دافعاً لها على ان تبذل كل ما في وسعها وتستخدم نفوذ النقابة في سبيل اجبار المعلمات ان يعطين خادماتهنَّ

شهادات بحسن السلوك عند خروجهنّ من خدمتهنّ الاّ اذا كان لديهنّ سبب واضح معقول يمنع من اعطاء هذه الشهادات

وقبل ان تمضي ثلاث سنوات على انشاء النقابة انشأت مكتب تخديم فاقبلت ربات البيوت على طلب الخادمات منها حتى صارت تجد صعوبة شديدة في تدبير الخادمات لجميع الذين يطلبون منها . ومن اسباب قلة الخادمات ايضاً ميل البنات الى الاستخدام في غير الخدمة البيتية هرباً من الامتهان وطلباً للحرية

ولكن إعراض البنات عن الخدمة في البيوت لا يروق مس نيل ولا هو من مطالبها فان غرضها التوفيق بين مصالح اصحاب البيوت وبين مصالح الخادمات حتى تصير الخادمة تشعر انها حرة غير مستعبدة

ويمكن حصر مطالب مس نيل في امور اربعة هي (١) حمل الحكومة على انشاء بيوت عمومية او ملاجئ للخادمات والخادمين (٢) ان يقوم على تدبير كل ملجإٍ من هذه الملاجىء جماعة من ذوي الاقتدار يعلّمون الخدم الاعمال البيتية (٣) ان تعد في هذه الملاجىء اماكن للرياضة البدنية وترويح النفس من عناء العمل وغرف للمطالعة (٤) ان يكون استخدام الخادمين والخادمات بالساعة فتتفق ربة البيت مع الخادمة ان تعمل لها ساعات معلومة كل يوم مقابل مبلغ معيّن فلا تعود الخادمة تشعر انها مستعبدة

وعندها انهُ يجب ان ينظر الى راحة الخدم عند هندسة البيوت كما ينظر الى راحة اهل البيت وانهُ يجب اراحة الخدم بتجهيز البيوت بالآلات التي تهوّن عليهم العمل . واذا شاءت ربة البيت ان تكون عندها خادمة رهن اشارتها في الليل فعليها ان تستأجر خادمة غير التي تخدمها في النهار

وقد وافقت الحكومة على قانون نقابة الخدم وعلى اغراضها التي يمكن حصرها في الامور التالية (١) تحسين حالة الخدم ورفع منزلتهم لكي يساووا غيرهم من العمال المستخدمين (٢) اجبار ربات البيوت على اعطاء الخادمات حين خروجهن من الخدمة شهادات بحسن السلوك (٣) جمع كلمة الخدم لكي يتمكنوا من الذود عن مصالحهم (٤) السهر على مصالح الخدم وتحصيل ما يهضم من حقوقهم ومساعدة من يضام منهم (٥) حمل الحكومة على سن قوانين تجبر بها ارباب البيوت على تجهيز كل ما يلزم لراحة الخدم وصحتهم وتحديد ساعات العمل والراحة (٦) رفع الغبن عن الخدم وجعل اجورهم مقابلة لاتعابهم (٧) مساعدة الذين يمسهم الضيق من الخدم (٨) اعالة الخدم الذين يعتصبون اعتصاباً تصدق عليهِ النقابة

ورب قائل يقول ان تحقيق هذه المطالب من المستحيل ولكن جواب مس نيل لمثل هذا هو قولها « لا تنسَ ان على الروُساء كما على المرؤُوسين ان يطبقوا امورهم على مقتضيات العصر الجديدة . وعلينا كلنا ان نعمل سوية على ان نجعل الخدمة في البيوت من المهن التي يميل الناس الى التعيش بها وان تم ذلك في سنوات قليلة »

الذبان والامراض

ابنا غير مرة ان الذبابة التي تقع على يدك فلا تكاد تشعر بها لخفتها وتحوم على الخبز والفاكهة وكل انواع الطعام هي اكبر اعداء الانسان لانها قادرة ان تبليهُ بكثير من الامراض والاوبئة كالكوليرا والطاعون والسل والبثرة الخبيثة والتيفويد وما اشبه ذلك لانها بطبعها تحوم على البراز والبصاق كما تحوم على الطعام . وقلما يخلو براز مريض او بصاقهُ من ميكروبات مرضهِ فتلصق هذه الميكروبات بارجلها او بما تمتصهُ منها حتى اذا مشت بعد ذلك على الخبز او العنب او البطيخ او الشمام او اي نوع كان من الطعام نقلت اليهِ تلك الميكروبات

ورب قائل يقول ان كان الامر كذلك وجب ان تنتقل هذه الامراض الى كل الناس لانهُ ما من احد يأكل طعاماً الاَّ وقد مشت الذبان عليهِ مراراً . والجواب ان في بنية الانسان جنوداً تقيهِ في الغالب من ميكروبات الامراض اذا كانت على تمام الاهبة ولكن هذه الجنود وهي خلايا الدم البيضاء قد تضعف عن مقاومة الميكروبات اذا كانت الميكروبات كثيرة فتتغلب الميكروبات عليها . واكثر ما يحدث ذلك في الصيف ولاسيما اذا كانت بنية الانسان ضعيفة او اذا كان صغير السن لم يعتد جسمهُ محاربة الميكروبات ومقاومتها ولهذا تكثر الامراض والوفيات في فصل الصيف حينما تكثر الذبان

ومنع تكاثر الذبان ليس بالامر العسير فانها تبيض وتتولد في اصطبلات الخيل والدواب فاذا ابعدت الاصطبلات عن البيوت ورشت الاقذار والفضلات بقليل من البترول من وقت الى آخر هلك ما فيها من بيض الذبان . واذا غطيت الاطعمة بشباك دقيقة وغسلت الفاكهة جيداً قبلما توُكل قل الخطر كثيراً

وقد يظن لاول وهلة ان الوفيات في الارياف اكثر من الوفيات في المدن في هذا القطر لقلة الاعتناء بالصحة في الارياف ولكن الامر على ضد ذلك والوفيات في المدن تزيد على الوفيات في الارياف نحو ١٣ في الالف وسكان المدن نحو مليون ونصف ووفياتهم نحو ٤٠ في الالف في السنة او نحو ٦٠ الف نفس مع ان متوسط الوفيات في القطر كلهِ نحو ٢٧ في

الالف فلو كان متوسط الوفيات في المدن ٢٧ في الالف فقط لبلغ عدد الوفيات فيها اربعين الفاً فقط وعليهِ فيموت من سكان المدن عشرون الف نفس كل سنة زيادة عمّا يجب ان يموت لو كان معدل الوفيات فيها مثل معدلهِ في القطر كلهِ وهذه العشرون الفاً تذهب ضحية الازدحام والذبان

غذاء الطفل

اذا كان الطفل وامهُ صحيحين لا مرض فيهما وكان لبن الام كافياً لتغذية الطفل وجب الاقتصار عليهِ مدة الاشهر الثمانية الاولى · ففي الايام الثلاثة الاولى بعد الولادة لا يدرُّ اللبن منها كافياً ولا يكون في قوامهِ كاللبن العادي بل يكون سائلاً كالماء ومع ذلك يجب ان يلقم الطفل الثدي ويرضع هذا اللبن لانهُ مسهل فيفيدهُ في اخراج ما في امعائهِ من البراز الجامد· ورضاعة الطفل حينئذٍ تساعد الثديين على ادرار اللبن ولا يحتاج الطفل الى غذاء آخر في الثلاثة الايام الاولى

ومتى اخذ اللبن يدر كافياً تنظَّم اوقات رضاعتهِ فيرضع كل ساعتين او ثلاث ساعات نهاراً وكل اربع ساعات ليلاً ولا تطول مدة ارضاعهِ كل مرة اكثر من عشر دقائق ولا يحسن ان يرضع في غير الاوقات المعينة فانهُ يعتاد ذلك حالاً فيستريح ويريح امهُ

واذا لم تستطع امهُ ان ترضعهُ لسبب من الاسباب أُتي بمرضع ترضعهُ او اعطي لبن البقر بالرضَّاعة · ولا بدَّ من كون المرضع صحيحة الجسم سليمة البنية وان يكون عمر طفلها مقارباً لعمر الطفل الذي يراد ان ترضعهُ

وكيفما كانت الحال لا يجوز اطعام الطفل غير اللبن مدة الاشهر السبعة الاولى من عمرهِ· وافضل ما يقوم مقام لبن المرأة لبن البقر بعد معالجتهِ على الاسلوب التالي لان تركيبهُ ليس مثل لبن المرأة تماماً ولو كان قريباً منهُ كما ترى في الجدول التالي

	مواد جبنيَّة	سمن	سكر	املاح
في لبن المرأة	٢ في المئة	٢,٧٥ في المئة	٠,٥ في المئة	٠,٢ في المئة
في لبن البقرة	٤ « «	٤,٠٠ «	٤,٤ «	٠,٦ «

فالمواد الجبنية والسمنية والاملاح كثيرة في لبن البقر اكثر منها في لبن المرأة ولذلك يجب ان يزاد الماء في لبن البقر حتى تصير نسبة هذه المواد فيهِ الى مجموعهِ كنسبتها في لبن البقر الى مجموعهِ وحينئذٍ تقل نسبة السكر كثيراً في لبن البقر عدا عن انها قليلة طبعاً· وواضح

من ذلك ان الماء يجب ان يتضاعف في لبن البقر والسكر يجب ان يتضاعف ايضاً وان تزاد المادة السمنية قليلاً اي القشدة ومع ذلك لا يصير لبن البقر مثل لبن البشر لان المادة الجبنية التي في لبن البقر تجمد بسهولة في معدة الطفل و يعسر عليهِ هضمها ولذلك لا يحسن ان يلجأ الى لبن البقر في الشهور الاولى الاَّ عند الضرورة

ومما يسهل العمل بهِ في كل البيوت ان يوتى بلبن البقر جديداً حالما يحلب و يمزج بما يماثلهُ من الماء الصرف او ماء الشعير وقليل من السكر. ثم يقلل مقدار الماء رويداً رويداً حتى يبطل تماماً متى صار عمر الطفل سبعة اشهر او يصير الطفل يرضع لبن البقر كما هو وحينئذٍ تصير معدتهُ قادرة على هضم الاطعمة النشوية والخبز المطبوخ باللبن ثم يفطم بين الشهر العاشر والثاني عشر

وفي السنة الثانية من عمر الطفل يكون اكثر طعامهِ من اللبن وما يطبخ بهِ ويطعم ايضاً قليلاً من الشوربا والبيض والخبز ولكن لا يطعم لحماً الاَّ بعد مضي السنة الثانية

واذا أُرضع برضاعة في السنة الاولى من عمرهِ وجب ان تبقى الرضاعة نظيفة دائماً ولا يترك فيها شيءٌ من اللبن او آثارهِ من مرة الى اخرى لئلاَّ يفسد فيها ولا سيما في شهور الصيف. ويتم تنظيفها بتغطيسها يوميًّا في الماء الغالي. و يناسب ان يكون في البيت رضاعتان تستعملان دواليك يوماً بعد يوم ومتى استعملت الواحدة تكون الاخرى منقوعة في ماء اذيب فيهِ الحامض البوريك (البورق)

و يمكن ترتيب اوقات الرضاع نهاراً وليلاً حسب الجدول التالي

السن	الفترة بين الرضاعات نهاراً	مرات الرضاع ليلاً	مرات الرضاع في ٢٤ ساعه	مقدار اللبن كل مرة (١)	مقدار اللبن في ٢٤ ساعة
الاسبوع الاول	ساعتان	٢	١٠	١ الى ١½ اوقية	١٠ الى ١٥ اوقية
الاسبوع الثالث والرابع	"	٢	١٠	١½ الى ٣ "	١٥ الى ٣٠ "
الاسبوع الخامس والسادس	"	١	٩	٢½ الى ٣½ "	٢٢ الى ٣٣ "
الاسبوع السادس الى الشهر ٣	ساعتان ونصف	١	٨	٣ الى ٤½ "	٢٤ الى ٣٦ "
الشهر الثالث الى الخامس	٣ ساعات	١	٧	٤½ الى ٥½ "	٣٢ الى ٣٨ "
" الخامس الى التاسع	٣ "	٠	٦	٥½ الى ٧½ "	٣٣ الى ٤٥ "
" التاسع الى ١٢	٣½ الى ٤	٠	٥	٧½ الى ٩ "	٣٨ الى ٤٥ "

واذا كان الطفل سقيماً فلا بدَّ من تعقيم اللبن لهُ ولكن في الاحوال العادية يكفي ان يسخن اللبن حتى يغلي

(١) والاوقية هنا نحو ١٢ درهماً او ملء ملعقتين من ملاعق الشوربا

البرلنتين

من المواد التي يكثر استعمالها لتمليع الشعر مادة اسمها البرلنتين وهي تصنع من درهمين من زيت اللوز المر و١٢ درهماً من السبيرتو النقي وكمية كافية من زيت الزيتون

مقويات للشعر

(١) امزج درهماً من كبريتات الحديد (الزاج) وثمانية دراهم من السبيرتو النقي و١٢ نقطة من حصى اللبنى و ٧٠ درهماً من الماء ومتى امتزجت جيداً استعملها لدهن الشعر فيزيد قوة ويميل لونهُ الى الاسوداد

(٢) ضع ٣ دراهم من مسحوق الذرّاح الجديد في ١٤٠ درهماً من الماء الغالي حتى ينحل فيهِ جيداً وغطِّ الاناء نحو ساعتين وحينما يبرد المحلول اعصر الذراح جيداً وصفِّ الماء واضف اليهِ قليلاً من روح حصى اللبنى او زيت الصعتر . وهذا المحلول يقوي الشعر وقد ينبتهُ اذا كان الصلع حديثاً

(٣) امزج درهماً من الكينا بسبعين درهماً من ماء الورد واضف اليها ١٥ نقطة من الحامض الكبريتيك الخفيف و ١٦ درهماً من السبيرتو النقي ثم اضف الى المزيج درهمين من الغليسرين وست نقط من مادة عطرية . وحرك المزيج جيداً وصفهِ في اليوم التالي ورشحهُ . يدهن بهِ جلد الراس مرةً او مرتين في اليوم

(٤) امزج اربعة دراهم من صبغة الجابورندي وثلاثة دراهم من اللانولين و ١٦ درهماً من الغليسرين واضف الى المزيج قليلاً من الصابون وافرك بهِ الشعر كل ليلة قبل النوم

(٥) امزج ٢٠ قمحة من الكينا ودرهمين من صبغة الذراح ودرهمين من خلاصة الجابورندي السائلة و ١٦ درهماً من السبيرتو و ١٦ درهماً من الغليسرين و ٥٠ درهماً من الروم الفاري وما يكفي من ماء الورد ليجعل المزيج ١٢٠ درهماً . يذاب الكينا اولاً في السبيرتو بعد تسخينهِ قليلاً ثم تضاف سائر المواد

(٦) امزج ٣ دراهم من صبغة الذراح ودرهماً من صبغة الفلفل ودرهمين من الامونيا ودرهمين من الغليسرين ومن ماء كولونيا ما يكفي لجعل المزيج ١٣٠ درهماً . فهذا السائل ينظف الشعر ويقويهِ

(٧) امزج ٢٨ درهماً من التنين وثمانية دراهم من صبغة المر واربعين درهماً من الغليسرين فيكون من ذلك دهون مقوٍّ للشعر

باب الزراعة

دود القمح الخيطي

اصيب القمح هذه السنة في الوجه البحري بآفة شديدة الفتك جدًّا وهي نوع من الديدان الخيطية الدقيقة تدخل حبوب القمح وهي في سنابلها وتأكل ما فيها فيسمرُّ ظاهر الحبة او يسود وتبقى صغيرة مع ان ظاهر السنبلة لا يدل على ذلك . قصدنا جناب المستر ددجن مستشار وزارة الزراعة قبيل كتابة هذه السطور فارانا هذه السنابل واعطانا اربع حبات من واحدة منها وهي سوداء صغيرة كما تقدم فوضعناها في كاس ماء حتى تبتل وبينما نحن نحضر الميكرسكوب لفحصها بهِ اخذ الخادم الكاس وصبَّ الماء منها وبعد اللتيا والتي تمكنا من وجود حبة من تلك الحبوب الاربع فشققناها واذا المادة النشوية فيها لا تزال بيضاء في فلقتيها كأنها باقية على حالها والحقيقة انها صارت كتلة من الديدان البيضاء كما سيجيء فاخذنا شيئًا قليلاً منها ووضعناهُ على لوح الميكروسكوب الزجاجي ووضعنا عليهِ نقطة ماء واذا هو ديدان خيطية مشتبكة بعضها ببعض تخبط وتتمعج ويحاول كلٌّ منها الافلات من رفاقهِ . ثم اخذنا قليلاً من الفلقة الثانية ووضعناهُ تحت الميكروسكوب واذا هو ايضًا مؤلف من هذه الديدان ولكنها تكاد تكون عديمة الحركة فعدنا الى الفلقة الاولى فوجدنا ان كل ديدانها كثيرة الحركة واما الفلقة الثانية فبقيت ديدانها قليلة الحركة الى ان طال نقعها في الماء . وجعلنا نخفف ما نأخذهُ منها بتكثير الماء فصارت اكثر حركة مما كانت قبلاً ولكن حركتها بقيت اقل من حركة الديدان التي من الفلقة الاولى

وقد ظهر لنا ان المادة النشوية زالت كلها ولم يبقَ منها الاَّ حبوب قليلة جدًّا لا تذكر وقامت هذه الديدان مقامها وان طول الدودة الواحدة نحو ثمانية اعشار المليمتر وثخنها نحو $\frac{1}{100}$ من المليمتر واذا حسبنا ان مساحة النشا الذي قامت هذه الديدان مقامهُ ثمانية مليمترات مكعبة فيكون في الحبة الواحدة من الديدان نحو مئة الف دودة . وقلما ينتظر ان يصل الى الحبة الواحدة اكثر من دودة او دودتين او بضع دودات فتبلغ هذا الحد الفائق من التكاثر في برهة وجيزة ولذلك اذا خلطت حبوب قليلة من هذا القمح المضروب بتقاوي القمح الذي يزرع في افدنة كثيرة فلا عجب اذا اصيب محصولها كلهُ وتلف

وقد نشرت وزارة الزراعة المنشور التالي في وصف هذه الديدان وكيفية معالجة التقاوي لانقائها وهو

« شوهدت سنابل القمح في بعض انحاء مديرية الغربية خالية من الحب وقد ينسب ذلك في كثير من الاحوال الى الآفة المعروفة بصدإ القمح على ان الاصابة بهذه الآفة لا بد ان تظهر لطخ الصدإ فيها على سوق النبات او اوراقهِ اما اذا لم تظهر هذه اللطخ فيظهر في السنابل بدل حب القمح حب صغير سقيم مشوه سوداوي اللون (شبيه بالدحريج) تتألف الحبة الواحدة منهُ من كتلة كثيفة من الديدان الدقيقة التي ترى بالمكروسكوب وهذا هو المرض المعروف بالانكليزية باسم "Wheat Cockle" المسبب عن دودة القمح الشبيهة بثعبان البحر واسمها العلمي Tylenchus tritici وهذا وصف مجمل لادوار حياتها

« تنزل الديدان الدقيقة من الحبوب المصابة الى تربة الارض فتنتقل فيها الى ان تعثر على غذاء يناسبها كنبات القمح فتعيش في باطن غلاف اصغر اوراقهِ وكلما نمت ورقة انتقلت الى اصغر ورقة ملتفة تظهر بعدها وكثيراً ما تشوه الديدان حينئذٍ شكل الاوراق. ومتى اخذت السنابل في التكون تصيبها الديدان فيكون في كل زهرة منها من ست الى خمس عشرة دودة وهنا يتم نموها فتفسد الحب وتضع بويضاتها فيهِ ثم تفرخ الديدان الجديدة في باطنهِ . وفي هذا الدور تستطيع الديدان تحمل الجفاف زمناً طويلاً . ومما يدل على ذلك ما ثبت من ان بعض الحبوب المصابة بقي مخزوناً خمساً وعشرين سنة ثم بل بالماء فعادت الديدان الى الحياة

« وتستطيع الديدان وهي كامنة في الاوراق الملتفة ان تنتقل من نبات الى آخر

« ولدفع ضرر هذه الآفة يحسن ان تزرع الارض التي سبقت اصابتها قمحاً وان يترك فيها الى ان تبتدئ سنابلهُ في التكون ثم تغذي بهِ المواشي وبذلك يباد معظم الديدان من الارض ولكن الواجب ان لا يستعمل في البذر الاَّ التقاوي الخالية من الحبوب السقيمة المصابة ويجب ان تفرز تلك الحبوب دائماً بالغربلة وان تعدم

« اما باقي الحبوب السليمة فيجب ان تغمر ٢٤ ساعة في محلول من حامض الكبريتيك بنسبة ٦٦ من واحد في المئة لتطهيرها » (اي المحلول الذي فيهِ ٦٦ درهماً من الحامض الكبريتيك لكل عشرة آلاف درهم من الماء.) انتهى

فعسى ان يهتم المزارعون بفرز كل الحبوب السوداء والضامرة من تقاوي القمح وحرقها ومفاد وصية وزارة الزراعة ان تغسل التقاوي بعد ذلك بالماء الذي اضيف الى كل عشرين

اقة منهُ ٦٠ درهماً من الحامض الكبريتيك (ز يت الزاج) ولا بدَّ من اضافة هذا الحامض الى الماء ومزجهِ بهِ قبل وضع القمح فيهِ . ولعلَّ المراد حينئذٍ ان يقتل ما قد يكون لاصقاً بالحبوب السليمة من هذه الديدان ولكننا نرتاب في كون هذا المزيج كافياً لقتل هذه الديدان لقلة ما فيهِ من الحامض الكبريتيك لان هذا الدود شديد الصبر على الجفاف والسموم المختلفة

الذرة البلدية

وضع المستر ددجن المستشار الزراعي لوزارة الزراعة مقالة انكليزية مسهبة في الذرة البلدية تكلَّم فيها على مواطنها وما قالهُ المتقدمون والمتأخرون فيها واصنافها التي تزرع في القطر المصري وكيفية زرعها وخدمتها واستغلالها . ومما ذكرهُ ان المستر هيوز حلَّل اصناف الذرة البلدية فوجد فيها المواد اللحميَّة المغذية (البروتيدات) على هذه النسبة

الذرة البلدي المئة والعشريني	٧,٣١	في المئة
« « التسعيني	٨,٩٤	«
« « السبعيني الابيض	٨,٧٥	«
« « السبعيني الاصفر	٧,٧٤	«
« « النباري الصبحة	٨,٨٧	«
« « النباري الصفرة	١٠,٣٠	«
« « النباري الصعيدي الصفرا	١٠,١٨	«

وعليهِ فالذرة النباري الصفراء اكثر انواع الذرة غذاء فلا عجب اذا زاد سعرها على سعر غيرها من انواع الذرة البلدية . والمقالة كبيرة الفائدة علميًّا وعمليًّا فعسى ان تترجم الى العربية وتنشر فيها

فوائد زراعية

ان كتاب الزراعة الرومية ترجمهُ قسطا بن لوقا البعلبكي عن ترجمة سرجيوس بن الياس الرافع السريانية منذ اكثر من الف سنة ومع ذلك تجد فيهِ فوائد زراعية قلما يعرفها عامة المزارعين الآن وقد اخترنا منها الفوائد التالية وبعضها محقق وبعضها تحسن تجربتهُ

(١) ان البورق اذا حُلَّ في الماء ثم نضح ذلك الماء على البذر ثم غطي بثوب حتى يجف وزرع فانهُ يسلم من الآفات

افلا يحتمل ان البورق يميت الحشرات وجراثيم القطر التي تكون على البذار

(٢) احق ما زرع فيهِ الترمس من الارضين الرقيقة الضعيفة ولا ينبغي ان يسمد فانهُ بمنزلة السماد ممَّا تطيب بهِ الارض الردية ويترك حرثها ويزرع فيها الترمس عاماً ثم يزرع فيها بعد ذلك غير الترمس فانهُ يتركو لذلك ما زرع فيها ويكثر ريعهُ. وينبغي للترمس ان يجز عند ادراكهِ ندياً قد اصابهُ المطر وندى الليل

(٣) التبكير في حصد الزرع كلهِ قبل شدة يبوستهِ اطيب لطعمهِ . واجود اوقات الحصاد بكرة من اواخر الليل الى ان يمضي من النهار الثلث او نحوهُ . فاذا قرب نصف النهار واشتدَّ الحر ترك الحصاد عند ذلك لانهُ يتناثر ما في السنابل والاكمام من الحب ولا سيما ان كان ما تحصدهُ قد اخَّرتهُ الى ان يبس حبهُ يبساً كثيراً

(٤) اذا عُمد الى تراب ابيض منخول او رماد منخول فنثر حول الكدس كهيئة الخط تحيط بهِ فان النمل يوحل في ذلك التراب ويزول عنهُ ولا يقدر ان يجاوزهُ الى الكدس

(٥) ينبغي للاهراء ان تكون شاسعة عن مرابط الدواب والمطابخ لحرها وينبغي ان يكون لها كوىً من قبل المشرق ومن قبل المغرب ومن قبل الشمال لتصيبها رياح هذه النواحي فتذهب الحر عمَّا فيها من الطعام ولا يفتح لها الى الجنوب شيء لشدة حر هذه الجهة وينبغي ان يجعل الطين الذي تطيَّن بهِ بيوت الاهراء ارضها وجدرها طيناً يخلط بهِ مكان التبن سعر وسحاج الكتان والقنب ويخلط بهِ ايضاً عصارة ورق الزيتون والرماد المنخول ثم يطيَّن بهِ ثم يرش بعد ذلك بعصارة ورق الزيتون . اذا فعل ذلك بالهري سلم ما فيهِ من الجرذان وغيرها ممَّا يعرض لاطعمة الاهراء

(٦) اذا عمد الى البورق الرومي وسخن بالنار ثم خلط بتراب لين طيب ثم خلط بالبر (اي القمح) كل مائة كيل من بر عشرة اكيال من ذلك البورق والتراب فان ذلك يمنع من النقص ويسلم بها من كثير العاهات

الفاصوليا

نشرت وزارة الزراعة النشرة التالية في كيفية زرع الفاصوليا (اللوبياء.)

الفاصوليا العادية نبات سنوي متسلق ذو اوراق ثلاثية وازهار بيضاء وصفراء وارجوانية وتنقسم انواعها العديدة الى قسمين كبيرين وهما :

(١) الفاصوليا القصيرة التي فقدت خاصية التسلق

(٢) الفاصوليا المتسلقة التي تحتاج الى دعائم تلف عليها سوقها الطويلة

و ينقسم ايضاً كل من هذين القسمين الى فاصوليا جافة وفاصوليا اصلح قرونها للأكل وذلك بالنسبة الى سطح قرونها الداخلي من حيث كونهُ مكسوًّا بجلد غشائي صفيق او غير مكسو

وتزرع الانواع ذات الجلد الصفيق على الاخص لاجل بذورها. اما الانواع التي تصلح قرونها للأكل فتؤكل قرونها و بذورها معاً

واهم هذه الانواع زراعةً في مصر النوع المعروف «بالبلدي» واسمهُ بالفرنسية «نوار هاتيف دي بلجيك» وهو نوع شديد النموّ كثير المحصول

وهناك انواع اخرى بدأت الناس ترغب فيها لاستعمال قرونها خضراء وهي الفاصوليا المنقطة (اكلپس) والنزهة (إڤرجرين) والحمراء (كريمسون وندر)

واحسن الانواع لانتاج البذور الجافة هي النوع المسمى «الهولاندي الابيض» و«الفلاجولى الابيض» ولا تصلح زراعة الانواع المتسلقة في مصركما تصلح زراعة الانواع القصيرة ولو انها قد تفيد في تغطية الاسوار او السياجات

وتدخل الفاصوليا السمينة (بتربينز) تحت انواع الفاصوليا التي تصلح قرونها للأكل وهي ذات قرون رقيقة صفراء اللون وجديرة بان توسع زراعتها في هذا القطر اكثر مما هي عليهِ الآن

وفي جهات القاهرة يبدأ بزرع الفاصوليا في شهر يناير (طوبه) وتصلح قرونها للاستعمال في اوائل شهر ابريل

و بعدها يمكن استمرار الحصول على القرون بالزراعة على التعاقب (عروة بعد عروة) طول فصل الصيف حتى اوائل شهر اكتوبر

وتزرع الفاصوليا على بتون (متون او ريش) تبعد بعضها عن بعض بمقدار سبعين سنتمتراً اي خمسة بتون في القصبة وتزرع البذور في جوَر على جانبي البتون والبعد بين الجورة والاخرى عشرون سنتيمتراً في الشتاء وثلاثون سنتيمتراً في الصيف

وتروى الارض ثم تزرع البذور عند ما تجف جفافاً يمكن الرجال من العمل بها

وكثيراً ما تكون الزراعة البدرية مع البصل فتزرع الفاصوليا في جانب من البتن (الريشة) والبصل في الجانب الآخر. وكذلك قد يكون من المفيد زراعة الفاصوليا المتأخرة بين خطوط البسلى ولما كانت البسلى بطبيعتها اقوى من الفاصوليا فهي تقيها وتمكنها في الشتاء المعتدل من الاستمرار في الاثمار حتى منتصف شهر يناير اي في الوقت الذي يرتفع فيهِ ثمن القرون الخضراء

وهناك طريقة اخرى حسنة للجمع بين الفاصوليا وغيرها وكثيراً ما يتبعها المزارعون في جهات الاسكندرية وهي ان تزرع الفاصوليا مع « الفاصوليا اللبيا » . الاولى في جانب من البتن والاخيرة في الجانب الآخر . ولما كانت الفاصوليا محصولاً قصير المكث فانها تجمع وتزال من الارض قبلما تكبر الفاصوليا اللبيا وتشغل مساحة الارض كلها

وتختلف كمية البذور اللازمة لزراعة فدان على جانبي الخطوط باختلاف الوقت والنوع . وكلما صغر حجم البذور قلت الكمية المطلوبة منها . ففي الصيف يكفي من ١٢ الى ١٥ قدحاً ولكن في الشتاء يجب زرع البذور على معدل ٢٠ الى ٢٤ قدحاً للفدان

ووزن البذور نحو ١٥٠٠ جرام لكل قدح و ٧٥٠ جراماً لكل لتر و ٤٢٥ جراماً لكل پنت

ويجب تسميد الارض تسميداً جيداً حتى تأتي بمحصول وافر . ففي الاراضي الضعيفة يجب استعمال السماد البلدي او الكفري مع الاسمدة الصناعية . اما في الاراضي الجيدة فقد يستعمل فوق فسفات الجير بمعدل ٢٢٥ كيلو جراماً للفدان عدا السماد البلدي كما يجب اضافة موريات البوتاسا بمعدل ٥٠ كيلو جراماً للفدان

ويضيف بعض المزارعين السماد اثناء نموّ النباتات ولكن الافضل حرثهُ في الارض قبل البذر . وتعزق الارض قبلما تزهر النباتات مرة او مرتين اذا اقتضى الحال

وتجب العناية بعدم الافراط في ري الفاصوليا في ادوار نموها الاولى الاَّ انها في وقت الاثمار تحتاج الى الري الكثير فتروى كل اربعة ايام او سبعة اذا كانت الفاصوليا منزرعة لاجل القرون الخضراء

اما الزراعة البدرية فلا تروى في بعض الاحيان الاَّ بعد خمسين يوماً او اكثر من يوم الزرع على ان ذلك قد يتوقف ايضاً على طبيعة الارض وموسم الزرع

وتصلح القرون الخضراء للجمع في فصل الصيف بعد نحو خمسة واربعين يوماً من زرعها وفي الربيع بعد سبعين الى ثمانين يوماً

وتستمر النباتات في الإثمار ثلاثة اسابيع في اثنائها يبلغ محصول الفدان من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ اقة من القرون الخضراء

وفي القاهرة يختلف ثمن الاقة في الجملة ما بين مليمين وعشرين مليماً او اكثر

ويبلغ محصول فدان الفاصوليا من البذور الجافة من ٤٠٠ الى ٥٠٠ كيلو جرام

وتمكث الفاصوليا في الارض نحو ثلاثة شهور ونصف اذا اريد الحصول على بذورها

وتزرع العروة الاولى منها في الاراضي الرملية المجاورة للاسماعيلية في اواسط شهر دیسمبر . وتعمل البتون بعد ري الارض ببضعة ايام بحيث يكون بُعد الواحد منها عن الآخر ستين سنتيمتراً (٦ بتون في القصبة) ثم تعمل الجور على جوانبها متباعدة بعضها عن بعض بنحو ثلاثين سنتيمتراً . وتوضع السبلة في قاع كل جورة وتغطى بطبقة من التراب تزرع فيها البذور

والمعتاد ان يصان المحصول بصفوف من البوص تقام على ثلاث قصبات ما بين الواحد منها والآخر وتزرع بذور اول عروة في بلدة المرازيق بمديرية الجيزة في قلب الخطوط لحماية النباتات من الرياح الباردة بالبتون التي على الجانبين

وفي جهات الدلتا الشمالية تتأخر الزراعة الاولى نحو عشرة ايام الى خمسة عشر يوماً عما في الجهات الجنوبية منها

حشرات الرز في الغيط

يظن الزرّاع ان الآفات التي تصيب نبات الرز لا تظهر الاَّ في المناطق المعتاد زراعتهُ فيها ولذا حسبوا ان زراعة هذا العام في الجهات التي لم تكن تزرعهُ من قبلُ ستنجو من شرها وقد اظهر الواقع خطأَ هذا الظن اذ ظهرت الدودة في غيطان الرز بهذه الجهات ولمَّا لم يكن لفلاحيها ما لفلاَّحي مناطقهِ من الخبرة بطرق مقاومتها وكانت حشرات الرز لم تنشر عنها ابحاث مَّا حتى الآن رأَيت ان اذكر ما اعرفهُ عنها

يصاب نبات الرز وهو حديث بحشرتين الاولى تعرف بالقملة والثانية تعرف بالدودة وتبدأُ اصابتهُ بهما بمجرد ظهورهِ على وجه الارض اذ يُرى النبات المصاب ذابلاً مصفرًّا فاذا فحصناهُ وجدناهُ مصاباً بهما معاً او باحداهما فقط . وتوجد الحشرة الاولى ناشبة باعلى جذورهِ قرب اتصالها بساقهِ وتوجد الثانية حيث توجد الاولى ما دام النبت لا يزال صغيراً جدًّا ثم على الساق والاوراق . وكلا الحشرتين صغير الحجم ولونهُ ابيض وسخ في الغالب وقد تكون القملة سمراء اللون والدودة حمراء . ولمقاومتها تكشف الارض من الماء مدة ٢٤ ساعة مرة او مرتين الواحدة بعد الاخرى حتى تموت كل الديدان واذا كانت الدودة الثانية كثيرة على الاوراق فيغمر النبات بالماء ثم يصرف عنهُ بسرعة فيكسح الماء معظم الدود في تيارهِ ويجرفهُ الى المصارف

واكثر ما تكون الاصابة في البقع الواطئة من الترابيع حيث لا تكشف من الماء تماماً بعد صرفهِ عنها اثناء تربية النبات ومنها تنتقل العدوى الى سائر اجزاء الترابيع — وفي

الغيطان التي تقل العناية بريها وصرفها اول باول . ولذلك كان من اهم الوسائل الواقية والشافية ايضاً اتقان تلويط الارض وتجديد ماء الري لها دواماً فبذلك تكون التربة مستوية تماماً والماء عليها عذباً نظيفاً

ويصاب نبات الرز وهو حديث ايضاً بحشرة اخرى تظهر في بعض مناطقه خصوصاً بالغيطان التي تزرع رزاً عقب رز (رجيع) وتعرف بالقوقع او الخنجار وهي ذات قشرة محارية حلزونية تستكن داخلها الحشرة فاذا غمرت الارض بالماء طفت الحلزونة فوقهُ و بدت الحشرة من فتحة فيها فتقرط سيقان الرز واوراقهُ وتقوم مقاومتها قبل الزرع بتنقيتها و بعد الزرع يكشف الماء عن الارض جملة مرات حتى تضعف الحشرة و يقوى النبات

وثمَّ حشرة اخرى تصيب الرز قُبيل نضجهِ فتثقب ساقهُ وتقرطهُ من اعلاهُ حتى تنقصف سنابلهُ ولم اقف على علاج لها وظهورها قليل واكثر ما يكون في الاوقات الرطبة

احمد الالفي

ضواحي المحلة الكبرى مفتش زراعة


باب الصناعة

زيت بزر الكتان المغلى

لقد كان من نتائج الحرب الحاضرة ان قلَّت عندنا كل المواد التي كانت ترد من المانيا والنمسا وغلا ثمنها جداً . وما حدث عندنا حدث في انكلترا ايضاً فان المواد التي كانت ترد اليها من المانيا رخيصة الثمن غلا ثمنها جداً الآن . و يقال ان بعضها لا يمكن صنعهُ رخيصاً في البلاد الانكليزية كما يصنع في المانيا مطلقاً . وقد جعل الانكليز يفكرون في انشاء المعامل لعمل ما كانوا يجلبونهُ من المانيا وسبيلنا نحن ان نقتدي بهم في ما موادهُ الاصلية عندنا وعملهُ سهل ومن ذلك الزيت المغلى الذي يستعمل في صناعة الدهان وعمل الحبر فان الكتان يزرع في القطر المصري والزيت يعصر من بزرهِ و يسهل اغلاؤهُ على نار مكشوفة اذا اتخذ الاحتياط الكافي لكي لا يحترق او بالبخار اذا امكن وجود اظان قريب منهُ . وقد رسمنا في الشكل الاول صورة حلَّة كبيرة يغلى بها زيت بزر الكتان . وهو يشرع في الغليان اذا

سخُن الى الدرجة ١٣٠ بميزان سنتغراد وتزاد النار بجثةُ الى ان تبلغ حرارتهُ الدرجة ٢٦٠ بميزان سنتغراد (تعدل ٥٠٠ بميزان فارنهيت) ويجب ان لا تزيد الحرارة عن ذلك · ولا بدَّ من ان تكون الحلَّة كبيرة ولا يوضع فيها من زيت الكتان الاَّ ما يملأ نصفها او ثلثيها حتى يبقى فيها مجال لهُ اذا غلا وفار · واذا زادت الحرارة فالتهب البخار الصاعد منهُ كما يحدث احياناً ينزل غطاء الحلة حالاً حتى يغطيها فينطفئ

اما الاغلاء بالبخار السخن فيتم في حلتين كالمرسومتين في الشكل الثاني وقد شقت احداها في الرسم حتى يظهر محيطها وهو طبقتان الواحدة داخل الاخرى وبينهما الفسحة المدلول عليها بالحرف الابيض d فالبخار السخن يدخل الى هذه الفسحة والزيت يوضع داخل الحلة في الفسحة الكبيرة B ويكون البخار مضغوطاً سبعين ليبرة على كل عقدة مربعة وتكون حرارتهُ حينئذٍ ١٣٢ درجة بميزان سنتغراد (تعدل ٢٦٩ درجة بميزان فارنهيت) والورنيش الناتج من ذلك يكون صافي اللون جداً

واذا كانت الحرارة قليلة حتى خسر زيت الكتان $\frac{1}{12}$ من ثقلهِ نتج منهُ الزيت المغلي العادي المستعمل في الدهان واذا اشتدت الحرارة حتى يخسر سدس وزنهِ نتج منهُ الزيت الكثيف الذي يستعمل لحبر الطباعة

وفائدة الاغلاء للزيت انهُ يصير يمتص الاكسجين بسرعة ويجف سريعاً فتتكون منهُ طبقة صلبة لامعة ويزيد جفافهُ بان تضاف اليهِ مادة مجففة مثل الاسفيداج او اكسيد المنغنيس او خلات الرصاص او بورات المنغنيس

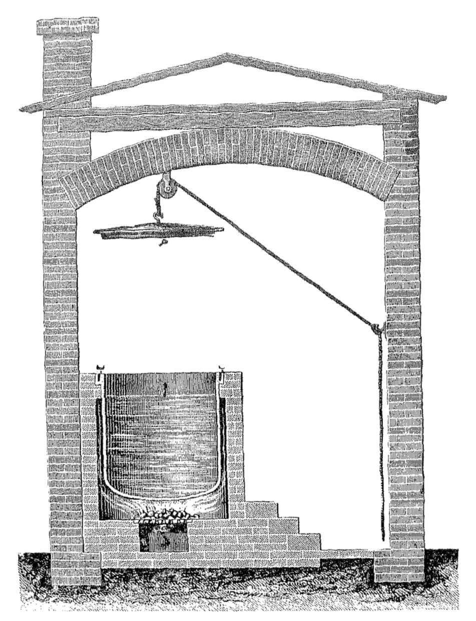
وزيت بزر الكتان كثير في هذا القطر فيجب ان يستغنى بهِ عن جلب الزيت المغلي من اوربا

عمل النشا

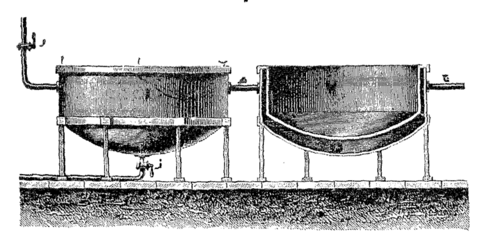
النشا من المواد التي ترد من الخارج ويمكن عملهُ في هذا القطر بسهولة لانهُ يستخرج من القمح والذرة والبطاطس والرز ونحوها واكثر استخراجهِ في اميركا من الذرة وفي اوربا من البطاطس وفي بلاد الشام من القمح · وقد وصفنا في ما يلي طريقة استخراجهِ من الذرة ثم طريقة استخراجهِ من القمح

استخراج النشا من الذرة

يراد بالذرة هنا الذرة الشامية وهي ارخص من الذرة البلدية ومن القمح · والنشا كثير فيها توضع الذرة في حياض كبيرة من الخشب يسع الحوض منها نحو مئتي اردب او اكثر



حلة كبيرة لاغلاء زيت بزر الكتان بالنار



حلة لاغلائهِ بالبخار

وتغمر بالماء الذي حرارتهُ لا تزيد على ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت وتترك فيها من ٣ ايام الى عشرة ولكن لا بدَّ من تغيير الماء كل ست ساعات ويحذر من تولُّد الاختمار في الذرة · واذا امكن تسخين الماء الى الدرجة ١٤٠ وامرارهُ على الذرة في هذه الحياض امراراً مستمرًّا مدة ثلاثة ايام وفى بالغاية على اتم المراد فتلين الذرة ثم تمرث مرثًا كما يعصر الزيتون ولا بدَّ من ان يمر مجرى من الماء عليها وهي تمرث فيجري بالذرة الممروثة الى مناخل ينخل بها ويمرث ثانيةً ويمر على مناخل من الحرير دائمة الحركة فينزل منها النشاء مع الماء كاللبن ويبقى القشر فوقها فيعصر ويباع علفاً للمواشي · اما الماء الحامل لذرات النشا فيجري الى حياض واسعة يرسب النشا منهُ في قاعها · ويزل الماء حينئذٍ ويمزج النشا بماء جديد اضيف اليهِ قليل من الصودا الكاوي حتى صارت درجتهُ ٧ او ٨ بميزان بومه وتستمر اضافة هذا الماء الى ان يصير لون النشاء اصفر ضاربًا الى الخضرة والغرض من اضافة الصودا اذابة الغلوتن وبقية المواد الزلالية والزيت الخ لانها اذا بقيت في النشافسدت وافسدتهُ · وبعد ما يحرك السائل جيداً يرسب النشا في اسفل الحوض وتبقى المواد الاخرى ذائبة في الماء فوقهُ فيفصل بينهما ولكن النشا لا يكون نقيًّا حينئذٍ فيغسل ثانية ويترك ٢٠ دقيقة حتى يرسب منهُ الغلوتن الذي لم يذب وحينئذٍ تفتح لهُ مبازل جانبيَّة فيخرج الماء والنشا منها ويكرر ذلك ثلاث مرات فيخرج الماء اخيراً والنشا فيهِ فيجمع في ثلاث حياض على ثلاث درجات من النقاوة وتمزج بالماء ثانية وترشح بالاقمشة حتى تنقى جيداً وتترك حتى يرسب النشا منها فيقطع قطعاً كبيرة ويجفف بالحرارة واذا بقي فيهِ شيء من الشوائب اجتمع على وجههِ مع الرطوبة التي تخرج منهُ قشرة صفراء فتكشط عنهُ

ويخرج من كل مئة رطل من الذرة	٥٠	رطلاً من النشا
	و ٢٥،٥	« من العلف
	و ١٠	ارطال من الماء
	و ١٤،٥	من المواد الزلالية
	١٠٠،٠	

وقد اكتشفت طريقة لاستخراج النشا من الذرة اسمها طريقة جب لا يستعمل فيها الصودا الكاوي ولكن تفصل قشر الذرة والجرثومة منها قبل طحنها فيسهل عمل النشا منها ويختصر العمل كثيراً ويأتي النشا نقيًّا جداً

استخراج النشا من القمح

لاستخراج النشا من القمح طريقتان مختلفان الواحدة ينظر فيها الى استخراج الغلوتن سليمًا لاستعمالهِ والثانية لا ينظر فيها الى استخراج الغلوتن بل يترك حتى يحمض ويتلف . والغلوتن هو المادة النيتروجينيَّة التي يتوقف عليها حَبْل العجين

ففي الطريقة الثانية ينقع القمح في حياض كبيرة حتى يلين جيداً ثم يمرث باساطين كحجارة الطحن ويوضع في صهاريج كبيرة من خشب السنديان حتى يختمر وتحفظ حرارتهُ على الدرجة ٢٠ بميزان سنتغراد ويترك كذلك ١٤ يومًا وهو يحرك جيداً كل يوم فيتحول جانب من سكر القمح ونشاهُ الى ما يسمَّى بسكر العنب وهذا يختمر ويصير سبيرتو ويتأكسد ويتولَّد منهُ حامض خليك ومواد اخرى كيماوية تفعل بالغلوتن وتذيبهُ فتتخلص حبوب النشا منهُ . ويزل الماء فيبقى النشا ولكنهُ لا يكون نقيًّا فيوضع في اكياس من القنب ويداس او يخبط ويغسل مراراً ويرشح باكياس من الشعر فيرسب النشا اخيراً نقيًّا

ويستطيع كل احد ان يمضغ قليلاً من حبوب القمح ويجيل ما يمضغهُ في فيهِ ويلوكهُ جيداً فتذهب منهُ كل المادة النشوية ويبقى في فيهِ مادة غروية لا غير وهي الغلوتن . وعلى هذا الاسلوب يصنع النشا من غير ان يتلف الغلوتن وذلك بان يطحن القمح ويعجن ثم يغسل عجينهُ بالماء مراراً كثيرة الى ان يخرج كل النشا مع الماء ويبقى الغلوتن وحدهُ . ثم يرسب النشا من الماء

ومعلوم ان وزن الغلوتن يبلغ ربع وزن القمح وهو مادة كثيرة الغذاء مفيدة في الصناعة فتصنع منهُ المكروني ويستعمل بدل الالبيومن والكاسيين في طبع الاقمشة

وقد رأينا النساء يستخرجن النشاء في جبل لبنان لكي يستعملنهُ في بيوتهنَّ وذلك بنقع القمح ومرثهِ باليد وغسلهِ مراراً كثيرة بعد ان يختمر ثم ترسيب النشاء من الماء اي انهنَّ يجرين على الطريقة الاولى التي يتلف بها الغلوتن . والعمل يقتضي اياماً متوالية . والنشا الذي يستخرج بهِ يعتقد ربات البيوت انهُ نقي ولا يصلح للاكل غيرهُ من انواع النشا

اما استخراج النشا من البطاطس فيقتضي الآت متقنة لتقطيع البطاطس وفركهِ حتى تخرج حبوب النشا منهُ

تسويد الحديد

اصنع مغطساً من عشرة التار من الماء و٦٥ غراماً من المزيج التالي وهو ٥٧ سنتمتراً مكعباً من الحامض الفصفوريك القوي و٥٧ سنتمتراً مكعباً من الماء و١٨ غراماً من الزنك التام . ضع الحديد في هذا المغطس من نصف ساعة الى ثلاث ساعات فيكتسي قشرة سوداء ثابتة

باب التقريظ والانتقاد

فلاحة الرز

وضع هذا الكتاب المفيد حضرة احمد افندي الالفي الذي قرن المعارف الزراعية بالعمل سنين كثيرة وكثيراً ما نشر نتائج علمهِ وعملهِ في الكتب والمجلات . قال في التمهيد الذي قدَّمهُ لهُ ما يأتي

« وجدت ان الحاجة ماسَّة الى بحث عملي في زراعة الرز يكون اكثر استيفاء مما في المؤلفات الزراعية فاستخلصت من مذكراتي التي قيدتها اثناء اشتغالي بزراعتهِ في بعض جهات من مناطقهِ بمديريات الغربية والبحيرة والشرقية ما تبينتهُ عن زراعتهِ واودعتهُ هذا الكتيب مبسوطاً بعبارات مسهلة تفهمها العامَّة وترضاها الخاصة . وسيجد فيهِ قراؤُهُ استقصاء لجميع موضوعات هذا البحث من وجهة عملية مشروحة كما هي عند مهرة زراعهِ في اخص مناطقهِ »

فنرحب بكتاب مبني على الاختبار لزراعة من اوسع الزراعات في هذا القطر

وفي باب الزراعة من هذا الجزء نبذة لحضرة المؤلف في دود الرز تدلُّ على حسن نظرهِ وعلى كيفية بحثهِ في هذا الكتاب

الطراز

المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز

تأليف السيد امام الايمة امير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن ابرهيم العلوي اليمني المتوفى سنة ٧٤٩

وهو من الكتب الادبيَّة التي عنيت دار الكتب السلطانية بطبعها ونشرها لما كان صاحب السعادة حشمت باشا ناظراً للمعارف . وقد طبع في مطبعة المقتطف طبعاً متقناً جداً على ورق متين فجاء في ثلاثة مجلدات كبيرة . والكتاب كما يدل اسمهُ في علم البيان ومزيتهُ الكبرى كثرة شواهدهِ نظماً ونثراً فقلما تجد شاهداً في كتب البيان على اختلاف مؤلفيها وازمانهم الاَّ وتجدهُ في هذ الكتاب وتجد فيهِ شواهد اخرى قلما تجدها في غيرهِ فمن الشواهد المنظومة التي اوردها على الاستعارة والكناية والتمثيل قول ابن المعتز

اثمرت اغصان راحتهِ لجناة الحسن عنّابا

وقول الآخر

واقبلت يوم جدّ البين في حللٍ سود تعضّ بنان النادم الحصرِ
فلاح ليل على صبح اقلها غصن وضرست البلور بالدررِ

وقول الآخر

سألتها حين زارت نضوا برقعها الـ قاني وايداع سمعي اطيب الخبرِ
فزحزحت شفقاً غشى سنا قمرٍ وساقطت لؤلؤاً من خاتم المطرِ

واورد ابياتاً اخرى كثيرة من هذا القبيل مما يستشهد بهِ البيانيون عادة واتبعها بابيات لديك الجن لا تتذكر اننا رأيناها في غيرهِ ومنها

لا ومكان الصليب من النحر منكِ ومجري الزنار في الخصرِ
والخال في الوجه اذ اشبّهُ وردة مسك في ثرى تبرِ
وحاجب قد خطّهُ قلم الـ حسن بحبر البهاء لا الحبرِ
والاقحوان بفيك منتظم على شبيه الغدير من خمرِ
ما اصبر الشوق بي فاصبرنا مَن حسنت فيهِ قلة الصبرِ

وبيتين للمهلب الوزير وهما

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجبُ
كأنها بودقة أُحميت يجول فيها ذهب ذائبُ

وبيت للعباس بن الاحنف وهو

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترقُ

ومن الامثلة التي ذكرها في التشبيه قول ابن المعتز في وصف العنب

حتى اذا حرّ آبٍ جاش مرجلهُ بفائر من هجير الشمس مستعرِ
ظلت عناقيدهُ يخرجنَ من ورق كما احتبى الزنجُ في خضرٍ من الازرِ

وقول الصابي في صفة الخمر

كأن المدير لها باليمين اذا طاف بالكاس او باليسارِ
تدرّع ثوباً من الياسمين لهُ فرد كم من الجلّنارِ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وهو يطلب من دار الكتب السلطانية وثمن الجزء منهُ ١٢ غرشاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كلمة التطوُّر

مصر . مستفيد . اجد في الكتب المؤَلفة حديثاً بالعربيَّة او المترجمة اليها كلمة « التطوُّر » كقول بعضهم « تطور الحقوق » وقد فتشت عن هذه الكلمة في لسان العرب والفيروزابادي والمصباح والاساس وتاج العروس فلم اجدها فيها فما هي وما معناها

ج . يظهر من القرينة انهُ يراد بها ترجمة الكلمة العلمية الاوربيــة evolution التي نترجمها نشوءًا . وهي اي التطور غير واردة في كتب اللغة التي اشرتم اليها ولا نظن انها واردة في غيرها ولا وجود لفعل تطوَّر في كتب اللغة . واذا اشتققناهُ من قولهم الناس اطوار اي حالات فكلمة تحوَّل افصح منهُ وهي ادل منهُ على المعنى ومثلها الكلمة التي اخترناها لترجمة evolution وهي النشوء وقد فضلناها على كلمة الارتقاء لان هذا التحوُّل او التغير او النشوء يكون من اعلى الى ادنى وهو الاقل كما يكون من ادنى الى اعلى وهو الاكثر . واعتراضنا على كلمة التطور انهُ اذا بحث عنها المصري او الشامي او العراقي او الهندي او التونسي او الجزائري او المغربي في كتاب من كتب اللغة لم يجدها فيهِ وقد يصعب عليهِ الاستدلال على معناها من معنى المادة التي اشتقت منها ولكن اذا قلنا نشوء الشرائع او نشوء القوانين او نشوء الحيوانات فقلما يصعب على ابناء العربية ان يفهموا المراد ولو الماماً

(٢) الشعور بالضغط الجوي

القضابة . سليمان افندي مرقس . لماذا لا يشعر الانسان بالضغط الجوي على سطح جسمهِ مع انهُ يبلغ ١٠١١ جراماً على السنتيمتر المربع

ج . لان هذا الضغط متصل بكل دقيقة من دقائق جسمهِ فكل دقيقة من جلدهِ ولحمهِ ودمهِ عليها ضغط متساوٍ من كل جهة وقد الفتهُ منذ تكوَّنت ولكن اذا زاد هذا الضغط كثيراً كما لو غاص الانسان الى اعماق البحر فاضيف ضغط الماء الى ضغط الجو فانهُ يشعر بضيق شديد

(٣) طمي النيل

ومنهُ . ما هو التركيب الكيماوي لطمي النيل

ج . ذكر المرحوم علي باشا مبارك في كتابهِ نخبة الفكر في تدبير نيل مصر خلاصة التحاليل الكيماوية التي حلّل بها طمي النيل في بلاد الانكليز سنة ١٨٧٥ فكانت كما في الجدول التالي وهي في كل مئة جزء من الطمي

	عينات اغسطس	عينات بقية الاشهر
مواد آلية	١٥٫٠٢	١٠٫٣٧
حامض فصفوريك	٠١٫٧٨	٠٠٫٥٨
جير	٠٢٫٠٦	٠٣٫١٧
مغنيسيا	٠١٫١٢	٠٠٫٩٩
بوتاسا	٠١٫٨٢	٠١٫٠٦
صودا	٠٠٫٩١	٠٠٫٦٢
طين واكسيد الحديد	٢٠٫٩٢	٢٣٫٥٥
رمل	٥٥٫٠٩	٥٨٫٢٢
حامض كربونيك	٠١٫٢٨	٠١٫٤٤
	١٠٠٫٠٠	١٠٠٫٠٠

(٤) السمك الفصفوري

طنطا . الخواجه توفيق انطون عريضه

اشترينا سمكاً في ٤ يونيو وعند تنظيفهِ وجدت الخادمة في قلب اثنتين منهُ اربع سمكات صغيرة فنظفتها وارادت ان تضعها مع السمك الكبير فمنعتها واخذتها منها ورميتها في صفيحة الاوساخ التي في المطبخ . ونحو نصف الليل دخلت المطبخ لغرض ما وكانت الانوار مطفأة فرأيت في الصفيحة قطعاً تبرق كالنار فخفت ان تكون ناراً فتشتعل بها الاوراق التي في الصفيحة فاتيت بماءٍ وصببتهُ عليها فلم تنطفئ بل بقي نورها على حالهِ فاتيت بقنديل لارى ما هي فاختفى نورها حالاً . وعند ما حجبت نور القنديل عنها عاد لمعانها كما كان فمددت يدي وانتشلت اكبر قطعة منها واذا هي سمكة صغيرة من الاسماك التي وجدت في باطن الاسماك الكبيرة وقد ارسلت اليكم سمكة منها في علبة بالبريد لكي تخبرونا ما هي وما هو سبب انارتها

ج . وصلت العلبة وفيها السمكة وقد انتنت حتى لم نحتمل النظر اليها لخبث رائحتها واننا نستغرب كيف يخطر لكم ان ترسلوا الينا سمكة على هذه الصورة في هذا الحر والسمك يفسد وينتن في ساعات قليلة وقد يمرض من يشم رائحتهُ الخبيثة

والسمكة من السمك الفصفوري مثل الفراش المسمّى سراج الليل وقد كان هذا السمك معروفاً عند القدماء والظاهر انهم كانوا يستخرجون منهُ زيتاً ينير في الظلام . ومن رأينا ان هذا الزيت كان معروفاً عند المصريين الاقدمين وانهم كانوا ينيرون بهِ المدافن العميقة التي نقشوا في جدرانها نقشاً بديعاً ولا سبيل لوصول نور الشمس اليها ولا اقل دليل على انهم كانوا يوقدون المصابيح فيها

وانّنا نشير على من يرسل الينا مادة حيوانية ان يضعها في زجاجة متينة مملوءة بالزيت او بالسبيرتو او بنحوهما من السوائل التي تحفظ بها المواد الحيوانية من الفساد ثم يسد الزجاجة سدًّا محكمًا ويلفها بكثير من القطن حتى لا تنكسر في الطريق اما ارسال المواد الحيوانية على الصورة التي ارسلت بها الينا هذه السمكة فقد يكون منهُ خطر على حياة من يشم رائحتها بعد فسادها

(٥) كتابة كلمة مائة

مصر . محمد افندي السيد فهمي . ايصح حذف الف مائة وكتابتها هكذا مئة

ج . كان القدماء يكتبونها بالالف هكذا « مائة » واقدم ما رأيناهُ من هذا القبيل كتابة على قرطاس من البردي يقال فيها « من عيسى بن ابي عطاء الى صاحب بريد اشمون فاحمل مسلم رسولي على دابتين من البريد احدهما دابة الفرانق وكتبهُ محمد في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة »

وهذه الكلمات كلها خالية من النقط ولا همزة على ياء مائة . ولما اخذ الكتّاب ينقطون الحروف وضعوا لياء مائة نقطتين ففي النسخة التي عندنا من كتاب لباب الاداب لاسامة ابن منقذ وهي نسخة المؤلف نفسهِ وقد كتبت سنة ٥٧٧ للهجرة بعض الحروف منقوط وبعضها غير منقوط واكثر ما ترد كلمة مائة غير منقوطة ولا همزة فيها ولكنها وردت احيانًا منقوطة هكذا « مائة » وقد علّل القلقشندي وضع الالف بقولهِ انها كتبت بالالف قبل الهمزة « للفرق بينها وبين منهُ » . وهو تعليل حسن . وكان وضع هذه الالف لازمًا قبل وضع النقط للحروف المنقوطة اما الآن فلا موجب لها لان نون منهُ لا تكتب بلا نقطة فلم يبقَ محل للَّبس . ومع ذلك فاننا نظن ان بعض المتقدمين كانوا يلفظونها بفتح الميم كما يلفظها بعض المتأخرين وهذا ما جعلهم يبقون الالف فيها بعد وضع النقط

(٦) ضرر القمار والسكر

بني سويف . الخواجه نصري حبيب . اي الآفتين اشدُّ وطأَةً على الهيئة الاجتماعية الخمر او الميسر

ج . الميسر او القمار آفة تصيب اناسًا قليلين فينحصر ضررها فيهم وفي ذويهم واما الخمر والمراد بها هنا السكر فعادة يعتادها كثيرون ويقع ضررها عليهم وعلى ذويهم ايضًا ولذلك يحسب السكر من الآفات الوطنية العمومية ولولاهُ لقصر زمن هذه الحرب في الراجح فان العمال الذين يصنعون الذخيرة في البلاد الانكليزية زيدت اجورهم بسبب الحرب فزاد سكرهم وقلَّ عملهم

(٧) الخصي والقرون

ومنهُ . لماذا لا ينمو قرنا الحروف اذا خصي صغيرًا واي علاقة بين الخصي والقرون

ج . لم ننتبه لذلك قبلاً ولا نتذكر

اننا قرأناهُ في كتاب من الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ولكن ان كان قولكم مبنيًّا على المشاهدة فالتعليل سهل وهو ان القرون سلاح الحيوان · والحيوانات التي من جنس الغنم والمعزى والظباء والايائل تستعمل قرونها وقت المزاوجة فيتقاتل ذكورها بها والغالب منها يستبد بالاناث فقويت العلاقة بين القرون والتناسل ولذلك تسقط قرون ذكور الايائل بعد فصل المزاوجة ولذلك ايضًا صارت اناث بعض انواع الغنم جماء لا قرون لها · وعليهِ لا يبعد ان يتوقف نمو القرون في ذكور الغنم اذا خصيت صغيرةً · ونودُّ ان تحققوا ذلك بالامتحان

(٨) ابطال الحرب

ورشابه · ابرهيم افندي الصبحي · قلتم في مقتطف مايو انهُ اذا ضربت الحكومة ضرائب فادحة على معامل صنع الاسلحة ومنعت منح الرتب للضباط وانشئت جرائد تحقّر امر الحرب سهل ابطال الحرب · ولكن الحقيقة ان الرضى والغضب صفتان قائمتان بالنفس وما دام الانسان يحب شيئًا و يبغض شيئًا آخر فلا بدَّ من الغضب وما دام الغضب فلا بدَّ من الانتقام وما دام الانتقام فلا بدَّ من اخذ العدة لهُ والامم في ذلك كالافراد ولذا لا يمكن بحال من الاحوال ايقاف تيار الحروب هذا ما اعتقدهُ فهل انا واهم

ج · ان اعمال البشر لا تجري حسب هذه المقدمات لانها مسلَّمات لا دليل على صحتها وليست من الكليات فللطبع الرضي درجات كثيرة تكاد تختلف باختلاف عدد الناس حتى لا تكاد تجد اثنين رضيين على درجة واحدة · وللطبع الغضوب درجات مختلفة باختلاف الناس ولذلك لا يمكن ان يبنى حكم عام على وجود هاتين الصفتين · ومما لا شبهة فيهِ ان نظر الناس الى الافعال يختلف من وقت الى آخر حسب العادات والتربية · فالغزو والنهب كانا من المفاخر التي يفتخر بها عرب الجاهلية · وكثيرون من سكان مدن هذا القطر هم من نسل اولئك العرب وما من احد منهم يفتخر الآن انهُ نهب بيت جارهِ وذلك لان النهب صار من الاعمال المذمومة التي يستنكف منها ويستحى بها باتفاق القوانين والعادات ولا يبعد ان تصير الحرب ويصير قتل النفوس بها من الاعمال المستهجنة التي يستنكف منها ولا يفتخر بها · وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي

(٩) قائمة مانيثون

ومنهُ · هل اطلعتم على قائمة اسماء الملوك لمانيثون وهل تستطيعون نشرها ليطَّلع عليها القراء

ج · نعم اطلعنا عليها اي على ما ذُكر منها منسوبًا الى مانيثون وسنذكرها في فرصة اخرى مع ما حققهُ المتأخرون من اسماء اولئك الملوك

(١٠) زراعة الخضر

المحلة الكبرى · احمد افندي الالفي ·

هل توجد مؤلفات باللغة العربية خصيصة بزراعة الخضراوات

ج · لا نظن · ولكن في كتاب الفلاحة الرومية المطبوع في مصر كلام وجيز عن زرع الخضر كالخس والسلق والكرنب والفجل والجزر واللفت والباذنجان والبصل والثوم والكراث والقرع والبطيخ ويحسن النظر فيهِ ليعلم كيف كانت معارف القدماء الزراعية منذ اكثر من الف سنة · وفي كتاب الزراعة الذي نشرتهُ الحكومة فصول عن زرع الخضر



تكريم المرحوم جورج بك زيدان

اقامت لجنة الاتحاد السوري في ٢٨ مايو الماضي حفلة تأبين للمؤرخ الشهير المرحوم جورج بك زيدان منشىء مجلة الهلال في نادي الاتحاد السوري وافتتح الحفلة حضرة ميشيل بك لطف الله رئيس الاتحاد السوري بكلمات جامعة استرعت الاسماع وتلاهُ بقية الخطباء والشعراء وكانت القصيدة الاولى لشاعر مصر الشهير احمد بك شوقي وقد اعتذر عن الحضور فتلاها حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابرهيم وتلاهُ حضرة الكاتب البليغ رفيق بك العظم فخطب في خدمة الفقيد للتاريخ وافاض في بيان فضلهِ وعلمهِ · وتلا حضرة الشاعر الفاضل حفني بك ناصف المفتش الاول للغة العربية في وزارة المعارف قصيدة بديعة الاسلوب اشار فيها الى اهوال الحرب الحاضرة · وتلا حضرة انطون افندي جميل قصيدة عصماء لحضرة الشاعر المبدع ولي الدين بك يكن كلها غرر ودرر .

وبعد ذلك وقف حضرة سليم افندي سركيس فقال جاء دور الخطيب الصامت ثم اشار الى صورة الفقيد وقال هذا هو الخطيب الصامت وخطبتهُ هي مؤلفاتهُ المعروضة امامكم على هذه المائدة فهل بين خطب الخطباء ما هو ابلغ من هذه الخطبة وطلب من الحاضرين ان يقفوا احتراماً لهذا الموقف المهيب فوقفوا جميعاً

وعاد الخطباء والشعراء الى القاء خطبهم وتلاوة قصائدهم فخطب حضرة انطون افندي الجميل في مؤلفات الفقيد فذكرها كلها وبيَّن خدماتهِ العلمية · وتلاهُ حضرة المؤرخ الفاضل نعوم بك شقير رئيس القسم التاريخي في وزارة

الحربية فخطب في الفقيد كصديق واب عائلة فوفى هذا الموضوع حقهُ من البيان · والقى حضرة الشاعر المجيد الدكتور شدودي قصيدة بديعة من السهل الممتنع · وخطب حضرة الكاتب الفاضل داود افندي بركات في حياة الفقيد فاجاد وافاد وتلاهُ شاعر مصر والشام خليل افندي مطران فتلا قصيدة غراء حركت الاحزان واثارت الاشجان والقى حضرة الشاعر الكبير حافظ بك ابرهيم قصيدة عامرة الابيات رشيقة المعاني

ولما انتهى الخطباء والشعراء علا حضرة الشاب الاديب اميل افندي زيدان نجل الفقيد وصاحب مجلة الهلال المنبر والقى كلمات الشكر لنادي الاتحاد السوري وجمهور الحاضرين بعبارة فصيحة رائقة واشار في كلامهِ الى اخلاق والدهِ الفاضلة وتعاليمهِ الصالحة لهُ والى ما قرأهُ مرة من ان معجمات اللغات واساليب التعبير مهما كانت لا يمكن ان تفي بشكر الجميل وقال اني لم افهم قصد الكاتب من هذه العبارة وقتئذٍ اما الآن وقد لقيت من جميلكم ما لقيت فقد فهمت قصده وعلمت انهُ الحق الذي لا مراء فيهِ

ثم ذكر ان بيرُن الشاعر الانكليزي الشهير لما رأى شلال نياغرا في اميركا والمياه تتدفق منهُ اذهلهُ ذلك المنظر الجميل فصاح ثلاثا «نياغرا» «نياغرا» «نياغرا» وكانت هذه الكلمات الثلاث جامعة لكل ما يستطيع ان ينظمهُ في وصف ذلك الشلال البديع قال وهذا ما جرى لي الآن فاني لا اجد ما اقولهُ بعد الذي رأيتهُ من فضلكم وجميلكم غير هذه الكلمات الثلاث التي اكررها لكم وهي الشكر الشكر الشكر

فصفق لهُ الحاضرون واعجبوا بذكائهِ وادبهِ ثم انصرفوا وهم يسألون الله ان يكون خير خلف لوالدهِ وان ينفع باجتهادهِ وذكائهِ الامة والوطن

وقد ذكرنا هذه الحفلة بالاسهاب في المقطم

شمس الشموس

يظهر من بعض التحقيقات الفلكية ان النجم المسمَّى العيوق هو مركز الفلك وان النجوم كلها تدور حولهُ والشمس في جملتها ونحن نراهُ اقل لمعانًا من الشعرى لانهُ ابعد منها جدًّا والمظنون ان جرمهُ اكبر من جرم الشمس ٢٤٢٠٠٠٠ مرة واشراقهُ اشد من اشراقها ٤٩٧٠٠ مرة · اما بُعدهُ عن الشمس فيبلغ ٤٨٩ سنة نورية اي لو سار النور منهُ الينا بسرعتهِ العادية وهي نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان لما وصل الينا في اقل من ٤٨٩ سنة · والشمس تدور حولهُ على هذا البعد الشاسع في دائرة مائلة على سطح المجرة ٢٠ درجة وقد بلغت نقطة الراس اي كانت في بعدها الاقرب منهُ منذ ٦٩٥٠٠٠٠ سنة · وكل النجوم التي نراها

في كبد السماء شموس تدور حول هذا النجم فهو شمس الشموس

نشان البرت لمركوني

مُنح السنيور مركوني مستنبط التلغراف اللاسلكي نشان البرت الذي وضع لما كان البرنس البرت جد ملك الانكليز الحالي رئيساً لجمعية الفنون الملكية سنة ١٨٦٣

السلون بدل الزجاج

الزجاج الذي يوضع في الاوتوموبيل معرَّض للكسر واذا كُسر فالغالب ان تقع شظاياهُ على مَن في الاوتوموبيل وتجرحهُ جروحاً اليمة . وقد استنبط احد الالمان مادة شفافة كالزجاج تماماً ولا تتكسر مثلهُ ولا تلتهب كالسلولوس ولو أُشعلت بالنار واطلق عليها اسم السلون وهي تصنع الواحاً كبيرة او صغيرة سميكة او رقيقة حسب المراد والسلون يمكن تسميرهُ بالمسامير واذا كان رقيقاً امكن ان يخاط خياطة ويمكن قصهُ بالسكين كالخشب وتسخينهُ بالماء الحار فيلين ويشكَّل حسبما يراد . وهو غير موصل للكهربائية ولا ينفذهُ الماء ولا الغازولين ولا البتروليوم ولا التربنتينا

سرعة النجوم

اذا كان النجم مقترباً من الارض في سيرهِ او مبتعداً عنها سهلت معرفة سرعتهِ بتغير موقع الخطوط التي ترى في طيفهِ بالسبكترسكوب كما ان صوت صفَّارة القطار يتغير حسب كون القطار مقترباً منا او مبتعداً عنا وحسب مقدار سرعتهِ في الحالين . واذا كان النجم سائراً في جهة اخرى امكن معرفة سرعتهِ من رصد مواقعهِ بين النجوم من سنة الى اخرى . وتختلف سرعة النجوم في سيرها من ٦ كيلو مترات في الثانية الى ثلاثين كيلو متراً . والنجوم البطيئة هي الحديثة والسريعة القديمة . وقد وجد من رصد النجوم في مرصد مونت ولسن باميركا ان بعضها يسير بسرعة ٣٢٥ كيلو متراً في الثانية من الزمان فيقطع مثل المسافة بين مصر والاسكندرية في طرفة عين . وهذه اعظم سرعة للنجوم قيست حتى الآن

ترياق سم الافاعي

في بلاد برازيل ارض مساحتها ٧٠٠ فدان جعلت حديقة للافاعي السامَّة تربى فيها حسب انواعها لكي تدرس طبائعها وتطلق على الخيل والحمير حتى تلسعها ثم يستخرج من دم تلك الخيل وتلك الحمير مصل يقي من سمها . ومنها مصل يشفي من لسع كل الافاعي البرازيلية لان الحيوان الذي يستخرج منهُ يكون قد لسع بنوعين من افتكها سمًّا . ومن الغريب ان المصل الذي يصنع في مدينة ليل حسب طريقة الدكتور كلمت لا يفيد في لسع

الافاعي البرازيلية · والمصل الذي يستخرج في البرازيل يرسل مجاناً الى المستشفيات والمجالس البلدية لمعالجة الفقراء الذي تلسعهم الافاعي · ويقال ان الافاعي السامة كثيرة جداً في حراج برازيل ولكنها لا تلسع احداً الاَّ اذا داسها · وبينها افعى كبيرة جداً غير سامة وهي تقتل الافاعي السامة وتأكلها وسمها لا يؤَثر فيها

المطر واطلاق المدافع

طالما ادعى البعض ان اطلاق المدافع يؤَثر في الهواء ويوقع المطر ولكن اتضح الآن ان المطر كان في الشتاء الماضي اغزر في البلاد الانكليزية منهُ في ميادين القتال في فرنسا وبلجكا مع كثرة اطلاق المدافع يومياً فيهما وعدم اطلاقها في انكلترا

مدى المدافع

لما قيل ان الالمان اطلقوا القنابل على دنكرك من مسافة عشرين ميلاً ارتاع العامة من هذا الخبر وحسبوا ان الالمان اتوا امراً غير عادي اما رجال الحرب فيعلمون ان المدافع البحرية تصل قنابلها ثلاثين ميلاً · ولا بد من ان يكون الالمان قد اطلقوا تلك القنابل بمدفع بحري وضعوهُ على البر ليرهبوا الناس بهِ اما المدافع الكبيرة التي استعملوها في هدم الحصون فلا تطلق قنابلها الى مدى بعيد مثل هذا

الميكروبات المتحجرة

ظهر الآن ان ميكروبات الامراض ليست حديثة في الدنيا بل كانت قديمة فيها مثل اقدم الحيوانات وقد كشفت آثارها متحجرة في الارض كما كشفت آثار الدبابات والاسماك فقد قال الدكتور ولكوت في الجمعية الزراعية بوشنطون في ٦ ابريل الماضي انهُ رأى هذه الميكروبات في بعض الصخور الجيرية (الكلسية) والظاهر ان رسوب الصخور الجيرية نتج من فعل الميكروبات منذ عشرين الف سنة او ثلاثين الف سنة · والانواع التي وجدت في هذه المتحجرات بعضها خلايا مفردة وبعضها حبوب متصلة · وعليهِ فالميكروبات ليست من الاحياء الحديثة بل هي قديمة في الارض مثل اقدم انواع النبات والحيوان

انتقال التيفويد

الحمى التيفويدية من اكثر الحميات انتشاراً وهي تعدُّ الآن بين الامراض الكثيرة الوفيات كالسل والسرطان · وهي كالكوليرا في ان عدواها تصل الى الانسان مع ما يأْكلهُ او يشربهُ فاذا تلوثت يدهُ بميكروبها ومسك لقمة ليأْكلها فقد يدخل الميكروب مع اللقمة ويبتليهِ بالمرض · واذا وقعت ذبابة على براز انسان مصاب بالكوليرا

ثم وقعت على حبة عنب واكلها انسان فقد توصل اليهِ ميكروب الكوليرا · ولكن لا يصعب غسل اليدين قبل تناول الطعام وغسل العنب قبل اكلهِ · ولو اقتصرت اساليب انتقال الميكروب على ما تقدَّم لسهلت الوقاية منهُ كما تسهل الوقاية من الكوليرا ولكن ميكروب التيفويد ينتقل على كيفية اخرى وهي ان من يصاب بها ويشفى منها قد يبقى موصلاً للعدوى سنين كثيرة وقد يكون الانسان موصلاً للعدوى ولو لم يصب بالتيفويد اولم يظهر التيفويد فيهِ فاذا كان الطبَّاخ من هذا القبيل فكلما دخل بيتاً ادخل اليهِ التيفويد ولوكان هو غير مصاب بهِ

وقد ثبت الآن ان افضل واقٍ يقي من التيفويد هو التطعيم الواقي فانهُ يفعل فعل طعم الجدري في الوقاية من الجدري · ولا بدَّ من يعم استعمالهُ كما عم استعمال التطعيم للوقاية من الجدري ويجب ان يكرر التطعيم بهِ ثلاث مرات في ثلاثة اسابيع فتتم الوقاية بهِ من التيفويد

الموز وسم الافعى

شاع الآن ان عصارة شجرة الموز تشفي من سم الافاعي وذلك بان يدق جانب من شجرة الموز وتؤخذ عصارتهُ ويسقاها من لسعتهُ الافعى فلا يؤذيهِ سمها · الاَّ ان الباحثين في هذا الموضوع يقولون ان اكثر الافاعي غير سام والسام منها لا يميت كلهُ بل ان ستين في المئة من الذين تلسعهم الافاعي السامة لا يضرون ولو لم يستعملوا علاجاً على الاطلاق فاذا استعملوا العلاج فلا يكون الشفاء منهُ

كشف الثقب في اطارات الكاوتشوك

اذا ثقب اطار الدراجة (العجلة) او الاوتوموبيل فالطريقة المتبعة لمعرفة مكان الثقب ان يغطس الاطار كلهُ في الماء ويضغط عليهِ فتظهر فقاقيع الهواء في محل الثقب · ولكن وضع الاطار كلهُ في الماء لا يتيسر دائماً وقد استنبط بعضهم آلة صغيرة توضع على الاطار في اماكن مختلفة فتمسك بهِ واسفلها الذي يلامس الاطار مصنوع من السلك كالغربال وعليهِ زغب دقيق من الريش فاذا كان هناك ثقب وضغط على الاطار فالهواء الخارج من الثقب يحرك الريش فيعلم مكانهُ

انكساف النجوم

وصف الاستاذ ولف حادثة نادرة وهي مرور نجم امام نجم آخر فقد مرَّ نجم من القدر الثالث عشر تبلغ سرعتهُ نحو ثانية من القوس في السنة امام نجم من القدر الخامس عشر فكسفهُ ثم تجاوزهُ · ومن هذا القبيل ما حدث في ٣ نوفمبر الماضي وهو ان قمراً من

اقمار المشتري مرَّ امام قمر آخر فكسفهُ وبقي القمران كأَنهما قمر واحد مدة ٢٠ دقيقة

خريطة السماء

اعلن مرصد كلية هارفرد انهُ سينشر خريطة للسماء منقولة عن صور فوتوغرافية رسمت فيها النجوم الى القدر الحادي عشر فبلغ عددها ٦٨٣٠٠٠ ١

مقياس الراحة والانتعاش

لما اشتدَّ الحر في اواسط يونيو الماضي حتى بلغ في الظل اربعين درجة بميزان سنتغراد شعرنا بضيق شديد من جراه ُ. وكنا يوماً في الخرطوم وبلغت الحرارة في الظل ٤٤ درجة ولم يكن شعورنا بها شديداً كما كان في القاهرة بالامس . وقد كنا في مدينة لندن سنة ١٨٩٣ وبلغ الحر فيها حينئذٍ في شهر اغسطس ٢٩ درجة فتعبنا بهِ اكثر مما تعبنا في القاهرة والخرطوم

ومعلوم ان الشعور بالتعب من الحر يتوقف على درجة الحرارة وعلى درجة الرطوبة وعلى حركة الهواء . فاذا كانت الرطوبة كثيرة والهواء ساكناً شعر الانسان بتعب شديد وضاقت نفسهُ من الحر ولكن اذا كانت الحرارة شديدة والرطوبة قليلة وكان الهواء متحركاً لم يشعر بتعب وذلك لان حرارة جسمهِ تنتقل الى الهواء بسهولة في الحالة الثانية بواسطة التبخر من بدنهِ ولا تنتقل منهُ في الحالة الاولى . وهذا هو السبب لما يشعر بهِ الانسان في بعض الاماكن والاوقات من الراحة والانتعاش او من التعب والانقباض . وقد صنع بعضهم آلة يقاس بها ما في المكان والزمان من الراحة والانتعاش بقياس درجة الحرارة في جسم رطب يتبخر الماء منهُ دواماً وفيهِ مولّد للحرارة كانهُ مماثل لجسم الانسان . فالاماكن التي تهبط فيها حرارتهُ رغماً عن ارتفاع حرارة الهواء يستريح فيها جسم الانسان وينتعش والتي لا تهبط فيها حرارتهُ لا يستريح فيها الجسم ولا ينتعش

مطر الضفادع

حدث نوء كهربائي قرب جبل طارق في ٢٥ مايو الماضي فوقع من الجو شيء كثير جداً من الضفادع . والمظنون ان اعصاراً رفعها من بركة على عشرين ميلاً من المكان الذي القاها فيهِ

مقاومة حمى التيفوس

لما ذهب المحسنون من الانكليز الى بلاد السرب لمقاومة ما انتشر فيها من الامراض الفتاكة وجدوا ان التيفوس اسهلها مقاومة لانهُ ينتشر بواسطة القمل فطهّروا ثياب المصابين بهِ وفرشهم وابدانهم حتى انقطع القمل فوقف سير المرض وامتنع انتشارهُ

نفقات الحرب

بلغت نفقات فرنسا على هذه الحرب من اول اغسطس الى آخر دسمبر الماضي ٥٨٨١٥٣٢٠٧٨٠ فرنكًا او نحو ٢٣٠ مليون جنيه · ومن اول يناير الى آخر يونيو ١٠٤٢٢٦٩٤٣٩١ فرنكاً او نحو ٤٠٠ مليون جنيه والجملة ١٦٢٣٨٠١٥١٧١ او نحو ٦٣٠ مليون جنيه · وقد انفقت الحكومة الفرنسوية من اول الحرب الى الآن على الاهلين لشراء المؤن وعلى اصدار القروض وما اشبه ما لو أضيف الى النفقات المتقدمة لبلغت بهِ ٢٤ مليار فرنك او ٩٦٠ مليون جنيه

وقد قال المسيو ربو وزير المالية الفرنسوية ان النفقات ستزيد رويداً رويداً فقد كان المتوسط الشهري في الخمسة الاشهر الاولى من شهور الحرب ١٣٤٠ مليون فرنك او نحو ٥٤ مليون جنيه وفي الخمسة الأشهر الاولى من هذه السنة ١٦٦٥ مليون فرنك او نحو ٦٧ مليون جنيه كل شهر وفي الثلاثة الاشهر التالية ١٨٧٠ مليون فرنك او نحو ٧٥ مليون جنيه شهرياً او مليونين ونصف من الجنيهات كل يوم عدا ما ينفق على المهاجرين وغيرهم مما دعت اليهِ هذه الحرب

اما الانكليزية فتقدَّر نفقاتهم اليومية الآن باكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولا بدَّ من ان تكون نفقات كل من الالمان والروس اكثر من ذلك وقد لا تقل عن اربعة ملايين من الجنيهات يوميًّا وعليهِ فالنفقات اليومية التي تنفقها الدول المشتركة في الحرب تقارب ما في هذا الجدول

نفقات المانيا اليومية	٤	ملايين جنيه
« روسيا «	٤	«
« فرنسا «	٣	«
« انكلترا «	٣	«
« النمسا «	٢	«
« ايطاليا «	١	«
تركيا والبلجيك والسرب	١	«
والجملة	١٨	

او نحو ٥٤٠ مليون جنيه كل شهر عدا ما تخسرهُ هذه البلدان في زراعتها وصناعتها وتجارتها وما تخسرهُ من النفوس

تجارة مصر في ٥ اشهر

بلغت قيمة الواردات الى القطر المصري في الخمسة الاشهر الاولى من هذه السنة اي الى آخر شهر مايو ٦٥٤٣٢٦٦ جنيهاً وكانت في العام الماضي ١١٦٨٤٠٥٤ جنيهاً فنقصت ٥١٤٠٧٨٨ جنيهاً اي اقتصد القطر في نفقاتهِ اكثر من مليون جنيه كل شهر · وبلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في هذه الاشهر الخمسة ١٢٠٨٩٧٥٤ جنيهاً وكانت في العام الماضي ١٣٦٦٨٥٣٩ جنيهاً

فلم تنقص الاَّ ١٥٧٨٧٨٥ جنيهاً وبلغ الفرق بين قيمة الصادر وقيمة الوارد ٤٧٨ ٥٤٦ ٥ جنيهاً اي فاض مع القطر المصري خمسة ملايين ونصف مليون جنيه من حساب تجارتهِ الخارجية ليوفي منها رباديونهِ وديون حكومتهِ · وقد دخلهُ من النقود في هذه الاشهر الخمسة اكثر مما صدر منهُ ولكن المقداران صغيران فقد دخلهُ ٢٩١٤٢٥ جنيهاً وخرج منهُ ٧٠٨٥٣ جنيهاً · واذا استمرَّت الحال على هذا المنوال في السبعة الاشهر الباقية من السنة اي زادت قيمة الصادرات على قيمة الواردات سبعة ملايين من الجنيهات فتكون حال القطر المصري اصلح من احوال كل الاقطار المشتركة في هذه الحرب بل اصلح من حالهِ قبل الحرب · والامال معقودة بان ينجو موسم القطن من الآفات وان يباع بسعر عالٍ وان يستمر السكان على الاقتصاد الذي جروا عليهِ في الاشهر الماضية

وقد زادت قيمة بعض الواردات بسبب وجود الجيوش الانكليزية والفرنسوية فزاد مثلاً ثمن اللحم المبرَّد والمقدد نحو ١٨٤ الف جنيه وثمن الجبن نحو ٢٢ الف جنيه وثمن اللبن المحفوظ نحو ١٣ الف جنية وثمن البن نحو ٦٠ الف جنيه والشكولاتا نحو ١٦ الف جنيه والبيرة ٣٣ الف جنيه · وزاد ايضاً ثمن الاكياس الفوارغ ٣٥ الف جنيه والسماد الكيماوي ١٥ الف جنيه وليس في ذلك كلهِ ما يدلُّ على الاسراف· اما اهم الواردات التي نقص ثمنها فالدقيق فقد نقص ثمن الوارد منهُ ٦٧٧ الف جنيه والسكر ١٠٦ آلاف جنيه وخشب البناء ٤٠٠ الف جنيه والمنسوجات القطنية ٤٨٠ الف جنيه والبرانيط ونحوها ١٤٢ الف جنيه وجملة النقص في باب المنسوجات ٨٠٤ ٢٦٣ ١ جنيهات ولم يزد في هذا الباب الاَّ ثمن الاكياس الفوارغ كما تقدم · وقد نقص ايضاً ثمن الوارد من المعادن والمصنوعات المعدنية ١٦٧ ٢٣٠ ١ جنيهاً واكثر هذا النقص الاخير ليس من الاقتصاد في شيء ولكن الضرورة دعت اليهِ

هبة جديدة لكارنجي

احتفل في ٢٩ ابريل الماضي بتأسيس معهد كارنجي الصناعي فوهبهُ المستر كارنجي في ذلك اليوم ٢٧٠٠٠٠٠ ريال اي ٥٤٠ الف جنيه مصري فصار مجموع الهبات التي وهبها لهُ ٢٧٠٠٠٠٠٠ ريال اي خمسة ملايين واربع مئة الف جنيه مصري · كذا فليكن الكرم

صنع القنابل

لكل دولة طرق سرية في صنع القنابل تكتمها عن غيرها وهذه الاسرار في الامور الدقيقة اما طريقة صنع القنابل على وجه عام

فغير خافية على دولة من الدول وهي كما يلي

تؤخذ سبيكة مستطيلة من الصلب وتحمى في فرن يمكن رفع حرارتهِ الى الدرجة ٢٠٠٠ بميزان فرنهيت ثم تنقل منهُ الى آلة فيها مكبس ينزل على السبيكة بقوة عظيمة فيغور فيها ويجعلها جوفاء كأنها اسطوانة مفرغة مسدودة القعر ثم تنقل الى مكبس آخر يهندمها ويجعل شكلها وطولها وسمكها على القدر المطلوب . وتلف عليها بعد ذلك احزمة النحاس التي تلابس ششخنة المدفع فتجعل القنبلة تدور على نفسها عند انطلاقها. ويركَّب فيها بعد ذلك القسم الامامي المخروطي الشكل بعد ان يكون قد ثقب لادخال الكبسول الذي يجعل القنبلة تنفجر حينما تصيب الغرض

وتدفع بعد ذلك الى عمال الحكومة فيقيسونها ويمتحنونها فاذا لم يروا فيها عيباً طبعوا عليها ختم الحكومة ثم تملأُها معامل الحكومة بالليديت الذي يصب فيها سائلاً ثم يجمد وهو المادة التي تجعلها تنفجر

وتختلف القنابل باختلاف الغرض منها فالقنابل التي يراد اطلاقها على البوارج او الحصون لتخترقها يجعل مقدمها من الصلب القاسي والقنابل التي يراد اطلاقها على المعسكرات والجنود المحتشدة تملأُ رصاصاً ويعالج صلبها بطرق تجعلهُ ينقدُّ شظايا ذريعة الفتك

هبة علمية

جاء من مدينة الراس بجنوب افريقية ان المستر مارايز وهب اهالي مدينة ستلنبوش مئة الف جنيه لانشاء مدرسة جامعة. والظاهر انهُ فعل ذلك منافسةً لورنهر وبيت اللذين وهبا خمس مئة الف جنيه لانشاء جامعة جوهنزبرج. وبمثل ذلك ليتنافس المتنافسون

هبة اميركية

اثبت مجلس سنت لويس باميركا هبة المرحوم جمس كبل التي وهبها لجامعة الطب في سنت لويس بعد وفاة زوجتهِ وتقدر قيمة هذه الهبة بمليون ومئتي الف جنيه الى مليوني جنيه

مساعدة المعاهد الصناعية

تأخر على معهد ستفنس الصناعي بولاية نيوجرزي من اميركا ٧٧ الف جنيه فلجأ مديروهُ الى محبي العلوم والصنائع فجمعوا لهُ مئتين وسبعة وسبعين الف جنيه فوفى دينهُ وبقي لهُ مئتا الف جنيه ليوسع مبانيهُ ويزيد نفقاتهِ

مقاومة السرطان

جمع بعض المحسنين ١٤٥٨٠ جنيهاً اعطوها للمدرسة الطبية في جامعة هارفرد باميركا لكي تنفقها في البحث عن علاج لداء السرطان

فهرس الجزء الاول من المجلد السابع والاربعين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٣

سرّ النمو

(تابع ما قبلهُ)

جُرحت انملة فتاة في مغرز ظفرها فنما اللحم على الجرح سريعاً حتى بلغ البندقة في ليلة واحدة . فقطع الجرّاح هذا النمو فنما ثانيةً في اليوم التالي فاعاد القطع فعاد النمو وتكرّر ذلك بضعة ايام واخيراً وضعنا على النمو مادة كاوية وربطناهُ وتركناهُ فجف وزال والتأم الجرح وشفي تماماً ولا اثر لهُ الآن

خلايا الانملة كانت ساكنة قبل الجرح لا ينمو شيء منها الاَّ اذا دُثر بعضها فينمو غيرهُ ليقوم مقامهُ فجاء الجرح وحركها للنمو فنمت على اسلوب غريب . وامثلة ذلك كثيرة في الحيوان واكثر منها في النبات كما رأينا في الورقة التي ذكرناها في الجزء الماضي فان الفروع لا تنمو من حافتيها الاَّ اذا قطعت من امها واما اذا بقيت لاصقةً بها فتبقى بسيطة لا فروع فيها كذلك اذا قطعت غصناً من شجرة فان البراعم التي تكون كامنة تحت مقطع الغصن تتحرّك حينئذٍ وتنمو حالاً ولو لم يقطع لما نمت ولا تحرّكت . وكذلك الحال في ما يصيب البدن من الجروح فان دقائق اللحم التي حول الجرح تنمو حينئذٍ نموًّا غير عادي وتكون ازراراً يلتئم الجرح بها . وقد يزيد نموها عمَّا يلزم لالتئامهِ فيتكون منها ندبة لحميَّة نائتة فوق الجرح لكنها تقف عند هذا الحد وتعود الى السكون

ما قول القارىء في سور مدينة اوجدار بيت اذا هدم جانب منهُ نهضت الحجارة المجاورة لمحل الهدم وكوَّنت من نفسها حجارة مثلها بنت بها الثغرة المهدومة حتى اذا تمَّ عملها عادت الى سكونها الاول . هذا العمل الذي يستحيل في الجماد يقع دائماً في دقائق الجسم الحي كأنها عاقلة مدركة تشعر بما حلَّ حولها فتبادر الى اصلاحهِ من نفسها

قلنا في الجزء الماضي ان الخلية تشرع تنمو اذا هيجت والبيضة اذا لقحت وان التهييج او التلقيح يهتك جدار الخلية والبيضة ويكون منهُ غشاء يزيد تأكسدها بما فيهِ من الحديد فتصير تتناول الاكسجين من الهواء وتقدمهُ الى ما حولها من الدقائق فتنمو بهِ . ويحدث مثل ذلك في كل اعضاء الانسان فان دقائقها تتحرك للنمو بفعل مادة كيماوية موجودة في الدم لكن هذا النمو مربوط بشرائط كثيرة عُرِف بعضها ولم يعرف البعض الآخر وهاك ما قالهُ الاستاذ جاك لوب في هذا المعنى قال ما خلاصتهُ

ان في الجسم الحي مواد من نوع الليسين lyoine تنني الخلايا الحية وهي لا تؤثر في خلايا الجسم نفسهِ عادة بل في خلايا غيرهِ ولولا ذلك لنمت كل البيوض التي في انثى الحيوان ولو لم تلقح . ولكن قد تتأثر البيوض والخلايا ببعض الاملاح تأثراً يجعل ليسين الجسم الذي هي منهُ يؤثر فيها وينميها . ومن رأي الدكتور ليو لوب ان نمو بعض الاورام في المبيض سببهُ تأثير هذه الاملاح فيها [1] . ومن هذا القبيل ما وجدهُ غدرنتش Gudernatsch وهو ان ارجل دعاميص الضفادع التي لا تنمو عادة قبلما يصير عمرها بضعة اشهر تنمو سريعاً اذا أُطعمت تلك الدعاميص من مادة الغدة الدرقية . وفي الغدة الدرقية يود فوجد مورس Morse انهُ اذا أُطعمت دعاميص الضفادع حوامض نشوية فيها يود نمت ارجلها بسرعة . وعليهِ فارجل الدعاميص تنمو حينما تتكون في اجسامها مادة مثل مادة الغدة الدرقية . وقد وجد أُهلنهث Uhlenhuth انهُ اذا نزعت عين جنين السمندل ونقلت الى جنين آخر بدل احدى عينيهِ نمت كما تنمو عينهُ الباقية وبلغت اشدها معها . وذلك وامثالهُ تدل على ان في دم الحيوان مادة تفعل بخلايا جسمهِ وتحملها على النمو

وقد ابان ليو لوب انهُ حينما تتصل البيضة الملقحة بجدار الرحم يتغير نسيج الرحم هناك وتتكون منهُ المشيمة ويحدث مثل ذلك اذا لامس الرحم جسمٌ غريب . ولا تتكون المشيمة في الرحم الاّ اذا لامستهُ البيضة او لامسهُ جسم غريب . وقد ابان لوب ان الجسم الاصفر corpus luteum الذي في المبيض يقدم للدم حينئذٍ مادة تغير بناء الرحم حتى اذا لامسهُ جسم غريب تكونت المشيمة منهُ لكن هذه المادة التي تحرك جدار الرحم لتكوين المشيمة لا تحرك عضواً آخر من اعضاء الجسم لتكوين مشيمة منهُ . والظاهر ان في الدم مواد مختلفة كلٌّ منها يحرك دقائق عضوٍ من الاعضاء لتكوين ما يتكوَّن منهُ او مادة واحدة تفعل بالاعضاء كلها ولكن كل عضوٍ منها يتحرك وينمو حسب ما يستدعيهِ نوعهُ وبناؤُهُ وبذلك

(١) ومن المحتمل ان الاورام السرطانية التي تنمو في بعض النساء سببها استعمالهن لبعض الحقن المحبية

تفسّر علاقة الآفات التي تنتفخ فيها المفاصل او يطول الجسم حتى يصير من اجسام الجبارين او يكبر الراس او يصغر بفعل الغدد النخامية او الدرقية

ولكن كيف تفعل هذه المواد بالخلايا الساكنة وتحملها على النمو هل تفعل بها فعل اللقاح بالبيضة فتهتك جدارها وتكون فيها غشاء يساعدها على تناول الاكسجين او هل سكون الخلايا مسبَّب عن فعل بعض المواد بها وتحرُّكها مسبَّب عن فعل مواد اخرى كأَن في الجسم مسكّنات ومنبهات يفعل كلٌّ منها فعلهُ في تسكين خلايا الجسم وتنبيهها . والطعام لا يفعل بالخلايا مباشرة بل بواسطة هذه المنبهات كما يستدل من تجارب كلود برنار Claude Bernard وڤتزو Vitzou

وقد ابان مورفي Jas. B. Murphy انهُ يمكن نقل قطع من لحم حيوان الى جنين فرخ الدجاج فتنمو فيهِ ما دام في البيضة ولكن حينما يكمل بناؤُهُ ويصير قادراً على شق البيضة والخروج منها يبطل نمو تلك القطع فيهِ وذلك لان خلايا دمهِ البيضاء الصغرى (لمفوسيت lymphocyte) تمنع نموها حينئذٍ فان مورفي قتل هذه الخلايا باشعة رنتجن فعادت تلك القطع الى النمو . واذا نمت هذه الخلايا ثانية عادت الى ابطال نمو القطع . ففي الجسم الحي مواد تسكّن بعض خلاياهُ وتوقفها عن النمو وفيهِ ايضاً مواد اخرى تنبهها وتبعثها على النمو

وواضح مما تقدَّم ان الخلايا التي تكون مستكنة تتنبه وتنمو حالما يقع جرح على مقربة منها . وقد يقطع عضو من بعض الحيوانات فينمو لهُ عضو آخر بدلاً منهُ كما يقطع غصن من شجرة فينمو غيرهُ ولكن الخلايا التي حول محل الجرح وعلى مقربة من مقطع الغصن لا تتنبَّه ولا تنمو قبل الجرح والقطع

من التجارب البديعة التي جربها الاستاذ جاك لوب انهُ قطع ورقة من ورق النبات المذكور آنفاً وعلقها في مكان هواؤُهُ رطب فنمت الاغصان من حافتيها وقطع ورقة ثانية وابقى فيها جانباً من الساق المتصلة بها وعلقها في مكان هواؤُهُ رطب فلم تنمُ الاغصان من حافتيها ثم قطع جزءًا من الساق فيهِ ورقتان متقابلتان وعلقهُ في مكان هواؤُهُ رطب فنمت الاغصان من الورقتين معاً . كأَن انفراد الورقة الاولى الخالية من الساق ينبه دقائقها للنمو مخافة ان ينقرض نوعها واتصال الثانية بجزءٍ من الساق لا يحملها على النمو علماً منها انها لا تزال متصلة بساق يقدم لها الغذاء الكافي لبقائها . واتصال ورقتين معاً بجزءٍ من الساق يحملها يحسبان ان الغذاء في ذلك الجزء لا يحتمل ان يكون كافياً لهما معاً فصار شأنهما شأن الورقة المفردة لكن هذا التعليل العقلي لا يُتصوَّر ان اوراق النبات تفكّر فيهِ . وقد يحتمل ان المادة المسكّنة

التي في النبات تكون في الساق فلا تصل الى الورقة اذا انفصلت عنهُ فتنمو دقائقها حينئذٍ ولا تنمو اذا بقي جزء من الساق متصلاً بها لان القوة المستكنة فيهِ كافية لتسكينها ولكن اذا بقي هذا الجزء متصلاً بورقتين معاً لم تكفِ هذه المادة لتسكين دقائقهما ومنعها من النمو. لكن الدكتور جاك لوب قال انهُ علَّل ذلك بفعل عصبي ووعد بنشر تعليلهِ مع تجاربهِ الكثيرة في ورق هذا النبات ومتى وقفنا عليها نتحف القراء بخلاصتها

وقد يستخلص مما ذكر ومما لم يذكر من هذه المباحث والتجارب ان في كل خلية من خلايا الجسم الحي اي كل دقيقة اصلية من دقائقهِ قوة للنمو والانقسام حتى تتكون منها خلايا اخرى وانها تستمرُّ على ذلك ما دامت الاحوال مناسبة لنموها وانقسامها كأَنَّ فيها مواد او قوى مركَّبة تركب الغذاء الذي يدخلها وتجعل منهُ مادة مثل مادة الخلية. ولكن الاجسام الكثيرة الخلايا لا يجري نموها على ما تقدَّم ولا نمو خلايا بيضها فان البيضة غير الملقحة لا تنمو في الغالب مهما كثر غذاؤُها وناسبتها الاحوال للنمو بل تموت وتنحل ما لم تلقح او تعالج على اسلوب ينميها كالتلقيح. ونتوقف حالتها من السكون او التنبه على غلافها ودرجة اخذها للاكسجين

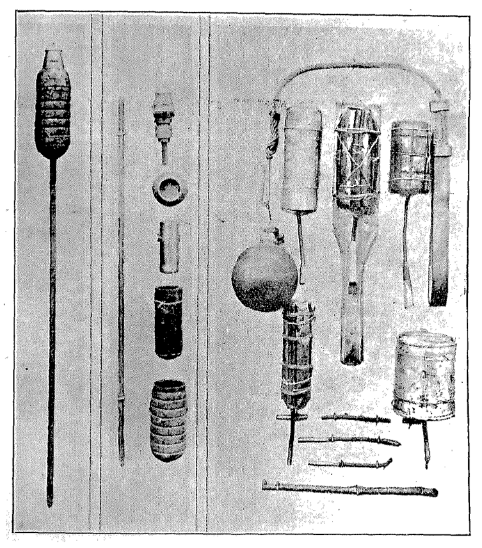
وخلايا الجسم بعضها في حال السكون وبعضها في حال التنبه والنمو ولا نعلم هل الاحوال التي تسبب سكون الخلية هي عين الاحوال التي تسبب سكون البيضة ولكن نعلم انهُ يجري في الدم مواد تنبه بعض الخلايا الساكنة من سكونها وتجعلها تنمو وان هذه المواد تختلف باختلاف الخلايا وقد يكون فيهِ مواد اخرى تعدّل فعل هذه المواد وتسكّن الخلايا

وكيفما كانت الحال فالدورة الدموية في الحيوان والدورة العصارية في النبات فاعلان مهمان في سكون الخلايا ونموها اذ عليهما يتوقف وصول المواد التي تسكِّن الخلايا او تحركها للنمو. وان جرح الاعضاء او قطعها يدعو الى جمع المواد والقوى اللازمة للنمو فتنمو الخلايا هناك حينئذٍ نمواً لم يكن لولا ذلك القطع او ذلك الجرح

هذه اهم الاسرار المتعلقة بالنمو التي كُشفت حتى الآن ولم تنجلِ بها الغوامض كلها ولكن العلماء سائرون في الطريق المؤدي الى اكتشافها فهل يكتشفونها كلها حتى يتيسَّر لهم ان يركبوا خلية حيَّة او يعيدوا الحياة الى خلية فقدتها كما تيسَّر لهم ان يركبوا بعض المواد الجمادية والحيوانية؟ هذه مسألة يتعذَّر الحكم فيها الآن حكماً قاطعاً



قنبلة يد انكليزية مشقوقة لتظهر اجزاؤها الدخلية وتحتها جنديان يستعملانها



قنابل يد مختلفة الاشكال انكليزية وفرنسوية والمانية ومعها الكرة التي تعلق بسوار في اليد

قنابل اليد والاسلاك الشائكة

قنابل اليد — آلات جهنمية حديثة الاستعمال كثيرة الاشكال بعضها كروي و بعضها مستطيل تحشى بالمواد الشديدة الانفجار وترمى باليد فتقع على الذين في الخنادق وتنفجر فتقتل كل من تصيبهُ شظاياها او تجرحهُ جروحاً يصعب شفاؤُها

كان الاقدمون يترامون بالمقاليع يرشقون بها الحجارة فتصيب الهدف اصابةً محكمة حتى قيل ان داود النبي رمى جليات الجبار بحجر فاصاب جبهتهُ وارتكز الحجر فيها فخر صريعاً. ولكن أُهملت المقاليع والسهام وكل ما يرمى ولا يسهل تسديدهُ بعد ما ركّب البارود وصُنعت البنادق والمدافع التي يرمي بها الخصم فيصاب ولو كان على الوف من الاقدام. اما وقد صار الخصمان يتدانيان مختندقين حتى يكلم احدهما الآخر فلم تبقَ حاجة كبيرة الى بُعد المرمى وتسديد الرماية. وصار الخصم يوارى عن عيني خصمهِ فلا يصاب الاَّ اذا وقع عليهِ المرميُّ وقعاً فلا المدافع تصلح لذلك ولا البنادق ولا القسي وانما تصلح لهُ هذه القنابل الجهنميَّة. ولعلنا نسمع غداً ان الخصوم صاروا يتماسكون و يتلاكمون و ينهش بعضهم بعضاً باسنانهِ ويمزق جلدهُ باظافرهِ كما تفعل الضواري والجوارح

جهاد عنيف تزهق فيهِ النفوس ولكن مثيريهِ يرمون الى استعباد خصومهم واذلالهم والموت خير من المذلّة

والاسلاك الشائكة — اسلاك غليظة من الحديد تنتأُ منها اشواك كالسهام المحدَّدة فاذا نصبت اعمدة من الخشب او الحديد حول بستان ونشرت عليها هذه الاسلاك تعذَّر على المواشي والناس دخولهُ. فكثر استعمالها في الربع الاخير من القرن الماضي سياجاً للحقول والبساتين ولم يكن يخطر بالبال انها تستعمل يوماً ما وسيلة من وسائل الحرب ومن امنعها في الدفاع نعم ان الاقدمين استعملوا الحسك وهو على ما في الفيروزابادي شوك من الحديد ذو ثلاث شعب يلقى حول العسكر. لكن هذا الحسك يفيد اذا كان الناس حفاةً. اما الالمان وقد جعلوا الحرب علماً باصول واتخذوها وسيلة للتفوُّق على الامم ان لم يكن لاستعبادها فلم تخف عليهم فائدة الاسلاك الشائكة لاسيما وان الانكليز استعملوها في حرب البوير والروس في حرب منشوريا ولكن لم يخطر على بال هؤُلاء ولا أُولئك ان يكثروا من استعمالها الى الحد الذي وصل اليهِ الالمان والاَّ لاعدوا منها المقدار الكافي مثلهم. ومن طبيعة الشعب الالماني ان لا يشبع من شيء يرى لهُ منهُ نفع فقد غصت اسواق المسكونة

بمصنوعاتهم وقت السلم والآن غصّت ميادين القتال بمدافعهم وقنابلهم وغازاتهم وسائر مقذوفاتهم وقد علّموا خصومهم حفر الخنادق والسير في الاسراب وتفوقوا عليهم بما عندهم من سكك الحديد وسرعة نقل الجيوش بها من جهة الى اخرى حتى لقد ترى جيشاً عرمرماً منهم هنا ثم تراه بعد بضعة ايام في مكان آخر يبعد عن الاول مئات من الاميال والى ذلك يعزى اكثر الفضل في ما بدا منهم من الخفّة والهمة حتى الآن

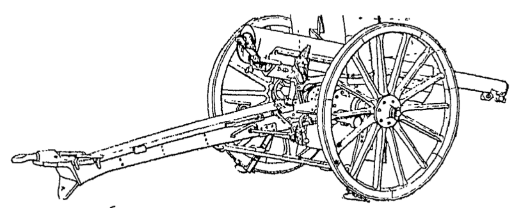
لكن الجيوش لا تنقل كلها دفعةً واحدةً ولا في يوم واحد ولا يتكامل الجيش في مكان الاَّ بعد ايام وربما يتكامل في هذا المكان يكون آخذاً في التناقص في المكان الاول فكيف تحفظ طلائعه في المكان الثاني ريثما يتكامل عَدَدهُ وعِدَدهُ وكيف توقى ساقتهُ في المكان الاول . وقد حلَّ الالمان هذا المشكل بواسطة الاسلاك الشائكة . ففي الميدان الشرقي مثلاً حيث قصدوا الهجوم على ورسو بلغ طول الخط الذي يجب عليهم ان يحاربوا فيهِ اربعين ميلاً فاتوا بالجنود اليهِ رويداً رويداً ونصبوا امامهم غاباً من الاسلاك الشائكة عرضهُ اربعة اميال وجهزوهم بالبنادق الآلية التي يطلق من البندقية منها اكثر من ٦٠٠ رصاصة في الدقيقة فاذا حاول خصمهم الهجوم عليهم فالاسلاك الشائكة تمنعهُ من الدنو منهم والبنادق الآلية تحصده حصداً . وبديهي ان الاسلاك لا تغطي سهلاً طولهُ اربعون ميلاً وعرضهُ اربعة اميال ولكنها منصوبة فيهِ على ابعاد مختلفة حسبما تقتضيهِ طبيعة الارض ووراء كل خط منها فصيلة من الجنود ببنادقها الآلية

الاَّ ان عمل هذهِ الاسلاك واستعمالها غير محصور في الالمان بل ان خصومهم من الفرنسويين والانكليز يعملونها ويستعملونها مثلهم ولو على قلة فرأى الالمان ان يستنبطوا وسيلة لازالتها كما استنبطوا الآلات لعملها ويقال انهم صنعوا نوعاً من البوري يخرج منهُ لهب شديد الحرارة اذا أُدني من هذه الاسلاك اذابها كما تذيب النار الشمع . وكان الانكليز والفرنسويون قد صنعوا مقارض كبيرة متينة يقطعون بها هذه الاسلاك ولكن قطعها بالمقارض عمل بطيء شاق جدًّا . ويقال ان الانكليز صنعوا قنابل تمرّ بين الاسلاك وتقطعها لكن نفقات القنابل طائلة وتسديدها ليس بالامر السهل واما البوري فارخص منها جدًّا واسرع عملاً

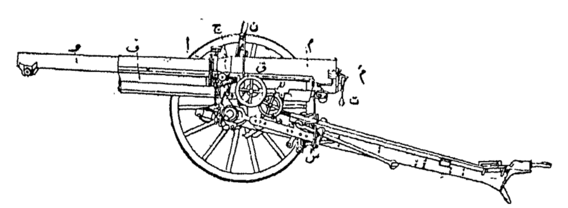
غير ان استعمال الالمان لهذا البوري لا يمنع الانكليز والفرنسويين والروس من استعماله وهو لم انفع منهُ للالمان لان استعمالم للاسلاك الشائكة اقل من استعمال الالمان لها



صورة معركة وفيها الاسلاك الشائكة وجندي انكليزي يقطعها بالمقراض وقنابل اليد يترامى بها المتحاربون والبنادق تطلق من الخنادق وبعض الجنود يحملون جسراً من الخشب ليعبروا بهِ فوق الخنادق



المدفع الفرنسوي ٧٥ كاملاً والحرف ه يدل على المرقب الذي يسدَّد المدفع بهِ واللوح الذي تحت هذا الحرف واللوح الآخر المقابل لهُ ترسان يقيان المدفعية . وعند اسفل العجلتين اداتان توقفان حركتها



المدفع ٧٥ جانبهُ الايمن وقد نزعت منهُ العجلة اليسرى . الحرف و يدل على انبوب المدفع والحرف م على الغلاف الذي يحيط بالانبوب والحرف ف على الحاجز الهوائي المائي الذي يرتد فيهِ المدفع وقتما يطلق ثم يردهُ الى وضعهِ الاصلي . والحرف ا على المرقب الذي يسدَّد بهِ المدفع والحرف ج على المرآة والحرف ن على المسهلة والحرف مَ على الابرة والحرف ت على الزناد والحرف ق على الآلة الرافعة التي ترفع المدفع وتخفضهُ

المدفع ٧٥ الفرنسوي

لهذه الحرب الناشبة الآن في اوربا مميزات كثيرة على الحروب السابقة بل يكاد كل شيء من اسلحتها وآلاتها وملابساتها يمتاز عمَّا كان يستعمل قبلاً . ومدار هذا الامتياز على شدَّة الفتك والموصل اليهِ هو العلوم الطبيعية والكيماوية والميكانيكية . فقد بذل علماء الالمان والفرنسويين والانكليز غاية ما وصل اليهِ علمهم لاتقان الاسلحة واساليب القتال . وكل خصم من الخصمين المتحاربين يجاهر بان غرضهُ قهر خصمهِ والجاؤهُ الى التسليم ولو لم يتيسر لهُ ذلك الأ بفناء الجانب الاكبر من رجالهِ . اما الميرة فصار الاقتصاد فيها خطأ حتى لقد صار رجال المالية يحثون اقوامهم على الاقتصاد في كل شيء الأ في الرجال والميرة

ومن الاسلحة التي اشتهرت اعظم شهرة في هذه الحرب لشدَّة فتكها المدفع الفرنسوي الذي قطر قنبلتهِ ٧٥ مليمتراً اي سبعة سنتمترات ونصف سنتمتر او نحو ثلاث بوصات . وقد وقع استنباط هذا المدفع على هذه الصورة

في البوارج الفرنسوية مدافع صغيرة سريعة فاخذ رجال المدفعية سنة ١٨٩٠ يهتمون بسبك مدفع سريع مثلها يستعمل في البر كما تستعمل هي في البحر . فان المدافع البرية التي كانت تستعمل حينئذٍ في ميادين القتال كانت بعيدة المرمى حسنة التسديد ولكن اطلاقها كان بطيئاً لانها كانت ترتد الى الوراء حينما تطلق فيتغير مركزها وتدعو الحال الى تحكيمها ثانية لتعود الى وضعها الاول وتصيب الغرض المقصود . فلو امكن استنباط مدفع يعود الى وضعهِ من نفسهِ بعدما يرتد الى الوراء لتكرَّر اطلاقهُ بسرعة ولم يضع الوقت في تسديدهِ عند كل طلق . وهذا يستلزم ان تستنبط لهُ مركبة تثبت في الارض ولا تتحرك ويوضع هو عليها وضعاً يمكّنهُ من الارتداد ثم العودة الى مكانهِ من نفسهِ كأن يمكَّن بلوالب مرنة تسهّل ارتدادهُ الى الوراء ثم تجذبهُ بمرونتها وتعيدهُ الى وضعهِ الاول . وقد تمكَّن البعض من وضع المدافع البحرية على هذه الصورة ولكنهم لم يتمكنوا من وضع المدافع البرية

وبلغ الجنرال متيو رئيس المدفعية الفرنسوية في نظارة الحربية ان مهندساً المانيًّا اسمهُ هوسنر استنبط مدفعاً يرتد على مركبتهِ ولا ترتد مركبتهُ معهُ وعرض استنباطهُ على مسبك كروب فامتحنهُ وجعل يسبك المدافع المطابقة لهُ . فارسل الجنرال متيو واستدعى الماجور ديبور رئيس ورش بتيو وقال لهُ أتستطيع ان تصنع مدفعنا يرتدّ على مركبتهِ وتبقى مركبتهُ ثابتة . ففكر ديبور في الامر مليًّا ثم اجاب بالايجاب واخذ من ساعتهِ يعمل في استنباط المدفع

المطلوب فصنع سنة ١٨٩٤ مدفعاً من مدافع الميدان يطلق بهِ ٢٥ طلقاً في الدقيقة وامتحنهُ امام الجنرال مرسيه وزير الحربية · وقد ثبت ان ذلك المدفع كان تام التسديد لا يختل وضعهُ مهما تعددت طلقاتهُ ولا تتقلقل مركبتهُ وكان الرجلان اللذان يطلقانهِ يجلسان على مركبتهِ وهو يطلق فلا يضرَّان · وهو المدفع المعروف بمدفع ٧٥

وغنيٌ عن البيان ان الماجور دبور لم يعثر على عمل هذا المدفع عثوراً بل احيا الليالي في البحث والامتحان والتدقيق والتحقيق وهو يتغلَّب على صعوبة بعد اخرى الى ان وجد ضالتهُ المنشودة · واهم ما في استنباطهِ الماسك المائي الهوائي الذي يقاوم المدفع في ارتدادهِ ويعيدهُ الى مكانهِ

ثم قام الجنرال السر سنت كلردڤيل واستنبط مركبة توضع فيها ذخيرة هذا المدفع ويوقى بها رجالهُ ويسهل عليهم استخراج الذخيرة منها بما يلزم من السرعة فتم المدفع بكل لوازمهِ

لكن استنباط الشيء لا يستلزم استعمالهُ ولا سيما اذا أُريد الغاء شيء موجود والاعتماد على شيء جديد لما يقتضي هذا الجديد من النفقات الطائلة · فلم يكن من السهل اقناع مجلس النواب الفرنسوي باعطاء النفقات اللازمة لعمل هذا النوع من المدفع ولا كان يحسن ان يفشى سرَّهُ · فقال ان الفرنسويين استنبطوا مدفعاً جديداً صفاتهُ كذا وكذا ويلزم لعملهِ كذا وكذا من النفقات ولكن هذا الافشاء لا بد منهُ اذا اريد طلب المال من مجلس النواب

فلجأ الجنرال دلوى الى الحيلة حينما خلف الجنرال مرسيه في وزارة الحربية وادَّعى ان المدفع المستنبط حديثًا هو المدفع الذي كان دكرو آخذاً في عملهِ واتقانهِ منذ مدة طويلة ولما كان لا بدَّ للالمان من ان يكتشفوا سرَّ الفرنسويين تعرَّض لهم واحد من رجالهِ وباعهم سر هذا المدفع فاشتروهُ منهُ معتقدين انهُ المدفع الذي استنبطهُ الفرنسويون · وصنعوا مدافع كثيرة من نوعهِ · اما المدفع ٧٥ فتمكن الجنرال دلوى من اقناع مجلس النواب بالانفاق على عملهِ من ثمن بعض الاراضي في ضواحي باريس فتم لهُ ذلك سرًّا وصنعت المعامل الفرنسوية ما يكفي جيشها منهُ

ولا بدَّ من ان يقول قائل لماذا لا يعمل الالمان والنمسويون مثل هذا المدفع ما دام سرهُ قد كشف الآن بعد ان اشتهرت مزاياهُ · والجواب اننا لا نظن ان الالمان اغفلوا ذلك بل المعقول انهم ان كانوا قد تحققوا تفوقهُ على مدافعهم فالمدافع الجديدة التي يصنعونها الآن تكون من نوعهِ ولا شيءَ يمنعهم من ذلك لا حق امتياز ولا غيرهُ وسيرهم في الحرب حتى الآن لا يدل على انهم عجزوا عن مباراة خصومهم ولو اتضح لهم ان الدائرة ستدور عليهم اخيراً

سر النجاح في التجارة

كتب احد الاغنياء الاميركيين يصف كيف احرز الغنى الوافر فقال :— لما كان لي ثماني عشرة سنة من العمر كنت كاتباً في مخزن لبيع الصحون والقدور والسكاكين وما اشبه في مدينة صغيرة على نحو مئتي ميل من نيو يورك . فخطر ببالي ذات يوم ان اصنع قاطرة بخارية من الادوات التي نبيعها اي اركّبها بعضها مع بعض حتى يصير مجموعها مثل القاطرة واعرضها في الشباك الكبير الذي تعرض فيهِ البضاعة . ولم يكن هذا اول خاطر خطر لي وعملت بهِ بل قد ركّبت قبلاً من هذه الادوات مركباً حربيًّا وقلعةً ومعملاً . وكان اهل المدينة يتقاطرون لمشاهدة ذلك . اما القاطرة التي ركّبتها الآن فقد فقت في تركيبها واتقانها سائر ما فعلتهُ قبلاً فتقاطر الناس لمشاهدتها قبلما اتممتها وذكرت الجريدة المحلية ذلك وقالت « ان نصف اهل البلد وقوف امام مخزن اولاد جونس يشاهدون كيفية بناء هذه القاطرة » الى ان قالت : ولكن الشاب الذي يبنيها لا يستطيع ان يلتفت اليها الأ في دقائق الفراغ من عملهِ ولذلك لا ينتظر ان يتمها في اقل من اسبوعين واننا نفتخر بشاب مثلهِ حاد الذهن صناع اليدين وسيكون يوماً ما من المهندسين او البنائين المشهورين »

وقد اخطأَت في ما قدرتهُ لي لاني لم اصر مهندساً ولا بناءً . ولما اتممت القاطرة بلغ طولها ست اقدام فملأَت الشباك كلهُ وقد صنعت لها هيكلاً من الخشب الصقت عليهِ انواعاً مختلفة من السكاكين والقدور والمقالي الى ان صار منها شيءٌ شبيه بالقاطرة التي تجر مركبات سكك الحديد وفزت بالغاية المطلوبة وهي انني جعلت كل اهل البلد يأتون ويشاهدون بضاعتنا فكثر عدد المشترين منهم وتضاعف ما نبيعهُ يوميًّا

واتفق ان رجلاً رآني وانا الصق بعض الاشياء الدقيقة في هذه القاطرة لزيادة اتقانها فدخل المخزن وقال لي من اين اتاك هذا الفكر يا ابني

فقلت لهُ من رأسي ولماذا تسألني الم يعجبك عملي

فقال بلى أعجبني ولو لم يعجبني لما دخلت وسألتك أتظن انك تستطيع ان تستنبط اشياء اخرى مثل هذا

ولما كان يكلمني كان الجمع مزدحماً امام الشباك لانني كنت اعمل على مرأى منهم والصق

كل الادوات امامهم حتى يزيد اهتمامهم بعملي وقد راقبوني كذلك من اول شروعي في بناء هذه القاطرة الى الآن

فقلت للرجل الذي يكلمني نعم لان جعبتي لم تفرغ على ما اظن. انظر الى هذا الجمع المجتمع فما دمت قادراً على اجتذابهم الى هنا فاني لا انفك عن استنباط واسطة بعد اخرى لذلك. ثم اخبرتهُ اني صنعت قبلاً مركباً حربياً وقلعةً ومعملاً

فقال كم اجرتك . فحسبت اولاً انهُ يجدر بي ان لا اخبرهُ ثم راجعت فكري وقلت لهُ ان اصحاب المحل يعطونني خمسة ريالات في الاسبوع وقد وعدوني ان يزيدوها ويجعلوها ستة ريالات بعد رأس السنة

فقال اني اعطيك عشرة ريالات في الاسبوع اذا اتيت اليَّ الى بلانكفيل فان عندي هناك مخزناً مثل هذا . واقول لك انك اذا سرت على هذه الخطة فستصير من الاغنياء الكبار فاننا نحن معاشر التجار محتاجون الى شبان يتوسعون في العمل وجلب الزبائن وليس للاجرة عندنا شأن كبير اذا وجدنا الشبان الاكفاء

فادهشني كلامهُ واخبرت والديَّ تلك الليلة بما عرضهُ عليَّ فسمحا بذهابي الى بلانكفيل مكرهَين. وكانت بلانكفيل من المدن الكبيرة وفيها مئة الف نفس وهي على اربعين ميلاً منا فذهبت اليها وانا عالم ان هذا الرجل استخدمني لانهُ وجدني قادراً على استنباط الاساليب لجلب الزبائن الى مخزنهِ فعزمت ان اتوسع في ذلك جهدي . ولم اقم يوماً في بلانكفيل حتى رأيت ان واجهات كل المخازن في السوق التي فيها مخزن مستخدمي من شكل واحد حتى كاد يتعذَّر عليَّ ان اهتدي اليهِ بعد خروجي منهُ. فقلت لهُ لماذا لا تدهن واجهتهُ بلون يميزهُ عن غيرهِ من المخازن حتى يراهُ قاصدوهُ عن بعيد ويبقى في ذاكرتهم

فاستغرب ما قلتهُ لهُ لانهُ لم يخطر ببالهِ قبلاً ان يميز مخزنهُ عن مخازن غيرهِ وقال انهُ سيحضر دهَّاناً حالاً ويدهن الواجهة بلون احمر. فقلت لهُ ولماذا لا تدهنهُ بلون اسود فان اللون الاسود هو لون اكثر البضائع التي نبيعها وفوق ذلك فاننا نبقى منفردين بهِ لانهُ قلما يحتمل ان يقلدنا احد فيهِ ولو كنت انا صاحب هذا المخزن لدهنت واجهتهُ باشد الالوان سواداً

فاستنكف من ذلك في اول الامر وتشاءم منهُ لان الاسود لون الحداد. ولكنهُ فكَّر في الامر قليلاً وقال لي افعل ما تشاء . فدهناهُ اسود وكانت النتيجة مدهشة لكثرة من تقاطر من الناس علينا . ووقف مستخدمي امام المخزن على الجانب الآخر من الشارع وقال

لم يبقَ الاَّ ان نستدعي موسيقى الحزن حتى يظننا الناس في جنازة

وبعد بضعة اسابيع كنت ابني مطبخاً في شباك المعروضات ادواتهُ كلها من آنية الطبخ وكنت افكر في كيف اغري الناس برؤْيتهِ فخطر ببالي قول مستخدمي من جهة الموسيقى فهرعت اليهِ واشرت عليهِ ان نبني كشكاً صغيراً الى جانب المخزن ونقيم فيهِ جوقةً موسيقية تصدح كل يوم عند العصر. ففعل حسب اشارتي وصار مخزننا الاول في المدينة كلها في عدد المترددين عليهِ والمشترين منهُ ولم يبقَ احد في المدينة الاَّ وهو يعرف المخزن الاسود وما فيهِ من البضاعة

ولا اظن ان هذه الخواطر كانت تخطر على بالي وحدي بل انها تخطر على بال كل احد وما مزيتي على غيري الاَّ انني كنت اقبض على الخاطر بيديَّ واعمل بهِ . وكثيراً ما كنت اطلع على افكار غيري فاعمل بها واستفيد منها وهو يهملها كأنها لا شيءَ . ومن هذا القبيل وقوعي على اسلوب ارسال المعروضات بموكب في الشوارع فاني كنت ذات ليلةٍ اتعشى مع شاب مثلي مستخدم في محل تجاري بضاعتهُ مثل بضاعتنا فقال لي متهكماً اليس عندك شيءٌ آخر من هذه المضحكات تفرّج اهل المدينة عليهِ . فانتبهت من كلامهِ الى اسلوب جديد لكنني ضبطت نفسي وكتمت ما جال في خاطري ولم اكد افارقهُ حتى اخرجت دفتري من جيبي وكتبت فيهِ « تفريج اهل المدينة على بضائعنا » . وهذا الدفتر خزانة فوائد وحتى الآن ارجع اليهِ واستقي منهُ وقلما كانت تمرُّ ساعة من النهار الاَّ واخرجهُ من جيبي وادوّن فيهِ ما يخطر لي من الخواطر

اما الخاطر الذي استفدتهُ من ذلك الشاب فهو ان لا ننتظر الناس حتى يأتوا ويروا امثلة بضائعنا معروضة في شباك مخزننا بل نضعها في مركبة كبيرة ونطوف بها عليهم نفرجهم عليها فوافق مستخدمي على فكري حالاً لان ارباحهُ زادت كثيراً بالاساليب التي استنبطتها

فاستأجرنا مركبة كبيرة وبنينا فيها كشكاً جميلاً جعلنا لهُ شباكين واسعين من الزجاج ووضعنا فيهِ فرناً من نوع مخصوص واستأجرنا فتاةً حسناء فجلست امام هذا الفرن واوقدت فيهِ النار . وامرنا السائق ان يطوف بها في شوارع المدينة ويقف في الزوايا . فكان الناس يتألبون حولها حيثما وقفت ولا حديث لهم الاَّ المخزن الاسود . واتبعنا عرض الفرن بعرض السكاكين والمواسي ثم بعرض ادوات الجنائن وهلمَّ جرًّا وكان اوج معروضاتنا الادهان فتضاعف ما بعناهُ منها تلك السنة

هذا والتاجر الكبير المناظر لنا في تجارتنا الذي استفدت من كلام كاتبهِ الاسلوب

الاخير واقف مكتوف اليدين يأبى ان يتمثَّل بنا لئلاَّ يقال انهُ حذا حذونا ولا يخطر بباله استنباط جديد يجار بنا فيهِ

وعندي ان نجاحي لم يتوقف على اسلوب واحد اتبعتهُ بل على كثرة الاساليب ولم تكن هذه الاساليب تخطر على بالي عفواً بل كنت دائم النظر والتفكير في استنباطها ولم تكن كلها صالحة على حدٍ سوى بل كثيراً ما كنت افشل في بعضها حتى رسخ في ذهني ان الفشل مفيد كالنجاح

وكثيراً ما كنت اعجب من قلة اهتمام التجار بالفرص التي تسنح لهم وهم لا يغتنمونها مثال ذلك انني وجدت بالمراقبة انهُ يحدث ستة اعراس في تلك المدينة كل اسبوع بين الطبقات العليا والوسطى. والذين يتزوجون يفتحون بيوتاً جديدة ويختارون مخزناً يبتاعون منهُ لوازمهم ولكن لم يخطر على بال تاجر من تجار تلك المدينة ان يجتذبهم اليهِ

واتفق ذات يوم ان دُعيت الى عرس من تلك الاعراس وكان عليَّ ان اهدي هدية الى العروسين فاخذت ابريق قهوة من اجمل نوع عندنا واهديتهُ اليهما. وبلغني بعد ذلك ان كل الذين رأوهُ استحسنوهُ واعجبوا بهِ فاشرت على مستخدمي ان نصنع كثيراً من نوع هذا الابريق بشكل جميل ونهدي منهُ ابريقاً الى كل عروس ونصنعه على درجات من حيث الثمن لانهُ لا يليق ان نهدي الى الغنية ما نهد يهِ الى الفقيرة. فتردد في اجابة طلبي لانهُ خاف من كثرة النفقة وسمح لي ان نجرب بشيءٍ قليل فجربنا واكتسبنا زبائن جدداً اشتروا منا من لوازم بيوتهم ما ربحنا منهُ اضعاف اضعاف ثمن الهدايا التي اهديناها اليهم واشتدت الصداقة بيننا وبينهم حتى صاروا من زبائننا الدائمين

ثم خطر ببالي امر آخر وهو امر النجارين وما يحتاجون اليهِ من الادوات العديدة والمواد الكثيرة فصنعنا نوعاً من المطارق (الشواكيش) من اجود ما يكون واهدينا مطرقةً منهُ الى كل نجار في عيد الميلاد مع تذكرة تهنئة نقول لهُ فيها ان المخزن الاسود يبيع اجود الادوات من هذا النوع بارخص الاثمان. فكانت النتيجة ان زاد مبيعنا من ادوات النجارين السنة كلها وجرينا على هذه الخطة في ادوات سائر الصناعات

وهذه الاساليب كانت في وقتها جديدة اما الآن فصار اكثرها قديماً وليس مرادي من ذكرها ان يجري القراء عليها بل ان يستنبطوا اساليب جديدة على منوالها. وقد كان مستخدمي ماهراً جدًّا في ادارة المخازن ولكنهُ لم يكن ماهراً في اساليب البيع وقد نسي هو وكثيرون غيرهُ من التجار ان البيع نصف العمل التجاري فاذا لم يبرعوا فيهِ لم يفلحوا في تجارتهم

لما صار عمري ٢٥ سنة كان راتبي قد بلغ اربعين ريالاً في الاسبوع وحينئذٍ اخذنا نفكر في توسيع تجارتنا فاننا قلنا انهُ اذا كان في الامكان ان نبيع بضاعتنا في بلانكفيل فلماذا لا نستطيع بيعها في غيرها من المدن . ومن ثم جعل مستخدمي يفتح المخازن في المدن الاخرى ومن اول المدن التي قصدها المدينة التي نشأتُ فيها وشاهدني اصنع فيها تلك القاطرة . وقد اسفت لما رأيت مستخدمي الاول لا يزال على حالهِ لم يوسع تجارتهُ مع ان وسائل النجاح كانت ميسورة في تلك المدينة كما هي ميسورة في غيرها

وجاء في الجريدة المحلية حينئذٍ ما يأتي : — ان وطنينا فلاناً اتى منذ بضعة ايام قاصداً ان يشتري المخزن الذي كان فيهِ مخزن اولاد سمث للمحل الذي استخدم فيهِ في بلانكفيل وهو المدير العام لهُ وعسى ان يكثر تردده على مسقط رأسهِ بعد الآن ولقد توسمنا فيهِ سمات النجاح لما كان فتى فصدق توسمنا» وكنت قد تركت هذا المخزن منذ سبع سنوات ورأى اصحابهُ الخطة التي سرت فيها ونجحت ومع ذلك لم يتبعوها بل بقي مخزنهم كما كان حين تركتهُ او زاد خمولاً فاضطررت ان اقلبهُ كلهُ رأساً على عقب ولم يمضِ سنتان حتى جعلتهُ اروج المخازن في ذلك البلد ولم استخدم فيهِ سوى الوسائل التي استخدمتها في بلانكفيل فدهنتهُ بلون اسود وجعلت الف الاشياء التي تشترى منهُ بورق اسود لامع واستأجرت جوقة موسيقية تصدح امام بابهِ وارسلت معروضات البضائع في الشوارع وفرقت الجوائز في حفلات الالعاب والمعارض واهديت الهدايا الى العرائس وارسلت الاكاليل الى المآتم فاتصلت بكل احد من سكان البلد حتى شعروا كلهم ان مخزننا هو مخزنهم . ثم خفضت الاسعار في بعض الايام عشرة في المئة او عشرين في المئة واعلنت ذلك في البلد والقرى المجاورة فاقبل الناس علينا افواجاً . واعلنت مرةً اني سأخفض ثمن بعض البضائع اربعين في المئة في اليوم الفلاني اذا امطرت السماء في ذلك اليوم فانتظر الناس وقوع المطر بفارغ الصبر واتفق ان المطر وقع في ذلك اليوم وكان الناس مستعدين لهُ فتقاطروا عليَّ من كل فج ومع ذلك لم نخسر لكثرة ما بعناهُ من البضائع الاخرى وصار الناس يحسبون انني نبي انبئ بوقوع المطر

واعلنت في يوم آخر ان البرد سيشتد ويصل الى درجة الصفر واذا صحت نبوءتي فاني اخفض اسعار البضائع الفلانية عشرين في المئة في ذلك اليوم فاشتد البرد وهبطت الحرارة الى درجة الصفر لكن شدة البرد لم تمنع الجماهير من الاقبال عليَّ

وانبأت في وقت آخر ان يوم الثلاثاء من ذلك الاسبوع سيكون صحواً جميلاً فيحسن بكل فلاح ان يدهن بيتهُ ومخازنهُ وقلت انهُ اذا صحت نبوءتي فانا اخفض ثمن الادهان الصالحة

لذلك كذا وكذا . وعرفت ان الوقت وقت الحصاد فلا يأْتيني الفلاحون بل يرسلون نساءهم واولادهم فوجهت البضائع التي يرغب فيها النساء والاولاد . وصحت السماء كما ظننت وامتلأَ المخزن بالنساء والاولاد ولم نبع في يوم من ايام الصيف قدر ما بعنا في ذلك اليوم

ولما صار عمري ٢٨ سنة كان راتبي قد صار ستين ريالاً في الاسبوع (٦٢٠ جنيهاً في السنة) فعرض عليَّ محل في نيو يورك يبيع بالجمل ستة آلاف ريال في السنة وجانباً من صافي الربح اذا توليت ادارته . فاخبرت مستخدمي بذلك فاستغلى هذه الاجرة وعرض عليَّ ٣٨٠٠ ريال فقط فلم اقبل وذهبت الى نيو يورك وانا غير عالم بما خُبِئَ لي من التعب لانني وجدت هذا المحل على الساعة قد اشرف على الخراب مات اصحابهُ وعجز اولادهم عن ادارتهِ فانحط شأْنهُ رويداً رويداً بعد ان كان من اشهر المحلات التجارية وقام لمناظرتهِ محلات جديدة وافرة الاموال فكاد يخرب

فكان همي الاول ان اكتشف اسباب تأَخرهِ فوجدت بعد البحث الطويل ان اكثر البضائع التي فيهِ من انواع واطئة او غير مشهورة وان الانواع المشهورة التي كان يبيعها قبلاً وتصنع لهُ خاصةً زاحمهُ عليها اصحاب المخازن الاخرى واخذوها من المعامل واستقلوا بها فقلت لا بدَّ لي من اصلاح البضائع حتى تصير من اجود الانواع ولا بدَّ من ان اوجه عنايتي اليها نوعاً نوعاً فاخترت صنف الادوات وذهبت الى معمل كبير وتذاكرت مع صاحبهِ في هذا الشأْن واتفقت معهُ على ان يصنع لي انواعاً مخصوصة من الادوات المتقنة واتفقنا على الثمن وعلى ان لا يبيعها لغيري وان ينفق مبلغاً معيناً على الاعلان عنها في الجرائد

وتركت المعمل يعمل الادوات المطلوبة ووجهت عنايتي الى الباعة وكان عندنا تسعة رجال يجولون في البلاد ويعرضون بضائعنا فدعوتهم اليَّ وفحصت اعمالهم فحصاً مدققاً وكتبت خلاصة فحصي لها ثم دعوتهم الى العشاء عندي وجلست معهم بعد العشاء وجعلت اشرح لهم الطرق التي جريت عليها لترويج البضائع وما زلت احدثهم واورد لهم الامثلة الى الساعة الثالثة بعد نصف الليل واوضحت لهم الفرق بين من يفلح في عملهِ ومن لا يفلح واظن انني اصبت الحزَّ في ما قلت لهم لان كلامي جاء منطبقاً عليهم

ثم رأَيت ان اجول في الولايات الوسطى والغربية وقضيت في ذلك شهراً من الزمان فوقفت على امور لا تقدَّر قيمتها . لم اذهب لابيع بضائعنا بل لافتش عن الاماكن التي تصلح لان نشرع فيها في مباراة غيرنا بالادوات . فان للبيع اسلوبين اسلوب المجازفة وهو ان يرسل التاجر بضاعتهُ الى مكان وهو غير واثق بالحاجة اليها فيهِ والثاني اسلوب البحث عن

الاماكن التي تروج فيها البضاعة وارسالها اليها. فاخترت مقاطعتين رأيت من سرعة نجاحهما ما يدل على ان البضاعة المقصودة تروج فيهما . ثم عدت الى نيو يورك واستدعيت ثلاثة من رجالي توسمتُ فيهم النجاح فان رجالنا كلهم احسنوا صنعاً بعد العشاء الذي تعشوهُ عندي والعظة التي القيتها عليهم وهؤلاء الثلاثة فاقوا اخوانهم في ذلك فذهبت معهم الى المعمل واقمنا هناك اسبوعاً كاملاً نشاهد عمل الادوات التي اوصيتهُ بعملها وندرس خواصها المختلفة. واقول الآن ان ذلك الاسبوع افاد محل تجارتنا ما يساوي مئات الالوف من الريالات

ولما تمت الادوات ونشرت الاعلانات عنها في الجرائد تفرَّق رجالي الثلاثة في تلك البلاد يعرضونها بكل واسطة ممكنة ويظهرون مزاياها للباعة الذين يبيعونها بالتفاريق ويعلّمونهم كيف يروّجونها ويقصّون عليهم اخبار ما عملتهُ انا في بلانكفيل . ووعدت الباعة الذين يشترون منا مقداراً معلوماً من الادوات انني ادفع نفقات سفرهم الى نيو يورك اذا ارادوا ان يأتوا اليها حتى اشرح لهم الاساليب التي جريت عليها

وعملنا في سائر انواع البضاعة ما عملناهُ في الادوات وحفظنا اسماء كل الذين اشتروا منا ولم ننقطع عن مكاتبتهم وموافاتهم بكل الاخبار والاستعلامات التي كنا نظن انهم يحتاجون اليها في بيعهم وشرائهم

فاتسع عملنا رويداً رويداً وكان اتساعهُ بطيئاً في اول الامر فتضاعف فقط في آخر السنوات الخمس الاولى وصار عشرين ضعفاً في آخر السنوات الخمس التالية ورأى جماعة من كبار الماليين ذلك فاجتمعوا وعرضوا عليَّ عملاً كبيراً جداً يقتضي رأس مال كبيراً ورجلاً من امهر الرجال لادارته فبعت حصتي في المخزن الذي كنت فيهِ وتوليت هذا العمل فبلغت ما بلغت من الثروة الطائلة . انتهى

ومن المحتمل او المرجح ان هذهِ القصة موضوعة ولكنها تمثّل الاساليب التي يجري عليها المفلحون في البيع والشراء احسن تمثيل حتى لقد نرى شيئاً من الاساليب المذكورة فيها مستعملاً في هذا القطر يستعملهُ بعض التجار الاوربيين ويستعملون غيرهُ مما لم يذكر فيها وقد اتسعت مخازنهم وكثرت مبيعاتهم على قرب العهد بها . والوطنيون الذين يجلبون بضائع مثل بضائعهم ملازمو الخمول والجمود

ومما نوجه النظر اليهِ بنوع خاص اعتماد صاحب القصة على البضاعة الجيدة وقولهُ ان البضائع الواطئة هي التي خربت محلاً من اكبر المحلات التجارية وهذهِ حقيقة لا ريب فيها

كتاب عباس الثاني

الفصل الخامس

هذا الفصل آخر فصول الكتاب وقد خصَّهُ لورد كرومر باوصاف الخديوي السابق عباس الثاني بانياً كلامهُ على خبرتهِ الشخصيَّة فابتدأ الفصل بالكلام على المرحوم توفيق باشا الخديوي الاسبق وقال انهُ لم يكن من ذوي الاقتدار ولكنهُ كان رضي الاخلاق . لم يزر اوربا ولكنهُ كان يعرف مصر وطباع اهلها حق المعرفة وكانت آراؤُهُ في ادارة مصر الداخلية حسنة وكان يهتم بالمسائل السياسية والادارية ولو كانت احكامهُ فيها لا تخلو من التسرُّع . ولا اتذكر انني اختلفتُ معهُ اختلافاً جوهريًّا في امر ذي شأن او اضطررت ان اقاومهُ في امر من الامور بناء على انهُ حاول الجري فيهِ بالاستبداد لكي يستفيد منهُ او ينتقم من واحد اساء اليهِ . وكل ما اعلمهُ من امرهِ يدل على انهُ كان سائراً بالدقة والاعتدال في تدبير امورهِ وفي علاقتهِ برعاياهُ

اما علاقتي بالخديوي عباس فكانت على ضد ما كانت عليهِ علاقتي بابيهِ . فلما ارتقى الى عرش الخديوية المصرية لم يكن في السن التي تؤَهلهُ لاكتساب الخبرة السياسية او الادارية . وكان يجهل احوال مصر لانهُ قضى اكثر عمرهِ في اوربا . ولا اعلم انهُ اهتمَّ اهتماماً صحيحاً بالمسائل الادارية الكبرى ولكنهُ كان يتعرَّض دائماً لتعيين الموظفين فيختار صنائعهُ والذين يميل اليهم طبعهُ وذلك على الضد مما كان يفعلهُ ابوهُ . فكان اكثر الخلاف بيني وبينهُ على المسائل الشخصية وقد كان الغرض الاهم الذي يرمي اليهِ على ما يظهر ان يجمع ثروةً طائلة وقد جمع هذه الثروة ولكنهُ بددها ووقع في ضيق مالي شديد . وكثيراً ما كان يطمع في احراز ما ليس لهُ ويبذل جهدهُ لكي ينالهُ بطريقة يظهر انها قانونية وهي بعيدة عن القانون ولذلك لم يكن من السهل منع الظلم الواقع باسم القانون

اما انا فكنت اعاملهُ بالاكرام الواجب وهو ايضاً كان يكرمني غاية الاكرام . وبين الاكرام والتساهل فرق كبير فاكرام الخاصة في الشرق امر لا بدَّ منهُ ولكنهُ لا يوجب التساهل معهم حيث يجب اخذ الامور بالشدة والحزم . وفي الاخذ والعطاء مع عباس باشا لا يصعب الجري على كل قوانين المجاملة لانهُ من اذكى الناس وآنسهم محضراً . بلغهُ مرةً انهُ جاء مصر بعض العمال الايطاليين ليعملوا في الخزان وهم من الفوضويين فقلق لذلك اشد

القلق فاني باثنين من البوليس السري الايطالي ليرافقاهُ دائماً وكان كل احد يعرف انهم من البوليس السري . وكنت احدثهُ مرة في هذا الموضوع فقلت لهُ « اني لا ارى موجباً لقلق سموك لانهُ اذا حاول هؤلاء الفوضويون قتل احد فانهم يحاولون قتلي كما يحاولون قتلك » فاحمرَّ وجههُ وابرقت اسرتهُ وقال لي باسماً Tiens c'est vrai (كأنهُ قال والله صحيح)

ثم تكلم لورد كرومر على ديوان الاوقاف والمحكمة الشرعية وتوسُّل الخديوي بهما الى زيادة ثروتهِ . وافاض في الكلام على ديوان الاوقاف وشكوى الناس منهُ واحجامهِ هو عن محاولة اصلاحهِ الاَّ في ما يتعلَّق بضبط حساباتهِ لعلمهِ ان ذلك لا يمكن ان يفسَّر بانهُ تعرُّض لمسألة دينيَّة . وقد بقي الحال على ذلك الى ان جاء لورد كتشنر ورفع يد الخديوي عن ديوان الاوقاف وقال لورد كرومر ان عمل لورد كتشنر هذا من انفع الاعمال للقطر المصري

ثم انتقل الى المحكمة الشرعية ووصفها وذكر خصائصها واثنى الثناء المستطاب على قاضي مصر الذي كان في اواخر مدتهِ وقال انهُ كان على تمام العفة والاستقلال في الرأي وقد رفض رفضاً باتاً ان يجاري الخديوي في ما كان يبغيهِ من الاكتساب . وطالما تحدثت معهُ وحاولت اقناعهُ بادخال الاساليب الجديدة في المحاكم الشرعية وبينت لهُ ان القضاة الشرعيين في الهند قد يكونون من المسيحيين فيعدلون وينصفون ولا يعترض عليهم احد وان لا اعتراض لديَّ على حصر القضاء الشرعي بالقضاة المسلمين اذا كانوا قد تعلموا التعلُّم الشرعي الوافي . اما هو فبقي متشبثاً برأيهِ الاَّ انهُ كان منصفاً متساهلاً في كل ما لا يناقض الشرع مثال ذلك ان بعض المسيحيين الوطنيين كانوا ينتحلون الاسلام احياناً لكي يطلِّقوا زوجاتهم ويتزوجوا غيرهنَّ ويحق حينئذٍ للزوج ان يأخذ اولادهُ من زوجتهِ اذا بقيت مسيحية . ولما كلمتهُ في ذلك قال لي صريحاً انهُ اذا عرضت عليهِ هذه القضية وهو جالس في كرسي القضاء لم يستطع ان يحكم بغير الشرع ولكنهُ يكره ويحتقر كل رجل يغيِّر دينهُ لغرض مثل هذا فاذا امكنني ان افض هذه القضايا بوسائل ادارية من غير ان تُرفَع اليهِ فهو يلزم السكوت ولا يعترض عليها . وقد بلغني بعد مغادرتي القطر المصري ان الذين كانوا مهتمين باصلاح المحاكم الشرعية لم يروا لهم بدًّا من التخلُّص منهُ لكي لا يبقى عائقاً في سبيل الاصلاح فبذلوا جهدهم في ذلك ورأوا من الخديوي اكبر نصير لهم ولو كانوا يرمون الى غرض وهو يرمي الى غرض آخر فنجحوا وعينت الاستانة قاضياً آخر فكانت النتيجة ان اولئك المصلحين ندموا على ما فعلوا فلم يُسهِّل اصلاح المحاكم الشرعية وامتُهن العدل لان القاضي الجديد صار آلة في يد الخديوي وسهَّل عليهِ الكسب الذي يبغيهِ

والقضايا التي توسّل بها الخديوي الى زيادة كسبهِ ممّا يتعلّق بديوان الاوقاف والمحكمة الشرعية كثيرة لا اتذكرها كلها ولا داعي للاسهاب في ذكرها ولكنني اذكر منها على سبيل التمثيل قضية واحدة وهي قضية البرنس سيف الدين

فان هذا البرنس حاول قتل صهرهِ البرنس احمد باشا فؤاد فحوكم وحُكم عليهِ بالسجن ثم ظهر انهُ مختل الشعور فوُضع في بيمارستان للمجانين في انكلترا بمصادقة الخديوي. ولهذا البرنس ثروة واسعة جدًّا واظن ان دخل اطيانهِ في السنة نحو اربعين الف جنيه. فاصررت على تعيين رجل مصري مشهود لهُ بالاستقامة والعفة ناظراً على ما يملكهُ. ولما غادرت مصر عُزِل هذا الرجل وتولى الخديوي ادارة هذه الممتلكات فعلاً ولا شبهة في انهُ استولى على مبلغ كبير من النقود التي تجمعت قبلاً وعلى الدخل السنوي ولذلك لم اعجب حينما رأيت في الاجبشين غازت فقرة مترجمة من جريدة عربية يقال فيها «انهُ ظهر من فحص حسابات دائرة البرنس احمد سيف الدين بك ان مبالغ كبيرة من ايرادها صرفت في غير وجهها او حولت الى جهات اخرى. والخديوي هو الناظر لهذه الدائرة»

ومن اسباب خلافي مع عباس الثاني انهُ صار آلة في يد السلطان عبد الحميد. وكثرت دسائس الاستانة وقت حادثة سينا حينما اراد السلطان ان يجعل حد القطر المصري خطًّا ممتدًّا من العريش الى السويس

ثم ان حزب تركيا الفتاة مديون لانكلترا دينا كبيراً تستحق عليهِ جميل الشكر لاجل الحماية التي تمتّع بها كثيرون من رجالهِ لما لجأوا الى مصر لكن هذا الحزب لم يقم بالواجب عليهِ. واذا نظرنا الى المسألة نظراً قانونيًّا فالسلطان كان محقًّا على الراجح في طلبهِ الرعايا العثمانيين الذين اسخطوهُ. ولكن ما دامت مصر راتعة تحت السيطرة الانكليزية فيستحيل تسليم المجرمين السياسيين الى اناس العدلُ عندهم صورة لا حقيقة لها. نعم ان الاستانة كانت تدَّعي ان اولئك الرجال كانوا متهمين بجرائم مدنية لا سياسية فكان جوابنا اننا لا نقصد حماية المجرمين فاذا أُرسلت الادلة التي عليهم الى مصر فانهم يحاكمون في المحاكم المصرية. وغني عن البيان ان هذه البينات لم ترسل الى مصر

واني مُورِدٌ بعض الامثلة الدالة على مشاركة الخديوي للاستانة في امورٍ من هذا القبيل

(حادثة ليون فهمي)

كان في الاستانة جاسوس اسمهُ ليون فهمي غضب عليهِ السلطان فاوجس شرًّا وهرب الى مصر. ورغب السلطان في ان يُرَد الى الاستانة فأُغري بالذهاب الى سراي الخديوي

في الاسكندرية والتقى وهو في الطريق برجل من اصدقائهِ فقال لهُ ان لم اعد من الاسكندرية بعد بضع ساعات فاخبر لورد كرومر بامري . فانتظر صديقهُ الى ان قطع الرجاء من عودتهِ ثم بعث اليَّ تلغرافًا وكنت في القاهرة وللحال ارسلت رجلاً بريطانيًّا من موظفي الحكومة المصرية الى الاسكندرية وامرتهُ ان يقابل الخديوي ويسألهُ عن حقيقة ما يعلم عن ليون فهمي . فانكر الخديوي انكاراً صريحًا باتًّا انهُ يعرف شيئًا عن مكانهِ وانكر ايضًا انهُ دعاهُ الى سرايهِ . ثم كرَّر هذا الانكار بعد ذلك لما قابلتهُ انا وكان مستاءً من اتهامهِ بتهمة مثل هذه . واتضح بعدئذٍ ان ليون فهمي لم يرَ الخديوي حينما وصل الى السراي بل نُقل حالاً الى اليخت الخديوي الذي كان على اهبة السفر الى الاستانة ولكن لما قابل الخديوي ذلك الموظف البريطاني اعيد ليون فهمي الى البر . فلما قال لي الخديوي وحلف بشرفهِ ان ليون فهمي لم يكن محبوسًا في السراي كان صادقًا في قولهِ ولكنهُ لم يقل لي انهُ كان حينئذٍ محبوسًا في بيت مجاور للسراي

وترتب على الاهتمام بامر هذا الرجل انهُ عُدِل عن ارسالهِ الى الاستانة ولكنهُ أُخذ الى بورت سعيد رغمًا عنهُ ووضع في سفينة تجارية ذاهبة الى مرسيليا . ثم عاد الى مصر بعد ذلك ونشر تفصيل ما حدث لهُ فلم يصدقهُ احد واستهانت بهِ الجرائد الوطنية عربيةً وافرنجيةً وشدَّدت اللوم على التهم الكاذبة التي اتُّهم الخديوي بها . اما انا فلم ارَ موجبًا لاصلاح خطإها ولا كان ليون فهمي يستحق ذلك وحسبت انني عملت ما يجب عليَّ وهو حفظ شأن حكومتي بتخليص هذا الرجل من مخالب الاستانة

(حادثة المطبعة العثمانية)

ومن هذا القبيل ان رجلاً جاءني ذات يوم واخبرني ان في احد المنازل خزانة فيها اوراق تعلم منها اسماء رجال تركيا الفتاة وانهُ رفعت قضية باغراء الخديوي على صاحب المنزل والقصد منها ضبط تلك الخزانة واخذ ما فيها من الاوراق وان حزب تركيا الفتاة في اشد القلق من جراء ذلك وانهُ قد يخشى على حياة الخديوي اذا سُمح بارسال تلك الاوراق الى السلطان وانهُ لا بد من المبادرة الى تلافي الخطب في الحال لانهُ يراد وضع اختام المحكمة على الخزانة حالاً فيصعب فتحها بعد ذلك . فامرت حكمدار البوليس ان يذهب حالاً ويفتح الخزانة ويأتي بما فيها من الاوراق الى الوكالة البريطانية ففعل كما امرتهُ . ثم أُحرقت تلك الاوراق بعد ذلك

(حادثة عثمان باشا بدرخان)

ومن الحوادث التي تستحق الذكر حادثة عثمان باشا بدرخان وهو رئيس قبيلة كردية كبيرة وكان ياوراً للسلطان فاتُّهم بانهُ يميل الى حزب تركيا الفتاة وغضب عليهِ السلطان لكنهُ تمكن من الخروج من الاستانة والالتجاء الى مصر · وقد رأيتهُ واخبرتهُ انهُ اذا كفَّ عن الدسائس مدة اقامتهِ في مصر فهو في حرز حريز فوعدني بذلك وانجز وعدهُ · فاستصفى السلطان ممتلكاتهِ كلها ونزع رتبتهُ وطلب ان يرد الى الاستانة فلم يجب طلبهُ · لكن الخديوي بذل جهدهُ ليقنعهُ بالرجوع الى الاستانة فاستشار الوكالة البريطانية فاشارت عليهِ بالبقاء في القاهرة · وبعد ذلك أُطلع على مكاتبة قيل لهُ انها دارت بين وكيل الخديوي وسكرتير السلطان الخصوصي وقد قال فيها السكرتير ان جلالة السلطان اقتنع الآن بانهُ خُدع في امر عثمان باشا بدرخان وانهُ آسف على ما حدث لهُ ويود جدًّا ان يردهُ الى منصبهِ حالما يعود الى الاستانة ويرد اليهِ كل القابهِ وممتلكاتهِ ويعوضهُ مما خسرهُ حتى الآن · ولما رأى الخديوي ان عثمان باشا لا يزال مرتاباً في صحة هذه المكاتبة عرض عليهِ مبلغاً من المال (اظنهُ ٥٠٠ جنيه) عربوناً لصدق محبتهِ لهُ ومساعدةً لهُ على التخلص من الضيق الذي كان فيهِ فاقتنع حينئذٍ باخلاص الخديوي وحبهِ لهُ وعزم على الرجوع الى الاستانة فاعطاهُ الخديوي تحويلاً على البنك العثماني ومكاتيب توصية فذهب من غير ان يستشير الوكالة البريطانية ولكنهُ كلَّف صديقاً لهُ ان يقدم لها شكرهُ الخالص · ولم تكد السفينة تصل بهِ الى الاستانة حتى قُبض عليهِ وطرح في السجن ثم نقل الى داخلية طرابلس الغرب · وبعد ذلك أُفرج عنهُ لما خلع عبد الحميد وعاد الى الاستانة وكان في اشد الضيقة المالية فخطر على بالهِ التحويل الذي اعطاهُ اياهُ الخديوي فذهب بهِ الى البنك العثماني ولما اطلع عليهِ المدير كتب عليهِ انهُ أُلغي بامر الخديوي وتاريخ الغائهِ اليوم الذي سافر فيهِ عثمان باشا من الاسكندرية · وقد اطلع المستر بويل سكرتيري على هذا التحويل وما كتبهُ عليهِ مدير البنك

(تمرُّد الاورطة السودانية)

ومن الحوادث التي تدل على ان حادثة الحدود لم تشفِ الخديوي عباس من الاخلال بنظام الجيش انهُ لما ابتدأت حرب جنوب افريقية (حرب البوير) عاد كثيرون من احسن ضباط الاورط السودانية التي في السودان الى اورطهم في الجيش البريطاني وحدثت حينئذٍ حوادث لا داعي لذكرها ولم تكن لتحدث على الراجح لولم يغادر اولئك الضباط اورطهم وترتَّب

على هذه الحوادث ان نشأ شيء من التذمر في الجيش المصري فتمردت اورطة سودانية و يقال ان الخديوي كان قد تكلّم كلاماً جعل المتمردين يظنون انهُ مالي لهم . لكن ثورة هؤلاء الجنود اخمدت من غير سفك دم وحوكم بعض زعماء الثورة في مجلس عسكري وحكم عليهم احكاماً مختلفة وارسلوا الى مصر لتنفيذ ما حكم عليهم بهِ . وكلمت الخديوي في امرهم ولم اشر الى ما بلغني من علاقتهِ بتمردهم لاسيما وانهُ كان يستحيل اثبات ذلك بالادلة القاطعة ولكن جعلت موضوع كلامي خطارة هذا التمرُّد وانهُ ضد شخصهِ واشرت عليهِ ان يرى المحكوم عليهم و يخاطبهم بكلام نصصتهُ لهُ وترجم الى العربية . فرأى نفسهُ بين شرين فانهُ اذا رفض ما اشرت عليهِ بهِ قوّى الشبهة عليهِ بانهُ هو المثير لذلك التمرُّد واذا عمل بهِ رأى المتمردون انهُ لا يمكنهم الاعتماد عليهِ فيقل ضررهُ بالجيش . فاختار الامر الثاني كما قدَّرت

يظهر مما اوردتهُ في الفصول السابقة انهُ كان يستحيل ان تتمكن العلاقات الحبيَّة بين الخديوي عباس ومعتمد الدولة البريطانية في مصر واضيف الى ذلك انني مع كل هذه المتاعب لم اكن اضمر لهُ البغضة قط فان التاريخ يذكر كثيرين من ملوك المشرق وملوك المغرب ايضاً الذين كانوا اقل كفاءة منهُ لادارة امور بلادهم . ولكنني كنت واثقاً انهُ اذا تُرِك وشأنهُ فالعمل الذي عملتهُ بريطانيا العظمى في مصر يتقوَّض من اساسهِ رويداً رويداً ويعود فساد الاحكام وقد ترجع مصر منتجعاً لكل آفاق سياسي ومالي . ولقد احسن بنداد الشاعر اليوناني حيث قال ما ترجمتهُ

لا امهل من تخريب مدينة حتى على الخامل ولكن تشييدها ثانية امر عسير ما لم يؤيد الله من يريد تشييدها) انتهى كتاب لورد كرومر

ولا يخفى على الذين كانوا يطالعون المقطم في الزمن الذي حدثت فيهِ الحوادث المشار اليها آنفاً انها كلها مفصَّلة فيهِ تفصيلاً مسهباً وكنا نشير الى ما للخديوي فيها بالتلميح حاسبين ان اللبيب تغنيهِ الاشارة حسب القول المشهور وقد تبيَّن لنا بعدئذٍ ان المقربين منهُ اتفقوا على ان لا يدعوهُ يرى الامور كما هي حقيقة . والظاهر ان اصحاب الجرائد المخاصمة للمقطم كانوا يعتقدون ان في مخاصمة لورد كرومر الفوز الاكبر للخديوي وللقطر المصري فجروا على اعتقادهم هذا . وكم من ملك اضاع ملكهُ بخطإ مشيرٍ بهِ

انتفاع الاولاد من التجارب العلمية

قامت بالامس في انكلترا قيامة بعض الكبراء من اهل السياسة والادب على مسألة تشريح الحيوانات حيّة لاجراء التجارب العلمية الطبية فيها بدعوى ان في تشريحها من التعذيب ما لا يتفق مع مبدإ الرفق بالحيوان الذي قدموهُ على مبدإ الرفق بالانسان . مع انهُ لا دليل على ان الحيوان الاعجم يتألم كما يتألم الانسان بل الادلة متوفرة على انهُ قلما يتألم او قد لا يتألم ابداً فالجرادة تقطع بطنها وهي تأكل النبات ويبقى رأسها يأكل كما كان والثعلب تعلق رجلهُ في فخ فيقطعها باسنانهِ ويهرب على ثلاث والكلب تعمل بهِ عملية جراحية فيبقى يلحس يد صاحبهِ وهو تحت العملية . ومع ذلك لا تزال طائفة كبيرة من العلماء والادباء تنادي بمنع التجارب العلمية في الحيوانات شفقة عليها . ونذكر ان لورد كرومر كان في جملة الذين كتبوا الرسائل الى الصحف الكبرى كالتيمس يدافعون فيها عن الحيوان الاعجم ويوصون بمعاملتهِ بالرفق والتودّة ذاهبين في ذلك مذهب الشاعر العربي القائل

رفقاً بهنَّ فما خلقن حديدا   اوما تراها اعظماً وجلودا

ولكن يتضح من اقوال اهل العلم والطبّ الذين يقدمون امر الرفق بالانسان على امر الرفق بالحيوان الاعجم دون الادباء والشعراء ان تشريح الحيوانات لاجراء التجارب العلمية فيها عاد بالفائدة العظمى على النوع الانساني من حيث الصحة العامة اذ يسرَّ تشخيص الداء وبالتالي الاهتداء الى الدواء ولاسيما في الاطفال والاولاد قبل سنّ البلوغ . فان الامراض والاسقام التي تصيب الاولاد تزيد عمَّا يصيب غيرهم لان طور النموّ يقتضي اجهاداً فسيولوجيًّا عظيماً وكثيراً ما تكون التغيرات المرضية من نتائج هذا الاجهاد الفسيولوجي . وزد على ذلك ان خلايا الجسم في الصغار سهلة التهيّج ذات تربة زكية لنموّ المكروبات على انواعها . فلذلك كانت الامراض المكروبية اشدَّ فتكاً بالصغار منها بغيرهم

كتب الذكتور تشابن احد اطباء نيويورك مقالة في الفوائد الطبية الناجمة عن عمل التجارب في الحيوانات فاقتطفنا منها ما يأتي . قال :

الدفثيريا

كانت الدفثيريا قبل اكتشاف المصل الذي تعالج بهِ سنة ١٨٩٥ من اعظم ضربات الاطفال . فلما استعمل المصل لعلاجها قلّت وفيات الاطفال بها . وفي الجدول الآتي بيان

رسمي لوفيات الدفثيريا في كل مئة الف من السكان في بعض مدن اميركا واوربا المشهورة قبل استعمال المصل وبعده

	سنة ١٨٩٤	سنة ١٩٠٥
نيو يورك	١٥٨	٣٨
فيلادلفيا	١٢٨	٣٢
بلتيمور	٥٠	٢٠
بوسطن	١٨٠	٢٢
بروكلين	١٧٣	٤٣
بتسبرج	٦٤	٢٦
لندن	٦٦	١٢٫٢
باريس	٤٠	٦
فينا	١١٤	١٩

وقد بحث الدكتور بارك عن متوسط وفيات الدفثيريا في ١٩ مدينة كبيرة من مدائن الدنيا سنة ١٨٩٣ فظهر لهُ ان ذلك المتوسط يبلغ ٨٠ في كل مئة الف من السكان . فلما شرعوا يعالجونها بالمصل سنة ١٨٩٥ جعلت الوفيات تهبط فلم تأتِ سنة ١٩٠٧—وهي السنة التي اصبح استعمال المصل فيها عامًّا— حتى هبط متوسط الوفيات الى ١٧ في كل مئة الف . وهبطت الوفيات بها في مستشفيات لندن من ٢٩ في المئة الى نحو ١٠ في المئة . وهذا هو الحال ايضاً في سائر المستشفيات الكبرى في الدنيا

ولم يقتصر الامر على هبوط متوسط الوفيات ولكن الدفثيريا بانت اخفّ وطأة واقلّ اختلاطاً الى درجة تستوجب الدهشة . واظهر ما يكون ذلك في اصابات الذبحة الدفثيرية حيث يمتد الغشاء الكاذب الى القصبة ويسبب موتاً بالاختناق البطيء فان الموت بهذه الاصابات المؤلمة قلّ جدًّا . وليت الذين يحاولون ابطال البحث العلميّ شاهدوا عذاب طفل اشتدت عليهِ وطأة الذبحة وبات منها في غمرة الموت اذن لثاب اليهم رشدهم وكفوا عن معارضتهم . ولكن لا يكاد الاطباء يشاهدون الآن حوادث مثل هذه والفضل في ذلك للمصل المبني على التجارب في الحيوانات . ففي مستشفى ولارد باركر قلما يموت ولد مصاب بالذبحة ولو جاء المستشفى بعدما تمكن المرض منهُ ولم يعالج قبل دخولهِ وذلك بان يحقن حقنة كبيرة . فاذا صحب الذبحة اختلاط اودى بحياتهِ فقد كفي عذاب الاختناق الطويل .

وقبل عهد المصل كان يموت في المستشفى المذكور ثلثا المصابين بالذبحة · اما الآن فيشفى ثلاثة ارباع المصابين

فاذا استعمل المصل باكراً وعلى الكيفية اللازمة افضى الى الشفاء في اكثر الاصابات والى المناعة في المعرضين لعدوى الداء · وقد عالجت مصلحة الصحة في ولاية نيويورك ٣٥ الفاً من المصابين فلم يمت احد منهم

الالتهاب السحائي

ان من اعظم الامراض فتكاً بالاولاد واكثرها اقتصاراً عليهم التهاب غشاء الدماغ المعروف بالالتهاب السحائي · فانهُ قبلما استخرج المصل المضاد لهذا الداء على اثر التجارب العلمية الدقيقة في الحيوانات لم تكن ثمة طريقة لمنع نموّ المكروب المسبب لهذا الداء ومنع العواقب الوبيلة التي تنشأ عنهُ · اما الآن فعندنا مصل اما ان يقتل المكروب او يوقفهُ عند حدّهِ مباشرة واما ان يصرعهُ بتعزيز الخلايا البيضاء في الدم · ثم ان المصل يفعل فعلهُ في السموم السهلة الامتصاص التي يفرزها المكروب فيبطل قوتها · وكانت نتيجة ذلك ان وفيات هذا المرض هبطت كثيراً فضلاً عن ان شدة الاعراض خفت والاختلاطات قلّت · وكان اقلّ الوفيات بهذا الداء في العالم كلهِ قبل استعمال المصل يتراوح بين ٥٠ اوطاها في المئة في الحوادث الافرادية و ٧٥ في اعلاها المئة في الحوادث الوافدة · اما الآن فقد هبط متوسط الوفيات بعد حقن العمود الفقري بالمصل الى ٢٥ في المئة او اقل · وكلما باكر الطبيب في حقن المصاب كانت فائدة الحقن اكثر ظهوراً · ثم ان المصل يقصّر مدة المرض بضعة اسابيع في بعض الاحيان ويبعد عن المصاب عواقبهُ الوخيمة ما امكن كالاستسقاء الدماغي والعمى والصمم

السل

لا يخفى ان السل (او التدرن) يصيب الناس على اختلاف اعمارهم ولكنهُ اشدّ ما يكون فتكاً واوسع ما يكون انتشاراً بين الاولاد · فانهُ لا يقتصر فيهم على اصابة الرئة بل كثيراً ما يصيب الغدد اللمفاوية والعظام والمفاصل والبريتون · ولا بدّ لنجاح العلاج من تشخيص الداء باكراً قبلما تصول عوامل التخريب وتجول في الانسجة المصابة · وهذا التشخيص الباكر يكون بالحقن والغالب ان يفضي الى شفاء المصاب · وكثيراً ما يصاب الاولاد بالحدب الناشىء عن تدرن السلسلة الفقارية والعرج الدائم الناشىء عن مرض الورك اما الآن فقد اخذ هذان المرضان يزولان من بينهم بفضل التجارب في الحيوانات وما كشفت من فعل باشلّس التدرن في الانسجة المختلفة ووسائل انتقالهِ من مكان الى مكان · فان علمنا بانتقالهِ

مع اللحم واللبن زادنا اهتماماً بفحصها وعناية بتطهيرهما قبل اكلهما . ولولا الارانب والخنازير واجراء التجارب فيها ما كدنا نعرف شيئاً عن السل وفعلهِ في الصغار بوجه خاص . فقد دلّت تلك التجارب على امكان انتقالهِ بالعدوى فاتخذت التدابير اللازمة لمنع ذلك الانتقال . ولا ريب ان معالجة السل بالهواء النقي ونور الشمس وكثرة الطعام كانت نتيجة تمرسنا بهذا الداء . وليست المصاحّ التي تنشأ عند شاطىء البحر وفي ثنايا الجبال لمعالجة تدرن الغدد والعظام في الاولاد سوى نتيجة التجارب التي بدأناها في الحيوانات . وقد كان الدكتور ترودو اول من فتح لنا هذا الباب وابدع التجارب التي عادت بنفع غزير على الناس فانهُ اقدم على سلسلة تجارب في تلقيح الارانب فكان يبقي بعضها في الخلاء ويغذيهِ تغذية تامة فيشفى ويحبس بعضها في غرفة ويجعل طعامهُ دون الكفاف فيموت . وفي عشرين سنة هبط متوسط وفيات السل في نيو يورك ٤٠ في المئة وفي بوسطن ٥٥ في المئة . ومعنى ذلك نجاة الوف من الاولاد من الموت او من التشويه الدائم

ومن اعظم النتائج التي اظهرتها التجارب المشار اليها وافضلها عائدة كون السل لا ينتقل بالوراثة وقد ازال هذا الاكتشاف اليأس الذي كان مستحوذاً على العقول من حيث الاولاد الذين يولدون من اب مسلول او ام مسلولة . فان علمنا بان هذا الداء العياء يمكن درؤُهُ ويمكن شفاؤُهُ يجرئنا على استئناف الجهد لقطع دابرهِ واستئصال شأفتهِ

البَلَه

تمكن الاطباء في السنين الاخيرة من معرفة السبب في احد الامراض العقلية ومن شفائهِ في الاكثر بواسطة الغدة الدرقية . فان الدكتور « شف » اخذ غدة درقية وزرعها في التجويف البطني من الكلاب فظهر لهُ ان وظيفتها تبقى لها حتى بعد استئصالها من مكانها الطبيعي . ثم ابان بالتجربة انهُ اذا اعطي ولد ابله (نشأ بلهه عن فقد الغدة الدرقية فيهِ) من خلاصة الغدة الدرقية زالت منهُ اعراض البله الناشئة عن فقدها . وبذلك اصلح حال كثيرين من البُلْه

الكَلَب

ذكر فروثنهام انهُ كلِبَ في انكلترا ٣٨ كلباً فقط سنة ١٨٩٢ . على ان غواة الكلاب حملوا على الحكومة حملة شعواء بسبب الكمامة التي تكمّ بها الكلاب فابطلتها وكانت نتيجة هذا الابطال ان ١٦٠٢ من الكلاب وغيرها من الحيوانات و ٥١ انساناً اصيبوا بهذا الداء وماتوا بهِ . على انهُ يمكن الآن تخفيض متوسط الوفيات بهِ حتى في البلاد التي لا تكمّ الكلاب فيها

والتي يكثر تعرض الناس للحيوانات الكلبة من كلاب وغيرها . وذلك بفضل علاج باستور الذي هبط فيهِ متوسط وفيات الذين تعقرهم الحيوانات الكلبة من ١٤ في المئة الى ما تحت ١ في المئة . وهذا الحكم يصح على كل مكان وجدت الكلاب فيهِ . وقد انتفعت الكلاب بعلاج باستور انتفاع الناس بهِ واكثر الناس انتفاعاً بهِ الاولاد لكثرة لعبهم بالكلاب

الجدري

اشتدت وطأة الجدري مرة في مدينة مونتريال بكندا ومات بها ٣١٦٤ نفساً فكان منهم ٨٥ في المئة اولاداً دون العاشرة من سنهم . واذا لقح الطفل بطعم الجدري وقاهُ الطعم في دور نموّهِ فلم يصب بهِ او غيّر التطعيم سيرهُ بكيفية معلومة حتى لا يضرّ بهِ اذا اصيب وكان الجدري فيما مضى من امراض الاولاد اللازمة حتى سمي جدري الاولاد ولكن التطعيم الباكر افضى الى انقلاب كبير من هذا القبيل . فقد روى بعضهم انهُ لم يمت بالجدري في ١٥ سنة في مدينة بوسطن ولد من الاولاد الذين طعموا وسنهم اقل من خمس سنوات . اما الذين لم يطعموا فكانت وفياتهم في تلك المدة ٧٥ في المئة . وقد قطع دابر الجدري الآن من البلاد المتمدنة بالتطعيم في حين ان الذين هلكوا بها في اوربا بلغوا ٦٠ مليوناً في القرن الثامن عشر ومن لم يهلك بات مشوّه السحنة مدى عمرهِ وبقيت دولة هذا الداء على فتكها حتى اكتشف جنر اكتشافهُ العظيم سنة ١٧٩٦ . وقد سنّت المانيا قانوناً يقضي بوجوب تطعيم كلّ الماني تكراراً فمضت ٣٥ سنة لم يصر الجدري مرضاً وافداً فيها . ذلك في حين ان بعض البلاد المجاورة لها تفشى الجدري غير مرة فيهِ اذ ليس لهُ مثل ذلك القانون

ومما يذكر في هذا الصدد ان هبوط الوفيات بالجدري اقتصر في الاكثر على الاولاد لشدة العناية بتطعيمهم . وبعد مرور العشر السنوات الاولى من العمر تضعف المناعة الناشئة عن التطعيم فلا غنى اذ ذاك عن التطعيم ثانية . وقد كان يعترض على التطعيم بانهُ مجلبة للامراض الاخرى فزال هذا الاعتراض تماماً على اثر التجارب التي جربت في العجول ودلّت على ان سمّ الجدري قد تحول ترياقاً بالانتقال من جيل الى جيل من العجول

الملاريا وغيرها

ان الاولاد كثيرو الاستهداف لحمّى الملاريا ولكن درس طبائع البعوض وادوارهِ وتاريخهِ الطبيعي وعمل التجارب التلقيحية في الانسان وسائر الحيوان افضيا الى كسر شوكة هذه الحمّى وجعلها داءً قابل المنع في الاكثر . وقد اثبت الباحثون من الطليان ان البعوض ينقل الملاريا الى الطيور كما ينقلها الى الناس . وكانت نتيجة هذه الابحاث ان بقاعاً واسعة

من الاراضي الغامرة والمستنقعات الخطرة اصبحت مأمونة منتجة . وقد كان منظر الاولاد في تلك البقاع من اقبح المناظر فقد عاق الداء نموّ اجسامهم وافقر دمهم وضخّم اكبادهم واطحلتهم

اما الحمى التيفودية فان الاولاد والبالغين يطعمون للوقاية منها على السواء . والتجارب التي تعمل لتشخيص التدرن والزهري في اوائل ظهورها آلت الى احسن النتائج اذ مكنت الطبيب من معالجة الداء قبل استفحالهِ

الاعمال الجراحية

جنى الاولاد بوجه خاص" فائدة عظيمة من اصلاح الجراحة فبات في الامكان منع الحمّى العفنة والحمّى الصديدية وكثيراً ما يمكن شفاؤُها . ومعلوم ان الاولاد كثيرو التعرض لاعتقال الامعاء على انواعهِ وكان المصابون بهِ فيما مضى يموتون لاحجام الطبيب والجرّاح عن عملية فتح البطن . اما الآن فالاطباء يفتحون بطون الاطفال ويعملون عمليات اعتقال الامعاء غير خائفين . وبعض انواع التهاب البريتون يشفى بمجرد فتح البطن . وقد جربوا حديثاً عمليات تطعيم العظام في الاولاد فقوموا بها الظهور الحدباء وغيرها من المشوهات وكانوا قد جربوا ذلك قبلاً في الحيوانات . ومثل ذلك يقال في النزف الذي يصيب الاطفال عند ولادتهم والتتانوس وغيرهما من العوارض الفجائية التي يتعرضون لها

فان كان هذا القدر الكبير من الاعمال النافعة للاولاد والاحداث قد تمّ في سنوات قليلة فلا بدع اذا اتمّ العلماء المكتشفون والمخترعون اعمالاً اعظم منها وانفع في المستقبل بعد ما دانت لهم دولة العلم وباحت لهم باسرارها واطلعتهم على ما في خزائنها من الكنوز التي لا تقدر بمال . ويعسر على المرء الانباء بالحدّ الذي يبلغهُ الدواء من التسلط على الداء اذا دامت الاختراعات والاكتشافات العلمية الطبية على منوالها الحاليّ . ومن اهم الادواء التي يبحث الاطباء فيها الآن شلل الاطفال ومعرفة سببهِ ليمكنهم معالجتهُ معالجة نافعة . وقد بان لهم شعاع من النور فاصبحوا كثيري الرجاء في النجاح . وما يقال عن شلل الاطفال يقال عن غيرهِ من العلل والاسقام العضالة القتالة

ولا ريب ان المدنية الحاضرة مديونة للاطباء المكتشفين بالشيء الكثير فاذا عورضوا وصودموا في مشروعاتهم المفيدة بمثل الضجة القائمة حول تجربة التجارب في الحيوانات توقفوا عن السعي والسير فتوقف سير العلم معهم وما يبنى عليهِ من النفع العام بازالة الادواء والاسقام

اقسام الجيش

والرتب العسكرية

روت الصحف منذ مدة ان قد تألفت بقرار من مجلس الوزراء لجنة لوضع اسماء عربية للرتب العسكرية في السلطنة المصرية ، فرأينا ان نقول كلمة في هذه الرتب ومسمياتها واقسام الجيوش وانواع الاجناد مع ما يقابلها عند العرب والافرنج . ولا يخفى ان العرب قد اشتهروا بالغزو والقتال ، وكانت لهم ايام غرّاء في الفتوح والحروب ، فلا عجب والحالة هذه ان تكثر في لغتهم الالفاظ الحربية والمترادفات العسكرية

تختلف اسماء العساكر عند الامم باختلاف انواع اسلحتها وكيفية تجهيزها للقتال . فمن هذه الانواع ما يُعرف الآن باسم « بيادة » وهم المشاة او الرجّالة (Infanterie) ، ومنها « السواري » وهم الفرسان او الخيّالة (Cavalerie) ، ومنها « الطوبجية » او المدفعية (Artillerie) ، والرُّماة (Tirailleurs) ، والدارعون (Cuirassiers) وهم لابسو الدرع ، قال السموأل في قصيدته المشهورة :

واسيافنا في كلّ شرقٍ ومغربٍ   بها من قِراع الدارعين فلولُ

وهناك ايضاً الهجانة (Corps à chameau) والرمّاحة (Lanciers) والقوّاسة (Archers, Arbalétriers) وهم حملة القوس ، وقد توسّعوا في عصرنا هذا في مدلول هذه الكلمة فاطلقوها على الرجال المناطة بهم المحافظة على القنصليات

وقد تختلفُ الاسماء المطلقة على كل نوعٍ من انواع العساكر التي اشرنا اليها ، ولكنها في الغالب ترجع الى نوع السلاح وعدّة القتال كما اشرنا ، فلا حاجة الى التبسّط في ذلك

ويُقسَم الجيش عادةً من حيث مراكزهُ الى خمسة اقسام وهي : الطليعة او المقدّمة (Avant-garde) والساقة او المؤخرة (Arrière-garde) ، والقلب (Centre) والميمنة او الجناح الايمن (Ailé droite) والميسرة او الجناح الايسر (Aile gauche)

وهذا التقسيم معروفٌ قديماً عند العرب . قال ابن خلدون في مقدّمتهِ : « كانوا يقسّمون الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ، ويسوّون في كل كردوس صفوفهُ . . . ويرتّبونها قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ، ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ، ويسمّون هذا الترتيب التعبئة . وهو مذكورٌ في اخبار فارس والروم والدولتين صدرَ الاسلام . فيجعلون بين يدي الملك عسكراً منفرداً بصفوفهِ متميّزاً بقائدهِ

ورايته وشعاره ويسمّونهُ المقدّمة ، ثمَّ عسكراً آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمتهِ يسمّونهُ الميمنة ، ثمَّ عسكراً آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونهُ الميسرة ، ثمَّ عسكراً آخر من وراء العسكر يسمونهُ الساقة ، ويقف الملك واصحابهُ في الوسط بين هذه الاربع فيسمون موقفهُ القلب . فاذا تمَّ لهم هذا الترتيب المحكم ، إمَّا في مدًى واحدٍ للبصر وإمَّا على مسافةٍ بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها ، او كيفما اعطاهُ حال العساكر في القلة والكثرة ، فحينئذٍ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة »

وذكر ابنُ خلدون ايضاً اثناء كلامهِ عن الوظائف السلطانية « صاحب الحرب وصاحب الشُّرطة » ويقابلها في عهدنا هذا وزير الحربية وقومندان البوليس او الحكدار ، وذكر كذلك « ديوان الجند » في كلامهِ عن اختصاص وزير المملكة وهو ما يقابلهُ اليوم وزارة الحربية . امَّا تاريخ تأليف هذا الديوان في الدولة الاسلامية فكان على عهد عُمَر باشارةٍ من خالد بن الوليد . « وقيل بل اشار عليهِ بهِ الهرمزان لمَّا رآهُ يبعثُ البعوث بغير ديوان. فقيل لهُ : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم ، فانَّ من تخلَّف اخلَّ بمكانهِ . وانمَّا يضبط ذلك الكتَّاب ، فاثبت لهم ديواناً . وسأل عُمَر عن اسم الديوان ، فعبّر لهُ . ولمَّا اجتمع ذلك امر عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا من كتَّاب قريش ، فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليهِ وسلَّم وما بعدها الاقرب فالاقرب . هكذا كان ابتداء ديوان الجيش . وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أنَّ ذلك كان في المحرَّم سنة عشرين »

***

اما الكلمات المستعملة الآن للدلالة على اقسام الجيش من حيث العدد فهي :

فيلق (وفي تركيا أُوردو) (Corps d'armée) — وفرقة (Division) — ولواء (Brigade) — وآلاي (Régiment) — وطابور (Bataillon) — واورطة (بلوك) (Compagnie)

ومن هذه الالفاظ ماهو عربي ومنها ماهو تركي : فكلمة « فَيْلَق ج فيالق » مستعملة عند العرب ومعناها الجيش العظيم . قال الشاعر « في حومةِ الفيلق الجأواء إذ نزلتْ »

وكذلك « فرقة » فان معناها الجماعة من الناس (ج فِرَق) على أنَّ « فريق » تدلُّ على جماعةٍ اكثر عدداً من الفرقة ، وان كانوا في ايامنا يطلقون كلمة « فريق » على قائد هذه الجماعة لا على الجماعة نفسها

أما « لِواء ج أَلوِية » فهي على ما هو معروفٌ الراية والعلَم ، وقد يمكن إبقاؤُها بمعناها المألوف في اللغة العسكرية من باب تسمية الشيء باسم جزءٍ منهُ اذا كان المقصود من هذا القسم من الجيش الجماعة ذات اللواء او الراية

أما « طابور » فواردة في القواميس بالتاء لا بالطاء : (تابورج توابير) ومعناها جماعةُ العسكر ، وبهذا المعنى ايضاً كتيبة

أما « آلاي » فلفظةٌ اعجمية يُقابلها من حيث الدلالة على عدد الانفار كلمة جَحْفَل (ج جحافل) . وكذلك يصح استعمال « سَرِيَّة ج سرايا » بدلاً من اورطة ، و « كوكبة » بدلاً من بلوك سواري (Escadron)

اما ما يُعبَّر عنهُ الافرنج بكلمة (Détachement) فيقابلهُ عند العرب « فصيلة » لانها تُفصَل من الجيش او « جريدة » لانها تُجرَّد من سائر الجيش لاي غرض كان . وكلتا اللفظتين على وزن فعيل بمعنى مفعول

وهذه الاسماء لاقسام الجيش المختلفة تدلُّ على عددٍ من الاجناد يختلف كثرةً وقلةً حسب الزمان والمكان

فعدد العساكر الذي ينطوي تحت كل قسمٍ من اقسام الجيش يزيد او ينقص في دولةٍ من الدول عمَّا هو عليهِ في غيرها ، بل هو يختلف في الدولة الواحدة بين الماضي والحاضر ، او بين ايام الحرب وايام السلم . ولما كانت الالفاظ المستعملة عند العرب من جهةٍ ثانية لا تدلُّ في اصل وضعها على عدد مُعيَّن من الجند ، بل كان ذلك من المصطلح عليهِ ايضاً حسب اختلاف الامكنة والازمنة ، فانَّهُ يمكن الرجوع اليها والاتفاق على جعل مدلولها كذا او كذا من العساكر

اما أشهر هذه الالفاظ فهي على ما جاء في كتاب « فقه اللغة » للثعالبي

السريّة (من ٥٠ الى ٤٠٠) والكتيبة (من ٤٠٠ الى ١٠٠٠) والجحفل (من ١٠٠٠ الى ٤٠٠٠) والخميس (من ٤٠٠٠ الى ١٢,٠٠٠)

وقد سمي « الخميس » خميساً لانه مؤلَّفٌ من خمس فرقٍ وهي المقدّمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب كما تقدَّم القول

ومن هذا القبيل ايضاً ما ورد في كتاب « الالفاظ الكتابية » للهمذانيّ :

المقنَب (ما بين الثلاثين الى الاربعين) والمنْسَر (ما بين الاربعين الى الخمسين)

وجاء في كتب اللغة : اقتنبت الخيلُ وتقنّبت صارت مقنباً . ويقال : قنّبوا نحو العدو وتقنبوا اذا تجمّعوا وصاروا مقنباً . والمقنَب من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، وقيل زهاء ثلثمئة — او جماعةٌ من الخيل تجتمع للغارة

والمنسَر في كتُب اللغة : الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين ، او من الاربعين الى الخمسين او الى الستين ، او من المئة الى المئتين — وقطعةٌ من الجيش تمرُّ قدام الجيش الكبير ، وقيل الجيش الذي لا يمرُّ بشيء الاّ اقتلعهُ . وفي الحديث « كلما اظلّ عليكم منسرٌ من مناسر اهل الشام اغلق كلُّ رجلٍ منكم بابهُ »

ويقال كذلك كبكبة من الرجالة كما يقال كوكبة من الفرسان . والكبكبة في كتب اللغة ، بفتح الكافين او بضمها ، الجماعة من الناس المتضامّة

وهناك ايضاً ألفاظٌ كثيرةٌ من هذا القبيل معروفةٌ عند العرب كالرَّهط والشرذَمة والثُلّة والزُمرة الخ

وجاء في « الالفاظ الكتابية » ان الرهط ما بين الخمسة الى العشرة ، والعُصبة ما بين العشرة الى الاربعين

ومن كلّ ما تقدم يظهر ان هذه الالفاظ لا تدلُّ على عددٍ معين ، فلا يصعب والحالة هذه تطبيقها على اقسام الجيش في زمننا هذا

***

اما رتب الجندية الآن فهي من الادنى الى الاعلى

نفر . اونباشي (Caporal ou maréchal des logis) . بلوك امين ، جاويش ، باشجاويش (Sergent major) صول ، ملازم ثانٍ (Sous-lieutenant) ، ملازم اول (Lieutenant) ، يوزباشي (Capitaine) ، صاغ قول اغاسي (Adjutant-major) ، بكباشي (Chef de bataillon ou d'escadron) ، قائمقام (Lieutenant-colonel) ، مير آلاي (Colonel) ، مير لواء (Général de brigade)

فريق (Général de division ou Lieutenant général) مشير (Maréchal)

وايجادُ كلماتٍ عربية لهذه المسميات يتوقّف كثيراً على ما يتقرّر بشأن اقسام الجيش ، فنقول والحالة هذه : قائد سريّة ، وقائد كتيبة ، وقائد جحفل . الخ

او انهُ يمكن استعمال « امير » للرتب العليا ، و« قائد » لما دونها ، و« رئيس » للرتب

الصغرى ، فنقول : امير الجيوش العام ، وامير فيلق (او فرقة او لواء الخ) وقائد جحفل (اوكتيبة او سرية او شرذمة او زمرة الخ) ورئيس مِقنَب (او منسر او ثُلّة او رهط الخ)

فان الالقاب الحالية لا يختلف معناها كثيراً عن مثل هذا . فمعنى « بكباشي » رئيس الألف ، ومعنى « يوزباشي » رئيس المئة ، ومعنى « اونباشي » رئيس العشرة ، ومعنى « صاغ قول اغاسي » رئيس الجناح الأيمن . وكان في الجيش التركي رتبةٌ تقابلها وهي « صول قول غاسي » اي رئيس الجناح الايسر

وقد يكون هناك مجالٌ لنحت اسماء جديدة من الالفاظ التي تتقرَّر لاقسام الجيش فيُقال: فَيْلَقي وفريقي ولوائي وجحفلي وقس على ذلك

او يمكن اتخاذ الالفاظ التي تدلُّ عند العرب على السيادة والزعامة وإطلاق كل واحدةٍ منها على قوّاد اقسام الجيش ورؤسائهِ حسب الاهمية ، والامرُ في ذلك راجعٌ الى الاصطلاح . ومن هذه الالفاظ : الحُلاحِل (السيّد الشجاع) والزعيم والعميد والمقدَّم والمولى والمسوَّد والسيّد والرأس الخ . ورأس القوم سيدهم وهو لقبٌ موجودٌ في الحبشة حتى الآن

و يمكن اطلاق اسم « كوكب » على قائد الكوكبة ، فالكوكب في كتب اللغة سيّد القوم وفارسهم او الرجل بسلاحهِ

أما « الشُرطَة » التي سبق ذكرها في سياق كلام ابن خلدون فقد شرحها اقرب الموارد أنها طائفةٌ من خيار اعوان الولاة وهم في ايامنا رؤساء الضابطة ، مفردها شُرْطيٌ وهو ما يسميهِ الافرنج (Agent de police) وبهذا المعنى « الشحنة »

أما كلمة « العسس » فهي بمعنى الخفراء من عسَّ اي طاف بالليل يحرسُ الناس و يكشف اهل الريبة

بقيت مسألة العبارات المصطلح عليها عندنا الآن لاصدار الامر الى العساكر بالسير او الوقوف او رفع السلاح او خفضهِ ، وهي مما لا يصعبُ ترجمتهُ بعباراتٍ عربية تكون اقرب الى فهم الجندي واوفى بالغرض من العبارات الاجنبية وقد ادخل ذلك في تعليم الجند اللبناني فألفهُ الناس وآثروهُ على غيرهِ

هذا ما عنَّ لنا في هذا الموضوع احببنا ان نطرحهُ على بساط البحث إتماماً للفائدة

القاهرة انطون الجميّل

الاحصائيون والحرب

من اعظم ما اشتغل بهِ الناس من مسائل هذه الحرب ما تستطيع المانيا تجنيدهُ من الرجال. فمن قائل انها تجند سبعة ملايين رجل ومن قائل انها تجند ١١ مليونًا ومن قائل بين بين

ومن تلك المسائل مقدار الغرامة التي يفرضها الحلفاء على المانيا اذا انتصروا عليها كما هو الرأي المرجح المقبول

اما المسألة الاولى فقد بسطها احصائي انكليزي شهير هو السر ليوشيوزا موني من اشهر الاعضاء الاحرار في مجلس النواب الانكليزي وهو ايطالي الاصل وقد قابل بين ما تستطيع المانيا تجنيدهُ وبين ما تستطيعهُ انكلترا في مقالة نشرتها الدايلي مايل ولخصناها بما يلي. واما الثانية فقد تناولها احصائي فرنسوي معروف وهو المسيو جان فينو ونشر بشأنها مقالة في المجلة الفرنسوية المشهورة وقد لخصناها ايضًا

مقالة السر ليوموني

يظن كثير من الناس اننا نحارب دولة اقوى واغنى منا بمراحل حتى لقد خيّل الى قوم منّا ان منزلتنا من الالمان في العزة والقوة بمنزلة داود من جليات. والواقع غير ذلك. فان عدد سكان الجزر البريطانية (انكلترا الاصلية وسكتلندا وويلس وارلندا وما حولها من الجزائر الصغرى) ٤٦ مليونًا وسكان المانيا لا يزيدون علينا ٥٠ في المئة. هذا من جهة العدد. اما من جهة الثروة فقد اجمع العارفون ان دخل الامة الالمانية في السنة التي تقدمت الحرب كان مساويًا لدخل الامة الانكليزية تقريبًا. وفي الحرب هبط دخل الالمان اكثر كثيرًا من دخلنا

اما عدد سكان فرنسا وايطاليا وروسيا الاوربية فيبلغ نحو ٢٢٥ مليونًا وعدد سكان النمسا والمجر ٥١ مليونًا. فالحلفاء اكثر عددًا من امبراطوريتي التحالف الالماني واكثر مالاً. فان كانت المانيا تظهر ما تظهر من القوة وسعة الحيلة في هذه الحرب فما ذلك لان مواردها ومصادرها اغزر مما عندنا بل لما تبدي من النظام وحسن التدبير في تناول تلك الموارد والمصادر. واذا ذكرنا ما الحقهُ الاسطول الانكليزي بالتجارة الالمانية وجب ان لا يبقى في الصدور اقل ريب في نتيجة الحرب اذا عرف الفريق الذي هو اكثر رجالاً واموالاً كيف يدير رجالهُ وامواله

ومما يذكر في هذا الصدد ان انكلترا والمانيا دولتان صناعيتان بين الدول المشتركة في هذه الحرب. والبواقي منهنَّ زراعيات اكثر منهنَّ صناعيات. وظاهر ان الحروب الحديثة اعتمادها على المعامل فهي الى الآلات الميكانيكية احوج منها الى الرجال. ولما كانت انكلترا الدولة

الصناعية العظمى بين دول الحلفاء وكانت بلا ترتيب ولا تنظيم ايام السلم فضلاً عن ايام الحرب فقد خلا الجو لالمانيا لتثير حرباً احق" ان تسمَّى بحرب المعامل لانها تتطلب الشيء الكثير من المدافع والقنابل والذخيرة على انواعها. ولا مناص لنا من القول ان الامة التي كانت فيما مضى مصنع العالمين . والتي كانت اول من عالج الحديد والفولاذ على قدرعظيم . والتي اخرجت للناس الهندسة الحديثة — هذه الامة خاضت غمار الحرب في اغسطس الماضي ومعامل السلاح فيها قليلة حتى لقد مرَّت الاشهر ضياعاً قبلما امكن تجهيز جيش كبير بما يلزم من السلاح اما المانيا فقد كان عندها في اغسطس الماضي من السلاح اكثر منا بما لا يقدر . وما كادت الحرب تنشب حتى حوَّلت جميع معاملها ومصانعها حتى معامل آلات الخياطة دوراً لصنع الذخيرة

سمعتُ المستر لويد جورج في ٤ مايو الماضي يخطب في مجلس النواب ويقول: ان انكلترا تستطيع ان تخدم حلفاءها ثلاث خدمات الاولى انها تستطيع ابقاء زمام البحر في يدها حتى النهاية . والثانية انها تستطيع تجنيد جيش كبير ينتظم فيهِ جميع رجالها كما تصنع سائر الدول الاوربية . والثالثة ان تعيد ما اسلفت في عهد نابليون اي ان تحمل العبء الاكبر من امداد دول الحلفاء بالمال وتساعدهن في صنع الذخيرة وسائر المهمات الحربية

اما انا فاقول: ان احتفاظنا بزمام البحر خدمة عظيمة ولكن ذلك لا يوقف الحرب عند حدّ . وكلّ حرب طويلة تعرّض سيادتنا البحرية للخطر . هذا اولاً . وثانياً يخطئُ من يقول ان دول اوربا جندت جميع رجالها . ولكن مما لا ريب فيهِ ان لالمانيا من الجنود تحت السلاح اكثر مما لنا بكثير مع مراعاة النسبة في عدد السكان وهي تصنع من عدة الحرب اكثر مما نصنع نحن بكثير . وثالثاً اننا نستطيع ان نخرج القدر العظيم من الرجال والسلاح من غير ان نضعف قوتنا المالية خلافاً لما يقول قوم منَّا . فان كانت الحكومة تعتقد حقيقة اننا بلغنا غايتنا في ما قدمناهُ من الرجال والسلاح والمال وكان اعتقادها في محلهِ فالعاقبة وخيمة علينا

ولننظر الى ما عند المانيا من الرجال فنقول: ان في المانيا عشرة ملايين رجل سنهم بين ١٩ و ٣٨ . او ١٣ مليوناً سنهم بين ١٩ و ٤٥ . هذا عدا القادرين على الخدمة العسكرية ممَّن سنّهم بين ١٤ و ١٩ وما فوق ٤٥ . واذا فرضنا ان عدد الجنود الالمانية التي تحت السلاح ٧ ملايين وهو ما ارتاب فيهِ يبقى ٣ ملايين من اهل السنّ العسكرية . أضف اليهم الملايين من الذكور العاملين الذين دون التاسعة عشرة من سنّهم والذكور العاملين الذين فوق الخامسة والاربعين والنساء والبنات العاملات من كلّ سنّ ثمَّ ان المنتظمين في سلك الجيش الالماني ليسوا الامة الالمانية كلها كما يقال

واذا ازلنا الغشاوة عن ابصارنا ورأينا الحقائق كما هي بلا زيادة ولا نقصان ادركنا بسهولة كيف استطاعت المانيا بقوة التدبير والتنظيم ان توجه الجيوش الفخمة الى ميادين متعددة ثم يبقى عندها في بلادها عدد كافٍ من الجنسين لاخراج الطعام والسلاح بسهولة والقيام بما تحتاج اليهِ البلاد من الاعمال

ومما قالهُ المستر لويد جورج في خطبتهِ المشار اليها: ان اربعة ملايين من احسن رجالنا اخذوا من صناعاتهم وحرفهم المختلفة · فمليونان انتظموا في جيش البرّ او البحر وهم امافي ميادين الحرب واما هنا يدربون على فنون القتال · ومليونان يعملون في المعامل والمصانع لاخراج السلاح والذخيرة · ورداً على ذلك اقول: ان في الجزر الانكليزية نحو ١٣ مليوناً من الرجال سنهم ١٨ فما فوق · منهم ٠٠٠ ٢٥٠ ٧ سنهم بين ١٩ و ٣٨ · او ٠٠٠ ٢٠٠ ٩ سنهم بين ١٩ و ٤٥ · فان كان الاربعة الملايين الذين ذكرهم المستر لويد جورج هم كلهم من الاسنان العسكرية فظاهر اننا لم نبلغ اقصى حدّنا في تجهيز الرجال للحرب · وواقع الامر ان الاربعة الملايين لا يراد بهم اهل الاسنان العسكرية فقط لان في المليونين اللذين يعمل اعضاؤُها في معامل الذخيرة كثيراً من الاحداث الذين هم دون السن العسكرية والكهول الذين فوقها · وربما لم يكن في المليونين اكثر من مليون وربع من اهل السنّ العسكرية خارج المقاتلة وصانعي الذخيرة

وبناء على الاحصاء الرسمي لسنة ١٩١١ يقسم اهل السنّ العسكرية في انكلترا لسنة ١٩١٤ كما يأتي:

السن	العدد
١٩ — ٢٠	٠٠٠ ٧٩٩
٢١ — ٢٥	٠٠٠ ١٩١٥
٢٦ — ٣٠	٠٠٠ ١٨٣٣
٣١ — ٣٥	٠٠٠ ١٧٣٧
٣٦ — ٣٨	٠٠٠ ٩٦٨
	٠٠٠ ٧٢٥٢

واني احجم عن ان اضيف الى هذا المجموع الرجال الذين سنهم ٣٩ و ٤٠ لانهم كلهم متزوجون تقريباً فلا يجوز تجنيدهم حتى يجنَّد ملايين الشبان ولاسيما العزَّاب منهم وكثير ماهم · فان اكثر الذين سنهم دون السابعة والعشرين عزَّاب · واكثر الذين فوق السابعة والعشرين متزوجون · وهاك جدولاً يتضمن نسبة المتزوجين الى العزَّاب من سن ١٩ الى ٤٠

١٩	١ في كل	١٢٥
٢٠	« «	٣٤
٢١	« «	١٥
٢٣	« «	٥
٢٦	« «	٣
٢٧	« «	٢
٣٥	« «	١,٣
٤٠	« «	١,٢

اما العزّاب في الذين سنّهم بين ١٩ و ٣٨ فعددهم ٣٧٠٠٠٠٠ من ٧٢٥٠٠٠٠٠ انتهى

وخلاصة ما تقدم ان المانيا تستطيع تجنيد ١٣ مليوناً ممن سنهم بين ١٩ و ٤٥ وانكلترا ٧ ملايين وربعاً. وعلى هذا القياس اي على نسبة عدد السكان تستطيع فرنسا ان تجند ٨ ملايين رجل من اهل تلك الاسنان وروسيا ٣٠ مليوناً والنمسا ١٠ ملايين

مقالة المسيو جان فينو

ان عدد المقاتلة في جيوش الحلفاء نحو عشرة ملايين . والمرجح الآن كل الترجيح ان الحرب لا تدوم اقل من سنة. وقد اختلفت نفقات الجندي في ساحة الحرب اختلافاً كثيراً في الحروب الحديثة ولكنها ازدادت ازدياداً مطرداً محسوساً . ففي حرب سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ انزلت فرنسا الى ميدان القتال ٨٠٠ الف جندي مقابل ١١٠٠٠٠٠ انزلتهم المانيا ودامت الحرب ثمانية اشهر وبلغت نفقات الجيشين ٦ مليارات من الفرنكات الى سبعة مليارات (بين ٢٤٠ و ٢٨٠ مليون جنيه) . وعلى هذا الحساب اي على حساب ٢٤٠ مليوناً من الجنيهات انفقت على مليوني جندي في ثمانية اشهر تكون نفقة الواحد في اليوم ١٥ فرنكاً . اما في حرب البوير فبلغت نفقة الواحد اليومية ٣٦ فرنكاً

ويؤخذ من تقدير الانكليز لنفقات الحرب الحاضرة ان انكلترا تنفق ٥٠ فرنكاً على الجندي في اليوم . ومن عهد قريب قدر بول لروى بوليه ان جميع هذه الدول المتحاربة تنفق في ٧ اشهر ٥٠ ملياراً من الفرنكات او نحو مليارين من الجنيهات وضعفي ذلك في سنة او نحوها . واذا رجعنا الى الذخيرة ونفقاتها وعرفنا ان نفقة القنبلة الواحدة قد تبلغ ٦٠٠ جنيه الى ٨٠٠ جنيه اتضح لنا حينئذٍ ان نفقة الذخيرة هي من اخص خصائص الحرب الحديثة

لنفرض ان متوسط نفقة الجندي اليومية ٢٠ فرنكاً على اقل تقدير . ولنفرض ايضاً

ان عدد جيوش الحلفاء لا يزيد على ١٠ ملايين وان الحرب تدوم سنة واحدة . فعلى هذا الفرض يبلغ مجموع نفقات الحلفاء ٧٣ ملياراً من الفرنكات او نحو ٢٩٢٠ مليون جنيه . يضاف الى هذا المجموع تقدير الخسارة الناشئة عن التخريب والتدمير اللذين تمّا على ايدي الجيوش الالمانية والنمسوية مثل اتلاف المناجم وتعطيل سكك الحديد وهدم الجسور وحرق المزارع والقرى وما اشبه ذلك

ولما كانت المانيا والنمسا قد اقدمتا على الحرب بتدبير سابق فلا بدَّ لهما من دفع نفقاتها كلها من مقررة وغير مقررة . ولا ريب ان الخسارة غير المقررة اي خسارة النفوس والمنازل وما اشبه تساوي الخسارة المقررة اي ما انفق من المال على الجنود في ميادين القتال فيكون بذلك مجموع الخسارة ١٤٠ الى ١٥٠ مليار فرنك او نحو ستة آلاف مليون جنيه

ولنقل كلمة في خسارة الانفس . فقد قدر احد الاحصائيين الالمان سنة ١٨٦٧ خسارة المانيا بموت العامل الالماني الذي يعمل في المعامل والذي سنُّهُ ٢٥ سنة بمبلغ ٩٣٦ جنيهاً . وقدر متوسط خسارتها بموت العالِم بمبلغ ٤٥١٥ جنيهاً . وخسارتها بموت العامل في الارض بمبلغ ٦٢٤ جنيهاً . ولكن هذا التقدير يجب ان يزاد بسبب ما وقع من النقص في قيمة النقود منذ خمسين سنة الى الآن . وقد قدر جان دي بلوش (في المجلد الرابع من تاريخ الحرب المقبلة الذي كتبهُ) ان بين الف جندي فرنسوي يقتلون في ساحة الحرب ٤٥٦ عاملاً في الارض والمعامل . و ٢٩٠ صانعاً من اهل الصناعات والحرف اليدوية المختلفة . و ١٦٢ رجلاً من اهل التجارة . و ٩٢ من اهل الحرف العقلية كالاطباء والمحامين والكتاب . يقابل ذلك ٤١٥ و ٤٣٦ و ١١١ و ٣٨ في المانيا . و ٨٩٣ و ١٦ و ٣٢ و ١٩ في روسيا . وعليهِ تخسر فرنسا بخسارة كل الف من رجالها ١١٧٠٠٠٠ جنيه . والمانيا ٩١٠٠٠٠ جنيه . وروسيا ٤٦٨٠٠٠ جنيه . على ان المحاكم الفرنسوية تقدر قيمة النفس بنحو الف جنيه وعلى هذا التقدير تكون غرامة كل الف قتيل من الفرنسويين مليون جنيه

وقد ظهر من الحروب الاخرى ان اقل تقدير لخسارة الجيوش في الحرب هو ١٠ في المئة من مجموعها ولما كان مجموع الجيش الفرنسوي اربعة ملايين فخسارتهُ ستبلغ ٤٠٠ الف نفس من القتلى والمشوهين الذين لا يصلحون لعمل بعد الحرب فقيمتهم ٢٠٠ مليون جنيه . يضاف الى هذا المبلغ خسارة غيرهم من الحلفاء فالمجموع ٨٠٠ مليون جنيه على اقل تقدير. اضف هذا الى الستة المليارات الاخرى فالغرامة التي يطلب من المانيا دفعها تبلغ ٦٨٠٠ مليون جنيه وهي تزيد ٣٣ ضعفاً على الغرامة التي اخذتها المانيا من فرنسا في حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١

المال في اميركا

لما اخذت المانيا من فرنسا خمسة مليارات من الفرنكات غرامةً حربية بهت الناس من جسامة هذا المال وجعلوا يحسبون كم بغل يحملهُ لو كان ذهباً فانهُ مئتا مليون من الجنيهات وهي تزن نحو ٦٢٠ ٥٩٧ اكيلو غراماً اي نحو مليون وستمائة الف كيلو غرام فاذا فرضنا ان البغل يحمل مئة وستين كيلو غراماً لزم لحملها عشرة آلاف بغل واذا سارت هذه البغال في قافلة واحدة وحسبنا ان كل بغل يشغل ثلاثة امتار من الطريق امتدَّ قطار البغال ثلاثين كيلو متراً . ولو اراد صراف ان يعد هذه الجنيهات واحداً واحداً وعدَّ مئة منها في الدقيقة لزم لهُ ٣٣٣ ٣٣ساعة واذا اشتغل بعدّها عشر ساعات كل يوم لزم لهُ ٣٣٣٣ يوماً او نحو عشر سنوات

لكن هذه المئتي المليون من الجنيهات لم تعد شيئاً مذكوراً امام ما نسمعهُ الآن من النفقات الحربيّة فان نفقات انكلترا تزيد على ثلاثة ملايين من الجنيهات في اليوم فتبلغ في السنة اكثر من سبع مئة مليون من الجنيهات وقس على ذلك نفقات كل من فرنسا والمانيا وروسيا . وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان نفقات فرنسا بلغت من اول الحرب الى آخر يونيو ٩٦٠ مليون جنيه

وقد تدرَّج الناس الى الحساب بمئات الملايين ممَّا جرى في الولايات المتحدة الاميركية اذ يقال ان غنيًّا واحداً من اغنيائها وهو ركفلر تقدَّر ثروتهُ بمئتي مليون جنيه . وشركة واحدة من شركات ضمانة الحياة يقدَّر رأس مالها بمئة وستين مليوناً من الجنيهات . وقد روى بعضهم عن شاب اميركي من الولايات الغربيَّة ان اباهُ جدَّ واجتهد فاثرى وخلَّف لهُ ثروة تقدَّر بمليون جنيه فجمعها وجاء بها الى الولايات الشرقية لكي يستثمرها فيها اي ليضعها في بنك من البنوك ويشترك مع اصحابهِ والتقى بصديق لهُ واخبرهُ بما عزم عليهِ واستعان بهِ في ارشادهِ الى بنك يضعها فيهِ . فذهب صديقهُ الى مدير بنك يعرفهُ واخبرهُ بقصة هذا الشاب . فقال لهُ المدير لا يمكننا ان نقبل دراهم صديقك لاننا ابطلنا اخذ المبالغ الصغيرة وارجو ان لا تنقل هذا الكلام بحرفهِ الى صديقك لئلاَّ يستاء منهُ حاسباً اننا نستخفُّ بثروتهِ ولكن الواقع اننا اخذنا نقفل كل الحسابات الخاصة بالافراد ولم نبقِ منها الاَّ الحسابات الخاصة ببعض زبائننا القدماء . وجعلنا نقصر عملنا على الشركات والحكومات . والظاهر ان صديقك لا

يفهم حالة الاشغال هنا فقل لهُ ان يأخذ ما عندهُ من المال ويعود الى الولايات الغربية باسرع ما يمكن وقل لهُ ان هذه هي نصيحتي لهُ واذا لم يصدقك فارسلهُ اليَّ فاخبرهُ انا لماذا يجب عليهِ ان يرجع الى بلادهِ . فسمع الشاب النصيحة مدهوشاً وعاد الى بلادهِ

وفي نيويورك الآن بنك اعظم من هذا البنك نسبة البنوك القديمة اليهِ كنسبة الجرذ والقط الى الفيل والكركدن وهو لا يعمل الاَّ الاعمال الكبيرة . سئل رئيس هذا البنك ذات يوم هل من فائدة من انشاء بنك كبير مثل هذا لا يتعامل الاَّ بالمبالغ الطائلة . فقال نعم وهذا البنك من الحاجيات التي لا بدَّ منها الآن فبالامس احتاجت شركة من شركات سكك الحديد الى مليون جنيه فجاءنا بعض رجالها وفي دقائق قليلة تم الاتفاق بيننا وبينهم وأقرضناهم مليون جنيه واذا نظرت الى دفاترنا تجد اننا لم نفعل شيئاً غير عادي

وقيل لاحد كبار الاغنياء ذات يوم ألا تخافون من الاشغال الكبيرة مثل هذه فقال كلاَّ واننا آسفون لاننا لا نجد ما يكفينا من الاشغال الكبيرة واعني بها الاشغال التي تشمل الممالك وعندي ان خمسة فقط افتكروا بالممالك في اشغالهم وهم رودس وبلين ومورغان وهريمن وكسات . فان سفن شركة همبرج اميركا وصلت بادارة بلين الى كل مرفإٍ في المسكونة وكسات انفق مدة رئاستهِ على سكك الحديد في اميركا مئة مليون جنيه وذلك لانهُ كان يستنبط المشروعات الكبيرة الواسعة النطاق وقد مات مورغان وهريمن وكسات وهم الرجال الذين جعلوا الاميركيين يحسبون بمئات الملايين

ومنذ اربع عشرة سنة اختصم جمس هِل صاحب السكة الشمالية الغربية وادورد هريمن صاحب السكة الجنوبية الغربية على سكة لنتن التي اشتراها هِل وابى ان يشرك هريمن معهُ فيها فاستدعى هريمن سماسرتهُ وامرهم ان يشتروا لهُ بمبلغ ١٥٥ مليون ريال من اسهم السكة الشمالية الغربية وجعل هو وهِل يتناظران في مشترى تلك الاسهم حتى يستقل الغالب منهما بادارتها فبلغ ثمن السهم منها الف ريال وكان اصلاً مئة . وكانت الغلبة لهِل ونصيرهِ مورغان وانشأ مورغان حينئذٍ نقابة لهذه السكة رأس مالها ٤٠٠ مليون ريال لكي لا يستطيع احد ان يبتاع اسهمها ويستبد بها لكن الحكومة الاميركية الغتها سنة ١٩٠٤

ولما رأى روزفلت استئثار هريمن بسكك الحديد امر مجلس التجارة العام في نيويورك ان يحضرهُ ويسألهُ عن غرضهِ من هذا العمل فحضر واشار الى مكاتبي الجرائد ان يجلسوا حولهُ ليسمعوا كل كلمة يقولها . وسألهُ احد اعضاء المجلس قائلاً اتشتري سكة الحديد في سنتافاي فاجاب اذا سمحتم لي فاني اشتريها فقال لهُ وهل تستمر على ابتياع سكك

الحديد الواحدة بعد الاخرى الى غير نهاية فقال نعم ما دمت في قيد الحياة

لكن هريمن مات بعد اقل من ثلاث سنوات . ويقال ان احد اصحاب البنوك قابلهُ في مونخ قبيل وفاتهِ باسابيع قليلة ودار الحديث على الاعمال المالية الكبيرة التي عملت في السنوات العشر الاخيرة فقال هريمن ان ما سيُعمل في السنوات العشر التالية اعظم منها جدًّا . وهذا ما يحدث الآن فقد تطلب شركة من الشركات ستمائة مليون ريال او الف مليون ريال فلا تجد اقل مشقة في الحصول عليها حالاً

لما اعلنت الحرب الاوربية الكبرى في اغسطس الماضي كان تجار اميركا واصحاب بنوكها مديونين لمدينة لندن بنحو تسعين مليون جنيه تستحق في اول يناير سنة ١٩١٥ وكانت مدينة نيو يورك وحدها مديونة بستة عشر مليونًا من الجنيهات تستحق في اول يناير ولولا نشوب الحرب لكانت هذه الديون كلها تترك الى ان توفى من ثمن القطن والقمح اللذين يرسلان من اميركا الى اوربا ولكن الانكليز حسبوا ان لا بدَّ لهم من الحصول على اموالهم حينئذٍ ذهبًا وطلبوا من نيو يورك ان توفي الستة عشر مليونًا حالاً فاجتمع جماعة من الماليين في مكتب مورغان وشركائهِ ليذاكروهم في تدبير هذا المال فقابلهم اثنان من محل مورغان وقالا لم امهلونا الى الصباح . وفي الصباح أُمر بعض الكتبة ان يضعوا جدولاً ويبينوا فيهِ كم يجب على كل بنك من بنوك نيو يورك ان يدفع من الذهب ليجتمع من ذلك ستة عشر مليونًا من الجنيهات . وجمعوا حالاً سبعة ملايين منها لكي ترسل بحرًا الى اوتوى في كندا لحساب بنك انكلترا وكان في بنوك نيو يورك حينئذٍ مئة مليون جنيه ذهبًا فكان اسهل شيء عليها ان ترسل هذه السبعة الملايين فلما رأَت انكلترا ذلك عدلت عن طلب الباقي ولم يرسل فعلاً الى اوتوى الأَ مليونان من السبعة الملايين

والآن في بنوك اميركا اربعة آلاف مليون ريال اكثر مما كان فيها منذ خمس عشرة سنة . وقد زادت غلات الولايات المتحدة في العام الماضي ما ثمنهُ خمسة آلاف مليون ريال عما كانت عليهِ منذ خمس عشرة سنة وزادت قيمة المصنوعات تسعة آلاف مليون ريال وزاد مقدار الذهب في المعاملة ما يساوي ثماني مئة مليون ريال اي ١٦٠ مليون جنيه

وكيفما قلَّب الانسان نظرهُ في احوال تلك البلاد الواسعة وهمة سكانها وبلوغها هذا الشأو في اقل من مئة سنة صغر في عينيهِ حال الشرق وسكانهِ بل حال الممالك الاوربية كلها

بكتيريولوجيا التربة (١)

التربة الزراعية — يراد بالتربة الزراعية الطبقة السطحية من الارض الصالحة لنمو النبات وسمكها من ١٥ الى ٢٠ سنتيمتراً تقريباً وهي على الدوام غاصة بالكائنات الحية الدنيا من مكروبات ونباتات فطرية وپروتوزوا وحشرات لا عدد لها . وتلي هذه الطبقة طبقة ثانية تعرف بتحت التربة الا ان هذه اقل علاقة بالزراعة من تلك

كيف تكونت التربة الزراعية — تكونت التربة الزراعية بادئ بدء من الصخور المتفتتة والاجزاء المنحلة منها بعوامل طبيعية وكيماوية فحملت مياه الامطار تلك الاجزاء وقذفت بها الى السهول والاودية والانهار والبحار فاختلطت ببقايا كائنات حية كانت تعيش قبل هذا التاريخ اخصها كربونات الكلسيوم وفصفاته وبعد احقاب طويلة تراكمت حتى تكون منها طبقة ثخينة

حدثت بعد ذلك تغيرات جيولوجية حسرت المياه بسببها عن المواد المذكورة فظهرت كارض صلبة وعادت عرضة للعوامل الطبيعية المختلفة من ماء وهواء وثلج وغيرها ففككتها وحملت اجزاءها الى امكنة اخرى . والتربة الزراعية بالرغم عن تعرضها للمؤثرات الطبيعية والكيماوية منذ عصور جيولوجية بعيدة لا تزال باقية الى اليوم كما كانت تقريباً . وهذا ما يستدل منهُ على ان لاجزائها الصغيرة اقتداراً على مقاومة عظيمة لتلك المؤثرات . وبقاؤها الى اليوم كما كانت في اول التاريخ واضح من مقارنة اجزائها باجزاء الطبقة التالية لها . فانهُ لا يوجد بين احجام الاجزاء في الطبقتين فرق تقريباً مع ان الاولى كانت معرضة للمؤثرات المذكورة ولا تزال معرضة لها الى اليوم والثانية مصونة عنها . ومع ما تقدم لا يمكن القطع بان اجزاء التربة الزراعية ثابتة لا تتغير اذ المعلوم ان ماء المطر باشتماله على الحامض الكربونيك يذيب قليلاً من اجزاء التربة الزراعية بدليل ان ماء الارض يشتمل دائماً على كميات قليلة من مركبات الكلسيوم والمغنيسيوم والسليكون وغيرها ذائبة فيهِ وبناء على ذلك فمن الممكن القول بان كل جزء من اجزاء التربة يفقد مقداراً ضئيلاً جداً من المركبات القابلة للذوبان في الماء وبان تلك الاجزاء على تقادم زمنها الطويل تذوب مادتها تدريجاً وبلا انقطاع

(١) Soil Bacteriology

ان التربة الزراعية الى هذا الحد تكون صالحة نوعاً ما لانماء النباتات بما توفر فيها من المواد المعدنية الاَّ ان صلاحيتها هذه تعتبر ناقصة لعدم وجود المواد الآلية فيها · وعلى ذلك فهي محتاجة في تكونها الى اصلاح آخر سدًّا لهذا النقص

يبتدئ هذا الاصلاح بظهور النباتات في البقاع التي تكثر فيها مياه الامطار وتكون الحرارة مناسبة فتغطي سطح التربة المذكورة وتستمد النباتات غذاءها المعدني من المواد الذائبة من اجزاء التربة فقط · فاذا ماتت وانحلت ردت جميع تلك المواد الى التربة ثانية فاذا عادت النباتات الى الظهور ثانية كان لها مصدران للغذاء مصدر المواد الذائبة من اجزاء التربة مباشرة ومصدر المواد التي كانت في جسم النباتات الاولى والاول معدني صرف والثاني معدني وآلي · ففي البقاع الطبيعية التي تترك فيها النباتات وشأنها تستخدم المواد الغذائية المعدنية مرة بعد اخرى الى ما لا نهاية لهُ · والنباتاتُ بطبيعتها تعيد الى التربة اكثر مما تستمدهُ منها لانها في مدة حياتها تركب مواد نشوية وسليلوزية وبروتينية وغيرها من المواد الآلية وهذه تضاف بعد موتها الى التربة · فتنحل وتحدث فيها تغييراً عظيماً بالنظر لاشتمالها على قوى كامنة[1] فيها كانت قد استمدتها من ضوء الشمس بعملية تمثيل الكربون التي تعملها النباتات الخضراء · ويكون الفرق بذلك عظيماً بين التربة التي اضيفت اليها مواد آلية وبين التربة المعدنية الاصلية من وجهة ان الاولى تشتمل على مصادر للقوى وان الثانية ليس فيها شيء من ذلك

ان التربة الزراعية بمجرد توفر القوى الكامنة في المواد الآلية فيها تصلح لسكن الاحياء الدنيا المتنوعة وعلى الاخص مكروبات الارض التي تعرف بفوائدها الاقتصادية الكثيرة · فخصوبة الارض وصلاحيتها التامة للزراعة ناتجتان عن عمل هذه الاحياء الدنيا اذ منها ما يسبب تعفن المواد الآلية نباتية كانت او حيوانية ومنها ما يحدث تفاعلات كيماوية اخرى كعمليات النترجة وعكسها وتثبيت النتروجين الجوي في الارض او في جذور النباتات القرنية الى غير ذلك

كثرة المكروبات الارضية وعددها — توجد المكروبات بكثرة هائلة في طبقة قريبة من سطح الارض حيث يكثر الهواء والرطوبة وتكون الحرارة في درجة ملائمة فيتراوح عددها بين ١٠٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠٠٠٠ مكروب تقريباً في كل جرام واحد من الطبقة المذكورة · فالاراضي الرملية بالنظر الى جفافها وقلة المواد الآلية فيها لا يتجاوز عدد المكروبات

(1) Potential Energy

فيها ٠٠٠٠٠ ١ مكروب في كل جرام واحد منها . وكثير من الاراضي الصفراء المزروعة تحتوي على عدد من المكروبات يقدر بالملايين في كل جرام . اما الاراضي الطينية « الثقيلة » فعدد المكروبات فيها يكون قليلاً لقلة تخللها بالهواء ولتراكم الحوامض فيها والمواد الاخرى التي لا تلائم حياة المكروبات ولذلك تكثر فيها النباتات الطفيلية . اما الاراضي الطينية التي تكون مشتملة على كثير من المواد الآلية فقد يرتفع عدد المكروبات فيها الى ٥٠ مليوناً او اكثر في كل جرام منها حسب صلاحيتها . وعلى العموم فكلما اعتنى بفلاحة الارض وحرثها زاد عدد المكروبات فيها بنسبة مطردة فارض البساتين بالنظر لتعهدها بالفلاحة دوماً وكثرة تسميدها بالمواد الآلية تحتوي على عدد من المكربات اكثر من غيرها . ففي كل جرام منها ما يتراوح بين ٠٠٠ ٠٠٠ ٥ و ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ مكروب

ان اكبر عدد من المكروبات يوجد في الارض يكون على عمق يتراوح بين ٥ سنتمترات و٢٥ سنتيمتراً من سطحها لان المكروبات باقترابها من سطح الارض كثيراً تبيد او تقل بتأثير ضوء الشمس واذا ابتعدت عن سطح الارض كثيراً بادت او قلت لعدم توفر الشروط الملائمة لحياتها وتكاثرها . وعليهِ فمن الممكن ان يصل الانسان الى طبقة من الارض تحت التربة الزراعية خالية من المكروبات تماماً . يؤيد ذلك البحث الذي اجراهُ العالم هوستون[1] فانهُ وجد ان الجرام الواحد من سطح الارض يحتوي من المكروبات على ٠٠٠ ٦٨٨ ١ في الطبقة القريبة وعلى عمق ٣٠ سنتيمتراً من سطحها يحتوي على ٠٠٠ ١٠٠ ١ وعلى ٩٠ سنتيمتراً يحتوي على ٠٠٠ ١٧٤ وعلى ١٨٠ سنتيمتراً يحتوي على ٤١٠ مكروبات

الشروط اللازمة لحياة المكروبات الارضية — تتركب التربة الزراعية من اجزاء صغيرة صلبة كالحبيبات تفوق في عددها حد الحصر كل جزء منها محاط بغشاء رقيق جداً من الماء تعيش فيهِ المكروبات . فرطوبة هذه الاجزاء شرط اولي لحياة هذه المكروبات وتكاثرها وكذلك عنصر الاكسجين المطلق ضروري لحياة الانواع الهوائية منها . وان احسن نسب الرطوبة الارضية لنمو المكروبات وتكاثرها ما بلغ فيهِ سمك الغشاوة المائية المحيطة بكل حبيبة ترابية من ١٠ الى ٢٠ ميكرون لان الغشاوة المذكورة اذا كانت على هذه النسبة تسمح للهواء بتخلل اجزاء التربة من جهة ومن جهة اخرى فانها تعتبر كافية لحمل مواد الغذاء اللازمة الى المكروبات ونقل الافرازات والمواد الضارة بعيداً عنها . فاذا زاد سمك الغشاوة المائية عن تلك النسبة نقصت كمية الهواء الداخل وقلت حركة انتشار الاغذية حول المكروبات .

(1) Houston

وللحصول على غشاء من الماء معتدل السمك تختار التربة الناعمة الدقيقة الحبيبات المعروفة بكثرة مسامها الداخلية والتي تكون فيها نسبة الماء اعلى منها في الاراضي الخشنة . فمثلاً متوسط النسبة المذكورة في الاراضي الرملية الخفيفة على الاعمال الزراعية يتراوح بين ٨ و ١٠ في المائة وزناً ويرتفع في الاراضي الطينية «الثقيلة» الى ١٦ و ٢٠ في المائة

وكذلك الحرارة المناسبة شرط لازم لحياة المكروبات الارضية ودرجة الحرارة التي يجب ان تكون في الاراضي الزراعية الجيدة هي ٢٥ بمقياس سنتغراد في الغالب اذ مكروبات النترجة تبدأ عملها ببطء على الدرجة ١٠ سنتغراد بينما مكروب تثبيت النتروجين الجوي في جذور النباتات القرنية[١] وغيرها من المكروبات الارضية[٢] تستطيع النمو حتى لو انخفضت[٣] درجة الحرارة الى ٥ سنتغراد . وعلى الجملة فمن المعلوم ان درجة الحرارة ترتفع ببطء في الاراضي الدقيقة الحبيبات المعروفة بالناعمة لانها تحفظ كميات عظيمة من الماء بعكس الاراضي الخشنة فان درجة حرارتها ترتفع بسرعة . ولهذا السبب تكون مزروعات الاراضي الرملية اسرع نضجاً من مزروعات الاراضي الطينية . والمعروف ان لون التربة بما لهُ من قوة عكس الاشعة الشمسية الواقعة عليهِ او امتصاصها ذو تأثير في حرارة التربة وكذلك تمهد الارض بالحرث والخدمة يساعد كثيراً على رفع حرارتها

ومن الشروط اللازمة لحياة المكروبات الارضية ان لا تزيد الحموضة كثيراً اذ ليس افتك بالمكروبات من تأثير الحموضة فيها . والحموضة الارضية ان لم تتعادل باضافة بعض القلويات المصلحة اليها فقد تتزايد شيئاً فشيئاً حتى تكون خطراً على المكروبات . تنشأ الحموضة في الاراضي عادةً من وجود الحوامض والاملاح الحمضية التي تتكون على الخصوص من اصل آلي . ففي الاراضي التي لا تعمل فيها يد الانسان والمروج الطبيعية المتروكة تتكافأ القلويات الناتجة عن انحلال المركبات السليكاتية وغيرها مع الحوامض الناشئة من المواد الآلية فيبطل بعضها فعل بعض وتبقى صلاحيتها للمكروبات . اما الاراضي التي تعمل فيها يد الانسان بالزراعة فتكثر الحموضة وتزداد بنفاد بعض ما فيها من القواعد القلوية كالجير وغيره التي تنفد بنقل محصولاتها و بسبب استخدام الاسمدة الصناعية الحمضية كفوق الفصفات وكبريتات النشادر وغيرها . ان اكثر انواع المكروبات الارضية المهمة لا ينمو مطلقاً او ينمو ببطء زائد تحت

---

(١) سومودوناس راديسيكولا Pseudomonas Radicicola (٢) مثل باسيلوس سبتيليس B. Subtilis ومثل مكروبات اليوريا Urea Bacteria (٣) من الثابت ان المكروبات الارضية لا تموت بانخفاض الحرارة الى درجة التجمد

تأثير البيئة الحمضية ولذلك تراعى ضرورة تسميد الاراضي الزراعية الحمضية بالجير او بمركباته المخففة للحموضة

وكذلك من الشروط الاساسية لحياة المكروبات الارضية توفر المقادير المناسبة من الغذاء الصالح بين اجزاء التربة · فارتفاع نسبة المواد النشوية او السكرية او السليلوزية او البروتينية مثلاً لهُ تأثير واضح في ازدياد او نقصان عدد المكروبات وانواعها عموماً وعلاقة بعضها ببعض وعملها · فمثلاً وجود كمية قليلة من الجلوكوز يساعد مكروبات النترجة وازدياد هذه الكمية يضعفها · وتنوع المواد الغذائية غير الآلية نافع في حياة المكروبات الارضية اذ بعضها يؤثر ان يعيش على مادة منها دون اخرى كمكروبات النترجة التي تفضل ان يكون ضمن غذائها كربونات المغنسيوم · ومكروبات ثآليل جذور النباتات القرنية التي تفضل كربونات وكبريتات الكلسيوم على غيرها · ومكروبات تثبيت النتروجين الجوي في الارض فانها تفضل فصفات الكلسيوم وكربوناته على غيرها وهلمَّ جرًّا

ولا تعيش المكروبات الارضية مستقلة عن الاحياء الاخرى السفلى بل تشترك معها في البيئة وتتنازع البقاء مع كثير منها · فما ينازعها البقاء العفن ويعرف في الانكليزية باسم «المولد» (١) يعيش في الاراضي الحمضية والاراضي المحلوية على كمية وافرة من المواد الدهنية او الكربوهيدراتية · وكذلك تنازعها البقاء حيوانات سافلة منها انواع البروتوزوى التي تعيش في الارض وتفتك بالمكروبات فتكاً ذريعاً · وقد اشار العالمان رسل(٢) وهتشنسن(٣) بضرورة تعقيم الارض منها تعقيماً جزئياً بالحرارة او باستخدام بعض المركبات الكيماوية المطهرة التي تتطاير كالتولوين(٤) والكلوروفورم والزيلول(٥) وثاني كبريتت الكربون(٦) وغيرها فعندهما ان ذلك يؤدي الى تقليل هذه الآفة او قتلها · ولا يظن ان جميع الاحياء السافلة الارضية تنازع المكروبات الارضية بقاءها فتلحق الضرر بها على الدوام اذ هناك بعض انواع من نباتات الالجي السافلة تتبادل النفع(٧) مع المكروبات ويعتبر وجود كل منها مفيداً للآخر · فمثلاً مكروبات تثبيت النتروجين الجوي في الارض التي تعرف بالازوتوباكتر(٨) تستفيد من وجودها مع انواع من الالجي وتنتفع بما صنعت من النشا والسكر المحضرين

(١) Mould نبات فطري دقيق جداً ينمو على الاجسام الآلية في الارض ويوجد كثيراً على الزبل الذي يحضر سماداً ولذلك يسمى به (٢) E. J. Russell و(٣) H. B. Hutchinson عالمان انكليزيان اشتركا في بحث عن التعقيم الجزئي للارض وتاثيره على تكوين الاغذية للنبات (٤) Toluene (٥) Xylol (٦) Carbon bisulphide (٧) Symbiosis (٨) Azotobacter

تحت تأثير الكلوروفيل فيها بمساعدة ضوء الشمس فتستنفدها للحصول على قوتها الحيوية وفي مقابل ذلك تستفيد الالجي كما تستفيد النباتات عموماً من نتروجين الهواء المحضر لها بواسطة هذه المكروبات · وعلى هذا النظام الحيوي تحسن صفات الاراضي الطبيعية ويتوفر فيها غذاء النباتات بتبادل النفع الواقع بين هذه المكروبات والالجي

تعدد انواع المكروبات الارضية — تختلف انواع المكروبات الارضية وانتعدد كثيراً · فقد تمكن العلماء من فصل عدد عظيم منها واثبتوا ان كثيراً من انواعها يتطرق الى الارض بوسائل كثيرة · فبعضها يضاف اليها مع بقايا النباتات وفضلات الحيوانات التي تستخدم سماداً والبعض الآخر ينقل اليها بماء المطر ومياه الصرف والمراحيض الى غير ذلك · وكثير منها يصل الى الارض تحت ظروف خاصة فيعتبر وجوده عرضيًّا كما هي الحال في كثير من جراثيم المكروبات المرضية التي تنتقل مع براز الانسان والحيوان الى الارض · وهناك انواع كثيرة ملازمة لسكنى الارض دائماً كمكروبات التعفن واليوريا والنترجة وعكس النترجة وتثبيت النتروجين وغيرها · وقد اشتغل العالم لوهنس[١] بفصل المكروبات الدائمة السكنى في الارض لمعرفة انواعها وعددها فوجد ان الجرام الواحد من الارض يشتمل على ما يأتي

	في شهر يناير	في شهر يوليه
مكروبات التعفن	٣٧٥٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠
« اليوريا	٠٠٥٠٠٠٠	٠٠٥٠٠٠٠
« النترجة	٠٠٠٧٥٠٠	٠٠٠٢٥٠٠
« عكس النترجة	٠٠٥٠٠٠٠	٠٠٥٠٠٠٠
« تثبيت النتروجين	٠٠٠١١٢٥	٠٠٠٠٧٥٠

من هذا يتبين ان مكروبات النترجة ومكروبات تثبيت النتروجين يتناقص عددها في مدة فصل الصيف و يتزايد في مدة الشتاء والظاهر ان سبب ذلك عدم احتمالها الجفاف في مدة الصيف كما يحتملهُ غيرها من المكروبات · وكذلك اثبتت ابحاث العلماء الذين وقفوا على تربية المكروبات الارضية في بيئات صناعية كاطباق الجلاتين[٢] والاجار[٣] والسليكا وغيرها ان معظم اجناسها يكون عصوي الشكل وتبلغ نسبتهُ الى مجموعها من ٧٠ الى ٨٠ في المائة

(١) F. Lohnis عالم الماني له مؤلفات كثيرة في البكتيريولوجيا الزراعية اهمها مؤلف على النترجة وعكسها (٢) Gelatin plates (٣) Agar

تقريباً . والمكروبات الكروية تكون نسبتها اقل من ٢٠ او ٢٥ في المائة احياناً اما المكروبات الحلزونية والسارسينية فهي قليلة العدد . واشهر انواع المكروبات العصوية التي توجد في معظم اراضي الحقول والبساتين ما يعرف بالاسماء الآتية باسيلوس سبتيليس وباسيلوس ميكويديس [1] وباسيلوس مزنتيريكوس [2] وباسيلوس ڤلجاتوس [3] وباسيلوس بيوتريفيكوس [4] وغيرها

ولا يعلق العلماء اهمية كبرى على اشكال هذه المكروبات الارضية وانما يهتمون بوظائفها الحيوية اكثر من كل شيء آخر . فهم يراقبون بالتدقيق ما يحدث من التغيرات الكيماوية في المواد النتروجينية وغير النتروجينية اثناء تعفن المواد الآلية وانحلالها في الارض بواسطة طوائف مخصوصة من المكروبات . اذ بعض الطوائف من صفاتها تحليل المواد البروتينية لينشأ عنها املاح النشادر والبعض يحول هذه الاملاح الى املاح النتريت فالنترات . وقد تستحيل هذه الاملاح ثانية الى مواد بروتينية في اجسام افراد الطائفة التي كونتها او في اجسام افراد طائفة اخرى او تحل الاملاح نهائياً بواسطة طائفة مخصوصة فيتصاعد عنها نتروجين مطلق . وهناك طائفة من المكروبات الارضية في استطاعتها ان تدخل عنصر النتروجين الجوي في تركيب بعض المواد الآلية غير النتروجينية فتسبب تثبيته . وطوائف اخرى ذات علاقة كبرى بانحلال السليلوز لينشأ عنه غاز الميثان والهيدروجين او بتحويل الغازات المذكورة الى مركبات اخرى وطوائف تؤثر في استحالة الكبريت ومركباته من صورة الى اخرى وكذلك طوائف تؤثر في الحديد ومركباته على هذا النسق . من هذا نتبين الاهمية العظمى التي يعلقها العلماء على ما في المكروبات الارضية من الوظائف الحيوية . وبناء على ذلك فمن المستحسن ان تكون دراستها بمراعاة تلك الوظائف لا بمراعاة اشكالها فقط وان تضاف كل طائفة الى عملها وكل مكروب يشترك في هذا العمل الى طائفته بصرف النظر عن شكله

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) B. Mycoides (٢) B. Mesentericus (٣) B. Vulgatus
(٤) B. Putrificus

مجزرة الدول الاوربية

بهذا العنوان كتب المستر وليم رو احد مشاهير الكتاب الاميركيين مقالة في مجلة العلم العام الاميركية فاخترنا ترجمة ما يأتي منها قال :

لما جرت المعركة الكبرى بين سيفاكس وحسدروبعل القرطاجنيين ومسينيسا حليف رومية شهد سيبيو افريكانوس الصغير تلك المعركة وكلّ حركة فيها من رابية تشرف عليها ثم سطَّر ما شاهدهُ وتركهُ ميراثًا لمن بعدهُ . لان مَن يتتبّع حركات القتال عن بعد يرى ما لا يراهُ المشترك فيهِ . وظاهر ان مشاهدة سيبيو لحركات القتال في المعركة المشار اليها ما كانت لتفيدهُ كثيرًا لو كان حارثًا للارض او مجرَّدًا عن كل صفة عسكرية . ولكن تربيتهُ العسكرية مكنتهُ من فهم الحركات الفنية وعلاقتها بخطط الفريقين المتحاربين ومن ادراك المراد بالحركات المنفردة وتأثيرها في النتيجة الاخيرة

على انهُ لا يسع الواحد منّا الآن ان يجلس على رابية ويشاهد منها ميدانًا من ميادين القتال كما فعل سيبيو وان تكن مبادئ الفنون الحربية وقواعدها لا تزال الآن على نحو ما كانت تمامًا في اوائل حرب قرطاجنة الاولى . فان عدد المقاتلة صار كثيرًا جدًّا وميادين القتال عظيمة الاتساع ومدى المقذوفات بعيدًا وحجاب المعارك كثيفًا صفيقًا . ولا يجد الناقد الحربي والمخبر والشارح مناصًا في سرد وقائع القتال من الاعتماد على التقارير الرسمية وغير الرسمية . واقل ما يقال في هذه التقارير انها قد تكون مشوبة بالخطإِ ومبتورة الحوادث

وقد اتسع مجال النظر الآن امام مُشاهد الاعمال الحربية وتغيرت صفة عملهِ كلّ التغير عما كانت قبلاً . اذ الواجب على ناقد خطط الحرب وفنون القتال الآن ان يكون ملمًّا بما لم يُحلَم بهِ في عصر رومية وقرطاجنة وبما حُلم بهِ في عصر نابليون ولم يتجاوز منطقة الاحلام وبما امسى الآن ضربة لازب لاول مرة في تاريخ المجازر الانسانية . فاذا شاء رجل مثل سيبيو ان يشاهد من رابية في اميركا هذه الحرب المضطرمة نارها في اوربا وجب عليهِ ان يكون خبيرًا بكثير من الفنون وصنوفها ليكون عملهُ صادقًا . فيجب اولاً ان يكون ذا معرفة نظرية تامة بالفنون الحربية . وثانيًا ان يكون عارفًا بطبيعة الارض في ميادين القتال وفي كل الاماكن التي يحتمل ان يقع القتال فيها . وثالثًا ان يكون عارفًا تمام المعرفة باحوال النقل والتموين ووسائل الهجوم والدفاع واصناف السلاح ومدى كلّ منها وقوتهِ وما عند المتحاربين من المهمات وما يمكن ان يكون عندهم منها في المستقبل القريب والبعيد . ورابعًا

ان يكون عارفاً في عصر الاختراعات هذا بالقوات البحرية والهوائية وبجميع ما يتعلق بالالغام والتوربيد والغواصات والاستطلاع في الهواء وما اشبه

وفوق هذا كله يجب على الناقد المشاهد ان يكون ضليعاً من التاريخ العام تاريخ الحرب وتاريخ الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فضلاً عن ادراك مغزى الحوادث الماضية التي تؤثر في حوادث زمانه . وكذلك يجب ان يكون واسع الخبرة بطباع الناس ونظرهم في الامور ليكون نظره صادقاً وحكمه فيها صحيحاً

***

اذا القينا نظرة على ساحة الحرب الاوربية طلباً لمعرفة النتيجة الاخيرة التي لا مفرّ منها وجب ان لا نبني حكمنا على حادثة واحدة او حوادث معينة ولا على القياس المنطقي مهما كان اساسهُ صحيحاً بل على معلومات تعدّ اوليات ولا تقلّ في قوتها وقيمتها عن الاوليات الهندسية

ان الذي يخترع آلة ما يبقى قلقاً مضطرباً لا يثق بصحتها حتى يجربها ويرى انها وفت بما قدَّرهُ لها . ومثل ذلك يقال في آلة « الدم والحديد » التي يتألف منها الجيش العامل في زمن السلم والتي تنطبق في وصفها على النظام الحربي الالماني . وقد سنحت الفرصة لتجربة قوة هذه الآلة الآن . فقد كانت المانيا مستعدة للتعبئة فعبأت جيشها بنظام تام وسرعة شديدة . وكانت مستعدة للهجوم فهجمت ولم تحسب حساباً للفشل قلّ او كثر . ولكن عوامل الهجوم الذي اريد به سحق فرنسا فشلت بسبب مقاومة البلجيك غير المنتظرة وبسبب الخطة البديعة التي عزيت الى الجنرال جوفر . ولا تزال عند المانيا ذخيرة من القوة لا يشوبها نقص وقد تهجم بها هجوماً عامًّا ولكن ذلك غير مرجّح

وما قيل عن هذه الآلة العسكرية الهائلة لا يقتصر على المانيا وحدها بل يتناول غيرها . فقد كان لفرنسا قبل الحرب جيش تامّ الاهبة بديع النظام شديد الكفاءة كما دلت وقائع الحرب الحاضرة . وقد كان يمكنها استخدامهُ للهجوم بمثل السرعة التي استخدمتهُ بها للدفاع لولا الشك الدائم الذي كان يجول في صدرها من جهة كفاءته عملاً . وكلما فكّرت في ولايتيها المسلوبتين وفي تفوُّق قوة جارها الذي سلبها اياهما على قوتها انّت انين المشوق وانغضت رأسها قائلة ويل اهون من ويلين وتعزّت بعض التعزي بمثل قول القائل « اذا وقع القضاء فلا مردّ »

ولنبحث الآن في وجه آخر من اوجه الحرب الحالية بحثاً حرًّا مجرداً عن الهوى فنقول : ان الفئات المتنافسة في كل مرفق من المرافق لا تحجم عن استخدام كل وسيلة وانتهاز

كل فرصة او ابتداع الفرص للضرب بعضها على ايدي بعض بل لابادة بعضها بعضاً. وهذا اظهر ما يكون في الاعمال والاشغال التجارية العادية. ولكنَّ منافسك يشعر في هذا العصر الذي اصبح فيهِ الرأي العام قوة بانهُ مضطرٌ الى الخضوع لتلك القوة مهما اتسعت ذمتهُ وضعف وخز ضميرهِ. فلذلك تراهُ يسعى الى تمحّل عذر للضرب على يدك او لسلب اموالك ويحاول ان يكون ذلك العذر حقيقيًّا اذا امكن او مقبولاً اذا لم يمكن

لما شهرت المانيا الحرب على روسيا رحّبت روسيا بفرصة قد تمكنها من فتح البوسفور والاستيلاء على مرفإٍ لا يقف الجمد عائقاً امام الملاحة فيهِ. رحّبت بتلك الفرصة ولولم تبدِ رشاقةً تناسبها. هذا من جهة روسيا. اما فرنسا فقد قبلت ايضاً تحدي المانيا لنزالها على امل استرجاع ولايتيها المفقودتين. وهذا التحدي الذي رحّبت بهِ روسيا وقبلتهُ فرنسا قابلتهُ انكلترا بالمثل بعد ان قاومتهُ جهدها. فقد مرّت السنون ولا همّ لالمانيا الاَّ الاعتداء على سيادة انكلترا التجارية حتى فاقتها بما تخرجهُ من المصنوعات الى اسواق العالم وتبيعهُ فيها واخذت تحلُّ محلها في تلك الاسواق شيئاً فشيئاً. فبات شل التجارة الالمانية او قتلها امراً مرغوباً فيهِ. وهذه الرغبة لا اشارة اليها صراحة ولا ضمناً في كتابة رسمية مهما كانت عليهِ من الشدة

جاء في بعض خرافات عيسوب ان صياداً عنَّف كلبهُ على سبق الارنب لهُ فقال الكلب «ان جريك لطعامك شيء وجريك لحياتك شيء آخر وشتان بين الاثنين». وليس ببعيد ان يكون لمغزى هذه الخرافة يد في جرّ الحرب ولكن لا ريب في ان هذا المغزى سيكون في المنزلة الاولى بين المسائل المتعلقة بالصلح وشروطهِ. اما تعيين مَن المسأول عن هذه الحرب تعييناً علميًّا اي مبنيًّا على العلم الصحيح فامر صعب لتعدد العوامل واختلاطها بعضها ببعض. فالحلفاء يقولون انهم اضطروا الى الحرب اضطراراً والمانيا تقول انها اضطرت ايضاً الى الهجوم من جهة والدفاع من اخرى وانها تحارب دفاعاً عن كيانها. وظاهر الامر ان بزور الحرب زرعت يوم اعتدى الكونت برختولد على ما للسرب من حق الاستقلال. ومهما يكن من ذنب السرب او مقدار اشتراكها في قتل ولي عهد النمسا فليس من ينكر حقها الادبي في مقاومة كل اعتداء على استقلالها. وقد تساهلت مع النمسا تساهلاً كثيراً

وهناك عدة مسائل اعظمها هذه المسألة: أكانت النمسا تقدم على الحرب لو لم تعدها المانيا وعداً صريحاً بتأييدها؟ ومهما يكن الجواب على هذه المسألة وغيرها من مسائل هذه الحرب فان المسأولية هي في الحياد عن جادة الحق الذي يجب ان يزيّن صدور الامم. ومعنى

ذلك ان اخضاع البوسنه والشعوب السلافية حيثما كانت للسيادة النمسوية خطأ بل هو حمق وجنون . فلو ان النمسا عند تسوية حدود البلقان تسوية ودية ابت التوسع في املاكها وسمحت للسرب بثغر على الادرياتيك او قدمت اليها ذلك الثغر لعدّ ذلك منتهى الحكمة وغاية حسن السياسة . ولكن كرماً مثل هذا لا يرجى من اهل المطامع الخليقة بالاعصر المظلمة والتي ليست من الحضارة والديانة في شيء . فان حقيقة ما جرى كانت نتيجة لمسابقة قديمة موسومة بالقرصنة واللصوصية . وهي « ان يأخذ من لهُ القدرة على الاخذ ويستبقي من يطيق الاستبقاء » . لو ان النمسا سلكت ذلك السلوك لدفعت غائلة الحرب

***

ولنعد الى مسألة التكهن بالمستقبل تكهناً صحيحاً فنقول ان خسارة روسيا وفرنسا في هذه الحرب هي في الاكثر خسارة عقار ومال ورجال . فاذا قدّر الانتصار التام لالمانيا وقامت تنفذ حق الغلبة باقصى ما يتصور من الشدّة وعدم الرحمة فليس ثمة خسارة تنال روسيا وفرنسا لا تستطيعان تعويضها بمرور الزمن ومراعاة قواعد الاقتصاد . ولا ريب ان المانيا تفرض على فرنسا غرامة فادحة ولكنها لا تضيف املاكاً جديدة من ارض فرنسا الى املاكها لان ذلك يزيدها ارتباكاً . وعندها كثير من السلاف الساخطين عليها والمعادين لها فلا تطلب مزيداً من هذا القبيل . اما من جهة روسيا فانها تودّ التساهل معها وان تخرج كلٌ منها لا لها ولا عليها لان كلتا الدولتين تجريان للطعام لا للحياة

واما المانيا وانكلترا فان العلاقات الحاضرة والمستقبلة بينهما مختلفة كلَّ الاختلاف ولسوف تبقى كذلك الى ان تهتديا الى حل اخير لما بينهما من اسباب النزاع . فان هاتين الدولتين تدافعان عن بقائهما . والحرب بينهما تزداد شدة كل يوم ولا تنتهي الا بخراب احداها او اذلالها . وليست بنا حاجة الى موهبة النبوّة لنعرف اية الدولتين تقضي عليها بالخراب او الذل

والباحث في هذا الامر يرى في طريقهِ عوامل عديدة مختلطة متضاربة وكلٌ منها يظهر بمظهر العامل الاهم . وتكاد الصحف تغصّ بامثال هذه العوامل فبعضها مقبول معقول والبعض الآخر وهو الاكثر لا يؤبه لهُ لتفاهتهِ ولانهُ مبنيٌ في الغالب على الخطإ او العلم الناقص او على تفاؤل لا يخلو من الغرض . فلا نذكر في هذا المقام الا بعض العوامل التي لها علاقة صحيحة بهذا الموضوع . واولها عامل الاسطول الالماني . ومعلوم ان هذا الاسطول معتصم بترعة كيال ولا يبعد ان يتحوّل في اي وقت من الاوقات آلة ذات خطر

واشدّ خطراً بكثير من بالونات تسبلن فان هذه البالونات كثيرة المقاتل اذا عرف مهاجمها كيف يهاجمها والانكليز يعلمون ذلك

ومن العوامل في مصلحة الحلفاء ساحل ولاية شلزويج الالمانية التي كانت فيما مضى من املاك الدنمارك . فان ماء البحر خلف جزيرة « سلت » رقارق ولكنهُ لا يصعب انزال جيش هناك عند الاقتضاء . وربما قضت الحالة في المستقبل بانزال قوة انكليزية على الراجح قصد الزحف على ترعة كيال واستحكاماتها في الشمال وهدمها وتحدي الاسطول الالماني فيها الاَّ اذا بالغ في الحذر فتسلَّل الى البحر البلطيك او بالغ في الجرأة فاندفع الى البحر الشمالي . وهذا الامر اي غزو المانيا برًّا نذكرهُ لا لانهُ قريب الوقوع بل لانهُ محتمل . ووجه نفعهِ هو في تسهيل الاعمال الحربية على الحلفاء بايجاد جهة ثالثة للهجوم

ولا ريب ان الوقت عنصر مجهول غير ثابت في جميع هذه الاعمال ولكنهُ حليف الحلفاء وهو اكثر حلفائهم اخلاصاً وثقة . فان لالمانيا مئة مليون نفس يخلصون الودّ لها اسماً او فعلاً . ولكن لروسيا وانكلترا وفرنسا ست مئة مليون اكثر ولاء لهنّ من اتباع المانيا لها او مثلهم . ولا ريب ان المانيا مسبوقة في هذا الميدان فان اهلها ومستوى العلم بينهم ارقى وحرية الفكر فيهم اوسع لا بدّ ان يقفوا وقفة السائل او المعترض

في حرب اميركا الاهلية جيء بقروي جبليّ اسيراً الى احد المعسكرات . فالتفت الى حارسهِ سائلاً « قل لي بحقك لايّ شيء نحن في حرب معكم ؟ » فان كان الجهل يدفع صاحبهُ الى هذا السؤال فأحرِ بالعلم ان يحمل اهلهُ على مثلهِ متى حان الزمن

كلّ يوم يمرّ يزيد كفة الحلفاء رجحاناً على كفة دولتي التحالف الالماني اذ الاولون على ازدياد في العدد وهما على نقصان . وان نجاح الالمان في بعض الميادين لدليل على سقوطهم اخيراً . خذ لك مثلاً سقوط انفرس فان تحطم حصونها المدرعة بالفولاذ والمعززة بكل اختراع جاد بهِ العلم لهو يوم انتصار لامع للسلام ومحبيهِ واعظم عائدة بما لا يقاس من كلّ ما صنعت مؤتمرات لاهاي ومن كل ما عقد من المعاهدات والمواثيق . ومغزى ذلك ان يوم الحصون والقلاع المدرعة امسى في خبر كان بعد المدافع الضخمة التي بنتها مصانع كروب للجيش الالماني . وان قلعة فردان لا تزال قاوية على الالمان لا لأن فيها حصوناً عزيزة من الطراز الاول بل لان الفرنسويين تمكنوا بما عندهم من الخنادق والاستحكامات هناك ان يوقفوا الالمان على بُعد يبطل فعل مدافعهم الضخمة

وستمرّ شهور كثيرة قبلما يشعر الالمان بافتقارهم الى الزاد والمؤونة . ولكن لا بدّ من

مجيءُ وقت يكون لقلة الطعام يد في الكارثة الاخيرة · ففي زمن السلم تخرج ارض المانيا من الطعام ما يكفي اهلها تقريباً لا تماماً · اما والحرب قائمة على جميع حدودها تقلل غلات الارض وتزيد الانفاق منها وتحول دون دخول قدر كبير من الطعام فلا بدّ ان ينتهي الامر الى ندرة المواد الغذائية فاشتداد الفاقة فبلوغ درجة من درجات المجاعة · وليس احد يعلم بالتحقيق او بالتقريب كيفية انقضاء الحرب وزمانهُ · فاذا انقضت بعد سنة او سنتين او سنوات بعد اهوال تفوق الوصف والتصور وباتت المانيا بلا حول ولا قوة فماذا يحدث حينئذٍ ؟

ليست الكارثة الاوربية الحاضرة فريدة في بابها فقد بليت اوربا من قبل بكارثة مثلها تركتها قفراً بلقعاً · فان تاريخ الثورة الفرنسوية التي اثيرت لدفع مظالم البوربون معلوم عندنا · ونعلم ايضاً قيام بونبارت وحسن صنيعهِ في سبيل الحرية الفرنسوية ووضعهُ مجد فرنسا في غير موضعهِ وفعالهُ الحربية التي قوبلت باعمال حربية مثلها واوسع منها نطاقاً · وبعد معركة ووترلو اشترط الحلفاء على فرنسا شروطاً اعادت نظاماً لم يكن احسن بمثقال ذرة من النظام الذي كان متبعاً في عهد لويس السادس عشر ولكن فرنسا اضطرت الى قبولهِ · ومع وجود نابليون في منفاهُ نما عملهُ وزكا لانهُ كان حيًّا نامياً وكان مروّجاً لمبدإ الحرية الشخصية

فهذه السابقة وكثير غيرها قبلها جديرة بان تمكننا من تقدير الشروط التي يوجبها الغالب على المغلوب في الحرب الحاضرة ولو على سبيل التقريب — من مثل الغرامة الفادحة التي تصل بالمانيا الى حدّ الفاقة واقصاء آل هوهنزلرن عن السرير كرهاً وتقطيع اوصال الامبراطورية الالمانية وقسمتها · ولا يكاد يشك ان الحلفاء يتقاضون غرامات فاحشة حتى يتعذر على المانيا ان تنهض بعدها الاَّ بعد عشرات السنين · وطبيعيّ ان ولايتي الالزاس واللورين تردان الى فرنسا · والمرجح ان روسيا تزاد من ارض السلاف ما تشتهي وتريد · وستجزى البلجيك على ولائها وخسارتها المادية بارض من لكسمبرج وبروسيا ويرجح كثيراً ان ولايتي شلزويج وهولشتين تردان الى الدنمرك بعد ان يؤْخذ الضمان الكافي على جعل ترعة كيال حرة تمرّ فيها سفن جميع الدول

اما ايطاليا فواقفة اليوم على الحياد (كتبت هذه المقالة قبل اشتراك ايطاليا في الحرب) ولكنها قد تبادئ المانيا بالعداء غداً لعلمها ان لا سبيل امامها الى الاشتراك في الغنيمة الاَّ الاشتراك في الحرب · وحينئذٍ تعطى البلاد المعروفة باسم « ايطاليا غير المفدية » (وهي التي تحارب النمسا عليها الآن)

واما النمسا فسينالها من الاذلال الوطني ما لا ينال السلطنة الالمانية وربما كان ذلك خيراً للقبائل المتعددة الخاضعة لها . وليس من المستحيل ان يجتنب تجزئة الامبراطورية النمسوية المجرية بصلح يعقد على حدة ولكن النمسا لا تكاد تطمع في بقاء اجزائها الغربية متصلة بها

واما شبه جزيرة البلقان فتقسم تقسيماً جديداً ويجعل البوسفور والدردنيل مضيقين حرّين وتجعل الاستانة وما حولها حرماً ويكون ذلك بدء عهد جديد اكثر توازناً وثباتاً

***

بينا الجيوش تتطاحن في الميدان الغربي وتحارب حرب موت او حياة وبينا هي تتجاول في الميدان الشرقي بين اقدام واحجام واقبال وادبار نرى طائفة من الناس الذين لا تنكر سلامة طويتهم قد راعتهم خسارة النفوس وغيرها فتمنوا ايقاف فظائع الحرب بعقد صلح عاجل. ولكن ايقاف الحرب عند حدّها الآن امر يستوجب مزيد الاسف لو كان في الامكان . ففي هذا العراك الهائل يجب ان لا يمنعنا داعي الشفقة الوقتية ولا باعث من بواعث المصلحة والملاءمة ان نسعى جهدنا في استئصال وسائل التدمير وانشاء ضمانات كافية تمنع تكرار ما جرى . فقد قلنا ان حصون الحجر ودروع الفولاذ لا تغني امام المدافع الضخمة فالواجب في كل صلح بين المتحاربين ان لا تبقي الدول سبيلاً لبناء حصون اعزّ وامنع من الحصون التي تهدمت . فان كل صلح يقضي على اولادنا بالانفاق لهو صلح كاذب ضار

لنعد السؤال الذي سألناهُ قبلاً وهو : متى باتت المانيا ذليلة لا حول لها ولا قوة فما الذي يحدث بعد ذلك ؟ او ماذا يجب ان يحدث ؟ (وهنا اشار الكاتب الى علاقات انكلترا باميركا في الماضي والحال وقال بوجوب استمرارهما على تبادل ما بينهما من الثقة وحسن الظن. وانكر مذهب القائلين بانشاء هيئة لفضّ ما يقع بين الدول من اسباب الخصومة والشحناء بالقوة والاكراه بحجة ان دوام هيئة مثل هذه يتوقف على المعاهدات التي عدت في هذه الحرب قصاصة ورق . وابدى تخوفهُ من استئثار انكلترا بشؤون نصف الكرة الشرقي كما استأثرت اميركا بشؤون نصف الكرة الغربي بناء على مذهب مونرو المشهور . وهذا غير مستحبّ مهما تكن عليهِ الدولة المستأثرة بالامر من حسن النية وارادة الخير . وكذلك انكر تمادي الدول الاستعمارية الحاضرة في خطتها المشهورة من ابتلاع الامم الشرقية الضعيفة بحق الغلبة والفتح او بغيرهِ من الدعاوي . وحجتهُ في ذلك انهُ لا يمكن انشاء نظام جديد صادق يتناول علاقات الامم والاجناس المختلفة ما لم يكن ذلك النظام خالياً بادئ بدء من كل اثر

للانانية والميل الى الاغتصاب . وعاد يبحث في مطالب الحلفاء من المانيا اذا انتصروا عليها فقال :)

يجب ان لا يفرض على الامة الالمانية غرامة لتعويض العطل والضرر الا ما كان مناسباً لما وقع منها . ومهما يكن نظام الحكومة الذي تضعهُ المانيا لنفسها او يوضع لها فالواجب ان لا نثبط عزائم الامة الالمانية في استعادة ما فقدت من اسباب خيرها ورفاهها واثرائها باسرع ما يمكن . فقد جرى العرف في تاريخ الحروب قبل الآن على قاعدة حق الفتح . اي ان الفاتح الغالب يأخذ كل شيء والمغلوب لا يأخذ شيئاً وما يعطاهُ فانما يعطاهُ منة وكرماً . ولكنَّ الواجب يقضي على انكلترا ان تقاوم كل اغتصاب وتدخل نظاماً جديداً مبنيًّا على الانصاف لئلاً تنفتح ابواب المطامع الاشعبية على مداها وان تنقض قاعدة القوة والاغتصاب وتقيم مقامها قاعدة الحق والانصاف لا لأن هذه احسن من الاولى بل لانها افضل منها وامجد

ثم ابان ان معاملة مثل هذه مبنية على التساهل وكرم الاخلاق ليست بلا سابقة في التاريخ واستشهد بمعاملة يوليوس قيصر لرجال القائد بياي بعد انتصارهِ عليهِ في فرساليا . وبما صنع الانكليز والفرنسويون بعد سقوط لاروشيل . وما صنع قواد الجيوش الشمالية والجنوبية في حرب اميركا الاهلية . واستطرد من ذلك الى يد اميركا في الامر فقال . ان اميركا ستُنتَدب للاشتراك في المفاوضات التي ستدور على تسوية المسائل الاوربية من سلاح وحدود وما اشبه وتكون مهمتها في ذلك مهمة المشير او الحكَم . وان الواجب يقضي عليها بصفتها هذه ان تلح في وضع ضمانات تضمن سلاماً دائماً تامًّا الى ان قال :

والامم كالافراد من حيث القانون وتنفيذهُ . فانك تسمعنا نتحدث بالقانون الدولي بجزالة ورشاقة كأن ذلك القانون موجود فعلاً . ان هناك مجموعة وصايا واعمال وسوابق نالت تساهلاً عامًّا وقبولاً ولكن هذا هو العرف لا الشرع . اما القانون فليكون ذا قيمة يجب ان يكون قاعدة للعمل يترتب على مخالفتها عقاب واجب التنفيذ ممكنهُ . فقد انشئ مجلس لاهاي والغرض من انشائهِ جعل اجماع الرأي السلمي في العالم المتمدن شرعيًّا قانونيًّا . ولكن خرق المانيا لحياد البلجيك ابان اخفاق المعاهدات السلمية وعدم نفع ميثاق لا تدعمهُ القوة . اما كون المانيا تؤيد بعملها هذا ضرورة لازمة لها فقد جاء مصدقاً للحكمة القائلة ان الضرورات تبيح المحذورات

الرحلات القديمة حول افريقية

تاريخ اكتشافها الاسلامي

٢

ذكر بلينيوس المؤرخ الروماني سنة ٧٠ للمسيح ان التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك افريقية الشرقية وجزرها وكان لهم عليها شيء من السلطة وكانوا يتجرون مع اهلها بالافاويه والطيوب المختلفة وقد حرموا على السوقة من عامتهم الاتجار بهذه الاصناف مع اليونان والرومان لئلاَّ يغشوها على زعمهم

ولما ظهر الاسلام رحل كثيرون من العرب في القرنين الاولين للهجرة الى سواحل افريقية الشرقية والشمالية فملكوا تونس وطرابلس الغرب واجتاز كثيرون منهم صحارى القيروان وليبية وتوغلوا في داخلية البلاد وبعضهم ذهبوا الى السودان من طريق مصر وقنا وكانت القصير مرفأ لمراكبهم يجتازون منها مضيق باب المندب في البحر الاحمر ويرتادون السواحل الشرقية حتى وصل بعضهم في بدء تاريخ الهجرة الى سواحل جزيرة مدغسكر جنوباً واسسوا في شمالها مملكة عربية لم تزل آثارها وقلاعها وبقايا شعوبها موجودة حتى الآن · ويعرفون هناك بالسقلابة ولغتهم عربية قديمة مشوبة بالحميرية والسواحلية وعندي صورة كتاب ارسلتهُ سميكوه رسول سلطانة السقلابة في شمالي مدغسكر سنة ١٢٥٠ هـ · الى السيد سعيد بن سلطان امام مسقط وعمان تطلب منهُ ان يحمي بلادها من مراكب الفرنسيس فارسل هذا الامام وقتئذٍ اسطولهُ العماني بجيش كبير واحتل جزيرة موكين وعقد معاهدة مع السلطانة المذكورة ووزرائها على ان تكون بلادها تحت حمايتهِ ويدفع اهلها اليهِ الخراج غرشاً عن كل شخص واحد واحصوا الذكور منهم فكانوا ثلاثين الفاً وهذا مآل تلك المعاهدة :

بسم الله الرحمن الرحيم : نقول نحن الفقراء الى الله تعالى نهكيو بن بتيك الوزير وبوبه بن فنهانك بان مولاتنا صاحبة الاجلال والاقبال السلطانة سميكوه بنت السلطان رسول فوضتنا ان نعطي سيدنا سعيد بن سلطان امام مسقط جزيرة بوكين وان كل الناس الخاضعين لسلطانها من الوزراء والامراء وكبار السقلابة يكونون تحت حماية مولانا المذكور · وقد رضينا ان نسلم لهُ عن كل راس من السقلابة قرشاً واحداً وقدرناهم بثلاثين الف رجل · · · · · وتعهدنا باصلاح بنيان القلعة وتسليمها لهُ · · · · انخ · ·

وقال بعض موءرخي العرب انهُ في القرن الرابع للهجرة كانت كل سواحل افريقية الشرقية وبلاد الزنج التي تليها معروفة عند العرب فاستوطنوها واتجروا مع اهلها بالعاج والذهب والطيوب العطرية وجلبوا منها الرقيق وهم الذين سموا بلادها وانهرها وجبالها باسمائها المعروفة الآن . وكانت بلاد مليندة وممبسة ومقدوشو وبنة وسفالة وكلوا وبيا وزنجبار ممالك مستقلة زاهية عامرة وسلاطينها ذوي جاه وسطوة وصولة

وقال حميد بن محمد بن زريق العماني في تاريخهِ «الصحيفة القحطانية» (وهو كتاب كبير خطي مفرد بمكتبة زنجبار السلطانية تكرم علي باعارتهِ المرحوم السيد حمود بن محمد السلطان الاسبق)

«لما تولى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان الاموي حارب اهل عمان وفيها يومئذٍ الاميران سعيد وسليمان الازديان الجلنديان وبعد حروب طويلة جمعا ذراريهما وسوادها وخرج معهما خلق كثير من بني الازد ولحقوا ببلاد الزنج واستوطنوا افريقية وجزيرة بنة»

ومن ذاك الوقت تاسست ممالك العرب الاسلامية في تلك البلاد. وقال المسعودي في جغرافيتهِ «ان على مسيرة يومين بحراً من زنجبار جزيرة قنبلو التي اسلم اهلها على يد العرب»

وذكر بعضهم ان العرب كانوا يسافرون الى الهند وسواحل افريقية من الاسكندرية فكانوا يركبون في النيل الى الفسطاط ومنها على الماء نحو اثني عشر يوماً الى قفط ومنها يركبون الابل مدة خمسة عشر يوماً الى شط برنيقة (وهي القصير على البحر الاحمر) ثم يركبون البحر بالسفن في زمن الصيف قبل شروق الشعرى وبعد مسيرة ثلاثين يوماً يصلون الى قانة ببلاد اليمن بعد اجتيازهم باب المندب ومنها يذهبون اما الى بلاد الزنج وممبسة جنوباً او الى كلكوت الهند فيصلونها بعد اربعين يوماً»

ويظهر من قول ابن الاثير في تاريخهِ الكامل. ان الزنوج اسلموا في بدء ظهور الاسلام وذكر ان كثيراً من الزنوج اموا اليمن والبصرة في ولاية الحجاج الثقفي (سنة ٧٥ هـ) وولوا عليهم رجلاً منهم دعوهُ اسد الزنج فافسدوا ونهبوا الثمار فامر الحجاج زياداً رئيس شرطتهِ ان يقاتلهم فسيَّر عليهم جيشاً مع ابنهِ حفص فقاتلهم ولكنهم تغلبوا عليهِ وقتلوهُ وهزموا اصحابهُ فارسل عليهم جيشاً آخر فهزمهم

ثم امتدت شوكة العرب في كل داخلية افريقية شمالاً وغرباً وشرقاً حتى بلاد الكونغو والزولو وكفرورياء (الكفرة) ولم تزل آثارهم هناك الى الآن . وقد عثر بعض الاثريين

الانكليز سنة ١٩٠٣ في شمال رودسيا شمالي الترنسفال وبالقرب من بلاد الكفرة على قبر عربي قديم وعليهِ كتابة بالحرف الحميري تنبئ ان اسم الميت سلاّم وانهُ توفي سنة ٩٥ هجرية (٧١٤ م) وينتظر العلماء اكتشاف آثار اخرى عربية مهمة في تلك الاصقاع النائية . واكتشف الالمان منذ بضع سنوات بالقرب من دانغا تحت انقاض مدينة فوماكو القديمة داخل افريقية الشرقية كتابات عربية قديمة فنقلوها الى متحفهم في برلين . وفي خرائب وقلاع ممبسة ومليندة وبثة آثار كثيرة وكتابات عربية لم تزل محفوظة الى الآن

واستدل العلماء من ذلك ان العرب من بدء الهجرة عرفوا اكثر بلاد افريقية ووصلوا الى منابع النيل وتوغلوا في بحيراتها وغاباتها ومجاهلها وكانت حتى اواسط القرن الماضي يجهلها الافرنج . ووطئت اقدام الفاتحين من العرب تلك البلاد السحيقة قبل ان تطأها اقدام السياح المتأخرين

وقرأت في كتاب منقول عن تاريخ فتوحات البرتوغال وهم اصدق شاهد لانهم اخذوا في القرون الوسطى اكثر بلاد افريقية من العرب انهُ « بينما كانت سفن البرتوغال سائرة عند شطوط افريقية الجنوبية والشرقية (بين رأس الرجا ونتال) وجدوا العرب شاغلين المرافيء كلها بمراكبهم الكثيرة وقد جمعوا احمالاً وافرة من الذهب اخذوها من بلاد كفرور يا ووضعوها في سفنهم يريدون نقلها الى بلادهم » وحقيقة الامر انهُ كان للعرب تجارة واسعة في العصور الخالية في افريقية كلها

وقد اثبت اصحاب الخطط وبينهم المقريزي ان كل سواحل افريقية الشمالية والشرقية والجنوبية اكتشفها العرب بعد الفتح الاسلامي بزمن وجيز على عهد الخلفاء الامويين والعباسيين اي في ابان مجد مملكة العرب وسعة سلطانها ثم توغلوا في مجاهل البلاد حوالي النيل والنيجر والكونغو وكان عرب عمان وحضرموت والشحر والبحرين اول من عرف طريق الهند من عهد سحيق وفي بدء الفتوحات الاسلامية اجتازت مراكبهم سواحل افريقية كلها وملكوا الصومال وجوبع وممبسة وزنجبار وموزمبيق وجزائر الكومور ولم تزل بقايا العرب في جزائر مدغسكر وفيليبين واسسوا فيها الممالك واقاموا فيها الحصون والقلاع ووسعوا تجارتهم في تلك الجهات فاتجروا بالذهب وريش النعام والعاج والبهارات والطيوب واما النخاسة فكانت منتشرة عندهم انتشاراً عظيماً يأتون بالرقيق من داخلية البلاد وينقلونهُ بمراكبهم الى العراق والشام ومصر والاندلس وكان للنخاسة اسواق عظيمة في مصر ودمشق وبغداد والبصرة وقرطبة واشبيلية

وزار ابن بطوطة الرحالة الشهير كثيراً من هذه الممالك الاسلامية الافريقية وجال في في ممبسَّة ولامو ومغدشو وكلوة وشفالة وغيرها ووصف اهلها وعاداتهم ولقي من سلاطينها الاكرام والحفاوة والهدايا الكثيرة ووصفهم بالتقوى والامانة وقرى الضيفان · وكان ذلك قبل ان يتملكها اليعاربة ملوك آل بنهان بعد القرن الخامس عشر

ولما ضعفت شوكة العرب بفقدان العصبية وضعف شأن الخلافة العباسية ببغداد وبانتقالها الى الفاطميين بمصر والعلويين في مراكش وجزائر الغرب وتفرقت الممالك الاسلامية العربية بين الدول التركية والتترية والشركسية سقط مجد العرب وتفرقت كلمتهم ونبذوا العلوم والمعارف وتركوا اسباب التجارة واشتغلوا عنها بالمنازعات القومية والحروب الاهلية ورضخوا لنير الاستعباد فسادهم الجهل وضاعت البلاد من ايديهم

وقد اشتد ساعد الاسبان والبرتوغال في الاندلس فطردوا العرب منها فرحلوا الى فاس ومكناسة وتفرقوا في الجزائر ومراكش وتونس ولما قويت شوكة الافرنج هناك قام البرتوغاليون وجهزوا السفن والرجال في اواخر القرن الرابع عشر وارسلوها الى سواحل افريقية الغربية والجنوبية والشرقية وطردوا العرب منها ديمتري نقولا

الاوهام الشائعة عن الطقس (١)

ربما كان الحديث عن الطقس من حرّ وبرد وصحو ومطر ورطوبة وجفاف اكثر الاحاديث تداولاً بين الناس عامتهم وخاصتهم · ولا غرابة ان يكون ذلك كذلك لما للطقس من التأثير في الانسان منذ ظهوره على وجه هذه الارض · فان لتقلباته كانت ولا تزال ذات اثر بيّن في اعماله وطريقة معيشته · ومع طول تمرسه بالطقس وتقلباته لم يفز قبل القرن الماضي فوزاً حقيقيًّا بمعرفته معرفة علمية ومعرفة العوامل المتسلطة عليه والنتائج التي تنتج عنها· وكل ما عرف حتى الآن قليل من كثير· فان المتيورولوجيا (علم الطقس او الاحداث الجوية) والكليماتولوجيا (علم الاقليم) تقدما تقدماً بطيئاً فلذلك حامت الخرافات والتخرصات والاحاديث الملفقة حول الطقس حتى يومنا هذا · وكثير من هذه الخرافات يمكن الابانة

(١) الطقس حالة الهواء من صحو ومطر وحرّ وبرد وغيرها من الظواهر الجوية · والكلمة يونانية وتعريبها حديث اذ لم ترد في معجم من المعجمات القديمة كلسان العرب وتاج العروس والمصباح وغيرها · وانما ذكرت في محيط المحيط للبستاني وقيل فيه انها معرب تكسيس باليونانية · وقد وقع اختيارنا عليها لاننا لم نعثر على لفظة عربية ترادفها

عن وجه فساده وان كنّا لا نعلم ماهية الطقس كلَّ العلم . وغرض هذه المقالة ذكر اشهر تلك الخرافات وتفنيدها واحدة واحدة

لعل خرافة تاثير القمر والسيارات والنجوم في طقس الارض اكثر الخرافات شيوعاً من هذا النوع . والناس يعربون عن اعتقادهم بهذا التأثير بطرق شتى تظهر في اعمالهم الزراعية من زرع وحصاد وتربية المواشي وتطبيق تلك الاعمال على اوجه القمر المختلفة . وترى كثيراً من كتب الجغرافيا في بعض المدارس تذكر علم الفلك والمتيورولوجيا معاً في مقدماتها وتبحث فيها بحثاً واحداً موجزاً فكأنها بذلك تزرع بزور هذه الخرافة في اذهان الطلبة عن صغر . ولا يزال لعلم التنجيم القديم وعلاقتهِ بالطقس اتباع بين غير الراسخين ولكنهم قلال لحسن الحظ

على ان علماء الظواهر والاحداث الجوية مجمعون الآن على ان تأثير القمر والسيارات وسائر الكواكب ما عدا الشمس في طقس الارض يكاد يكون معدوماً . ومما ينبغي ذكرهُ في هذا الباب ان الحرارة هي القوة الاساسية التي عليها مدار الطقس وترجح سائر القوى مجتمعة . واذا عرفنا ان الحرارة التي تبلغ الارض من كواكب الفلك ما عدا الشمس ضئيلة جدًّا حتى لا تقاس الأ بادق الموازين ادركنا حينئذٍ ضعف تأثيرها في طقسنا. ولا ينكر ان القمر الذي ينسب اليهِ ما ينسب من التأثير في طقس الارض هو السبب المباشر لمدّ البحر والجوّ . وفي بعض السواحل يحدث مدّ البحر رياحاً تهبّ في ازمنة معلومة . وفيما سوى ذلك ليس للافلاك تأثير يذكر في جوّنا وطقسنا . وقد جاء في بعض اقوال العامة ان القمر يبدّد السحب المتلبدة في السماء . ولكن هذا القول غير صحيح فان انقشاع الغيم عن وجه السماء ليلاً لا يلاحظ عادة الأ اذا كان القمر فوق الافق . ثم انهُ بعد غروب الشمس تنقطع مجاري البخار المتصاعدة التي تتألف بعض الغيوم منها فلا يمضي الأ القليل حتى ينقشع ما تكوّن من هذه الغيوم

ومن الاعتقادات المشهورة وجود علاقة بين الزلازل والطقس . والحقيقة ان لا علاقة ظاهرة بينهما . ويقال اجمالاً ان سبب الزلازل قوات تعمل في باطن الارض او تحت سطحها كأن تكون انقداد طبقة من طبقات الصخور وانخسافها الى طبقة اوطأ منها او حركة البخار او الحمم المصهورة السائلة تحت القشرة الصلبة . اما تقلبات الجوّ فنتيجة قوات متفاعلة في الجوّ نفسهِ لا خارجهُ . وهذا التفاعل ناشئ في الاكثر عن القوة المندفعة الينا من الشمس . وقد اشتبه كثيرون من الباحثين في وجود علاقة بين ضغط الجوّ والمدّ الارضي والاضطرابات

الموضعية التي تعرض لقشرة الارض وحاولوا اكتشاف تلك العلاقة · وقد يمكن وجود علاقة ضعيفة بين هذه الظواهر وفيما خلا ذلك لم يهتدِ احد الى اظهار علاقة بين الزلازل والطقس

كذلك لا علاقة واضحة بين الظواهر المغنطيسية والطقس · فان الزوابع المغنطيسية او الاضطرابات التي تطرأ على حالة الارض المغنطيسية تحدث بلا تأثير ظاهر في الطقس · ولا ينكر البتة علاقة الظواهر المغنطيسية الارضية كالشفق القطبي بالاضطرابات التي تقع في الشمس وخصوصاً الكلف · فان سبب الشفق القطبي الشمالي والشفق القطبي الجنوبي على ما يظن انطلاق الكهربائية في طبقات الجوّ العليا حيث الهواء لطيف · وقد سمع مشاهدو الشفق في بعض الاحيان اصواتاً وشمّوا روائح ظنّ انها ناشئة عنهُ · على ان ظهور الشفق لم يعلّل حتى الآن التعليل الشافي · وفيما سوى الشفق ليس ثمت علاقة معروفة بين المغنطيسية الارضية والظواهر الجوية

وهناك مسألة علاقة الغابات بالطقس والاقليم وتأثيرها فيهما وهي من المسائل التي طال الحجاج واللجاج فيها · ولكن الابحاث الاخيرة فيها جاءت لنا ما يأتي :

مهما يكن للغابات من التأثير في الاحوال المتيورولوجية فان ذلك التأثير موضعي صرف وضعيف الظهور · فقد وجد في احدى الحالات ان متوسط الحرارة السنوية في غابة ما هو اقلّ باعشار الدرجة من متوسط الحرارة في مكان خارجها وبعد نصف ميل او ميلاً عن اطرافها وان اعظم الفرق بين حرارة المكانين درجتان فقط بميزان فارنهيت · اما درجة الرطوبة النسبية فزادت احياناً في الغابة ٧ في المئة عما هو خارجها · ومعلوم ان اهل الولايات المتحدة ما فتئوا من عهد بعيد يقطعون الغابات برمتها في جميع جوانب البلاد ومع ذلك لم يؤثر قطع الغابات تأثيراً ظاهراً في زيادة الامطار او قلتها · وكذلك زرع الغابات في اواسط اوربا وشمالي افريقية في القرن الماضي لم يصحب باثر محسوس في نزول الامطار فيها · فان الغابات نتيجة لا سبب · ولا يزال الناس يخلطون بين نزول المطر وفيضان الانهر عند البحث في تأثير الغابات فيهما · صحيح ان قطع الغابات زاد توالي فيضان الماء وشدة ذلك الفيضان في البلاد الضيقة كالاودية ولكن حيث قطعت الغابات وزرعت الارض في مساحات واسعة فان متوسط حوادث الفيضان لم يتغيّر · ويظهر من قياس عمق المياه في انهر اميركا الكبرى ان اعلى فيضان فيها ليس اعلى مما كان منذ خمسين سنة واوطأ فيضان ليس اوطأ مما كان منذ خمسين سنة · وانهما ليسا الآن اكثر تكرراً ولا اطول مدة مما كانا حينئذٍ · اما

حوادث الفيضان المشهورة كفيضان نهر السين في باريز سنة ١٩١٠ وفيضان وادي اوهايو سنة ١٩١٣ فهي نتيجة عدة اسباب ليس لغزارة الامطار فيها علاقة بوجود الغابات اوعدمهِ. وسرعة الفيضان اكثر توقفاً على تغطية الجليد لوجه الارض منهُ على استئصال الاشجار. اما كون الفيضان اسرع حينما يغطي الجليد وجه التربة فيفسّر توالي الفيضان في فصل الربيع دون سائر الفصول. ثم ان الغابات من شأنها ان تحتفظ بالثلج الذي ينزل في الشتاء وان تصون تراب الارض وتحول دون جرف الامطار الشديدة لهُ. فهي اهمّ للفلاح والمهندس منها لمن جعل درس الطقس ديدنهُ

ومن الاعتقادات الشائعة كون الطقس في تغير دائم بدليل اشارة الناس في كلامهم عنهُ الى الزوابع الهائلة والثلوج الكثيفة التي كانوا يرونها وهم صغار. وسبب هذا الاعتقاد من ابحاث الفلسفة العقلية وعلم الاخلاق اما المتيورولوجي فجهد ما يطلب منهُ ان يبرهن على ان هذا الاعتقاد ليس صحيحاً. ويكفي في البرهان على ذلك ان يراجع الواحد منّا سجلاّت المراصد وما يدوَّن فيها من قياس الحرارة والمطر والثلج. فاذا فعل وجد ان الطقس لم يتغيّر تغيراً محسوساً مدة اطول الاحياء منّا عمراً. اما السبب في كون الواحد منّا يرى شتاء هذه السنة او شتاء السنة الماضية دون شتاء سني الطفولة والصبا قرًّا وزمهريراً فهو توفر اسباب التدفئة في هذه الايام بتحسين الملابس واتقان بناء المنازل وتوزيع الحرارة الصناعية فيها وما شابه ذلك. ثم ان طبقة الثلج التي سمكها ثلاث اقدام تلوح لولد طولهُ اربع اقدام اسمك مما تلوح لهُ وهو رجل طولهُ ست اقدام

وليس هناك علاقة معروفة بين الطقس في فصل ما والفصل الذي يليهِ او طقس سنة ما والسنة التي تليها رغم ما يقال عكس ذلك. فان الارصاد المحفوظة لا تدلّ على انهُ اذا كان ربيع هذه السنة جافًّا كان الصيف الذي يليهِ شديد الحرّ ولا اذا كان خريفها معتدلاً كان الشتاء الذي يليهِ قارساً. كذلك ليس عندنا دليل يدلّ على ان سني القرّ او سني الحرّ تقع اثنتين اثنتين او ثلاثاً ثلاثاً كما يقول البعض. اي ان طقس الفصول او السنين لا يجري على سنن معروف كما هي الحال في الاضطرابات الشمسية المختلفة وخصوصاً كلف الشمس. فان كان للطقس ادوار فهي قصيرة جدًّا تقاس بالاعشار ولذلك لا اهمية لها عمليًّا

كذلك لا علاقة بين طقس يوم من الايام وطقس الاسابيع او الفصول التي تجيء بعدهُ. فقد جاء في بعض تقاليد الاميركيين ان ظهور الشمس او احتجابها في اليوم الثاني من فبراير كلّ سنة هما اللذان يعينان الطقس في بقية فبراير والنصف الاول من مارس. فان كان يوماً

مشمساً كانت الاسابيع الستة التي تليهِ مشمسة مثلهُ والاَّ فلا · ومن تلك التقاليد انهُ اذا كان يوم الاحد الكبير ماطراً عقبتهُ سبعة احاد ماطرة مثلهُ · واذا هطل المطر في ١٥ يوليو وهو عيد احد القديسين تبعتهُ ار بعون يوماً غزيرة المطر · فهذه التقاليد لا اساس لها في سجلات الطقس المحفوظة · نعم ان الطقس الربيعي يبكّر في بعض السنين و يتأخر في غيرها ولكن ذلك لا علاقة لهُ اصلاً بطقس اليوم الثاني من فبراير · واكثر ما يهطل المطر في اقاليم اميركا الوسطى في فصلي الربيع والصيف ولكن توالي المطر فيها لا علاقة لهُ بحال الطقس في احد العيد الكبير ولا في ١٥ يوليو

ومن تلك الخرافات الاعتقاد بان العجماوات تشعر بتغيرات الطقس قبل وقوعها فكأنها تنبئ بها · فالبدستر يجعل جدران المنازل التي يبنيها غليظة اذا شام شتاء بارداً · والسنجاب (القرقذان) والطيور الاوابد التي لا ترحل من بلد الى بلد تجمع المؤونة في الخريف لمثل ذلك السبب · وكثيراً ما تسمع العامة يقولون لك ان لا بدَّ من حدوث زوبعة قريباً لاننا رأينا الدجاج يطلب المقيل في قنهِ باكراً ورأينا الهرة تستكنّ قرب النار · و يدعي المصابون بالروماتزم بانهم يشعرون بالزوابع قبل وقوعها بمدة طويلة وكذلك يقول اصحاب الامزجة العصبية · فهذا الشعور واضح السبب من الوجهة الفسيولوجية · وسببهُ فيما يرجَّح ان الزوابع يسبقها ارتفاع الحرارة وازدياد الرطوبة وتناقص الرياح وازدياد كهربائية الجوّ وتكاثف السحب واكفهرار الجو وخفق البرق ودمدمة الرعد وما اشبه ذلك · وكثير من الناس والعجماوات سريعو الشعور بارتفاع الحرارة وازدياد الرطوبة ولو قليلاً وغيرهما من نُذُر الزوابع الخفية او الضعيفة الظهور · ومما يذكر هنا ان اكثر الامثال الصحيحة المبنية على اعمال الحيوانات خاصة بتغير درجة الرطوبة في الهواء · و يظهر ان بعض الحيوانات شديد الشعور بتغير درجة الرطوبة دون اكثر الناس

ومن الاقوال الرائجة ان المطر يعقب كثرة اطلاق المدافع في المعارك · وكان الناس يعتقدون قبل اختراع البارود ان صليل السيوف والدروع في ميادين القتال يجلب المطر · وقد علل بعضهم ذلك بقولهِ ان كثرة تصادم دقائق الهواء يفضي الى انعقاد دقائق البخار العائمة في الهواء نقط ماء وان غبار المعركة ودخانها يؤلف النوى اللازمة لذلك الانعقاد · على انهُ ليس في كل ما قيل وكتب عن عيد الاستقلال الاميركي ما يدل على ان المطر في ذلك اليوم اغزر مما وقع قبلهُ او بعدهُ مع كثرة اطلاق الاسهم النارية والبارود فيهِ · وفي سنة ١٨٩٢ فندت الحكومة الاميركية هذا الاعتقاد بتجارب جربتها · وذلك انها طيرت طيارات

وبالونات محملة ديناميتاً ثم اطلق الديناميت في اعالي الجوّ بين الغيوم فلم يقع مطر ما مع عظم الانفجار

ومن الاغلاط الشائعة عند المقابلة بين طقس مكانين ان يلتفت الى متوسط الطقس فيهما و يبالغ في التعويل عليهِ ولا يلتفت حق الالتفات الى طرفي الاحوال الجوية فيهما كأعلى الحرارة مثلاً واوطإها. وكثيراً ما يفضي التعويل على المتوسط في وصف طقس مكان ما الى الخطاء في تقدير طقس ذلك المكان . فان متوسط الحرارة السنوية في وشنطون وسان فرنسسكو مثلاً واحد اي نحو ٥٥ درجة بمقياس فارنهيت . ولكن طقس المدينتين مختلف كل الاختلاف الواحد عن الآخر. فان طقس وشنطون معتدل ومعظم درجة الحرارة فيها يبلغ ٩٠ كل يوم صيفاً واوطأها يكون تحت الصفر شتاء. اما طقس سان فرنسسكو فيشبه طقس البلاد الحارة وقد تبلغ الحرارة صيفاً ٩٠ او تزيد عليها ولكن ذلك يحدث مرتين او ثلاثاً في السنة . وقلما تهبط درجة الحرارة فيها شتاء عن ٤٠ . ثم ان طقس المدينتين يختلف كثيراً في مقدار ظهور نور الشمس وتلبد الغيوم ونزول المطر ورطوبة الهواء النسبية وسرعة الريح وجهتها وفي مدة هذه الاحداث . وعليهِ ترى ان متوسط الحرارة السنوية ليس دليلاً صادقاً على الطقس ولا يصح اتخاذهُ وحدهُ اساساً للمقابلة

وكثيراً ما يبالغ الناس في التعويل على درجة الحرارة عند وصفهم لطقس مكان ما ولكن شعور الواحد منا بالارتياح والانبساط لا يتوقف كلهُ على درجة الحرارة في الترمومتر بل يتوقف اكثرهُ على درجة الرطوبة . فان شعورك بحرارة مقدارها ٨٠ بمقياس فارنهيت في مكان كثير الرطوبة يختلف كل الاختلاف عن شعورك بمثل تلك الحرارة في مكان جافّ . وهناك عوامل اخرى غير الرطوبة تؤثر في شعور المرء بالحرارة مثل اشعة الشمس وسرعة الرياح وضغط الهواء وكهربائية الجوّ

وانك لتسمع بعض الناس يحدثونك عن هواء الليل كأنهُ شيء غير هواء النهار ويحذرون المرضى والناقهين من التعرض لهُ بدعوى مضرتهِ . نعم ان بين الهوائين اختلافاً طبيعيّاً لا ينكر ولكن تركيبهما النسبي واحد . فالهواء مزيج من النتروجين والاكسجين والارغون واكسيد الكربون الثاني اذا كان تامّ الجفاف. ونسبة هذه العناصر بعضها الى بعض فيهِ تبقى ثابتة. والاول والثاني منها يؤلفان اكثر من ٩٩ في المئة من الهواء حجماً. اما نسبة الاكسجين في الهواء فلا تختلف اختلافاً يذكر ولو صعد المرء الى اعلى من اعلى الجبال . واما اكسيد الكربون الثاني (غاز الحامض الكربونيك) فمقدار ما يوجد منهُ في الهواء هو ٣ ٠٠

. . وه . في المئة ثقلاً ونسبتهُ تختلف في النهار عمّا هي في الليل وفي فصل من ...ه عما هي في الآخر . فان حجمهُ في الصيف يزيد على حجمهِ في الشتاء ٢٣ في المئة ويزيد في النهار على حجمهِ في الليل ١٢ في المئة . ولما كان أكسيد الكربون الثاني لا ضرر منهُ الأ اذا زاد كثيراً على ١ في المئة في الهواء الذي نتنفسهُ فان الانتقال من النهار الى الليل لا يمكن ان يكون سبب ضرر هواء الليل كما يزعمون . واما بخار الماء الذي لا يزيد حجم الموجود منهُ في الهواء على ٤ في المئة فهو مهم من جهة التنفس بسبب اختلاف الرطوبة النسبية نهاراً وتأثير ذلك في عرق البدن . على ان مقدار الرطوبة في الهواء لا يختلف كثيراً من يوم الى يوم فان كان هواء الليل مضرًّا بالناقهين — والراجح انهُ ليس كذلك — فالسبب في ضررهِ ما بينهُ وبين هواء النهار من الاختلاف الطبيعي لا الكيماوي

ويبالغ الناس في اهمية الاوزون كاحد مركبات الهواء . وليست الاعلانات التي تنشرها بعض المصاح مدعية فيها ان الاوزون هو اساس كل ما يقوي الصحة في الهواء — الأ خداعاً وشركاً لاقتناص الاموال . والاوزون هو احد الصور والاشكال التي يوجد الاكسجين عليها وفي كل دقيقة من دقائقهِ ثلاثة جواهر من الاكسجين اثنان منها متمكنان اما الثالث فالجاذبية الكيماوية التي بينهُ وبين الاثنين الآخرين ضعيفة فلا يلبث حتى ينفصل عنها ويتحد مع عناصر اخرى . وهذه الخاصة الاخيرة هي التي تميز الاوزون عما سواهُ . والمقدار الموجود منهُ في الهواء يختلف كثيراً في النهار وفي الفصول وكذلك يختلف مقدار الموجود منهُ في هواء المدن وهواء القرى ولكن يقال بوجه عام ان كميتهُ النسبية في الهواء لا تزيد على ١ في المليون . وهو يتكون في الطبيعة اولاً بواسطة البرق وهذا يعلل الرائحة غير المعتادة التي تشم احياناً اذا كثرت البروق في العواصف . وثانياً بواسطة تبخر الماء في الغيوم او تكسرهِ بانحدارهِ من الشلالات والينابيع . وثالثاً بفعل النور الذي فوق البنفسجي واكثر ما يكون ذلك في الهواء الذي فوق اعلى الغيوم . اما هواء المصاح فان السبب في خصائصهِ المنعشة للجسم المقوية للصحة فهو في الاكثر جفافهُ وانخفاض درجة حرارتهِ وعدم اختلافها كثيراً في النهار والفصول وفقد الغبار والدخان منهُ وزيادة الكهربائية فيهِ ووجود كمية من الاوزون فيهِ اكثر مما في غيرهِ . وهذا الاخير ثانويٌّ

ومن الآراء المنتشرة بين الجماهير ان طقس المدن يختلف كثيراً عن طقس البلاد المحيطة بها . وهذا القول صحيح ولكن ليس الى الحد الذي يتصور عادةً . ومن رأي الخبيرين بالطقس ان حرارة المدن تختلف عن حرارة الاقاليم في الامور الآتية : ان متوسط حرارة الهواء

السنوية في الاماكن التي تكثر فيها الابنية هو اعلى منهُ في الاماكن القليلة البناء درجة الى درجتين . ثم ان اختلاف حرارة النهار هو اقلّ في المدن منهُ في القرى وخصوصاً في فصل الصيف . والتبريد بالاشعاع ليلاً اكثر في العراء منهُ في الاماكن الكثيرة البناء . ولعل للتبريد بالتبخر يداً فيما بين حرارة المدن والقرى من الفرق . وقد حسبوا ان حرق الغاز والفحم في لندن يولّد حرارة كافية للتأثير في حرارة الهواء فيها الى ارتفاع مئة قدم فوقها ولكنهم لم يجدوا ان اتساع مدينتي نيويورك وبوسطن في اميركا كان مصحوباً بازدياد متوسط الحرارة فيهما ازدياداً مطرداً . ومن الفروق ان اقلّ درجة الحرارة شتاء هو اعظم ظهوراً في القرى منهُ داخل المدن الاّ اذا كانت المدينة معرّضة لموجة من امواج البرد التي كثيراً ما تجتاح من مدن اوربا واميركا . ومنها ان الشعور بالحرارة في المدن اعظم منهُ في القرى بسبب اشعاعها عن جدران الابنية وعن وجه الارض . ونور الشمس في المدن اقلّ منهُ في القرى بسبب كثرة الدخان في المدن . وسرعة الريح في القرى اعظم منها في المدن . فيستدلّ من هذا ان بين طقس المدن والقرى اختلافاً كبيراً ولكنهُ ليس كذلك

ومن الاحاديث الملفقة قولهم ان الصاعقة لا تنزل في مكان مرتين . فهذا القول غير صحيح وربما كان نقيضهُ اقرب الى الصحة . لانهُ ان كان نزول الصاعقة اول مرة لم يزل الاحوال التي جلبت الصاعقة فالمرجح انها تنزل مرة اخرى حيث نزلت قبلاً . وتكرر نزول الصاعقة على العامود الذي ينصب لوقاية المنازل منها شاهد بصحة هذا القول

ومن الخرافات الشائعة في بعض بلاد المشرق عن القمر ان كثرة التعرض لضوئهِ تسمّر البشرة وتحدث الكلف في الوجه وتقصّر العمر . وليس في مشاهدات المحققين واختباراتهم ما يؤيد الامر الاول والثاني . اما الثالث فان كان صحيحاً فتعليلهُ سهل . فان تعرض الانسان لضوء القمر لا يكون عادةً الاّ اذا اطال السهر واقام في الخلاء وطول السهر واقامتهُ في الخلاء يعرضانهِ لرطوبة الجوّ حيث تكثر الرطوبة ليعود ذلك عليهِ بالضرر . اما كون ضوء القمر ذا تأثير فسيولوجي او باثولوجي في الاجسام يضرّ بها فلا دليل عليهِ

وقد ثبت حديثاً من علاقة القمر بالطقس ان الانواء الكهربائية تكون في السبعة الايام الاولى من الشهر القمري اكثر منها في السبعة الايام الثالثة منهُ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحمى التيفويدية

اعراضها وعلاجها

يجدر بنا والحمى التيفويدية لا تزال متفشية في هذا العاصمة ان نذكر شيئاً عن اعراضها واحدث الوسائل المستعملة في معالجتها فان في التحوّط لها تخفيفاً لوطأتها · ولا يخفى ان اتقاء الداء قبل وقوعه اهون من معالجته بعد وقوعه

الحمى التيفويدية حمى مستمرة غير متقطعة مركزها الامعاء وتسمّى ايضاً الحمى المعوية · واهم خصائصها دخولها الجسم خلسة حتى لا يشعر بها · وسير الحرارة فيها سيراً خاصًّا · واعراض بطنية واضحة ناشئة عن تقرح الامعاء · وظهور طفح على الجلد · وعدم معرفة مدتها · وتعرُّض الناقه منها للانتكاس · وقد بقي الاطباء يخلطون بينها وبين الحمى التيفوس حتى اواسط القرن الماضي اذ كانوا يظنون انهما شكلان لمرض واحد · ويقال بالاجمال ان التيفوس تصيب الفقراء في الاماكن المزدحمة اما التيفويد فليست كذلك · وقد ثبت الآن انتقال جراثيمها بالطعام والماء

وفي السنين الاخيرة حدثت اصابات فيها جميع اعراض التيفود الخفيفة وبعد الفحص الدقيق وجد ان جراثيمها تختلف عن جراثيم التيفود الحقيقية فسميت حمى البارانيفويد وهي خفيفة الوطأة لا خطر على المصاب بها وقد اصابت كثيرين في هذه العاصمة فشفوا ولا نعلم ان واحداً منهم مات

وتكون جراثيم التيفويد في براز المصابين بها فيجب الحذر من وصول شيء من البراز الى ماء الشراب

وتحصل العدوى ايضاً بواسطة الخضر والاثمار الملوثة بجراثيم الداء اذا لم تنظف وتطهر تماماً · وكذلك يكون الغبار واسطة للعدوى حيث تترك مفرزات المصابين تجف وتحملها

الريح الى ماء الشرب او الطعام . وهناك ما يدل على ان اللبن كثيراً ما يكون و... للعدوى ولاسيما اذا غسلت آنيتهُ بماء ملوث بمبرزات المصابين او وقع عليها الذبان بعد وقوعهِ على المبرزات فانهُ ينقل جراثيم العدوى من مبرزات المصاب الى كل ما يقع عليهِ من الاطعمة . ويقال اجمالاً ان انتشار الحمى يتوقف على انتقال العدوى الى الطعام وماء الشرب

والتيفويد تصيب الاحداث على الغالب بين سن ١٥ و ٢٥ وقلما تصيب الكهول والشيوخ. وتصيب الاغنياء والفقراء على السواء

اعراضها — اعراض هذه الحمى خفية في اوائلها وكثيراً ما يواظب المصابون بها على اعمالهم المعتادة مدة طويلة قبل شعورهم بها وانقطاعهم عن العمل . واول الاعراض الم في الراس وشعور بالكسل وانقباض الصدر والارق وظهور حمى خفيفة وخصوصاً في الليل . وهذه الحمى هي التي تمكن الطبيب من الاسراع في تشخيص الداء . ومن الاعراض الاولى الرعاف في كثير من الاصابات . على ان سير الحرارة سيرها الخاص بهذه الحمى هو من اعظم الاعراض مساعدة على تشخيصها . وهي تخف في الصباح وترتفع في المساء ثم تعود فتهبط صباحاً وترتفع مساء ولكن ارتفاعها كل يوم يزداد عما قبلهُ حتى اليوم الثامن حينما تبلغ الحمى معظمها في الاصابات المعتادة ؛ ودرجة ارتفاعها تختلف باختلاف شدة الاصابة وكثيراً ما تبلغ ١٠٤ او ١٠٥ بمقياس فارنهيت (٤٠ الى ٤٠ $\frac{٥}{٩}$ بمقياس سنتغراد) مساء و١٠٣ او ١٠٤ صباحاً

وفي الاسبوع الثاني يكون المجال بين اقل الحرارة واكثرها صغيراً وكل ما يشاهد من الفرق نزول الحمى نزولاً خفيفاً في الصباح . وهذا ما يحدث في الاسبوع الثالث ايضاً ولكن الحمى تكون فيهِ اميل الى النزول وخصوصاً في الصباح . وبين اليوم الحادي والعشرين والثامن والعشرين من الاصابة تأخذ الحمى في الزوال شيئاً فشيئاً ولكنها قد تعود في احوال الانتكاس

والغالب ان يلزم المصاب بهذه الحمى سريرهُ قبل مرور الاسبوع الاول من الاصابة ثم لا تلبث الاعراض ان تزداد ظهوراً فيشعر بقلق واضطراب وازدياد الحمى كلما قارب النهار الزوال وتحمر وجنتاهُ مساء او بعد تناول الطعام

اما النبض في الاصابات العادية فاسرع من النبض الطبيعي ولكنهُ لا يسرع اسراعاً مناسباً لازدياد الحمى وقلما يكون اكثر من ١٠٠ في اوائل المرض . اما في الاصابات الشديدة المصحوبة بقروح في الامعاء فيزداد سرعة وضعفاً

... اللسان في اوائل الاصابة مغطًّى بطبقة بيضاء رقيقة واحمر في رأسهِ وطرفيهِ ... يتغير بعد ذلك فيأخذ في الجفاف و يصير لونهُ مسمرًّا وتخترقهُ خطوط عرضية . وقد ... تغطي الاسنان والشفتان بمادة كريهة الطعم والرائحة . ومن الاعراض العادية شدة العطش . وفي بعض الاصابات يتقيأ المريض

ومن الاعراض التي تساعد على تشخيص الداء تضخم الطحال كثيراً ولينهُ . ويصاب العليل بالاسهال ولكن الاسهال ليس من الاعراض اللازمة . و يكون لون الافراز اصفر خفيفًا . واذا حدث نزف في الامعاء كما هو الحال غالبًا في بعض ادوار هذه الحمى يتغير لون الافراز فيصبح اسمر غامقًا او يكون كلهُ دمًا . اما البول فقليل وقاتم اللون . وكثيراً ما يظهر طفح على الجلد وخصوصًا على البطن والصدر والظهر في اوائل الاصابة او في الاسبوع الثاني منها وهو مؤلف من بقع مستديرة او بيضية الشكل ولونها اما احمر او احمر مصفر . ولا علاقة لها بشدة الاصابة او خفتها . وقد لا تظهر البتة وخصوصًا في الاولاد

ومن اعراض هذه الحمى الهذيان وانقباض العضلات والنعاس وما يسمى بنوم اليقظة . وفي الاصابات الشديدة يشتد ضعف المصاب ولكن ينبغي ان لا يقطع الامل من شفائهِ . واذا كانت الاصابة معتدلة ظهر تحسن المريض بين آخر الاسبوع الثالث وآخر الاسبوع الرابع فتخف الحمى صباحًا ومساءً و يقوى النبض و يزول الاسهال و ينظف اللسان . ويكون نقه المريض بطيئًا ولكنهُ يكون عرضة للانتكاس الناشىء عن خطإٍ في الاكل . واذا مات فسبب الموت واحد من خمسة اسباب : الاول شدة الضعف والاعياء في الاسبوع الاول او الثاني او الثالث فيقف القلب عن العمل . الثاني حصول نزف في الامعاء . الثالث انثقاب احد القروح المعوية والتهاب البريتون على الاثر . الرابع شدة ارتفاع الحرارة . الخامس الاختلاطات المختلفة كالتهاب الرئتين واحتقان الدماغ

و يقال بوجه عام ان متوسط الوفيات في هذا الداء هو ١٢ في المئة او اقل من ذلك . على ان هذا كلهُ يختلف باختلاف شدة الاصابة او خفتها وصحة المصاب العامة والوسط الذي يقيم فيهِ وما شاكل ذلك

المعالجة — تقوم المعالجة المنعية بالمحافظة كل المحافظة على الطعام وخصوصًا اللبن والماء حتى لا تتطرق جراثيم الداء اليهما والعناية بطرق نزح المراحيض واتقان تركيبها . وكذلك بالتلقيح بالمصل المضاد لهذه الحمى . واذا ظهرت اصابة في منزل وجب ان يحقق حالاً امر اللبن وماء الشرب ونظام المرحاض فيهِ . ويجب كذلك ان يضاف الى براز المصاب شيء من

المواد المضادة للفساد · وهذه الامور كلها يجب ان تناط بمرضة خاصة اذ يستحيل على اهل البيت اتقانها فضلاً عن تعرضهم لعدوى الداء بملامسة المريض

اما طعام المريض فهو اللبن على الغالب ولكن تجب العناية بتقديمهِ اليهِ في اوقات معينة وبكميات معينة تراعى فيها قوة الهضم فيهِ لان كثرتهُ وعدم مراعاة الوقت قد يفضيان الى سوء الهضم وبالتالي الى تلبك الامعاء · واذا لم يهضم اللبن تماماً يمزج بشيء من ماء الجير او غيرهِ ولكن كثيراً ما تقضي حالة العليل بمنع اللبن عنهُ مدة · وقد يفيد استبدال اللبن بالماء الصرف او شوربا الفراخ او شربهما مع اللبن · والعادة ان يطعم العليل مرة كل ساعتين · اما طعام الناقة فاللبن والمواد اللينة كالخبز المطبوخ باللبن وغيرهِ · اما الاطعمة الجامدة فيجب ان تمنع عنهُ مدة طويلة ما عدا السمك

ويجوز اعطاء المحموم جرعات من مخففات الحمى كالكينا والسليسين والحامض السليسيليك وسليسيلات الصودا · والفناسيتين والانتبرين وغيرها · ويقول كثير من كبار العارفين باستعمال الحمامات الباردة وهي كثيرة الاستعمال في المانيا · فانهُ اذا بلغت حرارة المريض ١٠٤ ف وضع في حمام حرارتهُ ٩٤ ثم اضيف الماء البارد اليهِ شيئاً فشيئاً الى ان تبلغ حرارتهُ ٦٨ ويبقى في الحمام حتى نصف ساعة ثم يعاد الى فراشهِ بلطف · ويقال ان هذه الطريقة خفضت متوسط الوفيات بالحمى كثيراً · ولكن يعترض عليها بانها محفوفة بالخطر الناشىء عن كثرة تحريك المريض وما قد يعقب ذلك من النزف وذات الرئة وغيرها من الاختلاطات · ولا تمكن ممارستها الاَّ في المستشفيات · فلذلك يفضل مسح بعض اعضاء المريض باسفنجة كل اربع ساعات على ان يكون ماؤُها فاتراً او بارداً بعض البرودة او وضع أكياس الثلج على الراس

اما الاسهال فيمنع اذا اشتد بجرعات من البزموت او مسحوق دوفر او غيرهما

واما النزف فيمنع باحد مستحضرات الارجوت او بخلات الرصاص او الحامض العفصيك او غيرها من القابضات · واذا ثقبت الامعاء وجب عمل عملية قد يشفى العليل بها ولكن شفاءهُ نادر جداً · والغالب ان لا يعمل شيء الاَّ اعطاؤُهُ جرعة من الافيون لتخفيف المهِ

اما الفم واللسان فيجب ان يغسلا بمحلول الحامض البوريك والماء الفاتر ويدهنا بالزيت لتخفيف جفافهما

وغاية ما يقال في توقي هذه الحمى انهُ لما كانت عدواها تجيء في الاكثر بطريق الفم وجب ان يقصى كل طعام وشراب يشتبه في كونهما ملوثين بجراثيمها ولا تؤكل الخضر

... بشرب الماء الأ مصفى · ومن رأي بعض الاطباء ان الزير كافٍ لترشيح ... المعروفة ولكن يجب الحذر لئلا يتلوث الماء بعد ترشحهِ من الزير · اما ... ينبغي اجتنابها بوجه خاص فهي البقول التي تؤ كل عادة غير مطبوخة كالفجل والخس والجرجير والنعنع والبقدونس والبصل الاخضر واحياناً الطماطم واما الاثمار المعرضة للتلوث فاخصها الفريز

***

وقد بلغ من اهتمام الامم المتمدنة بالمصل الواقي من الحمى التيفويدية ان فرنسا جعلت التلقيح بهِ الزامياً ولاسيما بين جنودها في ميادين القتال · اما الانكليز فلم يجعلوهُ الزامياً ولكن كثيرين من جنودهم يطعمون بهِ قبل السفر الى ميدان القتال

وطريقة التطعيم بهِ في البلدين مختلفة بعض الاختلاف ولكن اساسها في الحالين واحد وهو الحصول على المناعة · فالطريقة الفرنسوية مبنية على طريقة الدكتور فنسان التي وضعها بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠ وعرضها على مجمع العلوم الفرنسوي سنة ١٩١٠ · ومدارها على قتل مكروبات التيفويد التي يراد استعمالها للتطعيم بان يضاف اليها نوع من الاثير المعدّ لذلك خصيصاً · ثم يرجّ المزيج عدة ثوانٍ ويترك ليرسب مدة خمس ساعات · وبعد انقضاء هذه المدة يطفو الاثير بعد ان يتمّ عملهُ التعقيمي ويرسب في قعر الاناء محلول المكروبات فيؤخذ ويمزج بماء معقم ويوضع في زجاجات صغيرة ويختم عليهِ حالاً · وقد تكون الزجاجات صغيرة بحيث لا تسع الواحدة منها سوى سنتمترين مكعبين · ويبذل مزيد الحذر والعناية لئلاَّ يعرض المحلول للهواء كثيراً في اثناء اعدادهِ · وجميع الآنية والادوات التي تستعمل تعقم بالحرارة الشديدة · ومتى ازيل الختم قصد استعمال المصل يغسل عنق الزجاجة بصبغة اليود منعاً لانتقال الجراثيم اليها من الهواء وكذلك يوضع شيءٌ من الصبغة على جلد الشخص الذي يراد تطعيمهُ · وهم يطعمونهُ على اللوح الايسر من كتفهِ · ثم يؤخذ شيءٌ من المصل بحقنة خاصة فتغرز ابرتها في جلد اللوح ويضغط البستون فتتم عملية التلقيح

اما الطريقة الانكليزية فهي ان يقتل باشلس التيفويد بالحرارة لا بالاثير كما في الطريقة الفرنسوية ويضاف اليها مادة مضادة للفساد لزيادة الاطمئنان · وتتخذ التحوطات الكافية لمنع انتقال المكروبات المرطبة من الهواء اليهِ كما في الطريقة الفرنسوية ولكن الحقنة الفرنسوية اتقن صنعاً · ويحقن الشخص في ذراعهِ لا على لوحهِ · ويقول الفرنسويون ان الاعراض الموضعية الناشئة عن طريقتهم اخفّ من الاعراض الناشئة عن الطريقة الانكليزية وان

استخدام الاثير لقتل المكروبات دون الحرارة يمكنهم من استخدام عدد اقل من تلك الكريات

ومما يجدر ذكرهُ ان الحمى المسماة باراتيفويد لان اعراضها تشبه اعراض التيفويد نوعان وسبب كلّ نوع منها مكروب مختلف عن مكروب النوع الآخر وقد سمي الواحد (أ) والثاني (ب) . والحمى التي يسببانها في بعض الحالات تشبه التيفويد كثيراً حتى طالما التبست الحميان على كثير من الاطباء . والمرجح ان وجود احد هذين النوعين هو الذي افضى الى اخفاق بعض حوادث التطعيم . ولذلك حضّر الدكتور فنسان المشار اليهِ مصلاً جديداً ضد الباراتيفويد وقد لقح بهِ الجنود الفرنسويون فجاء بالنتيجة المرومة

طُعم بعضهم بالمصل الواقي من التيفويد فكتب يصف الاعراض التي شعر بها . قال: تيبست يدي وبقيت كذلك يومين او ثلاثة . وبعد عملية التطعيم باربع وعشرين ساعة شعرت بنعاس وبي ما أصاب بالانفلونزا وارتفعت حرارتي الى ٩٩ بدلاً من ٩٨،٥ فاسترحت يوماً كاملاً وانا اتوقع ان تشتد الاعراض ولكنها لم تشتد . ثم حقنت مرة ثانية فلم اشعر بغير ارتخاء قليل في مفاصلي ولكن يدي كانت متيبسة تؤلمني الى حد انني لم استطع الاضطجاع على الجانب الذي هي فيهِ »

ولم تبق شبهة في ان هذا التطعيم يقي من التيفويد ولا ضرر منهُ على الاطلاق وقد بلغنا ان اكثر الجنود الانكليزية التي وصلت الى هذا القطر طعمت بهِ

التسمم بالحوامض

لمعظم الحوامض طعمها الحامض المعروف فضلاً عن فعلها الكاوي في الفم فلا يسهل التسمم بها خطأً ولكن بعضها كثير الاستعمال الى حدّ كثرت عندهُ حوادث التسمم عمداً وخطأً

اما اعراض التسمم فهي كيّ الغشاء المخاطي في الفم والجلد الذي حول الفم والشعور بالم شديد فيهِ وفي البلعوم والمعدة . وقد يعقب شرب السم اغماء او اعياء . وهذه الاعراض هي ما يشاهد خصوصاً في الذين يشربون جرعة كبيرة من الحوامض المعدنية كالحامض الستريك (الليمونيك) اوالطرطريك . اما بعض الحوامض الاخرى كالبروسيك والكربوليك (الفينيك) فلها اعراض خاصة بها وليست ناشئة من الكي والاحتراق

اما العلاج فهو ان يتناول المسموم مواد قلوية بمقادير كبيرة من الماء كالصابون والصودا التي تستعمل في غسل الثياب والجير الذي يمكن نزعهُ عن الجدران فانها تبطل فعل الحوامض و يتكون من اتحادها بها املاح لا ضرر منها وتسكن الم الغشاء المخاطي . ولكن يجب اعطاؤُها

للمسموم حالاً وكلما ابطئ في ذلك قلَّ نفعها واشتد ضرر الحوامض . ويحسن كذلك مناولة المسموم لبناً او زيتاً او ماء الشعير وغيرها من المواد المسكنة

فائدة القلويات

فوائد القلويات كثيرة غير ما تقدم . فالقوية منها اي غير الممزوجة بالماء تستعمل لكيّ الثآليل والشامات وازالتها ولتخفيف الالم الناشيء عن لسع النحل والزنابير وعض الحشرات . فان سبب الالم من لسع النحلة مثلاً هو حامض يدخل الجلد مع حمتها فالمواد القلوية تبطل فعلهُ كما تقدم كالامونيا وكربوناتها

ويؤخذ محلول ضعيف من الصودا او البوتاسا او شيء من بي كربوناتهما مسحوقاً في اصابات التهاب الشعب حيث البلغم كثير يعسر قذفهُ . وكذلك في حوادث سوء الهضم الخفيف فانهُ يؤخذ منها شيء قبل الطعام لزيادة العصارة المعدية . وفي الحرقة يؤخذ منها شيء بعد الطعام لابطال فعل العصارة المتزايدة

واشهر القلويات الامونيا والبوتاسا والصودا والجرعة من بي كربونات الصودا او البوتاسا ٢٠ قمحة ومن كربونات الامونيا ٥ قمحات

التسمم بالقلويات

كما يتسمم بالحوامض كذلك يتسمم بالقلويات فقد يشرب الواحد ماء القلي او الامونيا خطأً وحينئذٍ يجب ان يعطى شيئاً من الحوامض الخفيفة . واشهرها واكثرها وجوداً الخلّ

ضعف القابلية للطعام

ان قلة القابلية للطعام عرض عامّ لجميع الامراض التي تحدث ضعفاً عاماً في الجسم وذلك لان نشاط المعدة وافراز العصارة المعدية يضعفان حالما يبدأ الجسم يفقد قوتهُ الحيوية . فلذلك ترى ان ضعف القابلية من اول اعراض السل ووجودهُ يزيد ذلك الداء تفاقماً . وهو ايضاً اعمّ اعراض الدسبسيا ومسرطان المعدة . وكثيراً ما تفقد القابلية لغير سبب ظاهر ثم لا تلبث ان تعود بعد شرب المقويات المرة كالخشب المرّ والجنتيانا والكينا وجوزة القي . وهناك حالة تسمى (nervous anorexia) اي فقد القابلية العصبية وفيها يفقد المصاب قابليتهُ للطعام فلا يأكل شيئاً وينام قليلاً ويقضي كل دقيقة من ايامهِ في تعب ونصب . وكثيراً ما تنتهي هذه الحالة الى انحطاط عصبي تامّ ومعظم المصابين بها من الفتيات

باب الزراعة

محصول القطن

واركان العناية بهِ

ليس في مصر من يجهل ان القطن اعظم ركن من اركان الثروة المصرية وانهُ كما يقول الافرنج الاوزة التي تبيض بيض الذهب لهذا القطر فكل ما يحسّن نوعهُ او يزيد محصولهُ او يرفع ثمنهُ يدر على البلاد الخير ويخفف عن عاتقها عبء الديون

وزراعة القطن اذا اريد اجتناء معظم الفائدة المادية منها تقتضي عناية شديدة وتدقيقاً عظيماً واستعانة بالعلوم التي لا غنى عنها لانجاح الاعمال على اختلاف انواعها

لما كان القطر المصري مطلقاً من قيود الديون وكانت حاجيات اهلهِ معدودة والكماليات قليلة الشيوع فيهِ كان الناس يقنعون بما تغلهُ ارضهُ ويكتفون بما يقبضون من ثمن صادراتهِ وانها على قلتها ورخص اثمانها كانت تسد حاجاتهم اليومية سنة فسنة وهم ناعمو البال

اما الآن وقد تغيرت الحال وبات القطر مديناً لاوربا باموال طائلة وتضاعفت نفقات اهلهِ وغلب عليهم الترف وامسى جانب كبير من الكماليات في حكم الحاجيات واخذت الاقطار الاخرى تزاحمهُ في زرع القطن وتحسين صنفهِ فصار من الواجب البحث عن جميع العوامل التي تزيد الربح من زرع اكبر المحاصيل المصرية لان زمام ما يزرع منها محدود بحكم مساحة وادي النيل وطبيعة التربة وحالة الري ومقدار ماء النيل في فصل الصيف ولان مصروفات الزراعة ورأس المال اللازم لشراء الاطيان واجور العمال وثمن السماد زادت زيادة عظيمة في السنوات الاخيرة . فاذا لم تبذل المساعي في زيادة الانتاج فقد يمكن ان تصير زراعة الحبوب او نحوها اربح من زراعة القطن ولاسيما اذا ادت الاحوال الاقتصادية في اوربا وسواها الى تخفيض ثمن القطن الخام بسبب الانقلاب العظيم الناشئ عن الحرب الحالية

لذلك كان من اعظم الواجبات على حكومة القطر وابنائهِ المحبين لخيرهِ ان يوجهوا عنايتهم الكبرى الى هذا الموضوع الحيوي وان لا يكتفى بالمساعي المتفرقة المتقطعة التي نراها ونسمع بها كلما حدث حادث ينبه الافكار ويحرك الهمم

لزراعة القطن قواعد واصول يعرف عامة المزارعين بعضها ويجهلون البعض الآخر .

وقد يكون تصرفهم في بعض الاحيان مخالفاً للقواعد والاحوال التي يجهلونها فتأتي النتيجة على غير ما يرومون ويضيعون بذلك مزية ما يعرفونهُ . ولبيان ذلك نضرب مثلاً بمسألة الافراط في ري القطن ايام فيضان النيل ووصول المياه الحمراء وهي التي نبهت وزارة الزراعة عليها مراراً . فقد يحسن الزارع خدمة ارضهِ وحرثها واعدادها للزرع ويختار افضل التقاوي وانظفها وينفق المال في تنقية اللطع والدودة رغبة منهُ في جني محصول جيد يربح منهُ المال الكثير ولكنهُ يفرط في ارواء زرعهِ في مثل هذا الحين من ايام السنة ويخالف قاعدة من القواعد الواجبة الاتباع فيضيع معظم تعبهِ الماضي سدى ويأتي محصولهُ قليلاً دنيئاً وكم من مزارع يقع في هذا الخطاء كل سنة ولا يعتبر بتنبيه ولا يستفيد من نصيحة

ماذا يمنع ان يكون متوسط محصول الفدان من ارض مصر الخصبة ثمانية قناطير من القطن او اكثر فان شجيرات القطن النامية نمواً حسناً يمكن ان تطرح من اللوز ما يعطي هذا المحصول واكثر منهُ ولكن من جملة ما يمنع الوصول الى هذه النتيجة العظيمة التي تضاعف ثروة القطر المصري هو كون معرفة جمهور كبير من المزارعين غير كافية مع ان زراعة القطن ليست بحديثة العهد في هذا القطر

نعم أن لتقلب الاحوال الجوية وعدم ملاءمة حرارة الجو للشجيرات في بعض السنين دخلاً كبيراً في تقليل مقدار المحصول وهذا امر لا سبيل الى تلافيهِ ما دامت معرفتنا بالحوادث الجوية قاصرة ولكن معظم ما يبقى من عوامل النجاح تستطاع معرفتهُ اذا اتجه اليهِ الاهتمام وعولج بالاساليب العلمية التي لا سبيل الى النجاح من دونها

خدمت الجمعية الزراعية ووزارة الزراعة زراع هذا القطر خدماً جليلة ولكن مجال البحث والتحقيق لا يزال متسعاً جداً . والمطلوب من الذين ندبوا لخدمة البلاد من هذا الباب كثير فاذا اريد القيام ببعضهِ او كلهِ وجب التشمير عن ساعد الكد والجد والسير على خطة منظمة مدبرة كالخطط التي يضعها القواد لجيوشهم وعدم الاكتفاء بالمساعي المتقطعة ونشر المعلومات على زراع القطر من اقصائهِ الى اقصائهِ بجميع الوسائل الممكنة بعد تحقق صحتها

هذا في ما يتعلق بالقسم الزراعي وهو الركن الاول ويتلوهُ القسم التجاري وهو الركن الثاني ولا يقل عن ذلك اهمية وشأناً

فقد يجود المحصول وتعلو رتبتهُ ويكثر القطن المجني ولكن سعرهُ يظل ابخس مما يجب ان يكون اذا لم تراعَ في بيعهِ قواعد التجارة التي لا بد من مراعاتها للنجاح فيها وادراك الغاية

القصوى من الربح . وادراك هذه الغاية يتوقف على التضامن بين المزارعين ومعاونة الحكومة لهم في هذا التضامن من جهة واتخاذ التدابير الخاصة لمنع التجار واصحاب المصانع من التحكم بالسوق تحكماً يؤدي الى خسارة المزارعين

ولبيان اهمية هذا الموضوع وعظم شأن مباحثهِ نقول ان محصول القطن المصري قلما يزيد على سبعة ملايين قنطار كثيراً وسعر القنطار قلما يتجاوز عشرين ريالاً فيكون ثمن المحصول وبذرتهِ من ٢٨ مليون جنيه الى ٣٥ مليوناً فاذا استطيع جعلهُ عشرة ملايين قنطار باتقان اساليب الزرع والجني وزيادة سعر القنطار الى ٢٣ او ٢٥ ريالاً باتخاذ التدابير التجارية والمالية اللازمة بلغ ما تقبضهُ مصر ثمناً لمحصولها السنوي ٤٨ او ٥٠ مليون جنيه فيزيد ايرادها منهُ ١٥ مليون جنيه في السنة ويزيد رأس مال ثروتها ٢٥٠ مليون جنيه وهو مبلغ يزيد على دين حكومتها وديون سكانها للاجانب

ورب قائل يقول ان هذه الامنية من قبيل الاحلام ودون بلوغها خرط القتاد فنحن نعترف بصعوبة تحقيقها ولكننا نقول بامكان تذليل صعابها اذا اتجهت اليها عناية الحكومة والمتنورين بين مزارعي الامة

وزارة الزراعة ومصلحة القطن

شكا البعض من تقاوي القطن التي باعتها وزارة الزراعة هذا العام قائلين انها لم تكن منتقاة . وقد علمنا بعد البحث والتحري ان التقاوي كانت منتقاة هذه السنة من اجود الزراعات وان عدم نظافتها سببهُ ان المزارعين تأخروا في جمع القطن بسبب هبوط اسعارهِ فجمعوا الجنيات الثلاث معاً وكانت الجمعة الثالثة كثيرة اللوز المضروب فلما حلج القطن جاءت بزورهُ كثيرة البزر الذي ضربهُ الدود . وقد لج بعض مزارعي المنوفية في طلب تقاوي السكلاريدس فابتاعتها لهم الوزارة من غير انتقاء ولما رأوها غير نظيفة طلبوا ان يخفض ثمنها لهم فخفض . ولكن جودة الشيء لا تستلزم خلوه من النفاية وخلوه من النفاية لا يستلزم جودتهُ . والتقاوي جيدة ولو لم تكن نظيفة بل كان فيها كثير من البزور المضروبة . ووجود هذه البزور فيها لا يمنع جودتها لانهُ يزرع منها في كل نقرة بزور كثيرة فالجيد منها ينمو قوياً والمضروب لا ينمو او ينمو ضعيفاً وعند الخف لا يترك الا نبتان من اقوى النبات . وقد قيل لنا ان احد مفتشي الزراعة دخل غيطاً في المنوفية وقال لصاحبهِ بلغني انك اشتريت تقاويك من وزارة الزراعة وان قطنك جاء ضعيفاً لان التقاوي كانت غير جيدة . فاجابهُ

الرجل ثم انني اشتريت التقاوي من وزارة الزراعة وظننت من منظرها انها غير جيدة ولكن القطن نما منها على اجود ما يكون ولم يكن قطني قط اجود مما هو الآن

والخلاصة ان منظر التقاوي التي باعتها وزارة الزراعة للمزارعين هذه السنة لم يكن يدل على انها جيدة لكثرة ما كان فيها من البزور المضروبة ولكن هذه التقاوي منتقاة من اجود الزراعات وان وجود بزور كثيرة مضروبة فيها سببهُ اختلاط جنيات القطن الثلاث بعضها ببعض ولكنهُ لم يضر بزراعة القطن اذ يكفي ان يكون في كل نقرة بزرتان جيدتان. والقطن نام هذه السنة احسن نمو

ومما يحسن ذكرهُ في هذا المقام ان مصلحة الري صارت تستشير وزارة الزراعة في امر الري والمناوبات وتعمل برأيها ولم يبق الاَّ ان ينتصح المزارعون بنصائح وزارة الزراعة ويقللوا ري القطن حينما يلزم تقليل الري في مثل هذا الوقت لكي ينجو قطنهم من اكثر الآفات والاَّ فان اكثروا الماء للقطن تعرض للدود وسقط كثير من لوزهِ وقلت المياه اللازمة لطفي الشراقي وري الارز

ولو اهتم المزارعون كلهم بالانتفاع من علم غيرهم واختبار الخبيرين لتضاعف موسم القطن ولو لم يزد زمام الاطيان المزروعة فاننا رأينا بعض المزارعين يستغلون اكثر من سبعة قناطير من القطن من الفدان وجيرانهم لا يستغلون ثلاثة من الفدان والمعدن واحد والايجار واحد ولكن الاولين يسمدون قطنهم ويخدمونهُ جيداً والآخرين لا يفعلون ذلك

ويسوءُنا ان وزارة الزراعة قللت حقول الامتحان لقلة العمال لديها . وقلة العمال تابعة لقلة المال طبعاً فهل عند الحكومة سبيل تنفق فيهِ المال انفع واربح من اتقان الزراعة . ولا يبعد ان ترى يوماً ما انهُ يجب ان يكون في كل مديرية مدير للزراعة كما فيها مدير للادارة وان يكون اعوان هذا المدير منتشرين في كل المراكز والنواحي انتشار رجال الادارة يرشدون الفلاحين ويمرنونهم على خدمة الزراعة ويعاونونهم على مقاومة ما يعتريها من الآفات وهذا الارشاد وهذه المعاونة لا تكفي لهما النشرات التي تنشرها وزارة الزراعة على ما فيها من الفائدة بل لا بد من العمل المستمر امام الفلاحين وافهامهم سبب ما يعمل امامهم

دخلنا مرة غيطاً مزروعاً فولاً فرأينا الهالوك نامياً فيهِ بين الفول فامرنا ناظر الزراعة ان ينزعهُ حالاً . وبعد ان مررنا في الغيط كلهِ عدنا من حيث اتينا فوجدنا انهُ اقتلع الهالوك ورماهُ قرب المكان الذي اقتلعهُ منهُ اي جعل ضررهُ ينتشر في بقعة اوسع من البقعة التي كان فيها . فشرحنا لهُ حينئذٍ طبائع الهالوك وانهُ لا بد من قلعهِ بالتأني وحرقهِ حالما يظهر

اثلا تسقط بزوره منهُ ويزيد ضرره · والظاهر ان اكثر ما اصاب الفول هذه السنة من الضرر ناتج من نمو الهالوك فيهِ · فلو عرف المزارعون كلهم طبائع هذا النبات لاستأصلوهُ حالاً ونجوا زراعتهم منهُ · وقس على ذلك آفات كثيرة طبيعية مما يمكن مقاومتهُ او تلافيهِ فان جمهور الفلاحين لا يتعلم كيف يقاومهُ او يتلافاهُ الأ بالمزاولة · وسيكون لوزارة الزراعة اليد الطولى في ارشاد الفلاحين الى ما يزيد خصب ارضهم وجنى مزروعاتهم وانقاذها مما يصيبها من الآفات · وغني عن البيان ان رجالها عالمون بما يطلب منهم وهم باذلون جهدهم لتحقيق اماني الامة

مياه الفيضان وري القطن

وضعت وزارة الزراعة منشوراً قالت فيهِ :

« نظراً لاقبال الفيضان ووفرة المياه هذا العام ترى وزارة الزراعة وجوب الفات المزارعين مرة اخرى الى النتائج الوخيمة التي تنجم عما اعتادهُ السواد الاعظم منهم من الافراط في ري القطن رياً غزيراً

وكثيراً ما اشير في المنشورات الزراعية الى وجوب الاقلاع عن هذه العادة القديمة ومع ذلك لا يزال المزارعون يألفونها رغماً عما يترتب عليها من نقصان المحصول

فيجدر بكل مزارع ان يتنبه الى ان الافراط في ري القطن لا بد ان يسبب سقوط اللوز فضلاً عن نمو الورق نمواً عظيماً بحيث يحجب ضوء الشمس عن اللوز الباقي على الشجيرات فلا تنضج النضج التام في الوقت المناسب وتكون النتيجة نقص المحصول وتأخرهُ فضلاً عن سهولة انتشار دودة اللوز

وبناء عليهِ تشير وزارة الزراعة على جميع المزارعين بضرورة الاكتفاء بالري الخفيف على قدر اللزوم وعلى الاخص لانهُ ليس هناك الآن محل للتخوف من قلة المياه »

ترويج الحاصلات المصرية

ان اهتمام وزارة الزراعة بترويج حاصلات القطر المصري في البلدان الاجنبية يستحق الشكر فقد بعثت بعينات من القمح والفول والذرة الى بلدان كثيرة وسألت عن الاسعار التي تباع بها فيها لخدمة المزارعين والتجار · وحبذا لو بحثت عن اجرة الشحن براً وبحراً الى ان تصل الحاصلات الى الاماكن التي ارسلت العينات اليها

ولا يخفى ان الاسعار كلها تختلف من وقت الى آخر في البلد الواحد ولا يعرف ذلك

و ينتفع بهِ الأ التجار الذين شغلهم مراقبة السوق والبحث عن البضائع التي يربحون منها والاوقات التي يربحون فيها . ومع ذلك فبحث وزارة الزراعة كبير الفائدة جدًّا . ومما عُلم من بحثها اخيراً ان القمح المصري يسهل بيعهُ في اسواق بريطانيا العظمى وان ثمن الاردب المصري يبلغ فيها نحو ١٧٠ غرشاً وقد ارسلت وزارة الزراعة من القمح المصري الى اسبانيا والبرتغال وتونس والجزائر والمغرب الاقصى فوجدت انهُ لا يصلح لسوق اسبانيا لان الطحانين هناك لا يستطيعون استعمالهُ . وقد استغرب بنا قول الطحانين انهم لا يستطيعون استعمالهُ فانهُ يطحن مثل غيرهِ من اصناف القمح واذا كانت المطاحن غير شديدة السرعة خرج دقيقهُ ابيض الى الصفرة كاجود انواع الدقيق . ومن المرجح عندنا انهُ اذا عُرض القمح المصري في اسواق اخرى من اسواق اسبانيا وجد لهُ رواجاً ولكن يحتمل ان سعرهُ فيها يكون واطئاً فلا يفي بارسالهِ اليها

وجاء من لسبون بالبرتغال ان القمح المصري وجد صالحاً جدًّا لسوق تلك البلاد وان بيعهُ يسهل فيها بالاثمان التي تقدَّم لهُ في انكلترا

وجاء من تونس انها تستورد قمحاً اجنبيًّا من الولايات المتحدة وروسيا وبلغاريا والجزائر ومراكش ولذلك يحتمل ان يكون للقمح المصري رواج فيها

وجاء من بونه بالجزائر في اول يونيو ان القمح المصري يمكن ان يباع فيها بسعر يتراوح بين ١٩١ غرشاً و١٩٦ غرشاً الاردب . ومن مدينة الجزائر نفسها انهُ يمكن ان يباع القمح المصري فيها ويبلغ سعر الاردب منهُ فيها ١٥٠ غرشاً الى ١٦٢

وجاء من طنجة بالمغرب الاقصى ان القمح المصري يمكن يباع فيها اذا كان ثمنهُ معتدلاً لا يزيد على ١٤٠ غرشاً الاردب

والاهتمام ببيع القمح والفول والذرة على فائدتهِ لا يحسب شيئاً في جنب الاهتمام ببيع القطن المصري لان كل ما يستطيع القطر المصري اصدارهُ من الحبوب على اختلاف انواعها لا يبلغ ثمنهُ مليون جنيه ولكن القطن يصدر منهُ في السنة نحو سبعة ملايين قنطار ويتراوح ثمن القنطار بين ثلاثة جنيهات وخمسة فاذا استطعنا ان نعرض القطن المصري على كل معامل القطن في المسكونة من اقصى الصين واليابان الى اقصى اميركا الشمالية والجنوبية فلا يبعد ان يزيد الطلب عليهِ عشرين في المئة او اكثر ويزيد سعرهُ على هذه النسبة

قرأنا منذ مدة في مجلة اميركية ان شركة من الشركات الكبيرة التي تزرع البرتقال في كليفورنيا كثر البرتقال لديها ولم تزد المقطوعية فقل ربحها رويداً رويداً حتى اشرفت على

الافلاس فقبض على ادارتها رجل همام وقال يجب علينا ان لا ننتظر المشترين حتى يأتوا الينا بل يجب ان نذهب اليهم فاستأجر كثيراً من مركبات سكك الحديد وجعل يشحن البرتقال ويرسلهُ الى المدن القريبة والبعيدة ويعرضهُ للبيع في اسواقها فراجت سوقهُ رويداً رويداً حتى بات جني تلك البساتين اقل مما يطلب منهُ وارتفعت اسعارهُ واغتنت تلك الشركة بعد ان اشرفت على الافلاس

الفاكهة في الفيوم

من يذهب الى الفيوم في هذه الايام يجد مركبات سكة الحديد مملوءة باقفاص العنب والتين والبطيخ والصبّير (التين بشوكهِ) والاثمان في ارضها بخسة جدًّا ومع ذلك يربح اصحاب الجنائن ربحاً وافراً ففدان العنب يغل ثمانين جنيهاً ومثلهُ فدان التين وفدان الصبير اربعين جنيهاً وهو في الغالب ارض رملية لا تصلح لشيءٍ آخر. واذا قللت مصلحة سكة الحديد اجرة الشحن عمّا هي عليهِ الآن فلا يبعد ان يستغني القطر المصري بفاكهتهِ من العنب والبرتقال عمّا يرد اليهِ من الخارج

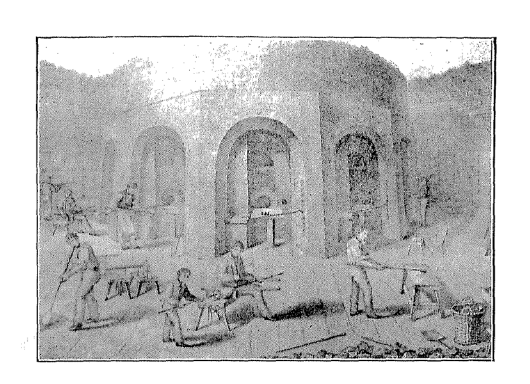
اما الصبير فسيكون لهُ شأن كبير ولاسيما اذا زرع منهُ النوع الخالي من الشوك والوبر لانهُ طيب الطعم خالٍ من الضرر وما يزيد منهُ عن طعام الناس يمكن استخراج السبيرتو منهُ

قطن الهند الغربية

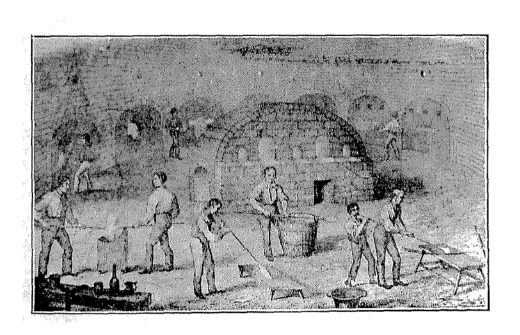
جزائر الهند الغربية من البلدان التي اخذت تزرع القطن منذ بضع عشرة سنة وقد وقفنا على احصاء ما زرعتهُ في هذه السنوات ومقدار غلة الفدان منها فاذا زراعة القطن فيها لا تقابل مطلقاً بزراعتهِ في القطر المصري او في مركز من مراكزهِ فقد كانت مساحة الارض التي زرعت قطناً في مونسرات سنة ١٩٠٢ نحو ١٥٠ فداناً فقط فزادت رويداً رويداً حتى بلغت اعظمها وهو ٢٧٠٠ فدان سنة ١٩١١ ثم نقصت عن ذلك. وتراوح متوسط محصول الفدان بين ١٩٦ رطلاً من القطن الشعر و٩٩ رطلاً فقط. وزراعة مثل هذه لا يلتفت اليها في القطر المصري بوجه من الوجوه

زمام زراعة القطن المصري

نشرت وزارة الزراعة ان زمام القطن المصري نقص هذه السنة نحو ٣٣ في المئة فبعد ان كان ١٧٥٥٠٠٠ فدان في الموسم الماضي بلغ الآن ١١٨٠٠٠٠ فدان فقط فاذا قل المحصول على نسبة قلة الاطيان المزروعة فالموسم الحالي لا يبلغ خمسة ملايين قنطار مهما جاد



معمل زجاج يصنع فيهِ الزجاج الصواني



معمل زجاج يصنع فيهِ الزجاج الاكليلي

باب الصناعة

عمل الزجاج

كان الزجاج من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها ولا يزال كذلك في اكواخ الفلاحين فليس فيها اداة زجاجية لا قدحاً ولا زجاجة ولا مدخنة قنديل ولا كوةً زجاجية ولكن الذين فوقهم درجة لا يستغنون عن الزجاج فمنهُ الاقداح التي يشربون بها والمداخن التي يضعونها على مصابيحهم والالواح التي يسدون بها شبابيكهم حتى يدخلها النور ولا يدخلها الهواء

ومصر مهد صناعة الزجاج هي او سورية جارتها وفيها ارتقت في عهد الفراعنة حتى صار الزجاجون يصنعون عيوناً زجاجية كالعيون الطبيعية ولا يزال الزجاج الفينيقي مشهوراً في الدنيا . ومواد الزجاج الاصلية اي القلي والرمل كثيرة في هذا القطر ولا يبقى لهُ الاَّ الوقود لصهر هاتين المادتين وعمل الزجاج منهما . وبقي الزجاج يصنع فيهِ الى عهد غير بعيد وقد أُهمل الآن لان لم الاوربيين استعانوا بالعلوم الطبيعية والهندسية على اتقان عمل الزجاج وترخيصهِ الى درجة لم تبقِ ربحاً لغيرهم من عملهِ . ولكننا اذا اقتبسنا اساليب الاوربيين كلها فلا يتعذَّر علينا عمل الزجاج في هذا القطر والقطر الشامي ويكون رخيصاً كالزجاج الاوربي ولاسيما اذا وضع على الزجاج الاوربي رسم جمركي كبير وأُعفي الزجاج الوطني من هذا الرسم

ويقسم الزجاج الى ثلاثة انواع حسب الطريقة التي يصنع بها والغاية التي يصنع لاجلها الاول زجاج الآلات البصرية كالنظارات والثاني الزجاج الذي ينفخ نفخاً ومنهُ الكؤوس وسائر الآنية الزجاجية والالواح التي توضع في الشبابيك والثالث الزجاج الذي يفرغ في القوالب او يشكل بالصب والضغط

اما النوع الاول وهو زجاج الآلات البصرية فلا محل لهُ هنا لانهُ لا ينتظر منا ان نصنع منهُ شيئاً الآن

واما النوع الثاني فهو الاقدم والاسهل والمواد التي يصنع منها هو والنوع الثالث هي اولاً السلكا اي حبوب الرمل البيضاء الشفافة . والرمل المصري والسوري الابيض اللون يصلح لذلك . وثانياً الجير الحي وكربونات البوتاسا او كبريتات البوتاسا وكربونات الصودا او كبريتات الصودا . والقلي او النطرون يقومان مقامهما . وقد يضاف الى ذلك قليل من

أكسيد الرصاص الاول (المرداسنك) · وثالثاً الفحم المسحوق لحل الكبريتات القلوي · ورابعاً شقف الزجاج من النوع الذي يراد سبكهُ

ولا بد من ان تكون هذه المواد كلها خالية من الحديد ونحوهِ من الشوائب التي تلون الزجاج اذا اريد ان يكون شفافاً خالياً من اللون

وتصهر هذه المواد في بواتق مصنوعة من طين لا يصهر بالحرارة ولا يتشقق · وعمل هذه البواتق صناعة قائمة برأسها فالافضل ان تشترى جاهزة

وتوضع البواتق في افران خاصة وقد اتقن بناه هذه الافران حديثاً وصارت تحمى بالغاز فلا بد من الاعتماد على اناس ماهرين في بنائها وسنعود الى وصفها وشكل بنائها من الداخل ونكتفي هنا بطبع صورة خارجية لهذه الافران وصورة العمال يعملون في نفخ الزجاج وعمل الآنية المختلفة منهُ · ومن اسهلها عملاً القناني وهي تصنع بان يأخذ العامل انبوباً طويلاً من الحديد ويغطهُ في الزجاج المصهور في البوتقة ويخرج منها على رأسهِ جانباً من الزجاج المصهور كافياً لعمل الزجاجة التي يريد عملها فيتناول الانبوب عامل آخر وينفخهُ فيصير الزجاج في شكل كمثري ويزيد نفخهُ وادارتهُ في يدهِ فيتشكل باشكال مختلفة · وكانت القناني تصنع بالنفخ فقط فصارت تصنع الآن بصبها في القوالب · وسنستوفي الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي

البنزول من البترول في الصناعة

اعلنت وزارة الداخلية الاميركية انها اكتشفت طريقة لاستخراج الغازولين والبنزول والتوليول من البترول الخام · وقد اكتشف هذه الطريقة الدكتور رتمان في معمل الحكومة الكيماوي وسيسجل هذا الاكتشاف باسم الحكومة · والظاهر ان الغرض من هذا الاكتشاف تمكين الحكومة الاميركية من اخراج جميع المواد الهيدروكربونية اللازمة لعمل الاصباغ والمواد القابلة الانفجار

ومبدأ هذه الطريقة تسخين مقادير من بخار البترول في انابيب من الحديد تحت ضغط معلوم · فاذا اريد استخراج الغازولين جعلت الحرارة ٤٥٠ درجة بميزان سنتغراد والضغط ٩٠ رطلاً على البوصة المربعة · واذا اريد استخراج البنزول والتوليول جعلت الحرارة ٥٠٠ س والضغط ١٠٠ رطل · وقد ظهر انهُ كلما كثرت كمية الغاز في البترول الخام كثر السائل في الانابيب · ويؤملون انهُ متى اتقنت هذه الطريقة ليمكن العمل بها تجاريًّا زادت كمية المواد

الهيدروكربونية المستخرجة من زيت البترول ستة اضعاف الى عشرة اضعاف على ما يستخرج منها الآن من قطران فحم الحجر

بواخر البترول

يؤخذ من رسالة قرئت في معهد الخبيرين بالبترول ومناجمهِ في لندن ان الصينيين هم اول من بنى السفن لنقل البترول على ما يعلم · ومضت مدة والسفن لا تسع الواحدة منها اكثر من ٧ آلاف طن ولكن الاوربيين بنوا سنة ١٩١٢ وما بعدها سفناً متوسط سعتها بين ٩ آلاف و١٠ آلاف طن وبينها ١٠ سفن سعة الواحدة منها ١٥ الفاً · وفي العالم الآن ٤٣٤ باخرة من تلك البواخر تحمل ١٦٤٧٠٠٠ طن منها ١٩٢ باخرة تحرق الوقود السائل · وبلغ عدد البواخر التي صنعت لنقل البترول بين سنة ١٩١٠ و١٩١٤ ١٦٦ حمولتها ٨٠٠ الف طن · ويوجد عدا هذه البواخر ٥٧ سفينة شراعية لنقل البترول محمولها ٩٩٧٨٨ طنًّا

فضل العلوم الصناعية

احتفل جماعة من كبار الانكليز بتقديم خطاب شكر الى السر فيليب ماجنس من اعضاء مجلس النواب الانكليزي بعد استعفائهِ من منصب مدير للامتحانات الصناعية في معهد لندن وقضائهِ ٣٥ سنة فيهِ · فعهد في تقديم الخطاب الى المستر رينولدس وفي تقديم الهدايا الشخصية لهُ وللادي قرينتهِ الى السر وليم ماذر

ثم خطب الخطباء فاشار بعضهم بوجوب زيادة الانتباه لترقية العلم وتطبيقهِ على الصناعة اذا شاءت الامة الاحتفاظ بمقامها الصناعي والتجاري مع منافساتها وخصوصاً المانيا· وقال انهُ لا يفلح مسعى من المساعي التي يراد بها اخذ الصناعة والتجارة من يد المانيا ما لم يكن مبنيا على البحث العلمي الوطيد الاركان الذي يتولاهُ رجال خبيرون بهِ ومؤيدون بالاعانات الكثيرة كما هي الحال في المانيا · وقد دلت هذه الحرب على المزية العظيمة التي لالمانيا تلك المزية الناشئة عن حسن مثابرتها في تطبيق العلم على العمل · ودلت ايضاً على الخطر الذي حاق ببعض الصناعات الانكليزية الثابتة بسبب قلة الاصباغ وغيرها من المواد التي تخرجها معامل المانيا الكيماوية

الكيمياء والحرب في المانيا

يؤْخذ مما ورد في الجريدة الالمانية الكيماوية انهُ عهد في مراقبة جميع المواد الخام اللازمة لصنع المبرة والذخيرة الى دائرة من دوائر وزارة الحربية وعينت لجان مختلفة للنظر في كل صنف من الاصناف على حدة كالمعادن والجلد والقطن والكتان وغيرها واتخاذ جميع التدابير للحصول عليهِ · وبذلت اعظم المساعي لزيادة الموجود من الامونيا والحامض النتريك لشدة لزومها في عمل المواد المفرقعة · وكرر النحاس الى اقصى درجة وبدأُوا صناعة جديدة وهي صناعة تكرير الزنك · وقد افضت ندرة بعض المعادن الى احلال غيرها محلها فاحلّوا الصفيح محلّ الالومنيوم والفولاذ والحديد المقصدر محل النحاس وامزجتهِ · وقد اخذوا يصنعون الاسلاك الموصلة للكهربائية من الحديد



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأْتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم. (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الخصي والقرون

جناب الفاضل رئيس تحرير المقتطف

اطلعت في مقتطف هذا الشهر على سؤَال حضرة الخواجه نصري حبيب عن علاقة خصي الخراف بنمو قرونها وقد رأَيت جوابكم موافقاً وتعليلكم مقبولاً ولزيادة الايضاح آتي هنا بكلمة صغيرة بخصوص هذا الموضوع وما شاكله

ان علماء الفسيولوجيا يصرحون بان اعضاء الجسم مرتبطة بعضها ببعض كاجزاء الآلات الميكانيكية ووظيفة كل عضو مرتبطة بوظيفة الآخر اذا وقف عن العمل لمرض وقف عمل العضو الآخر بل وقفت اعمال جميع الاعضاء لان من شروط انتظام حياة جسم الحيوان ان

كل عضو يعمل العمل الموضوع لهُ ولا يعمل الاَّ هذا العمل فقط · ورأى العلماء بعد زيادة التحري والاستقصاء ان لبعض اعضاء الجسم مفرزات داخلية وان لكل من هذه المفرزات تأثيراً داخليًّا في اعضاء معينة ينشطها على عملها و يمهدهُ لها بحيث انهُ اذا نفدت المفرزات تعطل سير هذه الاعضاء ونتج عن ذلك الموت لا محالة

فاهتدى العلماء بعد هذا البحث الى معظم الوسائط والعوامل التي سببت الاختلاف بين الترجل والتأنث والكبر والصغر في الاجسام والعقل والبله وغيرها فرأوا ان لبعض الغدد مفرزات تمنع تضخم اعضاء الجسم وانهُ اذا جف افراز هذه الغدد لمرض فيها او لشلل طرأ عليها تضخمت الاعضاء وكبرت العظام وصار حجم الجسم ثلاثة اضعاف حجمهِ الطبيعي · ولسنا بحاجة الى ذكر انواع الغدد ووصفها ومبلغ تأثير مفرزاتها في اعضاء الجسم لان ذلك من مباحث فسيولوجيا جسم الانسان او الحيوان ولكننا نقتصر على ذكر شيء واحد بخصوص ما نحن بصددهِ ·

رأى العلماء ان في جميع الحيوانات خاصتين لتمييز الجنس واحدة في المرتبة الاولى واخرى في الثانية فالاولى التي بها نستطيع لاول وهلة تمييز الذكر من الانثى هي اعضاء التناسل الخارجية · والثانية هي الصفات والاعضاء الموجودة في احدهما والمعدومة في الآخر كالشاربين للرجل والثديين للمرأة · ورأوا ايضاً ان لغدد معينة افرازات اذا لم تقم بوظيفتها من الطفولية كبر الطفل و بلغ سن الرشد ودخل في دور الرجولية ولكن الغرائز والصفات التي تظهر في الاطفال لا تزال فيهِ · فترى تقاطيع وجههِ كالاطفال و يبقى صوتهُ رفيعاً ولا تظهر فيهِ صفة الرجولية بخصوص الزواج فيكون طفلاً في جسم رجل · واذا بحثنا عن مسألة الخصي وظهور القرون في رأس الخروف نرى ان بين الاثنين ارتباطاً كليًّا · فاذا كان الخصي جزئيًّا لم يختلف الخصيّ عن الناس العاديين في طبائعهم وسلوكهم وهيئاتهم وذلك لان اعضاء تناسلهِ الداخلية لا تزال تفرز افرازاتها وهذه تؤثر في اعضاء الجسم فتنمو كاعضاء باقي الرجال · اما اذا كان الخصي تامًّا وقف نمو الاعضاء الخصيصة بالرجال او بذكور الحيوان · ولنضرب لذلك مثل (الاغوات) الذين ان لبسوا لبس النساء لا يستطاع تمييزهم عنهن · هؤلاء يُخصون من صغرهم فمتى جاء سن البلوغ لا يجد الجسم مفرزات اعضاء التناسل الداخلية فتتقف اعضاء الرجولية عن النمو فلا يظهر في وجوههم شوارب ولا لحى و يرق الصوت فيصير كصوت النساء الى غير ذلك

وقد رأى الفسيولوجيون ان حقن الرجل المتأنث بمفرزات اعضاء الرجال التناسلية يرجع رجوع صفات الرجولية اليهِ وما يقال عن الرجل يقال عن المرأة فان العلماء رأوا ان عملية اخراج المبيض يعقبها دائماً تغير احوال الانثى العمومية بان تماثل الرجل في معظم ملامحهِ فيخشن صوتها و يظهر شعر في وجهها و يقف نمو ثديها

من ذلك نرى ان لخصي الخروف علاقة تامة بعدم ظهور القرون اذا كانت خصيصة بالذكور القاهرة ميمان نجار

طالب طب

كتاب البيان والتبيين

سيدي الاستاذ العلامة منشيء المقتطف حفظهُ الله

لما صدر عدد ابريل من المقتطف الاغر الذي فيهِ كتابتكم على الطبعة الجديدة لكتاب البيان والتبيين للجاحظ كنت في بلاد أُخرى فلم يتيسر لي الاطلاع عليها الاَّ عند عودتي الى القاهرة في هذا الاسبوع لذلك اقدم لكم الآن واجب الشكر على عنايتكم بنقدهِ واذكر لكم انني اعتمدت في طبعهِ على نسخة خطية استنسختها دار الكتب السلطانية في القاهرة على نفقتها من نسخة في المدينة المنورة (الحجاز) والحقتها سنة ١٨٨٢ بنمرة ١٨١٢٤٩

وعلى نسخة خطية أُخرى بقلم ناسخ اسمهُ محمد سليم نسخها للمرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي سنة ١٣٠٩ وهي الآن في القسم الخاص بكتب الشنقيطي في دار الكتب السلطانية بنمرة ١٨٧٢

وكنت اعارض هاتين النسختين بالنسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣١١ فاجد النسخ الثلاث متفقة دائماً الاَّ في بعض المفردات التي اصابها تحريف النساخ. ومع ذلك فاني نبهت في الهامش الى كل ما رأيتهُ من اختلاف بين النسخ

اما الجدول الهجائي الذي اقترح المقتطف الاغر عملهُ فقد كنت شارعاً بترتيبهِ وترتيب جدول لاسماء الرجال . ثم اتفق لي ان سافرت قبل انتهاء الجزء الثالث. فقام بعض الافاضل بملاحظة طبع الباقي وبعمل جدول الخطأ والصواب . وجُلّد الكتاب قبل عدة اشهر من عودتي . وسأتلافى ذلك في الطبعة التالية كما اني اتبع هذه القاعدة في الكتب الاخرى التي سأطبعها محب الدين الخطيب

باب التقريظ والانتقاد

الحنين الى الاوطان

ابو عثمان عمرو بن الجاحظ سيدمن كتب من كتاب العرب . فلا غرابة اذا عُني اهل العربية باحياء كتبهِ ونشرها فيما بينهم خشية ان يذهب طيّها برونقها ويحجب سناءها كما يحجب الصدف سناء اللآلي والدرر الغوالي . فمن آثارهِ الحسان رسالة سماها « الحنين الى الاوطان » طبعتها مطبعة المنار على نفقتها وهي تباع في مكتبة المنار النسخة بغرش ونصف . وقد ذكر الكاتب « السبب على جمع نتف من اخبار العرب في حنينها الى اوطانها وشوقها الى تربها وبلدانها » وذكر اقوال العجم والهند في الاغتراب وتسوئتهِ والوطن ونفع الاقامة بهِ حتى لو عمل قارئ اقوالهِ بها لما هاجر رجل مسقط رأسهِ . فكأن الجاحظ كان وهو يضع رسالتهُ هذه يردد قول من قال :

وارحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسهِ صنعا
فارق احبابهُ فما انتفعوا بالعيش من بعدهِ ولا انتفعا

ومما جاء في رسالتهِ هذه قولهُ :

« ومن حب الناس للوطن وقناعتهم بالعطن ان ابراهيم لما اتى بهاجر ام اسماعيل مكة فاسكنها وليس بمكة انيس ولا ماء ظمئ اسماعيلُ فدعا ابراهيم ربه — فقال رب اني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم — فاجاب الله دعاءهُ اذ رضي بهِ وطناً و بعث جبرائيل عليهِ السلام فركض موضع زمزم برجلهِ فنبع منهُ زمزم

ومر باسماعيل وامهِ فرقة من جرهم فقالوا اتأذنون لنا ان ننزل معكم فقالت هاجرُ نعم — ولا حق لكم في الماء فصار اسماعيل وولدهُ قطان مكة لدعوة ابراهيم عليهِ السلام — نعم وهي مع جدو بتها خير بقاع الارض اذ صارت حرماً — ولاسماعيل وولدهِ مسكنا — وللانبياء منسكاً ومجمعاً على غابر الدهر »

جرجي زيدان

اصدرت مطبعة الهلال كتاباً يحتوي على ترجمة المرحوم جرجي بك زيدان ومراثي الشعراء والكتّاب واقوالهم التي قيلت في حفلة التأبين وما كتبتهُ الجرائد والمجلات فيهِ وفي آثارهِ

مبادىء علم السياسة

نقلهُ بتصرف لمجلة الهلال حضرة سليم افندي عبد الاحد فنشر ملحقاً للسنة الثالثة والعشرين منهُ . وقد قال انهُ عول في نقلهِ «على عدة موَّلفات لاساتذة هذا الفن واهمها كتاب مبادىء علم السياسة للعلامة ليكوك استاذ علم السياسة في جامعة مجيل بكندا» . وهو مقسوم ثلاثة اقسام الاول في كيان الدولة . والثاني في نظام الحكومة . والثالث في الحكومة والاجتماع . وجاء في تعريف علم السياسة قولهُ : انهُ علم يبحث في شؤون الحكومات والمراد من الحكومة نظام معين يخضع لهُ جمهور معين ويرجع في تاريخهِ الى ابعد ازمنة التاريخ البشري »

آدم الجديد

درس اجتماعي فلسفي في قالب روائي او هو روح الاجتماع في جسم رواية كما قال واضعهُ حضرة نقولا افندي الحداد . وقد جاء في مقدمتهِ ان في الهيئة الاجتماعية قوتين تتصارعان وهما الحق والقوة . الحق يريد الانصاف ليرضي الضمير . والقوة تريد الاثرة لتشبع الطمع . والاول يحوّل الذئب انساناً . والثانية تحول الانسان ذئباً . والرواية مصرع يتصارع فيهِ آدمان آدم الحق وآدم القوة . وقد نشرت تباعاً في مجلة الهلال

الاجتماعيات

طائفة من مقالات للكاتبة الاميركية اليزابث تون عربتها حضرة السيدة اوليفيا عبد الشهيد في الاقصر وتوخت في تعريبها بعض التصرف « مراعاة لمزاج الامة النفسي » كما قالت . وهي تطلب من مطبعة المعارف في القاهرة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) مدة الحلم

الفيوم. الخواجه جرجي خلف. لقد يرى الانسان في النوم حوادث ووقائع تستغرق من الزمان في حالة اليقظة اياماً كثيرة ومن غريب ما ذكر ان مدة الحلم قصيرة قد لا تتجاوز الدقيقة فما قولكم في ذلك

ج. الامر كما ذكرتم اي ان مدة الحلم قصيرة قد لا تتجاوز الدقيقة كأنَّ النفس تمرُّ على محفوظات الذاكرة وتراكيب الخيال كما تمر العين على صور السينماتوغراف. ويحدث مثل ذلك في اليقظة فيراجع الانسان حوادث شهر او سنة في دقيقة من الزمان اي يمرُّ ذهنهُ على ذاكرتهِ مروراً سريعاً

(٢) الذراح

مصر. الخواجه لبيب نعمان حبشي. جاء في جزء يوليو الحالي من المقتطف في تدبير المنزل وصفة لتقوية الشعر وهي الوصفة الثانية فاردنا استعمالها وفعلاً ذهبنا الى احدى الصيدليات لشرائها ولكن الصيدلي لم يعرف ما هو الذراح المذكور فيها فذهبنا الى غيرهِ فلم يعرفهُ فما هو وما اسمهُ العلمي

ج. هو الذباب الهندي الذي تعمل منهُ الحراريق واسمهُ العلمي Cantharides بالجمع والمفرد Cantharis وانما نستغرب ان صيدليًّا لا يعرف كلمة الذراح على اشتهارها وكثرة الصور التي تكتب بها فمنها الذروح والذريح والذرح والذريحة والذرنوح والذرحرح الخ

(٣) طبع الصور الملونة

فوزي افندي غبور الدبري. كيف تطبع الصور الكثيرة الالوان وهل في مصر مطابع كذلك وهل هي كثيرة النفقات

ج. تحفر الصورة اولاً ولنفرض انها موَلفة من الاحمر والازرق والاصفر فقط وتفصل اجزاؤُها بعضها عن بعض حتى تكون الاجزاء التي لونها احمر وحدها وكذلك التي لونها ازرق والتي لونها اصفر وتركب الاولى منها في آلة الطبع حيث تقع في الصورة تماماً وتطبع على الورق بحبر احمر ثم تنزع وتركَّب الثانية حيث تقع في الصورة

وتطبع على الورقة نفسها بحبر ازرق وهلمّ جرًّا واذا كان بعض الالوان مركبًا من لونين كالاخضر المركب من الازرق الاصفر فيحفر اكثر من صورة واحدة ويقطع من واحدة منها جزء يشمل الازرق والاخضر ويطبع على الورق بحبر ازرق ويقطع من صورة اخرى جزء يشمل الاصفر والاخضر ويطبع على الورقة عينها بحبر اصفر فيظهر عليها الازرق وحده والاصفر وحده والاخضر المركب من الازرق والاصفر وهلم جرًّا. وقد رأينا صوراً ملونة بالوان مختلفة مطبوعة في مصر واكثرها مطبوع طبع حجر باحبار ملونة عن بلاطات مختلفة باختلاف الالوان. ونفقات الطبع بالالوان اكثر من نفقات الطبع بلون واحد ولكنها غير فاحشة

(٤) رباعيات الخيام

ومنهُ. هل عربت رباعيات الخيام بغير قلم البستاني الذي لم يعربها جميعها وهل تعرفون في الانكليزية كتاباً يحوي هذه الرباعيات كلها نظماً ونثراً

لا نعلم ان لها ترجمة عربية كاملة. وقد رأينا في الانكليزية ترجمة فتزجرلد وهي مختصرة ورأينا ايضاً ترجمة جنسن باشا الذي كان في القطر المصري وقد ترجمها من الفارسية وطبعها في مطبعة المقتطف وهي تشمل اكثر رباعيات الخيام

(٥) تربية دود الحرير

بني سويف. علي بك اسلام. قرأنا في المقتطف منذ عهد قريب انهُ وضعت رسالة في العربية في تربية دود الحرير فنرجو افادتنا عن اسم مؤلفها حتى نشتريها منهُ

ج. لا نتذكر اننا كتبنا حديثاً عن رسالة في تربية دودالحرير ولكن الّف المرحوم خطار ثابت رسالة مسهبة في تربية دود الحرير طبعت في مطبعة المقتطف في اواخر سنة ١٨٩٧ وتجدون كلاماً عنها في الصفحة ٥٩ من مقتطف يناير سنة ١٨٩٨ ولكن المؤلف وحضرة صهرهِ المحامي الفاضل سليم بك عمون وجدا من المصاعب في تربية دود الحرير في المكان الذي اختاراهُ لذلك ما جعلهما يعدلان عنهُ. وترون في الصفحة ٤٥٣ من مقتطف سنة ١٨٩٧ رسالة لكاتب دمشقي فاضل قال فيها ما نصهُ معترضاً على تربية الدود

«بينما كنت اتصفح صفحات المقتطف الأغر عثرت في الجزء الثالث منهُ على مقالة لحضرة الوجيه خطار افندي ثابت يحضُّ بها المصريين على ادخال زراعة شجر التوت الى القطر المصري مبيناً لهم عظيم نفعهِ وكثرة دخلهِ بحساب اراهُ بعيداً عن الصحة ولما كان النصح من واجبات الانسانية رأيت ان امحضهُ لاخواني المصريين مجاناً وتطفلاً راجياً نشر ذلك في مقتطفكم الباهر

«اني قدجلت في وادي النيل حتى الشلال

وسبرت احوال زراعتهِ لشغفي بالزراعة فظهر لي ان اكثر اعتماد اهلهِ على زراعة القصب والقطن كما قال جنابهُ . وقيل لي ان غلة الفدان من القطن تبلغ من ١٠ الى ١٥ جنيهاً ومن القصب من ١٥ الى ٢٠ وهي غلة لا يحلم بها اصحاب الاراضي في لبنان وسورية فيما عدا الجنائن ولو كان ينجح القطن والقصب فيها نجاحهُ في القطر المصري لقلعوا التوت واستعاضوا عنهُ بهما . اما حقيقة ايراد فدان التوت في لبنان وسورية فمن ٧٥٠ غرشاً الى ٨٠٠ يأخذ الشريك ثلثها وفي بعض الاماكن ربعها فيبقى لصاحبهِ الثلثان اي نحو خمسمائة غرش تقريباً (اي نحو ٣٥٠ غرشاً مصرياً) وبيان ذلك ان فدان التوت يربي نحو ٢٥ درهماً من البزر لا ٧٠ كما قال حضرتهُ وغلة الدرهم نحو اقتين لا اربع اقات فمتوسط غلة الفدان نحو خمسين اقة ثمن الاقة من فرنكين ونصف الى ثلاثة فرنكات فتكون النتيجة كما ذكرنا هذا في اراضي السقي اما في البعل فالفدان لا يربي اكثر من ١٣ درهماً فيكون متوسط غلتهِ نصف غلة السقي . اما الجزة والتشارين فعها للشريك لا شيء منها لصاحب الارض

« نقول ذلك على مسمع من عموم السوريين واللبنانيين فعلى المصريين ان يبقوا على زراعة القطن والقصب وخصوصاً بعد ما انشئت للقصب المعامل الكثيرة المنتشرة في الوجه القبلي وان يهتموا بتوسيع نطاق زراعة الجناين للبرتقال والموز واليوسف افندي مما ينجح في القطر المصري ويأتي بغلات وافرة . ونقول بالاختصار ان بلاداً ينجح فيها القطن والقصب نجاحهُ في وادي النيل تخطئ اذا حاولت استبدالها بالتوت وما شاكلهُ »

هذا وقد بالغ حضرة الكاتب في تقليل غلة التوت فانهُ لا يندر ان يحصل من درهم البزر اربع اقات من الشرانق الى خمس وان تباع الاقة بثلاثة فرنكات الى اربعة وان يبلغ ريع ما مساحتهُ فدان مصري من الارض المزروعة توتاً اربع مئة فرنك الى خمس مئة من الحرير حتى لقد يبلغ ثمن فدان التوت الف فرنك ويمكن ان يستفاد من ارض التوت بزرع الخضر في بعضها . ومن ورق التوت وقضبانهِ فائدة لا يستخفُّ بها ولكن الصعوبة الكبرى في وجود فلاحين نظاف الثياب والابدان يقومون على تربية دود الحرير مدة شهرين فقط من السنة يخدمونهُ فيها نهاراً وليلاً ويدبَّر لهم عمل آخر في بقية شهور السنة

(٦) بيض ذبابة

سمنود . احمد افندي الالفي . مفتش زراعات صالح ثابت باشا

عثرت على لُطع تنقف منها ديدان بيضاء وقد ارسلت منها عينة لجنابكم (بعضها ناقف وبعضها لم ينقف) بطريق

البريد اليوم فالامل لحصها والتفضل بنشر معلوماتكم عنها

ج · هي بيض ذبابة عضوض من الفصيلة المعروفة باسم Tabianidae تسطو على الخيل فتمص دمها ولا ضرر منها بالزراعة مطلقاً

(٧) الاعتقاد بتجلي الارواح

اسيوط · ثابت افندي جرجس بشاي · ما رأيكم في اقتناع بعض كبار العلماء مثل السر اوليفر لدج والسر وليم كروكس بالارواح وانتظامهم في سلك اصحابها · ألا يمكن القول بان هؤلاء العلماء شاهدوا من ظواهر المشعوذين ما لم يستطعوا تعليله فذهبوا الى الاغراق في الممكنات العقلية فسلموا بالارواح

ج · ذلك محتمل · وقد شاهدوا ايضاً اعمالاً اخرى من اناس غير مشعوذين ولا خادعين بل مخدوعين فاعتقدوا صحة ما شاهدوه · وتوهموا هم اموراً لا حقيقة لها في الخارج فحسبوا انها امور حقيقية · وهنا اساس الفرق بينهم وبين غيرهم من الذين لا يصدقون بهذه الاوهام فان الذين لا يصدقون بها يحكّونها كما يحك الصائغ الذهب او يقابلونها بغيرها فيعرفون حقيقتها اما السر اوليفر لدج واضرابهُ فقوة هذا التمييز او البداهة ضعيفة فيهم فيصدقون ما يرى غيرهم عدم صدقهِ · مثال ذلك ان يكون في بيت جماعة من الناس فيأتيهم رجل محتال ويخبرهم خبراً كاذباً فيصدقهُ بعضهم ولا يصدقهُ البعض الآخر بداهة فيهم او باختبار سابق يستدلون منهُ على ان هذا الرجل كاذب · ومثالهُ ايضاً ان النائم والسكران والمصاب بالبحران يرون اشباحاً لا حقيقة لها فيصدقون بوجودها لضعف قوة الحكم او التمييز فيهم حينئذٍ واذا استيقظوا من نومهم او صحوا من سكرهم علموا ان ما كانوا يرونهُ لا حقيقة لهُ · والظاهر ان هذه القوة ضعيفة في السر اوليفر لدج واضرابهِ كما هي ضعيفة في كثيرين من العلماء والفضلاء والقديسين حتى يسهل على كل احد ان يخدعهم وهم يخدعون انفسهم · ونحن نعرف المرحوم المستر ستد وقد وجدناهُ من اذكى الناس واوسعهم اختباراً ولكنهُ يكاد يصدق كل شيء · وكان بين اساتذتنا رجل من اذكى الناس في العلوم الرياضية ومع ذلك كان من ابسط الناس وكان ابسط التلامذة يغشهُ ويخدعهُ ويدعهُ يصدق كل شيء

(٨) اتنكر اوربا ديونها

ومنهُ · ألا يمكن ان تنكر اوربا ديونها الاهلية بعد هذه الحرب

ج · نظن انكم تريدون بالديون الاهلية ديون الحكومات الاوربية فان كان الامر كذلك فاصحاب هذه الديون هم من رجال الحكومة واغنياء البلاد واصحاب السطوة والجاه فيها · فانكار الديون خسارة عليهم

ولا يتعمّد الانسان الخسارة لنفسهِ عفواً بارادتهِ

(٩) اعتراض الولايات المتحدة

ومنهُ . هل للولايات المتحدة حق الاعتراض على المانيا بسبب اغراقها السفن التجارية الانكليزية بدون فحص وتفتيش

ج . اذا كان اغراق السفن التجارية ممنوعاً حسب معاهدة الهاي التي وقّعتها اميركا كما وقعتها سائر الدول فتوقيعها لها مع غيرها من الدول يكسبها حق المطالبة بالعمل بتلك المعاهدة والاعتراض على مَن ينقضها

(١٠) ارجوزة ابن سينا

ومنهُ . هل نشرتم ارجوزة ابن سينا الطبيّة في ما مضى من مجلدات المقتطف واذا لم يكن فهل لكم ان تنشروها في العدد القادم

ج . الارجوزة طويلة جدًّا وهي مغلقة على نوع ما لا تفهم جيداً من غير شرح وعندنا نسخة منها مشروحة شرحاً حسناً لكنها هي وشرحها اوسع من ان يحتملها المقتطف

(١١) التنويم المغنطيسي

الاسكندرية . احد القراء . لماذا تقولون انهُ لا يجوز استعمال التنويم المغنطيسي لغير الاطباء مع انني اراهُ سهلاً وليس منهُ خطر البتة ما دامت طرق الايقاظ معلومة وما دام المنوّم شريف القصد

ج . لان النوم المغنطيسي يؤثّر في الجسم تأثيراً شديداً كما تؤثّر فيهِ بعض العقاقير الطبية كالمورفين مثلاً فكما يجوز للطبيب ان يداوي بالمورفين في بعض الاحوال المرضية ولا يجوز ذلك لغيره ولو كان الحقن بالمورفين امراً سهلاً كذلك يجوز للطبيب في بعض الاحوال المرضية ان يعالج بالتنويم ولكن لا يجوز لكل احد ان ينوم ايًّا كان اذا استطاع تنويمهُ لان التنويم قد يضرُّ المنوَّم ضرراً شديداً اذا تكرَّر

(١٢) النوم من النظر الى شيء براق

ومنهُ . يقال انهُ يمكن تنويم الانسان اذا وضع امامهُ شيء لامع برَّاق نظر اليهِ مدة طويلة فهل يوجد جهاز مخصوص من هذا النوع يستعمل في التنويم

ج . لا نظن انهُ يوجد جهاز مخصوص لذلك ولا ينام كذلك الاَّ الذين اعتادوا النوم المغنطيسي والغالب حينئذٍ ان النظر الى ملعقة لامعة من الفضة يكفي لتنويم من اعتاد النوم المغنطيسي وهذا الحد من شدَّة الشعور مرض عصبي لا يجوز احداثهُ في احد . ونصيحتنا لكم ولغيركم ان لا تستعملوا التنويم المغنطيسي مطلقاً لان استعمالهُ يضرُّ حتماً ولا ينفع الاَّ اذا استعملهُ طبيب ماهر في استعمالهِ علاجاً في بعض الامراض العصبية او رادعاً عن بعض العادات الرديئة

باب الاخبار العلمية

نشان المباحث الشرقية

اعطت الجمعية الملكية الاسيوية في انكلترا النشان الذهبي الذي تمنحهُ كل ثلاث سنوات للمتفوقين في المباحث الشرقية على اختلاف موضوعاتها لمسز جبسن ومسز لويس المعروفتين في هذا القطر بمباحثهما عن الآثار القديمة العربية والقبطية

جائزة اوسيرس

هي الجائزة التي يمنحها الانستتو الفرنسوي كل ثلاث سنوات للمتفوق في التأليف او الاختراع او الاكتشاف في خلال تلك المدة وقدرها اربعة آلاف بنتو وهي لا تمنح الأ للفرنسويين · وقد نالها في ٢ يونيو الماضي ثلاثة معاً وهم الاستاذان ويدال وشانتمس والدكتور فنسان من جامعة باريس لتحسين المصل الواقي من الحمى التيفويدية · وقد قرر المجمع المذكور ان يعطي جائزة خاصة للسر المروث ريط مكتشف ذلك المصل

مدالية فرنكلين الاميركية

منح مجمع فرنكلين العلمي في ولاية بنسلفانيا مداليتهُ المعروفة باسم مدالية فرنكلن للاستاذ اونس وللمستر اديصون · اما الاول فاعترافاً باكتشافاتهِ العلمية الكثيرة في العلوم الطبيعة وخصوصاً في التبريد · واما الثاني فاعترافاً بقيمة مخترعاتهِ ومكتشفاتهِ الصناعية الكثيرة ولاسيما ما اختص منها بنفع الناس ورفاههم ووسائل تسليتهم · والمعروف ان المستر اديصون هو مخترع الفونغراف او الجراموفون والسينماتوغراف وهما في الشرق احسن اسباب التسلية فوق اختراعهِ للتليفون وللانارة بالكهربائية

الاستاذ اليوت سميث واصل المصريين

خطب الاستاذ اليوت سميث استاذ التشريح في مدرسة قصر العيني سابقاً وفي جامعة منشستر الآن خطبة في تأثير اختلاط الاجناس المختلفة في مصر فبسط الكلام على الخصائص والمميزات التي كانت تميز المصريين القدماء عما سواهم في تركيب ابدانهم وفي حضارتهم وبحث في العوامل التي تميز مدنيتهم الخاصة بهم · ووصف الغرباء الذي دخلوا وادي النيل من حدّهِ الشمالي (بحر الروم) وحدهِ الجنوبي (السودان) واثرهم في ملامح

المصريين واخلاقهم وعلاقة ذلك بتاريخ مصر واعمال اهلها · ومما قالهُ في خطبتهِ ان ما كسبهُ المصريون من الامتزاج بالشعوب الشمالية المعروفة بالهمة والاقدام خسروهُ بالامتزاج بالقبائل السودانية · وقد كان لتقلب السعود والنحوس على مصر في تاريخها الطويل علاقة شديدة بتغلب هذا العامل او ذاك من العوامل المتضاربة المتسلطة عليها

زلزلة شديدة

دلّت آلة مقياس الزلازل في احد مراصد سكوتلندا على حدوث زلزلة شديدة صباح السادس من يونيو الماضي في مكان ظهر بالحساب انهُ في الدرجة ١٠ من العرض الجنوبي والدرجة ٦٠ من الطول الغربي اي في برازيل

السراب

انتدب وفد علمي اميركي في صيف سنة ١٩١٣ برآسة المستر مكملان من اساتذة جامعة هارفرد لاكتشاف ارض قال الاميرال بيري مكتشف القطب الشمالي انهُ رآها الى الشمال الغربي من ارض جرانت في جزيرة غرينلندا سنة ١٩٠٦ · وبعد وصول الوفد الى تلك الاصقاع وتنقيبهِ فيها مدة طويلة عن الارض المزعومة ارسل رئيسهُ تلغرافاً طويلاً الى احدى صحف اميركا ام ما جاء فيهِ قولهُ ان الارض رئيت في الجهة التي عينها بيري ولكنها اختفت بدنوّ رجال الوفد منها · وعليهِ استنتجوا ان ما رأوهُ لم يكن الأ سراباً خادعاً

ومن اغرب مظاهر السراب ما رآهُ بعض رجال الحملة الانكليزية في العراق نتقلهُ عن الجزء السادس من « تاريخ الحرب العظمى » · فقد جاء فيهِ ما يأتي :

« ولم يكن الأ القليل حتى كفت البطريات عن اطلاق مدافعها لسبب غريب · ذلك ان العثمانيين كانوا قد غابوا عن الابصار وسط سراب · فكان يخيل الى رجال المدافع انهم يرون اشجاراً وماء حيث لم يكن قبيل ذلك سوى مهل اجرد يتقهقر العثمانيون فيهِ · وكل سائح في تلك الارجاء يعلم بصيص السراب وخداعهُ للعين — يسترعنها المناظر الحقيقية ويستبدلبها مناظر وهمية · واغرب ما في الامر ان الرقباء في السفن لم يروا سراباً على الاطلاق بل رأوا الاشباح على حقيقتها فلذلك ادهشهم كفّ المدافع عن ضرب المنهزمين ولا سيما انهم كانوا يرونهم من سفنهم »

جرذان شاه دولة

في بنجاب من ولايات الهند مزار لولي اسمهُ شاه دولة يتصل بهِ بناء يقيم فيهِ جماعة من البله المجاذيب لهم رؤُوس مستطيلة سمّوا لاجلها جرذان شاه دولة · وقد حار العلماء

في سبب استطالة رؤُوسهم وتساءلوا هل هو وراثي او اصطناعي . والظاهر ان عالمًا انكليزيًا درس هذا الموضوع حق الدرس فنشر مقالة في مجلة الانسان قال فيها يصف اولئك البله انهم ودعاء لينو العريكة لهم غرائز كالحيوانات اما عقولهم فلم ترتقِ البتة . واستدل من ابحاثهِ ان استطالة رؤُوسهم صناعية لا وراثية فان بعض الامهات يضغطن رؤُوس اطفالهنَّ حتى تصبح مستطيلة فيجعلنهم وقفًا على خدمة ذلك الوليّ حاسبات انهُ انقذهنَّ من العقم . وقال ان هذه العادة في شمال الهند اكثر شيوعًا مما يظن في الخارج

اكتشاف طائر مفقود

كان في استراليا طائر اسمر الصدر ابيض الوجه اسمهُ العلمي «افيلوسيفالابكتوراليس» وصفهُ بعضهم سنة ١٨٧١ بناء على طائر واحد منهُ كان عندهُ . ومنذ ذلك العهد ما زال الباحثون يبحثون عن طائر آخر منهُ فلم يجدِ تفتيشهم نفعًا حتى قصد رجل اسمهُ الكبتن هوايت جبال افرارد ومسجرايف في جنوب استراليا فوجد منهُ اسرابًا صغيرة فصاد بعض فراخهِ . وقد هنأَتهُ الصحف العلمية بهذا الاكتشاف

و يؤْخذ من وصفهِ لتلك الرحلة في نفر من اهل العلم انهم جازوا صحراء قاحلة على ظهور الجمال فذاقوا هم وجمالهم الاهوال من طول عهد القيظ بها . فقد مرَّت بها تسع سنوات لم ينتظمها المطر الاَّ لمامًا رذاذًا

حيوانات الفراء

كتب بعضهم كتابًا وصف فيهِ كثرة فتك الانسان بالحيوانات ذات الفراء في ولاية كليفورنيا الاميركية من بداءة الاستقلال الاميركي الى الآن حتى ابيد بعض اصنافها الكبيرة الفائدة وامسى بعضها على شفا الانقراض . ومما يدلّ على عظم فتك الانسان بتلك الحيوانات قصد الانتفاع بفرائها احصاء ما اصطيد منها سنة ١٩١٤ في اميركا الشمالية . فقد اصطيد من الجرذ المعروف بجرذ المسك ١٥ مليونًا ومن الابوسم نحو ٣ ملايين ومن عناق الارض او القفة نحو مليونين ونصف . ومن ابن عرس مليونان و ١٥٠ الفًا . ومن السنور البري نصف مليون هذا عدا ما قتل من الثعالب والذئاب والدباب وغيرها ما يبلغ مليونًا ونصف مليون

شتاء اوربا والحرب

انشأ احد اساتذة جامعة هارفرد الاميركية مقالة بالعنوان المتقدم قابل فيها بين الطقس في ميداني الحرب الشرقي والغربي مدة الشتاء فقال ان للميدانين مزايا وعيوبًا من الوجهة العسكرية فالحرارة في الغربي اعلى مما هي في

الشرقي ولذلك تغزر فيهِ الامطار وتكثر الوحول · والبرد في الشرقي اشد واكثر استمراراً فالطقس فيهِ اقل عرضة للتقلب · وقد عانى الجنود الاهوال من شدة البرد في الميدان الشرقي ثم اذا اعتدل الهواء جعل الثلج يذوب فتوقفت الحرب لتعذر اسباب النقل

اكرام عالم

منحت جمعية الفنون الملكية في انكلترا مدالية البرت هذه السنة للسر جوزف طمسن لما يبذل من الجهد في خدمة الطبيعة والكيمياء وتطبيقهما لفائدة الفنون والصناعة والتجارة

هبات اميركية

وقف احد اغنياء شيكاغو نصف تركتهِ للجامعة الشمالية الغربية فيها ويقدر نصف التركة باكثر من مليون ريال

ووهب رجلان مجهولان الواحد ١٥٠ الف ريال والآخر ١٠٠ الف ريال لمعهد من معاهد ماستشوستس

ووهب آخر ٣٠ الف ريال لجامعة دلهوسي في هليفاكس ووعد بمضاعفة هذه الهبة قريباً

هبة انكليزية

وهب المستر ولز واخوهُ ١٨٠ الف جنيه لجامعة بريستول تنفقها على بناء ابنية جديدة تضاف اليها · ثم وجدا ان ذلك المبلغ نقص ٤٠ الف جنيه عما يلزم لبناء تلك الابنية فسدَّا ذلك النقص

قمر تاسع للمشتري

ذكرنا فيما مرَّ ان المستر ست اكتشف في يوليو الماضي قمراً تاسعاً للمشتري · وقد فصَّل اخيراً كيفية اكتشافهِ اياهُ فقال انهُ عرَّض في ٢٢ يوليو سنة ١٩١٤ لوحاً حسَّاساً للقمر الثامن قصد تصويرهِ في مرصد لك الاميركي واتفق ان القمر التاسع كان في جوار الثامن يسير بسرعتهِ تقريباً بين النجوم · فلما رفع اللوح اذا بصورة القمر الثامن واضحة الحدود والى جانبها بقعة اخرى مستديرة ضعيفة الاثر · فاراد ان يتحقق صحة اكتشافهِ وان ذلك الاثر الضئيل ليس نتيجة خلل في لوح التصوير فعرَّض اللوح لاشعة القمر بضع ليالي ثم قاس ميلهُ وبعدهُ عن المشتري وسنتهُ وفلكهُ فوجد ان سنتهُ ثلاث سنوات و١٢٥ يوماً من وقتنا اي انهُ يتم دورتهُ حول المشتري في تلك المدة · وان دورتهُ تقهقرية كدورة القمر الثامن · وان اقصى بعدهِ عن المشتري ٢٣ مليون ميل واقلهُ ١٤ مليوناً

على ان مكتشفهُ عاد فصحح قياس فلكهِ فقال انهُ يتمّ دورتهُ حول المشتري في سنتين وشهرين لا كما قاس قبلاً · والمرجح ان اصل القمرين الثامن والتاسع واحد وانهما توأمان

او زوجان متصلان كالسادس والسابع

آلة لتبريد الهواء

اخترع رجل الماني اميركي آلة لتبريد الهواء وسجلها في دائرة التسجيل بولاية ايوى· وهي غاية في بساطتها فانها مؤلفة من قائمة بوضع عليها لوح من الثلج و بجانبها مروحة كهربائية تدفع الهواء على اللوح فيبرد ثم يندفع الى ما حولهُ فيبردهُ

فلكيو الالمان في البلجيك

لما دخل الالمان البلجيك في اغسطس الماضي جعلوا المرصد الملكي في « اوكل » مرصداً المانيًّا فاحتلهُ اربعة من علماء الاحداث الجوية منهم استخدموهُ لحاجة الحرب اذ اتخذوهُ مكاناً لقياس الظواهر الجوية شبيهاً بالاماكن التي اقاموها في لياج ونامور وعلى الساحل· وما كادوا يحتلونهُ حتى شرعوا في اخذ الارصاد لمعرفة اتجاه التيارات الهوائية في اعلى الجوّ واستعانوا بالبالونات على ذلك وارسلوا نتيجة ارصادهم الى المرصد الالماني في همبرج · وبقي في المرصد بعض الموظفين البلجيكيين فسمح لهم الالمان بالاستمرار على اعمالهم الفلكية

الري في اميركا

يصعب على اهل بلد كثير الانهار غزير الامطار ان يدركوا المصاعب التي يلقاها الفلاحون في بلد لم تخصهُ الطبيعة بتلك المواهب فان سهول الهند العظيمة ومعظم ارض مصر والسودان واثنتي عشرة ولاية من الولايات المتحدة الاميركية الغربية(وهي ثلث مساحة الولايات المتحدة كلها) كلها شواهد على البلاد التي يتعذر جعل تربتها خصبة صالحة للزراعة بلا مساعدة الصناعة · فقد انفقت الحكومة الاميركية حتى صيف سنة ١٩١٠ مبلغ ٦٠ مليون ريال على احياء ١٦ مليون فدان من الارض الموات وجعلها صالحة للزراعة

ثروة الانكليز

تقدر ثروة الانكليز اي ثمن كل ما في البلاد الانكليزية من اراض وبيوت ومعامل وسكك حديد وما اشبه وما لهم في البلدان الاجنبية من البنوك والمنشآت المختلفة واسهم الشركات بنحو ٢٠٠٠٠ مليون جنيه · ويقدر دخلهم السنوي بنحو ٢٣٠٠ الى ٢٤٠٠ مليون جنيه ونفقاتهم السنوية بنحو ٢٠٠٠ مليون جنيه فيزيد معهم كل سنة من دخلهم وريع اموالهم ٣٠٠ الى ٤٠٠ مليون جنيه · وسيبلغ ما ينفقونهُ على هذه الحرب ١٠٠٠ مليون جنيه كل سنة فاذا دامت سنتين استغرقت زيادة دخلهم على نفقاتهم فيهما واستنزفت من رأس مالهم ١٢٠٠ مليون جنيه · هذا اذا لم يقتصدوا في نفقاتهم ولكنهم اذا اقتصدوا ٣٠ في المئة من نفقاتهم فدخلهم السنوي يفي

بنفقاتهم ونفقات الحرب واذا استمروا على هذا الاقتصاد استطاعوا ان يداوموا الحرب الى ما شاء الله من غير ان يمس رأس مالهم ولكن الدخل من الصناعة والتجارة يقلان في زمن الحرب فلا بدّ اذاً من الرجوع الى رأس المال

سلاح الانسان والحيوان

لما شاع امر الغازات الخانقة التي استعملها الالمان في هذه الحرب كتب احد العلماء يبيّن ما بين الانسان والحيوان الاعجم من الشبه في استعمال بعض الاسلحة فالظربان من الحيوان لهُ غدتان عند مغرز ذنبهِ يخرج منها سائل خبيث الرائحة جدًّا تتبخَّر منهُ ابخرة سامَّة . وهو يعلم ذلك من نفسهِ فاذا دنا منهُ عدو وقف في مكانهِ ونفث هذا السائل من غدتيهِ فيهرب منهُ عدوهُ والاَّ مات اختناقاً من الابخرة السامة التي تنتشر من هذا السائل كما يختنق الجنود الآن من الابخرة السامَّة التي يطلقها عليهم الالمان واذا اصابت نقطة من السائل ثوب انسان ابقت فيهِ رائحة خبيثة جدًّا الى ان يبلى وقد عرف العرب ذلك كلهُ قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى « الظربان دويبة منتنة الريح وقد عرف ذلك من نفسهِ فجعل ذلك سلاحهُ»

وسم الافاعي يميت اذا لسعت انساناً ونفثت سمها في الجرح الذي تجرحهُ بهِ انيابها ولكن بعض الافاعي الافريقية لا تنتظر عدوها حتى يدنو منها او تدنو منهُ وتلسعهُ بل تنفث عليهِ سمها عن بُعْد فاذا اصاب عينيهِ اعماها او اوقع بهما التهاباً شديداً . وانواع مختلفة من الديدان والضفادع تنفث مواد سامّة او حرّيفة اذا لُمست او اذا رأت عدوًّا مهاجماً . فقد سبقت الانسان الى الحرب بالسوائل والغازات السامة

وقاية مباني البندقية

في مدينة البندقية من المباني القديمة ما هو من مفاخر اوربا كلها كالكنيسة الكبرى وقصر الدوجات . وفي هذه المباني من الصور والتحف ما لا يثمن بمال . وقد خاف الايطاليون من ان يلقي النمسويون والالمان القنابل عليها و يتلفوها كما اتلفوا مباني بلجكا وفرنسا وما فيها من الآثار فجعلوا يبنون حولها الصقائل من الخشب و يغطونها باكياس الرمل ولكن الذين يهدمون ما بناهُ الله لا يعسر عليهم ان يهدموا ما بناهُ الانسان

حوادث العمال

وقوع المصائب فرادى وفي ازمنة مختلفة يخفف وقعها في النفوس كثيراً . ففي القاهرة يموت كل يوم ٧٠ نفساً على التقريب او نحو ٢٨٠٠٠ في السنة فلو ان هؤلاء السبعة والعشرين الفاً ماتوا في يوم واحد لباتت القاهرة ساحة للمناحات ولضاق الاحياء ذرعاً في دفن موتاهم .

قرأنا في بعض الاحصاءات ان عدد العمال الاميركيين الذين يقتلون كل سنة بالفواجئ المختلفة يبلغ ٣٥ الفاً وان الذين يصابون ولا يقتلون يبلغ عددهم مليوناً وربع مليون. وجاء في احصاء آخر ان عدد العمال الذين يقتلون من كل سن يبلغ ٧٥ الفاً وعدد الذين يصابون ولا يقتلون ثلاثة ملايين . ومع ذلك كلهِ لا يشعر الاميركيون بهذه الحوادث لانها موزعة على ايام السنة كلها . فلو حدثت زلزلة في بعض بقاع المعمورة وقتل بها نصف ذلك العدد لقال الناس يا للكارثة

ومما جاء في الاحصاءات المشار اليها ان معظم الحوادث يقع يوم الاثنين من ايام الاسبوع . وكان يقال ان الحوادث ناشئة عن التعب فلو صح ذلك لوجب ان يكون يوم الاثنين اقل الايام حوادث لانهُ واقع بعد يوم الاحد الذي يستريح فيهِ العمال من اعمالهم . وقد قالوا في تعليل ذلك ان العمال يشربون من المسكر يوم الاحد اكثر مما يشربون في سائر الايام . والمسكر يضعف الاعصاب فاذا جاء يوم الاثنين كانت الاعصاب لا تزال ضعيفة وكان صاحبها اكثر عرضة للحوادث ولعلَّ السبب الاكبر ان الذين يسكرون يوم الاحد لا يحسنون ضبط الآلات يوم الاثنين فتكثر الحوادث بسبب ذلك

والحوادث اكثر وقوعاً نحو الساعة ١٠ صباحاً والساعة ٣ مساء . وهذا يفسد قول القائل ان التعب سببها لان العمال يكونون في ذلك الوقت اقل تعباً منهم في سواهُ . ولو صح ان التعب سببها لوجب ان يكثر وقوعها بعد الساعة ١١ صباحاً والساعة ٥ مساء . ومن رأي البعض ان كثرة الحوادث تنجم عن الاسراع في العمل . فان العامل يبدأ العمل صباحاً ببطء ثم يأخذ يسرع فيهِ حتى تبلغ السرعة معظمها نحو الساعة العاشرة صباحاً . وهذا هو الحال بعد الظهر ايضاً . فان العامل يشعر بكسل وارتخاء بعد تناول غدائهِ ولكنهُ لا يلبث ان يشتد فاذا جاءت الساعة الثالثة بلغ اسراعهُ في العمل اقصاهُ فيبيت اذ ذاك اكثر تعرضاً للحوادث

سياحة في اسيا الوسطى

كان العالم السر اورل ستاين قد قصد اواسط اسيا للاكتشاف فبعث بنتيجة ابحاثهِ بين شهري ابريل ونوفمبر من السنة الماضية الى الجمعية الجغرافية الملكية . وقد جاء فيها انهُ سافر هو ورفاقهُ من طانهوانغ في ابريل بعد زيارة هياكل البوذيين قربها وسار حذاء السور الصيني مسافة ٢٥٠ ميلاً فوجد انهُ مبني هناك من حزم القصب على شكل يقيهِ فعل رمال الصحراء فيهِ . وقد فحص خرائب مدينة خارخوتو فاتضح لهُ انها هي مدينة اتزينا التي ذكرها السائح ماركو بولو في اسفارهِ

مدالية برنارد

هي مدالية تمنحها جامعة كولمبيا الاميركية كل خمس سنوات بطلب مجمع العلوم الوطني «للرجل الذي اكتشف في تلك المدة اكتشافًا طبيعيًّا او فلكيًّا او طبَّق العلم على العمل تطبيقًا نافعًا للناس يستأهل صاحبهُ ذلك الشرف في نظر مجمع العلوم» . وستمنح هذه المدالية هذه السنة للمستر وليم براج استاذ الطبيعة في جامعة ليدس الانكليزية ولابنهِ من اساتذة جامعة كمبردج وذلك جزاء مباحثهما في تركيب دقائق الاجسام وخصوصاً فرع الاشعاع . وقد منحت هذه المدالية قبلاً للورد رايلي والاستاذ وليم رمزي سنة ١٨٩٥ والاستاذ رنتجن مكتشف الاشعة المعروفة باسمهِ سنة ١٩٠٠ . والاستاذ بكرل سنة ١٩٠٥ . والاستاذ رذرفورد سنة ١٩١٠

اشعة مجهولة

كان احد العلماء يعمل تجارب في تركيب كربيد الكلسيوم من تفاعل السناج ومزيج مركب من الكلسيوم والزنك . وكان يجلس وبين رجليهِ فرن محمّى الى درجة الحرارة الحمراء وفيهِ المزيج المذكور وهو يلقمهُ السناج شيئاً فشيئاً . فلم يشعر في اثناء العمل بشيء . ولكن ظهرت بعد ذلك حروق في رجليهِ دامت ملتهبة اربعة اشهر وهي تشبه الحروق الحادثة من اشعة رنتجن . ثم اعاد التجربة ووضع مكان رجليهِ هذه المرة لوحاً فوتوغرافياً وراء حجاب من الرصاص كثير الثقوب . فظهر على اللوح اثر الشعاع كالحادث من اشعة رنتجن واستبدل السناج في تجارب اخرى بفحم الكوك وفحم الحطب وغيرهما من اشكال الكربون الاخرى فلم يظهر اثر للاشعاع . ولم تعلل هذه الاشعة حتى الآن ولا عرف هل هي اشعة جديدة مجهولة ام اشعة قديمة معروفة وانما ظهرت على شكل آخر

تصوير داخل المعدة

صنعت آلات تصوير صغيرة جدًّا تُبتلع فتدخل المعدة ومعها مصباح كهربائي صغير ينير باطن المعدن فترتسم صورتهُ على لوح التصوير الذي في تلك الآلة

عظاية بذنبين

اذا قطع ذنب العظاية نما لها ذنب غيرهُ بعد بضعة اشهر و يتفق احياناً ان ينكسر ذنبها ولا ينفصل تماماً فينبت لها ذنب آخر يندغم بالاول فيصير لها ذنبان وقد وجدت عظاية من هذا النوع وذنباها تامان منتظمان

الخيام في الحرب الحاضرة

كانت الخيام من لوازم الحرب دائماً حتى

ان كلمة المخيم مرادفة لكلمة المعسكر ولكن الالمان لم يعدوا الخيام لجيوشهم الجرارة لأنهم عقدوا النية من قبل الحرب على ان ينازلوا اعداءهم في عقر دراهم فيجتاحوا بيوتهم و يبيتوا فيها او في الخنادق

حرب الغواصات

فعلت الغواصات الالمانية في هذه الحرب فعلاً ذريعاً فاق كل ما قدره لها الخبيرون اولاً ولكن يقال عن ثقة ان الانكليز اتلفوا منها اكثر من اثنتي عشرة غواصة حتى الآن. وقد استنبطوا لاصطيادها شباكاً من الحديد كالشباك التي يصاد بها السمك فتلقى هذه الشباك في البحر وتربط باجسام خفيفة تبقى طافية على وجه الماء واذا كانت الغواصة سائرة كلها تحت وجه الماء فانها لا ترى شيئاً فتعلق بالشبكة وتشتبك بها و يعلم ذلك من حركة الاجسام الطافية على وجه الماء فإما ان تغرق او تحاول الافلات من الشبكة فتدري بها البوارج المراقبة لها وتغرقها

مدافع الايطاليين الكبيرة

لقد كان ما فعله الالمان بحصون لياج ونامور وموبج بمدافعهم الكبيرة معلماً للايطاليين فسبكوا مدافع كبيرة مثلها وهم يهدمون بها الآن حصون النمسويين المنيعة

ناب عجل البحر

عرض السر ادمond لودر على الجمعية الزولوجية في لندن جمجمة عجل بحر من المسمى « ولرس » جاء بها من كمشتكا وثقل نابيها ٢١ ½ رطل وطولها ٣٦ ½ بوصة وهما اكبر ما عرف من نوعها حتى الآن

كسوف الشمس

تكسف الشمس كسوفاً حلقياً في ١٠ اغسطس الجاري فيبدأ الكسوف الساعة ٨ والدقيقة ٥٩ بوقت جرينتش عند درجة ١٢٩ والدقيقة ٢٦ من الطول الشرقي والدرجة ٢٣ من العرض الشمالي اي على بعد ٦٠٠ ميل من جزيرة فرموزا شرقاً. ولا يرى هذا الكسوف الأ في بعض جزر الباسيفيكي وفي غينيا الجديدة وكوريا وسيبيريا

المدفع الالماني والمدفع الفرنسوي

شرح المسيو ارنو الفرنسوي امام جمعية المهندسين الملكيين الفرنسوية سبب الموت من انفجار قنابل المدفع الفرنسوي ٧٥ وغيرها من القنابل المنفجرة وانفجار قنابل المدافع الالمانية . ومما قاله ان بارومتراً من نوع الانيرويد كان معلقاً في غرفة قريبة من مكان انفجرت فيه قنبلة المانية فتعطل واستدل منه ان الانفجار احدث

على بعد ثلاثة امتار او اقل منهُ هبوطاً فجائياً في ضغط الهواء مقدارهُ ٣٥٠ مليمتراً وهذا التغيير الفجائي في ضغط الهواء يفضي الى موت الجنود القريبين من مكانهِ من غير ان يخدشوا او يجرحوا . وقد علل ذلك بان الهواء والحامض الكربونيك الموجودين في الدم يفلتان بشكل فقاقيع غاز صغيرة حالما يقل الضغط فجأة لاي سبب من الاسباب . وهذه الفقاقيع تدفع الى الشرايين الصغرى بفعل القلب . فاذا كان قطرها اطول من قطر الشرايين تجمعت واوقفت الدورة الدموية فيها فيحدث الموت قبلما يكون هناك وقت لانحلالها في الدم عند رجوع الضغط الطبيعي . اما دائرة فتك القنابل المعروفة باسم «الشديدة الانفجار» فاصغر من دائرة القنابل الرشاشة المعروفة باسم شرابنل ولكن الاولى اعظم فتكاً من الثانية اذ لا يبقى حيٌّ في دائرتها عند انفجارها . اما الشرابنل فانما تقتل من تصيبهُ هي او شظية من شظاياها

حاسة الشم في الحشرات

لا ريب ان حاسة الشم في بعض الحشرات قوية ولكن اختلف في مركزها . وجمهور علماء الحيوان على ان مركزها في قرونها . يؤيد هذا الرأي ان الهوام والحشرات التي قطعت قرونها تشمّ قليلاً او لا تشم البتة . ويقول احد علماء الحيوان الاميركيين ان حاسة الشم في النحل والنمل وغيرها ، موجودة في ثقوب عديدة على قواعد الاجنحة والارجل والحمات واجزاء الفم

حقوق العلم على رجال الحرب

كتب الاستاذ فريزرهرس الى مجلة ناتشر يقول انهُ لما وصل نبوليون بونابرت الى مدينة بافيا واستباحها امر ان لا تمس مدرستها الجامعة بسوء اكراماً للعالم سبلنزاني الذي كان من اساتذتها . فما ابعد الشبه بينهُ وبين امبراطور الالمان الذي خرَّب جامعة لوفان وهي مهد فان هلمنت ابي الكيمياء وفساليوس ابي التشريح وشوان مبدع الرأي الخلوي في الطب

النحاس والحرب

يستخرج من النحاس كل سنة نحو مليون طن والولايات المتحدة تستخرج ٥٥ في المئة منهُ وتتلوها اليابان فتستخرج ٧ في المئة . ثم اسبانيا فالبرتغال فالمكسيك فاستراليا فروسيا فشيلي كلٌّ يستخرج من خمسة في المئة الى اربعة في المئة ثم المانيا وهي تستخرج اثنين في المئة . وكل البلدان المشتبكة في هذه الحرب تستورد نحاسها من الولايات المتحدة ما عدا اليابان فان نحاسها يكفيها

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والاربعين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢١ شوال سنة ١٣٣٣

معادن السلاح والذخيرة

مقابلة بين ما عند الفريقين المتحاربين منها

المعادن اللازمة لصنع الميرة والذخيرة وفي جملتها القنابل والمدافع كثيرة وهي الحديد (ومنهُ يصنع الفولاذ) والمنغنيس والنكل والكروم والنحاس والالومنيوم والزنك والرصاص والقصدير . وفي بلاد الفريقين المتحاربين كثير او قليل منها . وقد اشتهر ان ما عند المانيا والنمسا من النحاس لا يكفيهما وان افتقارهما اليهِ قد يضطرهما الى بذل وسعهما في تقصير اجل الحرب لئلا تضطرا الى طلب الصلح قبل الاوان . وغرض هذه المقالة المقابلة بين ما عند الفريقين من المواد المذكورة

الحديد

اهم المواد اللازمة لعمل الميرة والذخيرة الحديد ومنهُ تصنع المدافع ودروع الحصون والبوارج والمقذوفات المعدة لخرق تلك الدروع والقنابل الشديدة الانفجار وغير ذلك . وعند الفريقين القدر الكافي من معدن الحديد ولكنهُ في المانيا والنمسا اوطأ نوعاً مما هو في بلاد الحلفاء . والمانيا وانكلترا تستوردان مقداراً كبيراً من الحديد الاسوجي الذي يصنع منهُ احسن انواع الفولاذ (الصلب) وانكلترا تستورد كثيراً منهُ من اسبانيا ايضاً

المنغنيس

يستعمل هذا المعدن في تحويل الحديد الى الفولاذ اللازم لصنع غلف القنابل الشديدة الانفجار والقنابل الرشاشة المسماة شرابنل . وروسيا اولى البلاد في استخراج هذا المعدن تليها الهند فالولايات المتحدة الاميركية . وقد استخرجن سنة ١٩١٣ نحو ٩٣ في المئة من مجموع المنغنيس الذي استخرج في تلك السنة . وفي هذه السنة عينها استوردت المانيا ٦٧٠ الف

طنٍ من ذلك المعدن من الخارج وخصوصاً روسيا . وبلغ مقدار ما استخرج منهُ من مناجمها ٩١ الف طن سنة ١٩١٢ ومن مناجم النمسا نحو ١٧ الف طن

على انهُ ليس ثمة سبب كافٍ يحمل على الجزم بان قطع جميع المصادر والموارد الخارجية عن المانيا والنمسا يعرقل حركاتهما كثيراً فان المانيا اصدرت ٠٠٠ ٣٠٠ ٤ طنٍ من مصنوعاتها الفولاذية سنة ١٩١٣ فيمكنها والحالة هذه استخدام ذلك لسدّ حاجاتها وحاجات حليفتيها النمسا وتركيا من الذخيرة اذا استطاعت الحصول على المنغنيس الكافي . ومعلوم ان هذا المعدن كثير الانتشار بين المعادن اذ يوجد ممزوجاً بكثير منها . ثم انهُ لا يبعد ان يهتدي علماء الالمان الى طريقة يغيرون بها كيفية صنع الفولاذ ليستغنوا عن انفاق مقادير كبيرة من المنغنيس على ذلك . كما انهُ لا يبعد ان تكون المانيا قد ادَّخرت قبل الحرب مقادير كافية منهُ او انها اكتشفت مادة اخرى تقوم مقامهُ

النكل

اما النكل فلا غنى عنهُ في عمل المدافع والدروع والقذائف المعدة لخرق الدروع والرصاص . ويشك في هل اكتشف الانسان مادة تحلّ محلهُ . فهو والحالة هذه من معادن السلاح الكبيرة الشان . وقد بلغ مقدار ما استخرج منهُ سنة ١٩١٢ في العالم كلهِ نحو ٢٦٥٠٠ طنٍ منها ٩٨٫٥ في المئة استخرجت من بلاد الحلفاء وخصوصاً كندا والباقي وقدرهُ ٤٠٠ طنٍ فقط استخرج من نروج . وقد تستعين المانيا بنكل نروج ولكنهُ لا يكفيها . فاذا لم تكن قد ذخرت منهُ قبل الحرب اضطرت ان تلجأ الى مناجمهِ في بلادها وهي قليلة لا يكاد ما تخرجهُ يذكر في جنب حاجتها منهُ

الكروم

ومثل النكل في اهميتهِ معدن الكروم فانهُ لازم لصنع الدروع والمقذوفات المعدة لخرقها . وهو يخرج من نيوكليدونيا من جزر الباسيفيك التابعة لانكلترا وردسيا في جنوب افريقية وروسيا . وكانت اليونان وبلاد الاناضول تستخرجان مقداراً كبيراً منهُ ولكنهُ قلَّ في السنين الاخيرة . والمرجح ان المانيا والنمسا تأخذان منهما ما تحتاجان اليهِ من هذا المعدن . واذا انضمت اليونان الى الحلفاء بقي الاناضول مفتوحاً في وجه المانيا والنمسا وفيهِ من الكروم ما يكفيهما

النحاس

ولنأتِ الآن الى النحاس الذي قامت حولهُ تلك الضجة الكبيرة وقيل ان ما عند المانيا

منهُ لا يكفيها ولا سبيل امامها الى الحصول على كفايتها منهُ ما دامت محصورة وطرق المواصلات بينها وبين الخارج مقطوعة فان لم تسلّم بسبب حاجتها الى الطعام سلّمت بسبب حاجتها الى النحاس

جميع القنابل من رشاشة وشديدة الانفجار وخارقات الدروع تمنطق بمنطقة من النحاس لمنع احتكاك القنبلة بجوانب المدفع ولمنع خروج الغازات منهُ قبل انطلاق القنبلة . وكانت العادة قبل الحرب ان يمزج النحاس بالزنك لان الزنك ارخص من النحاس . اما الآن وقد بات اغلى منهُ فليس في مزجهِ بهِ اقتصاد بل اسراف . ثم ان غلف الخراطيش وفتيل القنابل وكثيراً من متعلقات المدافع البرية والبحرية تصنع منهُ فضلاً عن انهُ لازم كل اللزوم لصنع البرونز وهذا لا غنى عنهُ في كثير من ادوات الحرب

ومتوسط ما يستخرج من النحاس سنويًّا في العالم كلهِ نحو مليون طن منها ٥٥ في المئة استخرجتهُ الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ . وتليها في الرتبة اليابان فانها استخرجت ٧,٣ في المئة ثم اسبانيا والبرتوغال والمكسيك واستراليا وتوابعها وروسيا وشيلي وقد استخرجت كل منها بين ٤ و٥ في المئة . ثم ايطاليا ١٦,٠ في المئة فانكلترا ٠٣,٠ في المئة . اما فرنسا فلم تستخرج شيئاً . واما المانيا فاستخرجت ٢,٥ في المئة والنمسا ٤,٠ في المئة . فجميع بلاد الحلفاء واعدائهم تجلب النحاس من اميركا لسد حاجتها الا اليابان . فقد جلبت المانيا منهُ ١٣٧ الف طن سنة ١٩١٣ . وفرنسا ٧١ الفاً . وايطاليا ١٨ الفاً . والنمسا ١٧ الفاً . وانكلترا ١٥ الفاً

ولا يزال الحلفاء يجلبون من اميركا ما يحتاجون اليهِ من النحاس ولكن يرجح ان المانيا والنمسا المحصورتين الآن جلبتا منهُ بواسطة المحايدين اكثر مما يظن ولوكان ذلك لا يكفيهما ولاسيما بعد انضمام ايطاليا الى الحلفاء . فقد قدر ما استهلكتهُ المانيا منهُ بمبلغ ٢٦٥ الف طن سنة ١٩١٣ والنمسا بمبلغ ٥٠ الفاً . وليس ثمة سبيل الى تقدير ما تستهلكان منهُ الآن هما وحليفتهما تركيا ولكن المؤكد انهُ انما يستعمل فيما لا يمكن الاستغناء عنهُ . والمرجح كل الترجيح ان المانيا خزنت منهُ مقادير كبيرة قبل الحرب . على ان شراءها اياهُ اخيراً باثمان باهظة يدل على مبلغ ما انفقتهُ منهُ وعلى ان ما في خزائنها منهُ قليل . وهناك امران لا نزاع فيهما الواحد ان جميع مناجم النحاس والمعامل في المانيا لا تنقطع الآن عن العمل البتة وتعمل باقصى قوتها . والثاني ان علماء المناجم والمعادن فيها نقبوا عن معدن تصنع منهُ مناطق القنابل بدل النحاس

الالومنيوم

ان حرب الهواء رفعت شأن الالومنيوم وسودتهُ على سائر المعادن ولكن نفعهُ غير محصور فيها · فانهُ كان قليل الاستعمال حتى اواخر القرن الماضي اذ اصبح من المعادن الرائجة الكثيرة الاستعمال في جميع مرافق الحياة· ومنذ ٣٠ سنة بلغ مجموع ما استخرج منهُ ٥٥٠٠ رطل فلم تأت سنة ١٩١٣ حتى قدر المستخرج منهُ بمبلغ ١٧٣ مليون رطل فلا يتقدمهُ في ذلك غير الحديد والرصاص والنحاس والزنك والقصدير· و يقول احد العلماء انهُ لا ينتصف هذا القرن حتى يصير ثاني النحاس بل يسبقهُ · فهو الآن ارخص من القصدير رطلاً لرطل ومن النحاس ايضاً سواء كان ذلك في اعتبار الحجم او قوة الايصال الكهربائية · وقد اخذت دائرة استعماله وتطبيقهِ على حاجات المعيشة تتسع اكثر من دائرة الرصاص او الزنك

ومن الالومنيوم تستخرج المادة المفرقعة المعروفة باسم « امونال » وهي مؤلفة من نترات الامونيوم والالومنيوم مقطعاً اجزاء صغيرة جداً وتستعمل لحشو القنابل بها مع غيرها · والنمسا تستعملها لحشو قنابل البطريات من طراز هوتزر · وقد استخرجت الولايات المتحدة وكندا سنة ١٩١٣ نصف الالومنيوم المستخرج في تلك السنة · والباقي استخرج من فرنسا وانكلترا وسويسرا على حدٍ سوى فالحلفاء احسن حالاً بالنظر الى هذا المعدن من الفريق الآخر · اما المانيا فتستمد بعض ما تحتاج اليهِ منهُ من سويسرا ومنذ بدأت الحرب شرعت في استخراجهِ من ارضها

الزنك (التوتيا)

بلغ ثمن الزنك بعد الحرب خمسة اضعاف ما كان قبلها وكان ثمنهُ قبلها ثلثي ثمن النحاس فبات بعدها اغلى منهُ رغم ارتفاع ثمن النحاس كما هو معلوم · وهو يستعمل ممزوجاً بالنحاس لعمل غلف الخراطيش وفتيل القنابل وتلبّس بهِ الاسلاك الشائكة المصنوعة من الحديد · وكانت الولايات المتحدة والمانيا والبلجيك اكثر البلاد استخراجاً لهُ سنة ١٩١٣ · وتستخرج فرنسا واسبانيا وانكلترا كميات كبيرة منهُ ولكنها لا تكفيهنَّ · ومناجمهُ كثيرة في سيليزيا الالمانية والمجر وكرنثيا والتيرول في النمسا · وكانت المانيا تأخذ حاجتها من الزنك تجارة قبل الحرب من مناجم استراليا فلما شهرت الحرب انقطع ذلك الوارد طبعاً · ولكن بعض البواخر بقيت تهربهُ فضبطت انكلترا ٨٠ الف طنٍ منهُ وهي ملقاة عرماً في ارضها لا تستطيع الانتفاع بهِ لان افرانها ليست ملائمة لصهرهِ وتمحيصهِ من الخَبَث فهي تستورد ما يلزمها من الولايات المتحدة

الرصاص

تستخرج المانيا والنمسا من الرصاص ما يكفيها ويزيد . اما الحلفاء فان استراليا اكثر بلادهم استخراجاً لهُ ولكن ما يستخرج منها لا يكفيهم فهم مضطرون لذلك ان يستوردوا الرصاص من الولايات المتحدة واسبانيا والمكسيك . اما الرصاص فيدخل في تركيب رصاص شرابنل ممزوجاً بالانتيمون وقد ارتفع سعر الانتيمون في هذه الحرب كالزنك تقريباً وان تكن قنابل شرابنل اقل نفعاً بكثير من قنابل المواد الشديدة الانفجار في الهجوم ومتوسط ما يستخرج من الانتيمون في السنة من الدنيا كلها ٢ الف طن ثلثاها تستخرجها الصين ومعظم الثلث الباقي فرنسا . وكانت المجر تستخرج قبل الحرب ٨٠ طن في السنة ولكنها تستطيع زيادة ذلك كثيراً حين الاقتضاء

القصدير

متوسط ما يستخرج من هذا المعدن من جميع بلاد الدنيا ٢٠ الف طن واول البلاد استخراجاً لهُ ولايات ملقا فانها تخرج نحو النصف ثم انكلترا فالمانيا فاستراليا فالصين .

***

وخلاصة ما تقدم ان المانيا وحلفاءها يخرجون ما يكفيهم من خمسة معادن لازمة لعمل السلاح والذخيرة وهي الحديد والمنغنيس والكروم والزنك والرصاص . ويشك في قدرتهم على اخراج ما يكفيهم من الخمسة الاخرى وهي النكل والنحاس والالومنيوم والقصدير والانتيمون . ولكن لما كانت المانيا قد اعدت لهذه الحرب عدتها من قبل يستنتج انها خزنت مقادير كبيرة من المعادن التي ليس منها في ارضها ما يكفيها . ومهما تكن ثقة القيادة الالمانية العليا بالنصر السريع عظيمة فلا ريب انها اتخذت الحيطة لحرب طويلة اذا اقتضى الامر ولا ريب ان ادخار المعادن التي تعوزها كان في جملة ما تحوطت لهُ . فليس والحالة هذه سبب مقبول يحمل على القول ان المانيا وحلفاءها تعوزهم المعادن اللازمة للحرب قريباً مهما تفاقم امر الحرب واتسعت دائرتها . ولا ريب ان علماء المعادن في المانيا يدأبون في التنقيب عن مواد تسد مسد المعادن التي يخشى نفادها في حرب طويلة

اما الحلفاء فيخرجون ما يحتاجون اليهِ من الحديد والمنغنيس والنكل والكروم والقصدير ومعظم حاجتهم من الالومنيوم . ولما كان زمام البحر في ايديهم فانهم يستطيعون جلب ما ينقصهم من الالومنيوم والنحاس والرصاص من الخارج وخصوصاً الولايات المتحدة . وما ينقصهم من الانتيمون من الصين . فلا يعوزهم الاَّ الزنك بالرغم مما تبذلهُ معامل اميركا من الجد والهمة في تمحيصهِ من معدنهِ قبل ارسالهِ الى انكلترا

مدفع سكودا النمسوي

خطب المستر بلفور وزير البحرية الانكليزية خطبة قال فيها ان حساب الالمان اخطأ في كل شيء ما عدا الذخيرة والمدافع . اما الذخيرة فقد دلّت المعارك التي حدثت حتى الآن على تفوقهم فيها تفوقاً عظيماً وهذا ما حدا بالحلفاء على بذل اقصى جهدهم في الاكثار منها بعد الذي عرف واشتهر ان الالمان لم يكسبوا معركة الأ بها

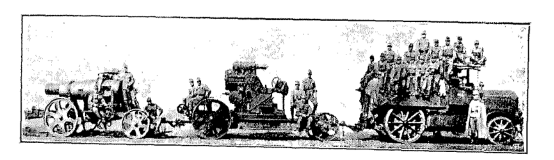
واما المدافع ولاسيما الضخمة منها فقد اخذ الالمان اعداءهم بها على غرة . وكانت اولى المفاجآت في لياج ثم نامور وموباج وجيفه وانفرس وبرزميسل . وكانت انفرس تحسب الثانية في مواقع الدنيا الحصينة فلم تثبت على مدافع الالمان سوى اسبوع . وقد اختلف في عيار المدفع الذي استخدموهُ لتهديم تلك الحصون فظنّ في بادىء الامر انهم استخدموا لذلك مدافع كروب التي من عيار ٤٢ سنتمتراً (١٦½ بوصة) وحدها دون غيرها . وقد جاء في الجزء الاول من تاريخ الحرب العظمى الذي ننشرهُ ما يأتي :

« وهذه المدافع ذات حجم كبير جدًّا وقد روت الصحف الالمانية ان معامل كروب صنعت سرًّا مدافع قطر فوهة الواحد منها ١٧ بوصة وان الجيش يستخدمها في الحرب الحاضرة ولا يعلم هل هذه الرواية صحيحة او غير صحيحة . وكلّ ما يعلم ان قطر القنبلة التي تقذفها المدافع قيس فوجد انهُ ١١ بوصة . فمدافع مثل هذه تستطيع ان تهدم حصوناً منيعة مثل حصون لياج بسهولة ولا تصلها مدافع الحصون »

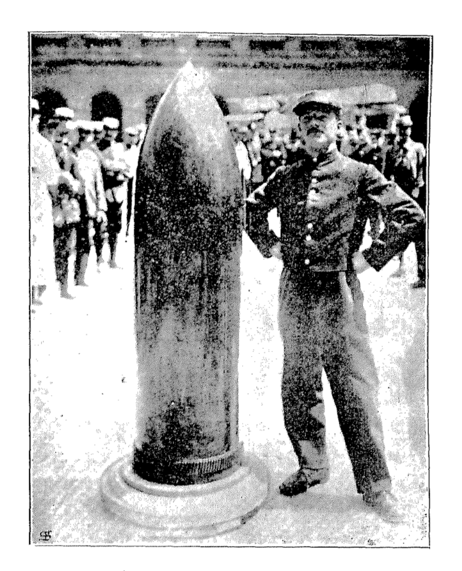
وقد قالت السينتفك اميركان ان هذه المدافع موجودة عند الالمان و يظهر انها استعملت في لياج وانفرس ولو لم يرَها احد . وانما سمعنا بمدفع واحد منها اسمهُ « برتا الكبيرة » . وقواعدها مركزة في السمنت المسلّح فلا يمكن فصلها عنهُ الأ بنسفهِ نسفاً وهذا يقلّل قيمتها الهجومية . وقد سبكت مدافع من عيارها في انكلترا ومصانع سكودا في النمسا للبوارج ولحصون السواحل . والجديد فيها هو تمكّن الالمان من نقلها من مكان الى مكان وشدة فتك قنابلها فانها لا تنفجر الأ بعد ما تخترق دروع الحصون . و يقال انهُ يقوم على خدمة كل واحد منها نحو مئتي جندي و يقتضي لتثبيتهِ في مكانهِ ست ساعات

على انهُ عرف الآن ان الالمان لم يقتصروا على مدافع كروب في تهديم الحصون المتقدم ذكرها بل استعانوا عليها بمدافع سكودا النمسوية من عيار ½ ٣٠ سنتيمتر (١٢ بوصة) .

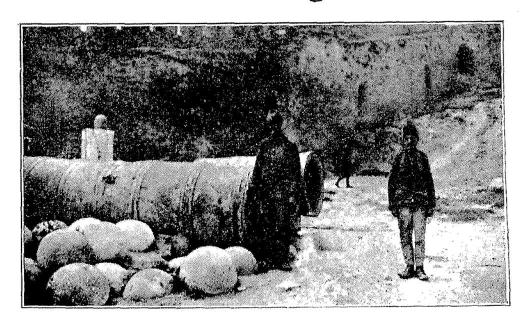
مدفع سكودا النمسوي والاساطين التي حولهُ فيها المواسك التي ترجعهُ الى وضعهُ الاول بعد ارتداده



مدفع سكودا ولوازمهُ من الرجال والذخيرة في اوتوموبيل يجرها ويجرهُ



قنبلة من قنابل المدفع الالماني الذي قطر فوهتهُ $\frac{1}{2}$ ١٦ بوصة



مدفع عثماني قديم في كليد البحر قطر فوهتهِ ٢٩ بوصة ومعهُ قنابل الحجر التي كانت تطلق بهِ

وقد فعلت هذه المدافع بتلك الحصون ما لم تفعلهُ المدافع الروسية والفرنسوية واليابانية مجتمعة بحصون برزميسل . وكانت تصب اهدافها على غاية الاحكام والدقة حتى ان بعضها خرق درع مدفع في احد حصون انفرس عن بعد ١٢ كيلو متراً ولم يكن رجالهُ يرون الحصن بل استدلوا على مركزهِ من خريطة كانت بين ايديهم . وقد اهدى امبراطور المانيا هذه الدرع وجزءا من القنبلة فيها الى متحف الجيش النمسوي في فينا

وقد صنعت معامل سكودا اول مدفع من مدافعها هذه سنة ١٩١٠ واختبرتهُ لاول مرة في ميدان التجربة نجاءَ وافياً بالمرام . وهو يطلق قنبلة ثقلها ٨٦٠ رطلاً بسرعة ١١١٥ قدماً في الثانية او ما يقارب سرعة الصوت في الهواء . واذا اطلق قنبلتهُ ارتدَّ الى الوراء ثم عاد الى مركزهِ الاول بضغط الهواء . وتقاوم ارتدادهُ مواسك (فرملات) مائية فوق المدفع ثم يعود الى مكانهِ الاصلي بواسطة مكبس هوائي تحتهُ . ومعظم مداهُ الافقي ١٢ كيلو متراً

وقد اطلق بعض هذه المدافع ٤٠٠ مرة في الحرب الحاضرة ولا يزال يصلح للعمل . وفي معامل سكودا مدفع للتجربة اطلق ٦٠٠ مرة فلم يختل مرماهُ اختلالاً يشعر بهِ اما قنبلتهُ فتملأ مادة سريعة الانفجار وفيها جهاز يمنع الكبسولة من الانطلاق قبلما تغرز القنبلة وتمعن في الهدف الذي تصيبهُ . ويحمل المدفع على ثلاثة موطرات واحد يحمل المدفع نفسهُ وثانٍ يحمل قاعدتهُ وثالث يحمل الاساس الذي يركزان عليهِ . واعظم سرعة تسير الموطرات بها ٢٠ كيلو متراً في الساعة

ويتم تركيب المدفع وتركيزهُ في مكانهِ عادة في ٤٠ دقيقة ويمكن اتمام ذلك في ٢٤ دقيقة اذا اقتضى الامر كذلك يمكن اطلاق طلقة واحدة منهُ كل دقيقة

وقد استعمل في الميدان نجاء بنتائج غريبة . ففي بولندا فتكت قنبلة منهُ ببطرية كاملة وبعدد كبير من المشاة . والذين لم يقتلوا بشظايا القنبلة قتلوا بشدة ضغط الهواء وبالاختناق بالغازات الخانقة المتصاعدة عن انفجار القنبلة وذلك في دائرة قطرها ٣٠٠ متر حول محل سقوطها . واستخدم في غليشيا وجبال كرباتيا مدفع من مدافع سكودا من عيار ٤٢ سنتمتراً ($16\frac{1}{2}$ بوصة) . وهذا المدفع اضخم من الاول واصعب مراساً في نقلهِ من مكان الى مكان

ومدى مدافع سكودا التي من عيار ١٢ بوصة ١٢ كيلو متراً فاذا اريد اغتنام مدفع منها وجب على من يريد ذلك ان يمشي ساعتين قبل الوصول اليهِ . وهذا الوقت يكفي لفك المدفع وتحميلهِ والهرب بهِ

ولكن مهما كانت المدافع البرية قوية فقوتها لا تماثل قوة المدافع البحرية الكبيرة كمدافع

البارجة كوين اليزابث (اي الملكة اليصابات) الانكليزية التي قطر فوهة الواحد منها ١٥ بوصة ومدافع البارجة كليفورنيا الاميركية التي قطر فوهة الواحد منها ١٤ بوصة والبارجة فوسو اليابانية التي قطر فوهة الواحد منها ١٤ بوصة والبارجة تورڤيل الفرنسوية التي قطر فوهة الواحد منها ١٣ ½ بوصة فالمدفع من مدافع كوين اليزابث طولهُ ٥٦ ¼ قدم. وثقل قنبلتهِ ١٩٢٥ رطلاً وسرعتها ٢٥٠٠ قدم في الثانية من الزمان . وفي هذه البارجة ٨ مدافع من هذا الحجم . واصغر هذه المدافع وهو المدفع الفرنسوي من مدافع البارجة تورڤيل قطر فوهتهِ ١٣ ½ بوصة وطولهُ ٥٠ ½ القدم وثقل قنبلتهِ ١٣٣٢ رطلاً وسرعتها ٢٦٧٥ قدماً في الثانية من الزمان . وفي هذه البارجة ١٦ مدفعاً من هذا الحجم

ومدافع مثل هذه لا تقاس بها المدافع النمسوية الكبيرة ولا الالمانية لان ما يكسبهُ المدفع الالماني بسعتهِ يخسر اضعاف اضعافهِ بقصر انبوبتهِ . فان قنبلة المدفع الانكليزي زنتها ١٩٢٥ رطلاً وسرعتها ٢٥٠٠ قدم في الثانية وزنة القنبلة من المدفع النمسوي ٨٦٠ رطلاً وسرعتها ١١١٥ قدماً في الثانية فالفرق شاسع بين قوة القنبلتين . ولو كان في الامكان ان تنقل هذه المدافع البحرية الى البر وتدنى من الحصون المنيعة كحصون لياج ونامور وتطلق عليها لكان فعلها بها اشد من فعل المدافع الالمانية والنمسوية . ولكن ليس في الامكان نقل مدفع طولهُ سبعة عشر متراً في البر مع ما يلزم لهُ من الآلات والادوات لتحريكهِ وتسديدهِ . وقد حسب بعضهم قوة المدافع في البوارج الانكليزية كلها فوجد انها تساوي قوة كل البنادق والمدافع التي تكون مع جيوش عددها خمسة عشر مليوناً

وما تقدَّم عن تفوُّق المدافع البحرية لا ينفي ان النمسويين والالمان فاقوا غيرهم في اعداد المدافع البرية الضخمة التي تنسف امنع الحصون وفي انهم تمكنوا من نقلها بسهولة من مكان الى آخر واكتشفوا طريقة لجعلها ترجع الى وضعها من نفسها بعد ما ترتد بانطلاقها ولولاها ما امكنهم فتح حصون البلجيك المنيعة والبلوغ الى فرنسا . ولو علم الانكليز والفرنسويون والروس قبل نشوب الحرب ان عند النمسويين والالمان مثل هذه المدافع وعرفوا قوتها لكان لهم شأن آخر معهم . ومن المحتمل انهم كانوا قد وجدوا سبيلاً لتأجيل الحرب او لابطالها

رأس المانيا المنتفخ (1)

هذا عنوان كتاب ألّفهُ الدكتور اميل ريخ سنة ١٩٠٧ وكان لهُ وقع عظيم في بلاط الملك ادورد السابع وفي الدوائر الخاصة ايضاً في انكلترا ولكن جمهور الشعب الانكليزي لم يعرهُ الانتباه اللازم الاَّ بعد وقوع الحرب الحالية فتهافت على قراءتهِ حتى اعيد طبعهُ ثماني مرات قبل انتهاء سنة ١٩١٤ . والمؤلف مجري تلقى العلوم في جامعات ڤينا وبودابست وبراغ ودرس اخلاق الشعب الالماني درساً دقيقاً ثم استوطن انكلترا بضع سنوات ألّف في خلالها الكتاب الذي نحن في صدده واوضح فيهِ مطامع المانيا واستعدادها الحربي وما يرمي اليهِ امبراطورها من بسط سيادتهِ على المسكونة . الاَّ ان ما ذهب اليهِ المؤلف من وجوب زيادة الجيش الانكليزي لقاء استعداد المانيا الحربي لم يرضِ الامة الانكليزية التي كانت ترى ان الاسطول كافٍ لدفع كل خطر عن البلاد وانهُ يستحيل ان يضمر امبراطور المانيا وشعبهُ العداء لهم . وقد كان رأي المؤلف هذا سبباً من الاسباب التي جعلت الشعب الانكليزي يعرض عن كتابهِ في ذلك الحين

والكتاب مقدمات ونتائج اما المقدمات فمدارها على حالة الشعب الالماني العقلية والمادية والنتائج عمَّا نتج عن هذه الحالة من المطامع والاستعداد الحربي والمالي والسياسي التي ادَّت اخيراً الى هذه الحرب المشؤومة

فبروسيا (وهي اكبر الممالك الالمانية وقائدتها سياسيًّا وحربيًّا) مملكة حديثة النعمة نسبة الى سائر ممالك اوربا . اهتدى اهلها الى الدين المسيحي منذ نحو ستمائة سنة وكانوا يتكلمون لغة سلاڤية . وظلت بروسيا خاضعة لملوك بولونيا الى اواخر القرن السادس عشر وقد اجتاحها الفاتحون من المجر وبولونيا واسوج وفرنسا والف امراؤُها الاستعطاء من ملوك اوربا ووزرائها . ولم تكن احوالها القومية بافضل من احوالها السياسية فاهلها اكثر الشعوب الاوربية مهاجرة فمنهم ملايين عديدة منتشرون في سائر ممالك اوربا وفي اميركا طلباً للرزق . وقد اثَّر فيهم الذل الذي قاسوهُ كل هذه القرون فلما انشأُوا الوحدة الالمانية سنة ١٨٧١ ونظموا امورهم هبُّوا هبة واحدة ليمحوا عار الماضي كما يفعل حديث النعمة الذي يبذل جهدهُ لينسي الناس ايام فقرهِ . حكي انهُ لما ذهب تيرس الى عواصم اوربا ليطلب منها مساعدة فرنسا عقب وقوع نابوليون الثالث في الاسر لقي رنكه المؤرخ الالماني (الذي فضح

(1) Germany's Swelled Head, by Dr. Emil Reich.

عيوب مواطنيهِ) وقال لهُ « مَن تحارب المانيا الآن بعد ان اسرت الامبراطور » • فاجابهُ رنكه « انها تحارب لويس الرابع عشر » • اي انها تأخذ بثارها مما فعلهُ بها ذلك الملك الجبار قبل تلك الحرب باكثر من مئة وخمسين سنة

ولما رأى الالمان انهم توفقوا الى تأسيس الوحدة الالمانية بعد انتصاراتهم الباهرة على الدنمارك والنمسا وفرنسا وان تجارتهم وصناعتهم في ارتقاء داخلهم الغرور والطمع فادعوا انهم شعب الله الخاص وان اعداءهم اعداؤهُ وقامت بينهم زمرة من الكتاب والمؤرخين لم يتركوا سبيلاً الاَّ طرقوهُ لاثبات هذه الدعوى حتى يخيل لمن يقرأ كتاباتهم ان الشعب الالماني خلق من طينة غير الطينة التي خُلق منها سائر البشر وان الباري خلقهُ رحمة بالعالمين وسيهبهُ المسكونة يتمتع بها ويسود اهلها ويكون لهُ القول الفصل والسلطة العليا حتى يرث الله الارض وما عليها

ولا بأس من ايراد بعض الشواهد على ما تقدم من اقوال امبراطورهم وكبار قوادهم ومؤرخيهم واساتذتهم • ومما يذكر في هذا الصدد ان كثيرين من غير الالمان ادَّعوا دعاوي باطلة مثل هذه ونسبوا الى مواطنيهم صفات لم تكن فيهم فكان مواطنوهم يقرأُون اقوالهم ويرمون بها عرض الحائط اما في المانيا فالامر على ضد ذلك فان مثل هذه الدعاوي الطويلة العريضة تجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية حتى تشبَّع منها الشعب الالماني وصارت عقيدة من عقائدهِ

ألف ولتمن كتاباً عن الالمان والنهضة الايطالية في القرن السادس عشر ادعى فيهِ ان جميع المصورين والنحاتين الذين اشتهروا في ايطاليا كميشل انجلو ورفائيل ولناردو ده فنشي وبليني وغيرهم كانوا من اصل الماني مستنتجاً ذلك من هيئتهم واسمائهم واسماء المدن التي ولدوا فيها (بعد تحريفها حتى صارت تشبه الاسماء الالمانية)

والف الاستاذ دانيال مدرس الجغرافية في مدرسة هال (Halle) الملكية كتاباً في الجغرافية (اعيد طبعهُ مئتين وخمساً وستين مرة حتى سنة ١٩١١) ذكر فيهِ ان فرنسا كانت اصلاً مملكة صغيرة من بقايا امبراطورية شارلمان ثم امتدت شرقاً مغتصبة الاملاك الالمانية التي في جوارها • ومما جاء في هذا الكتاب ان ليون ومرسيليا كانتا في العصور الوسطى مدينتين المانيتين

وقال الاستاذ تريتشكي « لمن ستكون السيادة في العالم ؟ اليس لالمانيا حامية السلم • فان روسيا الضخمة لا تزال في دور التكوّن ومواضع الضعف فيها كثيرة واحوالها الاقتصادية ومشاغلها الداخلية قد الهتها عن كل شيء آخر • وانكلترا اضعف مما يظن لاول وهلة ومستعمراتها ستنفصل عنها في المستقبل • وفرنسا تتنازعها اختلافات الاحزاب • وايطاليا

ستعطى عملاً يساعدها على اطعام اولادها القوت الضروري · فالمستقبل لالمانيا وعلى النمسا ان تتحد بها اذا ارادت ان تبقى في عالم الوجود »

وقال المارشال فندر غولتز (باشا) « علينا ان نقنع انفسنا ونقنع الجيل الذي تولينا تعليمهُ ان وقت الراحة لم يأتِ بعدُ ولا بدَّ من تنازع عظيم يتوقف عليهِ قيام المانيا او سقوطها وسيكون هذا التنازع عظيماً جداً مثل كل تنازع يقع بين الشعوب المختلفة وسيكون ايضاً مقدمة لتغييرات سياسية مهمة »

وقال الجنرال فون برنهاردي (مؤلف كتاب « المانيا والحرب القادمة » الذي ذاع صيتهُ في الخافقين) في خطاب القاهُ امام جمعية برلين في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٥ « انهُ رغماً عن المعاهدات ومؤتمرات السلام فان المشكلات العظيمة لا تحل الاَّ بالسيف »

ومما جاء في كتابات هذا القائد ما يأتي

« ان الشعب الالماني اعظم شعب متمدن ذكر في التاريخ »

« ان الجنس البشري مديون بتقدمهِ للشعب الالماني »

« الحرب هي العامل الوحيد الذي يغلِّب التقدُّم على التأخر »

« الحرب واجب ادبي وعامل من عوامل التمدن لا غنى عنهُ »

« كل مسعى يسعاهُ الناس لابطال الحرب جهالة ومخالفة للاداب وامرٌ غير لائق بالجنس البشري »

« يلزم سحق فرنسا حتى لا تقف امامنا مرة اخرى »

« ان الاتفاق السلمي مع انكلترا امرٌ وهمي لا يليق بالساسة الالمان اتباعهُ »

« علينا ان نحارب الحرب القادمة لحماية مصالحنا ومصالح العالم اجمع وليكن شعارنا السيادة على العالم او السقوط »

اما اقوال وليم الثاني امبراطور المانيا فقد اصبحت اشهر من ان تذكر ولاسيما وان جرائد العالم تناقلتها وقتما قالها · وهاك بعضها

« ربما يُطلَب منكم اطلاق النار على والديكم واخوتكم فبرهنوا حينئذٍ اخلاصكم بتضحية حاسياتكم » (من خطاب القاه على انفار القرعة في بوتسدام يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩١)

« لتكن لكم كلكم ارادة واحدة وهي ارادتي وشريعة واحدة وهي شريعتي »

« يجب ان لا يبت امرٌ في العالم بدون رضى امبراطور المانيا والشعب الالماني » (من خطاب القاهُ وقت الاحتفال بمرور مئتي سنة على تأسيس مملكة بروسيا)

« الشعب الالماني ملح الارض »

« قد امتدت لغتنا الى ما وراء البحار وعلومنا ومباحثنا ارتقت جدًّا وكل اكتشاف جديد ورأي علمي امتحناهُ نحن اولاً ثم اقتبسهُ باقي الشعوب منا »

« سيكون الشعب الالماني الصخرة الصماء التي يبنى الله عليها عملهُ في تمدين العالم . وحينئذٍ تتم نبوة الشاعر بان اخلاق الشعب الالماني هي التي ستحسن حال المسكونة »

وواضح مما تقدم ان الالمان يعتبرون انفسهم افضل خلق الله وان جميع المشاهير كانوا منهم وانهم لا ينالون حقهم الاَّ متى سادوا على العالم اجمع وصاروا الكل في الكل . اما من حيث الوسائل التي يمكن التوصل بها الى بلوغ غايتهم فقد اعلنوا جهاراً باقوالهم وافعالهم ان كل الوسائل مباحة لهم وان الحق للقوة . وقد اوردنا بعض اقوال فُون برنهاردي من جهة الحرب ولزومها وكتابةُ مملوءة بمثل هذه الاقوال حتى يخيل لمن يقرأُهُ انهُ ليس في الدنيا شريعة غير شريعة السيف وان خرق القوانين مباح للوصول الى الغرض المطلوب . وافضل شاهد على افعالهم التي من هذا القبيل ما ورد في مذكرات البرنس بسمارك (الصحيفة ٩٥ — ١٠٠ من الترجمة الانكليزية) بشأن اعلان فرنسا الحرب على بروسيا سنة ١٨٧٠ [1] حيث قال

« كنت قد عزمت على الاستقالة (لان جد الامبراطور الحالي لم يوافقهُ على محاربة فرنسا) رغماً عن محاولة "رون" اقناعي بالعدول عن عزمي هذا . دعوت رون ومولتكي ذات يوم الى الغداء معي وبينما نحن على المائدة اتاني تلغراف عن مقابلة سفير فرنسا للملك في ايمس ولما كان جلالتهُ قد اذن لي في نشر خبر هذه المقابلة سألت مولتكي اولاً عن حالة الجيش فاجابني انهُ اذا كان لا بد من الحرب فالاجدر بنا عدم التأخر . فحذفت بعض الكلمات من التلغراف ولكني لم ازد عليهِ ولم اغيّر شيئاً فيهِ وقرأْتهُ ثانية على ضيفيَّ فقالا ان معناهُ قد تغير تماماً فبعد ان كان خبر محادثة اعتيادية صار تحدّياً وتحرشاً (A flourish and a challenge)

(١) حكاية هذه الحرب ان خلا عرش اسبانيا فطلب الاسبان الى احد امراء عائلة هوهنزولرن ان يملك عليهم فلم يرُق ذلك لفرنسا لانهُ يجعلها مهددة من الشرق ومن الجنوب الغربي ولذا امر نابوليون الثالث سفيرهُ في برلين ان يطلب الى ملك بروسيا ان لا يسمح لامير المالي ان يتبوأ عرش اسبانيا لا في الحال ولا في الاستقبال . ويقال ان سفير فرنسا كلم ملك بروسيا بذلك وهو يتنزه في منتزه ايمس العمومي فامتعض الملك من مكالمة السفير اياهُ بهذا الشأن وقت النزهة واشار عليهِ ان تكون المخابرة بواسطة وزيرهِ (بسمارك) وارسل تلغرافاً الى بسمارك بذلك . فغير بسمارك التلغراف بطريقة فهم منها ان الملك اهان السفير ونشرهُ في اوربا فلما بلغ الخبر فرنسا قامت وقعدت واعلنت الحرب على بروسيا ونال بسمارك مرادهُ لانهُ كان يبحث عن طريقة يحمل فرنسا بها على اعلان الحرب لتكون هي البادئة بالعدوان

فافهميهم اني اذا ابلغت هذا التلغراف الى الجرائد والى السفراء يصل الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تأثيره هناك كتأثير الرداء الاحمر في الثور » (وقت مبارزة الثيران)

اما وصف الاستعدادات الهائلة التي قام بها الالمان في الاربعين سنة الماضية للوصول الى بسط سيادتهم على العالم اجمع فما يطول شرحه اذ لم تبقَ بلاد من بلاد الله الأ وارسلوا اليها دعاتهم وساستهم وتجارهم وجنودهم ناهيك عن اسطولهم الضخم وجيشهم العرمرم الذي بلغ من الانتظام مبلغاً لم يبلغهُ جيش آخر . فتجارتهم في البرازيل و بوليفيا وغيرهما من بلدان اميركا الجنوبية ازدادت زيادة عظيمة جداً . قال شمولر (وهو اقتصادي سياسي) « علينا ان ننظم في جنوبي البرازيل مستعمرة يكون عدد سكانها عشرين او ثلاثين مليوناً من الالمان » وقال ايضاً سنة ١٩٠١ « ان المانيا تستولي شيئاً فشيئاً على تجارة بوليڤيا (غربي البرازيل) ومتى استولت عليها كلها كان لنا هناك مستعمرة كسبناها بغير حرب و بلاخسارة »

ثم ان عدد الالمان الذين في الولايات المتحدة الاميركية مع اولادهم ينيف على سبعة ملايين . ولما كانت المانيا عاجزة عن اخضاع هذه الجمهورية العظيمة ترى كتّاب الالمان قد غيروا لهجتهم نحوها عمّا هي نحو بقية الشعوب فاشاروا على حكومتهم وحكومة الولايات المتحدة ان تتحالفا معاً فتكون نتيجة هذا التحالف ان اساطيلهما تفوق اساطيل انكلترا و يكون لهما جيش يمكنهما من الاستيلاء على البلدان البعيدة

ومن استعدادات المانيا ما حصلت عليهِ من الامتيازات في المملكة العثمانية واهمها سكة حديد بغداد وهي تبتدئ في الاستانة وتخترق المملكة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها الفان وار بعمائة كيلو متر وللشركة صاحبة الامتياز كل ما تجدهُ من المعادن والمنافع في منطقة عرضها عشرون كيلو متراً على جانبي الخط (اي عشرة كيلو مترات من كل جهة) فاذا ضربنا عرض هذه المنطقة (٢٠ كيلو متراً) في طولها (٢٤٠٠ كيلو متراً) كان الحاصل ثمانية وار بعين الف كيلو متر او اثني عشر مليوناً من الافدنة (اي نحو مضاعف مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري) . وما سكة حديد بغداد الأ واسطة للوصول الى خليج العجم والزحف منهُ على الهند . ولم تنسَ المانيا ايران ولا الصين فقد سعت في مد تجارتها في الاولى واخذت كياوتشاو في الثانية قاعدة لاعمالها في تلك الاصقاع البعيدة

وقد اورد الدكتور اميل ريخ بعض الارقام لايضاح تقدم تجارة المانيا . فقد كانت قيمة وارداتها سنة ١٨٩٤ نحو ٢٠٦,٠٠٠,٠٠٠ جنيه و بلغت ٣٩٢ مليوناً سنة ١٩٠٦ اي انها تضاعفت تقريباً في ١٢ سنة وكانت قيمة صادراتها سنة ١٨٩٤ نحو ١٦٦ مليوناً من

الجنيهات فبلغت ٣٠٦ ملايين سنة ١٩٠٦ اي انها تضاعفت تقريباً · وقد اوضح المؤلف ان ما ترمي اليهِ المانيا حقيقة هو الحصول على مستعمرات انكلترا اذ انها مهما اخذت من الاملاك من جارتيها فرنسا وروسيا فلا تكفي لاسكان الزيادة السنوية في سكانها

وبعد ان وصف المؤلف قوة المانيا الادبية والمادية افرد فصلاً لعوامل الضعف في بروسيا· واول ما ذكرهُ من هذه العوامل هو ان بروسيا سريعة العطب· فاذا كانت منتصرة تقدمت تقدماً سريعاً واذا خانتها الايام لم تقوَ على المصائب والملمات بل تسقط حالاً · واستشهد على ذلك بتاريخ بروسيا في اواخر القرن الثامن عشر اي بعد وفاة فريدريك الكبير بعشرين سنة فان هذا الملك جعل مملكتهُ في درجة سامية من المنعة ثم ضربها نابوليون الاول سنة ١٨٠٦ ضربة شديدة فتحطمت كاناء من خزف وصارت حاميات المدن الحصينة تسلّم لفرق صغيرة من الفرسان الفرنساويين

هذا والنظام الالماني المحكم الذي ذاع صيتهُ قد يفيد في الاعمال العظيمة ولكنهُ لا يربي رجالاً · ويخطئ من يظن انهُ نبغ من المانيا قواد عظام بعد فريدريك الكبير· فالجيش المنظم اشبه بمعجم رتبت فيهِ الكلمات ترتيباً منظماً غير ان ترتيب الكلمات شيء والانشاء شيء آخر وكذلك الجيش فان نظامهُ لا يكفي ما لم يكن فيهِ قائد عظيم يحيا بهِ ذلك النظام · فاشهر الشعوب هو الشعب الذي نبغ بافرادهِ لا بنظاماتهِ والرومان اصدق شاهد على ذلك

وزبدة القول انهُ اذا انتصر الجيش الالماني في حرب ما كما في سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ (وكان السبب الاكبر لانتصارهِ حينئذٍ ضعف الجيش الفرنساوي) تمَّ لهُ ما يريد اما اذا اعترضتهُ مصاعب لم تكن في الحسبان غُلب على امرهِ ولم يجد للمشاكل حلاً لان الضابط الالماني مضطر الى اطاعة الاوامر التي يؤْمر بها طاعة عمياء ولم تخول لهُ الحرية في العمل وهذه الحرية لا بد منها لشحذ القريحة واعمال الحيلة لاكتشاف طرق جديدة للوصول الى الغرض المقصود · والاعتقاد الشائع ان الجيش الالماني لا يقهر اعتقاد باطل فان الالمان لم يدخلوا حرباً منذ سنة ١٨٧١ وزد على ذلك ان المغالاة في وضع نظام دقيق للجيش يجعل نبوغ قواد عظام مستحيلاً

ومن جملة عوامل الضعف في المانيا اخذ الحكومة على نفسها الاهتمام بكل امر كبيراً كان او صغيراً حتى لم يبقَ للافراد ما يعملونهُ · وقد يفيد هذا النظام في اوقات السلم ولكن اذا حدثت حرب دارت فيها الدائرة على الحكومة سقطت كل هذه النظامات لانهُ لا يوجد بين افراد الالمان من لهُ السلطة الكافية لمداومة العمل · وعليهِ فالنظام الالماني قد ساعد نموَّ

الامبراطورية كثيراً في ايام الصحو ولكن اذا عصفت الزوابع وهطلت الامطار فهناك الطامة الكبرى . وبضدها تتبين الاشياء فنظام انكلترا على الضد من نظام المانيا تماماً فان كثيرين من ذوي السلطة فيها خارجون عن هيئة الحكومة ولذا فانها اكثر مقاومة واحتمالاً لخطوب الزمان من المانيا . فبينما نرى النصر لازماً لالمانيا والأ رزحت تحت اثقال المصائب نرى انكلترا تزيد قوة وصبراً اذا ازدادت متاعبها ومشاكلها

ثم افرد المؤلف فصلاً خصوصيًّا (وهو الفصل الاخير في الكتاب) لما يستنتج من « المقدمات والنتائج » التي ذكرها وهو انهُ يجب على الامة الانكليزية ان لا تكتفي باعداد الاسطول بل ان تنظم جيشاً بريًّا كافياً لمنازلة العدو لان طموح المانيا الى الاستعمار وتأليف امبراطورية عظيمة خارج اوربا سيضطرها يوماً الى حرب عظيمة . ولو استعد الانكليز في ذلك الوقت كما اشار عليهم مؤلف هذا الكتاب لما طالت مدة الحرب الحالية الى الآن

ب . ن

لماذا ينبغي على اميركا ان تنضم الى الحلفاء

بقلم المستر روزفلت رئيس اميركا السابق

قال الجنرال شرمن « الحرب جهنم » . وما حدث الآن في اوربا ولاسيما في بلجكا يؤيد هذا القول . ولا تبطل الحرب الا اذا عُمل بالاسلوب الذي اقترحتهُ وهو ان ترتبط الدول المتمدنة القادرة على الحرب وعلى السلم ارتباطاً مدارهُ حفظ السلم في الدنيا . اي تتعهد بحفظ ما لكل دولة منها من الحقوق التي لا ينازَع فيها وبان كل خلاف يقع بينها يُعرَض على محكمة تحكيم لتفصل فيهِ وبانها تحارب كل دولة تعتدي على غيرها او لا تخضع لحكم هذه المحكمة في المسائل التي يجوز التحكيم فيها

ومفاد ذلك ان تحالف الدول كلها على تأييد السلم العاري عن الحَيْف الذي يحفظ لكل شعب بلادهُ وشرفهُ ومصالحهُ الحيويَّة ويضمنها لهُ ويستثنيها من الدخول في حكم محكمة التحكيم . وهذا التحالف لا يضمن اموراً يستحيل ضمانها ولا يعد وعوداً يتعذر او لا يحل القيام بها . لانهُ لا يجوز لدولة ان ترتبط بعهد الا اذا كانت واثقة انها قادرة على القيام بهِ

واخيراً وهو الاهم يجب ان يكون هذا التحالف مشمولاً بالقوة اي ينبغي ان يضمن تنفيذ ما يتعهَّد بهِ المتضامنون ولو استلزم ذلك استعمال القوة فتضمن الدول المتحدة حقوق كل دولة منها ودفع الاعتداء عنها وتنفيذ احكام محكمة التحكيم

وما اشرت بهِ ينفي التحكيم في المسائل الحيوية التي لا يجوز التحكيم فيها. فاذا اعتدى انسان على آخر واصابهُ باذًى في جسمهِ او مالهِ او راحتهِ قبض رجال الشرطة (البوليس) على المعتدي وسلموهُ للقضاء حتى يعاقبهُ عقاب المجرمين. ولا يُفصَل بينهُ وبين المعتدَى عليهِ بالتحكيم. واذا حضر المعتدى عليهِ مجلس القضاء فانما يحضر كشاهد فقط

واذا هجم رجل على آخر في احد شوارع المدينة وضربهُ او خطف ساعتهُ ولم يكن احد من رجال الشرطة (البوليس) حاضراً فعلى المعتدى عليهِ ان يقبض على الجاني ويوقع بهِ والاَّ فهو يفرّط في حقوقهِ الشخصية واذا وجد رجل من رجال الشرطة فعليهِ ان يقبض على الجاني ويسلمهُ للقضاء والقاضي لا يقف حينئذٍ موقف الحكم في امر الاعتداء وملكية الساعة بل يردُّ الساعة الى صاحبها ويحكم على الخاطف او المعتدي بما يستحقهُ من العقاب

فشل مؤتمرات السلم

واذا استثنينا اتفاق مؤتمر الهاي فقد فشلت كل مؤتمرات السلم التي عُقدت حتى الآن. وكل ما تلي فيها من الخطب وكل ما اقرَّهُ اعضاؤُها من القرارات ذهب سدًى او اضرَّ اكثر مما نفع لانها هي التي اغرت الدول المحبة للحرية حتى افرطت في الاطمئنان ولم تتخذ عدتها لوقاية نفسها. فضرر تلك المؤتمرات واضح من هذا القبيل كما يظهر من الحرب الحاضرة. اما اتفاق مؤتمر الهاي فقد افاد بعض الفائدة في انهُ سهَّل على الدول التي تكره الحرب فصل ما يقع بينها من الخصومات في بعض الامور فانهُ كثيراً ما يقع خلاف بين الدول في امور طفيفة كما اذا اعتدى احد من رعايا الدولة الواحدة على سفينة صيد لاحد رعايا الدولة الاخرى او اذا اختلفت الدولتان في تفسير بند ثانوي من بنود معاهدة بينهما او اذا عمل موظف من موظفي احداها في ساعة طيش وحدَّة عملاً اضرَّ بآخر من رجال الدولة الاخرى ففي هذه الاحوال تكره الدولتان فصل هذا الخلاف بالحرب فتلجآن الى محكمة التحكيم في الهاي فتفصل بينهما

واقتصار محكمة الهاي على ما تقدم يسفّه آراء الذين حسبوا انها تفعل المستحيلات. اما انا فلم يخطر ببالي قط انها تفعل ذلك ولكنني كنت اؤَمل منها اكثر مما رأَيت لانني وثقت بالوعود. ولكن الوعد شيءٌ والقيام بهِ شيءٌ آخر كما ثبت الآن في امر البلجيك فان الولايات المتحدة وقَّعت (امضت) اتفاق مؤتمر الهاي لما كنت رئيساً لها. وكل الدول المشتبكة الآن في هذه الحرب وقعتهُ ايضاً فاصبحت كل واحدة منهنَّ مقيدة بان تضمن لغيرها كل الحقوق التي يشملها ذلك الاتفاق لكن الضمان لا ينفع الاَّ اذا وُجد من يؤيد الاتفاق وينفذهُ بالقوة في وجه كل دولة تنقضهُ سواءٌ كانت من الموقّعات (الممضيات) لهُ او من غير الموقعات لان

امتناع دولة عن توقيعهِ لا يجعلها في حلّ من انتهاك حرمة غيرها والأ صار عدم توقيع المعاهدات مزية من اكبر المزايا

ولقد وافقت بما كان لي من السلطة على توقيع الولايات المتحدة لذلك الاتفاق وهو يحرّم انتهاك حرمة البلاد المحايدة وبالضرورة يحرّم الاستيلاء على الامم المحايدة التي لم تبادئ بالعدوان كما استولى الالمان على بلجكا. ويحرّم تخريب مثل لوفان ودينان ونحوهما من مدن بلجكا وحرق مكاتبها العمومية وما فيها من الكنائس والمعاهد ويحرّم تغريم السكان بغرامات مالية فادحة وايقاع العقاب الصارم بهم. ويحرّم اطلاق المدافع والقاء القنابل على المدن غير الحصينة وعلى المدن الحصينة قبلما تهاجم حصونها

كل هذه المحرّمات ارتكبتها المانيا. وانا لما أُمرتُ بتوقيع ذلك الاتفاق أَمرت وانا واثق ان الولايات المتحدة تقوم بعهدها وتدافع عن اسمها وان الشعب الاميركي يفهم ما معنى القيام بالعهد والدفاع عن الامم في هذا الامر كما في غيرهِ من الامور الخطيرة التي تقتضي ان يكون الانسان مستعدًّا ليبذل جهدهُ في الدفاع عمّا تعهّد بهِ ويتحمل ما يتعرَّض لهُ من الخطر

ولو خطر ببالي ان توقيع اتفاق الهاي لا يعني سوى اظهار بعض الرغائب وان كل دولة تستطيع ان تنقض ذلك الاتفاق حسبما تقتضي مصالحها ولا خوف عليها ولا هي تحزن — لو خطر ببالي ذلك لما سمحت بان تشترك الولايات المتحدة في عمل قبيح مثل هذا

سياسة الجبن

يرى الرئيس ولسن والوزير بريان انهُ اذا تعهدت الولايات المتحدة بحفظ الممالك الصغيرة من اعتداء الممالك الكبيرة فتعهدها لا يوجب عليها ان تضمن تنفيذهُ . وعندهما انهُ اذا طُلب منا ان ننفذ بالفعل ما تعهدنا بهِ بالقول صرنا في حلّ من تنفيذهِ وحقّ لنا ان نحتفظ بانفسنا ونقف وقفة الجبان الرعديد ننظر اقبح الفظائع والموبقات تُرتَكَب في بلاد لم تبادئ احداً بالعدوان

هذه هي سياسة الجُبْن والخنوع وجريُ الرئيس ولسن والمستر بريان عليها ليس لهُ كبير شأن لو اقتصر الامر عليها ولكن عملها هذا ينسب الي الولايات المتحدة كلها ويُحسَب عليها

ولقد حاول الرئيس ولسن والوزير بريان ان يبررا عملها في اتباعها هذه السياسة سياسة الجبن وترك الواجب من حيث الاحتفاظ بالسلم المبني على الحق والعدل بادلَّة سفسطية لا يقبلها احد من الذين يؤيدون السلم الحقيقي بالاخلاص ولو كلفهم مها كلفهم لاسيما وان

السلم الحقيقي لا يؤيَّد الاَّ بالهمة والبسالة . ولذلك فالذين يعدُّون انفسهم من رسُل السلام و ينادون بهِ اذا كان نداؤُهم لا يكلفهم شيئاً قد صاروا الآن مضغة في الافواه بسكوتهم او بمدحهم المستر ولسن والمستر بريان لانهما تخلَّيا عن المطالبة بحقوق السلم وايَّدهم في ذلك كل الذين يقولون انهُ لا يعنينا الاَّ امر انفسنا وانهُ لا يحق لنا ان نحمّل اقل تعب في القيام بما يجب علينا لغيرنا . وهذه الاثرة قد تجوز ولكن اذا قصدت امَّة من الامم ان تجري هذا المجرى فعليها ان لا ترتبط بعهد لاحد

والقول بان اتفاق الهاي لا يوجب علينا العمل منقوض لدى كل مَن ينظر الى المسأَلة بعين خالية من الغرض . فان ذلك الاتفاق اما انهُ يفيد شيئاً أَو لا يفيد فاذا لم يترتب على الدول التي وقَّعتهُ ان تعترض على مَن يخالفهُ فلا فائدة منهُ ولا معنى لهُ ويكون وضعهُ وتوقيعهُ من اسخف ضروب الحماقة . ولكن اذا كانت لهُ فائدة وكان لهُ معنًى فعلى الولايات المتحدة وهي اقوى البلدان الواقفة على الحياد او اغناها ان تعمل لتأييد هذا الاتفاق ولا سيما اذا نتج عن نقضهِ فظائع مثل فظائع البلجيك . وهذان الوجهان لا ثالث لهما

لوم الولايات المتحدة

لا يفلح اتفاق لحفظ السلم في الدنيا الاَّ اذا جرى موقّعوهُ على ضد ما جرى عليهِ الرئيس ولسن والوزير بريان في اتفاق الهاي لان الاتفاق لا يفيد الاَّ اذا تعهد المتفقون على العمل بموجب اتفاقهم وعلى اجبار غيرهم على العمل بهِ ولو لم يوقعهُ معهم . وبعبارة اخرى انهُ اذا اتفقت الدول على حفظ السلم في الدنيا فاتفاقها يكون مثل اتفاق الهاي ولكن يجب على الدول التي اشتركت فيهِ ووقعتهُ كما فعلت الولايات المتحدة ان تنوي حينما توقعهُ العمل بهِ واجبار غيرها ايضاً على العمل بهِ ولو بالقوة اذا اقتضت الحال ذلك

ان انتهاك حرمة الاتفاقات الدولية ومعاهدات الحياد كما فعلت المانيا في البلجيك قبيح لذاتهِ وكبير الضرر جدًّا ولكنهُ لا يستحق من الذم والتشنيع مقدار ما يستحقهُ عمل الولايات المتحدة في وقوفها وقفة الجبان لكي لا تدافع عن اسمها ولا تؤيد العهود التي تعهدت بها ولا تمحو عنها العار الذي لحقها من جراء ذلك ومن عدم تعرُّضها لمنع الحيف وهي قادرة على منعه

و يسوءُني جدًّا ان اقف هذا الموقف واندد باعمال المانيا في بلجكا لان كثيرين من اصدقائي الالمان والاميركيين الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان قد استاؤُوا من موقفي هذا اما اصدقائي الاميركيون الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان فاقول لهم انهم مضطرون

شرفًا ان ينظروا الى كل المسائل الدولية نظر مَن لا يهمهُ الأ مصلحة الولايات المتحدة ومجدها وشرفها بين دول الارض

واما اصدقائي من الالمان انفسهم فاقول لهم ان موقفي هو في مصلحة المانيا والشعب الالماني . ولو نظر الالمان كلهم الى الامر بعين خالية من الغرض لرأوا ان موقفي هو موقف مَن يقول انهُ يجب علينا ان ندافع عن المانيا اذا اعتدى عليها معتدٍ كما يجب علينا الآن ان ندافع عن البلجيك

في المانيا فريق من الناس يجري على مذهب ترتشكي وبرنهاردي من حيث مستقبل المانيا ومن حيث الواجبات الدولية عمومًا . هذا الفريق معادٍ لاميركا كما هو معادٍ لغيرها من الدول . ويسمح لي مواطنيَّ الذين اصلهم المان ويودون ان لا تفعل اميركا للبلجكا حسب تقاليدها ومصالحها وما تحسبهُ فرضًا واجبًا عليها بل تفعل حسب رغائب بعض الاميركيين الذين اصلهم الماني ان انبههم الى ما قالهُ ترتشكي وهو « ان العمران يخسر خسارة كبيرة بصيرورة بعض الالمان اميركيين وان اهالي المانيا لا شبهة عندهم ان عمران العالم يخسر كلما صار رجل الماني ينكيًا (١) »

ولا اعتقد ان الالمان الذين يجارون ترتشكي في كره كل الذين ليسوا المانًا واحتقارهم وبرنهاردي في احتقارهِ الحقوق الدولية هم الفريق الاكبر من الشعب الالماني ولا انهم فريق كبير منهُ واظن ان جمهور الالمان الذين يبررون عمل حكومتهم في بلجكا يعتقدون ان الضرورة قضت بذلك والأ دارت الدائرة على المانيا واستولت عليها فرنسا وروسيا . واذا خاف المرء ان تدور الدائرة على بلادهِ فتخرب حملهُ خوفهُ على اباحة كل محظور . فسبيل الذين على الحياد حينئذٍ ان يزيلوا هذا الخوف منهُ . وعندي انهُ لو كانت المانيا آمنة كل خطر في تخومها الشرقية والغربية لما رضي الشعب الالماني بما عملتهُ حكومتهُ في بلجكا

السلم الخالي من الحَيف

والسبيل الفعَّال لنزع هذا الخوف من نفوس الالمان هو ان تتعهد الدول التي على الحياد مثل الولايات المتحدة بالدفاع عن استقلال المانيا وحفظ شرفها اذا اعتدى عليها معتدٍ كما تتعهَّد بالدفاع عن استقلال البلجيك او فرنسا او روسيا او انكلترا او اية دولة اخرى متمدنة اذا اعتدى عليها معتدٍ . ولا يتمُّ ذلك الأ اذا اتفقت الدول العظمى على اسلوب للسلم مثل الاسلوب الذي أشرت بهِ ومدارهُ على ان الدول العظمى تتعهد من تلقاء نفسها ان تنصر الحق

(١) لقب ضعة للاميركيين

بالقوة لكي يكون اعتراضها على انتهاك الحرم فعَّالاً وتعاقب المسيء اذا اقتضت الحال ذلك . هذا هو السلم المؤيد بالحق واما السلم الذي ينادي بهِ بعض المتحمسين وليس من يؤيدهُ فكلام فارغ . وفي الولايات المتحدة كثيرون من الذين ينادون بهذا السلم ومن الذين يؤيدونهم عن حسن نية ولكن عن قلة معرفة وفيها ايضاً كثيرون من الذين يرون هذه الفرصة فيستخدمونها في مصلحة المانيا ويطلبون من الولايات المتحدة ان تبادر الى طلب الصلح او الهدنة على شرط ان تبقى بلجكا ملكاً لالمانيا ولا تعوّض شيئاً مما حلَّ بها من الرزايا . يحاولون عقد صلح يتضمن بزور مستقبل رهيب وشر مقعد مقيم بتركهم الامور على ما هي عليهِ من غير ان يشيروا بشيء يمنع تكرار الشرور التي منيت بها البلجيك . هؤلاء كلهم سواء كانوا من المنادين بالسلم او اصحاب المتاجر الواسعة واكثرهم من الذين ولدوا في غير اميركا او ضعاف العقول او الجبناء الذين يحجمون عمَّا يطلب منهم كلهم في الدرك الاسفل من المهانة

وكل الذين ينادون بالسلم وهم من هذا القبيل يشبهون اناساً رأوا السلب والنهب فاشيين في شوارع نيويورك فاجتمعوا وطلبوا ان يكف رجال البوليس عن العمل مقابل كف اللصوص وقطاع الطرق عن السلب والنهب على شرط ان يبقى لهم ما سلبوهُ وما نهبوهُ . فان اخا المروءة ونصير السلم هو الرجل الذي اذا رأى ذلك في مدينة كبيرة قوّى رجال البوليس فيها وبذل جهدهُ في منع السلب والنهب واصرَّ على عقاب المجرمين . ويحسن بالمتبجحين في طلب السلم الذين يقولون انهُ لا يجوز استعمال القوة في المشاكل الدولية ان يتذكروا ان رجال الشرطة الاكفاء هم الذين لا يلجأون الى استعمال القوة ما دام ذلك في الامكان ولكن اذا دعت الضرورة الى استعمال القوة حيث لا يفهم الاشرار دليلاً غيرها فلا يحجمون عن استعمالها . وما يصدق على الناس في معاملاتهم الاجتماعية الخصوصية يصدق على الممالك في المعاملات الدولية

اسلوب للسلم يمكن العمل بهِ

لا يجسر احد ان يقول ما هي الحدود اللازمة لانشاء رابطة عامة لاجل السلم الخالي من الحيف اي الذي لا يضام احد بهِ . واني اعرض الاسلوب التالي لكي لا ادع الامر مبهماً وعندي ان هذا الاسلوب يمكن العمل بهِ ان وافقت عليه الدول كلها عن حسن نية وقامت بما تعهدت بهِ كما قامت الولايات المتحدة بما تعهدت بهِ لكوبا من حيث حفظ استقلالها والجزائر فيلبين من حيث اعطائها حكومة عادلة منتظمة وباتمامها ترعة بناما . وكما قامت انكلترا بعهدها لما خُرق حياد البلجيك

وكل الدول المتمدنة التي تقدر وتريد ان تستعمل قوتها الحربية لنصرة العدل اذا دعت الحال الى ذلك يحق لها ان تنضم الى غيرها لتأليف محكمة دولية وتسن قوانينها ولا يعطى هذا الحق الا للدول المتمدنة المتصفة بالشهامة وعزة النفس والرغبة في الاستبسال لنصرة الحق

وينبغي ان نسلم هذه القوانين ببقاء الحالة الحاضرة كما هي لانه اذا اريد ازالة المظالم القديمة اضطررنا ان نرجع الى الوراء قروناً عديدة . ويجب على هذه الدول ان تقرر ان بلاد كل دولة منها هي لها ولا يجوز الاعتداء عليها بوجه من الوجوه وان كل دولة حرة ان تسن لنفسها القوانين المتعلقة بشرفها ومصالحها الحيوية كالشروط التي تقبل بها المهاجرين الى بلادها للاقامة فيها او للمتاجرة او لغير ذلك من الاعمال . وتضمن حقوق كل دولة من هذا القبيل فلا تكون هذه الحقوق عرضة للتحكيم كما ان حياة الانسان وحفظ اعضاء جسمه ليسا عرضة لقوانين التحكيم

واما سائر الاختلافات التي تقع بين الدول فيفصل فيها في محكمة التحكيم الدولية ولا يكون القضاة نواباً عن الدول بل قضاة بحصر المعنى ويحسن ان يختاروا لكل مسألة بالقرعة من مجموع القضاة بعدما يخرج منهم نواب الدولتين اللتين يراد الفصل في ما بينهما من الخلاف . ويجب ان تتعهد الدول كلها باستعمال قوتها اذا دعت الحال لمقاومة كل دولة تأبى الطاعة لحكم هذه المحكمة او تعتدي على حق تقرَّر صريحاً حفظهُ لكل الدول

بشروط مثل هذه توقى البلجيك من اعتداء الالمان عليها وتطمئن المانيا من اغارة فرنسا او روسيا عليها

منافع هذا الاسلوب

ولا يقتصر نفع هذا الاسلوب على الدول المتعاقدة اي التي تنتظم في دائرتهِ بل يشمل دولاً اخرى من الدول المتمدنة التي لا تريد ان تتعهد بتنفيذ احكام المحكمة بالقوة . ولا يكون لهذه الدول ان تشترك في اختيار القضاة لانهُ لا يجوز ان يشترك في ذلك الا الدول التي تستطيع وتريد ان تنفذ حكم هؤلاء القضاة ولكن هذه الدول تعامَل بالعدل والانصاف واذا وقع خلاف بين واحدة منها واحدى الدول المتعاقدة حقَّ لها ان ترفع ظلامتها الى محكمة التحكيم وتنتظر منها الحكم بالعدل وينفذ الحكم كما لو كانت من الدول المتعاقدة

ولا يقبل في الصف الاول اي صف الدول المتعاقدة الا الدول المتمدنة الحسنة التصرُّف القادرة على القيام بما تتعهد بهِ . فلا تقبل فيهِ الصين ولا تركيا ولكن تقبل فيهِ المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة واليابان وبرازيل والارجنتين

وشيلي واوروغواي وسويسرا وهولندا واسوج ونروج والدنمارك وبلجكا. واذا ظلت الصين سائرة في الخطة التي سارت فيها في السنوات الاخيرة قُبلت في الصف الثاني اي نعطى حقوق الدول المتعاقدة ولو لم تكن منهن. واما المكسيك فلا تقبل الآن لا في الصف الاول ولا في الثاني. ويحق لدول اوربا كلهن ان ينتظمن الآن في الصف الاول ما عدا تركيا

اما سائر البلدان والممالك الصغيرة التي لا يحق لها الانتظام في الصف الاول ولا في الثاني كبعض البلدان المستقلة في اميركا الجنوبية واواسط افريقية فيحسن ان تقر الدول المتمدنة على طريقة تعاملها بها وتتركها الآن كما هي الى ان تقرّ على هذه الطريقة

ولا يخفى ان اسلوبي تحول مصاعب كثيرة دون العمل بهِ وما من احد يستطيع ان يكفل نجاحهُ التام ولكنني اعتقد ان العمل بهِ ممكن ومتى عُمل بهِ صارت احوال الناس احسن ممَّا هي الآن. فان جهنم قد فغرت فاها في بلجكا والمكسيك وجانبٌ كبير من اللوم في ذلك واقع على هامة طلاَّب السلم في اميركا نعم انهُ لم يكن لهم يدٌ في اثارة هذه الحرب اذ ليس لهم جرأة ليفعلوا شيئاً ما نافعاً كان او ضارًّا مما يقتضي جسارة وعزيمة صادقة ولكنهم لا يبرأون من المسؤولية لان الراضي بالشر كفاعلهِ

انتهى ما ترجمناهُ من مقالة روزفلت وقد استطرد الى لوم الرئيس ولسن لانهُ قال في الرسالة التي بعث بها الى مجلس النواب الاميركي ما مفادهُ ان البلاد في حرز حريز ولا داعي لانفاق النفقات على بناء البوارج الحربية. ثم قال (اي روزفلت) انهُ لو قالت انكلترا هذا القول منذ عشر سنوات لكانت بلادها الآن بركة من الدماء فعلينا ان نصلح بحريتنا ونقويها حالاً جارين على ضد السياسة التي جرى عليها الرئيس ولسن حتى الآن. ولا يمكن ان نصلح امورنا الحربية والخارجية ما دام في وزارة الحربية ووزارة الخارجية رجلان مثل دانيالس وبريان. ولم يكن الرئيس ولسن ليجسر ان يقلد احدهما وزارة المالية لانهُ لو فعل ذلك لظهر الضرر المادي حالاً ولرأى اشد المقاومة من رجال المال في البلاد

والظاهر ان اعتداء الالمان على الرعايا الاميركيين جاء مؤيداً لآراء روزفلت فاضطر المستر بريان الى الاستعفاء من وزارة الخارجية وحمل الحكومة الاميركية على زيادة النفقات الحربية والبحرية زيادة فاحشة حتى تستعد لكل الطوارىء. واذا انتخب المستر روزفلت للرئاسة في الانتخاب التالي كما يرجح فلا يبعد ان يحمل الدول كلها على العمل بالاسلوب الذي اشار بهِ في هذه المقالة فيفيد النوع الانساني اكثر ممَّا افادهُ احد قبلهُ

قضية غريبة

فضل قياس الاستقراء وتغلّب القرينة على البينة

قياس الاستقراء او المنطق الاستقرائي هو طريقة يتوصل بها الى الكليات من الجزئيات بواسطة المشاهدة فالاستدلال فالامتحان . وهو حيث العهد اول من جرى عليهِ راهب انكليزي اسمهُ روجر باكون في القرن الثالث عشر . ومنهم من يقول ان الفيلسوف باكون هو اول من جرى عليهِ في اواخر القرن السادس عشر واول السابع عشر . والقول الاول هو الصحيح ولكن لا ينكر ان الفيلسوف باكون رقى الاستقراء كثيراً . وعكس الاستقراء الاستدلال او الاستنتاج وهو التوصل الى الجزئيات من الكليات . فبالاستقراء تكتشف القواعد الثابتة من نواميس طبيعية وغير طبيعية وبالاستدلال يبنى على تلك القاعدة او ذلك الناموس

والبينة في القانون هي الدليل الصريح على حدوث حادثة والقرينة هي الدليل غير الصريح . ومعظم التحقيق في محاكم القضاء يجري على طريقة الاستقراء . مثال ذلك انهُ سرق بيت وجاء رجال البوليس للمعاينة . وهذا ما يسمى التحقيق الابتدائي . فماذا وجدوا ؟ وجدوا ان اللصوص دخلوا المنزل خلسة وبمهارة واول ما يخطر على بال رجال البوليس حينئذٍ شخصية اهل السوابق الذين يمكن ان يكونوا قد سرقوا المنزل . ثم يبحثون عن كل رجل شوهد ماراً من تلك الجهة قبل ارتكاب السرقة . فاذا اشتبهوا في زيد قبضوا عليهِ لان افتراض جرمهِ تأيد بعض التأيد . وحينئذٍ يفتش منزلهُ فاذا وجد فيهِ ادوات لفتح الابواب ثبت انهُ لص . ولكن ذلك لا يثبت انهُ اللص المطلوب في الحادثة التي نحن في صددها . ثم تفحص آثار الادوات التي استخدمت في سرقة المنزل فاذا وجد شيء منها مطابقاً للادوات التي وجدت في بيت زيد ترجح انهُ هو اللص . وهذه الدرجة هي من نوع الاستدلال

جعلنا هذا تمهيداً لوصف قضية تعدّ من اشهر القضايا التي عرضت على المحاكم الانكليزية وتعرف عندهم بقضية تشبورن وهو اسم اسرة انكليزية . وقد استشهدت بها كتب المنطق الانكليزية على فضل قياس الاستقراء وكتب القانون على صدق القرينة حيث اخطأت البينة وهي اشبه برواية منها بحادثة وقعت . واليك ملخصها

ركب رجل من اسرة تشبورن البحر من مرفإ هافر سنة ١٨٥٣ قاصداً اميركا الجنوبية واسم هذا الرجل روجر ولد في باريس سنة ١٨٢٩ وكانت امهُ فرنسوية تكره انكلترا فعقدت

النية على تربيتهِ تربية فرنسوية ولكنهُ لم يكد يتعلم الفرنسوية حتى ذهب الى انكلترا ودخل الجيش فكان فيهِ هزوءًا لرفاقهِ بسبب غرابة سلوكهِ ولهجتهِ الفرنسوية · فسئم الخدمة العسكرية فباع بعض املاكهِ وكان ذا ثروة طائلة وسافر الى اميركا الجنوبية كما تقدم فبلغ ريوجنيرو سالمًا سنة ١٨٥٤ ·وفي ابريل من تلك السنة ركب باخرة اسمها « بلاّ » فغرقت بهِ وبسائر من كان فيها · وكان مؤَمنًا على حياتهِ فاخذ اهلهُ المبلغ المؤَمن بهِ عليهِ وفصلت المحكمة في امر تركتهِ في يوليو سنة ١٨٥٥ فورث اخوهُ الاصغر املاكهُ ولقبهُ وهو لقب مسر سنة ١٨٦٢ ثم مات سنة ١٨٦٦ واسمهُ السر الفرد تتشبورن

لم يبق احد الاَّ اعتقد بغرق روجر غير امهِ حتى بات منزلها في تتشبورن بارك موئل كل بحري افّاق يزورها فيلقى منها صدراً رحبًا لعلهُ يكون ابنها او يقص عليها اخبار رحلاتهِ لعلها تتنسم منها نبأ عنهُ واكثرت من نشر الاعلانات في الصحف تصفهُ عسى ان يدلها احد عليهِ ويرشدها الى مكانهِ · وفي نوفمبر من سنة ١٨٦٥ جاءها من سدني في استراليا ان في قرية واجاواجا بمقاطعة كوينسلند جزاراً شابًّا تطابق اوصافهُ اوصاف ابنها واسمهُ هناك طوم كاسترو · والواقع انهُ لم يكن يشبههُ فان روجر كان نحيف البنية ذا شعر اسود ساجٍ في حين ان كاسترو الجزار كان ضخم البدن ذا شعر متموج اشهب · وكان اول كتاب ارسلهُ الى اللايدي تتشبورن (التي ادعى انها امهُ) دليلاً على جهلهِ واميتهِ وقد اشار فيهِ الى امور شتى اعترفت بانها لا تذكرها واهمها علامة في جسمهِ ظهرت فيهِ منذ ولادتهِ وحادثة جرت لهُ في بريطون في صغرهِ · ولكنها كانت كمن بهِ مسٌّ من السحر لا يجول في صدرها الاَّ خاطر ابنها حتى غلب ذلك الخاطر شبهاتها في شخصية كاسترو فارسلت اليهِ نقوداً وطلبت منهُ ان يجيء الى انكلترا

اما هو فابى السفر ولكن كان قد التفَّ بهِ نفر من الطفيليين كسائر الادعياء يعدون انفسهم بكل خير ونعمة اذا ربحوا القضية فاقنعوهُ بالسفر وزادهُ اقتناعًا ان رجلاً من اصدقاء السر جيمس تتشبورن ابي روجر مقيماً في سدني كان يعتقد بصدق مدعاهُ لما بينهُ وبين ابي روجر من الشبه · وتعرَّف وهو في سدني بعبد اسود اسمهُ « بوجل » كان في خدمة اسرة تتشبورن فسافر هذا معهُ الى انكلترا في صيف سنة ١٨٦٦ · فبلغا لندن يوم عيد الميلاد من تلك السنة فزار منزل اسرة تتشبورن حيث تعرف برجلين نصراهُ في دعواهُ وهما ادورد هوبكنس محامي الاسرة وفرنسيس بايجنت وكان مطّلعًا تمام الاطلاع على تاريخ الاسرة · ثم سافر الى باريس حيث زار اللادي تتشبورن « امهُ » المزعومة وكانت زيارتهُ

اباها في غرفة فندق وفي يوم مظلم من ايام يناير فاعترفت انهُ ابنها . وهذا الاعتراف اثر تأثيراً عظيماً في الجمهور الانكليزي ولم يكونوا يعلمون غرابة اخلاق هذه المرأة واطوارها

ومما دلَّ على غرابتها انها لم تعبأ بجهل هذا الرجل للغة الفرنسوية بل تسامحت في ذلك وعينت لهُ الف جنيه في السنة واستقبلت قرينتهُ وهي فقيرة امية وسلمت اليهِ يومية ابنها وكتبهُ التي كتبها اليها من اميركا الجنوبية . فاخذها ودرسها وتعلم منها اموراً كثيرة ساعدتهُ في دعواهُ وساعدهُ ايضاً فيها نقيب الاسرة المذكور آنفاً وجنديان من الاورطة التي انتظم ابنها في سلكها قبل سفرهِ الى اميركا وكان المدعي قد اخذهما خادمين لهُ . وجرى مع هذا التيار جميع الفلاحين الذين كانوا يعملون في املاك روجر وكثير من العائلات المجاورة لتلك الاملاك ومن ضباط الاورطة المشار اليها . اما اعضاء اسرة تتشبورن في انكلترا فاجمعوا على ان كاسترو محتال وعلموا بعد بحث كثير ان اسمهُ الحقيقي آرثر أورطن وهو ابن جزار في بلدة وابنغ ولد سنة ١٨٣٤ وسافر الى اميركا الجنوبية سنة ١٨٥٠ فتعرف في مدينة ملّلاّ في شيلي بعائلة رقت لحالهِ فاعتنت بهِ وسمتهُ باسمها كاسترو ثم سافر الى استراليا حيث عُرف بهذا الاسم مدة اقامتهِ فيها . واثبت اعضاء اسرة تتشبورن ايضاً انهُ حالما وصل الى انكلترا من سدني توجه الى وابنغ وسأل عن الذين كانوا لا يزالون احياء من اهلهِ . وان روجر تتشبورن لم يذهب الى مدينة ملّلاّ التي اقام اورطن زمناً فيها . ولما كتب اورطن الى اللادي تتشبورن من استراليا خاطبها بلفظة « ماما » في حين ان روجر لم يخاطبها مرة الاَّ بلفظة « امي » . ومن البعيد ان يقول الابن لامهِ « ماما » في كبرهِ وقد كان يقول لها « يا امي » في صغرهِ . وكان يجهل في بادئ الامر اشياء كثيرة يندر ان ينساها احد مثل اسم امهِ ونمرة اورطتهِ واسم السفينة التي سافر عليها من انكلترا . وكان يجهل الفرنسوية تماماً مع ان روجر تربى في فرنسا ولكنهُ كان يعرف بعض الاسبانية على اثر اقامتهِ في اميركا الجنوبية . وكان روجر قد تعلم اللاتينية في انكلترا . اما اورطن فلم يعرف الفرق بين اللاتينية واليونانية القديمة

فهذه القرائن لم تبقِ مجالاً للريب في ان المدعي لم يكن روجر تتشبورن . ثم ان هناك قرائن اخرى كانت تطابق كونهُ اورطن . فقد قال انهُ مصاب بمرض عصبي اسمهُ الخوريا وروجر لم يكن كذلك . وذكر في وصيتهِ ومذكراتهِ اشخاصاً تعرفهم عائلتهُ ولا تعرفهم اسرة تتشبورن . وزد على هذا انهُ كان يجهل املاكهُ وما يتعلق بها وقال ان الباخرة التي سافر عليها من انكلترا اسمها « جسي ملر » وبعد البحث والمراجعة ظهر انها الباخرة التي سافر اورطن

عليها وان روجر سافر على الباخرة « بلاَّ » . ولما وصل انكلترا قصد توًّا بلدة وابنغ كما تقدم وسأَل عن جزّار كان يسكن هناك فيما مضى

هذه القرائن مضافًا اليها ان اللادي تتشبورن ومحامي الاسرة لم يلبثا طويلاً حتى ماتا—ثبطت عزائم اورطن فتمنى « سحب » قضيتهِ والعدول عن المطالبة بالميراث ولقب الشرف لولا مضايقة مدينيهِ اياهُ وتشديدهم عليهِ وكانوا قد اقرضوهُ اموالاً كثيرة على ذمة جلد الدب كما في الحكاية المشهورة . ثم جيءَ بهِ الى المحكمة ودامت محاكمتهُ ١٨٨ يومًا فكانت اقوالهُ وشهاداتهُ نسيجًا من الجهل والاحتيال والاصرار على التوفيق بين اقوالهِ المتناقضة مما لم يسمع بمثلهِ في محاكم القضاء . وحلف اكثر من مئة شاهد بانهُ روجر وكان معظمهم صادقين في اعتقادهم ولو كانوا مخدوعين . وحلف كثيرون ايضًا بانهُ ليس هو . وحلف آخرون بانهُ اورطن . ويقال ان كثيرين بقوا بعد المحاكمة وصدور الحكم يعتقدون بان المدعي كان روجر بعينهِ وحجتهم ان اللادي تتشبورن ورفاقهُ المزعومين في اورطتهِ قالوا انهُ روجر فلا بدَّ ان يكون هو . وبقي الجمهور في ريب من امرهِ حتى خطب النائب العمومي خطبة طويلة ابان فيها حقيقة المسئلة وكشف النقاب عن المؤامرة التي دبرت لاثبات كون المدعي هو روجر صاحب الثروة الطائلة والالقاب السامية . فقبض عليهِ وحوكم على الحنث باليمين فاصر على القول انهُ روجر وابدى عنادًا ادهش الجميع ولكن خطأَ محاميهِ وشهادة عشيقة لهُ ورفض المحامي ان يحضر اخواتهِ للشهادة — هذا كلهُ اقنع المحلفين فاختلوا للمداولة نصف ساعة وحكموا بان المدعي هو اورطن لا غيرهُ . فحكم عليهِ للحنث مرتين بالاشغال الشاقة ١٤ سنة وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٧٤ فاقام في السجن ١٠ سنوات . وتوفي بعد خروجهِ منهُ باربع عشرة سنة اي سنة ١٨٩٨

وقد كان سبب ضجة الجمهور حول هذه القضية وعدم تفهمهم لها ظنهم انهُ لما كان كل شاهد تقريبًا يؤْتى بهِ للشهادة ضد المدعي قد يكون مخطئًا لذلك يكون الشهود في مجموعهم مخطئين . فان المدعي لا يبعد ان يكون قد نسي الفرنسوية . ونسي اسم « امه » ونمرة اورطتهِ واسم السفينة التي سافر عليها وهكذا الى آخر هذه القرائن الصغرى . ولكن لا يحتمل ولا يتصور انهُ ينسى هذه الامور كلها لو كان هو روجر حقيقة . وعليهِ كثيرًا ما يكون للقرائن الضعيفة الصغيرة قوة البينة والحجة الدامغة عند جمعها وتمحيصها ومقابلتها بعضها ببعض

وقد بلغت نفقة المحاكمتين اي سماع القضية الاصلية وسماع القضية الفرعية التي تفرعت عنها وهي محاكمتهُ على الحنث باليمين ٢٠٠ الف جنيه دفعت اسرة تتشبورن ٩٠ الفًا منها .

وكان مؤيدو المدعي من اهل الطبقة العليا قد نبذوهُ وهجروهُ قبل المحاكمة الثانية ولكن الذين الفوا شركة مساهمة دفعوا فيها المال للانفاق على قضيتهِ واهل الطبقتين الوسطى والدنيا عامة اعتقدوا انهُ رجل مضطهد . وفي سنة ١٨٧٥ عرض على مجلس النواب اقتراح فحواهُ احالة هذه القضية الى لجنة ملكية لاعادة النظر فيها فرفض المجلس هذا الاقتراح بالاجماع فهاجت لندن وماجت وخيف حدوث فتنة واعدت الجنود لقمع الفتنة اذا حدثت . ولكن الخواطر سكنت من نفسها فلما خرج اورطن من سجنهِ سنة ١٨٨٤ لم يعبأ الناس بهِ ومات سنة ١٨٩٨ فقيراً منسيًّا .

الفصاحة والبلاغة

قالوا في حدّ الفصاحة انها سلامة الكلام من عيوب منها الكراهة في السمع كالنقاخ في قول الشاعر

واحمق ممن يكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخ مبردِ

والنقاخ هو الماء العذب الصافي . وفات الذين استشهدوا بهذا البيت ان الشاعر كان في معرض تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بافصح اسماء الخمر وباقبح اسماء الماء . وعندي انهُ لو سمح لهُ الوزن لجاء بلفظة المدامة او بنت الحان او بنت الدوالي او بنت العنقود او غيرها من الالفاظ التي يكنى بها عن الخمر وهي خالية من تنافر الحروف . ولو وجد في اللغة اسماً للماء اثقل على الاذن من النقاخ لجاء بهِ مبالغة في هجاء الماء . فالاستشهاد بهذا البيت على الاخلال بالفصاحة في غير محلهِ . والذي اراهُ ان لفظة النقاخ هي اللفظة التي لا يصلح غيرها مكانها الاّ اذا كان اوقر في الاذن منها . وكلما زاد وقراً وزادت الاذن نبوًّا عنهُ كان اوفى بالمراد . أيريد اهل الفصاحة من الشاعر ان يأتي بلفظة زلال او سلسبيل (بشرط ان لا يختل الوزن) او غيرهما من اسماء الماء الفصيحة ؟ لو جاء الشاعر بلفظة زلال مثلاً في المقابلة بين الخمر والماء لجاءت اللفظة مخلّة بالفصاحة والبلاغة في نظري . اذ لا يستبعد على كارع الماء اذ ذاك ان يظفر بحمل الشاعر على هجر الخمر لمجرد الاتيان باسم فصيح من اسماء الماء

كذلك قالوا ان الفصاحة سلامة الكلام من التنافر واوردوا شاهداً هذا البيت :

وقبر حرب بمكان قفرُ وليس قرب قبر حرب قبرُ

صحيح ان الكلمات متنافرة فهي ليست فصيحة كما ان لفظة نقاخ ليست فصيحة اذا اريد

بالفصاحة مجرّد السلامة من العيوب بلا نظر الى المراد و بعبارة اخرى بلا نظر الى البلاغة · ولكن ألم يخطر على بال المستشهد بهذا البيت ان الشاعر نظمهُ قصد التلاعب بما فيهِ من التنافر · ويخيَّل اليَّ انهُ لما انتهى من نظمهِ انشدهُ بعض اخوانهِ وخاطرهم على شيء يعطيهم اياهُ اذا استطاعوا ترديدهُ مرة او مرتين على عجل كما يفعل الناس في كل عصر وفي كل لغة وكما نفعل نحن الآن · من منّا يقول ان المتنبي لما نظم بيتهُ المقلقل

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل همّ كلهن قلاقلُ

لم يكن يعلم ما فيهِ من تنافر الكلمات وعندي انهُ ما انتهى من نظمهِ الاّ وهو يقهقه لغرابتهِ وانهُ ما اثبتهُ الاّ لتلك الغرابة · والاّ فمن الجهل ان يظنّ ان الذي نظم هذا البيت لا يستطيع ان يدرك عظم الفرق من حيث الفصاحة والبلاغة بينهُ و بين امثال الابيات الآتية التي من نظمهِ كقولهِ :

حسان التثني ينقش الوشي مثلهُ اذا مسن في اجسامهنّ النواعمِ

وقولهِ :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبقَ مني وما بقي

وقولهِ :

حلت دون المزار فاليوم لوزر تِ لحال النحولِ دون العناقِ

ومن منا يقول ان ناظم الابيات التالية في مكانين وزمانين ومناسبتين مختلفتين لا يعلم ان الواحد في واد والآخرين في وادٍ كأنها ليست لناظم واحد · اما الواحد فهو :

اذا قامت لحاجتهـا تثنت كان عظامها من خيزرانِ

واما الآخران فهما :

انما عظم سليمى حبتي قصب السكّر لاعظم الجملْ
فاذا ادليت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصلْ

ألا ترانا ونحن في معرض التلاعب بالالفاظ قصد التسلية والتفكهة نأتي بمثل بيت المتنبي المقلقل ؟ من ذلك قول بعضهم « شجرة الحهخعة حملت حهخعتين حهخعة لك وحهخعة لي » · وقولهم « قم يا قمقم قم تقمقم قم للقفه قم كل قمح » وهو مثل قبر حرب

أيقول قائل ان المتنبي اخل بالفصاحة بقولهِ في ذم ضبة بن يزيد العتبي :

ما انصف القوم ضبّه وامه الطرطبه

نعم ان طرطبة غير فصيحة ولكنها مقصودة فلا يصح الاستشهاد بها في مقام الاخلال

بالفصاحة ونقاخ مثلها . فاذا قلت لي هاتِ لنا مثلاً صادقاً على الاخلال بالفصاحة قلت لك خذ هذا المثل :

ببيت بوماة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المسالكِ

فما هذا الجحيش؟ وما ذلك اليعروري ؟ فالجحيش هو الفريد فلم لم يقل الشاعر «فريداً» مكان «جحيشاً» و «شريداً في» بدل «و يعروري» الاَّ اذا كان يقصد الكراهة في السمع وهي من عيوب الفصاحة

او كقول الراجز غفر الله لهُ :

في شعشعانٍ عنق يمخورِ حابي الحيود فارض الحنجورِ

قالوا انهُ يصف بهذا البيت جملاً . ولكن ليس في البيت كلمة يؤْخذ منها ولو تلميحاً ان هذا وصف جمل او جبل . او انهُ من العربية في شيء اللهم لفظة «في» . ثم ما ادرانا انهُ ليس حكاية لفحيح الافعى او نقيق الضفدع او «قلقلة المفتاح ضمن القفل» . او انهُ ليس نموذجاً من لغة الجنّ او او او الخ

وصفت مرة يوماً عاصفيًّا زوبعيًّا بقولي انهُ يوم مكفهرّ مستصعب قمطرير . فقال ظريف ان فلاناً قضى العمر يتلمس الفرص لقذف هذه الرجوم التي هي اشبه بمقذوفات مدافع سكودا او كروب فسنحت لهُ الفرصة فتنفس الصعداء بعد انفراج كربتهِ وانكشاف غمتهِ

لما اعيت احد قواد نابليون الحيلة في معركة ووترلو صاح صيحة المغيظ المحنق ولكنهُ لم يقل سوى كلمة واحدة وهي «مرد» ومعناها «براز» وسواء قال هذه الكلمة او وضعها هوجو عن لسانهِ في كتاب البؤساء فقد حسبت لهُ من قولاتهِ البليغة وبنى هوجو عليها فصلاً طويلاً على سبيل الشرح والتعليق وعدَّها آية من آيات الفصاحة والبلاغة

***

ولننتقل الى باب آخر . عابوا على شاعر مشهور قولهُ

لا والذي هو عالم ان النوى مرّ وان ابا الحسين كريمُ

فقالوا واية علاقة بين النوى والكرم . والحق يقال اني ما سمعت معلم مدرسة الاَّ وهو يستشهد بهذا البيت على الاخلال بالبلاغة وتلاميذهُ يتابعونهُ على قولهِ ويضحكون ضحكهُ . اما انا فارى ان بين النوى والكرم كلّ العلاقة . رجل ناءٍ عن الاهل صفر الكفّ كما قال صاحب اللامية لا يخطر ببالهِ سوى قوتهِ ومبيتهِ . واذا سأل عن احد في دار غربتهِ فانما يسأل عن الغني المعطاء ينفحهُ بدينار يسدّ بهِ رمقهُ . فهو لا يسأل عن الاديب ولا عن

الغنيّ البخيل ولا عن اخيهِ الغريب الفقير . افيقال بعد هذا ان لا علاقة بين النوى والكرم وان كلمة « ابا الحسين كريم » وضعت في غير موضعها . فكأن الشاعر قال « والله ان الاغتراب عن الاهل والوطن صعب من المذاق ولا سيما على من كان مثلي لا يملك ما يشتري بهِ كسرة من الخبز ابلغ بها ولكني احمد الله على وجود رجل مثل ابي الحسين ندي الكف لا يخيب آملاً ولا يرد سائلاً فان حلاوة ملقاهُ تذهب مرارة النوى التي اتجرع غصصها » . هذا وان كان في البيت شيء يعاب فهو الاخبار عن « النوى » المؤنثة حتماً بلفظة « مرّ » المذكرة . لقد اجازوا قولنا طلع وطلعت الشمس في المؤنث المجازي ولكنهم لم يجيزوا مثل ذلك في المؤنث المختوم بعلامة التأنيث وان يكن مجازيًّا وان اجازوهُ في مثل طلع الشمس اي حيث الكلام فعل وفاعل لم يجيزوهُ في مثل النوى مرّ حيث الكلام مبتدأ وخبر

***

اما البلاغة فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ فكل بليغ فصيح ولا يعكس والبلاغة قد تكون بكلام وقد تكون بلا كلام . والكلام اما ان يكون نثراً واما ان يكون شعراً . فمن البلاغة في النثر قول مؤبن الاسكندر « اصبح آسر الاسرى اسيراً » وقول آخر « هذا الملك كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبأهُ » اشارة الى دفنهِ في تابوت من ذهب رصع بالجوهر وطلي بالصبر . وقول يوليوس قيصر معنفاً صديقهُ بروتس على التآمر عليهِ « أوَ انت ايضاً يا بروتس » فذهبت مثلاً على البلاغة مع الايجاز

وقول السيد المسيح وقد جاؤوا امامهُ بامرأة زانية يطلبون الحكم عليها بالرجم كما كانت عادة اليهود : « مَن منكم بلا خطية فليرمها اولاً بحجر » وهو منتهي الافحام

وقولهُ مخاطباً يهوذا احد رسلهِ معاتباً : « ابقبلة تسلم ابن الانسان » . وقد كان لهذا العتاب قوة الصاعقة المفاجئة . فانهُ جعل رجلاً مثل يهوذا واسع الذمة ميت الضمير عديم الوفاء لصديقهِ كاذب الولاء لسيدهِ — يزهق نفسهُ بيدهِ

ومن البلاغة في الشعر قول شاعر ينعى احد الخلفاء « مات الخليفة ايها الثقلان » والثقلان في قول الانس والجن فكأن الشاعر لم يكفهِ نعي ميتهِ للناس فنعاهُ للجن ايضاً . وفي قولٍ ان الثقلين العرب والعجم فنعاهُ للعرب والعجم معاً . ولا تنكر بلاغة هذا الصدر ولكن فهاهة عجز البيت اذهبت بلاغة صدرهِ كما هو مشهور

وقول المتنبي

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطمُ

وقولهُ :

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكن انت وافيا

وقولهُ :

ان كان سركم‌ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم المُ

وربما زاد في بلاغة هذا البيت كونهُ ابن ساعتهِ كما هو مشهور

وقول شوقي :

دقات قلب المرء قائلة لهُ ان الحياة دقائق وثواني

وقولهُ : ولقد شهدتك والردى بك محدق والسقم ملءُ معالم الجثمانِ

فهششت لي حتى كأَنك عائدي وانا الذي هدَّ الضنى بنياني

وقولهُ :

وانا الذي ارثي الشموس اذا هوت فتعود سيرتها من الدورانِ

وقولهُ :

ذريني وشأني في الوغى لا مباليًا الى الموت امشي ام الى الموت اركبُ

وقول حافظ :

نقول للنفس ان جاشت اليك بها هذا مجالك سودي فيهِ او بيدي

وقولهُ :

خشع البحر اذا ركبت جواريهِ خشوع القلوب يوم الحسابِ

وكان حقهُ ان يقول جواريهُ ولكن مثل هذه الهفوة اغتفرها النحاة حتى في نفاية الشعر واراجيزهِ فما بالك بالشعر البليغ • وهي اصغر من هفوة شوقي في قولهِ :

أمولاي غنتك السيوف فاطربت فهل ليراعي ان يغني فيطربُ

فاسكن اولاً ياء يغني كما اسكن حافظ ياء « جواريهِ » وهذا مغتفر. ثم رفع « فيطربُ » حيث يجب نصبها بعد عطفها على « يغني » المنصوبة بأن وبعد وقوعها في جواب طلب محض • اما جعل فاء يطرب فصيحة مستأنفة ففيهِ تجوّز كثير

وقول الحوراني في شاعر ضرير اسمهُ عثمان :

يا ناظم الشهب الثواقب في الدجى اتركت للشعراء غير ظلامهِ

ما انت عثمان الضرير حقيقةً بل انت ذو النورين في ايامهِ

لكنما اغمضت عن هـذا الورى كيلا ترى ذا الجهل فوق مقامهِ

وقول بعضهم :

يا اخا البدر قد جفانا اخوك البـدر ظلماً فكن مكان اخيكا
واطلعن في دجى الليالي علينا ثم صلنا فاننا واصلوكا
واذا ما عزَّ الفداء فكم من مهج او من اكبُد تفديكا
يا اخا البدر ليس يشبهك البد ر فأنكر من لم يكن من ابيكا
انما ضوءه وجهـهِ مستعارٌ وضياء الجبين منك وفيكا
وهو رهن الخسوف والنقص ماعا ش ولا شيء منهما يعروكا
يا اخا البدر قم بنا نجعل الشك يقيناً فقـد مللنـا الشكوكا
ما سلوناك مرة فتعـهَّد بجميل من لم يكن يسلوكا

وربما كان ابلغ الشعر قول الشاعر يصف وادياً وسيماً :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميمِ
نزلنا دوحهُ فحنا علينـا حنوَّ المرضعات على الفطيمِ
وارشفنا على ظماٍ زلالاً ارقَّ من المدامة للنديمِ
يصدُّ الشمس انّي واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيمِ
تروع حصاهُ حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيمِ

فالالفاظ مختارة منقودة لا تنافر بين حروفها والمعاني ابكار

***

والبلاغة الصامتة اما ان تكون بذرف الدمع وعليهِ قال المغنيّ المصري « لسان الدمع افصح من بيان » يريد أبلغ . ولما وقف السيد المسيح على قبر لعازر لم يقل كلمة في رثائهِ وهو صديقهُ الحميم ولم يطل في تأبينهِ بل بكى ثم انتقل فجأة من باب العواطف والخيالات الى باب الحقائق الملموسة وشرع في «عملية» احياء الميت ليري الواقفين حولهُ ان لكلّ شيء وقتاً . والمشاهد ان ذرف الوالد دمعة على فقد ابن لهُ افعل في نفوس الرائين من ندب عشرات النادبات

واما ان تكون بالسكوت المطلق كقول داود النبيّ « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ . يوم ليوم يذيع كلاماً وليل لليل يبدي علماً ليس قول ولا كلام لا يسمع بهِ صوتهم . في الارض كلها ذاع منطقهم والى اقصى المسكونة كلماتهم » . وقد قال تنيسون من اعاظم شعراء الانكليز في وصف مزامير داود انها من ابلغ الشعر . وان شعرهُ هو بازائها شعر " ضعيف يقاوي او قصير يطاول "

وان سكوت الليل وشروق الشمس وغروبها وطلوع القمر وظهور الكواكب كلّ يوم بلا جعجعة ولا طنطنة لأبلغ في الدلالة على وجود علة العلل وقوتهِ من ان يعهد في هذه الاعمال كلها الى ملائكة يذيعونها على الملاء بالكلام كأنْ يظهر ملاك في الافق قبيل شروق الشمس و يقول « ايها الناس ان الشمس ستشرق عليكم » ثم تشرق الشمس · وقبيل المغيب يظهر ملاك آخر و يقول « ايها الناس ان الشمس ستغرب عنكم » ثم تغرب · لو وكلت هذه الاعمال الى ملائكة يخبرون بها لاعتادها الناس ولاعتادوا مرأى الملائكة فزال مالها الآن في القلوب من رهبة وخشية · وربما ضايق الناس الملائكة فطابوا اليهم تأخير الشروق اوْ الاسراع بالغروب لمآرب في انفسهم · ولكن هذه الاحداث كلها تحدث بلا قول ولا كلام ولا انذار ناطق وبذلك حافظت الطبيعة على هيبتها في النفوس ولم تجرّ على نفسها الاحتقار الذي تجلبهُ المخالطة وزيادة الالفة كما ان الناس لم يألفوا الموت على كثرة تمرسهم بهِ ولا زالت رهبتهُ من القلوب لانهُ ساكت صامت · ولو ان عزرائيل كلما اراد قبض نفس بعث اليها بالاعلان في اثر الاعلان والانذار في اثر الانذار ثم ظهر ليقبضها لعمى الناس عليهِ ولم يجودوا بنفوسهم ولدالت دولة الموت وعاش الانسان مخلداً

وعندي ان الكلام البليغ (والفصيح بالضرورة) هو الذي يفهمهُ العامة ويطرب لهُ الخاصة لاشتمالهِ على اسرار البلاغة الطبيعية والاصطلاحية وخلوهِ مما يناقضها مع مراعاة روح العصر والجري على مقتضاهُ

اقول مع مراعاة روح العصر والجري على مقتضاهُ واريد بذلك ان ما يحسب فصيحاً بليغاً في عصر قد لا يحسب فصيحاً بليغاً في عصر آخر · فانك اذا اخذت ديوان المتنبي رأيت فيهِ كلمات تحسبها نافرة وتراكيب تحسبها ركيكة الآن حتى ليدهشك صدور ذلك من شاعر لم تنكر سعة اطلاعهِ على مفردات اللغة والوقوف على قواعدها ودخائلها وان انكرت شاعريتهُ · والحقيقة ان المتنبي لم ينقب عن النافر ولا تعمد التفتيش عن الركيك ليزجها في بيانهِ وانما كانا من البضاعة التي راجت في عصرهِ ثم كسدت فيما بعدهُ · ويخيل اليَّ انهُ لو انتفض من مدفنهِ وزال قبرهُ وكفنهُ ثم عرض عليهِ شعرنا ونثرنا لينقدهُ لربما عدَّ ركيكاً ما نحسبهُ بليغاً ونافراً ما نحسبهُ فصيحاً والضد بالضد

كان شعراء الانكليز في القرن الرابع عشر ينظمون شعراً لا يفهمهُ معاصرونا منهم الآن · خذ مثلاً لذلك الشاعر « تشوسر » فانهم يحسبونهُ من خيرة شعرائهم ولو لم يفهم شعرهُ الاَّ الذي يدرسهُ خصيصاً لان فيهِ كثيراً مما كان في عهدهِ فصيحاً فبات في هذا العهد ملغى مهملاً ·

ولم يأت القرن السادس عشر قرن شكسبير وباكون حتى تغير ذلك كلهُ فان شكسبير نظم شعراً انكليزيًّا يفهمهُ اهل هذا العصر ويعدونهُ آية في البلاغة . وما ذلك الا لان اللغة الانكليزية تغيرت تغيراً كليًّا في مدى قرنين فكأنها خلعت حلة ولبست حلة اخرى فامسى الفصيح القديم عيًّا مهملاً في العصر الجديد . وبعد شكسبير لم يطرأ على اللغة الانكليزية انقلاب كبير ولكن كثيراً من الكلمات الواردة في نظمهِ اهمل استعمالها الآن . فاذا فتشت عنها في معجمات اللغة عندهم وجدت قبالتها لفظة « مهملة » . ولقد صدق من قال : « لكل مقام مقال ولكل دهر دولة ورجال » (ن . ش)

طعام الانسان

لا جدال في ان طعام الامم عامل رئيسي في تربية اخلاقها وتكوين قوميتها لا يفوقهُ في ذلك الا الاقليم الذي تسكنهُ . لما قام المستر لويد جورج وزير مالية انكلترا سابقًا ووزير المبرة والذخيرة حالاً يخطب في ذم المسكرات ابَّان القومة التي قامت في انكلترا عليها اشار الى الشاي فاطراهُ ونسب الى شرب قومهِ اياهُ ما يدب في صدورهم من روح الهمة والاقدام . ولا ريب ان في هذا القول بعض المبالغة لان اسلاف الانكليز لم يكونوا دون ابنائهم همة واقداماً في حين لم يكونوا يعرفون الشاي . ولكن لا ينكر ان شرب الشاي في الاصقاع الباردة يساعد على توليد الحرارة الحيوانية اللازمة للقيام بالاعمال العادية . وبناء على كون الطعام عاملاً كبيراً في حياة الامم جعل نفر من العلماء همهم البحث فيهِ وفيما يلزم الفرد منهُ في يومهِ . فلا تكاد تتناول كتاباً من كتب علماء الصحة الا رأيت فيهِ ما يلزم الفرد كل يوم من اللحم والزبدة والمواد النشوية والنتروجينية كالرز والقطاني والقمح والبقول والاثمار الى آخر ما هنالك . حتى ليخيل الى قارئ احصاءاتهم انهُ ان لم يتناول الانسان كل يوم رطلاً من اللحم مثلاً ونصف رطل من الزبدة وبعض صاع من الرز والقمح وجانباً من التفاح والمنجو قصف في عنفوان شبابهِ . وان آكلي اللحم والزبدة هم وحدهم طوال الاعمار وآكلي البقول هم قصارها

لذلك طالما سمعنا هذا العالم وذاك الاحصائي يقدران الموت العاجل للامم التي ليس اللحم قوام طعامها ويعزوان فتور الهمم في بلاد المشرق الى الاقتصار على اكل المواد النباتية الا نادراً . وينصحان لاهل الشرق بالاكثار من اكل اللحم اذا حدثتهم انفسهم بفتح الممالك وتدويخ البلدان والانتظام في اسلاك المخترعين والمكتشفين والمؤلفين . ونحن مع اعترافنا بفضل

الطعام على الام في تربية اخلاقها وتكوين قوميتها لا يسعنا الاّ القول بان تناول هذا اللون او ذاك من الوان الطعام يجب ان يلاحظ فيهِ الاقليم · فاهل الاصقاع المعتدلة الباردة لا غنى لهم عن المواد الدهنية للمساعدة على توليد الحرارة في ابدانهم · واهل البلاد المتجمدة لا يأكلون الاّ اللحم والدهن · ولكن الاكثار من اكل اللحم والدهن في البلاد المعتدلة الحارة او الشديدة الحرّ مجلبة للامراض المختلفة ومقصّرٌ للاعمار · وقول علماء اوربا ان المرء يحتاج الى قدر معين من اللحم واشباههِ كل يوم ليعيش لا يصح في اهل اوربا انفسهم — اذ كم من فقير فيهم لا يأكل اللحم مرة في الاسبوع وربما عمَّر قرناً والمتأنق في طعامهِ والمجيد لمطابخهِ يموت شابًّا او كهلاً — فما بالك بالشرقي ابن البلاد الحارة · ولقد صدق ابو الطيب حيث قال

يموت راعي الضأن في جهلهِ ميتة جالينوس في طبّهِ
وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سربهِ

فعلو الهمة في صدر امة من الام متوقف على اقليمها اي موقعها من عروض هذه الكرة فاعظم الناس همة هم اهل البلاد المعتدلة المائلة الى البرد يليهم اهل البلاد المعتدلة المائلة الى الحرّ · اما اهل البلاد الشديدة القرّ كالاسكيمو او الشديدة الحرّ كالزنوج فلا عزم عندهم ولا اقدام

وربما كانت مسئلة الطعام من اعظم عثرات الاستعمار الاوربي لبلاد الشرق · فان المستعمرين الاوربيين الذين اعتادوا الاكثار من اكل اللحوم في بلادهم لا يستطيعون الاقلال من اكلها بحكم العادة اذا انتقلوا للسكن في بلاد حارة · وحينئذٍ يفعل الحرّ والاكثار من اكل اللحوم فعلهُ الهادم لابدانهم المخرّب لصحتهم · وزد على هذا وذاك ان اقتصار الشرقي على المآكل النباتية الرخيصة الثمن يجعل مزاحمة الغربي لهُ في اعمالهِ صعبة وخصوصاً طبقة العمال · فان العامل الشرقي يقنع باجرة لا يرضاها الغربي وبطعام لا يكفي الغربي ولا يمرأ لهُ · فالعامل الاوربي لا يستطيع مزاحمة العامل المصري الاّ اذا كان صناع اليدين في حرفتهِ · وهذه الاعتبارات هي التي ولّدت المسئلة الاميركية الشرقية في اميركا والمسئلة الانكليزية الشرقية في مستعمرات انكلترا · فان العمال والصناع من صينيين ويابانيين وهنود اكثروا من المهاجرة الى اميركا والمستعمرات الانكليزية مثل استراليا وجنوب افريقية وكندا وجعلوا يزاحمون اهل البلاد في بعض الحرف كالتعدين والشيالة وغسل الملابس وكيها وهم يعيشون باقل منهم ويرضون اجوراً اقل من اجورهم فهبَّ الاميركيون والانكليز معترضين وافضى اعتراضهم هذا الى مشاكل صعبة الحل تفاقم امرها غير مرة بين اميركا

واليابان من جهة و بين الهند واستراليا وجنوب افريقية من جهة اخرى ولم تحل حتى الآن . فالاميركيون يطلبون التضييق على مهاجري اليابان والصين الى بلادهم . وحكومتا اليابان والصين تريان في ذلك اجحافًا على قومهما . واهل المستعمرات الانكليزية البيض يطلبون التضييق في مهاجرة الهنود الى بلادهم والهنود ينكرون ذلك ويحسبونهُ ظلماً عليهم وهم ابناء السلطنة الانكليزية

بحث كاتب اميركي في طعام اهل الولايات المتحدة وما طرأ عليهِ في السنين الاخيرة من التغيير في صفتهِ وكميتهِ وقابل بين طعام الاميركي وطعام بعض اهل الشرق فقال ان مسئلة طعام اهل اميركا مسئلة حديثة العهد . فمنذ خمسين سنة كان السمك والحمام والغزال والديك الرومي البري وطير الماء والسماني والجاموس البري كثيرة . وكذلك الاثمار برية و بستانية . وكان الطعام رخيصاً وكافياً للجميع ومتعدداً يأخذ كلٌّ منهُ ما يلائم ذوقهُ . اما الآن فقد تغير ذلك كلهُ . فطيور الصيد زالت . والاثمار عادت ولا شأن لها في طعام الاميركيين . وقد اخذ اهل البلاد يزيدون ٢٠ في المئة او اكثر كل عشر سنين حتى قصرت زيادة الطعام عن زيادة السكان . واذا دامت الزيادة على سرعتها الحالية بلغ سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٥٠٠ مليون في آخر القرن الحالي . فهل تكفي ارض اميركا الزراعية حينئذٍ لاطعام ذلك العدد العديد من الناس ومساحتها لا تزيد على ثلاثة ملايين ميل مربع

نعم ان الصين والهند تخرجان من الطعام ما يكفي سكانهما وهم يعدون بمئات الملايين ولكن الصين والهند زراعيتان في الاكثر وجمهور سكانهما فلاحون . اما اميركا فمعظم زيادة سكانها حاصل في المدن لا في الاقاليم

وتدل الاحصاءات الاميركية على نقص في الصادرات ففي سنة ١٩١٢ نقصت صادرات الجبن ٨٥ في المئة عنها سنة ١٩١٠ . وصادرات لحم البقر ٦٥ في المئة . ولحم الخنزير ٣٠ في المئة . والذرة ٨٠ في المئة . والقمح ٥٧ في المئة . اي ان اميركا باتت سنة ١٩١٢ اشد حاجة الى الاصناف المذكورة منها سنة ١٩١٠ فلم تصدر منها الى الخارج الا على النسبة المذكورة . ولكن اميركا لا يحتمل ان تخرج من الطعام ما يكفي اهلها دائمًا ولو استمرت على تقليل صادراتها . بل جعلت الآن تستورد اللحم والذرة من الخارج . وليس هناك مجال للخوف من ان يقلَّ الطعام فيها عن حاجة سكانها في مستقبل قريب ولكن لا مناص لهم من ادخال تغيير على نوع طعامهم . ففي سنة ١٩١٠ كانت التربة تخرج نحو اردب وثلث قمحاً وستة ارادب ذرة ونحو اردب بطاطس و ٤٠ رطل سكر لكل نفس من السكان . وكان في

البلاد نحو ستين مليونًا من البقر والغنم ونحو سبعين مليون خنزير ما عدا الاثمار والبقول واللبن وما يصنع منهُ والمرطبان وغيرهِ من الحبوب · وفي سنة ١٩١٢ زرع من الذرة في اميركا ما لو زرع في حقل واحد لأوجه المانيا وفرنسا معًا · وهذا القدر من الذرة يكفي اكثر من مئتي مليون من النفوس لو اقتصروا عليهِ ولكنهم لا يأكلون منهُ الاَّ النزر اليسير

للطعام وظيفتان رئيستان في الجسم · الاولى تقديم المواد التي يبنى الجسم منها· والثانية تقديم المواد اللازمة لتوليد الحرارة الحيوانية فيهِ · وربما كانت الثانية اهم من الاولى لان قوة الجسم على العمل تتوقف عليها · وللنباتات وحدها القدرة على جمع القوة المستمدة من الشمس وادّخارها · فاذا اكل الحيوان من تلك النباتات تمكن من استخراج تلك القوة المذخورة فيها والانتفاع بها · مثال ذلك اذا علفت عجلاً ذرة تحوّل ٣ في المئة من القوة المذخورة في الذرة لحمًا للآكل والباقي يستخدمهُ العجل في جسمهِ للاعمال والوظائف المختلفة اللازمة لتكوين اللحم · اما الخنزير فيحول ١٦ في المئة من علفهِ لحمًا والبقرة الحلوب ١٨ في المئة · وهذا اسراف ظاهر من حيث انتفاع الانسان لا يبررهُ الاَّ كون اللحم واللبن الذ طعمًا من الذرة

اما مساحة الولايات المتحدة فضعفا مساحة الصين او الهند فهي تستطيع لذلك ان تعول ضعفي سكان الواحدة منها او ان تعول سكان الصين والهند معًا على شرط ان يأكل الاميركي ما يأكل الصيني او الهندي عادة · وهذا يقتضي ادخال تغيير كبير على صفة طعام الاميركي

وصف بعضهم طعام الصيني الذي يأكلهُ عادة في يومهِ فقال :

« يتألف طعام الصيني من ارز مطبوخ على البخار وكرنب مسلوق في مقدار كبير من الماء · فاذا انتهى منها قضم بعض اللفت المخلّل مكان الفاكهة الاَّ اذا شاء الاسراف في فاكهتهِ وحينئذٍ يشتري شيئًا من بزر البطيخ (اللب) التاشف · هذا طعام جمهور الصينيين لا الشحاذين ولا المدقعين بل طبقة العمال والصناع في المدن الكبرى والقرى · وجهد ما يحلمون بهِ من الاطايب اوقية او اوقيتان من اللحم يأكلونهُ في النادر مطبوخًا مع الرز والكرنب ويشربون معهُ الشاي ثم يدخنون »

ووصف آخر طعام الهنود العادي فقال : « لعلّ ثلاثة ارباع الهنود يقتاتون بحبوب الدخن او القطاني على انواعها · والرز قوام طعام الهنود في بنغال السفلى وبعض بلاد مدراس وبمباي وبرما وسيلان · وفي غيرها لا يأكلهُ الاَّ الاغنياء »

ووصف بعض قناصل اميركا في اليونان طعام الجمهور في تقرير كتبهُ سنة ١٩٠٨

فقال: « ويكون العشاء غالباً رزاً مطبوخاً بالبقول وزيت الزيتون مع شيء من الخبز او بقولاً مطبوخة بالزيت مع شيء من الخبز . ويأكل العمال اللحم ثلاث مرار في السنة عادةً اي في عيد الميلاد والعيد الكبير وعيد مولد السيدة . وعائلة مثل التي اصفها هنا اي عائلة العامل العادي قلما ترى الزبدة والبيض واللبن واشباهها او لا تراها البتة »

ولا يخفى ان طعام الفلاحين في هذا القطر رخيص ساذج فانهم يكتفون بخبز الشعير والذرة وقلما يأدمونهُ بغير المش او السليق وقد لا يأدمونهُ بشيء ولذلك فالعامل الذي اجرتهُ ثلاثة غروش في اليوم يكتفي بها فتكفي لمعيشتهِ ومعيشة زوجتهِ وولدهِ والمرجح ان العشرة الملايين من الفلاحين ونسائهم واولادهم لا ينفقون في السنة على طعامهم ولباسهم اكثر من ثلاثين مليوناً من الجنيهات فيصيب النفس منهم اقل من غرش في اليوم والمليونان الباقيان ينفقون بقية دخل القطر وهي نحو ٤٠ مليوناً من الجنيهات

هذا وان موسم الذرة في اميركا لسنة ١٩١٢ كان يكفي ٢٣٠ مليون نسمة يعيشون عيشة العامل في الصين او الهند او غيرهما . على ان الاميركي لا يستطيب الذرة ولا يعول عليها كثيراً في طعامهِ حتى لقد شاع وذاع في اميركا ان الذرة لا تصلح طعاماً للانسان بل لبهائمهِ ومواشيهِ ولم يغير الاميركيون رأيهم فيها مع ان الحكومة الاميركية انتدبت الخبيرين لفحصها فاثبتوا في تقاريرهم انها مثل القمح في سهولة هضمها وقوتها الغذائية

وسيبقى دقيق القمح في المنزلة الاولى بين دقيق الحبوب ولكن لا مشاحة في ان دقيق الذرة سيصبح يوماً ما اكثر استعمالاً في اميركا مما هو الآن لكثرتهِ ورخص ثمنهِ وشدة الحاجة اليهِ وكونهِ ليس دون دقيق القمح في تغذيتهِ وسهولة هضمهِ ولاسيما اذا اتخذت التدابير اللازمة لتحسين طعمهِ وطبخهِ الواناً مختلفة من الطعام . وما يقال في الذرة يقال ايضاً في الهرطمان والشعير والجودار وبذر القطن والكتان . والخلاصة انهُ لا بد ان يأتي يوم يستبدل فيهِ الاميركي من رجل يعتمد على اللحم في طعامهِ الى رجل يأكل اللحم ويكثر معهُ من اكل البقول والقطاني فيقل اكل اللحم من غير ان يضر ذلك بالصحة العامة

ومع شدة عناية الانسان باكلهِ وكثرة درسهِ لطرق الغذاء والتغذية لم يوفق حتى الآن الى وصفة معينة لطعامهِ ترشدهُ في انتقاء افضل المواد اللازمة لهُ وتنفية المواد التي لا تلزم لهُ او التي تضرهُ ولكنهُ وفق الى مثل تلك الوصفات في طعام مواشيهِ وانعامهِ . وليس ببعيد ان يجيء يوم يتمكن فيهِ من وضع قاعدة لطعامهِ مثل بهائمهِ فيأكل الناس طعامهم على حسب القواعد العلمية الطبية لا كما يأكلونهُ الآن وكيفما اتفق

حرب الانسان والحشرات

ما دام الانسان على قيد الحياة فهو في حرب وجهاد يحارب احداث الجو وتقلبات العناصر . واعدى اعدائهِ الحشرات والمكروبات . اما المكروبات فقد اشتهر امرها في ما تبتلي بهِ الانسان من الامراض واما الحشرات فتحاربهُ كما ترى في انواع الدود التي تعيش في الامعاء او تتلف الحقول والبساتين . وبين الحيوانات ذوات الاصداف اعداء كثيرة للانسان ولاسيما القواقع التي تتلف المزروعات . كذلك من اعدى اعدائهِ القراد الذي تبتلي بهِ الدواجن فيمتص دمها . اما العقارب فليس الضرر الذي تحدثهُ بالشيء المذكور في جنب خوف الانسان منها . ومثل ذلك يقال في الحريش (ام اربع واربعين) السامة

وهذه الحشرات تختلف عن سائر الحيوانات بما بين مصالحها ومصالح الانسان من التضاد . فهي تحاربهُ بالتهام المواد التي يقتات بها او بدس السمّ فيها . او بمهاجمة شخصهِ . او بنقل مكروب الامراض اليهِ والى طيورهِ الاليفة وحيواناتهِ الداجنة والى البقول والخضر وسائر النباتات التي يستخدمها في معيشتهِ . وهذا الاخير هو شرّ افعالها . وبين الانسان والحشرات نزاع على سيادة الارض . وليس بعيداً عن التصور ان تكون الحشرات هي الفئة المنصورة فتخلو الارض من المخلوق الذي يطمح الى امتلاكها وسيادتها وتحويلها جنة لهُ ولسائر انواع الاحياء البرية والبحرية التي تعاونهُ في عملهِ ألا وهو جعل نظام الخليقة متوازناً سوياً

وليس بمستبعد ان يكون ما نسامهُ الآن من العذاب على يد الحشرات قصاصاً لنا على ابادة حلفائنا الامناء من الطيور والزحافات التي كانت معيشتها قائمة بالتهام الحشرات . فالانسان يجني الآن ثمرة ما زرع و يدفع غرامة ما افسد اذ يرى تفشي الامراض التي تحدثها المكروبات وتناقص طعامهِ الحيواني والنباتي وما لذلك من سبب سوى ثورة عالم الحشرات وحركة المكروبات التي تحملها في امعائها وافواهها وعلى قوائمها وظهورها ثم تدسها في جلد الانسان و معدتهِ او دمهِ او ابدان طيورهِ وانعامهِ او اثمار النبات التي يتخذها طعاماً لهُ واداماً

وقد بدأ الانسان يدرك الخطر الناشيء عن الذباب والجراد والبق والقراد والبعوض منذ العصر الحجري واوائل العصر المدني وكأنهُ كان يخاف حينئذٍ بالسليقة المكروبات غير المنظورة التي لم يتمكن من رؤيتها حتى القرن السابع عشر ولا اتيح لنا فهم ماهيتها حتى اوائل القرن الحالي . وهذا الاعتقاد الغريزي بوجود المكروبات وتفشي امراضها هو ولا

شك اساس القوانين التي وضعها الآريون البيض عند غزوتهم للهند . فانهم اجتنبوا من القبائل السود التي اتوا ليحكموها وطلبوا البعد عنها خوفاً من انتقال جراثيم الامراض منها اليهم . وليس ببعيد ان تكون شدة تمسك البراهمة قدماً بهذهِ القوانين هي التي حفظت لهم صحتهم فماشوا واثروا وان يكن نسلهم من اهل الهند الحديثة قد انفقوا جهدهم في مقاومة المساعي التي بذلت لابادة الامراض برفضهم تصديق ما يقال عن عدواها والاشتراك في التدابير الصحية التي تضعها الحكومة للقضاء على الكولرا والطاعون والحميات

وان الابحاث التي جرت في ايطاليا والهند وفرنسا وانكلترا والمانيا واميركا في العقدين الاخيرين من القرن الماضي على مثال ابحاث باستور برهنت على ان الحشرات هي سبب كثير من الادواء التي تصيب الانسان وسائر الحيوان وبينت لنا طرق اجتناب تلك الادواء وهي اما اهلاك الحشرات التي تنقلها او اجتنابها. وقد نشر حديثاً كتاب بالانكليزية بعنوان « الحشرات والانسان » من قلم المستر إيلند لخص فيهِ اسباب الامراض التي تنقلها الحشرات ونتائجها والاضرار الهائلة التي تحدثها. وابان وجوب انتظام الناس ظرًّا في الحرب القادمة — حرب لا تقام بين الانسان واخيهِ الانسان بل بين الانسان والحشرات وتكون حرباً عواناً تفصل في المسائل الآتية : هل يكون الحيوان ذو الفقار وذو المنزلة العليا في الخليقة حاكم هذه البسيطة او الحشرات التي لا فقار لها ؟ وهل يكون سيد الارض نملةً او بقةً او زنبوراً او قرادة او برغوثاً ام يكون سيدها هذا الحيوان الناطق الذي يرصد النجوم ويزن الشموس وقد بلغ السبع الطباق واتصل بعالم ما وراء الطبيعة . ونحن نرجو ان يكون الانسان هو المنصور في تلك الحرب ولكنهُ انما ينتصر بجمع قواهُ كلها واستخدام جميع مواردهِ ومصادرهِ في تلك المهمة ألا وهي ابادة الحشرات التي تنقل الامراض ثم ابادة المكروبات التي لا غاية لها من الحياة الاَّ ان تعيد الحيَّ جماداً

وبعض هذه الحشرات يحمل عدوى الامراض ويبثها في دم الانسان فانها هي نفسها تُعدى اولاً اما بامتصاص دم انسان مريض او حيوان او طائر او زحافة واما ان تأخذ جراثيم العدوى من الزبل او النباتات الفاسدة او الماء الملوث او غير ذلك . وهذه الجراثيم قد تقضي دوراً من عمرها في امعاء الحشرة او في غددها اللعابية والحشرة تنقلها الى دم الانسان اما بوخز جلدهِ كالبرغوث والقملة والبقة والبعوضة واما بنفثها على طعامهِ كالذبابة والخنفساء . وشرّ هذه الحشرات البرغوث على انواعهِ والبقة على انواعها ومنها بقة المكسيك التي طولها بوصة . قال داروين في وصفها « ومما ينكمش لهُ الجلد ويقف شعر الراس تقززاً ان تشعر

بحشرة ناعمة الملمس طولها بوصة تزحف على جلدك . فلا تمضي عشر دقائق حتى تبيت مستديرة بعد ما كانت رقيقة كالبرشانة لكثرة ما تمتص من الدم » . وكذلك القملة والبعوضة والذبابة على انواعها والنملة والقرادة والخنفساء . فاذا استطعنا بواسطة من الوسائط ان نهلك هذه الحشرات او ان نقللها قلة محسوسة فاننا نستأصل الطاعون وانواع الحمى كالصفراء والملاريا والسوداء والراجعة والدنج والبري بري والقرمزية . وربما استطعنا استئصال السرطان ايضاً . والمؤكد اننا نستأصل مرض النوم الذي يجتاح بلاداً واسعة و يبيد سكانها . وكذلك نستأصل جميع امراض البقر والغنم والخنازير والخيل والجمال والدجاج . ثم اذا حملنا على الحشرات التي تسطو على زروعنا استطعنا زيادة حاصلاتنا الزراعية . ثلثة ضعف

ولسنا في هذه الحرب بلا حلفاء واعوان . واعظم اعواننا الطيور فالعظايات فالسمك النهري . ثم ان لنا حلفاء واصدقاء بين جموع الاعداء . فان في الحشرات فئة مهمتها ابادة غيرها من نوعها اهمها الحشرة المعروفة باسم « السيدة » في هذا القطر وهي من فصيلة الخنافس ولا عمل لها على ما يظهر الاَّ ابادة الحشرات التي تأكل القمح في سنابلهِ والثمر على امهِ والدخان والبطيخ في مزارعها . ومن الخنافس خنفساء اخرى من الفصيلة المسماة بالانكليزية خنافس الارض وهي من الآكلة اللحوم ومعظم طعامها الحشرات قبل تفقيسها . وكثيراً ما تفضل اناث الحشرات على ذكورها فتهلك بقضمة واحدة ام الوف من الحشرات المؤذية الضارة

والفصيلة المسماة Hymenoptera اي الغشائية الجناح كثيرة النفع للناس . ومن حشراتها النحل والزنابير والنمل . ومنها نحل يسطو في اواسط افريقية على بعض فصائل الخنافس والفراش والنمل والذباب والجراد المضرة فيفتك بها و يستأصلها . وترى رجال الزراعة الاميركية يطلبون هذه الحشرة النافعة في اسيا وجنوب اوربا وشمال افريقية ويحملونها بمزيد العناية الى حقول اميركا الشمالية والوسطى و يطلقونها على الحشرات التي تفتك بالقطن والتفاح والبرتقال والخوخ والقصب والدخان والحنطة والكرم

ومن رأي السر هري جونستون الذي لخصنا عنهُ ما تقدم ان يعلَّم الاولاد في جميع البلاد علم طبائع الحشرات والقراد وان يُدلوا على الحشرات التي يجب اجتنابها او قتلها والحشرات التي يجب استحياؤُها لانها اعداء اعدائنا . فان الاولاد ميّالون حيثما كانوا الى قتل النحلة خوف لسعها وفضلها على الزراعة مشهور لانها تنقل اللقاح من نبت الى نبت فتثقل الاشجار بثمارها . فليعلم الاولاد علم طبائع الحشرات بدل هندسة اقليدس وليلقنوا مبادئ

علوم الحيوان والنبات والكيمياء بدل قضايا الجبر العويصة التي لا يحتاج اليها الاَّ الفلكي والرياضي . وليحرم حرث الارض على كل فلاح لا يجوز الامتحان في مبادىء علم الهيجين الحيواني وفي الامراض التي تنشأ عن زبل الزرائب وعواقبها وفي فائدة ذلك الزبل للارض وضرره اذا بقي مكانهُ يلوث الطعام الذي نأكلهُ والماء واللبن اللذين نشربهما

وكل حكومة تسنُّ القوانين الشديدة لمعاقبة الذين يقتلون الطيور الآكلة للحشرات المضرة تحسن عملاً . فان اكل الطيور والتزين بريشها حلال الاَّ اذا ثبت ان وجودها على قيد الحياة يدفع عن الانسان غرماً لا يذكر في جنبهِ الغنم الذي يجدهُ من التلذذ بلحمها والتباهي بريشها فقتلها والحالة هذه حرام

فعل الجرذان في الحروب

بعث مراسل احدى الصحف الانكليزية برسالة الى جريدتهِ من ميدان القتال الغربي غريبة في بابها لم ينسج على منوالها ولكنهُ قال واكد انهُ على بينة مما قال : والى القراء مآل رسالتهِ

في ليلة صفا اديمها وسطع قمرها كنت اراقب البطاح والسهول المترامية امامي فابصرت على قرب مني جرذاً مقطوع الذيل قد صلمت اذناهُ وبرز حنكهُ رأيتهُ يتلصص بحذر واحتراس كأن قصف المدافع وانفجار القنابل في تلك الارجاء قد ارعب حتى قلوب جراء الحيوان . ولم تكن الاَّ ثوان حتى اوغل في الادغال وجعل يبحث قلقاً حائراً فادركت انهُ يريد ورود الماء فان علماء الطبيعة يقولون ان الجرذان ترد الماء ولو ابهم عليها كل سبيل او لقيت حتفها لانهُ اذا مضى عليها اربع وعشرون ساعة من غير ان تنقع غلتها وتروي ظماها ماتت لا محالة

وبينما الجرذ على هذه الحال اقبل بوم وقد ازعج ذلك الليل بنعيبهِ فلما سمع الجرذ صوتهُ عرتهُ رعشة ورعدة وقد رأى عيني البومة الحمراوين تحدقان فيهِ فدبَّ واختبأ تحت عربة مدفع مقلوبة وجمد في مكانهِ اكثر منها

ولما لم تسمع البومة صوتاً طارت لا تلوي على شيء وانصرف الجرذ من مخبإهِ غير مصدق بالنجاة وما زال يعدو حتى دنا من باب كنيسة دمرت القنابل جانباً منها فانغض رأسهُ وما عتم حتى دخلها مسرعاً ولسان حالهِ يقول الماء الماء فإما ان اجد ماء واروي ظمإي او اقضي نحبي في نهاية هذه الرواية

مضت عشر دقائق واذا الجرذ في قبة جرس الكنيسة فان حاسة الشم القوية فيه افهمتهُ ان هناك انسيًّا والجرذ يعلم بغريزتهِ انهُ حيث يكون الانسان فهناك طعام وماء · دقت الساعة فارتاع الجرذ ووقف مبهوتًا ولما لم يرَ احداً هدأ روعهُ وجعل يتشمم بانفهِ ويتلمس بشاربيهِ حتى اهتدى الى ثلاثة اوعية مملوءة ماء واكتشف رجلاً مرتديًا ملابس راعٍ واستدل من شخيرهِ انهُ في سبات عميق فلم يبالِ بهِ

رؤي هذا الجرذ بعد خمس دقائق خارجًا من باب الكنيسة وهو ينفض عن شاربيهِ قطرات الماء وهيأتهُ تدل على النشاط والانتعاش · لم يقف ولا التفت الى شيء بل سار عاديًا الى حيث الانقاض والاطلال

***

قبل انبثاق الفجر بساعة بينما القمر فوق قمة تلة وقد اوشك ان يتوارى وراءها وكل شيء ساكن حتى مدافع الالمان عاد الجرذ وخلفهُ جيش من اخوانهِ · لم تكن الأ ثوانٍ حتى ماجت ساحة الكنيسة بهذا الجيش العرمرم وكان لدبيب ارجلها حفيف كحفيف الشجر · رأيت مئات من عيونها تتقد نوراً ثم تحتجب كأنها شرار يتطاير فوق الارض · ثم ساد السكون وسمع قائد الجرذان (او صاحب الحكاية) يصوت كأنهُ يصدر امراً · واذ تجلى منظر مخيف كان نهراً عكراً يجري متدفقًا الى باب الكنيسة

كنت اسمع للجرذان اصواتًا غريبة وهي داخلة الى الكنيسة وصاعدة على سلَّم القبة تقشعرُّ منها الابدان · ظلَّت كذلك حتى دنت من آنية الماء غير مبالية بالنائم لانها لم تكن تطلب حينئذٍ غير الماء فشربت كل قطرة منهُ

***

لما طلع الفجر نهض الراعي واذا الدم يسيل من عنقهِ ويديهِ ووجههِ فصرخ مذعوراً ورأى الارض حولهُ تموج وتتحرك ولما سمعت الجرذان صوتهُ اجفلت ولاذت بالفرار خارجة من باب الكنيسة الى ساحتها ومنها الى ارض الله الواسعة

***

في صباح ذلك اليوم احاطت الجنود البريطانية بالكنيسة وجعلت تخندق الارض حولها وتقيم الاستحكامات وتنصب المدافع بلا منازع ولا مقاوم ظلت كذلك ثلاثة ايام · وفي اليوم الرابع جعل الالمان المعسكرون على التلال البعيدة يطلقون مدافعهم الضخمة على تلك الجهة وكان ضباطهم يضعون نظاراتهم المكبرة على عيونهم ناظرين الى قبة الكنيسة ومراقبين

عقارب ساعتها الكبيرة لعلهم يرونها تدور متحركة حركات متفقاً عليها فيسترشدوا بها الى مواقع المدافع البريطانية المخبأة وكانوا لما اطلقوا مدافعهم لاول مرة ينتظرون ان تخبرهم تلك الساعة هل هم يصيبون الهدف او لا يصيبونهُ. ولما تبيَّنوا ان عقربي الساعة لا يزالان جامدين قالوا قاتل الله ذلك الراعي أأسلم نفسهُ الى الانكليز ام هو نائم ام هو خائن ؟ ماذا جرى يا ترى ؟ لقد زوَّدناهُ بالشيء الكثير من الزاد والماء لما اختبأ هناك ولكن عقربي الساعة لم يتحركا ولا رأينا لهُ اقل اشارة من قبة الكنيسة

***

في تلك الساعة انصبَّت المدافع البريطانية التي كان الانكليز قد اخفوها عن الانظار فكانت قنابلها تصيب مدافع الالمان الكبيرة وتعطلها اما الراعي فكان مثلهُ مثل فأر سقط في شرك فانهُ ظل محصوراً في قبة الكنيسة الدم يسيل منهُ والظمأ يلهب احشاءهُ حتى سُمَّ دمهُ وقضى نحبهُ دون ان يقوم بشيء من المهمة التي انتدب لها

***

قال الكاتب فليرَ القراء كيف ينتصر الحق على الباطل فقد سخَّرت الاقدار تلك الجرذان فقتلت ذلك الجاسوس الماكر وردَّت كيد الالمان في نحرهم وعلى الباغي تدور الدوائر

احد القراء

غرائب النبات

كلّ ما في هذه الارض يدلّ على ان الاحياء من حيوان ونبات تبغي البقاء والاَّ فما هذا التنازع بين حيوان وحيوان و بين حيوان ونبات وبين نبات ونبات . كذلك كل ما فيها يدلّ على ان بقاء تلك الاحياء لا يدوم الى الابد على هذه البسيطة والاَّ لخلقت من مادة ابقى على الدهر من مادتها الحاضرة ولكان نظام خلقها سليماً من كثير من العيوب ومن النقائص التي تجعل خلودها الآن مستحيلاً . نقول هذا ونحن نعلم ان في الناس فئة تنسب الى الخليقة الكمال في كلّ شيء فتقول مثلاً ان جسم الانسان تامّ سويّ في نظامهِ وتركيبهِ . ولكن سل الاطباء يخبروك ان ذلك ليس كذلك . وان فيهِ من العيوب ما لو أزيل لعمّر اكثر مما يعمر الآن . ونقول ان نظام الفلك محكم دقيق لا يعتريهِ خلل . ولكن الفلكيين يقولون ان تكوّن الشموس والاقمار وشمسنا وارضنا في الجملة نتيجة خلل طرأ على ذلك النظام

في سالف الدهر . ولولا امثال ذلك الخلل ما كانت الارض عرضة للادوار الجليدية التي تنتابها من حين الى آخر فتقرض جانباً كبيراً مما فيها من حيوان ونبات ثم يفارقها ذلك الدور فتعود منتجعاً طيباً للاحياء

كان الرأي فيما مضى ان الحيوان دون النبات مختص بالشعور والاحساس لان لهُ جهازاً عصبيًّا ليس للنبات . فلذلك يجب ان يكون تنازع البقاء مقصوراً عليهِ . ولكن العلماء باتوا الآن اكثر تردداً مما كانوا في الجزم بهذه المسئلة. يقولون وما ادرانا ان لا يكون للنبات شعور كالحيوان . والاَّ فما هذا الذي نراهُ منهُ مما لا يعلل ولا يفسر الاَّ بكونهِ حيًّا شاعراً . نراهُ يلجأ الى وسائل للدفاع عن نفسهِ وحفظ كيانهِ ليست الاَّ للحيوانات ذوات الاعصاب . ولم يقتصر في حرب البقاء هذه على الدفاع بل قد يتجاوزهُ الى الهجوم . حتى لقد انشأت احدى الصحف العلمية الشهيرة بالامس مقالة جعلت عنوانها « هل النبات قاسٍ لا يرحم » وذكرت امثلة على تعذيبهِ للهوام وغيرها من انواع الحيوان . وقبل ذكر هذه الامثلة نذكر امثلة اخرى على ما يفعلهُ النبات في سبيل حماية بزورهِ واثمارهِ

خذ الخوخ والمشمش والكرز والتفاح وغيرها من الاثمار تَرَها قبل نضجها اي قبل قضاء عمرها المكتوب لها حامضة الطعم جدًّا وهذه الحموضة تقيها شر اعتداء معتدٍ عليها قبل اوانها. ثم ان البزرة في بعضها مدفونة في قشرة صلبة دون الوصول اليها جهد وتعب . وبعد ذلك الجهد وذلك التعب كثيراً ما تكون البزرة مرة لا تؤكل كبزر الخوخ او حاوية لمادة سامة كبزر المشمش المر . واللباب اما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة كاللوز والبندق والفستق واما ان يكون محمياً بقشرة صلبة فوقها طبقة مرة عفصة الطعم كالجوز

ومن النبات ما يحمي بزورهُ بحركات غريبة يأتيها . والواقع الامر ان النباتات اكثر حركة مما يظن عادة بل هي في حركة دائمة . ولكن انتقالها من مكانها بطيء على الغالب الى حد ان لا يلتفت اليها ولا ينتبه لها اما بعض اصناف النبات فليست كذلك . فان النبات المعروف بالسنط الحساس تنغض اوراقهُ او تتدلى اذا مسَّ . ومنهُ فصيلة ترى اوراقها في صعود ونزول طول النهار واخرى اوراقها في دوران دائم . ومن النبات ما تنام اوراقهُ كاكثر انواع السنط. فاذا اقبل الليل غيرت اماكنها وانطوت من نفسها فيقلُّ بذلك سطحها المعرَّض للاشعاع وبالتالي خروج الحرارة منها فتوقى من البرد . وقد اثبت دارون بالامتحان ان الاوراق التي لا تحرك تذاق عذاب البرد اكثر من الاوراق المتحركة . والازهار تنام كذلك . فالازهار التي يتوقف تلقيحها على الحشرات والهوام النهارية كالنحل تنام ليلاً وتستيقظ نهاراً . والتي

يتوقف تلقيحها على الهوام الليلية تنام نهاراً وتستيقظ ليلاً · اما كيفية النوم في بعض النبات فان الساق تنثني حتى يصل رأسها الى الارض وتبقى كذلك اياماً اي مدة نضج الثمر فاذا تمَّ نضجها ارتفعت الساق وعادت الى وقفتها الاصلية

ومن النبات الذي ينبت على الجدران ما تندفع زهرتهُ تطلب النور وشعاع الشمس فاذا شبعت منها واخذت تعقد الثمر لوت رأسها وجعلت تفتش عن ثقب تخبئهُ فيهِ الى ان يتمَّ نضجها

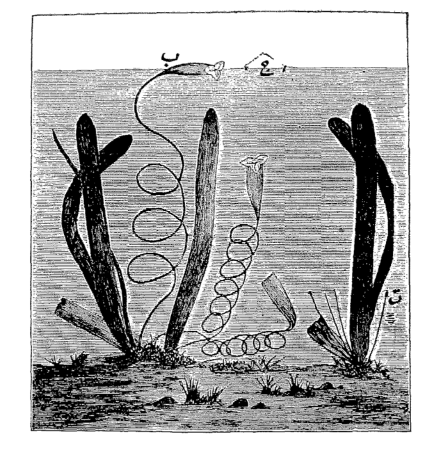
وفي بعض الزنابق المائية كالنيلوفر (البشنين) تفتح الزهرة فوق الماء فاذا ذبلت عادت الى قعر الماء · ومنها فصيلة تنبت الزهرة الانثى منها على ساق طويلة تبرز فوق الماء (حرف ب) اما الزهرة الذكر (حرف ت) فلها ساق قصيرة فاذا تم نضجها انفصل عنها اللقاح (حرف ج) وصعد الى سطح الماء وعام هائماً حتى يصيب الزهرة الانثى· وبعد التلقيح تنعطف الساق على نفسها بشكل لولبي وتنزل المبيض معها الى قعر الماء حيث تنضج البزور آمنة كل اعتداء

وللنبات طرق كثيرة لتوزيع بزورهِ · فقد وجد الفلاحون بالامتحان انهُ لا يستصوب زرع الصنف الواحد من النبات في حقل واحد على الدوام · فلذلك كانت قدرة بعض اصناف النبات على توزيع بزورهِ مفيدة لتلك الاصناف اذ تمكنها من النمو في مواضع جديدة ملائمة لها فمنها صنف ملأ بلاد جنوب افريقية وكانت واسطة انتقالهِ من مكان الى مكان انهُ يعلق بصوف الغنم فيحملهُ على ظهورهِ اينما سار

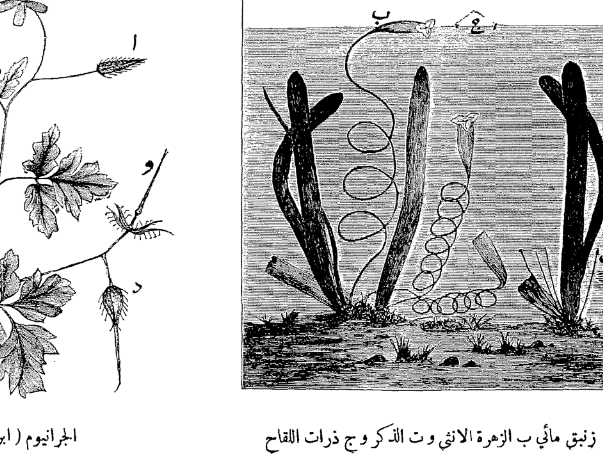
وهناك اصناف من النبات تزرع بزورها بنفسها كما يرى في الفول السوداني الذي يزرع في هذا القطر فان القرون التي فيها بزورهُ تنحني وتدفن نفسها في الارض · وقد رأى لورد افبري الذي اعتمدنا عليهِ في اكثر هذه المقالة صنفاً من البنفسج المسمى بنفسج الكلب يدفع بزورهُ الى بعد نحو عشر اقدام · والمشهور عندنا ان الخروع اذا نضجت اثمارهُ اخذت تنفلق عن البزور فتحدث فرقعة اشبه بفرقعة البنادق وتدفع البزور الى مسافة بضعة امتار · و يقال مثل ذلك في النبات المعروف بالعصيفيرة

ومن ذلك نبت من فصيلة الجرانيوم (ابرة الراعي) اذا نضجت بزورهُ انتصب غلافها او مبيضها ثم دفع الابرة ومعها البزور بقوة الى مسافة بعيدة

اما النبت المعروف في سورية باسم قثاء الحمار فانهُ يحمل ثمراً على شكل القثاء وعند نضجهِ يمتلئ عصارة حتى يكاد ينشق من نفسهِ فاذا مسستهُ ولو بلطف انفصل عن سوقهِ وضغطت جوانبهُ على بزرهِ فزرقتهُ الى مسافة بعيدة

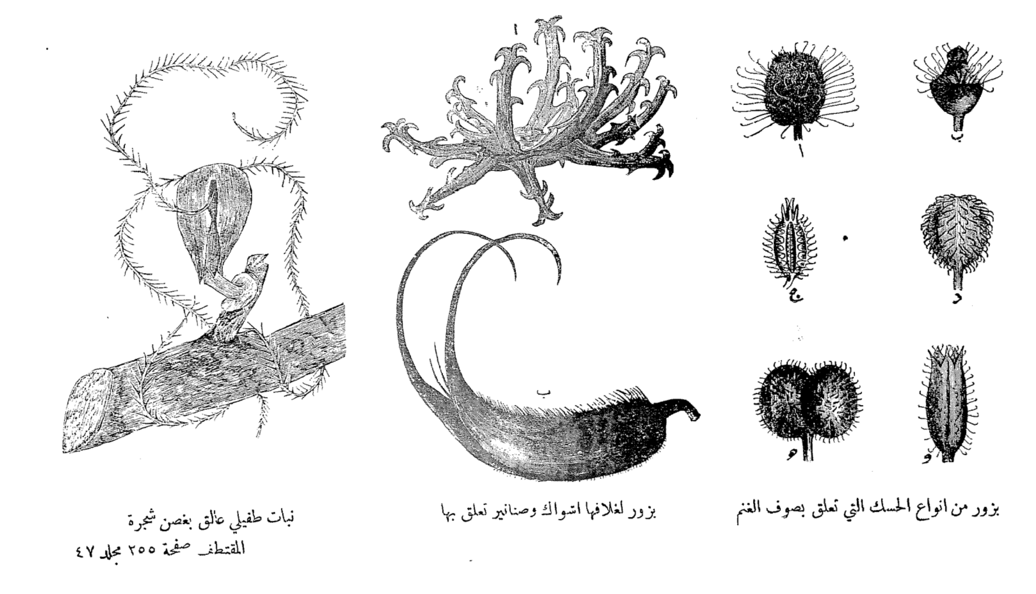


زنبق مائي ب الزهرة الانثى و ت الذكر و ج ذرات اللقاح



الجرانيوم (ابرة الراعي)

المقتطف صفحة ٢٥٤ مجلد ٤٧



بزور من انواع الحسك التي تعلق بصوف الغنم

بزور لغلافها اشواك وصنانير تعلق بها

نبات طفيلي عالق بغصن شجرة

على ان من النبات ما لا يدفع بزورهُ من نفسهِ الى مسافة بعيدة بل يكل ذلك الى الرياح الهابة كالخشخاش فان في اعلى غلافهِ فتحات صغيرة تفلت منها البزور واحدة واحدة اذا هبت الريح وتلاعبت بالغلاف وجعلت تميلهُ الى هنا والى هناك . والفتحات محمية من المطر بمثل اروقة ممتدة فوقها . ويقال انها تنغلق اذا غزرت الامطار

ومن النبات ما يعرف باسم « ورد اريحا » وهو كثير في صحارى مصر وسورية والعربية فاذا جفت ازهارهُ انقلع من الارض وانطوى على نفسهِ فتألف منهُ جسم كروي تسوقهُ الريح حتى يصيب تربة رطبة وحينئذٍ ينشر من نفسهِ ويزرع بزرهُ في التربة

ومن دقق النظر في بزر الارز مثلاً وجد فيهِ شيئاً شبيه المروحة او الجناح فاذا كانت الريح هابة وهو يتساقط الى الارض حملتهُ الى مكان بعيد عن جذع الشجرة التي تساقط منها . وهذا ما يحدث ايضاً في اشجار اخرى كالقيقب والدردار والشربين مثلاً

ومن النبات ما تجهز اثمارهُ بشوك اعقف او شعر على اشكال مختلفة كما ترى في بزور الحسك فتعلق بشعر الحيوانات ذوات الصوف وتنتقل بذلك من مكان الى مكان وباهداب طويلة كبزر شوك الجمال والقطن . وكذلك بين النبات اصناف تجهز اثمارها باشياء كالصنارة والكلاَّبة فاذا علقت بشعر حيوان اوجلدهُ صعب نزعها منهُ ويقال ان بعضها يقتل الاسد في سهول جنوب افريقية . ذلك ان الرياح تتقاذفها في تلك السهول فاذا اصابت جلد اسد حاول نزعها بفيهِ فتعلق بهِ وتميتهُ شر ميتة

ومن النبات نوع طفيلي تتصل ببزورهِ اذيال كالاسلاك الشائكة تعصف بها الرياح فتنقلها من مكان الى آخر فتعلق باغصان الاشجار وتلقي البزور عليها فتنمو فيها وتغتذي منها

والمشهور ان جوز النارجيل اوجوز الهند تطفو على وجه الماء فيحملها الى مسافات بعيدة تقدر بمئات الاميال مستعيناً على حملها ودفعها بما يغطيها من الالياف . ثم ان قشرتها الصلبة تحول دون تحلّب الماء اليها وافسادها . وكثيراً ما توجد على سواحل اوربا الشمالية الغربية بزور النباتات التي تنمو في جزر الهند الغربية . ذلك بان التيار المائي المعروف بتيار الخليج (اي خليج مكسيكو) يحملها الى تلك السواحل فتنمو فيها على الغالب . ويساعدها على العوم خلايا فيها ممتلئة هواء

ومن اغرب اصناف النبات ما يتخذ غلاف بزورهِ اشكال بعض الحشرات كما ترى في بزر اللوبياء المرقشة وبزر الخروع وبعضها يتخذ صورة الحشرة المعروفة باسم الحريش (ام اربع واربعين) واخر يتخذ صورة دودة

وسنأتي في مقالٍ تالٍ على ذكر بعض النباتات الآكلة للحيوان وامثلة تعذيبها اياهُ على ما اشرنا في صدر هذه المقالة

قوانين الحياد وغير المحاربين

اشار المستر روزفلت رئيس اميركا السابق في مقالتهِ المنشورة في هذا الجزء الى اتفاق موءتمر الهاي وقوانين الحياد التي وافقت عليها الدول . وقد رأينا ان نثبت هنا بعض ما جاء في ذلك الاتفاق مما يتعلق بقوانين الحياد ومعاملة غير المحاربين وما اشبه

جاء في الكتاب الابيض الانكليزي الذي نشرت فيهِ بنود الاتفاق المشار اليهِ ان الولايات المتحدة الاميركية هي التي اقترحت جمع موءتمر الهاي بلسان رئيسها المستر روزفلت حيث قيل « ان موءتمر السلم الثاني الذي اشار بهِ اولاً رئيس الولايات المتحدة اجتمع بدعوة صاحب الجلالة امبراطور روسيا وصاحبة الجلالة ملكة هولندا في ١٥ يونيو سنة ١٩٠٧ بمدينة الهاي في قاعة الفرسان للتوسُّع في مبادئ المروءة التي كانت اساساً للموءتمر الاول المعقود سنة ١٨٩٩ »

وقد وقَّعت اتفاق الهاي الدول التالية وهي المانيا وايران والبرتغال وبريطانيا العظمى وبلجكا وتركيا والجبل الاسود وروسيا والسرب ورومانيا وفرنسا ولكسمبرج والنمسا والمجر والولايات المتحدة واليابان . وهاك بعض البنود التي حدِّدت فيها قوانين الحياد وحقوق غير المحاربين

البند الاول — لا يجوز خرق حياد البلاد المحايدة

البند الثاني — لا يجوز للمتحاربين ان يسيِّروا جيوشهم ولا ذخائرهم سواء كانت مواد حربية او موءنة للجيش في بلاد دولة محايدة

البند العاشر — اذا قاومت دولة محايدة من يحاول خرق حيادها فلا تعدُّ مقاومتها هذه حرباً ولو كانت بالقوة

البند السابع والعشرون — يجب اتخاذ كل الوسائط الممكنة وقت الحصار واطلاق القنابل لتجنُّب المباني المخصصة للعبادة او للعلوم او للفنون او للاعمال الخيرية او المباني التاريخية والمستشفيات والاماكن التي يجمع فيها المرضى والجرحى اذا لم تستعمل في الوقت نفسهِ لاغراض حربية

وعلى الدولة المحصورة ان تضع على تلك المباني والاماكن علامة واضحة تميزها عن غيرها يعلن عنها للعدو قُبَيل ذلك

البند الثامن والعشرون — يمنع نهب المدن والقرى ولو فتحت عنوةً

البند الخمسون — لا يجوز ان يقاص السكان قصاصاً ماليًّا او غيرهُ لاجل اعمال عملها اناس منهم (اي لا يجوز ان يؤخذ الابرياء بجريرة الاثمة)

البند الخامس والعشرون — لا يجوز اطلاق المدافع على ما كان غير محصن من المدن والقرى والمساكن والمباني

والدول الموقعة على هذا تتعهد ان تمنع رمي القذائف والمفرقعات من البلونات او باي اسلوب آخر من الاساليب الجديدة وذلك من الآن الى ان يجتمع مؤتمر السلم الثالث

ولا يجوز اطلاق المدافع من السفن الحربية على المرافئ غير المحصنة ولا على ما كان غير محصن من المدن والقرى والمساكن والمباني

ومما نهى عنهُ مؤتمر الهاي ولم يشر اليهِ المستر روزفلت في مقالتهِ ان يحاول احد الخصمين خداع خصمهِ باستعمالهِ راية الهدنة او باستعمالهِ راية خصمهِ او شعارهُ الحربي او ثياب ضباطهِ او شارات اتفاق جنيفا . ونهى ايضاً عن اغتصاب املاك خصمهِ او اتلافها الا مضطرًّا بالدواعي الحربية الضرورية

واوجب احترام العرض واملاك الافراد وعقائدهم الدينية وقال ان املاك الافراد لا يحسن استصفاؤُها

وتحترم املاك رجال الحكومة المحليين وكذلك المعابد ومعاهد الاحسان والعلوم والفنون ولو كانت تخص الحكومة وتعامل معاملة املاك الافراد

ويحرَّم تخريب المعاهد التي من هذا القبيل والآثار التاريخية ومصنوعات العلوم والفنون ويجوز مداعاة مخربيها في محاكم القضاء

وجاء في الكلام على الالغام البحرية انهُ لا يجوز بث الالغام التي تنفجر من نفسها اذا مستها سفينة الا اذا بطل فعلها في ساعة من الزمان على الاكثر بعد ما يترك ملقيها التحكم فيها ولا يجوز وضع الالغام المقيَّدة التي لا يبطل فعلها حالما تفلت من قيدها

واذا وضعت الالغام المقيدة في بحر وجب اتخاذ كل التدابير لمنع اضرارها بالسفن المحايدة . ويجب على المحاربين ان يبذلوا كل ما في وسعهم حتى يمتنع ضرر هذه الالغام بعد مدة معينة واذا افلتت من يدهم فعليهم ان يبينوا منطقة الخطر التي انتشرت فيها حالما تسمح الحركات الحربية بذلك ويعلنوها لرجال البحرية وسائر الحكومات

وجاء في الكلام على المتاجرة مع المحاربين انهُ لا يجوز لحكومة محايدة ان تعطي سفناً حربية او ميرة او اسلحة مهما كانت للدول المحاربة

لا تجبر الحكومة المحايدة على منع الدول المتحاربة من ان تستورد منها او تمر فيها الاسلحة والميرة وكل ما يمكن استعماله في الحرب برًّا و بحرًا . ولكن يجب على الحكومة المحايدة ان تبذل ما في وسعها لمنع ما يمكن ان يستعمل في مياهها وطرقها لمقاومة هذا الحق المخوَّل لها انتهى

فاذا اراد سكان الولايات المتحدة ان يصدروا القنابل الى المانيا فلا تجبر حكومتهم على منعهم واذا حاولت انكلترا ان تمنعهم من اصدار القنابل الى المانيا بحصر موانيهم وجب على حكومة الولايات المتحدة ان تقاومها بكل جهدها وكذا لو اراد سكان الولايات المتحدة ان يرسلوا القنابل الى انكلترا وحاولت المانيا ان تصدهم عن ذلك فانهُ يجب على حكومة الولايات المتحدة حينئذٍ ان تقاومها بكل جهدها

واذا شاءت حكومة البلغار ان تجتاز الاسلحة في بلادها من المانيا الى تركيا فلا حق لدولة من الدول ان تمنعها من ذلك ولكن اذا لم تشأ ان تمر الاسلحة في بلادها فلا حق لدولة ان تجبرها على ذلك

ولكن الظاهر ان قوانين مؤتمرات السلم مثل وصفات بعض الاطباء التي يقال فيها « اقرأ تفرح جرب تحزن » . والحق للقوة ورحم الله ابا تمام حيث قال

السيف اصدق انباء من الكتب في حدهِ الحد بين الجد واللعبِ

هذا وقد نشرنا سنة ١٩٠٥ اقوال بعض العظماء في هل يسود السلام على المسكونة ومهدنا لها التمهيد التالي وهو

« لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الاَّ سمعنا لهُ بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعودمنهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنةٌ طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لأنهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام . وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام و يوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كلّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم . فعقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّى بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلَّح استهزاء . وكأنهُ قُدِّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فينا بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصرَ الروس نفسهُ الى غمارها فلبى مكرهًا او مختارًا وحكّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان»

خسائر هذه الحرب من النفوس

لم يذكر التاريخ انهُ اشتبك في حرب من الحروب ملايين من الجنود كما اشتبك في هذه الحرب . ولا خطر على بال احد حتى من واضعي الروايات الحربية انهُ يحتمل ان تثار حرب عامة في البر والبحر والهواء ويطلق فيها من القنابل ما اطلق في هذه الحرب او يصاب بها من النفوس ما اصيب في هذه الحرب فقد قال المستر اسكوث رئيس وزراء انكلترا ان خسائر الانكليز من النفوس في هذه الحرب بلغت ٣٣٠ الفاً بين قتيل وجريح ومفقود (اي اسير او تائه) وهم ٩١٠٦ من رجال البحرية حتى ٢٠ يوليو و ٣٢١ ٨٨٩ من الجنود البرية حتى ١٨ يوليو كما ترى في الجداول التالية

خسائر البحرية

	ضباط	انفار	الجملة
القتلى	٤٩٩	٧٤٣٠	٧٩٢٩
الجرحى	٠٨٧	٠٧٨٧	٠٨٧٤
المفقودون	٠٢٩	٠٢٧٤	٠٣٠٣
المجموع	٦١٥	٨٤٩١	٩١٠٦

خسائر الحربية اي الجنود البرية

		ضباط	انفار	الجملة
في فرنسا	القتلى	٣٢٨٨	٠٤٨ ٣٧٢	٠٥١ ٦٦٠
	الجرحى	٦٨٠٣	١٥٦ ٣٠٨	١٦٣ ١١٠
	المفقودون	١١٦٣	٠٥٠ ٩٦٩	٠٥٢ ١٣٢
	المجموع	١١ ٢٥٤	٢٥٥ ٦٤٩	٢٦٦ ٩٠٣
في الدردنيل	القتلى	٠٥٦٧	٠٧ ٥٦٧	٠٨ ١٣٤
	الجرحى	١٣٧٩	٢٨ ٦٣٥	٣٠ ٠١٤
	المفقودون	٠١٩٨	١٠ ٨٩٢	١١ ٠٩٠
	المجموع	٢١٤٤	٤٧ ٠٩٤	٤٩ ٢٣٨

		ضباط	انفار	الجملة
في سائر الاماكن ماعدا الجنوب الغربي من افريقية الالمانية	القتلى	١٤٥	١٤٤٥	١٥٩٠
	الجرحى	٢٤٨	٣٢٤٧	٣٤٩٥
	المفقودون	٠٢٢	٠٩٤١	٠٦٦٣
	المجموع	٤١٥	٥٣٣٣	٥٧٤٨

مجموع كل ما تقدم

		ضباط	انفار	الجملة
خسائر البرية	قتلى	٤٠٠٠	٥٧ ٣٨٤	٦١ ٣٨٤
	جرحى	٨٤٣٠	١٨٨١٩٠	١٩٦ ٦٢٠
	مفقودون	١٣٨٣	٠٦٢٥٠٢	٠٦٣ ٨٨٥
المجموع		١٣٨١٣	٣٠٨ ٠٧٦	٣٢١ ٨٨٩
وخسائر البحرية كما تقدم		٠٠٦١٥	٠٠٨٤٩١	٠٠٩ ١٠٦
المجموع الكلي		١٤٤٢٨	٣١٦٥٦٧	٣٣٠ ٩٩٥

ونشرت جريدة الديلي ميل في ٢٦ يوليو الماضي مجموع خسائر المانيا والنمسا وتركيا حتى ٣٠ يونيو من القتلى والجرحى والمفقودين وهي كما هذا الجدول

	القتلى	الجرحى	المفقودون	المجموع
المانيا	١٦٣٦٠٠٠	١٨٨٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠	٤٠٠٦٠٠٠
النمسا	١٧١٠٠٠٠	١٨٨٥٠٠٠	٨١٠٠٠٠	٤٤٠٥٠٠٠
تركيا	١١٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	٩٥٠٠٠	٣٤٥٠٠٠
المجموع	٣٤٥٦٠٠٠	٣٩٠٥٠٠٠	١٣٩٥٠٠٠	٨٧٥٠٠٠٠

ولا نُعلم خسائر الروس ولكن المرجح عندنا انها تزيد على خسائر النمسويين فتبلغ ١٨٠٠٠٠٠ من القتلى و ٢٠٠٠٠٠٠ من الجرحى و ١٠٠٠٠٠٠ من المفقودين والجملة اربعة ملايين وثمانمئة الف

اما فرنسا فقد جاء في تقرير غير رسمي ان خسارتها بلغت حتى ٣١ مايو الماضي ٤٠٠٠٠٠ من القتلى و ٧٠٠٠٠٠ من الجرحى و ٣٠٠٠٠٠ من المفقودين والجملة ١٤٠٠٠٠٠

فاذا صحّ ما تقدم واضفنا اليهِ خسائر هذه الدول حتى ١٢ اغسطس يوم كتابة هذه السطور بلغت خسائرهنّ بوجه التقريب ما في هذا الجدول

	القتلى	الجرحى	المفقودون	المجموع
المانيا	١٨٠٠ ٠٠٠	٢ ٠٥٠ ٠٠٠	٥٥٠ ٠٠٠	٤ ٤٠٠ ٠٠٠
النمسا	١٩٠٠ ٠٠٠	٢ ١٠٠ ٠٠٠	٩٠٠ ٠٠٠	٤ ٩٠٠ ٠٠٠
تركيا	٠١٢٠ ٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠	٠ ٣٧٠ ٠٠٠
المجموع	٣٨٢٠ ٠٠٠	٤٣٠٠ ٠٠٠	١٥٥٠ ٠٠٠	٩ ٦٧٠ ٠٠٠
روسيا	١ ٩٨٠ ٠٠٠	٢ ٢٠٠ ٠٠٠	١١٠٠ ٠٠٠	٥ ٢٨٠ ٠٠٠
فرنسا	٠٥٠٠ ٠٠٠	٨٥٠ ٠٠٠	٣٦٠ ٠٠٠	١ ٧١٠ ٠٠٠
انكلترا	٧٥ ٠٠٠	٢١٠٠٠	٠٧٠ ٠٠٠	٣٥٥ ٠٠٠
	٢٥٥٥ ٠٠٠	٣ ٢٦٠ ٠٠٠	١ ٥٣٠ ٠٠٠	٧ ٣٤٥ ٠٠٠

ويجب ان يضاف الى خسائر الحلفاء ما خسرتهُ بلجكا وسربيا من القتلى والجرحى والمفقودين والمرجح عندنا ان ذلك كلهُ لا يجعل عدد القتلى من الحلفاء اكثر من ٢٧٠٠ ٠٠٠ وقد تقدم ان عدد القتلى من المانيا وحليفتيها ٣٨٢٠ ٠٠٠ فالجملة ٦٥٠٠ ٠٠٠ ستة ملايين وخمس مئة الف نفس من الرجال بل من نخبة الرجال قتلوا في سنة وبضعة ايام · فكم من والدة ثكلت وكم من زوجة ترملت وولد تيتّم وبيت خرب وعائلة انقطع نسلها · وكم هي الخسائر في الاموال والارزاق مَن يحصيها وهي تعدُّ بالوف الملايين · ولماذا هذا الاسراف في النفوس والعروض · لا لوم على مَن يدافع عن دمهِ وعرضهِ ومالهِ ولكن ما عذرُ من يبادئ بالعدوان و يقضي السنين وهو يستعد للفتك بغيرهِ لا للدفاع عن نفسهِ · هل يعوز اهالي اوربا هؤلاء الطعام والشراب · هل يعوزهم الإيواء والكساء · الم يتوفَّر لهم ذلك كلهُ وكل وسائل الراحة والرفاهة والتعليم والتهذيب · نعم ان بينهم فئة كبيرة لا تزال تكدُّ وتكدح في طلب الرزق وتجشم المشاق في الحصول عليهِ ولكن هذه الفئة لم تثر الحرب ولا ناقة لها فيها ولا جمل وانما الذين اوقدوا نارها رجال شبعوا من الملاذ حتى اتخموا واوجسوا من الاشتراكية ان تثل عروشهم فاسكروها بشرب الدماء حتى تنسى المبادئ الشريفة التي بثها اخوان المروءة وانصار الانسانية · ولقد نسيتها وامست الحرب حرب انتقام لا حرب دفاع او توسُّع · نعم ان الحلفاء ينادون ان الغرض الذين يرمون اليهِ انما هو سحق القوة الحربية

حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن فيتمتع الناس بالسلم الذي يسعى فضلاؤُهم اليهِ ولكن هل يحتمل ان يتمَّ هذا السحق ولا نتمكن بهِ العداوات والضغائن من النفوس وتخبو النار تحت الرماد الى ان تشب بعد سنوات قليلة فان جمهور الناس في هذا العصر يقول ما قالهُ الفِنْد الزِّمَّاني في حرب البسوس

صفحنا عن بني ذهلٍ وقلنا القوم اخوانُ
فلما صرَّح الشرُّ فامسى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوانِ دنَّاهم كما دانوا

فاتحة الحرب

وضع السر توماس باركلي رواية بديعة عمَّا تخيَّل حدوثهُ في قصر امبراطور المانيا بين الرابع والعشرين والحادي والثلاثين من شهر يوليو في العام الماضي قُبَيْل اعلان الحرب نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يلي

الفصل الاول في ٢٤ يوليو

الامبراطورة جالسة في القصر الجديد ببتسدام امام شباك مفتوح والى جانبها مائدة عليها صور فوتوغرافية وازهار وادوات الحبك ودخلت الغرافن أما احدى وصيفاتها لابسةً ثياباً سوداء ووقفت وقفة الوقار والاحترام والامبراطورة غائصة في بحار الافكار ويداها تشتغلان في الحبك فلما رأتها قالت لها لقد ازعجتني يا اما لماذا تدخلين مسرقةً هكذا

اما — أأقرع الباب قبل دخولي

الامبراطورة — مثل خدم جدتي . كلاَّ

اما — ان صاحب السمو الامبراطوري وصل الآن وهو يسأل جلالتك هل تسمحين بمقابلتهِ

الامبراطورة — نعم ليأتِ حالاً

تخرج اما ويقرع الباب فتقول الامبراطورة ادخل فيدخل ولي العهد ويعتنقها وينزع سيفهُ بحمائلهِ ويعلقهُ

الامبراطورة — ماذا حدث يا ولدي

ولي العهد — امور هامَّة جدًّا يا اماهُ الحرب على الابواب

الامبراطورة — لا سمح الله مع مَن

البرنس — مع كل احد وكيفما كانت الحال فالحرب واقعة لا محالة

الامبراطورة — كلاًّ كلاًّ ما منّا مَن يريد الحرب

البرنس — الحرب لا مناص منها وقد اتيت لاشرح لكِ واقعة الحال

الامبراطورة — ماذا يقول ابوك

البرنس — لم يعرف حتى الآن

الامبراطورة — ماذا تقول ألا يعرف ابوك شيئاً مما اتيتَ لتخبرني بهِ

البرنس — بلى يعرف ولكنهُ كثير الصبر وهو يحسب ان الامور تصطلح من نفسها اما الامة فقد فرغ صبرها علينا لاننا في تأهب دائم للحرب ومع ذلك لا نقدم عليها حاسبين ان البنادق والمدافع تحارب وحدها

الامبراطورة — لا شبهة ان اباك كثير المشاغل ولا يصغي الى احد الاَّ الى ذلك الاستاذ والى اصدقائهِ اليهود

البرنس — وهذا شيء لا يطاق . وهو الآن في بُلهلمن ومعهُ اربعون بارجة يوماً كل اناساً لا شأن لهم و يترك قواد الجيش واقفين مكتوفي الايدي حاسباً ان البطالة تريحهم

الامبراطورة — لا تتكلم عن ابيك الاَّ بالوقار

البرنس — ليس في يدي يا اماهُ فقد ضاق صدري وفرغ صبري وكأن ابي نسي اني ولي عهدهِ واني سأخلفهُ فلا يسمح لي ان اذاكرهُ في شؤُون مملكتنا

الامبراطورة — اليك عن هذا الكلام فاني لا اسمح لك بهِ

البرنس — المعذرة يا اماهُ ولكن بلغ السيل الزبى . اما الآن فقد قضي الامر والفصل لغيرنا . وهذا ما اتيت لاخبرك بهِ فاسمعيني واعذريني اذا ذكرت ابي وانا محتدٌّ ولا تنسي ان الولد سر ابيهِ واذا لم اذكرهُ بالاحترام الواجب فيكون لانهُ هو لم يكن يذكر اباهُ بالاحترام فاورثني هذا الخُلق

الامبراطورة — قطّبت جبينها وعبست في وجههِ ولم تتكلم

البرنس — لا بأس فانتِ يا اماهُ من دم الماني قح ليس فيهِ نقطة من الدم الانكليزي من فضل الله

فقالت الامبراطورة وهي متبسمة ان اولاد خالك يقولون انك انت اشبه اخوتك كلهم بالانكليز

البرنس — كثَّر الله خيرهم ولكن ما لنا ولهذا لنعد الى موضوعنا أَلا تعلمين ان المانيا صارت أضحوكة في الدنيا مثل كل من يجري بجوادهِ في ميدان السباق الى ان يصل الى الحفرة التي تثب الخيل فوقها ثم يدور و يرتدُّ بهِ راجعاً . فان هذا ما فعلناهُ دائماً منذ رقي والدي العرش

الامبراطورة — وقد حفظ السلم

البرنس — ولكنهُ صار هزءًا وسخريةً . والآن صارت اصغر الدول تستطيع ان تصفعنا على وجهنا ولا تخشى شرًّا اما الدول الكبرى فانظري هذا الاجتماع في بطرسبرج فان رئيس الجمهورية الفرنسوية عبر الى روسيا مارًّا حول المانيا كاننا لسنا شيئاً يعبأُ بهِ . هذا امر يفوّر الدم . وانظري ما فعلت ايطاليا وهي حليفة لنا فانها اقتطعت افضل قطعة من افريقية من غير ان تستشيرنا ونحن نتذلَّل حتى ننال شيئاً من مستنقعات افريقية مما استغنت عنهُ كل الدول . انظري كيف تقف انكلترا وتأمر وتنهى ونحن لا نستطيع ان نأخذ محطة للفحم لان انكلترا تأبى علينا ذلك ولا نستطيع ان نتم سكةً حديدية ابتدأْنا بها لان انكلترا اعترضت علينا . اخذت فرنسا الجانب الاكبر والاخصب من افريقية ونحن لم يسمح لنا ان نأخذ اصبعاً منهُ مع ان تجارتنا هناك اهم من تجارتها ولماذا ذلك لان انكلترا وقفت وقالت لا . لقد فار دمي ولكن ابي . . .

الامبراطورة — دع اباك جانباً

البرنس — لا اقدر يا اماهُ لا اقدر ولكن لا بأس . ان هذا الذل يميت النفس وكلنا نشعر بهِ

الامبراطورة — كلنا !

البرنس — نعم كلنا الشعب الالماني كلهُ ولم يبقَ لابي الأ امرٌ من امرين اما ان يسير مع شعبهِ او يسير الشعب وحدهُ و يتركهُ

الامبراطورة — ماذا تعني

البرنس — اعني انهُ لم يعد لابي المقام الرفيع الذي كان لهُ في عيون الشعب

الامبراطورة — ولماذا لم تكلم اباك بذلك

البرنس — لا فائدة من الكلام معهُ لانهُ لا يكترث للامر واذا كلّمتهُ قال لي ان لا غرض لهُ الأ نجاح المانيا وحفظ السلم ومتى آل الامر اليَّ فانا وشأني . أَلا ترين يا اماهُ انهُ يظلمني بذلك لمجرَّد حبهِ الراحة واللهو

الامبراطورة — انت في غلط مبين يا ولدي نعم ان اباك كثير الحركة مثل المرحومة امهِ فانها كانت تهتم بامور كثيرة في وقت واحد ومع ذلك فقد عملت اعمالاً مجيدة كما عمل ابوك . كان اهالي برلين يكرهونها لانها كانت تلقي على المهندسين دروساً في حفظ الصحة ولكنهم فعلوا كما علّمتهم فصارت برلين مثالاً في النظافة . ويتعذَّر عليك ان تتصور كيف كان القصر الذي انت فيهِ قبلما اهتمت باصلاحهِ . وابوك مثلها وسيعرف الناس فضلهُ ويعترفون بهِ

البرنس — قد يكون الامر كما قلتِ ولكن الحالة الآن لا تطاق فان دول الاتفاق الثلاثي عازمة على الحرب وانكلترا هي القائدة

الامبراطورة — انكلترا !

البرنس — نعم انكلترا وفرنسا واما روسيا فمسيَّرة لا مخيرة وقد اكل الحسد قلوبهنَّ ولا سيما قلب انكلترا

الامبراطورة — على مَ يحسدننا

البرنس — على نجاحنا وحالما يتم تأهبهنَّ يهجمن علينا كالضواري . فهل نقف مكتوفي الايدي الى ان يهاجمننا . اذا كان لا بدَّ من الحرب فيجب ان نختار لها اليوم الذي نريدهُ وقد حان هذا اليوم الآن

فوقفت الامبراطورة ووضعت يديها على كتفي ولي العهد ونظرت في وجههِ وقالت انت تعلم معزَّتك عندي لا سيما وانت بكري وعسى ان تكون قد نفثت كل ما في صدرك من الغيظ بما قلتهُ واحب ان اعرف ماذا قال ابوك

البرنس — ان ابي لا يعرف شيئًا مما قلتهُ لكِ

الامبراطورة — أأبوك لا يعرف شيئًا

البرنس — لا يعرف ولذلك اتيت لاخبرك ان الحرب ستثور قبل اسبوع

الامبراطورة — ماذا تقول

البرنس — لا مناص من الحرب والاَّ فلماذا تقررت الضريبة الحربية . وقد اعددنا مدافع الحصار ونحن الآن على تمام الاهبة ولم نكن في وقت من الاوقات متأهبين كما نحن متأهبون الآن واعداؤُنا كلهم غير متأهبين مثلنا وستنتهي هذه الحرب قبل عيد الميلاد فيصير لنا المقام الارفع في اوربا بدلاً من ان نبقى مضغة في الافواه وتضطر انكلترا ان تعرف مقامنا وتعدل عن معاملتها السابقة لنا لا يمكنكِ ان تتصوري مقدار كراهتي لها وكل الالمان يكرهونها

الامبراطورة — ولكن حربكم ليست مع انكلترا

البرنس — بلى معها وهذه هي خطتنا — ندخل باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيشها وقبلما تقر انكلترا على امر تفعلهُ ثم نسحق انكلترا فتنفتح لنا ابواب اميركا

الامبراطورة — اميركا ! والاميركيون اصدقاؤُنا

البرنس — هذه من اوهام ابي كأَن الاميركيين يصادقون احداً حبًّا بسواد عينيهِ . وما صديقكَ الاَّ من يخشى عداوتك . ولا بدَّ لنا من امتلاك برازيل وسنمتلكها

الامبراطورة — وما هي العلة الموجبة للحرب الآن

البرنس — لا توجد علة مخصوصة نتوسَّل بها ولكن المرجح اننا نتخذ ما حدث لولي عهد النمسا وسيلة

الامبراطورة — آه من الرجال فانهم كلهم يعشقون الحرب

يتقلَّد البرنس سيفهُ ثم يقول لامهِ اتيت اخبرك لكي لا تحملي ابي على مقاومتي لان هذه الحرب تتعلَّق بمستقبلنا اكثر مما تتعلق بحاضرنا والمستقبل لي . ويشهد الله اني لا اريد ان اصير امبراطوراً وكنت افضِّل ان اكون الثاني لا الاول من اولادك ولكن قضى الله بما قضى واري دم اسلافي في عروقي يضطرني الى طلب المعالي وما ولدت لهُ سأفعلهُ بكل جهدي

فاعطتهُ امهُ يدها فقبلها ثم قالت لهُ انك لم تصب في ظنك انني استطيع ان احول اباك اليك اوعنك فانهُ لا يسمع لي

البرنس — ان ابي يحب التملُّق مثل كل من يتقدم في السن فتملقيهِ قليلاً . ولا نستطيع المانيا ان تعيش بين جيرانها وهم كالذئاب الخاطفة الاَّ اذا كشرت لهم عن نابها . وارجو ان لا تخبري ابي بزيارتي هذه ولا احد يعلم بها الاَّ اما

ولما خرج جلست الامبراطورة تفكر في كلام ابنها . ودخلت اما حينئذٍ فقالت لها الامبراطورة اسمعتِ هذا الخبر يا اما

اما — اي خبر

الامبراطورة — خبر الحرب

اما — نعم سمعت شيئًا من هذا القبيل

الامبراطورة — ولماذا لم تخبريني

اما — ظننت ان جلالتك عارفة بهِ

الامبراطورة — لم اعرف شيئًا لان جلالتهُ لا يطلعني على شيءٍ . لماذا يرغب الناس في الحرب

اما — يقولون انها حرب واقية واظن انهم يريدون بذلك انها حرب صغيرة تقي من حرب كبيرة كما ان طعم الجدري يقي من الجدري

الامبراطورة — هذه سخافة فلندع اذاً بعض الناس يرتكبون الجرائم الصغيرة لكي لا تقع الجرائم الكبيرة . فلا تصغي لهذه الاقوال ولا تعيديها على مسمعي . مَن قال لكِ ذلك

اما — هذا لسان حال الجميع بعد ارسال البلاغ الى السرب

الامبراطورة — وما علاقة السرب بنا

اما — يقولون ان حادثة السرب تعلّة تمكننا من ان نشهر الحرب حالاً . فان انكلترا وفرنسا وروسيا اتفقن على ارسال بلاغ نهائي الينا

الامبراطورة — كيف عرفتِ ذلك

اما — هذا هو الدائر على الالسنة الآن وكل احد من رجال البلاط يتكلم بهِ

الامبراطورة — وعن اي شيء هذا البلاغ النهائي

اما — عن إبطال التسليح فانهُ يقال انهنَّ سيطلبن من المانيا ان تقلل جيشها ومعداتها الحربية او يحاربنها

الامبراطورة — يا للوقاحة ولكن هذا امر لا يصدَّق . ومن قال لكِ ذلك ومَن هو المحرك لهُ

اما — هذا هو الكلام الدائر على الالسنة ويقال ان المحرك لهُ هو السر ادورد غراي وان اميركا وايطاليا تعضدانهِ

الامبراطورة — هل تصدقين ذلك يا اما

اما — ارجو المعذرة من جلالتكِ اذا ابديت رأيي في هذه المسألة فاني اصدق ما يقال لانهُ اذا قويت دولة من الدول حتى اضطرت جاراتها ان يزدن جيوشهنَّ خوفاً منها ويتحملن نفقات باهظة لا قبل لهنَّ بها فلا يبعد ان يتفقنَ على اذلالها

الامبراطورة — ولكن المانيا لا تتهدَّد احداً وجلالتهُ رجل مسالم

اما — ولكن جلالتهُ لا يسمع لاحد ولاسيما في امر الجيش والاسطول

الامبراطورة — وهذا هو الصواب ولكن ما شأن انكلترا في ذلك

اما — يقال ان انكلترا خائفة من اسطولنا خوفاً شديداً وقد جُنَّ بعض رجالها وجعلوا يكتبون في الجرائد مقالات تدل على جنونهم حاسبين اننا سنهجم عليهم ونمحق اسطولهم

ودخلت حينئذٍ احدى سيدات القصر وقالت ان جلالتهُ بعث اليكِ رسالة خاصة وقد

اعطاني اياها الفون انتج لكي اسلمها الى جلالتك . ثم سلمت الرسالة اليها فقرأتها واذا هو يقول فيها انهُ اتي من نروج وسيصل في الغد . ولما قرأتها التفتت الى اما وقالت لها يظهر انك مصيبة لان رجوعهُ الآن بهذه السرعة يدل على امرٍ هام . لا تقولي لاحد ان ولي العهد كان هنا لئلاَّ يسمع جلالتهُ بذلك فيفسرهُ على غير حقيقتهِ . آه لقد زاد سمني لانني قلما اتحرك تعالي وانظري ما اجمل هذا الورد ما اجمل الطبيعة كلها قالت ذلك ومشت نحو رواق وسارت فيهِ

الفصل الثاني

في مكتب الامبراطور ببوتسدام وهو غرفة واسعة فيها صورة الامبراطور وليم الاول والامبراطور فردريك والامبراطورة زوجتهِ والملكة فكتوريا وصور كثير فوتوغرافية . واثاث الغرفة من طرز لويس الخامس عشر . فُتح الباب ودخل فون انتج ومعهُ صندوق الرسائل فوضعهُ على المكتبة وافتقد الاقلام ثم قُرع جرس التلفون فاخذ السماعة بيدهِ وقال كلاَّ يا صاحب السمو . نعم حتماً . لم يبلغنا علم حتى الآن وسأ كلمهُ واخبركم حالاً . ووضع السماعة في محلها وقَرَع جرس التلفون وقال انا فون انتج يا صاحب السعادة ان صاحب السمو الملكي ولي العهد يحب ان يعرف حالما يصل البكم علم عن القطر الذي يرجع فيهِ الامبراطور . ثم ضغط زرًّا من ازرار التلفون وقال ان قطار سموهِ اجتاز ستندهل الآن وهو في اشد السرعة . نعم يا صاحب السمو . نعم نعم

ودخل الاميرال فون ترپتز وزير البحرية (von Tripitz) والاستاذ فقال لهما فون انتج ان جلالتهُ اجتاز ستندهل ولا يصل قبل بضع دقائق

الاميرال — نعم ايها الاستاذ ان جلالتهُ لا يعرف التاريخ ولكنهُ من رجال الاعمال الذين يقوم التاريخ بهم . ويسوءُهُ ان يعلم ان اعمالهُ مقيدة ومحددة بما تقتضيهِ حوادث التاريخ وان لا سلطة لهُ على هذه الحوادث

الاستاذ — ان الحوادث مقدورة والانسان مسيَّر لا مخيَّر في اعمالهِ لان اعمالهُ نتائج لمقدمات سابقة لا يد لهُ فيها .

الاميرال — لا شبهة ان الجيوش الروسية لا تعبأُ ما لم يأمر احد بتعبئتها

الاستاذ — نعم الامر كذلك ولكن لماذا صدر الامر بتعبئتها

الاميرال — لا احد يعلم في روسيا كيف تصدر الاوامر على ما اظن

الاستاذ — اصبت وحتى الآن لا يُعلَم من اصدر الامر الامبراطوري بقبول شروط اليابان للصلح مع ان وزير الخارجية وقّعهُ بيدهِ

الاميرال — ولا يمكننا ان نعيش دائمًا على شفا بركان يمكن ان يثور في كل لحظة كما عشنا منذ ربع قرن الى الآن

الاستاذ — لقد مرَّت قرون عديدة والناس عائشون على جوانب بركان يزوف في ايطاليا وهم يزرعون الكروم فيها غير مبالين بتحذير الذين كانوا يحذرونهم من ثورانهِ مع انهم كانوا يسمعون الاصوات من جوفهِ

الاميرال — لو كان هناك مهندس الماني لثغر ثُغَراً في جوانب ذلك البركان تنفث حممهُ منها و يؤمَن شرهُ

الاستاذ — نعم ولو ثار البركان ثانيةً وهذا ما يريد مهندسونا السياسيون ان يفعلوهُ الآن ولعل مهندسي رومية فعلوهُ لما ثار يزوف قبلاً

الاميرال — النتيجة مجهولة ولكن ما يحدث امرٌ لا بدَّ منهُ

الاستاذ — ان كل ما حدث في التاريخ لحدوثهُ مقدور وللامم حياة محدودة كما للافراد ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن هذه الحرب مقامرة ولا يليق بالحكيم ان يقامر بكل ما عندهُ على ورقة واحدة

الاميرال — ولكن انكلترا لا تحرك ساكنًا لو كنتَ في كِيل منذ اسبوعين وسمعت الاقوال التي قيلت هناك لثبت لك منها ان انكلترا نزعت من نفسها الخوف من اسطولنا. ففي اول الامر لم يخطر لها انهُ يمكن ان تنازَع في تفوقها البحري ثم لما رأت ان ذلك صار امراً مقضيًا قالت اذا لم يكن لك ما تريد فارِدْ ما يكون على جاري عادتها. وهذا هو الشيء الذي ينقصنا نحن ايها الاستاذ فكان الواجب ان نرضى بنجاحها ونعدل عن طلب الاحلام ولكن زادنا النجاح احلامًا . ولقد ارسلت اولادي الى انكلترا لكي يتعلموا فيها كيف يرون الحقائق و يطلبونها بدلاً من طلب الاماني

ثم دخل الهر بلين Ballin رئيس شركة همبرج اميركا وصافح الاميرال والاستاذ فالتفت الاستاذ اليهِ وقال ما رأيك يا بلين

بلين — هذا هو الخراب بعينهِ

الاستاذ — ولكن هذا امر لا مفرَّ منهُ

بلين — اتقول لا مفر منهُ ألا تعلم انهُ يخرب كل شمال المانيا

الاستاذ — غداً نسمع ان كل اللوم على الحكومة مع ان الامر ليس في يدها حتى ان امبراطورنا لا سلطة لهُ الاَّ على دفة الحكومة واقلُّ خلل في الآلة يعطل حركات الدفَّة وقسْ عليهِ قيصر روسيا

بلين — اذا لم يكن اللوم على الحكومة فعلى مَن اذاً أَعلى الامبراطور

الاستاذ — لا على الحكومة ولا على الامبراطور

بلين — أَعلى الجيش اذاً

الاستاذ — كلا لا يد للجيش في هذا الامر ولكن الشعب الالماني نفسهُ هو المسأول

بلين — اذاً اللوم على تعاليمكم الملعونة في مدارسكم

الاستاذ — نعم هي تحمل بعض اللوم والبعض الآخر على اساليبكم التجارية القبيحة

بلين — اصبت في هذا ايها الاستاذ فان اسلوب المانيا التجاري اسلوب ظالم خالٍ من كل مرحمة . وانا اعترف بذلك لانني ارى نفسي مضطراً ان اقاوم هذا الاسلوب كل يوم ونصف تجارنا لصوص

الاستاذ — ان كل البادئين في التجارة لصوص ولو على درجات مختلفة ونحن لا نزال في درجة الابتداء وكل الذين اسسوا المستعمرات الانكليزية كانوا لصوصاً والذين اسسوا المملكة الرومانية كانوا لصوصاً ايضاً

بلين — اظن انك مصيب في ذلك ولهذا يكره الناس تجارنا وبعض هذه الكراهة عن حسد كما لا يخفى وهذا الحسد لا تخلو منهُ طبقة من طبقات الناس

الاميرال — لا بدَّ لي الآن من الذهاب الى المحطة لاقابل الامبراطور . قال ذلك وخرج

بلين — وقد رأيت ذلك في اميركا وفي الواقع اني . . .

الاستاذ — لا داعي للذهاب الى اميركا لكي ترى التحاسد بين طبقات الشعب الواحد فان الامة الانكليزية كلها من اعلاها الى اوطإها حاسدة للامة الالمانية

بلين — لم ارَ ذلك في الانكليز الذين خالطتهم وعاملتهم بل ان اصحاب الاشغال الكبيرة منهم ينافس بعضهم بعضاً ولكنهم لا يتحاسدون

الاستاذ — ان ما تسميهِ تنافساً بين الطبقات العليا هو ما يسمَّى تحاسداً بين الطبقات السفلى والطغام والتحاسد اعمُّ من التنافس

بلين — اتقول الطغام

الاستاذ — نعم الطغام وكلنا نعاشر الطغام ونعلّم الطغام

بلين — فاذا اساء الطغام التصرف فاللوم عليكم وعلى تعليمكم

الاستاذ — نعم وانا لا انكر ذلك

بلين — اذا كانت هذه الحرب اللعينة ناتجة عن خلل في عقول العامة فسببها الاصلي تعاليمكم . وطالما خطر لي ايها الاستاذ ان كبر ادمغتنا هو علة من عللنا

الاستاذ — نحن كبار الادمغة ولكن ادمغتنا منصرفة الى العلم لا الى الفلسفة فان اهتمامنا بالعلوم الطبيعية صرفنا عن النظر في الامور النفسية اي صرفنا عن النظر الى ملابسات الاشياء التي نراها وهذا هو سبب ما يقع من الخطإ في احكام ساستنا

بلين— حقًّا انك فيلسوف ايها الاستاذ ولهذا السبب احبك الامبراطور وقرَّبك منهُ . قل لي بحقك ما هو رأيك في التمدن الانكليزي

الاستاذ — انا احب ان اقف على رأيك انت فيهِ

بلين — يا حبذا لو كان عندنا كثير منهُ

الاستاذ—ان كان هذا رأيك فقلما تجد من يمدحك عليهِ لا سيما وان الانكليز جفاة بالطبع

بلين — هنا يخطئ الالمان فقد عاملت الانكليز طويلاً فوجدت انهم غاية في الرقة والاستقامة والكرم وهم من اقل الناس انخداعاً لان من ينخدع بسهولة في الاشغال يجرّئ غيرهُ على غشهِ . واما مهم عصر مجيد فقد فقناهم في بعض الامور ولكن اذا ذهبتَ الى كندا رأيتَ ما يدهشك فان هناك قارَّة واسعة وستصير مقر الشعب الانكليزي في مئة عام وقد تصير انكلترا حقيرة بالنسبة اليها ولكن ذلك ليس مما يُعنى بهِ الشعب الانكليزي لان انكلترا تبقى امهم . وهم اعظم شعب في الدنيا ولا يمكننا ان نجاريهم حتى الآن

الاستاذ — وقد كان الرومان اعظم شعب في عصرهم واين هم الآن

بلين — كم سنة داموا كذلك

الاستاذ — ٧٠٠ سنة

بلين — اذاً يبقى الانكليز بعدي وبعدك

الاستاذ — لا انكر اننا نحن الالمان قد حُملنا على الاعتقاد ان كل جيراننا حاسدون لنا يدسون لنا الدسائس ويتربصون بنا الشر وينتظرون ساعة نضعف فيها حتى يثبوا علينا ويوقعوا بنا . وهذا الاعتقاد غير صحيح ولكنهُ لازم لكي ننضم بعضنا الى بعض لانهُ لا شيء يحمل الشعب الالماني على الانضمام والاتحاد مثل ان تقنعهُ ان جيرانهُ يتآمرون على الفتك بهِ حسداً منهُ . وهذا الاقتناع هو الذي جعل لنا جيشاً بريًّا واسطولاً بحريًّا وولَّد فينا العاطفة

الوطنية ولا نقوم لامة قائمة بغير هذه العاطفة ولكنها انجت ضرراً كبيراً لا مناص منهُ فاننا علّمنا الامة ان تثق وتطيع فوثقت واطاعت ولكننا خدعناها ايضاً كما تقدم ونحن نرى الآن تبعة خداعنا لها

ودخل اتنج حينئذٍ وطلب منها ان ينتقلا الى غرفة اخرى لان البرنس ولي العهد كان آتياً

ودخل البرنس ولي العهد وقال لاتنج ماذا قال جلالتهُ

اتنج — لم يقل شيئاً

البرنس — هل جاء شيء من عمي

اتنج — نعم جاء منهُ تلغراف الى جلالتهِ

البرنس — هو ايضاً من محبي السلام . لماذا لم يصر انكليزيًّا مثل باتنبرج . لقد ضاق صدري ممَّا سمعتهُ من التملق والتبجيل في كيَل بالامس . لا بدَّ من الحرب يا اتنج وان لم نقع اليوم فالله يساعدنا . ويتمن من هذه الفئة ايضاً فئة المسالمين ومثل ذلك ياهو وزمرمن وستم Jagow, Zimmerman, Stumm كلهم من صغار النفوس . ولقد سررت بارسال برنستورف Bernstorff الى وشنطون لانهُ منهم

اتنج — هل زوجتهُ انكليزية

البرنس — كلا بل اميركية فهي احسن نوعاً

ثم قُرع جرس التلفون فمسك اتنج السماعة وقال للبرنس انهُ لسموك . فمسك البرنس السماعة وقال في القصر . ثم التفت الى اتنج وقال لهُ اتريد ان تفارقني لحظة فخرج اتنج . وقال البرنس بالتلفون ان جلالتهُ غيَّر فكرهُ على جاري عادتهِ وهو آتٍ من كيَل ... وانا مغتاظ ايضاً . جاء تلغراف من عمي ولا ادري بماذا اشار ولا بماذا اشار لتشنوسكي (سفير المانيا في انكلترا) . كل ساعة تمر خسارة علينا . القول ان برشتولد (وزير خارجية النمسا والمجر) ضعف عزمهُ لا حول ولا قوة . سأمرُّ عليك الآن

قال ذلك وخرج وركب اتوموبيلهُ وعاد اتنج الى الغرفة واذا بصوت اتوموبيل آخر وتسليم عسكري وفتحت الابواب ودخل الامبراطور فسلم على اتنج مصافحةً وقال اين الوزير

اتنج — ان صاحب السمو الامبراطوري يرغب في مقابلة جلالتكم اولاً

الامبراطور — لا بدَّ لي من مقابلة الوزير حالاً (اي بتمن هلفج) . اعطني التلفون فتناولهُ وقال للياور الاول قل لولي العهد اني ساراهُ بعد بضع دقائق وقال لاتنج قل للوزير

ان يدخل · وادخلَ ولي العهد رأسهُ من الباب والتفت الى ابيهِ مستأذناً في الدخول فقال لهُ ابوهُ اني في انتظار الوزير الآن

ولي العهد — ألا يمكن ان تراني اولاً

الامبراطور — كلاَّ يا ولدي

البرنس — هوذا امي

ودخلت الامبراطورة فنهض الامبراطور ولاقاها وقبَّل يدها فقالت هذا شيءٌ لا اطيقهُ

الامبراطور — ما هو الشيء الذي لا تطيقينهُ

الامبراطورة — هذا ابنك وهو اشد الناس كلهم تعلقاً بك

الامبراطور — انا آسف جدًّا ولكن لا بدَّ من خروجك ايضاً لاني اسمع الوزير آتياً

ودخل الوزير فسلمت الامبراطورة عليهِ وصافحهُ الامبراطور وخرجت الامبراطورة فقال الامبراطور للوزير انك تستحق النشان الاكبر لاجل هذه الاعمال المختلَّة المعتلَّة

الوزير — اني لا انكر ذلك يا مولاي

الامبراطور — هذا يصلح الامر نوعاً · اين وقفنا الآن

الوزير — جاء تلغراف امس من بطرس برج ان روسيا تعبئ جيوشها على تخوم النمسا اذا زحفت جيوش النمسا على السرب

الامبراطور — فبماذا اجبت

الوزير — قلت اني واثق بانها لا تفعل ذلك لانني اخشى اننا لا نستطيع ان نرى الحرب تشبُّ بين روسيا والنمسا ونبقى على الحياد

الامبراطور — اين ياهو

الوزير — في غرفتهِ

فلمس القيصر زرًّا من ازرار التلفون ووضع السماعة على اذنهِ وقال أهذا انت يا ياهو احضر حالاً بكل المخابرات · ووضع السماعة من يدهِ والتفت الى الوزير وهو يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وقال لهُ اتدري ما مفاد هذا العمل

الوزير — نعم والامر جلَل

الامبراطور — فلماذا تركت الامور تصل الى هذا الحد ماذا كان ذلك الابله تشرشكي يفعل

فلم يجب الوزير بشيء فقال الامبراطور الم تسمعني قل لي هل هو المسبب لذلك كلهِ

الوزير — ليس وحده
الامبراطور — لقد كنت دائمًا قليل الاركان الى هذا الرجل
الوزير — يوجد غيره معهُ
الامبراطور — اذاً هناك دسيسة مؤامرة قُلْ لي مؤامرة

فنظر الوزير الى الامبراطور ولم يقل شيئًا فقال لهُ الامبراطور اتركني الآن وحدي وانتظرني في غرفة النخ . فخرج وجعل الامبراطور يمشي ذهابًا وايابًا وهو يقول ما اجنني وما اقصر نظري . وجلس ليكتب ومزق ورقة بعد اخرى ثم سمع جرس التلفون يقرع فامسك السماعة وقال ليس الآن . ودخل حينئذٍ ياور وذكر اسم فون ياهو فدخل فون ياهو وقال لهُ الامبراطور هل زحفت جنودهم فاجابهُ كلاَّ . فقال الم يجدْ شيءٌ فاجابهُ لم يجدْ شيءٌ في وزارة الخارجية . فقل الامبراطور ما لنا ولها ماذا جدَّ في غيرها

ياهو — ارسلت وزارة الحربية الجنود الى الحدود
الامبراطور — لا مانع وهي لازمة في ساعة الخطر
ياهو — ولكن ارسالها هاج الشعب
الامبراطور — أتعتقد ان الشعب يريد الحرب
ياهو — هذا معتقد اركان الحرب
الامبراطور — هذه دسيسة . انت رجل عاقل يا ياهو فقُلْ لي الحق أتظن انت ان الشعب يطلب الحرب
ياهو — اظن ان كثيرين من رعايا جلالتكم يريدون الحرب
الامبراطور — يظهر ان الالمان نسوا ما هي الحرب . اغتنوا وصارت بلادهم فوق كل البلدان تقدمًا ونجاحًا فاتَّخمت من اليسر وهي تفتش الآن عن العسر لمجرَّد حب التغيير . أهذا الذي تعنيه
ياهو — كلاَّ يا مولاي ولكنني اظن ان العامَّة يظنون انَّ العالم كلهُ يسعى لهم حالما يرفعون صوتهم
الامبراطور — اطلعني الآن على المراسلات (وجعل يقرأها ثم قال) أتظن ان غراي يعني ما يقول
ياهو — قلما يعرف الواحد حقيقة افكار الانكليز ممَّا يسمعهُ منهم
الامبراطور — هذا كلام مبهم فافصح عن مرادك يا رجل
ياهو — ان ما نسمعهُ من السفير الانكليزي انما هو ترجمة الاوامر التي تأتيهِ من رئيسهِ

ورئيسهُ يترجم عمَّا يقال في مجلس الوزراء ومجلس الوزراء عمَّا يقال في البارلمنت والبارلمنت عن آراء المنتخبين ووراء هؤلاء كلهم اناس من اصحاب المصالح يسيّرون الافكار كما يشاؤون

الامبراطور — احسنت يا ياهو وهذا يصدق على كل الوزراء ما عدا غراي فان وزارة الخارجية مستقلَّة عن البارلمنت وتفعل ما تشاء ٠ وانا اعرف غراي وهو مخلص ولا يمكن ان يريد الحرب ٠ اراك تنظر اليَّ نظر المرتاب لكني اؤكد لك ان الحرب ليست من مطالب رجال السياسة

ياهو — نعم حسب الظاهر

الامبراطور — الوزير في غرفة الغنج ولا بدَّ لي من مقابلة كثيرين وسأراكم كلكم بعد حين ٠ لا توسل اليَّ مراسلات اخرى الآن اني اريد ان افكر في الامر

ثم خرج ياهو ودخل الاستاذ فقال لهُ الامبراطور أطال انتظارك

الاستاذ — نحو ساعة فقط يا مولاي

الامبراطور — اراهم يكرهونك فلا بدَّ لي من ان امنحك لقب شرف لتعلو في عيونهم

الاستاذ — لا سمح الله

الامبراطور — لماذا (قال ذلك عابساً)

الاستاذ — يكفيني شرفاً ثقة جلالتكم باخلاصي واود ان ابقى مشمولاً بهذه الثقة فلا اعرّض اخلاصي للانتفاع

الامبراطور — احسنت ولست مانحك الأ ما تستحقهُ ولكن اتعرف ان الحرب صارت على الابواب

الاستاذ — نعم

الامبراطور — هل عرفت بذلك قبل الآن

الاستاذ — نعم يا مولاي فان الحرب كانت على الابواب منذ مدة طويلة ولكن جلالتكم قادرون على غض الطرف عن رؤْية ما هو جلي للعيان

الامبراطور — أإلى هذا الحد يا استاذ اني اجلّك ولكنني لا انتظر منك ان تحسبني جاهلاً احمق معتدًّا بنفسهِ كلاَّ كلاَّ يا استاذ (قال ذلك وقد احمرَّت وجنتاهُ غيظاً فنهض الاستاذ وحنا رأْسهُ امامهُ وسار نحو الباب)

الامبراطور — قف قف (فوقف) هاك يدي انت صديقي الوحيد ليس لي صديق مخلص غيرك اجلس

ووقف الامبراطور وجعل يمشي ذهاباً واياباً وقدَّم علبة السيكار للاستاذ فاخذ منها سيكاراً ملفوفاً بورقة فضية

الامبراطور — ما قولك في هذه الحرب

الاستاذ — جنون مطبق

الامبراطور — بل جنون محكم .

الاستاذ — ليس من جهتنا

الامبراطور — فنحن آلة اذاً آلة لا غير

الاستاذ — المانيا هي البلاد الوحيدة التي لا تستفيد من هذه الحرب

الامبراطور — ولكن اذا ملكنا روتردام وريغا

الاستاذ — هذه احلام

الامبراطور — اتحسب اذاً إننا سنُغلَب

الاستاذ — كلاَّ يا مولاي اني لا اعني ان الغلبة لا تكون لنا في النهاية ولكن التاريخ . . .

الامبراطور — ما لنا وللتاريخ نحن نصنع التاريخ

الاستاذ — ان اقدر رجال الحرب انما يستطيع ان يقتل خصمهُ ولكن حفظ المالك يستلزم رجالاً اقدر من اقدر رجال الحرب . وطباع الناس لا تولد بغتةً بل هي نتيجة عصور كثيرة . كم من حرب تغلَّب فيها خصم على خصم واجتاح بلادهُ ولكنهُ لم يستطع امتلاكها الاَّ اذا اتفقت اخلاق الشعبين . مثال ذلك ان فرنسا ضمت اليها الالزاس وروسيا ضمت بولندا ولكن ما اعظم الفرق بين الضمين . واسبانيا ضمت هولندا ولم تستطع حفظها وهولندا ضمت بلجكا ولم تستطع حفظها ولماذا لان الروابط التي تربط امة باخرى هي اما وحدة اللغة والآداب او وحدة المصالح السياسية

الامبراطور — اعطني امثلة على ذلك

الاستاذ — مثال الاول الولايات المتحدة والثاني انكلترا اما الولايات المتحدة فانها جعلت سكانها كلهم يتكلمون لغةً واحدة فصارت اللغة رابطة سياسية لهم

الامبراطور — ولكن الالزاس المانية والهولنديون المان

الاستاذ — الهولنديون ليسوا من الالمان كما ان البروسيين ليسوا منهم

الامبراطور — اتقول ان البروسيين ليسوا المانا

الاستاذ — نعم يا مولاي بل هم شعب قائم برأسهِ . وكذلك الهولنديون شعب مستقلٌ لهُ تاريخ خاص وآداب خاصَّة واخلاق خاصة

الامبراطور — وكبرياء خاصَّة

الاستاذ — نعم وكبرياء خاصة وحبٌّ للاستقلال . اما اهالي الالزاس فلم تمنعهم سلطة فرنسا الرفيقة من السير في الخطة التي ارادوها فساروا كشعب مستقل مثل الهولنديين . ومتى قوي خلق الاستقلال في النفس تعذَّر على المتسلطين نزعهُ منها

الامبراطور — اذاً انت ترى انهُ كان يجب علينا ان نترك الالزاس لتعود الى فرنسا

الاستاذ — كلاَّ يا مولاي ولكن الجنود لا يصلحون الاَّ لقتال خصومهم وقد حاولنا ان نحكم الالزاس بالجنود بدلاً من اتّباع خطة افضل من هذه

الامبراطور — اذاً انت لا توافق على ضم بلاد الرين ولكن روتردام مرفأٌ الماني

الاستاذ — يمكن ضمها سلميًّا متى تغيرت اخلاق اهلها وصارت المانية ثم لا بدَّ من تصفية الحساب حينئذٍ مع انكلترا لانها لا ترضى بذلك

الامبراطور — انكلترا تثور في اول الامر ثم تخمد ثورتها فلا خوف منها

الاستاذ — اني اخالف جلالتكم في ذلك مع فرط احترامي لكم وانتم اعرف بطباع الانكليز

الامبراطور — كيف لا ونصفي انكليزي فان امي انكليزية

الاستاذ — ولقد كانت امرأة فاضلة

الامبراطور — نعم فاضلة ومن فضليات النساء (قال ذلك ومشى الى امام صورتها ونظر اليها ثم قال) ولو اسرع ارتقاء العلم لكانت لا تزال حية . لم اكن اعرف قيمتها في حياتها كما عرفتها بعد موتها فقد فقدتُ امًّا نصوحًا . ولقد كان لخالي البرت اصدقاء كثيرون اما انا فليس لي احد من الاصدقاء الخلص الذين ينسون اني امبراطورهم فيكلمونني باخلاص كما يكلم الصديق صديقهُ والكلام بيني وبينك يا استاذ ان ذلك معدوم في المانيا فاذا صادقت احداً اليوم شمخ عليك غداً . وبهذا يمتاز الانكليز علينا فانهُ مهما اشتدت الصداقة بينهم لا يدل احدهم على الآخر بل يلزم حدهُ . ولكن لنعد الى التاريخ ان انكلترا لا تحرك ساكناً في هذه الحرب لان المشكلة الارلندية تملأُ يديها

الاستاذ — اظن يا مولاي انها تسرُّ بما يحوّل افكارها الى غيرها

الامبراطور — يقول لشنوسكي انهُ اذا اشتبكت انكلترا بمسألة خارجية فالحرب

الاهلية تثور فيها حالاً والجيش كلهُ في ارلندا ولا يمكن اخراجهُ منها . والآن مرادي ان اری بلين فتعال وقابلني كل يوم

فخرج الاستاذ واستدعى الامبراطور الهر بلين فدخل فقال لهُ كيف عملت حتى وصلت بهذه السرعة وكل السكك مشغولة

بلين — اتيت بالاتوموبيل من همبرج الى هنا

الامبراطور — احسنت ما رأيك في هذه المشكلة

بلين — ليس لعبد مثلي ان يبدي رأياً

الامبراطور — اليك عن هذا الاتضاع المكروه يا رجل تقدَّم وقل لي فكرك . ولكن هل تغدَّيت

بلين — كلا

الامبراطور — ابقاك هؤُلاء الوحوش كل هذه المدة بلا اكل سأحضر لك شيئاً تأكلهُ هنا . ثم نادى ياوراً وقال لهُ اطلب شيئاً من الطعام للهربلين فيأكل هنا . والتفت الى بلين وقال لهُ لقد جنُّوا كلهم

بلين — مَن الذي جن يا مولاي

الامبراطور — ما لنا ولهم اراك كأنك كبرت عشر سنوات عمَّا كنت . اتظن اننا غلطنا في عملنا

بلين — تعلمون جلالتكم اني واقف نفسي لخدمة المانيا ولكنني لست كفوءًا للحكم في المسائل السياسية الكبيرة

وادخل الخدم حينئذٍ طبقاً عليهِ الوان الطعام فقال لهُ الامبراطور كُلِ الآن اظنك لا تستنسب هذه الحرب

بلين — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — ولكنها تنتهي في عيد الميلاد

فبقي بلين صامتاً فقال لهُ الامبراطور الظاهر انك لا تظن انها تنتهي حينئذٍ

بلين — نعم لا اظن

الامبراطور — قل لي اذاً ماذا تظن . ثم وقف وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً كأنهُ لا ينتظر جواباً لسؤالهِ . ولما اتمَّ بلين اكلهُ وقف الامبراطور امامهُ وقدم لهُ سيكاراً وقال لهُ قل لي بحقك لماذا ارى الجميع راغبين في الحرب

فوقف بلين فقال لهُ الامبراطور ابقَ جالساً بل اجلس في هذا الكرسي واشار الى كرسي كبير وجلس هو في كرسي آخر الى جانبهِ وقال لهُ اذاً انت تظن اننا مخطئون

بلين — قد اكون انا مخطئاً في ظني

الامبراطور — اليك عن هذا التواضع الممقوت قل لي فكرك وليس احد هنا يسمع ما تقول

بلين — ان الحرب خاضعة لقوانين الاشغال التجارية ففي هذه الاشغال مَن يخاطر باموالهِ يعرضها للخسارة مهما اتخذ من الحيطة . نعم نحن خاطرنا مراراً في شركتنا ولكن جلالتك كنت تسندنا دائماً ولولا ذلك ما بقيت شركتنا الى الآن وهذه الحرب مخاطرة فاذا لم تفلح فاين السنَد

الامبراطور — كيف عرفت انها لا تفلح

بلين — لم اقل انها لا تفلح بل قلت انها ان لم تفلح

الامبراطور — نعم قلت يا بلين انها لا تفلح

بلين — كلاَّ يا مولاي ومرادي ان الخطر جسيم لا غير

الامبراطور — نعم جسيم ونحن مخاطرون بكل ما لنا

بلين — اذا فعل ذلك تاجر من التجار فيكون مرادهُ ان ينتحر اذا لم يفلح

الامبراطور — ولكن الكل يطلبون الحرب ويشتاقون اليها

بلين — وسبب ذلك الجهالة وقلة الفكر

الامبراطور — هذا يطلق على العامة والطغام ولكنهُ لا يطلق على الوزراء والمشيرين

بلين — ولا انا اعني ذلك وانما اقول ان تشوُّق العامة الى الحرب سببهُ الجهل

الامبراطور — قل لي كيف يكون تأثيرها في همبرج

بلين . ذلك يتوقف على مَن تكون لهُ سيادة البحار فاذا امكننا باسطولنا الاصغر . . .

الامبراطور — ولكنهُ الاقوى

بلين — ان نسود على البحار فهمبرج تتقدَّم تقدماً لا مثيل لهُ والاَّ حلَّ بنا الدمار من وراء هذه الحرب

الامبراطور — اواهُ يا بلين ما اصعب هذه الاحوال . لا تفارقني اذهب وقل للقونتة اما اني اريد ان تبقى هنا هذه الليلة . وبعد حين سادعوك لنمشي في الروض ونتحدَّث مليًّا

وخرج بلين ودخل ولي العهد . ستأتي البقية



عمل المكروبات في التربة الزراعية

اهتم علماء البكتيريولوجيا بعمل المكروبات الارضية فراقبوا ما تحدثهُ من التغيرات البكتيريولوجية في التربة الزراعية توفيراً لغذاء النبات ثم لكي يسهلوا درس تلك التغيرات قسموا اغذية النباتات الى قسمين احدها ما يستمد من الجو كالاكسيجين والنيتروجين الجوي وثاني اكسيد الكربون والماء وثانيها ما يستمد من التربة من الاملاح كالنيترات والفصفات والكبريتات لعناصر البوتاسيوم والكلسيوم والمغنيسيوم والصوديوم وغيرها . وجه العلماء اهتمامهم الى النيترات من القسم الثاني بعد ان جعلوا ما تحلهُ في طائفتين طائفة الاملاح النيتروجينية وطائفة الاملاح غير النيتروجينية . اما اسباب اهتمامهم بالنيترات من هذا القسم خاصة فكثيرة منها انها تتكون في الاراضي الزراعية من المواد الآلية النيتروجينية وتكونها لا يتم الاَّ بعمل المكروبات . ومنها انها مع ضرورتها للتغذية النباتية وكونها موجودة في التربة بنسبة قليلة تكون على الدوام عرضة للنقص بسرعة ذوبانها في الماء وتسربها الى ما تحت التربة . ومنها انها ذات قيمة في التجارة فلا يحصل عليها الاَّ ببذل اثمان مرتفعة لندرتها وشدة الحاجة اليها . لذلك اهتم العلماء بالبحث فيها وفي اسباب تكونها وتعويض ما تفقدهُ التربة منها وبناء عليهِ فان اهم عمل للمكروبات الارضية تكون غايتهُ تكوين تلك النيترات لتتوفر اغذية النباتات

لفهم تكون النيترات في التربة الزراعية يجب ان نبحث فيما يطرأ على المواد الآلية النيتروجينية من التغيرات البكتيريولوجية وهي تنحصر في ثلاث عمليات كبرى هي النشدرة[1] وتحول النشادر الى نيترات او النترجة وعكس النترجة

النشدرة

متى تم انحلال المواد الآلية النيتروجينية المختلطة باجزاء التربة الزراعية من بقايا النباتات او الاسمدة الآلية تكوَّن منها النشادر في شكل غازي بعمل طوائف من الاحياء الدنيا فيتحد بالحوامض الارضية لتتكون املاح النشادر المعروفة او يتحد بمركبات اخرى

(١) اي Ammonification عربت هذه الكلمة بكلمة نشدرة كما عربت كلمة Nitrification بنترجة

لتتكون مركبات نشادرية مختلفة على انهُ في اثناء تكونهِ يتصاعد جانب منهُ الى الجو ثم يعود الى الارض مذاباً في مياه المطر · من السهل ان يتحقق الانسان تصاعد غاز النشادر الى الجو باستنشاقهِ في الامكنة التي يتكون فيها كالاصطبلات ونحوها ومن السهل كذلك ان يتحقق وجوده ذائباً في مياه الامطار باختبارها علمياً

لم يهتدِ العلماء الى تحقيق التفاعلات الكيماوية المسببة عن عمل الاحياء الدنيا لتكون النشادر ولكنهم يؤكدون ان الحوامض «الامينية» اول ما يتكون في هذه التفاعلات بعمل مكروبات التعفن في المواد الآلية النيتروجينية ويقولون ان الحوامض[١] المذكورة اما ان تتحد بالماء فتتكون مركبات ابسط منها اخصها النشادر او تتحد بالاكسيجين فتتكون مركبات اخرى بسيطة منها النشادر اعني ان الحوامض الامينية تتهدرت او تتأكسد وفي اثناء ذلك ينشأ النشادر

واول من حقق ان تكون النشادر في التربة الزراعية نتيجة عمل الاحياء الدنيا العالمان منتز[٢] وكودن[٣] فانهما بما اجرياه من عمليات تعقيم التربة اثبتا ان تكوُّن النشادر عملية بكتيريولوجية اذ لو لم تكن كذلك لما تعطلت العملية بالتعقيم · ثم قام العالم مارشال[٤] بابحاث اخرى في سنة ١٨٩٣ عن طريقة تكون النشادر في التربة تمكن فيها بتحاليل بكتيريولوجية وميكولوجية لجملة اراضٍ زراعية من فصل احياء دنيا مختلفة درس تأثيرها في المحلولات الزلالية (الالبيومينية) وقد عُرف ان الاكثر شيوعاً منها اثنا عشر نوعاً تحلل الزلال فيتكون النشادر · منها باسيلوس ميكويديس[٥] وباسيلوس ڤلجاتوس[٦] وبروتيوس ڤلجاريس[٧] وباسيلوس بيوتيدوس[٨] ومكروكوكوس كنديكانز[٩] وهي من مكروبات التعفن التي توجد في الاراضي الزراعية المتعادلة في الحوضة والقلوية او القلوية والفطر بنيسيليوم جلوكوم[١٠] وميكور ميوسيدو[١١] وميكور راسيموسس[١٢] وانواع من بترتيس[١٣] وتوريولا[١٤] التي تكثر في الاراضي الحمضية المشتملة على كيات عظيمة من المواد الآلية وقد اهتم مارشال بباسيلوس ميكويديس اكثر من غيرهِ لما اتضح لهُ من انهُ اقوى تلك الاحياء واشدها فعلاً

---

(١) ان الحوامض الامينية وان كانت ثابتة التركيب تقريباً لا تحلل بسهولة الا ان بعض التفاعلات الكيماوية الخاصة تحلل تلك الحوامض فيتكون بسببها النشادر كذلك

(٢) A. Muntz

(٣) H. Coudon

(٤) Emile Marchal

(٥) Bs. Mycoides

(٦) Bs. Vulgatus

(٧) Proteus Vulgaris

(٨) Bs. Putidus

(٩) Micrococcus Candicans

(١٠) Penicillium glaucum

(١١) Mucor mucedo

(١٢) Mucor racemosus

(١٣) Botrytis

(١٤) Torula

في تكون النشادر فدرسهُ مفصلاً وقارن عملهُ بعمل غيرهِ وقرر انهُ يحول ٤٦ في المائة من نيتروجين زلال البيض الى نشادر بينما پروتيوس ڤلجاريس يحول ٣٦ في المائة وباسيلوس ڤلجاتوس يحول ٣٠ في المائة فقط وذلك في مدة عشرين يوماً

ان عملية التأكسد التي تقع في الحوامض الامينية وغيرها من المواد الآلية النيتروجينية تعتبر عملية بسيطة ضرورية لحياة المكروبات وتنحصر على رأي بعض العلماء في امتصاص الاكسجين الجوى باتحادهِ مع الكربون في المواد المذكورة ليتكون ثاني اكسيد الكربون بينما يتولد النشادر من اتحاد النيتروجين بالهيدروجين اثناء العملية

والنسبة التي تكون بين النشادر وثاني اكسيد الكربون المتكونين في هذه العملية كنسبة ١ : ٨٫٩ اي لا يتكون واحد من النشادر الا اذا تكون ثمانية وتسعة اعشار من ثاني اكسيد الكربون . على ان هذه النسبة لا تعتبر في نظر العلماء كاملة اذ المقرر انهُ لاجل تأكسد عناصر الكربون والهيدروجين والكبريت الموجودة في ذرة من الزلال تأكسداً كاملاً يجب ان تكون النسبة اصغر من ذلك ويؤكد عدم تمام عملية التأكسد بقاء مركبات قابلة للتأكسد كاللوسين والتيروسين والحوامض الدهنية

هذا وقد لوحظ في العملية السابقة عدم ضرورة وجود الاكسجين المطلق اذ امكن المكروبات المزروعة في محلول مشتمل على سكر ونيترات ان تحصل على الاكسجين الضروري لها من النيترات التي تحللها وفي الوقت نفسهِ يتكون النشادر في هذه العملية

من المواد الآلية النيتروجينية المواد البولية كاليوريا والحامض اليوريك والحامض الهيپوريك وهذه يتكون النشادر منها بواسطة طائفة من المكروبات تعرف بمكروبات اليوريا يتم عملها بواسطة انزيم اليورياز الذي تفرزهُ فيحول المواد المذكورة الى كربونات النشادر

كانت ابحاث العلماء في تكون النشادر في اول الامر كيماوية اكثر منها بكتيريولوجية ولكنها منذ سنوات صارت بكتيريولوجية صرفة فقد عرف العلماء كثيراً من المكروبات التي تكون النشادر من المواد الآلية النيتروجينية المعقدة وعلى الخصوص المكروبات التابعة لطائفتي سبتيليس وكولاي وهم يفضلون درسها كطائفة فسيولوجية واحدة لتقدير وظيفتها الحيوية بدلاً من فصل انواعها ودرس كل منها على حدة واول من اشار باتباع هذه الطريقة الفسيولوجية في مسائل التربة الزراعية هو العلامة رمي[1] في سنة ١٩٠٢ . اما هذه الطريقة فتنحصر في تلقيح محلول من الپيتون محضراً بنسبة ١ پيتون الى ١٠٠ من الماء بمقدار من التربة

(1) Remy

ثم يترك اربعة ايام في حرارة على درجة ٢٠ سنتغراد فيتكون النشادر و يعتبر النشادر المتكون مقياساً لقوة النشدرة الحاصلة في التربة · وعليهِ فقد توصل رمي بهذه الطريقة الى الحكم على بعض الاراضي الزراعية المعروفة بخصبها بان ذلك نتيجة استخدام الاسمدة الآلية التي ارتفعت بها قوة النشدرة فيها وكذلك لاحظ العالمان لوهنس[1] و پار[2] بعد تجارب اجرياها على تكون النشادر في التربة ان قوة النشدرة تنخفض في الشتاء ثم ترتفع في الربيع وتبقى مرتفعة حتى اواخر الخريف ولا بد ان يكون السبب راجعاً الى نشاط المكروبات في سائر فصول السنة وعدم نشاطها في الشتاء

لم تسلم طريقة رمي من النقد فقد لاحظ عليها العالمان ستيفنس[3] ووذرس[4] بتعذر تطبيقها تطبيقاً مطرداً على التربة الزراعية اذ من الصعب معرفة ما يتم فيها تماماً لان نشاط المكروبات يتوقف على شروط منها درجة الحرارة والحموضة والقلوية مما لا يتوفر البحث فيهِ بحثاً كاملاً في معمل بكتيريولوجي · ومع ذلك فانهما يعترفان لفائدة هذه الطريقة من وجهة انها تفيد في الاختبارات التحليلية فقط كما وقع للعالم ليمان[5] في تجاربهِ سنة ١٩١١ فانهُ اختبر بهذه الطريقة بعض الاسمدة الآلية النيتروجينية التي تحدث فيها عملية النشدرة بسرعة اكثر من غيرها

اذا كانت طريقة رمي قاصرة عن تقدير قوة النشدرة في التربة الزراعية تماماً فقد امكن بعض العلماء الوصول الى نتيجة احسن بدراسة القوة التي تتكون بها النيترات في التربة المذكورة اذ من السهل تقدير النيترات بالضبط بخلاف النشادر ومع ذلك فمتى علمت قوة تكون النيترات امكن العلم بقوة تكون النشادر لتكافؤ القوتين

لا يقف عمل المكروبات الارضية في تكون النشادر عند تحليل المواد الآلية النيتروجينية بل في استطاعتها ان تحلل مركبات نيتروجينية غير آلية كسيناميد الكلسيوم[6] فانهُ بتحليلهِ يتكون النشادر و كربونات الكلسيوم و كركبات الفروسيانيد[7] وغيرها فان المكروبات تحللها في التربة و يتكون منها مركبات نشادرية

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

(1) Löhnis (2) Parr (3) Stevens (4) Withers (5) Lipman (6) Calcium cyanamide
(7) Ferrocyanide

موسم القطن المصري

وتقديره

يظهر مما ورد الى الاسكندرية من القطن حتى اواخر اغسطس ان الموسم لا يبلغ ستة ملايين ونصف من القناطير الآ اذا ثبت ما يقال وهو ان بعض الدوائر الكبيرة خزنت قطنها ولم تبعهُ ولا ارسلتهُ الى الاسكندرية . واذا صدق ما يقال من هذا القبيل فلا يحتمل ان يزيد الموسم على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون ولذلك اخطأ الذين قدَّروهُ اولاً بثمانية ملايين او حواليها وحسبوا ان المقطوعية لا تزيد على اربعة ملايين فيبقى منهُ اربعة ملايين الى الموسم المقبل وطلبوا تقليل الزمام الذي يزرع قطناً فقُلِّل نحو الثلث . ولكن المقطوعية زادت كثيراً عمَّا قدِّر لها و بلغ الصادر حتى اواسط اغسطس اكثر من ستة ملايين قنطار

ومن الغريب ان الولايات المتحدة اخذت نحو مليون قنطار وثلث اي زاد ما اخذتهُ نصف مليون قنطار عمَّا اخذتهُ في العام الماضي . وهذا الامر اي اخذ الولايات المتحدة لهذا المقدار الكبير من القطن المصري وهي بلاد القطن يؤيّد ما قلناهُ مراراً وهو انهُ لا يخشى ان تقلَّ مقطوعية القطن المصري اذا رخص سعرهُ وعرف الغزالون قيمتهُ . فقد صار ما تأخذهُ الولايات المتحدة من القطن المصري نصف ما تأخذهُ انكلترا منهُ مع رخص القطن الاميركي في اميركا وكون مغازلها مصنوعة لغزل قطنها . ويظهر لنا انهُ لو عرف كل اصحاب المغازل في اميركا وفي سائر المسكونة مزايا القطن المصري لتسابقوا الى ابتياعهِ ولو صار عشرة ملايين قنطار وعاد سعرهُ الى ما كان عليهِ منذ سنتين

والاسلوب الموصل الى ذلك ليس سهلاً ولا هو قليل النفقات ولكن فائدتهُ كبيرة جدًّا تستحق ان يضحَّى في سبيلها الوف الجنيهات ولو استُشرنا في الامر لأشرنا ان تؤلَّف لجنة من البارعين في عرض القطن القادرين على الاقناع بقوة حجتهم وانيط بها ان تطوف على معامل الغزل والنسج في اوربا واميركا واسيا تعرض عليها عينات من القطن المصري وتبين لها مزاياهُ واساليب تصديرهِ اليها . وسنتوسع في هذا الموضوع في فرصة أُخرى

والآن يجب ان يعلم كم يبلغ الموسم المقبل لان سعرهُ يتوقف على مقدارهِ . ففي العام الماضي كان زمام زراعة القطن ١٧٥٥٠٠٠ فدان والمرجح ان محصولها لا يزيد على ستة ملايين ونصف من القناطير . والآن زمام زراعة القطن ١١٨٠٠٠٠ فدان فقط فاذا جاء محصول الفدان كما كان في العام الماضي بلغ المحصول كلهُ نحو اربعة ملايين و ٢٦٧ الفـ

قنطار فقط اي نحو اربعة ملايين وربع · واذا رجعنا الى متوسط محصول الفدان في السنوات العشر السابقة وجدناهُ كما في هذا الجدول

سنة ١٩٠٤	٤,٣٩ القنطار
« ١٩٠٥	٣,٨٠ «
« ١٩٠٦	٤,٦١ «
« ١٩٠٧	٤,٥١ «
« ١٩٠٨	٤,١٢ «
« ١٩٠٩	٣,١٣ «
« ١٩١٠	٤,٥٧ «
« ١٩١١	٤,٣١ «
« ١٩١٢	٤,٣٥ «
« ١٩١٣	٤,٤١ «
والمتوسط لهذه السنين	٤,٢١

اي ان متوسط حاصل الفدان في السنوات العشر الماضية كان اربعة قناطير و ٢١ في المئة من القنطار فاذا حسبنا متوسط محصول الفدان هذه السنة مثل متوسط محصول السنوات العشر الماضية بلغ محصول هذه السنة ٤٩٦٧٨٠ ٤ اي اربعة ملايين و ٩٦٧ الف قنطار و ٨٠٠ قنطار او اقل من خمسة ملايين قنطار · واذا حسبنا متوسط محصول الفدان هذه السنة مثل احسن سنة من السنوات العشر الماضية اي سنة ١٩٠٦ حينما بلغ متوسط محصول الفدان ٤,٦١ (اربعة قناطير و ٦١ في المئة من القنطار) بلغ المحصول كلهُ هذه السنة ٤٣٩٨٠٠ ٥ اي خمسة ملايين و ٤٣٩ الفاً و ٨٠٠ قنطار او اقل من خمسة ملايين ونصف مليون قنطار

ولا يخفى ان وزارة الزراعة مسئولة عن تقدير موسم القطن بما يمكن من الدقة · وهذا اهم عمل من اعمالها لان تقديرها هذا يؤثر في ارتفاع الاسعار وانخفاضها · فاذا جاء تقديرها كبيراً اكثر من الحقيقة هبط سعر القطن وخسرت البلاد خسارة كبيرة تقدر بملايين الجنيهات · واذا جاء تقديرها اقل من الحقيقة فالتجار المضاربون الذين يصدقون تقديرها و يذهبون على الصعود يشترون بالغالي و يبيعون بالرخص فيخسرون كثيراً ولا يربح الأ بعض المزارعين الذين يرتابون في تقديرها و يغتنمون الفرصة و يبيعون محصولهم سريعاً قبلما تعلم

حقيقة الموسم وتهبط الاسعار . واما جمهور الملاك فيغترون بتقديرها ولا يبيعون محصولهم منتظرين ارتفاع الاسعار فيخسرون . ولا فائدة حقيقية للقطر الأ اذا جاء تقدير وزارة الزراعة مطابقاً للواقع فيثق بهِ الناس في المستقبل ويربطون الاسعار بحسبهِ . وغاية ما يرجى منها الآن ان تهتم بهذه المسألة الاهتمام الواجب وتقدر المحصول بما يمكن من التحقيق مراعية المساحة المزروعة والآفات العادية التي تنتاب القطن في هذا الشهر والذي يليهِ

صادرات القطن الاميركي

بلغت صادرات القطن الاميركي الى اوربا كلها ٨٣٢١١٨٢ بالة من اول اغسطس سنة ١٩١٤ الى ٣٠ يونيو سنة ١٩١٥ يقابل ذلك في هذه المدة من الموسم السابق ٨٨٠١٧٥١ بالة وقد صدر منها الى البلدان التالية ما يأتي (والبالة خمسة قناطير)

	موسم ١٩١٢ — ١٩١٤	موسم ١٩١٤ — ١٩١٥
الى النمسا	٠٠٩٧٣٨٩ بالة	٠٠٠٠٠٠٠ بالة
« المانيا	٢٦٦٤٠٣٣ «	٠٢٤٢٦٦١ «
« الدنمارك	٠٠٠٠١٠٠ «	٠٠٣٥٢٥٧ «
« ايطاليا	٠٤٦٢٠٧٣ «	١٠١٨٤٦٩ «
« هولندا	٠٠٣٣٨٢٢ «	٠٥٠١٧٦٠ «
« نروج	٠٠٠٣٥٢٥ «	٠٠٥٤٦٦٦ «
« اسوج	٠٠٤٦٢٦٦ «	٠٧٤١٦٣٧ «
« اسبانيا	٠٢٤٩١٨٥ «	٠٤١١٣٢٢ «
المجموع	٣٥٥٦٦٩٣ «	٣٠٠٥٧٧٢ «
« بريطانيا	٣٢٩٠٣٤٢ «	٣٥٩٣٦١٢ «
« فرنسا	١٠٧٢٥٨٢ «	٠٦١١٤٨٠ «
« روسيا	٠٠٨٨٦٨٣ «	٠٠٥٩٢٠٩ «
المجموع	٤٤٥١٦٠٧ «	٤٢٦٤٣٠١ «
المجموع الكلي	٨٠٠٨٣٠٠ «	٧٢٧٠٠٧٣ «

وواضح من ذلك ان صادرات القطن الى ايطاليا وهولندا واسوج ونروج والدنمارك لم تزد هذه الزيادة الأ لايصال القطن الى المانيا والنمسا فان الوارد الى هذه الممالك زاد نحو مليوني بالة

الصادرات الزراعية المصرية

بلغ مقدار الصادرات الزراعية هذا العام حتى ٢٠ اغسطس ما تراهُ في الجدول التالي مقابلاً بما صدر في العام الماضي الى هذا التاريخ

	١٩١٥	١٩١٤
قطن	٦ ١٨٧ ٧٨٨ قنطاراً	٧ ٣٥٢ ٧٠٤ قناطير
بزرة	٣ ٥٢٣ ١٠٣ ارادب	٣ ٦٤١ ٨٤٢ اردبًا
كسب	٠ ١٠٠ ٩٧٥ طنًا	٠ ٠٧٥ ٣٠٠ طنًا
فول	٠ ٠٩٨ ٢٤٦ اردبًا	٠ ٠٠٠ ٦٨٩ اردبًا
شعير	٠ ٠٠٢ ٦٠٢ «	٠ ٠٠٢ ٢٠٣ «
قمح	٠ ١٥١ ٩٧٠ «	٠ ٠٠٠ ٠٢٠ «
عدس	٠ ٠٤٦ ٨١٢ «	٠ ٠٠٠ ٠٢٧ «
ذرة	٠ ٢٦٤ ٩٠١ «	٠ ٠٠٠ ٢٤٠ «
بصل	٠ ٤٦٥ ٩٩٦ كيساً	٠ ٤٢١ ٣٧٢ كيساً

ويظهر من ذلك ان الصادرات الزراعية كلها زادت زيادة كبيرة ما عدا القطن لانقطاع ما كان يصدر منهُ الى المانيا والنمسا وروسيا ولولا ما صدر الى المانيا والنمسا بطريق بعض البلدان المحايدة لكان الصادر من القطن اقل من ذلك ايضاً . اما الموسم الحالي الذي يبتدئ في اول سبتمبر هذا فاذا لم يزد على اربعة ملايين ونصف الى خمسة ملايين قنطار فلا خوف من كسادهِ لان انكلترا وحدها تأخذ منهُ اكثر من مليوني قنطار وفرنسا وايطاليا تأخذان منهُ نحو مليون قنطار واميركا تأخذ اكثر من مليون هذا عدا ما تأخذهُ اليابان وسائر بلدان الشرق الاقصى . واذا فتح الدردنيل هذا الخريف او في الشتاء المقبل او اذا وضعت الحرب الاوربية اوزارها قريباً فالموسم الحاضر والمتأخرات في الاسكندرية لا يبقى منها شيءٌ الى اغسطس المقبل على الراجح . وكل ذلك يدعو الى رفع سعر القطن ولكن سعرهُ لا يتوقف عليها وحدها بل يتوقف ايضاً على سعر القطن الاميركي وقوَّة المضاربة

اما زيادة الصادرات الزراعية فلا تقوم مقام الخسارة من هبوط سعر القطن وقلة الصادر منهُ لان ثمن كل ما زاد في صادرات الفول والقمح والعدس والذرة ليس اكثر من ٦٠٠ الف جنيه او حواليها فهو بمثابة صعود عشرة غروش في قنطار القطن لا غير

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن

نعقيمهُ وتركيبهُ وغشهُ

اللبن او الحليب أكثر مواد الطعام شيوعاً بين الناس يرضعهُ الاطفال في السنة الاولى من عمرهم ويكون مدار تغذيتهم عليهِ في السنوات التالية لها على الغالب . ومنهم من ينقطع عن تناولهِ الأ في احوال قليلة ومنهم من يتخذهُ طعاماً لهُ الى آخر العمر يشربهُ مع طعام الصباح ويطبخ منهُ الواناً شتى يتناولها مع اطعمة اخرى . وزد على هذا كلهِ انهُ طعام السقماء يجوز لهم تناولهُ حينما لا يجوز لهم تناول غيرهِ . ويظهر كذلك انهُ احد مقاييس المدنية الحاضرة . فالامم التي تكثر من تناولهِ هي ارقى في سلم الحضارة من المقلة منهُ . خذ الولايات المتحدة الاميركية ومنزلتها بين الامم معروفة فان متوسط ما يتناول الاميركي من اللبن كل يوم يبلغ بين نصف رطل وثلثي رطل اي ان الامة كلها تشرب كل يوم منهُ بين ٥٠ و ٦٠ مليون رطل . ومتوسط ثمن الرطل هناك بالمفرق ½ غرش فثمن الجميع بين ٢٥٠ و ٣٠٠ الف جنيه . هذا في اليوم فيكون ثمن ما يشربونهُ في السنة نحو ١٠٠ مليون جنيه

اول ما يجب عملهُ بعد حلب الماشية من بقر وجواميس ان يؤخذ اللبن الى غرفة نظيفة فيصفى بقطن معقم ثم يبرد حالاً لمنع نموّ البكتيريا وتكاثرها فيهِ . فقد عرف بالاختبار ان الميكروبات في اللبن المحفوظ تحت حرارة قدرها ٥٠ درجة بمقياس فارنهيت (١٠ س) تبيت في ٢٤ ساعة خمسة اضعاف ما كانت عند حلب اللبن . اما اذا كانت حرارة اللبن ٧٠ فارنهيت (٢١ س) فانها تزيد ٧٥٠ ضعفاً . وقد سنت بعض البلاد قوانين توجب فيها على باعة اللبن ان يحفظوهُ قبل بيعهِ على حرارة لا تزيد عن ٥٠ او ٥٥ درجة بميزان فارنهيت

ومما يدل على فضل العناية والنظافة والبرد في بقاء اللبن سليماً مدة طويلة هو ان ثلاث شركات اميركية عرضت لبنها في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فبقي معروضاً اربعة اسابيع في فصل الصيف من غير ان يفسد

تعقيم اللبن

تعقيم اللبن او « بسترتهُ » نسبة الى بستور يقوم بتسخينهِ الى ما بين الدرجة ١٤٠ و ١٤٥ ف (٦٠ — ٦٣ س) وابقائهِ على تلك الحرارة ٢٠ الى ٣٠ دق وبذلك تموت مكروبات جميع الامراض التي تنتقل مع اللبن · ويجوز رفع الحرارة الى ما هو اعلى من ذلك لتقصير مدة التعقيم ولكن عدم رفعها افضل لان رفع الحرارة قد يفضي الى تغيرات كيماوية في بعض المواد التي يتركب اللبن منها ولان الحرارة العالية تقتل عدداً كثيراً من مكروبات الحامض اللبنيك في حين انها لا تقتل المكروبات التي هي مصدر الفساد والانحلال في المادة الجبنية التي في اللبن وعليهِ اذا ابقي اللبن طويلاً فقد يفسد ويصبح غير صالح للشرب قبل حموضتهِ

تركيب اللبن

عرّف العلماء اللبن بانهُ محلول مائي موَّلف من سكّر اللبن والالبيومن (الزلال) وبعض الاملاح · ويعوم في هذا المحلول كريات دهنية ومادة معدنية والمادة الجبنية المعروفة باسم كاسيين مع مواد اخرى قليلة · اما صفرة اللبن فسببها وجود مادة صفراء في الدهن واما كثافتهُ (اي عدم شفوفهِ) فسببها وجود الدهن والجبن وفوصفات الكلسيوم فيهِ

ونسبة المواد المذكورة بعضها الى بعض فيهِ تختلف باختلاف عدة حالات اهمها التربية والاصل والرضاعة وفصل السنة والعلف ووقت الحلب وكيفيتهُ الى غير ذلك· وكلما قلّ لبن البقرة او الجاموسة كان اكثر احتواء للمواد الدهنية والذّ طعماً · والغالب في اوربا ان يكون لبن الشتاء ادسم من لبن الصيف ولاسيما ان المواشي تعلف طعاماً جافاً كلهُ غذاء · ويقال بالاجماع ان متوسط نسبة المواد المذكورة بعضها الى بعض في لبن البقر هي على ما يأتي : دهن ٤ في المئة · مواد جبنية ٣٫٣٢ في المئة· كربوهيدرات ٤٫٨٥ · مواد معدنية ٠٫٧٢ · جوامد غير دهنية ٨٫٩٠ والباقي ماء اما المواد المعدنية فهي الكبريت والفصفور والكلور والصوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنسيوم والحديد

غش اللبن

في اللغة الانكليزية ترنيمة دينية اولها « هل نلتقي عند النهر » · وفي بعض كتب الانكليز ان اصحاب المواشي يحبون ترنيم هذه الترنيمة · اخبرنا بعضهم ان معلماً سأل احد

تلاميذهِ لم يحب اصحاب المواشي الترنم بهذه الترنيمة فاجابهُ لكي يمزجوا لبنهم بالماء · فغشّ اللبن معروف في كل زمان ومكان لان الانسان انسان حيثما كان ولكن هذه الخصلة القبيحة فيهِ تزول بالتربية او تضعف

وغش اللبن يكون بطريقة من الطرق الآتية وهي مزجهُ ماء · ونزع قشدتهِ · واضافة بعض المواد اليهِ لاخفاء حموضتهِ وفسادهِ · اما مزجهُ ماء فذنب مزدوج لان الغرض منهُ الغشّ اولاً · ثم ان مزجهُ ماء قد يكون سبباً لادخال مواد ضارة عليهِ لان الماء لا يكون في الغالب نقيًّا

واما نزع قشدته فجرم يأتيهِ الذين يبيعون اللبن ويصنعون الزبدة على الغالب

واما المواد التي تضاف اليهِ فهي البورق او غيرهُ · وكثيراً ما يلوّن اللبن المغشوش بمادة صفراء كما يلون السمن ليوهم مشتريهِ بان قشدتهُ لم تنزع منهُ · ومنهم من يضيف اليهِ مادة مكثفة ليظهر ملآن مواد دهنية او يضيف اليهِ شيئاً من بيكربونات الصودا ليخفي حموضتهُ

ويقال ان اهل لندن يدفعون ثمن اللبن الذي يشربونهُ في السنة مليونًا ونصفاً من الجنيهات منها ٧٥ الف جنيه ثمن ماء يمزج بهِ اللبن · ومزج اللبن بالماء قديم العهد في الشرق بين العرب بدليل قول شاعرهم

حتى اذا جنّ الظلام واختلطْ جاؤوا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطْ

والمذق اللبن الممزوج بالماء · يقول : فلما اقبل الليل جاؤوني بلبن قد اكثروا الماء فيهِ حتى ازرقّ لونهُ فامسى شبيهاً بلون جلد الذئب

اما الطريقة المصطلح عليها لاكتشاف غش اللبن الممزوج بالماء فهي اخذ الثقل النوعي للبن وهو بين ١٠٢٩ و ١٠٣٢ فان كان اقلّ من ذلك فاللبن مغشوش · وهناك طريقة اخرى وهي ان يوضع بعض اللبن في انبوبة ضيقة مقسمة الى درجات حتى تتكون القشدة على وجه اللبن فان كان حجمها مساوياً لعشر حجم اللبن كلهِ كان اللبن صحيحاً لا غشّ فيهِ والاّ فقد رفعت القشدة عنهُ لاول مرة · اما المواد التي تضاف الى اللبن لازالة حموضتهِ كما تقدمت الاشارة الى ذلك كالبورق والحامض السليسيليك فهي مهيجة للمعدة · والمرجح ان كثيراً من وفيات الاطفال مدة الصيف ناشئ عن هذا السبب

وتقاس صفة اللبن ايضاً باستعمال موازين خاصة بذلك وهي قليلة النفع اذا مزج اللبن بمواد مكثفة فلذلك لا يعول عليها وحدها في تحقق صفة اللبن

مقام اللبن بين الاطعمة

في كل رطل من اللبن العادي ٣١٤ فيحاً (اي وحدة من وحدات الحرارة) فهو بذلك مساوٍ لنصف رطل من لحم البقر او لاربع بيضات ونصف بيضة من بيض الدجاج الكبير · والبروتايين الذي فيهِ عظيم القيمة في تغذيتهِ فان ٩٧ الى ٩٨ في المئة منهُ يهضم و يمتص ولهُ مزية على البروتايين الذي في الاطعمة الاخرى ومزيتهُ انهُ خالٍ من المواد التي تولد الحامض اليوريك في الجسم وليس عرضة للفساد السريع في الامعاء

تأثير الهم والغم في الصحة

نشرت جريدة الديلي مايل مقالة بقلم طبيب جعل عنوانها « لا تعبس » بسط فيها تأثير الغم والكآبة في الاجسام قال :

من اصعب الامور في ابان الحوادث العظيمة والحروب الكبيرة ان يتملص المرء من المخاوف و ينبذ القلق والغم ولكن المخاوف وما ينشأ عنها من القلق تولد الامراض في اجسام الاصحاء

لما قال الاستاذ متشنيكوف عبارتهُ الشهيرة وهي « اشربوا اللبن (لبن الزبادي) واحيوا الى الابد » كان الاطباء يعلمون ان جانباً عظيماً من الامراض والعلل التي يصاب بها الناس تأتيهم من امتصاص الدم لمواد سامة تنشأ في الامعاء في اثناء هضم الطعام · ولما بدأت هذه الحرب انشأ الدكتور جنسن طبيب مستشفى الضباط في كنسنتن مقالات بيَّن فيها ان الخوف والقلق يسهلان امتصاص الدم لهذه السموم وقد نشر هذا الطبيب في جريدة اللنست الطبية مقالة ضافية قسم فيها العواطف التي ينطوي تحتها مبدأ الخوف الى ابواب منها باب القلق وباب الحزن (من جراء مصاب حاضر وتوقع مصاب مقبل) وباب اجهاد الجسم والعقل بالعمل والغضب (و ينطوي تحتهُ الخوف من السوى) وباب خوف الانتقاد وباب الالم وما يتفرع منهُ من الانحطاط والاعياء والتعب · قال واذا اشتد الخوف بامرءٍ او تولاهُ الغضب او نحو ذلك من العواطف انفعل واشرف على الاغماء وقد يغمى عليهِ فعلاً · وان وراء هذه الاعراض الظاهرة اموراً اخرى تحدث في الجهاز الهضمي من جراء تغلب العواطف المذكورة

و يعلم الجراحون ان عمل العمليات الجراحية في البطن مثلاً يحدث تغييراً عظيماً كبير الشأن في الجهاز الهضمي بسبب ما يسمونهُ « الصدمة » فاذا صح ما يقولهُ الدكتور جنسن فان هذا التغيير يقع بعضهُ في الجهاز المذكور اذا اشتد بالمرء الخوف او ملابساتهُ

واهم التغيير الحادث هو ان الامعاء تكبر وتغلظ فتتسع مساحة جدرانها من الداخل فتمتد هذه الجدران وتدق ويكثر الدم في الاوعية الدموية المجاورة لها فتدق جدرانها ايضاً وهذا التغيير يسهل امتصاص السموم التي تكون في الامعاء

اذا ابصر المرء منظراً مخيفاً او رأى ما يقشعر منهُ البدن فانهُ يشعر بضعف وخفقان في « قلبهِ » وسبب ذلك ان الاعصاب التي تتحكم في الامعاء تشل موقتاً فيبطل فعلها فتنتفخ الامعاء بما فيها من الغازات وتضغط القلب وتحدث فيهِ هذا الخفقان الذي يعتريهِ في مواقف الخوف فاذا انتفى العامل عادت الامور الى مجراها واستأنفت الاعصاب عملها وعادت الامعاء الى حجمها الطبيعي وارتفع ضغطها عن القلب ولعل ذلك هو اصل العادة الشائعة من قديم الزمان من شد الحقوين اذا عول المرء على الاقدام على عمل يقتضي شيئاً من الجرأة او التعب ومنهُ وصية الكتاب « بشد الحقوين »

ويعزو هذا الطبيب الدوار في البحر الى السبب عينهِ فان رؤْية الامواج تحدث «صدمة» خفيفة كالتي تحدثها العمليات الجراحية في البطن على تفاوت في المقدار فتشل عضلات المعدة والامعاء ويشرع الدم يمتص المواد السامة التي في الجهاز الهضمي ويحتمل ان الدم متى سم كذلك يهيج في الدماغ الجزء الذي يتحكم في القيء وسائر اعراض الدوار . ومما يؤيد هذا الظن ان شد الحزام على البطن يخفف الدوار وقد يمنعهُ

ومما يدل على تأثير الخوف في الاعضاء الباطنية وتعرض الدم لامتصاص السموم من القناة الهضمية ما هو معلوم ومشهور من ان الغم او القلق او الخوف يؤخر شفاء المريض والعكس بالعكس

وخلاصة ما تقدم ان قوة الجسم على مقاومة امتصاص السموم التي هي على الدوام في القناة الهضمية تتوقف على صحة المعدة والامعاء وهذه تتوقف على حالة المرء العقلية وما يتسلط عليهِ من الشعور والعواطف . فرباطة الجأْش وتجرد الفكر من فعل الهموم والغموم يحسنان حالة القناة الهضمية ويقويانها ويمنعان امتصاص هذه السموم

خور القوى بعد الاربعين

ما يجب على الكهول

في تاريخ العمران شواهد جمة على ان كثيرين من عظماء الرجال جلّوا في حلبة السباق بعد ان جاوزوا سنّ الاربعين سواء كان ذلك في ميادين التجارة او السياسة او العلم او

الادب · وان معظم الذين اشتهروا منهم انما اشتهروا بعد الاربعين والذين اتوا جلائل الاعمال انما اتوها بعد الاربعين · مع ان المعروف عند الباحثين ان الناس عامة لا يبلغون الاربعين حتى يبدأوا يشعرون بانحطاط قوتهم البدنية وضعف قوتهم المعنوية من همة وعزيمة واقدام على عظائم الامور · وهذا ما كان يشعر بهِ الشاعر العربي لما قال

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعين

كتب الدكتور بولدوان من اطباء الصحة في مدينة نيو يورك مقالة في « السينتفك اميركان » بعنوان لمَ « تخور قوى الرجال الذين يتجاوزون سن الاربعين » قال :

« سؤَال هين · واذا اردت الجواب عنهُ فسل جمعيات تحريم المسكر تجبك ان المسكر سبب ذلك الخور · او عالماً من علماء كيمياء الطعام يقل لك ان سببهُ نبذ الطعام الطبيعي واحلال الصناعي محلهُ · او جمعيات عفاف الشبان تخبرك بان الانغماس في الشهوات هو السبب · او جمعيات تحريم التدخين تنبئك بان الدخان هو السبب · او رجال الاعمال يخبروك بأن سبب قصف الاعمار في اوائل الكهولة انما هو شدة الاندفاع في تيار الاعمال والاشغال اندفاعاً لا يعرف سكوناً ولا راحة

اما كون الناس اكثر عرضة للموت في اوائل الكهولة بعد الاربعين فظاهر من هذا الجدول وفيهِ مقابلة بين متوسط الوفيات في كل الف من اهل اميركا سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩١١

السن	سنة ١٩٠٠	سنة ١٩١١
تحت ٠٥	٥٤٫٢	٣٩٫٨
٥ الى ٩	٠٤٫٧	٠٣٫٤
١٠ « ١٤	٠٢٫٩	٠٢٫٤
١٥ « ١٩	٠٤٫٩	٠٣٫٧
٢٠ « ٢٤	٠٧٫٠	٠٥٫٣
٢٥ « ٣٤	٠٨٫٣	٠٦٫٧
٣٥ « ٤٤	١٠٫٨	١٠٫٤
٤٠ « ٥٤	١٥٫٨	١٦٫١
٥٥ « ٦٤	٢٨٫٩	٣٠٫٩
٦٥ « ٧٤	٥٩٫٦	٦١٫٦
٧٥ فما فوق	١٤٦٫١	١٤٧٫٤

فنرى من هذا الجدول ان كهول الاميركيين لا يعيشون في هذا الزمان قدر ما كان الكهول قبلهم يعيشون وهذا الامر يزعجهم ويدهشهم ولاسيما ان متوسط الوفيات آخذ في الهبوط منذ ٢٠ سنة . فهل اخطأ الاحصائيون في احصائهم ؟ كلاَّ لم يخطئوا ولكن من ينعم النظر في هذا الجدول يرى ان متوسط الوفيات في الطفولة والحداثة هبط هبوطاً عظيماً اي ان اعظم ما فازت بهِ وسائلنا الصحية هو انها اقتصدت في موت الاطفال اقتصاداً كثيراً واقتادتهم الى الحداثة فالشباب فاواسط الكهولة لتراهم يموتون عند هذا الحد باسرع مما كان الكهول يموتون في السنين السابقة . وهذا الامر يفيدنا في معرفة السبب الحقيقي الذي افضى الى زيادة متوسط الوفيات في الكهولة وما بعدها وهو ان كثيرين من الاحداث الذين انجيناهم من الموت في الصغر تعوزهم قوة المقاومة الحيوية فتغلبهم امراض دور الكهولة وعليهِ اقول ان من جملة الاسباب التي تؤدي الى خور قوة الرجال بعد الاربعين كونهم اصيبوا في طفولتهم بمرض او اكثر من امراض الطفولة كحمى الدق او القرمزية او الحصبة او الدفثيريا او غيرها

ومعظم الامراض التي يموت بها الكهول في هذه السنين هي امراض القلب والشرايين ومرض بريط وبعض امراض الجهاز العصبي. ولهذه الامراض علاقة بعضها ببعض وكثيراً ما تكون اسبابها مشتركة . ومن هذه الاسباب السكر والتدخين والزهري والنقرس والروماتزم والافراط في الاكل وخصوصاً اكل اللحم والسم بالرصاص واجهاد العضلات بالاعمال اليدوية والتعرُّض للبرد والرطوبة والحرّ الشديد

وهنالك عوامل كثيرة تعسّر على رجال الصحة مقاومة هذه الامراض . منها ان هذه الامراض تدخل الاجسام خلسة فلا يشعر بها الا بعد تأصلها فيها . ومنها انهُ ليس من السهل اقناع العليل بسبب المرض المتسلط عليهِ ولو عرفهُ الطبيب تمام المعرفة ومنها ان معظم الاسباب المذكورة آنفاً كالمسكر والدخان والتخمة والزهري ذات علاقة عظيمة بشكل من اشكال الانغماس في الشهوات وهذه يصعب كبحها والتحكم فيها

ويؤْخذ من الاحصاء ان متوسط الوفيات السنوية في اميركا ١٤ في كل الف من السكان . وعندي انهُ اذا امكن استئصال الزهري والمسكر تمام الاستئصال هبط متوسط الوفيات المذكورة من ١٤ الى ١٢ في الالف كل سنة او الى ما تحت ذلك . وقلما تنشر الصحف الاميركية شيئاً عن الزهري بدعوى المحافظة على آداب اللياقة وهي دعوى كاذبة. ونتيجة عملها هذا ان قليلين من الاميركيين يعرفون شيئاً عن فتك هذا الداء العياء فان ١٠

في المئة من البالغين مصابون بهِ على القليل وهو يفضي بهم الى شقاء لا يوصف ثم الى الموت الباكر فضلاً عن ان لهُ اليد الطولى في جعل مستشفياتنا تغص بالمجانين و بيوتنا بالبله وضعاف العقول. وان ٢٠ في المئة من الذين يدخلون احد مستشفياتنا الكبرى وهو مستشفى بلڤو مصابون بالزهري . ومع هذا كلهِ لا تكاد ترى جريدة تسمي هذا المرض باسمهِ بل ترمز اليهِ بنعوت مختلفة كأن تسميهِ مرض الاجتماع او فساد الدم او غيرهما من الاسماء التي لا معنى لها

اما تأثير المسكر السيّء في الصحة العامة فما لا يحتاج الى بيان ويستحيل الآن قياس ذلك التأثير بالدقة . ثم ان العارفين من الاطباء مختلفون كثيراً في تأثير الخمور الخفيفة او البيرة مثلاً في الجسم ولكنهم مجمعون على ضرر المشروبات الروحية في مدمنيها

وقد كشف اخيراً عن ٧٠٠ من مستخدمي مصلحة الصحة في مدينة نيويورك كشفاً طبيًّا ومتوسط اعمار الرجال منهم ٣٣ ½ سنة والنساء ٣٢ سنة فوجد ان ٢,٨ في المئة منهم كثيرو السمن الى حدّ يتهدد صحتهم بالخطر . و ٣,٥ في المئة ضغط الدم في عروقهم يفوق المعتاد وفي البول بعض الزلال . و ١٣,٢ في المئة مصابون بعلل قلبية مختلفة في الشدة . ووجد ايضاً ان ٤٤ في المئة من المجموع اي ٣٢٧ من ٧٠٠ مصابون بامراض ان لم يعالجوها قصرت اجالهم وهم لا يعلمون انهم مصابون بها

ومغزى ما تقدم انهُ اذا قارب شخص ما حدّ الاربعين او جاوزهُ وجب عليهِ ان يستشير طبيبهُ في صحتهِ مرة في السنة فيفحص جسمهُ فحصاً كليًّا وفي الجملة بولهُ . ثم يجب عليهِ العمل بمشورة طبيبهِ بلا خلل. ومن الجهل الانتظار الى ان تظهر اعراض يشتبه فيها . فان الاعراض لا تظهر غالباً الاَّ بعد فوات الفرصة

ومما لا بد من الاشارة اليهِ هنا خطر الافراط في الاكل . فان معظمنا فرائس للافراط لا للتفريط . وخير ما نعمل ان نتبع مشورة جورج شاين الطبيب الانكليزي الشهير وهي : يجب على كلّ عاقل بلغ الخمسين ان يقلل كمية طعامهِ . واذا شاء ان يكون خلواً من العلل ذات الخطر وان يحفظ قواهُ سليمة الى النهاية ينبغي ان يخفض طعامهُ تخفيضاً كثيراً كل سبع سنوات وان ينزل من هذه الحياة كما صعد اليها حتى لا يتناول اخيراً الاَّ طعام الطفولة » . والخلاصة ان الانغماس في الملذات على انواعها هو سبب خور القوى بعد سنّ الاربعين

ثياب السيدات

اثرت هذه الحرب اعظم تأثير في التجارة والاعمال والاحوال الاقتصادية بوجه الاجمال واحدثت تغييراً كبيراً في جميع ما الفهُ الناس حتى بلغ هذا التأثير ما لم يكن بالحسبان فقام الكتاب في انكلترا اليوم يشيرون بوجوب اقتصاد النساء في ما يلبسن من الثياب في الحفلات والسهرات والنزهة

فقد كتب المستر روشفور مجوير الى جريدة التيمس يقترح على نساء بلاده ان يخترن لمدة الحرب ثوباً واحداً للسهرات والحفلات كما يفعل الرجال و يقتصرن عليهِ وان يفعلن مثل ذلك في البرانيط فيصطلحن على برنيطة رسمية للحفلات كالبرنيطة الحريرية التي يلبسها الرجال في الحفلات الرسمية وان يعتمدن على نوعين او ثلاثة من البرانيط للبس النهار في المدن والارياف

فكتبت اللادي تري تقول ان اختيار ثوب رسمي للنساء يلبسنهُ في السهرات والحفلات اقتراح نافع معقول وخير ما يصلح لذلك ثوب من الاطلس الاسود فانهُ يناسب جميع النساء وهو يلائم الايام التي نحن فيها

وقالت اللادي جارفاغ يستحيل ان تتفق النساء على ثوب خاص للسهرات والحفلات لانهن لا يتفقن على اي الاثواب اصلح من سواهُ فبعضهن يختار الالوان الغامقة والبعض يختار الالوان الزاهية ·واصعب من ذلك اختيار نوع من البرانيط ومع ذلك فالمشروع حسن وحبذا لو اتجهت الانظار الى تحقيقهِ

هذا و يليق بالشرقيات كلهنَّ ولاسيما باللواتي يستطعن ان يلبسنَ ما شئنَ من الملابس ولو كانت مطرزة بخيوط الذهب واسلاك اللؤلؤ ان يغتنمن فرصة العسر الحالي و يكتفين بالبسيط الساذج من الثياب والحلى الرخيص الثمن الذي يستر البدن ويريحهُ ويدل على الحشمة مع اللياقة والظرف· و يصعب على المتوسطات الحال ان يبتدئن بذلك ليكنَّ قدوة لغيرهنَّ ولكنهُ لا يصعب على الغنيات لان الغنية مها لبست استُحسنت ثيابها عليها· ولو ارادت نساء الاواسط والاغنياء في هذا القطر ان يقتصدنَ في ملابسهنَّ لوفَّرن الوفاً كثيرة من الجنيهات كل سنة تكفي لانشاء مدارس كثيرة للبنات



الزجاج

الزجاج الذي تصنع منهُ الكؤوس والقناني والاباريق وما اشبه على ثلاثة انواع الاول مركب من البوتاسا والرصاص والثاني من الصودا والجير (الكلس) والثالث من البوتاسا والجير . وهذه الانواع الثلاثة اما ان تكون ملونة او خالية من اللون . والزجاج الصوافي او البلوري الكثير الاستعمال في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة هو من النوع الاول اي من زجاج البوتاسا والرصاص . والزجاج البندقي من النوع الثاني اي من زجاج الصودا والجير . والزجاج البوهيمي من النوع الثالث اي زجاج البوتاسا والجير . وهاك جدولاً يظهر منهُ تركيب هذه الانواع الثلاثة

	سلكا	بوتاسا	أكسيد الرصاص	صودا	كلس	أكسيد الحديد والالومنيوم
زجاج البوتاسا والرصاص	١٧و٥٢	٨٨و١٣	٩٥و٣٣	٠٠	٠٠	٠٠
زجاج الصودا والجير	٤٠و٧٢	٠٠	٠٠	٥٨و١٨	٠٦و٥	٢٨و٣
زجاج البوتاسا والجير	٧٠و٧١	٧٠و١٢	٠٠	٥٠و٢	٤٠و١٠	٩٠و٠

والسلكا هي اكسيد السليكون الثاني او الرمل الابيض النقي والبوتاسا هي اكسيد البوتاسيوم الاول وكذلك الصودا اكسيد الصوديوم الاول ويغني عنهما القلي والنطرون او ما يستخلص منهما

فاذا اريد عمل الزجاج الخالي من الرصاص استعملت لهُ بواتق مفتوحة قطر الواحدة منها من ١٢ بوصة الى ٤٠ بوصة . واذا اريد عمل الزجاج الحاوي رصاصاً استعملت لهُ بواتق مغطاة ذات بيوت كخلايا النحل تسع ١٢ قنطاراً الى ١٨ قنطاراً

واتاتين الزجاج البندقي في جزيرة مورانو بالبندقية صغيرة واطئة تحمى باحراق الحطب وتمر الحرارة من الاتون الذي يصهر فيهِ الزجاج الى الفرن الذي يلين فيهِ . وعند بعض الصناع في البندقية افران صغيرة في دكاكينهم يصنعون بها الزجاج امامك و يلونونهُ بالوان بديعة تظهر بعد ما يبرد وكثيراً ما رأينا الزجاجين في بيروت يذيبون الزجاج في مواقد صغيرة و يصنعون الدمالج منهُ والاتاتين في المانيا والنمسا واميركا تحمى بالغاز وفي انكلترا بالفحم الحجري

ويصنع الآنية المختلفة من القناني والكؤوس والاباريق رجال مدربون على ذلك والغالب انهم يقسمون فرقتين تعمل كل فرقة منها ست ساعات متوالية ويدوم العمل نهاراً وليلاً من صباح الاثنين الى صباح الجمعة ومتى وقف العمل صباح الجمعة يفرغ الزجاج الذائب من البواتق في الماء حتى يبرد ثم يجفف ويترك ويمزج بشقف الزجاج والمواد التي يصنع الزجاج منها ويرد الى البواتق · ومتى اعيد العمل تحمى الاتاتين حموًّا شديدا الى درجة البياض حتى يصهر ما فيها ويطرد منهُ ما فيهِ من الماء ثم تخفض الحرارة حتى يصير الزجاج في البواتق لزجاً يلصق جانب منهُ برأس ماسورة تغط فيهِ فاذا نفخ بهذه الماسورة انتفخ الزجاج اللاصق بطرفها وينوَّع شكلهُ حينئذٍ بادارة الماسورة وتحريكها حركات مختلفة ويكون عند الزجَّاج ادوات غير هذهِ الماسورة كالملاقط والمقارض والقوالب وآلات قياس السمك وما اشبه

وقد رأينا الزجاجين في معرض باريس يصنعون الآنية الزجاجيَّة على اختلاف انواعها واشكالها وينقشونها نقشاً بديعاً ولهم في ذلك مهارة فائقة· ويستحيل على طالب هذهِ الصناعة ان يتعلم كيفية العمل بها ويتقنهُ ان لم يمارسهُ في معامل الزجاج زمناً طويلاً لما يقتضيهِ من المهارة في حركات اليدين

وكانت الادوات الزجاجية من انابيب وكؤوس وقناني واباريق والواح وما اشبه تصنع كلها باليد حتى الواح المرايا فان اللوح منها يكون اسطوانة كبيرة يقطع طرفاها فتصير انبوباً ثم يشق جانب منهُ ويبسط فيصير لوحاً مستوياً اما الآن فصارت هذه المصنوعات تفرغ في قوالب تشكّل بشكلها وتنفخ بآلات معدة لنفخها وتنقش بآلات أُخرى وسيأتي تفصيل ذلك

التمويه بالرش

استنبط مهندس من اهالي سويسرا اسمهُ شكوب اسلوباً بديعاً لتمويه المعادن مدارهُ على صهر المعدن بالكهربائية واطلاق مجرىً من الهواء شديد الضغط عليهِ من انبوب دقيق · فمجرى الهواء يجزىء المعدن المصهور الى دقائق صغيرة ويحملها ويلقيها على السطح المعدني الذي يراد تمويههُ بهِ · والآلة المصنوعة لذلك كهربائية يمرُّ بقطبيها سلكان من المعدن الذي يراد التمويهُ بهِ ولنفرض انهُ ذهب وانهُ يراد تذهيب لوح من الفضة فاذا اتصل هذان السلكان صارا في متصلها ولما حركة احتكاك تجدد الجزء المصهور كلما دفعهُ الهواء المضغوط وهناك

انبوب دقيق يخرج منهُ الهواء الذي ضَغْطهُ نحو ٩٠ ليبرة على البوصة ليدفع الذهب المصهور رشاشاً دقيقاً و يلصقهُ بلوح الفضة

الفحم الحجري في انكلترا والمانيا

ظهر بالاحصاء انهُ استخرج من مناجم الفحم الحجري في انكلترا ٢٨٧٤٣٠٤٧٣ طناً سنة ١٩١٣ ومن مناجم المانيا ١٨٨٤٨٥٠٠٠ طنٍ من الفحم العادي و٨٦ مليون طنٍ من اللجنيت اي الفحم الحجري الذي لم يتمّ تكونهُ ويسميهِ الانكليز بالفحم الاسمر . اما انكلترا فاستهلكت من ذلك المقدار في ارضها نحو ١٩٠ مليون طن والمانيا نحو ١٥٦ مليوناً من الفحم العادي ونحو ٩٤ مليوناً من الاسمر اي انها استوردت منهُ نحو ٨ ملايين طن من الخارج . فمتوسط ما استهلكهُ الانكليزي من الفحم في تلك السنة ٤,١٠٨ من الطن والالماني ٣,٦٨ من الطن . واستخدم الانكليز $37\frac{1}{2}$ مليون طن لاستخراج غاز النور والفحم الكوك وحولوا ١٦ مليون طنٍ الى كربون في معامل الغاز . اما في المانيا فبلغ مقدار ما حول الى كربون $62\frac{1}{2}$ مليون طن وما استخدم لاستخراج الغاز ٩ ملايين . ولما كانت الكمية التي تحول الى كربون في الافران اعظم كثيراً في المانيا منها في انكلترا كان مقدار البنزول الذي يستخرج في المانيا اعظم منهُ في انكلترا بنسبة ما يحول من الفحم الى كربون فيهما . ولا تخفى اهمية البنزول او البنزين في الصناعات المختلفة ولاسيما ان فيهِ بين ١٠ و ٢٥ في المئة من التولوين وهذا لازم كل اللزوم لتركيب المادة الشديدة الانفجار المعروفة باسم ترينيترو تولوين . وقد قدر بعضهم انهُ يمكن استخراج ٥ جالونات من البنزين النقيّ و $1\frac{1}{2}$ جالون من التولوين النقي من كل مئة طن من الفحم حينما يحوَّل الى كربون

ومعلوم ان البنزين والتولوين والكسيلين التي تستخرج من البنزول والنفط هي المواد التي تصنع منها المواد الشديدة الانفجار والتي تستخدم اساساً لتركيب الانيلين والتولويدين والكسيليدين ومن هذه يصنع كثير من انواع الصباغ والعقاقير الطبية كالصبغ الاحمر المعروف باحمر الكونغو والنيلي

وعلى ذكر الترينيترو تولوين نقول ان المانيا خزنت مقادير عظيمة منهُ قبل الحرب وان الحكومة الانكليزية حظرت قبل الحرب بسنتين ادخالهُ الى انكلترا بدعوى ما في شحنهِ من الخطر . والمعروف عند الخبيرين ان لا خطر منهُ الاَّ اذا صُدم بقوة عظيمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) اتفاق ولف

مصر. جودت افندي هلال. نرجو ان تشرحوا لنا الاتفاق المعروف باتفاق ولف

ج. لولف اتفاقان الاول منهما تمهيد للثاني والظاهر انكم تريدون الثاني ولا محل للشرح فقد كتب لورد ملنر على هذا الاتفاق صفحات كثيرة في كتابهِ عن مصر حتى لم يبقِ قولاً لقائل وكتب عليهِ لورد كرومر ايضاً. واهم بنود هذا الاتفاق البند الخامس ومفادهُ ان تجلي الجنود الانكليزية عن القطر المصري بعد ثلاث سنوات من تاريخ الاتفاق (وتاريخ توقيعهِ ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧) اذا لم يحدث في غضون ذلك خطر خارجي او داخلي يستلزم تأجيل الجلاء. فاذا حدث خطر تأخر ثم تجلي حينما يزول الخطر وتبقى ادارة الجيش المصري العامة في يد انكلترا سنتين بعد الجلاء (ولكن لم يذكر في هذا الاتفاق تعريف الخطر الذي يستلزم تأجيل الجلاء ولا مَن يحكم بانهُ يستلزم ذلك) واذا خيف ان تغزى مصر او يقع فيها اضطراب داخلي يخشى منهُ على الامن او اذا ابت الخديوية المصرية ان تقوم بما يجب عليها نحو الدولة صاحبة السيادة او ان تقوم بعهودها لدول اوربا فالحكومة العثمانية تستعمل حقها في احتلال مصر عسكريًّا ويحق حينئذٍ للحكومة البريطانية ان ترسل جنوداً الى مصر لتقوم بما يلزم لازالة الخطر. ثم ان الجنود البريطانية والجنود العثمانية تخرج من مصر حالما يزول السبب الذي دعا الى مجيئها اليهِ واذا لم تتمكن الجنود العثمانية من المجيء الى مصر لسبب من الاسباب فلها ان ترسل مندوباً من قبلها يبقى في القطر المصري مدة بقاء الجنود البريطانية فيهِ مع قائدها

ومن هذه البنود ايضاً البند السادس وهو ان تدعى كل الدول العظمى الموقعات لمعاهدة برلين ثم سائر الدول التي لها اتفاقات مع الخديوية المصرية للتصديق على هذا الاتفاق. وكتب السر درومند ولف الى الحكومة العثمانية انهُ اذا لم تصادق دولة من الدول المجاورة للبحر المتوسط على هذا الاتفاق

في الثلاث السنوات الاولى فانكلترا تعدُّ ذلك من قبيل الخطر على مصر الذي يجيز لها تأجيل الجلاء

و يقول البند السابع انهُ يجب التصديق على هذا الاتفاق في غضون شهر من توقيعهِ . وقد صدقت ملكة الانكليز عليهِ حالاً ولكن السلطان عبد الحميد ابى التصديق عليهِ خوفاً من روسيا وفرنسا اذ قيل لهُ انهُ ان صدق عليهِ ففرنسا قد تحتل سورية وروسيا ارمينية . و بعد جدال طو يل غادر السر درومند ولف الاستانة في ١٥ يوليو اي بعد نحو شهرين من توقيع الاتفاق . وطلب السلطان بواسطة سفيرهِ في لندن ان يعيد المذاكرة في شأن هذا الاتفاق فكان جواب لورد سلسبري انهُ ما دام السلطان ينقاد الى بعض المشيرين الذين يحملونهُ اليوم على نقض ما اثبتهُ امس فكل اتفاق جديد عرضة للنقض كما نقض الاتفاق الاول

(٢) خطبة لورد كرومر

ومنهُ . نرجو ان تنشروا لنا الخطبة الرنانة التي القاها لورد كرومر قبيل رحيلهِ من مصر

ج . نشرناها في المقطم الذي صدر وقت القائها ونشرناها ايضاً في جزء يونيو من المقتطف سنة ١٩٠٧ في مقالة عن لورد كرومر فيها صورتهُ

(٣) وصفة لتقوية الشعر

الاسكندرية . يوسف افندي غبور ذكرتم في المجلد ٣٧ من المقتطف صفحة ١٢١٠ وصفة لتقوية الشعر وفي مقتطف يوليو الماضي صفحة ٧٧ وصفة اخرى فايتهما اقوى فعلاً في تقوية الشعر

ج . ان فعل الاثنتين يتوقف بالاكثر على الذبان الهندي الذي هو الذرّاح والظاهر ان الاولى اقوى لان فيها ايضاً صبغة الفليفلة وزيت البترول وكلاهما من مقويات الشعر وزد على ذلك ان الماء كثير في الثانية فيضعف فعلها . ولكن الوصفة التي تفيد الواحد لا يلزم ان تفيد كل احد غيرهُ كما افادتهُ لاختلاف الاسباب التي تضعف الشعر واختلاف مقدار المادة التي تفرزها الغدد الدهنية وتلين الشعر

(٤) زيت الغاز لتقوية الشعر

ومنهُ . ألا يمكن ابدال زيت الغاز المذكور في الوصفة الاولى بغيرهِ او لا يمكن ان تضاف اليهِ مادة تزيل رائحتهُ

ج . يمكن الاستغناء عنهُ مطلقاً لان فائدتهُ غير كبيرة . ويمكن ان تزول رائحتهُ باضافة الطيوب القوية الرائحة ولكن تصير الوصفة غالية الثمن

(٥) اشتعال زيت الغاز

ومنهُ . ألا يخشى من يستعمل وصفة فيها زيت الغاز من الاشتعال اذا دنا من النار

ج . نعم اذا بل ثيابهُ بها ولكن اذا

دهن شعرهُ بدرهم مثلاً منها فلا خوف عليهِ

(٦) اسماء بعض العقاقير

ومنهُ . ما اسم اللوندا وصبغة الذبان الهندي وصبغة الفليفلة وخلاصة الجابورندي السائلة بالافرنجية المعروفة في مخازن الادوية

ج . اللاوندا Lavander وصبغة الذبان الهندي Tinctura Cantharidis وصبغة الفليفلة Tinctura Capsicum وصبغة الجابورندى Tinctura Jaborandi ونظن ان كل صيدلاني قانوني في هذا القطر يعرف المراد بهذه الاسماء اذا سمعها بالعربية.

(٧) جمود الغليسرين

ومنهُ . ان الغليسرين يجمد في الشتاء افلا يمكن ابدالهُ بزيت اللوز

ج . لا يجمد الغليسرين النقي الاَّ اذا هبطت الحرارة الى الدرجة ٤٠ تحت الصفر واذا كان ممزوجاً بغيرهِ رسبت منهُ بلورات على درجة الصفر وزيت اللوز يجمد قبلهُ

(٨) الادهان لتقوية الشعر

ومنهُ . كيف تستعمل الادهان التي توصف لتقوية الشعر

ج . الغالب ان يفرك بها جلد الراس بين مفارز الشعر في المساء قبل النوم واذا كانت كثيرة المادة الدهنية او الزيتية فيحسن غسل الراس منها بالماء والصابون في الصباح اذا انف المرء من بقائها على رأسهِ

(٩) حفظ البرتقال

بني سويف . علي افندي اسلام . كيف يمكن حفظ البرتقال بضعة اشهر لكي يؤْكل في آخر السنة

ج . لا بدَّ لحفظ البرتقال وكل الاثمار طريةً من امرين الاول ان تكون خالية من الرض لانها اذا رضت دخلتها ميكروبات الفساد والاختمار في مكان الرض وهرَّأَتها . والثاني ان يمنع تبخر الماء منها والاَّ جفَّت من نفسها بتبخُّر الماء فاذا كان قشرها لا يمنع التبخر كقشر البرتقال فلا سبيل لحفظها الاَّ اذا دهن بمادة صمغية تسد مسامهُ وتمنع تبخُّر العصارة منهُ . واللف بالورق الصقيل يفيد بعض الفائدة ولا سيما اذا كان الاقليم رطباً غير جاف واما الاقليم الجاف كاقليم الصعيد فتتبخَّر فيهِ عصارات الاثمار وتجف ولو لفَّت بالورق

(١٠) البدن الكثير الشعر

كوم حماده . احد القراء . اعرف رجلاً كثير الشعر جدًّا شعرهُ نابت في اغلب جسمهِ نبتاً كثيفاً جدًّا فما هو سبب ذلك

ج . الاصل في الانسان ان لا يكون بادي البشرة . وزوال الشعر الطويل من اكثر جسمهِ طارئ طرأَ عليهِ مدة تدرُّجهِ في الارتقاء بدليل ان بدن الجنين يكون مكسوًّا بشعر طويل قبل ولادتهِ وان ابدان كل الحيوانات الشبيهة بالانسان مكسوَّة

بالشعر فلا عجب اذا ظهر الشعر الطويل في ابدان بعض الناس احياناً جرياً على ناموس الردّة اي الرجوع الى الاصل واسباب ذلك غير معروفة تماماً ولكن اذا كان والدا الرجل كثيري الشعر فلا يبعد ان يرث ذلك منهما كليهما وتأتي هذه الصفة اقوى فيهِ منها فيهما

(١١) ازالة شعر البدن

ومنهُ. هل يمكن ازالة هذا الشعر بدون ان ينبت مرةً اخرى وبدون ان يحصل ضرر ما للجسم وبماذا

ج ان ذلك ممكن بالكهربائية ولكنهُ عمل شاق متعب مؤلم كثير النفقة اذ لا بد من كي كل شعرة على حدتها من اصلها بابرتين كهربائيتين فاذا وجدت شعرات قليلة في الوجه تشوههُ كأن تقرن الحاجبين عند الذين يكرهون قرنهما او في وجوه النساء فازالتها بالكهربائية ممكنة ونفقتها حينئذٍ قليلة ولكن ازالة الشعر من البدن كلهِ عمل لا يطاق ولو امكن نظرياً

(١٢) فائدة الشعر في البدن

ومنهُ. ما فائدة الشعر الكثيف في بدن هذا الرجل

ج. لا فائدة منهُ غير الدلالة العلمية على اصل الانسان عند الذين يقولون بارتقائهِ من الحيوان

(١٣) دواء لتقوية الجسم

ومنهُ ما افيد دواء لتقوية الدم والجسم عموماً من غير ضرر يلحق بالصحة

ج الدواء الافيد والارخص ترك الدواء والجري حسب قوانين الصحة اي الاعتدال في الاكل والعمل والسهر والنوم. فالفلاح الذي يعمل كل يوم عشر ساعات في الغيط ويأكل خبز الذرة والشعير وينام عند غروب الشمس ويقوم عند شروقها ولا يأكل اللحم الا نادراً لا يحتاج الى دواء يقوي بهِ دمهُ وجسمهُ. وكاتب هذه السطور جاوز الثانية والستين ولم يحتج الى دواء يقوي بهِ دمهُ وجسمهُ لانهُ يرى الاعتدال في كل شيء خير دواء. والذين يكثرون من شرب الادوية المقوية للدم والجسم ولو باشارة الاطباء قلما يقوون كالذين يتبعون قوانين الصحة. ولكن اذا اصيب المرء بمرض اضعفهُ او ولد ضعيف البنية بخطإ والديهِ فقد لا يستغني عن دواء يقويهِ. والادوية التي توصف لتقوية الجسم كثيرة اشهرها زيت السمك وشترات الكينا والحديد

(١٤) منبهات الكتاب

مصر. الخواجه حبيب الياس الزحلاوي. في احدى الخطط التي اختطها لنفسهِ تولستوي فيلسوف الامة الروسية ان يقرأ ويفكر بصوت عالٍ. فما هي الحكمة وما الفائدة التي تنتج عنها؟ وهل في امكان الانسان ان يردد ما يجول بافكارهِ بصوت عالٍ؟ نعم ان للشعراء هيئة وحركات يبدونها وقت النظم

على عكس الناثر الذي يناجي قلمهُ وراء منضدتهِ بدون ادنى حراك وان ينبس ببنت شفة فهل يمكن ذلك وما رأيكم الخاص

ج . يظهر لنا ان تولستوي اعتاد القراءة بصوت عالٍ والتكلم ولو همساً وقت التفكير فصار ذلك من منبهات اعصابهِ وامثلة هذا كثيرة مشهورة فمن الناس من لا تنتبه اعصابهُ للاشغال العقلية الاَّ اذا شرب خمراً او اكثر من شرب القهوة او نتف عثنونهُ او حك رأسهُ او فرك جبينهُ وهلمَّ جرًّا وسبيل الناثر في ذلك مثل سبيل الشاعر

(١٥) كتب الادب

ومنهُ . يتعذر على طلاب الادب اليوم مطالعة كتب النوابغ العظام والفلاسفة الذين افتحوا العالم باقلامهم وخصوصاً ممن يجهلون اللغات الاجنبية فهل تعرفون كتباً لجان جاك روسو وتولستوي وشوبنهور وفيكتور هيجو نقلت الى العربية ؟ والرجاء افادتنا عن الكتب الجليلة العربية الواجب مطالعتها

ج . نتذكر اننا رأينا ترجمة البعض من روايات تولستوي . ورأينا جانباً صغيراً من رواية البؤساء لهيجو ولا نتذكر اننا رأينا شيئاً مترجماً من شوبنهور وجان جاك روسو . ومن انفس الكتب العربية نهج البلاغة وكليلة ودمنة وشرح التبريزي على حماسة ابي تمام والاغاني وتهذيب الاخلاق والعقد الفريد وحضارة الاسلام وما جمع في مجاني الادب ونخب الملح

(١٦) اسباب الانحطاط

ومنهُ . كنت قرأت مقالة لاحد مشاهير كتاب الانكليز ترجمتها احدى المجلات الفرنسوية تحت عنوان « كيف يكون سقوط الممالك » ومما جاء فيها ان اهل تلك المملكة المائلة نحو السقوط ينغمسون في حمأة الرذائل ويترفعون عن الاديان بل ينبذونها ويتهاونون بالزواج وكثيراً ما يجاهرون بالحادهم واستشهد الكاتب على صحة قولهِ بالامة الفرنسوية . فهل افكاره صحيحة يا ترى ؟ وهل ما حلَّ بالفرنسويين اليوم من ويلات الحروب يرشدهم الى الطريق القويم فيجددون شباب دولتهم المحبوبة من جميع سكان العالم حتى من مبغضيهم

ج . ان الانغماس في السكر والفسق وما اشبه من الرذائل يضعف القوى الجسدية والعقلية فاذا شاع في امة كثر ضعاف الاجساد والعقول فيها وانتقل ضعفهم الى نسلهم فانحطت عن مستوى غيرها من الامم التي لم يصبها ذلك . اما معتقد الانسان الديني فيؤثر فيهِ بمقدار ما يميل بهِ الى العفة والاستقامة والاجتهاد او البطر والكسل والاعوجاج . ثم ان النجاح المادي اسبابهُ مادية فالتاجر طالب الغنى ينتني اذا سعى الى

الفنى بطريقهِ اي اذا جدَّ ودقق و بحث عن الاماكن التي يبتاع منها ارخص البضائع وعن الناس الذين يبتاعونها منهُ بربح كافٍ وهلمَّ جرًّا ولكنهُ لا يغتني اذا قضى عشر ساعات كل يوم راكعًا صائمًا مصليًا . وهذا شأن الزارع فانهُ اذا الفن حرث ارضهِ وزرعها وريها وعزقها وخدمتها اتتهُ بغلات وافرة واذا اهمل ذلك واكتفى بالتعبُّد والتمسُّك باصح المعتقدات الدينية لم تجُد ارضهُ ولا نما زرعهُ . وهذا شأن الامم فان للنجاح المادي طرقًا مادية اذا سارت فيها الامَّة وصلت الى غايتها واذا لم تسر فيها لم تصل بل سبقها غيرها اليها

والظاهر ان الفرنسويين انما اخطأوا كأُمَّة في تقليل نسلهم ولولا ذلك لكانوا الآن ستين او سبعين مليونًا ولسهل عليهم مقاومة المانيا وحدهم ومن المحتمل ان هذه الحرب تحملهم على العدول عن تقليل النسل ولكن يبعد ان يعم ذلك الامَّة كلها لان تربية الاولاد اصبحت كثيرة النفقات على الفقراء ومن اكبر مشاق الحياة على الذين اعتادوا الراحة والرفاهة . استخدمنا مرةً دليلاً من فقراء الاشراكيين في باريس وسألناهُ كم ولد لهُ فقال ابنة واحدة وشكر الله لان ليس لهُ غيرها فقلنا لهُ لو جرى كل الفرنسويين مجراك لا نقرضت الامَّة فقال « ان هذا لا اريدهُ لاني افضل امتي على كل الامم واود لها البقاء الدائم ولكني لا ارى لماذا اتحمَّل انا وزوجتي ولادة ثلاثة اولاد مثلاً وتربيتهم ليصيروا جنوداً يدافعون عن فلان الوزير او فلان الوالي او فلان الصرَّاف ويحفظون لهم اموالهم »

ومن المحتمل ان هذه الحرب تحمل الفرنسويين وغيرهم على السير في خطة المانيا وهي الاكثار من المعدات الحربيَّة واتمرُّن على استعمالها والتوسُّل بكل وسيلة للكسب والتفوُّق على الغير . فلا تكون فرنسا قد استفادت منها ادبيًّا لا هي ولا غيرها



الحرب والجراح والامراض

انشأ السر وليم اوسلر مقالة في « الحرب والجراح والامراض » استشهد في مبدإها بقول من قال « ان المرض هو الذي يحفر قبر الجندي لا المعركة » وزكَّى هذا القول بالحملة الانكليزية المعروفة باسم حملة ولخرين في البلاد الهنولندية ايام حروب نابليون وقال ان عدد الجنود الانكليزية التي قتلت فيها بلغ ٢١٧ والتي ماتت بالامراض ٢٣ الفًا . وفي حرب روسيا وتركيا سنة ١٨٢٩

دخل المستشفيات ٤٠ الف روسي ٠ وفي حرب روسيا واليابان بلغ عدد مرضى الجنود اليابانية ٤و١٥ في المئة من المجموع او اكثر من النصف ٠ واستطرد الى الحرب الحاضرة فقال ان ٦٠ في المئة من جرحى الجنود الانكليزية تشفى وتعود الى اسلحتها المختلفة وهي نسبة كبيرة ٠ ثم انتقل الى الامراض التي كانت تفتك بالجيوش في الحروب الماضية واخصها تعفن الجروح والتتانوس والغنغرينا والتيفوس والتيفويد والكولرا والزهري وقال ان فتكها بالجنود الانكليزية في هذه الحرب قليل ولكنهُ اضاف الى ذلك قولهُ ان الخطر لم ينقضِ حتى الآن وامل ان حسن التدابير الصحية يخلص الجيش من الامراض الوافدة التي صالت وجالت في حربي جنوب افريقية والقرم

اكتشاف طبي عظيم

اكتشف عالمان من العلماء الفرنسويين اكتشافاً عظيم الشان وهو مطهر قوي يقتل المكروبات وعوامل الفساد في الجروح من غير ان يؤذي انسجة الجسم ٠ وقد اشتركت الحكومة الفرنسوية مع معهد روكفلر الاميركي فانشأت مستشفى عظيماً في كومبيان حيث البحث والتحقيق مستمران بهمة لا تعرف الملل ٠ والعلاج الجديد موءلف من هيبوكلوريد الجير والحامض البوريك وكربونات الجير لمنع الحموضة ٠ وقد قال الاستاذ لندوزي الشهير في اكاديمية العلوم ان اشد الجروح وابلغها دهنت بالمستحضر الجديد فتغيرت حالها ومنظرها في اسبوع على وجه لم يعرف لهُ مثيل بطريقة التطهير القديمة وقد شفيت بهِ اصابات الغنغرينا من اولها فاذا استعمل هذا المطهر الجديد قبل فوات الفرصة فالتهاب الجروح يصبح امراً مستحيلاً

السر جيمس مري

نعت انباء انكلترا السر جيمس مري اللغوي الانكليزي المحقق وصاحب القاموس المسمَّى New English Dictionary فقد بذل مجهودهُ في اتقان قاموسهِ ولم يأل تعباً في تعريف مصطلحاتهِ العلمية والفنية تعريفاً دقيقاً مضبوطاً ومشاورة اهل الخبرة كلٌّ في دائرة اختصاصهِ وجمع الشواهد لهُ من الكتب الانكليزية القديمة والحديثة حتى يستدل منها على تغير معاني الكلمات ٠ وقد توفي قبل الفراغ من قاموسهِ وكان الرجاء شديداً انهُ يتمهُ ولاسيما انهُ قارب التمام

الافاعي والحواة

خطب الكبتن اكنون الانكليزي من موظفي الصحة في الجيش خطبة في مدينة ممبلا بالهند قال فيها ان كثيرين من الحواة

يدعون ان سبب مناعتهم دون لسع الافاعي هو تعودهم شرب سمها جرعات صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً ولكنهُ امتحن ذلك في بضعة منهم فوجد ان دعواهم كاذبة. ومن رأيهِ انهُ ان لم يلقح الحاوي بسمّ الافعى بالتتابع سنة كاملة او ستة اشهر على القليل فلا يحصل على المناعة دون لسع الصل. قال: وكثير من الحواة يحملون في الغالب حيات لا ضرر منها ولا عطب في انيابها. والذين يدَّعون انهم حصلوا على المناعة من شرب السمّ او التطعم بهِ انما يحصلون عليها بما يبدون من الرشاقة والخفة في تداول الافاعي السامة وهو فن تعلموهُ من الصغر. وعلاجات الحواة تقع تحت ثلاثة ابواب: الاول حجارة الحيات. والثاني عقاقير وحشائش متنوعة مثل الزرنيخ والانتيمون والافيون. والثالث الرقية المعروفة. ومن القواعد المشهورة في علم الطب ان كل مرض لهُ علاجات كثيرة فلا علاج لهُ ووفياتهُ قليلة اي لا تزيد على ١٠ في المئة والتسعون الباقون يشفون مهما كان العلاج. وكثرة الذين يشفون هي التي تفضي الى شهرة العلاجات ولو لم يكن لها نفع البتة

هبة اميركية وسباق في الاريحية

وعدت سيدة اميركية غنية القسم الطبي في جامعة سنساتي بخمسين الف جنيه لبناء بناية جديدة لهُ ولكنها اشترطت للبرّ بوعدها واخراجه من القوة الى الفعل ان يتبرع غيرها بخمسين الف جنيه اخرى لتلك البناية لان الخمسين الفاً لا تكفيها وضربت اول يوليو الماضي موعداً لاتمام ذلك الشرط فما جاء اول يوليو حتى اعلن رئيس القسم الطبي ان الخمسين الف جنيه المشروطة اتتهُ فاعطتهُ السيدة الخمسين الفاً الاخرى

البروفسور متشنيكوف

احتفل في باريس ببلوغ البروفسور متشنيكوف سنّ السبعين احتفالاً بسيطاً بعد ما كان في النية اقامة احتفال كبير يحضرهُ مندوبون من جميع الامم. فخطب البروفسور داربو معدداً مناقبهُ بالنيابة عن اكادمية العلوم الفرنسوية والدكتور رو بالنيابة عن معهد باستور الذي يعمل متشنيكوف ورو فيهِ

نُذُر الحرب

نشر المسيو فلامريون الفلكي الروائي مقالة في جريدة «الفلك» الفرنسوية قال فيها ان جميع النذر السماوية والارضية التي كان الاقدمون يتطيرون بها ويستدلون منها على وقوع الحرب سبقت هذه الحرب القائمة الآن في اوربا. فمنها اولاً كسوف الشمس الكلّي في ٢١ اغسطس سنة ١٩١٤ وقد رئي في اوربا واسيا (ولكن الحرب بدأت

في اواخر يوليو من تلك السنة او اوائل اغسطس فلا يصحّ حسبان ذلك الكسوف نذيراً بها) . وثانياً ظهور مذنّب دلافان الملقب« بمذنب الحرب»في اواخرسنة١٩١٣ ومدة ظهوره سبع سنوات . فلا بدع اذا اعتقد اهل الخرافات بدوام الحرب سبع سنوات . وثالثاً عبور السيار عطارد على وجه الشمس في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ . ورابعاً سقوط نيزك في انكلترا زنتهُ ٣٥ رطلاً في اكتوبر الماضي . وخامساً زلزال ايطاليا العظيم في ١٣ يناير ١٩١٥ . وسادساً ظهور نجم مثلث الالوان قال فلامريون انهُ سيفصّل ظهورهُ فيما بعد واكتفى الآن بقولهِ انهُ كان ظاهرة بصرية حامت مبالغات العامة حولها فصارت الحبة بها قبة . وسابعاً حدوث ظواهر جوية غريبة منها اشتداد الامطار في باريس في يونيو سنة ١٩١٤ وهبوط درجة الحرارة الى ٤١ ف

وقد قالت « السينتفك اميركان » في عدد اخير عن النجم المثلث الالوان ما يأتي :

« ان الحماسة الوطنية التي بلغت معظمها في فرنسا الآن رأت في السماء اشياء دعتها الى التفاؤل بانتصار فرنسا . واكثر تلك الاشياء تداولاً على الالسن نجم مثلث الالوان رئي في الافق الغربي في الخريف الماضي وفي الافق الشرقي في الشتاء . وقد قال بعض الفلكيين غير الراسخين انهُ الزهرة وهي كسائر كواكب السماء اذا قاربت الافق انحلّ نورها الابيض الى الوانهِ الاصلية . وفي سنة ١٧٩٧ — وقد كانت سنة حماسة وطنية في فرنسا مثل هذه السنة — رآها الفرنسويون فقالوا هذه نجمة نابليون . وظنها كثيرون في السنين الاخيرة نور بالون او طيارة يتجسّسان والصحيح ان النجم المثلث الالوان الذي شوهد في بعض انحاء فرنسا هو الشعرى لا الزهرة »

بالونات تسبلن

عُلم من فحص بالون تسبلن الذي نزل في ارض فرنسوية مكرهاً ان سعتهُ ٦٨٨ الف قدم مكعبة ويحمل ١٠٦٠٠ رطل مؤلفة مما يأتي : ١٢ رجلاً زنتهم ١٩٢٠ رطلاً . وقود لمدة ١٢ ساعة زنتهُ ٣٧٨٠ رطلاً . صبورة لحفظ موازنتهِ ٣٥٠٠ رطل سلاح ١٤٠٠ رطل . ولما كان البالون يقطع ٣٥ ميلاً في الساعة وكان فيهِ وقود يكفيهِ ١٢ ساعة فانهُ يستطيع ان يقطع ٤٢٠ ميلاً . ومعلوم ان البعد بين لندن واقرب قاعدة المانية لهذه البالونات (اي مدينة كولونيا) ٣٠٠ ميل لذلك يستحيل غزو لندن بامثال هذه البالون . وقد رأى الالمان ذلك فانشأوا سنة ١٩١٤ بالونات اكبر منها تسع ٣٤٠٠ رطل زيادة عليها . وهذه الزيادة مؤلفة من اربعة رجال وزنهم ٦٤٠

رطلاً . ووقود لثماني ساعات اخرى وزنهُ ٢٥٣٠ رطلاً . وصبورة او قذائف وزنها ٢٤٠ رطلاً . فبات البالون الجديد بهذه الزيادة يستطيع اجتياز مسافة طولها ٧٠٠ ميل اي انهُ يقطع المسافة بين كولونيا ولندن ذهاباً واياباً ويبقى فيهِ وقود لاجتياز ١٠٠ ميل . وعادوا فبنوا بالونات اخرى سعة الواحد منها ٩٥٠ الف قدم مكعبة وملاَّحوهُ ٢٨ رجلاً

وكان عند الالمان في اول الحرب ١١ بلوناً تصلح للحرب . ويقال ان معمل هذه البالونات في فريدركسهافن كان يصنع بالوناً واحداً كلَّ ثلاثة اسابيع حتى ابريل الماضي . ثم حثوا هممهم حتى صاروا يصنعون بالونين كل شهر . فمجموع ما كان عند الالمان من هذه البالونات ٢٨ فقد منها ١٢ فيما يرجح فالباقي ١٦

لمعان الزهرة

خطر لبعض الفلكيين ان يقابل نور الزهرة وهي على اشد لمعانها بنور الشعرى فصورهما على الواح فتوغرافية وقابل بين الصورتين فوجد ان حجم صورة الزهرة على اللوح بعد تعريضهِ لاشعتها ٠١ ثوانٍ يساوي حجم صورة الشعرى بعد تعريضهِ لاشعتها دقيقتين اي ان الزهرة المع من الشعرى اثني عشر ضعفاً

اللورد كتشنر والجغرافية

منحت الجمعية الجغرافية الملكية في سكتلندا مداليتها الذهبية المسماة مدالية لفنستون للورد كتشنر اعترافاً بما خدم علم الجغرافية بهِ اذ مسح فلسطين وقبرس وبخدمتهِ السامية لبلادهِ

الزراعة الهندية

يستفاد من احصاء اصدرتهُ مصلحة الزراعة الهندية لسنة ١٩١٢ — ١٩١٣ الزراعية ان مساحة الاطيان التي تزرع نيلة وافيوناً لا تزال آخذة في التناقص وان مساحة الاطيان التي تزرع قطناً وحبوباً وغيرها تزيد او تنقص تبعاً للامطار على ان الهند تزرع من الرز احد عشر ضعف ما تزرعهُ اليابان . وهي الثالثة في الدنيا من حيث زرع القمح فان ما تزرعهُ من الارض قمحاً هو ثلاثة اضعاف ما تزرعهُ كندا وثلاثة اخماس ما تزرعهُ الولايات المتحدة . وهي الثانية في زرع الذرة لا يفوقها فيهِ الاَّ الولايات المتحدة ومساحة الارض التي تزرع فيها قطناً ثلاثة اخماس الارض التي تزرع قطناً في اميركا واثنا عشر ضعف الارض التي تزرع قطناً في القطر المصري

ريح المواسم

اصدرت مصلحة الزراعة الهندية مذكرة عن الظواهر الجوية التي سبقت هبوب الرياح الموسمية هذه السنة وهي رياح تهبُّ في بلاد الاوقيانوس الهندي من الجنوب الغربي . ومما جاء فيها ان ارتفاع ضغط الهواء على اميركا الجنوبية من مارس الى مايو كلَّ سنة يلائم هبوب الرياح المذكورة . وان هبوط ضغط الهواء في استراليا والاوقيانوس الهندي وافريقية في مايو ملائم لسقوط الامطار الموسمية في الهند وكذلك استيلاء القيظ والجفاف على زنجبار وما اليها من بلاد افريقية ملائم لهُ . وجاء فيها ايضاً ان الرياح الموسمية هذه السنة قد تجيء دون رياح السنة الماضية ولكن ليس ثمة دليل يدلُّ على نقص يذكر في مقدار الامطار

تركيب الكون

لو عرفنا بُعد كل كوكب من كواكب الفلك عنا ومركزهُ لكان علمنا بتركيب هذا الكون تاماً . ولا يلزمنا لمعرفة ما يطرأ على ذلك التركيب من التغيير الاَّ ان نعرف حركات النجوم والكواكب . ونحن انما نعلم الآن مركز عدد عديد منها لا كلها وحركتها المقاطعة لخط النظر . وكذلك نعلم سرعة قليل منها في خط النظر وابعاد البعض وهو اقل من القليل . فمن ذلك ترى ان ما لدينا من المعرفة لحلّ هذه القضية قليل ضئيل . ولكن يمكن مع ذلك معالجة هذه القضية بطرق دورية والنظر في ملابساتها لحلّ عقدها حلاً تقريبيًّا . وقد انشأ المستر جونسن من موظفي مرصد غرينتش مقالة في هذا الشان قال فيها ان الرأي الشائع الآن بين علماء الفلك هو ان في مركز نظامنا الفلكي شمساً هائلة القدر اكبر من شمسنا بالوف المرات وابهى نوراً . وحولها ملايين من الشموس الصغرى المختلفة الحجوم وهي والشمس الكبرى بمثابة نواة لسديم ضخم المقدار لولبي الشكل يحيط بالنواة وهو ما نسميهِ بالمجرَّة . وان هذا النظام الهائل ليس الاَّ جزيرة واحدة ربما كانت صغيرة بالنسبة الى الالوف بل الملايين من الجزر التي تملأُ صدر هذا الفلك الدوار . وقد أبان في مقالتهِ وجه الصحة في الحقائق التي بني هذا الرأي عليها

خلل الساعات

ظهر من تجارب بعض العلماء ان تعليق ساعات الجيب على الحائط مدة الليل بحيث تخطر تبعاً لحركة زنبركها يحدث فيها خللاً الاَّ اذا منع ذلك الخطران وان مقدار الخلل يختلف بين كسور الثانية في اليوم الى ربع دقيقة او اكثر . وكان اللورد كلفن قد جرب مثل هذه التجارب في حياتهِ وتوصل

بها الى هذه النتيجة فجاءت التجارب المذكورة آنفاً موءيدة لنتيجته

علف غير آلي

في المانيا كثير من البطاطس والبنجر واللفت وغيرها من المواد التي تكثر الكربوهيدرات فيها ٠ وكانت تأتي من روسيا بالعلف المشتمل على المواد الالبيومنية ٠ اما الآن وقد قلَّ العلف المحتوي للمواد الآلية مثل كسب بزر الكتان والشعير وغيرهما فقد اكتشف بعض العلماء طريقة يحول بها السكر وسلفات الامونيا الى خميرة مغذية او علف يشتمل على ٥٠ في المئة من الالبيومن ٠ اما السكر ففي المانيا كثير منهُ ٠ واما الامونيا فتحضر من النتروجين والهيدروجين بطريقة هابر و بمقادير هائلة

الموطرات في اميركا

يوءخذ من احصاء ان مئة شركة من شركات الموطر او الاتوموبيل في اميركا ستضع في السنة القادمة اكثر من مليون موطر جديد منها شركة واحدة تصنع نصف مليون وحدها واخرى ١٠٠ الف واخرى ٨٠ الفاً ٠ و٧٥ و٦٠ و٤٠ و٥ شركات تصنع كلٌّ منها ٢٥ الفاً ٠ و٤ تصنع كلٌّ ٢٠ الفاً ٠ و ٥ تصنع كلٌّ ١٠ آلاف ٠ والثمانون الباقية تصنع كلها معاً ٧٥ الفاً

مذنب قرب الشمس

كانت ابنة الدكتور بروكس الاميركي مدير مرصد سمث ترقب وجه السماء مساء ٢٥ يونيو الماضي بعد غروب الشمس بعشر دقائق فرأت في الشفق نجماً منيراً يقارب الزهرة في لمعانهِ وبقي ظاهراً دقيقتين ثم حجبتهُ سحابة سوداء ٠ وفي اليوم التالي افتقدتهُ فلم تجد لهُ اثراً ٠ ومن رأي ابيها انهُ مذنب لم يُرَ ذنبهُ بسبب نور الشفق بعيد المغيب

امراض النبات

القى الدكتور اوتو ابل الالماني خطاباً في بضع جامعات اميركية عن النبات وقوة مقاومتهِ للامراض والآفات المختلفة التي تتسلط عليهِ ٠ فقال ان الناس عادة يقاومون تلك الآفات بمقاتلتها وقتل مكروباتها قبل ان تسطو على النباتات المختلفة ولكنهُ ارتأى مقاومتها بتربية نباتات تقوى على المكروبات وتصدُّ هجومها فلا تنال منها مأرباً واستشهد بتربية القمح المقاوم للمن وبتربية البن المعروف باسم Coffea robusta لمقاومة الآفة المعروفة باسم Hemleia vastatrix وبتطعيم الدوالي الاوربية على الدوالي الاميركية المعروفة بمقاومة آفة الفيلوكسيرا ٠ وكان البروفسور بفن الانكليزي من اساتذة جامعة كمبردج قد جرَّب تجارب كثيرة في القمح ففاز باخراج صنف اشتهر بان المن لا يستطيع ان يسطو عليهِ

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والاربعين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والاربعين

١ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٣

البحث الجديد في الدم

اتجهت همَّة العلماء في هذه السنين الاخيرة الى البحث في الدم والاعضاء الداخلية وما يقع فيها من التغيُّر وما يفرز منها من المواد وعلاقة ذلك بالصحة والمرض · ومن الباحثين في هذا الموضوع الاستاذ جون ابل استاذ علم الاقراباذن في مدرسة جونس هُبْكِنْس الطبيَّة باميركا · وقد خطب بالامس خطبة نفيسة ذكر فيها خلاصة البحث في الدم فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفوائد الجمَّة قال

لا تخفى اهمية الدم لجسم الحيوان حتى صار رمزاً للحياة · وكان القدماء في اسيا ومصر واليونان يهتمون بكل خلل يقع فيهِ اشد الاهتمام · وفي طب ابقراط انهُ اذا اعتدلت الاخلاط الاربعة وهي عندهم الدم والبلغم والصفراء والسوداء فهناك الصحة واذا انحرفت فهناك المرض · ومن ثم شاع الفصد كعلاج في كثير من الامراض وشاعت ايضاً الحجامة وارسال العلق[1] لاخراج الدم الفاسد او الزائد من البدن

والفصد قديم جدًّا اقدم من زمن ابقراط ومثلهُ الحجامة وارسال العلق · وكان استعمال العلق لاخراج الدم من البدن شائعاً في بلاد الهند منذ عهد قديم جدًّا ولم يزل شائعاً حتى في اوربا · ففي البلاد التي يحارب فيـ[illegible]ـاء والالمان الآن اماكن كثيرة يربَّى العلق فيها و يقال انهُ كان يرسل من ستراسبرج الى باريس كل يوم ٦٠٠٠٠ علقة الى ٨٠٠٠٠

وقد كشفت فائدة جديدة ا[illegible]ق وذلك ان حول الجزء الاعلى من قناتهِ الهضمية غدداً فيها مادة تمنع تخثُّر الدم وتبقيهِ سائلاً كما يبقى في باطن العلقة وقد سميت هذه المادة باسم الهيرودين hirudin فصار العلق يربَّى لاستخراج هذه المادة منهُ واستعمالها في المباحث الطبية

(١) العلق حيوان معروف ويسمى في مصر دودًا

في اواخر القرن الثاني عشر نظم بعضهم قصيدة لاتينية في مدرسة سلرنوم بايطاليا سماها قانون الصحة استخلص قواعدها من كتب الطب العربية وقد طبعت هذه القصيدة ٢٤٠ مرةً بعد ظهور فن الطباعة وترجمت الى كل اللغات الاوربية ومما قيل فيها ما يأتي

بالفصد تطهيرٌ وطبٌّ للبدَنْ ونزعُ ما في عصب من الوهَنْ
وهو الذي يجلي ضياء البصرِ ويشحذ العقل لاهل الفكرِ
ويصلح السمعَ وينفي الارَقا ويمنع الغمَّ ويقصي القلَقا

ويلي ذلك ابيات تحدد الآفات والاوقات التي يجب فيها اطلاق الدم كقولهِ

والفصد واجبٌ اذا احتدَّ المرضْ وليس منهُ في احتدادهِ عوَضْ
ويفصد الكهْلُ بلا سؤالِ والشيخ كالطفل على اعتدالِ

وكثر استعمال الفصد في اوربا في القرون الوسطى واشترك علم الطب حينئذٍ مع علم النجوم فكانت ازمنة الفصد تعيَّن حسب مواقع السيارات وكانت آراء اطباء العرب مخالفة لآراء ابقراط في الفصد فانتصر فريق من الاطباء الاوربيين لابقراط وفريق لاطباء العرب واحتدم الجدال بين الفريقين فان ابقراط كان يقول بان الوريد الذي يفصد يجب ان يكون اقرب الاوردة الى محل الآفة حتى ينزف الدم الفاسد من العضو المصاب واما اطباء العرب فقالوا انهُ يجب ان يفصد وريد بعيد عن العضو الذي فيهِ الآفة حتى لا يتجمع الدم النقي فيهِ فاذا كانت الآفة التهاباً في الرئة وجب ان يفصد وريد في الذراع او في الرجل منعاً لتجمع الدم النقي في الرئة المصابة

وكان رأي اطباء العرب متغلباً في اوربا في اوائل القرن السادس عشر وقام حينئذٍ طبيب اسمهُ بطرس برسو وحاول العود الى رأي ابقراط فاحتدم الجدال بينهُ وبين الذاهبين مذهب اطباء العرب فتغلبوا عليهِ وطردوهُ من باريس بعد ما منعوهُ التعليم فيها . وجنحت مدرسة سلامنكا باسبانيا الى مذهبهِ ورُفع الخلاف الى الامبراطور كارلس الخامس فحكم ان مذهب برسو هذا ضارٌّ كهرطقة لوثيروس

وكان الرجل يُفصَد في ذلك العصر اربع مرات او خمساً في مرضهِ ويستفرغ من دمهِ ثلاثة ارطال او اربعة كل مرة . وكان يقال اننا اذا اردنا ان نطهر بئراً وجب ان ننزح منها الماء الآسن حتى يرشح اليها الماء النقي وكذلك البدن يجب ان ينزح منهُ الدم الفاسد حتى يتكوَّن فيهِ الدم الصحيح وانهُ يجب ان يستخرج من الدم كل ما يمكن استخراجهُ في كل مرض . ولما كان وزن الدم في جسم البالغ نحو ثلاثين رطلاً ا وجب ان يستخرج منهُ ١٥ رطلاً في

اربعة عشر يوماً . ويقال ان بوڤار طبيب الملك لويس الثالث عشر فصدهُ سبعاً واربعين مرة وحقنهُ ٣١٢ حقنةً وسقاهُ ٢١٥ مسهلاً ومقيئاً وذلك كلهُ في سنة واحدة

وقام في اوائل القرن السابع عشر العالم فان هلمنت وانكر فائدة الفصد بتاتاً واليهِ ينسب القول المأثور عندهم وهو «ان المعبود مولوك الدموي جلس في كرسي الطب». واشار بالاعتماد على العقاقير الطبيَّة والتدابير الصحيَّة بدل الفصد. وجاراهُ في ذلك فرنسسكوس ده له بوى وهو من زعماء الاطباء في زمانهِ ومن اول الذين دافعوا عن قول هارڤي في دورة الدم وهو الذي علَّم في مدرسة ليون ان سبب المرض اختمار في سوائل البدن مخالفاً قول القدماء في الاخلاط. وألف كتاباً قال في الفصل العشرين منهُ ما ترجمتهُ « ان امتلاء الدم يزول بسهولة بالفصد سواء كان ذلك دفعةً واحدة او متكرراً حسب حالة المريض وقوتهِ لان كثيرين لا يحتملون استفراغ كثير من الدم منهم دفعةً واحدة بل يغمي عليهم حالاً فلا فائدة لهم من الفصد واني افضل منع الفصد على قدر الامكان . ويجب استعمال كل علاج بالاقتصاد لا بالافراط فكثيراً ما يحدث ان يستنزف الدم من الجسم بالفصد وتستنزف معهُ الحياة » .

الأ ان الدكتور دوڤر مركِّب المسحوق الطبي المنسوب اليهِ قال انهُ كان مرةً في سفن انكليزية حربية نزل بحارتها في بلاد موبوءة بالطاعون فاصيب بهِ ١٨٠ منهم فامر الجراحين الذين في السفن ان يفصدوا كلاً منهم في ذراعيهِ الى ان يغمى عليهم حتى نزف من كلٍ منهم لا اقل من مئة اوقية طبيةً من الدم (نحو اقتين) وكان معهم شيء من زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) فمزجهُ بالماء حتى صارت حموضتهُ مثل حموضة الليمون . وسقاهم منهُ فشفوا ولم يمت منهم سوى سبعة او ثمانية ماتوا من كثرة الخمور التي شربوها

واستمرَّ الاطباء على الاكثار من اطلاق الدم بالفصد والعلق والحجامة حتى قيل ان الطبيب برويساس (١٧٧٢ — ١٨٣٢) استعمل مئة الف علقة في سنة واحدة في المستشفى الذي كان يطبب فيهِ . وكان هو وبوليان يفصدان المحموم عشر مرات الى عشرين مرةً . لكن القائلين بالاعتدال في اطلاق الدم كثر عددهم وقوي شأنهم رويداً رويداً ولم يبطل اطلاق الدم الأ حينما ظهر مذهب جديد في سبب المرض اي حينما ظهر الرأي الخلوي واكتشف سبب الامراض المكروبي وعلاقة المكروبات بالالتهابات المختلفة فكاد الاطباء يبطلون اطلاق الدم بتاتاً في اواخر القرن التاسع عشر ولكن عامةَ الناس بقوا يستعملون الفصد والحجامة والعلق واذا امتنع الطبيب عن استخراج الدم لهم استخرجهُ الحلاقون

والظاهر الآن ان العامةَ مصيبون في رأيهم لان علاجاً اعتمد عليهِ الناس الوفاً من السنين

لا يحتمل ان يكون خالياً من الفائدة . قال الطبيب الشهير السر لودر برنتن « ان اطلاق الدم يخفف الاعراض وقد ينجي المريض من الموت كما في احتقان الجانب الايمن من القلب سواء حدث من ضعف الصمام التاجي او من آفة رئوية » . ومما يفيد فيهِ اطلاق الدم فائدة كبيرة التشنج النفاسي . والمرجح ان اطلاق الدم لا ينفى من الطب في المستقبل كما نفي في الربع الاخير من القرن الماضي لانهُ لا يخشى من ان يساء استعمالهُ او يستعمل في غير محلهِ كما كانت الحال قبلاً

ولا شبهة ان الافراط في الفصد او اطلاق الدم بنوع عام كثير الضرر كالافراط في كل شيءٍ وسبب ذلك ان كريات الدم الحمراء وهي نحو ٣٦ في المئة من الدم تحمل الاكسجين لتوزعهُ في اعضائهِ المختلفة وهذه الكريات لا تتولد دفعةً واحدة بل تستلزم وقتاً لتولّدها فاذا أُفرط في استفراغ الدم كما كان يفرط في الزمن الغابر فاما ان ينقطع حبل الحياة حالاً واما ان يتولَّد مرض طويل قلما ينتهي بالشفاء

ولما امعنتُ نظري في ذلك رأيت ان المانع الاكبر لاستفراغ الدم او للفصد بنوع خاص يمكن ان يتلافى اذا اعيدت الى الدم كرياتهُ الحمراء والبيضاء ولم يطرح منهُ الا المصل . فاذا امكن ذلك نلنا كل فوائد الفصد واتَّقينا كل مضارهِ فشاع استعمالهُ ثانيةً وكثرت فوائدهُ حيث يجب الفصد ولكن يخشى من اضعافهِ للبدن بتقليل الاكسجين فيهِ

ولا نزال في دور الامتحان ولكنني تمكنت من استخراج الدم من الحيوان واضافة خلاصة العلَق الى كرياتهِ الحمراء والبيضاء حتى لا يجمد ثم ازالة المصل منهُ وابدالهِ بمذوب ملحي واعادتهِ الى بدن الحيوان فلا يكون قد خسر الا المصل وما فيهِ من المواد المؤْذية . وقد ثبت لي بالتجارب المتكررة انهُ يسهل بذلك اعادة الفصد مراراً من غير ضرر لان المصل يتجدَّد في الجسم بسرعة

ثم لا يخفى ان في الدم مواد كثيرة تصل اليهِ من اعضاء الجسم المختلفة وهي على غاية الاهمية ولكن مقاديرها قليلة جدًّا يتعذَّر اكتشافها بطرق الحل العادية فاستنبطت آلة توصَل بالاوعية الدموية في الحيوان الحي وتزيل هذه المواد من الدم الذي يمرُّ فيها حالما يمرُّ من غير ان تزيل منهُ شيئاً من عناصرهِ اللازمة للحياة ويمكن استعمال هذه الآلة اذا دخلت الجسم مادة سامَّة فانها تنزعها من الدم باسرع مما تنزعها منهُ الكليتان فكأَنها كلية صناعية لاستخراج الاملاح ونحوها من الدم . وسيأتي الكلام على ما استخرج بها من المواد وما عُرف بواسطتها من خواص المفرزات التي تفرزها اعضاء الجسم المختلفة

الحرب واسبابها النفسية

من رأينا ان اسباب الحروب الآن ترجع الى محبة الكسب والتبسُّط في الارض · فالدولة التي تثير حرباً على غيرها من الدول بعد ان تعدَّ لها عدتها انما تقصد ان تكسب منها ارضاً او مالاً او توسُّعاً في السلطة او ما اشبه كما كانت الممالك القديمة يغزو بعضها بعضاً لاجل الكسب والتبسُّط في الملك وكما كانت القبائل تفعل قبلما انتظمت ممالك · و يشارك الدول الآن في مكاسبها مادية كانت او ادبيَّة قوَّاد الجيوش وضباطها وصانعو الاسلحة ومورِدو الميرة ومقرضو الاموال للدول وغيرهم من الذين ينتفعون من الحروب · الاَّ ان فريقاً من العلماء والفلاسفة يقول ان الميل الى الحرب خلق فطري كالميل الى الزواج والنزهة وان هذا الميل هو الذي يدفع الممالك الى اثارة الحروب · وقد اوضح ذلك الاستاذ بترك الاميركي من اساتذة جامعة ايوى بمقالة مسهبة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصتهُ

منذ نشبت هذه الحرب قام علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء السياسة وعلماء الفلسفة وقد حاول كل فريق منهم كشف الغطاء عن اسبابها حسب مذهبهِ فلم يفلحوا لان اصول الحرب مغروسة في فطرة البشر · و يقول علماء طبائع الانسان ومؤرخو حوادثهِ ان ما يرى الآن بين الامم من التناظر والتخاذل والتضاغن مما يدعو الى امتشاق الحسام انما هو آثار باقية مما كان يقع من الحروب بين اسلافهم في غابر الزمن · فان الحروب كانت مستمرَّة حينئذٍ في كل مكان نزلهُ الانسان وسببها رغبة القوي في استعباد الضعيف والانتفاع منهُ لان الحصول على الحاجيات بالنهب اسهل من الحصول عليها بالكدح · ثم ان تلك الحروب افادت نوع الانسان لانها قرضت الضعيف من امام القوي ورسخت القواعد التي كان يسنُّها الغالب للمغلوب فتميزت الاعمال بين واجب وجائز وممتنع · واتفقت تلك الاقوام على تحريم القتل وتهجينهِ بين اعضاء الفئة الواحدة وتحليلهِ وتحبيذهِ بين فئتين متحاربتين · ونظام الممالك الآن مبنيٌّ على القواعد التي اسسها السلف وجروا عليها · فالامراء والاغنياء من الفريق الواحد يستخدمون ضعفاءهُ وفقراءهُ كما يستخدم الغالب المغلوب · والفريق القوي يستخدم الفريق الضعيف · ويُمدَح ما يفعلهُ الفريق الواحد بالفريق الآخر من قتل ونهب فيسمَّى فتكاً وغنيمة ولكن نشأ ايضاً بين الطوائف السياسيَّة الحربيَّة طائفة ادبيَّة وطائفة صناعية وتجارية واتسع نطاقها حتى شمل المسكونة واساسهما ان الناس عموماً مشتركون في المنفعة وان عليهم بعضهم لبعض حقوقاً يجب قضاؤُها · ولكن اذا ثارت الحروب عادت الغرائز القديمة فتغلبت

على النفس لانها اقدم وارسخ وهي غرائز البغضاء والانتقام والقتل والسلب والنهب

ولا يخفى ان الفوز في هذا العصر لا ينبغي ان يكون للاقوى جسماً ولا للاذكى عقلاً . وان الغالب والمغلوب يخسران على حدٍّ سوى . والمغلوب لا يستأصل ولا يستعبد . والذين يجرحون ويصابون بعاهات تمنعهم العمل هم اكثر من الذين يقتلون . والذين يقتلون ويجرحون هم زهرة الامة . ثم ان نفقات الحروب باهظة تفقر الامم وتوقف دولاب الصناعة والتجارة وتقوّض معالم العمران . وويلاتها كثيرة فادحة فانها تخرب البيوت وتضعف النسل وتفسد الآداب وتورث الضغائن والاحقاد وليس لها فائدة من الفوائد التي كانت لها في اول عهد الانسان فكان الواجب ان تزول تماماً ولا يبقى لها ذكر الا في تواريخ العصور الغابرة ولكن الامر على ضد ذلك كما يستدلُّ من حوادث التاريخ ومعاملات الناس في هذا العصر فان الشغل الشاغل لامم الارض الآن هو الاستعداد للحرب بل انهم يسعون الى الحرب خوفاً من الحرب فترى هنا دولة تثير حرباً لامتلاك بوغاز تمرُّ فيهِ سفنها التجارية مخافة ان تنشب حرب تمنعها من المرور فيهِ كما تمرُّ وقت السلم . وهناك دولة تثير حرباً لكي تتبسَّط في الارض ولا يمنع تجارها من الاتجار في اقاصي البلدان وسفنها من اخذ الفحم منها مع انها متمتعة بذلك كلهِ في زمن السلم ولا تحرَّم منهُ الا زمن الحرب . وهنالك دولة تثير حرباً لكي تضمَّ اليها بلاداً اخرى وقد لا تجد في تلك البلاد كثيرين يودون هذا الضم او تصلح امورهم بهِ . ولا دليل ولا شبه دليل الآن على ان سكان الممالك الكبيرة الواسعة اسعد حالاً من سكان الممالك الصغيرة الضيقة . فليس للحرب سبب معقول وداعٍ موجب غير حب الحرب . ولولا تأصُّل هذا الحب في النفوس لزال منذ عهد طويل لان اسباب العمران كلها تعمل على ازالتهِ

منذ مئة سنة عقدت الآمال بابطال الحروب وانتشار لواء السلم في المسكونة كلها . وقال الناس حينئذٍ ان الذين يثيرون الحروب اشرار همهم نزع الامن وتعطيل الاعمال وان اتساع نطاق التجارة وتبادل طرق المعاملات كفيلان بنشر لواء السلام والرخاء والاخاء

ولكن هذه الاماني زالت كاضغاث الاحلام فان اتحاد الولايات الايطالية سنة ١٨٥٩ اعاد الى اوربا روح الاثرة الوطنية وتلا ذلك اتحاد الولايات الاميركية سنة ١٨٦١ وممالك المانيا سنة ١٨٧١ ونهوض امم السلاف وتوطيد عرى الامبراطورية البريطانية فزادت النعرة الوطنية قوةً وحدة وقامت الدول تقيِّد حرية التجارة بدل اطلاقها فغالت في وضع الرسوم الجمركية . وحلَّت النعرة الوطنية محل الاخاء العام واشتد السعي والجهد فاصبح كل احد يجاهد ويجالد لكي يفوق غيرهُ وصار الجد والكد عنوان الحياة . فاتسع نطاق العلوم

والاختراعات وراجت الصناعة والتجارة واشتدَّت رغبة الممالك في الاستئثار بالكسب ولو بحد الحسام . ولما زاد الضغط على النفوس الى هذا الحد انفجرت منها هذه الحرب الزبون التي هي اعظم حرب شهدها نوع الانسان وليس لها سبب ادبي كالحرب الاهلية في اميركا ولا سبب ديني كالحروب الصليبية وحروب الاصلاح ولا مالي كالحروب الرومانية ولا معاشي كبعض الحروب القديمة المسببة عن المجاعات . فان اوربا كانت في اوج مجدها وزهوها لما نشبت الحرب وقد بلغت قيمة متاجرها سنة ١٩١٣ اكثر من ثمانية آلاف مليون جنيه وقيمة متاجر الالمان وحدهم بين صادر ووارد الف مليون جنيه وقيمة متاجر الانكليز وحدهم ١٢٠٠ مليون جنيه واصدرت انكلترا تلك السنة الى المانيا ما قيمتهُ ستون مليون جنيه وابتاعت منها ما قيمتهُ ثمانون مليون جنيه . ودخول ايطاليا في الحرب دليل قاطع على ان سببها نفسي لا معاشي ولا اجتماعي

ولفهم هذا السبب النفسي يجب ان نلتفت الى تاريخ الانسان منذ اول نشأتهِ . ففي سالف الزمن نبغ العقل فظهر انهُ افعل من الناب والمخلب وامضى من الرجل السريعة والذراع القوية . وقويت قوى العقل النافعة في المعاش كالمهارة والحيلة واليقظة والتجريد والتحليل والاستنباط . ولكن هذه القوى تحتاج الى دماغ كبير فكبر الدماغ رويداً رويداً واكتسب الانسان قوة النطق ومن ثم أمست قواهُ البدنية لا تزيد لان حاجتهُ اقتصرت على دماغ كبير و يد ماهرة . ثم كاد يستغني عن مهارة يديهِ بذكاء عقلهِ ولكنهُ بقي محتاجاً الى معدتهِ وقلبهِ ورئتيهِ وما اشبه من الاعضاء اللازمة لقيام دماغهِ واستغنى ايضاً عن المطايا وتغلَّب على مصاعب الطبيعة بما سخَّرهُ من البخار والكهربائية

وسارت الاشغال العقلية في اوربا واميركا سيراً حثيثاً منذ اواخر القرن الماضي حتى لم يبقَ شأن لغير الدماغ في اشغال الانسان فاشتدَّ عناء العقل حتى كاد يرزح تحت حملهِ

انظر الى المخترعات الحديثة والمصنوعات الكبيرة والتدابير الفائقة وقدّر لها ما شئت مما استنزفتهُ من قوى العقل كالتلغراف اللاسلكي والبوارج العظيمة والبلونات المسيَّرة والجيوش المنظمة وما يخترق المدن الكبيرة من سكك الحديد والترام في شوارعها وتحتها وفوقها وآلات السينما ونظام البريد والتلغراف وادارة المدن والشركات الصناعية والتجارية وما اشبه مما يُعَدُّ منهُ ولا يعدَّد . فان هذه كلها اشتغلت بها العقول واستنزفت فيها قواها . فتعب الدماغ وكاد يكلُّ . وقوَّتهُ متوقفة على قوة المعدة والقلب والرئتين لكن الطبيعة اسرعت في انمائهِ وافرطت فيهِ قبلما تقوي هذه الاعضاء فيعتريها الخلل والملل وتعجز عن انجاد الدماغ بالقوة اللازمة

والافراط يدعو الى التفريط والتعب يستدعي الراحة فما كان من الجهد العقلي في

اميركا افضى الى التلهي بالرقص والصور المتحركة وركوب الاوتوموبيل والتباهي بحلى الماس. فاستراحت ادمغة الناس من عنائها وعاد التوازن اليها لانهم عادوا الى فطرتهم الاولى حينما كانوا يرقصون ويطفردن ويتباهون بالحلى والحلل . اما سكان اوربا فطلبت عقولهم الراحة بالعود الى عمل آخر من اعمال الفطرة وهو القتال وسفك الدماء. وقد استغرب جمهور الناس ذلك من ممالك في اوج الارتقاء كالمانيا وفرنسا وانكلترا واما علماء النفس فلا يستغربونهُ لانهُ انتقال وقتي من حالة الى اخرى دعا اليهِ طلب الدماغ للراحة . وقد ظهر تعب الدماغ قبل الحرب بمظاهر مختلفة ففي انكلترا كثر الخلاف بين طبقات الناس حتى كاد يفضي الى حرب اهليَّة وفي روسيا اشتدَّ اعتصاب العمال حتى سدوا شوارع بتروغراد ولكن لم تكد الحرب تشهر حتى انصرفت القوى اليها فسادت السكينة حيث خيف من الحرب الاهلية وعاد الناس الى عهد البداوة حينما كانوا يضربون الطبول ويتجالدون ويتصارعون

والناس اذا ارادوا الراحة من عناء الاشغال تلهَّوا بالصيد والقنص وسباق الخيل والتحريش بين الديوك ونفروا الى الحراج والغابات وصعَّدوا في الجبال وصببوا في الاودية اي نزَّهوا عيونهم وروضوا ابدانهم لكي تستكن عقولهم وتستريح ولكن هذه الراحة القليلة وهذا العود الجزئي الى الفطرة لا يكفي الامم دائماً فتطلب ما هو اقدم منهُ واعرق اي الحرب والكفاح

فالحرب ماء طهور تتطهَّر بهِ الشعوب المتحاربة فتتأهل للعود الى السير في سبيل الارتقاء ولكنهُ لا يطهرها بازالة ادران فيها كما قال ارسطوطاليس بل باراحتها من اجهاد ادمغتها وارجاعها الى عصور الخشونة حينما كان الرجل يبارز خصمهُ وكلٌّ منهما يستعين بالههِ على خصمهِ فتستريح مراكز العقل العليا ويزول الضغط عنها

واستطرد الاستاذ بترك الى لزوم المسكِّنات كالتبغ والخمر وحيثما يكثر تهييج الدماغ لاجل تسكينهِ فاذا أُبطلت هذه المسكنات كثر القلق والاضطراب . واستنتج اخيراً ان الحروب لا تبطل الاَّ اذا استنبط الناس ما يقوم مقامها لأن الانسان لا يكتفي بالعمل والكدح بل هو ميَّال الى اغتنام المسرَّات واكتساب الفخار ولو باقتحام الاخطار

هذا وعندنا على الاستاذ بترك والذين يذهبون مذهبهُ اعتراض نراهُ وجيهاً وهو ان الاعمال التي يعملها الانسان مدفوعاً اليها بالفطرة يعملها فجأَة من غير نظر وتعمُّل وهذا يصدق على الجنود حينما يخوضون غمار الحرب وعلى الامم التي تهاجَم فتهبُّ للدفاع عن نفسها اما الدول التي تثير الحروب بعد ان تتأهب لها اربعين سنة كما فعلت المانيا فلا يُعقَل انها اثارتها بدافع طبيعي فيها بل قصد التبسط في الارض والكسب ماديًّا وادبيًّا

الاتفاق الفرنسوي الانكليزي

استحكم الخلاف بين الانكليز والفرنسويين قروناً ودارت رحى الحرب بينهم سنين عديدة وغلب الوهم على ساسة الامتين وكبارهما باستحالة اتفاقهما لاعتقادهم ان بين الامتين تبايناً في الاخلاق يستند الى فوارق في النسل. الاّ ان حركة فكرية نشأت حديثاً حسنت العلاقات بين الامتين وذللت الصعاب القائمة دون اتفاقهما واقامت الادلة على ان ما بينهما من التنافر لم يكن الاّ نتيجة سوء التفاهم

نهض بهذه الحركة الفكرية اولاً الكاتب الفرنساوي جان فينو فكتب مقالات شائقة في المجلة الفرنسوية قامت عليها مناقشات بين انكار واستحسان وكان اشد الناس انكاراً لها واستهجاناً الهيئة الحاكمة في فرانسا لاعتقاد رجالها وقتئذٍ ان هذا الاتفاق مضر بمصالح الامة الفرنسوية التي لا تتفق على الاطلاق مع المصالح الانكليزية. ثم حذت جريدة التيمس التي تمثل الرأي العام الانكليزي وغيرها من الجرائد الانكليزية الكبرى حذو المجلة الفرنسوية فكان لدخولها تأثير كبير في الافكار وانطفأت بها جذوة البغضاء التي كانت تتأجج في صدور الامة من عهد بعيد واخذت هذه الافكار تتسرب الى كبار رجال الامتين ينشطها وينميها الملك ادورد المحبوب على السواء في انكلترا وفرنسا والذي يذكر لهُ البلدان جميلاً لا ينسى فكان دخولهُ في هذا الميدان اقوى عامل للنجاح

وقد جمع جان فينو مقالاتهِ التي نشرها في المجلة الفرنسوية في مجلد يقع في ثلاثمائة صفحة وطبع غير مرة ونفدت نسخهُ كلها واصبح الحصول على نسخة منها متعذراً او غير ممكن وعندي نسخة من طبعة سنة ١٩٠٠

ثم عاد جان فينو الى نشر بعض تلك المقالات في المجلة الفرنسوية لانطباقها على الحالة الحاضرة فرأيت ان انقل منها ما يلذ الاطلاع عليهِ لانها تدل على بعد نظر الكاتب وعلى ان ما كانت المجاهرة بهِ تحسب جسارة واقتحاماً سنة ١٩٠٠ صار الآن حقيقة راهنة وقوة معنوية لا يستهان بها

تمهيد

تعريف الشعب الفرنسوي الانكليزي

ان مسألة الجنسية التي يرجع اليها رجال السياسة وعلماء الانثروبولوجيا في نظرياتهم تستند الى الاصول التي تفرعت منها الجنسية وعلى تلك الاصول تنبت بذور التباغض

والتنافر بين الفروع وكثيراً ما يقع ذلك من الجهل بمعرفة تلك الاصول او من غلط البحث فيها فالشعب الفرنسوي مثلاً باعتبار كونهِ لاتينياً يحسب بغيضاً للانكليز باعتبار كونهم شعباً جرمانياً · والحال ان الدم اللاتيني قلما يدخل في الشعب الفرنساوي وان الشعب الانكليزي يرتبط بالشعب الفرنساوي بدمهِ وروحهِ القومية ومدنيتهِ ومصالحهِ ارتباطاً لا لا ينفك واذا جردنا النفس من الغايات وطالعنا التاريخ الفرنسوي الانكليزي وجدنا ان الشعبين المتباعدين لجهل متبادل بينهما يؤلفان فرعين نابتين من جذع شجرة واحدة

ان اهم ما يسترعي النظر في تاريخ نمو الشعبين هو اتفاق مصادر تمدنهما ومشابهة الحوادث التي دعت كلاً منهما الى المسابقة للتفوق في ميدان الحياة المشتركة بينهما فكانا يقتتلان غالباً لا عن سوء قصد فيخدم الواحد الآخر منهما خدمات جليلة ومتواصلة كأن في تاريخهما وفي حياتهما سرًّا يحوم فوق المشاكل التي تخلقها حوادث الزمن فيقيد بقيد متين من التضامن الادبي والعقلي فتوصل الشعبان بهذا التأثير المتبادل الى ادراك شخصيتهما السياسية والى اكتساب حريتهما والغاء السلطة المستبدة بهما

لا سبيل للاحاطة هنا بما قام بهِ الشعبان من الخدم والفوائد المشتركة لان ذلك يستغرق مجلداً كبيراً فنقتصر على بيان الظروف وايراد الحوادث المهمة التي عاش فيها الشعبان عيشة مشتركة كانت اساساً لاخائهما مدة قرون عن غير قصد وتعمُّد كأنَّ الطبيعة قربت بينهما ليتألف منها زوجان منتخبان لان ما كان بينهما من التنافر كان يصدر عن اختلافات وقتية زائلة لحفظ كيانهما واستفادا من تعاضدهما المشترك بالمحافظة على ذاتيتهما اذ كان كل منهما يهبُّ لنصرة الاخر وتخليصهِ من ورطةٍ او ازمة شديدة يقع فيها فتارة تقوم فرنسا لنجدة انكلترا وتارة تقوم انكلترا لنجدة فرنسا بحيث اذا حذفنا من تاريخ كلٍّ منهما صفحات الحوادث التي حصلت بتأثير الاخرى ضاع رونق تاريخ الامتين

نبذة اولى

في فضل فرنسا على انكلترا

(١) قرابة الامتين

اعد التاريخ هاتين الامتين من نشأتهما السياسية لان تكونا متحدتين ومتفقتين لان البحر الفاصل بين غاليا القديمة وبريطانيا القديمة لم يمنع اختلاط سكانهما لان قبائل كل من البلدين

كانت تقطن الضفتين ودلت الآثار التي اكتشفت فيها على مشابهة في اخلاقها ومدنيتها

يعرف من تاريخ السلتيين[١] انهم استولوا على ضفتي البحر واستوطنوها وتسمية بلاد الانكليز ببريطانيا العظمى يرجع اليهم لانهم انحدروا اليها من البرتون ويدلنا على وحدة اصل سكان الضفتين ما قاله تاشيتوس[٢] عن السلتيين الانكليز « انهم يجاورون الغاليين ويشبهونهم » ثم كثرت القبائل التي سكنت شط البوغاز الأ ان السلتيين كانوا اعلى كلمة واكثر نفوذاً وقد خلفوا آثاراً مهمة لا تزال حية الى الآن

ولما هبت القبائل من جرمانيا واثارت الحرب على البلاد التي تجاورها اغلظت معاملة الاهالي في بريطانيا العظمى وفي فرنسا فالجرمانيون المعروفون بالانجل والساكسون استولوا على بريطانيا والمعروفون بالفرانك استولوا على غاليا والفرق بينهما في الكمية وليس في الكيفية لان الفرانك كانوا قليلي العدد فاندمجوا في الوطنيين وتخلقوا باخلاقهم ونسوا لغتهم الاصلية فسارت المدنية في غاليا سيراً قانونيًّا . واما في انكلترا فكان الانجلوساكسون كثيري العدد ومختلفي الطبقات لحافظوا على مدنيتهم ولغتهم وآدابهم وبقيت شقة الخلاف بينهم وبين الاهالي المغلوبين على امرهم واسعة وحلقاتها متمكنة واضحت بريطانيا تحت خطر الرزوح للنير الجرماني فجاءت الغزوة الفرنساوية بقيادة وليم الظافر بلسماً لجراحها وخلصتها من المصائب التي كانت تهدد كيانها واكسبتها روحاً جديدة هي الروح الوطنية وروح الوحدة السياسية وكانت تلك الغزوة من اهم حوادث التاريخ الانكليزي اذ منها اخذت انكلترا مصادر مدنيتها العجيبة التي وضعتها في اعلى مقام من العظمة والقوة بحيث يصح القول ان العناية الالهية الساهرة على حسن استعداد تلك الامة وقبولها للرقي بعثت اليها بعثة جديدة من الفرنساويين ليكونوا بمبادئهم وافكارهم ومدنيتهم ركناً عظيماً من اركان التقرب العجيب الذي كان دائماً عرضة للخطر . ويجدر هنا ان نورد بالاختصار سلسلة الحوادث التي جرت في هذا التاريخ

بعد ما مات ادورد المعترف[٣] وقعت انكلترا بين نارين وكادت تكون فريسة الجرمانيين من اهل الشمال اي السكندينافيين لان هرولد حاول ان يسترجع سلطنة كانوت[٤]

(١) السلتيون او الكلتيون شعب قوقاسي اتى من الشرق وغشي اوربا الوسطى ثم انتشر في غربيها ولاسيما في غاليا وجزر بريطانيا وشمالي ايطاليا وإبادهُ الرومانيون (٢) مؤرخ روماني شهير ولد نحو سنة ٥٠ ق . م وتوفي في بدء ملك ادريانوس وتزوج بنت اغريكولا وحصل على كل درجات الشرف

(٣) ملك انكلترا مات بلا عقب واوصى بالملك لهرولد وهو الذي قهرهُ وقتلهُ وليم الظافر سنة ١٠٦٦ في موقعة هاستنجس (٤) ملك الدنمارك وانكلترا توفي ١٠٣٦

فاخفق ونجا بنفسهِ فقام وليم دوق نورمانديا وادعى تاج انكلترا فجنّد جنداً من اهالي بريتونيا وبيكارديا ونورمانديا واتى بريطانيا العظمى فاتحاً وانتصر انتصاراً باهراً في موقعة هاستنجس وخلالهُ الملك في انكلترا

لم يقتصر فوز وليم الظافر عند حد الفتح بل نجح نجاحاً كبيراً في ما اخفق بهِ الجرمانيون لان انكلترا عاشت تحت الحكم الفرنساوي برخاء وامتلأت الامة بالاداب والمبادئ الفرنسوية ورسخت فيها رسوخاً لا يمحى وتفاهمت الامتان وتبادلتا الحب وشربتا كؤوس الصفاء وعاشتا معاً مدة طويلة مشتركتين في السراء والضراء واخذت كل منهما عن الاخرى مآخذ ثبتت في نسلها بكرور الاحقاب فاصبح من العبث ان تتباغضا وان تثير الواحدة على الاخرى حروباً طاحنة

والفرنسويون يحملون لغتهم الى كل ارض يطأونها فجعلوا نشرها فاتحة اعمالهم بعد الفتح فاستهوت بجمالها الانكليز وانتشرت الاشعار والاغاني الفرنساوية في طول بريطانيا وتنبهت قرائح الشعراء السلتيين فافاقوا من سباتهم وجددوا ثوب آدابهم العزيزة لديهم وتفوقوا على العنصر الانجلوساكسوني · وانصرفت الحكومة الى التوفيق بين القبائل المتخاذلة وايّدت الحكومة المركزية في البلاد فاوجدت بذلك روح الوطنية وابرأت البلاد مما حاق بها من مصائب الحروب الاهلية واخذ الفرنسويون يتقاطرون بكثرة الى انكلترا فحسن نظام المعيشة فيها كثيراً · ويستفاد من مؤرخي ذلك العصر (مثل وليم اوف مالمسبري) ان الانكليز كانوا ينفقون اموالهم على الولائم والافراح والمسكرات ويسكنون المساكن الحقيرة والزرية واما الفرنسويون فكانوا يأكلون المآكل الطيبة باعتدال وترتيب ويلبسون الملابس الجميلة ويسكنون المنازل الفاخرة والنظيفة · فهذه المباينة في العادات استدرجت الانكليز الى تحسين معيشتهم والى معرفة مبادئ الوطن الاولية وهؤلاء لبوا الدعوة الى التمدن والتمدين واكتشوا مكامن قوتهم وعظمتهم

بعد ثلاثين سنة من دخول الفرنسويين البلاد انتشر الانشاء الغالي وعقبهُ الانشاء الروائي وانشأوا بعد موت الملك يوحنا ٠ ٥٥ مدرسة وبرهنوا على افضلية سياسة وليم الظافر وحاشيتهِ بدهاء ولطف يستحقان الاعجاب في ذلك العصر لانهم احترموا القديسين السلتيين والقديسين الانجلوساكسونيين احتراماً واحداً وكانوا ينشرون اسماء الفريقين في التقاويم السنوية فساد الاتفاق في البلاد التي ظلت قروناً عديدة مرسحاً للفتن والاحقاد

ويبين فضل فرنسا وما قامت بهِ من الخدم الجليلة للبلاد من المقابلة بين ما كانت عليهِ قبل موقعة هاستنجس وبعدها · ففي القرن العاشر كانت انكلترا هدفاً للغزاة من دنماركيين

وسلتيين وساكسونيين وكل غزاة الشمال واضطر الساكسونيون سكان البلاد الاصليون ان يهجروها و يمتنعوا في الحراج ليتقوا جور الحكام الاجانب وظل الدنماركيون يحكمون البلاد مدة خمسين سنة باستبداد لا حدَّ لهُ

ولما استوى ادورد المعترف على عرش اجداده لم يستطع ان يكسر شوكة البارونات الساكسونيين لانهم كانوا اشد منهُ ساعداً وكان واياهم على طرفي نقيض من حيث التربية والاخلاق فهو ربي في نورمانديا واخذ عنها الشعائر اللطيفة والمدنية الرائعة واما هم فجفاة الطباع سيئو التربية والاخلاق يرتكبون المحارم الكثيرة و يأتون العيوب الشنيعة بلا رادع ولا وازع فكان يتأفف من تلك الحالة و يغض الطرف عنها مكرهاً ٠وكان الانجلوساكسون في ذلك الوقت على غاية الجهل يندر بينهم من يعرف ان يقرأ او يكتب وكانوا يحلُّون اذرعهم بالاساور الذهبية و يتبارون بها ويشمون ابدانهم بالوشامات الملونة والكثيرة الاشكال و يبذرون اموالهم على موائد الطعام وعلى الخلاعة والسكر واما الفرنسويون والنورمانديون فالمؤرخ الساكسوني يثني عليهم اطيب ثناء من حيث التربية ونظام المعيشة و يقول انهم يكرمون الغريب كالوطني ولا يستنكفون من الزواج بالساكسونيات

ثم ان الساكسونيين انفسهم كانوا راضين كل الرضى عن استيلاء وليم الظافر على عرش انكلترا ولما قام هارولد احد بارونات الملك ادورد يدَّعي حق وراثة العرش لم يؤَيدوهُ في دعواهُ فانبرى لهُ وليم واستفتى البابا في ذلك فحكم لهُ و بعث اليهِ بالحكم مع العلم المقدس فصارت غزوة امير نورمانديا بهذه الواسطة دينية مقدسة اثارت الحمية في نفوس الفرنسويين فهبوا من كل انحاء البلاد لتأييد ذلك الحكم المقدس الذي لا تنقضهُ الاحكام المدنية وكان النورمانديون اقل عدداً من سواهم لاعتقادهم بفشل الحملة واما البريتونيون فكانوا جمعاً غفيراً وقد اتوا الى نورمانديا وعلى رأسهم اميرهم كونان لمقاتلة وليم فمات كونان في الطريق فانضموا الى وليم

جاء وليم انكلترا فاتحاً فكان بعد الفتح افضل الامراء واكملهم لانهُ بعد بضع سنوات وطد الملك على دعائم قوية وسن نظاماً يشبه نظام شارلمان لحل النظام محل الفوضى التي كانت في عهد الحكام الانجلوساكسون وسادت في البلاد ملكية عادلة رشيدة قوية تعضدها قوة مدربة هي قوة الكنيسة وقد بلغ نفوذ وليم حدًّا فائقاً قال فيهِ احد مؤرخي الساكسون « لو انفسح في اجلهِ سنتان اخريان لافتتح ارلندا بدون سفك دم » فقد اقام العدل ووضع المبادئ الاولية للجندية المنظمة و بنى القصور الفخمة في انحاء البلاد واعلن احترام التملك

الشخصي وبالاجمال ساد في عهده السلام في البلاد التي كانت مرسحاً للمذابح والفوضى

لا ينكر ان الفتح يتخللهُ بعض المصائب والاضرار لانهُ لا يحصل الأ باستعمال القوة الأ ان الاضرار التي وقعت من فتح وليم لا تعد شيئاً بالنسبة الى ما حصل منهُ من الفوائد ولا سيما ان توطدت بهِ اركان المملكة وتولدت القوة الانجلوساكسونية

والخلاصة ان التمدن الفرنساوي رسخ في انكلترا وظهر فيها بكل صفاتهِ وهيئاتهِ كالشعر والاغاني والقصص التاريخية والروايات الحماسية الأ ان الفاتحين لم يقاوموا الوطنيين و يمنعوهم من التغني باساطير اسلافهم فكانوا يعملون للتوفيق بين الفئتين والتقريب بينهما وهذا من محاسن الفرنسويين التي جعلت الوطنيين يحبونهم و يميلون اليهم

في ما كان للفرنسوية من التأثير في الانكليزية وآدابها

تمكنت اللغة الفرنسوية وآدابها في البلاد ولم ينحصر استعمالها في رجال الحكومة بل تعدى الى طبقات الشعب فكان الكبراء يحسبون التكلم بها من كمال المدنية ومن لزوميات الوجاهة واندفعت العامة الى استعمالها تشبهاً بهم فتقلصت اللغة الانجلوساكسونية امامها حتى كادت تموت واصبح من العبث صد هذا التيار لان الشعب صار يجتلب استعمالها والكتَّاب يستعيبون الكتابة بها والشرائع تكتب وتنشر بالفرنسوية وبقي الحال على هذا المنوال الى ان ملك هنري الثامن[1] . ولم يكتفِ الانجلوساكسون بدرس اللغة الفرنسوية وآدابها التي تخترق مسام الحياة العامة بل كانوا يذهبون الى فرنسا لاتمام دروسهم في جامعة باريس حتى انهم في القرن الرابع عشر كانوا اكثر عدداً من طلبة سائر البلاد

ومما سهل بنوع خصوصي فوز الفرنسوية وانتشارها ما حصل قبل الفتح فانها كانت في القرن الحادي عشر لغة بلاط الملك ادورد الملقب بالمعترف لانهُ اقام في نورمانديا سنين عديدة فغلب عليهِ استعمالها ودفعهُ حبهُ لفرنسا بان جلب عدداً كبيراً من النورمانديين وقلدهم المناصب العالية فراجت اللغة واصبحت لغة الاشراف يتفاخرون بها و يمتازون باستعمالها عن سواهم وقد ذكر ذلك انغولتوس المؤرخ المعاصر

ان ذلك النبات المغذي نقل الى انكلترا فتأصل فيها ونما واخصب وتنوع تركيبهُ بتنوع الاقليم والتربة واصبح كل ما ينمو هناك يحتوي على جزء من الاصل الفرنسوي فهو يتخلل كل ظواهر الحياة من النظام السياسي الى الشعر الى الروايات الى الفلسفة الى العلم الى الفنون .

---

(١) صدر قرار من البرلمان سنة ١٧٣١ بوجوب منع استعمال اللغة الفرنسوية منعاً قطعياً في بعض المسائل التشريعية وفي الاعمال العمومية وهذا دليل على انها بقيت تستعمل حتى القرن الثامن عشر

على ان تمكن ادب اللغة الفرنسوية لا ينتج عنهُ اضمحلال آداب لغة البلاد بل كان غشاء واقياً كثير الغذاء ومتكاتفاً بالعمل مع شقيقهِ فساعدهُ على النمو التدريجي ولما كمل نموهُ استطاع ان يقوم بنفسهِ بواسطة قواهُ الخاصة وهكذا حفظ هذا الكنز في مخزنهِ واختص لنفسهِ جواهر تعاليمهِ الى ما شاء الله

وعليهِ كانت كلما ارتقت اللغة الانجلوساكسونية وتقدمت بادابها استعارت كثيراً من العروض الفرنسوية واخذت مفردات جمة من قاموس اللغة ونقلت افكاراً ومبادئ من الأدب الفرنساوي المهذب والعامي وكانت هذه الاستعارات والمآخذ تدخل الى الغرف الانجلوساكسونية القديمة بغزارة نادرة فتحيي آدابها وتحسنها واصبحت اللغة بها غنية ومتناسقة · فادب اللغة الانجلوساكسونية في القرن الرابع عشر لم يكن شيئاً مذكوراً خلا ترجمات الروايات الحماسية الفرنسوية وكان كثيرون من الشعراء ينظمون الشعر باللغتين فيجعلون الصدر بالانكليزية والعجز بالفرنسوية وكان الكتاب الوطنيون يكسبون كتاباتهم رونقاً ويزيدونها بلاغة بتقليدهم الكتاب الفرنسويين وباستعارة اسلوبهم وافكارهم ويدخلون الكلمات الفرنساوية في ترجماتهم بمبناها ومعناها حيث ليس في الانكليزية ما يقوم مقامها او يحولونها الى الصيغة الانكليزية فيبقى فيها صدى الفرنسوية الشائق الرخيم · وقد كثر عدد المفردات المنقولة والمنحوتة الى حد كبير قال فيهِ سكيت صاحب المجموعة المشهورة ان ما اخذتهُ اللغة الانكليزية عن الاصل الفرنسوي واللاتيني هو مضاعف ما اخذتهُ عن الجرمانية · وقال هيوم في كتابهِ تاريخ انكلترا ان قسماً كبيراً من اللغة واجمل ما فيها من اساليب التعبير مأخوذ عن الفرنسوية · فحاجة الانكليزية الى الاخذ عن الفرنسوية مهدت لها سبيل البساطة وجعلها لغة سهلة المراس وقريبة المنال وجعل فيها مرونة نادرة المثال واكسبها قوة كبيرة للنمو والاتساع فاقتصرت في صرفها ونحوها على اسهل اسلوب للتعبير وجعلت كل ما هو ذكر مذكراً وكل ما هو انثى مؤنثاً وما ليس كذلك مجرداً اي لا مذكراً ولا مؤنثاً واهملت تصريف النعوت واضافت الافعال المساعدة الى تصريف الافعال فاصبحت جلية وسهلة وزادت موسوعاتها كثيراً حتى عدت اغنى اللغات مفردات · واما قرض الشعر فامتاز بهِ الانكليز في بدء اشتغالهم بهِ الاَّ ان افكارهم واميالهم كانت تتجه دائماً الى الشعر الفرنسوي فتشابه الشعران من كل الوجوه ما عدا اللهجة التي تميز اللغة الواحدة عن الاخرى حتى ان لغة شاكسبير وبيرون لم تبلغ ما بلغت من المقام السامي من حيث المتانة وحسن التعبير الاَّ باستعارة الالفاظ الفرنسوية واقتباس اساليبها التي لا تماثل

فالشعراء والكتاب الانكليز مدينون بهذه النهضة لزملائهم الفرنسويين بحيث يرجع لذهنهم في كل عبارة يكتبونها او في كل كلمة يسمعونها ان ذلك اثر من آثار الفرنسويين مؤسسي نهضتهم

(٣) امتزاج الروحين

على ان تأثير الفرنسويين الذين اتوا مع الدوق وليم الى انكلترا لم يقف عند هذا الحد لان الشعبين امتزجا امتزاجاً تامًّا فاخذ كل منهما عن الآخر مآخذ توارثتها الاعقاب وحفظتها قروناً عديدة جرياً على ناموس البيولوجيا لان الارملة اذا تزوجت وولدت اولاداً ظهر فيهم بعض المشابهة لزوجها الاول . فالحياة المشتركة تؤثر في اعضاء وتحدث فيها تنوعات مهمة فلا بد من ان امتزاج الروحين الفرنساوية والانجلوساكسونية قروناً عديدة قد فعل فعلهُ من هذا القبيل

تلطفت الاخلاق القومية وتقاربت الاميال واتحدت الافكار واصبح الشعبان بتأثير الوسط والحوادث التاريخية شعباً واحداً بالظاهر ومالا غريزيًّا الى الاتحاد والاتفاق التامين

ويستفاد مما ذكر آنفاً ان الاتفاق الانكليزي الفرنسوي وان يكن حصل بظروف الفتح الغليظة فنتائجهُ كانت ملائمة لمستقبل انكلترا اذ بهِ ادركت قوميتها وحسنت لغتها وشعرها وعرفت القواعد الجوهرية لمدنيتها المستقبلة

وما خلا ذلك فقد افادها هذا الفتح فائدة كبرى من حيث مساعدة الجند على اعطاء الحرية التامة للاهالي وتمتع الشعب باستقلالهِ المدني

(٤) منافع الغزوة النورماندية

جرى وليم على خطة الفاتحين فوزع اراضي انكلترا على فرسانهِ واخصائهِ وفرض عليهم فروضاً اخف من الفروض التي كانت على اتباع ملك فرنسا فضعفت بهم شوكة البارونات واصبح البارونات الانكليز في القرن الحادي عشر اضعف من بارونات اوربا الذين كانت تنتقل اليهم السلطة في المقاطعات بحق الارث ووضع اليد فكانوا اقدم سيادة واكثر نفوذاً من ملوكهم فادى هذا الضعف الى نتيجة مهمة في تاريخ انكلترا لانهُ كان يحول دون خروجهم على ملوكهم ودون اتفاقهم على الثورات التي يثيرونها ويضطرهم الى طلب المساعدة من الوطنيين والفلاحين واذا احرزوا نصراً عاد الفضل فيهِ الى تلك المساعدة فادركت العامة حينئذٍ حقوقها الشخصية والمدنية واضطر الاشراف الى التساهل للاتفاق معها فاتفقت الفئتان على مطالبهما اتفاقاً غايتهُ الاولى مصلحة الاشراف وفائدتهُ الكبرى عادت على الشعب. وفي سنة

١٢٦٤ ارسل الاشراف دعوة صريحة لسكان المدن والقرى ليدافعوا عن حقهم المشترك فادرك الشعب اهميتهُ في ادارة المملكة وعرف ما لهُ من القوة والفائدة وادرك بنوع خصوصي حقوقهُ المدنية فصار يراعيها ويحافظ عليها ويشتغل على الدوام للتوسع بها وقال غيزوان الحقوق التي قضت ان تقيم في انكلترا حكومة حرة قد عرفت معرفة تامة سنة ١٣٠٧

وتبين الفوائد التي حصلت عليها انكلترا من هذا المركز الخصوصي المدينة بهِ للاحتلال الفرنسوي من المقابلة بين تاريخها وتاريخ فرنسا . ففي اوربا كانت هوة عميقة تفصل بين الاشراف والعامة واما في انكلترا فكانت الامة عبارة عن مجموع من الوطنيين الاحرار تحت سلطة رسمية للاشراف وكانت الامتيازات الاجتماعية فيها امتيازات ظاهرية لا تأثير لها في جوهر الحرية . واما في فرنسا فانقضت قرون عديدة قبل ان يصل الشعب الى هذا المركز الذي كانت تتمتع بهِ جارتها انكلترا وسنرى فيما يأتي ان الثورة الكبرى التي يفاخر بها الشعب الفرنسوي انفجرت وتكللت باكليل النصر بفعل التأثير الانكليزي . وبما ان انكلترا سبقت فرنسا باكتساب الحرية قروناً عديدة كان لهذا السبق تأثير جوهري في تكوين الخلق الانكليزي وبهِ ضعفت ثقتهم بوصاية الحكومة ورسخت فيهم الصفات العالية من الذاتية والثقة بالنفس وعلى عكس ذلك كان الفرنسويون فقد رضخوا عهداً طويلاً للتقييد الشديد فضعفت اخلاقهم وانحطت فيهم روح المعرفة والتقدم

وكفى بهذه الحوادث دلالة على قيمة اختلاط الشعبين السياسي لتكوين الخلق الانكليزي وتأثير هذا الخلق فيما بعد على الخلق الفرنسوي

(٥) نمو القرائح الانكليزية

قلنا سابقاً ان اداب اللغة الانكليزية نشأت تحت تأثير اللغة الفرنسوية ونقول هنا انها نمت وارتقت تحت هذا التأثير لان تشوسر نفسهُ الذي ينسبون اليهِ الفضل بتحرير لغة وطنهِ من التأثير الاجنبي انما غذى عقلهُ بكتابات الكتاب والمفكرين الفرنسويين . وكان اعجابهُ بهم كبيراً . والروح الفرنسوية تتخلل كل كتاباتهِ . وكل المواضيع التي طرقها مواضيع فرنسوية واجمل ما فيها مأخذهُ عن رابله وموليير . ويقول بعض المنتقدين ان ذوق تشوسر الفرنسوي ولغتهُ الفرنسوية الانكليزية خاصان بهِ فردّ هويت الذي جمع مؤلفات ذلك الشاعر العظيم على ذلك بان لغة تشوسر لم تكن لغة ذلك العصر والاّ لما حسب افضل شاعر وطني واجود كاتب ظهر في العصر المتوسط

اذا ضربنا صفحاً عن الكتابات التي صدرت في عهد تفوق اللغة الفرنسوية وامتزاج

الانكليزية بها امتزاجاً تامًّا والتفتنا الى الكتابات الانكليزية المستقلة حيث ظهر ادب اللغة باعلى مظاهرهِ وجدنا اثراً محسوساً وواضحاً للاستعارة في اوسع الكتاب شهرة واوقدهم ذهناً واذكاهم قريحة كشاكسبير وغيرهِ من فطاحل الكتاب الانكليز الذين ما فتئوا يأخذون عن فرنسا و يستفيدون من محاسن تمدنها

استعار شاكسبير[1] كثيراً من فرنسا وارتوى شعرهُ من نبع فرنسوي فزاد بهِ متانة ورقة شعور . ومجموعة تآليفهِ السامية والخالدة تدل على مرحلتين من حياتهِ العقلية تنتهي الاولى وتبتدئ الثانية بعد وقوفهِ على ترجمة مونتانيي التي ابهرتهُ وخلبت لبهُ وكأن شعاعاً الهيًّا صدر منها فانار طريق حياتهِ وفتح امام قريحتهِ الوقادة المشاهد الكبيرة والمتسعة فغاص فيها بشغف وابرز تآليفهُ الخالدة التي استحق بها ان يكون شاعر الناس كلهم على الاطلاق . قال فيلارت في كتابهِ (تاريخ انكلترا في القرن السادس عشر) «ان شاكسبير منذ ذاك انقلب انقلاباً تامًّا فكان يقلد اولاً بترارك وار يوست و بعد ١٦٠٣ عدل عن اخذهِ عن ايطاليا وعن السجع المتراصف واخذ مونتانيي يتخلل اوثلو وهاملت وكورلايون» وحاول جاكوب فيس الالماني ان يبرهن على ان هاملت لم توضع الاَّ لمضادة بعض مبادئ مونتانيي ولكن جون سترلنج برهن على ان هملت ليست الاَّ مونتانيي كملت فيها ظواهر الحياة واثبت جون روبرتسن في كتابهِ (المقابلة بين شاكسبير ومونتانيي) ان مبادئ مونتانيي اثرت تأثيراً كبيراً في حياة شاكسبير الخاصة وسيرتها على مبادئ الكاتب الفرنسوي

انتخب شاكسبير بذكائهِ المتوقد افضل الحكم واشرف المبادئ وادخلها في تأليفهِ ففي رواية « العاصفة » مثلاً ترجمة تامة لشذرة مشهورة لمونتانيي وهي كانيبال وما عداها فان المبادئ والافكار التي اثارت حمية باسكال وجان جاك روسو هي نفسها فعلت في شاكسبير واثرت في تصوراتهِ

ويقول سنت بوف ان كثيرين من الكتاب الانكليز اخذوا عن مونتانيي ومنهم السير توماس برون الذي كان لهُ اوسع شهرة في آداب اللغة الانكليزية في القرنين السابع عشر والثامن عشر

وهنا افاض المؤلف في مآخذ السير توماس برون وغيرهِ من مشاهير الكتاب الانكليز مما لا يخرج عن حد ما سبق عن شاكسبير ولا يهم قراء العربية الوقوف عليهِ لانهُ يتكلم على المقابلة والمقارنة بين آداب اللغتين مما تهم معرفتهُ اصحابها فضربنا صفحاً عن نقلهِ

---

(١) اعظم واشهر شاعر انكليزي واعظم روائي محزن (دراماتيك) (١٥٦٤ — ١٦١٦) له ٣٦ رواية من اشهرها روميو وجوليت وهملت وماكبث واوثلو

ويقال بالاجمال ان مشاهير الانكليز من كتاب وعلماء وفلاسفة كانوا كثيري الاعجاب بمدنية فرنسا وآدابها وسلاسة لغتها وحسن اسلوبها وبيانها واقتدار كتابها ومؤلفيها كونتاني وجان جاك روسو وباسكال وراسين وموليير وكثيرين غيرهم فكانوا يحذونهم باساليبهم ويتقون عباراتهم وتعابيرهم بنتف من التعابير والعبارات الفرنسوية وظل الذوق الفرنسوي سائداً في انكلترا حتى حكومة الرستورايشن لان الاشراف الذين طردهم كروموبل لجأوا الى فرنسا واقتبسوا ما فيها من المبادىء والافكار حتى ان بلاط تشارلس الثاني كان فرنسوياً اكثر منهُ انكليزياً . وقال تاين في كتابهِ (تاريخ آداب اللغة الانكليزية مجلد ٣) ان المؤلفين الفرنسويين اساتذة يتداول مؤلفاتهم احسن متخرجي الانكليز . وتنم كتابات ذلك العصر على صدق ذلك . ومن ثم فقد كان اصحاب الكياسة والتأنق يميلون الى الظهور بالمظهر الفرنسوي الخالص

(٦) الصداقة والاعجاب المتبادلان

اتفق الكتاب ورجال الحكومة والفلاسفة والفنيون على المنافع التي نجمت من الاتفاق الاخوي بين التمدن الانكليزي والروح الفرنسوية لانهُ لما زالت الغايات التي كانت تلقي غشاوة على الروح الوطنية عبر المانش وتغرس الحزازات في النفوس اعترف بجميل فرنسا حتى صار وردسوارث الشاعر لا يهاب الاسقف وطسن بل يونبهُ على تحاملهِ على فرنسا فقال فيهِ انهُ « اطلق سهماً على الحرية والفلسفة اللذين هما عيون النسل البشري » وقال في تغلب الفرنسويين على الانكليز « ان الانسانية التي هي فرنسا انتصرت على انكلترا التي ليست الا جزءا منها » ولغيرهِ من كبار شعراء الانكليز اعجاب كاعجابهِ بفرنسا تدل اقوالهم على ما كان لفرنسا من الاثر الجميل الذي تحفظهُ الامة الانكليزية

فالتغالي بهذه الشعائر الشريفة كان لهُ صدى شديد واثر حسن في فرنسا لان الروح الانكليزية التي بلغت حد النمو بالتأثير الفرنسوي انتقلت الى فرنسا في القرن الثامن عشر فوجدت بيئة حسنة الاستعداد لقبولها برغبة شديدة فسار الانكليز والفرنسويون من جانبي البحر مع تيار تلك العواطف التي كمنت مدة طويلة ثم انفجرت انفجار السيل العرم فهدمت السدود والحواجز الصناعية وبلغت حدودها الصحيحة فتمكنت الروح الانكليزية في فرنسا وطبعت على حياة الامة رسماً لا يمحى

فامتزاج هاتين الروحين هو ظاهرة من ظواهر اتحاد تمدن الامتين ومن اهم حوادث القرن الثامن عشر . وسنأتي في المقالة التالية على مآثر انكلترا وما استفادتهُ فرنسا منها

الدكتور امين ابو خاطر

فاتحة الحرب

(تابع ما قبلهُ)

ثم دخل ولي العهد فقال لهُ الامبراطور ما رأيك يا ولدي في ما هو جارٍ الآن

ولي العهد — ليس امامنا سبيل آخر يا ابي ولا بدَّ من الحرب فان البلاد كلها راغبة فيها متشوقة اليها ولا يحسن بنا ان نصبَّ ماء بارداً على ما نراهُ من الحماسة . اسأل من شئتَ فلا تجد الاَّ قولاً واحداً الحرب الحرب . لا اظن يا ابتِ انك تعتقد ان بوانكارى ذهب الى بطرس برج في زيارة بسيطة . ارسل الروس يستدعونهُ اليهم وما فرنسا الآن الاَّ آلة في يد روسيا والوزراء الفرنسويون تحت اوامر ايسفولسكي[1] فاذا هددهم بغضب القيصر خرُّوا لهُ الى الاذقان

الامبراطور — الفرنسويون شعب منحط

ولي العهد — نعم ويحتاجون الى حاكم مثل نبوليون

الامبراطور — وهذا شأن كل الناس يا ولدي . ولكن هب ان انكلترا انضمت اليهم

ولي العهد — هذا محال انكلترا تكتفي بالاحتجاج واحتجاجها لا يكون بشدة بل بلطف على جاري عادتها ثم تكتسب من بيعنا كل ما نحتاج اليهِ لقهر حلفائها . هذه هي الخطة التي جرت عليها سنة ١٨٧٠ وهي تستفيد دائماً من مصائب غيرها . ومتى قهرنا فرنسا وروسيا نعقد مع انكلترا محالفة بحرية على اميركا واليابان

الامبراطور — انك تجهل انكلترا ولا تعرفها كما اعرفها انا فانني افهم طباع الانكليز واشعر كانني واحد منهم واخاف من ان انكلترا تجرُّ الى هذه الحرب كرهاً لالمانيا وخوفاً منها

ولي العهد — لا اظن انها تفعل ذلك فانها مشغولة بمسألة « الستر » وعندنا تقارير قناصلنا ولو قرأتها يا ابي لوجدت ان نار الثورة تضطرم في ارلندا يوم تخرج الجنود منها . انكلترا مغلولة اليدين لا تستطيع ان تبدي حراكاً فقد قال لتشنوسكي[2] في تقاريرهِ . . .

وقبل ان يتم كلامهُ عبس الامبراطور ففطن ولي العهد ان اباهُ غضب لانهُ اطلع على تقارير السفير فتوقف لحظة ثم قال اسمح لي يا ابي ان اتمم كلامي ان لتشنوسكي يقول ان الناس هناك واقفون على اسلحتهم ينتظرون اشارة وان كارسون[3] ناوٍ على استعمال القوة وان

(١) سفير روسيا في باريس (٢) سفير المانيا في لندن (٣) زعيم حزب الستر في المانيا

الارلنديين الحقيقيين يتوقعون الساعة التي تسقط فيها انكلترا حتى يتحرروا من نيرها ولذلك يمكننا ان لا نحسب لانكلترا حساباً

الامبراطور — ألا يمكن ان تأتي الامور على ضد ما نقول وتنتظر ألا يمكن ان تجد انكلترا في هذه الحرب وسيلة للتخلص من المسألة الارلندية · انا اعرف الارلنديين واعرف انهم اذا سمعوا بوق الحرب كانوا اول من يبادر الى سلاحه · فقد يكون الانكليز اغبياء وجهلاء ولكنهم لا يجهلون مصلحتهم واذا تصدى لهم عدو اتحدوا عليهِ حالاً

ولي العهد — اني اعرف انكليز هذا العصر اكثر مما تعرفهم انت يا ابي لانك انت تعرف انكليز الجيل الماضي· اما انا فاعرف انكليز الجيل الحاضر الانكليز الذين يحكمون الهند مثلاً وقد عاشرتهم واصطدت معهم وسكرت معهم وهم على غاية الظرف لا اعرف اظرف منهم · ولو خُيرت لاخترت ان يكون كل رفاقي من الانكليز فاني اشعر وانا معهم بطمأنينة لا اشعر بها وانا مع الالمان · ولا اقدر ان اساير الالمان كما اساير الانكليز لان الالمان يتعدون حدودهم حالاً فانا شخصيًّا اود الانكليز ولا اكرههم ولكنهم هم والارلنديين اعداء الداء بعضهم لبعض فان ارلندا للانكليز مثل الالزاس و بولندا لنا· و يقول الارلنديون انهم ان لم ينالوا الاستقلال الاداري الآن فلا سبيل لهم ان ينالوهُ في وقت آخر· و يقول اهالي الصتر انهم ان لم ينالوا مطاليبهم الآن فلا ينالوها في وقت آخر ولتشنوسكي واثق تمام الثقة انهُ لا بدَّ من حرب اهلية في انكلترا

الامبراطور — قد يكون مصيباً ولكن هل تعلم ان الحرب بين دول اوربا الآن تقضي على المغلوب منها قضاء مبرماً واننا اذا خضنا غمار هذه الحرب اضطررنا ان نتخلّى عن كل قوانين المروءة والعدل وعن كل الوعود والعهود في سبيل استئصال اعدائنا · هل فكّرت في ذلك

ولي العهد — نعم فكّرت فيهِ ورزتهُ

الامبراطور — واذا كان الفوز لنا اخيراً فما اكثر البيوت التي تلبس الحداد وما اشد البغضة التي تنشأ لنا في صدور امم الارض ألا تعلم ان غلطة واحدة قد تضطرنا الى مداومة الحرب سنة وسنتين واكثر ومع ذلك فقد تدور الدائرة علينا اخيراً

ولي العهد — نعم قدّرت ذلك كلهُ

الامبراطور — هل فكّرت في ان القوزاق قد يجتاحون بلادنا و يعيثون فيها فساداً فتدمّر مدننا وتخرب قرانا و يقتل سكانها و ينهب كل ما فيها

ولي العهد — نعم فكّرت في ذلك كلهِ وقدّرتهُ ولكن لا بدَّ لنا من الفوز يا ابي فان

الفرنسويين غير مستعدين مطلقاً وهذا امر معروف مشهور فنصل الى باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيوشها اما انكلترا فلا حساب لها لانها لا تدخل هذه الحرب . ومهما كان رأيك يا ابي افلا تظن انهُ يحسن بك ان تستشيرني كابنك الذي سيخلفك

يصمت الامبراطور قليلاً ثم يقف ويضع يدهُ على كتف ابنهِ ويقول لهُ اعلم يا بُنيَّ انني اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرّب سفاك للدماء كأتيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي

ولي العهد — لا يمكن ان تدور الدائرة علينا

ثم يخرج الامبراطور ويدخل بعدهُ اتنج (سكرتيرهُ الخصوصي) فيقول لهُ ولي العهد لقد تم الامر على ما نريد

اتنج — عسى ان لا يصيب اسطولنا شيءٌ في طريقهِ

ولي العهد — الاسطول خرج من بحار نروج امس فلا يسلم من الخطر الا غداً . لو كانت قيادة الاسطول الانكليزي في يدي لارسلت جانباً منهُ يرابط في مضيق سكاجرّاك (في الدنمرك)

اتنج — ان اغفال انكلترا عملاً طفيفاً مثل هذا يدلُّ على انها متربصة بنا شرًّا ومنتظرة جلائل الاعمال

ولي العهد — اهلاً وسهلاً بها . قال ذلك وخرج وجعل اتنج يرتب الاقلام والاوراق

المنظر الثاني من الفصل الثاني

الوقت ليلاً بعد ٣٦ ساعة مما ذكر قبلاً . يدخل ياور مكتب الامبراطور وينير المصابيح الكهربائية ثم يدخل الهر اتنج ومعهُ صندوق الرسائل ويجرّب الاقلام ويخرج من سلّة الاوراق المهملة الورقة التي كان قد مزقها من الروزنامة ويلصقها بها وتاريخها ٢٨ يوليو وتظهر عليهِ امارات الاضطراب ثم يُفتح الباب ويدخل الامبراطور فيقول لاتنج اكتب تلغرافاً اكتب . ثم يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يقول اللهمَّ عفوك اللهمَّ عفوك الحرب على الابواب لعنة الله على الحرب . اكتب «الى صاحب الجلالة الامبراطورية القيصر نقولا»

اتنج — لم تنسوا جلالتكم انكم امرتم ألاَّ يعمل عمل الاَّ بعد ما يجتمع المجلس الحربي غداً حينما يرجع ولي العهد واني التمس العفو من جلالتكم لاني ذكَّرتكم باوامركم

الامبراطور — اصبت يا اتنج ولكنني عارف ما انا فاعل فقد يأتيني جواب القيصر غداً صباحاً قبل اجتماع المجلس فاوقف هذه الحرب الملعونة ولا يليق بنا ان نترك وسيلة مهما

كانت اكتب . « ولقد همّني ما بلغني » الاحسن ان تكتب « لقد همّني جداً ما بلغني ممّا ترتب على ما فعلتهُ النمسا والمجر بالسرب . فان التهييج المفرط الذي قام في السرب منذ سنوات ادّى الى هذه الجناية الفظيعة على الارشيدوق فرنز فردينند » . كلاّ كلاّ بل اكتب « الجناية الفظيعة وهي اغتيال الارشيدوق » . لقد كان نعمَ الرجل يا انّج غير ما يظن بهِ لاول وهلة لم اصدق هذا الخبر حينما سمعتهُ . كنت اخطر في مرفإ كيل حينما بلغني الخبر فوضعت التلغراف في جيبي ونسيتهُ الى ان حان وقت الغداء وحينئذٍ تمثلت لي الجناية بكل فظاعتها . هو وزوجتهُ هو رجل نعمَ الرجل لو بقي حيًّا لكان اصدق صديق لامتهِ ولي وهي امرأة على غاية الحشمة والظرف . لقد كان اغتيالهما من اقبح الفعال البربرية يا انّج . هؤُلاء السربيون اردأ الجنس السلافي كلهِ . كل ما لم نالوهُ بالقتل وكلهم قتلة ولذلك لا عجب من ان فرنسيس يوسف ساخط عليهم وقد تحسن حالهم اذا كانت لهم حكومة شديدة ولقد اغتالوا ملكهم قبلاً على اسلوب تقشعر منهُ الابدان ولا بد من الاشارة الى ذلك اكتب . « ان النعرة التي جعلت السربيين يقتلون ملكهم وملكتهم لا تزال في البلاد » هذا الكلام يؤَثر في نقولا . مَن قال ان الدستور الروسي استبداد يضعفهُ الاغتيال ولقد اثبت السربيون ذلك معها كان نوع الحكومة وقد يقتلون نقولا ولو انهُ منحهم مجلس الدوما اكتب . « لا شك انك توافقني اننا نحن كلنا . . . » مرادي الملوك كلهم لان لنا مصلحة مشتركة تقضي علينا بان نعاقب كل الذين لهم يد في هذه الخيانة الفظيعة العقاب الذي يستحقونهُ

الاحسن ان اذكر شيئًا عن اميال السلاف الى السرب اكتب « ومن الجهة الاخرى لا استخفُ » كلاّ بل قل « لا اغضي » كلاّ كلاّ لا استخفّ افضل « المصاعب التي تلاقونها في مقاومة الاميال » كلاّ بل قل في مقاومة التيّار وهذه لا تصلح . ضع هنا الكلمة المناسبة « نحو العاطفة الجنسيّة » وهذه ايضاً لا تصلح قُل « في مقاومة الرأي العام » ولا اظن ان في روسيا رأياً عامًّا ولكن في ذلك شيئًا من التملّق لسازنوف[1] ولا بدَّ من الاشارة الى صداقتنا فقل « ونظراً الى الصداقة القديمة القلبيّة التي بيننا فاني ساتوسّل بكل ما لي من النفوذ لاقنع فرنسيس جوزف » . كلاّ هذا لا يناسب قبّح الله ذلك الحمار تسزا[2] فانهُ هو سبب كل هذه المشاكل فقل « في اقناع حكومة النمسا والمجر حتى تتفاهم مع روسيا تفاهمًا يرضيها » ويرضيني انا ايضاً هذا يكفي كلاّ كلاّ قفْ زد على ذلك « واني ارجو واثق انك تعضدني في مساعيَّ

(١) وزير الخارجية الروسية

(٢) رئيس وزارة المجر

للتغلب على كل المصاعب التي يمكن ان تنتج . صديقك ونسيبك المخلص الامين » واكتب التوقيع « ولي[1] »

اكتب هذا التلغراف وارسلهُ باسرع ما يمكن والآن الساعة نصف بعد العاشرة فيقرأهُ الليلة و يأتينا جوابهُ غداً صباحاً . قم عاجلاً

يخرج اتنج من الغرفة و يناديهِ الامبراطور قائلاً اتنج اتنج فيعود فيقول لهُ ارسلهُ بالحروف العادية لا بالشفرة وليقل الناس مهما قالوا

الفصل الثالث

في ٣١ يوليو

في برلين في مكتب الامبراطور وهو مثل مكتبهِ في بوتسدام

ياور اول — قضي الامر وصار الرجوع مستحيلاً وسنذهب الى باريس هذه النوبة حالاً

ياور ثانٍ — الفضل لوليم الصغير فانهُ هو الذي مشَّى اباهُ فقد كان العجوز[2] عاقداً نيتهُ على حفظ السلم ولكن الجدع[3] والسمين[4] وابو سيقان[5] اقنعوهُ وظني ان الاثنين والاربعين[6] كان حجتهم الكبرى

الياور الاول — انا اجهل الامور المدفعية ولكن هل هذا المدفع هو غنز او كروب

الياور الثاني — من الاثنين ولكن الامر سرٌّ غامض فلا تذكر كلمة لاحد في هذا الموضوع فان المانيا مملوءة بجواسيس الانكليز . ومعلمة اولاد الجدع منهم وكل المعلمات في البيوت منهم والحكومة الانكليزية تدفع اليهم الرواتب ولذلك يخدموننا باجرة طفيفة وهنَّ مثل نساء الروس يضعنَ اصبعهنَّ في كل شيءٍ وكلهنَّ من الجواسيس بالطبع اما نساؤنا فلا يصلحنَ الأ للشغل والكسب

الياور الاول — اخرس

الياور الثاني — نعم نعم والمسألة دقيقة سامحني . نعم المسألة مهمة جدًّا

يدخل اتنج و يضع صندوق المراسلات على المكتب و يجرب الاقلام و يقول للياور لا داعي للانتظار لان جلالتهُ آخذ الآن في اعداد خطبتهِ (يقول ذلك بصوت فيهِ شيءٌ من التهكم) وسينطق بها من شرفة القصر بعد بضع دقائق

---

(١) اختصار لاسم وليم يستعمل بين اهل البيت الواحد للتحبب (٢) Der Alte كناية عن الامبراطور (٣) Der Kline كناية عن ولي العهد (٤) كناية عن ملتكي رئيس اركان الحرب (٥) كناية عن الاميرال ترپتز (٦) كناية عن المدفع الذي قطرهُ ٤٢ سنتيمترًا



امبراطور المانيا واركان دولتهِ الذين زجُّوا اوربا في هذه الحرب

مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٣٦

يخرج الياور ويفتح اتنج الشبابيك واذا اصوات جماهير كثيرة خارج القصر ثم يدخل الامبراطور و يقول متهللاً الحمد لله يا اتنج هذه امجد ساعة في حياتي فاني اسمع صوت شعبي كموج البحر صوت المحبة لامبراطورهم صوت الشعب صوت الله Vox populi vox Dei ما اصح هذا القول ثم تدخل الامبراطورة و يتعانقان هي والامبراطور وتقول لهُ « لا نقدر ان نتصور مقدار حماسة الشعب فان الساحات ملأى بهم والشوارع ملأى وكلهم حاسرون (كاشفون رؤوسهم) كأنهم في بيت الله

ثم يسمع صوت جرس التلفون فيأخذ اتنج السماعة و يضعها على اذنهِ و يقول لا حول ولا قوة

الامبراطور — ما الخبر

اتنج — دوذا السماعة يا مولاي

الامبراطور — مضى — منذ ساعتين — اين انت الآن — تعالى حالاً . ثم يضع السماعة و يشير الى اتنج فيخرج

الامبراطورة — ماذا قال

الامبراطور — ساخبرك بعدقليل . حفظتُ خطبتي وهي مختصرة جداً اسمعي . « وحانت الساعة قام الحسَّاد علينا من كل ناحية يضطروننا للدفاع عن انفسنا . وُضع السيف في يدنا رغماً عنا ولا نزال نبذل المساعي لحمل خصومنا على التعقل وحفظ السلم فاذا لم نفلح في ذلك فلا نغمد هذا السيف باذن الله الاَّ مشرَّفاً . الحرب تكلفنا الكثير من الرجال والاموال ولكننا سنري اعداءنا ما هو معنى التهجم على المانيا

« والآن استودعكم الله اذهبوا الى كنائسكم واركعوا امام العزَّة الالهية واطلبوا منها الغوث والنصر لجيشكم المظفر »

الامبراطورة — احسنت يا وليم احسنت

ثم يخرج الامبراطور والامبراطورة و يخطب الامبراطور في الجمع ويسمع صوتهُ من وقت الى آخر وهتاف الشعب لهُ . وبعد قليل يدخل وزير الامبراطورية بثمن هلفج و يدخل الامبراطور ايضاً وهو ممتقع فيصافحهُ و يقول لهُ فات الوقت وقضي الامر

الوزير — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — فات الوقت يا بثمن فانهُ لا حق للنمسا ان تسلّم الاَّ برضاي فات الوقت الآن فات الوقت . لعن الله تلك الساعة لم يبقَ في يدنا شيء . حقكم ان تكونوا في

البيمارستان كلكم . ولقد خدعني نقولا ونشرسكي[1] ورفاقهُ خدعوني كلهم وبرشتولد[2] حمار . مضى وقت التكلّم في الصلح الآن يا بتمن ألا ترى هذه الجموع المحتشدة اتظن اننا نستطيع ان نحجم بعد ان اقدمنا وتحدَّينا الدول كلها . يعلم الله انني بذلت جهدي في منع الحرب ولو قمت بما يجب عليَّ نحو بلادي والعالم لقتلت كل واحد من هؤلاء الحمقى اما الآن فقد فات الوقت وقضي الامر

ثم جلس ووضع كفهُ على عينيهِ وقال

كان السلم غرضي يا بتمن اما الآن فصار غرضي الحرب فقد طفح السرور على قلبي لما سمعت اصوات الهتاف تتصاعد وعلمت ان شعبي كلهُ يؤيدني . هذا صوت الشعب صوت الامة الالمانية لرئيسها وزعيمها . قضي الامر يا بتمن هذه مشيئة الله وهو يتكلم بلسان شعبهِ ولا بدَّ لي من الطاعة فكأني اسمع الحق سبحانهُ يقول اني قدَّرت للامة الالمانية ان تسود المسكونة وجنودها هم جنود شعب الله المختار ولا بدَّ لهم من ان يقهروا خصومهم و يضعوا المانيا في المقام الاول الذي تستحقهُ بين الامم . والآن يا بتمن امرت وآمرُ باعلان الحرب . اعطِ هؤلاء الروس الكلاب فرصة اثنتي عشرة ساعة ليصرفوا جيوشهم ولا بدَّ لهم من خطة من اثنتين اما صرف جيوشهم واما الحرب . واستدعِ بورتالس[3] ولا تضيع دقيقة واجمع المجلس واخبر ترتز وملتكي ونادِ بالنفير العام . اللهمَّ عفوك لماذا ترددتُ في الامر وانت الآمر بهذا . اني اشعر بصداع شديد يا بتمن ولا بدَّ لي من الخروج

ثم خرج ودخل بعدهُ بلين والاستاذ وقال بلين ان جلالتهُ استدعانا والظاهر انهُ نسي

الوزير — لم ارهُ قط مضطرباً كما هو مضطرب الآن وقد اعلن الحرب

بلين — اللهمَّ نجنا برحمتك انحارب فرنسا وانكلترا وروسيا ومن المحتمل ان نضطر لمحاربة ايطاليا واليابان ايضاً هذا هو الجنون المطبق بعينهِ

الوزير — اخشى ان يكون الامر كما قلت

بلين — ألا يمكن تلافي الخطر

الوزير — جلالتهُ لا يصغي الى احد وقد اتيت لاخبرهُ عن انكلترا فلم يرد ان يسمع

الاستاذ — لا يعقل ان انكلترا تنضم الى اعدائنا

الوزير — ستنضم اليهم حتماً

(١) سفير النمسا في برلين (٢) وزير خارجية النمسا والمجر (٣) سفير المانيا في روسيا

الاستاذ — انكلترا لا تفعل الاَّ ما فيهِ مصلحة لها فلا تحاربنا الاَّ اذا فعلنا شيئاً يضر بسيادتها البحرية او الاستعمارية ومن اكبر الخطإ ان نمسَّ البلجيك لان لاستقلال البلجيك علاقة لا تنفك بسياسة انكلترا ومصالحها

الوزير — ولكن وصولنا الى فرنسا متعذر الاَّ من طريق البلجيك

الاستاذ — اذن يجب ان نعدَّ انكلترا بين الذين يحاربوننا

بلين — هذا هو الانتحار بعينهِ

الوزير — ولكن قضي الامر كما قال جلالتهُ

الاستاذ — ومَن يعلم متى تكون النهاية

وخرج الوزير حينئذٍ والتفت بلين الى الاستاذ وقال لهُ هذا هو الجنون يا استاذ

الاستاذ — يا حبيبي انا وانت نعرف ذلك ولكننا لا نستطيع ان نصلح العالم ولا الملوك والزعماء قادرون ان يديروا حركتهُ وكما تكونوا يولى عليكم

بلين — ولكن قواد الجيش ما ضربتهم

الاستاذ — لعلهم ليسوا اعقل من غيرهم!

بلين — اواه عليكِ يا المانيا مضى يوم النعيم وجاء يوم البؤس وقد لا نرى النعيم مرة اخرى بعدما تغلَّب الجنون على العقل

الاستاذ — ولكن الجنون فنون ومنهُ نوع يخلب الالباب

بلين — لعلهُ الصرع

الاستاذ — نعم الصرع منها واظن ان نتشه كان من المصابين بهِ

بلين — لقد كان من المتحمسين المتطرفين المتهورين

الاستاذ — وهذا التحمس يستغوي العقول ويستهويها ولقد كان ذووهُ يُعبَدون في الزمن السالف

بلين — ومنهُ ما حدث عصر هذا النهار

الاستاذ — نعم هو منهُ

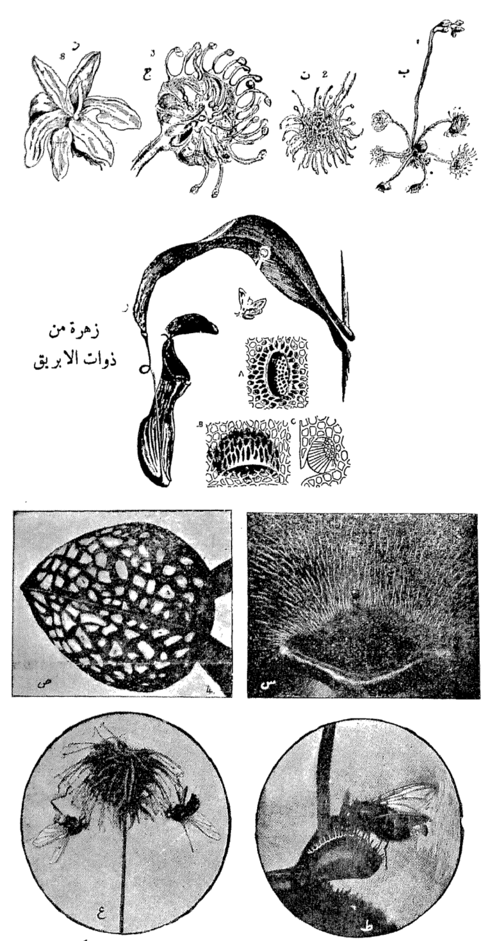
بلين — (يقدم سيكاراً الى الاستاذ ويقول) واحسرتاهُ هذا السيكار مما جلبتهُ لجلالتهِ آخر مرة من اميركا وقد لا استطيع جلب غيرهِ قبل زمن طويل انتهى

غرائب النبات

(٢)

كان يظنّ فيما مضى ان للحيوان وحدهُ قوة الحركة الاختيارية او الاختيارية ظاهراً ولكن انفسح الآن ان بعض اصناف النبات لهُ تلك الحركة بل انها من خصائص البروتوبلازم الحي نباتيًّا كان او حيوانيًّا . وكان يقال ان الحيوان يأخذ الاكسجين في زفيره ويرد الحامض الكربونيك في شهيقهِ وان تنفّس النبات على ضد ذلك . ولكن علماء فسيولوجيا النبات يقولون الآن ان تنفس النبات الحقيقي مثل تنفّس الحيوان . وكان الرأي السائد قبلاً ان الحيوان لا يصنع النشا في جسمهِ مطلقًا بل ان النباتات وحدها تصنعهُ في ادوار معلومة من ادوار وجودها . ولكننا نعلم الآن ان النباتات الفطرية الدنيا لا تصنع النشا وانهُ موجود في غلف بعض اصناف الحيوانات الدنيا . وكانت آخر حجة للذين يقولون بوجود فروق جوهرية بين الحيوان والنبات ان طعام الحيوان آلي فقط وطعام النبات غير آلي ولكن المباحث الحديثة ابطلت هذه الحجة الاخيرة فان النباتات الحَلَمية تغتذي طعامًا آليًّا مثلاً تجدهُ في ابدان النباتات التي تعلق بها وتتطفل على موائدها

وهذه النباتات الحلَمية منها ما يمتص غذاءهُ بواسطة اعضاء تشبه الجذور . ومنها ما يمتصهُ بواسطة خيوط جذرية كما يشاهد في الاصناف الفطرية . على ان هناك نباتات تمتص غذاءها بجهازات خاصة بها توجد في اوراقها . وكان يظنّ قبل هذا الاكتشاف الذي اكتشف منذ نحو اربعين سنة ان اوراق النباتات لا تستطيع امتصاص الماء النقيّ سائلاً كان ام غازاً الاَّ في حالات شاذة جدًّا وقد عرفوا حتى الآن نحو ١٣ جنساً من هذه الرتبة وصفها داروِن وصفاً دقيقاً . وسميت هذه الرتبة بالآكلة اللحوم ومنها الجنس المسمَّى دروسرا او ندى الشمس وهي اعشاب تنبت في الاماكن الرطبة الاشنية اوراقها حمراء مرتبة على هيئة وردة وازهارها بيضاء اما الاوراق فغديدية تظهر انها مندّاة حتى في احرّ ايام الصيف . واما الازهار فلا تفتح الاَّ في نور الشمس . ومن اشهر انواع هذا الجنس النوع المسمَّى « روتنديفوليا » قال الدكتور بوست في كتابهِ « نبات سورية وفلسطين والقطر المصري » انهُ رآهُ في فصل الصيف عند عين السواعير في بكفيا (حرف ب) . وترى ورقتهُ مكبرة (حرف ت) . واذا دققت النظر فيها يخيّل انهُ ندى على غدد الورق رأيت انهُ ليس نقط ندى بل سائل لزج والنقط متصل بعضها ببعض بمثل خيوط فاذا وقعت حشرات



مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٤٠

صغيرة عليها التصقت بها ثم التفت اطراف الغدد عليها كما ترى عند حرف (ج) وفيهِ صورة ورقة انحنت غددها على حشرة فاعتقلتها

واذا أُخذت نبتة من هذا النوع وزرعت في رمل كثير الرطوبة ثم وضعت على ورقة من اوراقها حشرة صغيرة او دويبة انحنت الغدد عليها مبتدئة بالاقرب فالاقرب ولا يمضي الاَّ القليل حتى تنحني عليها كلها فتبيت الحشرة في سجن لا مهرب لها منهُ . وقبل انحناء الغدد عليها تنقطع عن الحركة بسبب المادة اللزجة . فحركة الغدد ليست ناشئة عن حركة ميكانيكية يحدثها تخبط الحشرة بدليل ان الغدد الخارجية لا تشرع في الانحناء عليها حتى تفقد كل حركة . كذلك اذا وضع في وسط الورقة شيء متحرك سواء كان دويبة او غيرها فعلت الغدد بهِ فعلها بالدويبة . اما اذا وضع على غدة من الغدد المتطرفة فان هذه الغدة وحدها تنحني اولاً نحو وسط الورقة ثم تتبعها الغدد الاخرى والغدد هي التي تفرز المادة اللزجة دون غيرها . واذا كانت الورقة سليمة فان خلايا الساق التي تقوم عليها تكون ممتلئة سائلاً ارجوانيَّ اللون متجانساً ولكن اذا هيجت الغدد بمسّها مراراً متكررة او باحتكاك مادة آلية بها طرأ على الخلايا انقلاب عظيم اذ تتجمع المادة الملونة على اشكال مختلفة وتعوم في سائل لا لون لهُ فضلاً عن ان الاشكال الملونة لا تستقر على حال بل تكون دائمة التغير فتنفصل او تتصل وهي تتحرك حركات شبيهة بحركات الاميبا او كريات الدم البيضاء

ومن غريب ما يذكر عن حركة هذه الغدد انهُ اذا كانت المادة الموضوعة عليها غير آلية انحرفت بعض الانحراف ثم عادت الى وضعها الاول وليس الامر كذلك اذا كانت المادة آلية ولا سيما اذا كانت حشرة حية صغيرة فان اطراف الغدد تنحني عليها ولا تتركها حتى تمتصها كلها او بعضها . واغرب من ذلك ما يبدو من ورق هذا النبات اذا مسّتهُ السوائل . فان الماء المقطر لا يحرّك منهُ ساكناً وهذا ما ينتظر . ولكن السوائل الآلية غير النتروجينية لا تؤثر فيهِ اقل تأثير ايضاً . فاذا رشّ عليهِ ماء اذيب فيهِ صمغ عربي او سكر او نشا او رش عليهِ كحول ممزوج بماء او زيت او شاي لم تبدِ الغدد حراكاً . اما اذا رش عليهِ شيء من المواد النتروجينية كاللبن والزلال ومرق اللحم والمخاط والبصاق والغراء فان غددهُ تتحرك حركتها المعهودة حتى ان اوراق الدروسرا تستعمل كمحكّ للسوائل فيعرف هل تحتوي نتروجيناً ام لا . وهي محكّ دقيق لذلك لا يفوقهُ السبكترسكوب . وقد ظهر من التجارب المختلفة انهُ اذا امتصت غدة جزءاً واحداً من ١٤٤٠٠ جزء من قمحة من كربونات الامونيا (٠,٠٠٤٤٥ الميليجرام) فان هذا القدر الصغير كافٍ لانحراف جذع الغدة ولو قليلاً .

واذا غمست الغدة في محلول يحتوي على جزء واحد من ٨٠٠ ٢٦٨ من القمحة (٠٠٠٢٤، ٠ ميليجرام) بضع ساعات ظهر فيها ذلك التأثير عينهُ ٠ واذا فصلت الاوراق عن النبات بقيت فيها هذه القوة ساعات بل اياماً مما يدل على انها تتناول الغذاء مما حولها مستقلة عن الجذور

وربّ قائل يقول ان ذلك كلهُ لا يفيد ان النبات المذكور آنفاً يهضم الطعام الحيواني الذي يقتنصهُ وان جميع تلك الحركات التي يأتيها انما يقصد بها تسهيل انحلال الهوام وغيرها من المواد الآلية التي يقنصها وان المادة المغذية الناتجة عن انحلالها تسقط الى الارض فتتخلل التربة ويغتذي بها النبات بواسطة جذورهِ كما هو المعتاد ٠ ولكن دارون اثبت بالتجربة والبرهان ان حركات اوراق النباتات هي عمل هضمي حقيقي وان الاوراق تحتوي في اثناء الهضم على حامض لا يكاد يظهر فيها قبلهُ وعلى مادة تشبه البيسين (المادة الهاضمة في العصارة المعدية) وظيفتها تخمير الطعام ٠ وهذه المادة كالحامض لا تفرزها الغدد الا اذا هيجت بمادة نتروجينية قابلة للهضم ٠ وجاءت تجارب علماء آخرين مؤيدة لتجارب دارون في هذا الشأن بل ان بعضهم اثبت بسلسلة امتحانات اتاها ان هذه النباتات تستطيع ان تعيش بواسطة اوراقها من غير ان تستعين بجذورها وان الاوراق اقدر على امتصاص الغذاء من الجذور

ومن الاجناس الآكلة اللحوم الجنس المسمَّى بنغويكولا اشهرهُ النوع المسمَّى فلجارس وهو ينبت في مستنقعات البلاد الباردة وآجامها وقد عربهُ بعضهم بحشيشة الدهن وبقلة الكرم (حرف د) ٠ ووجه اوراقهِ مملوء غدداً تفرز مادة لزجة لا حامض فيها ولا تتحرك اذا هيجت وكل ما لها من الحركة انكفاف حواشيها انكفافاً بطيئاً على ما يعلق بها من الهوام ثم لا تلبث ان تعود الى شكلها الاول ٠ وقد دلت تجارب دارون فيها على ان الاشياء التي لا تحتوي على مادة قابلة للذوبان صالحة للتغذية والهضم لاتهيج الغدد فلا تفرز شيئاً ٠ اما السوائل النتروجينية الكثيفة فتجعلها تفرز مادة لزجة غير حامضة ٠ واما المواد النتروجينية الجامدة او السائلة غير الكثيفة فتجعلها تفرز مادة لزجة غزيرة حامضة ٠ وهذا الافراز يحل الاجزاء اللينة من ابدان الهوام ويحل كل لحم وزلال ومادة جلاتينية او جبنية ويهضمها فتمتصها الغدد ويتحول لونها من اخضر الى اسمر ٠ ولهذا النوع من النبات ازهار زرقاء غامقة وهو ينبت في البلاد الجبلية على مجاري الماء فلا يكاد الصيف ينتصف حتى تذبل ازهارهُ وتسقط

وهناك اجناس اخرى تصيد الهوام والحشرات حتى الدود اشهرها نباتات تكثر في جزر الهند الشرقية وجزر استراليا وقلما تكون في غيرها وتحفظ في البلاد الباردة بالحرارة تحت الزجاج تسمَّى بالانكليزية Pitcher-plants اي النباتات ذوات الاباريق ٠(حرف ر)

والابريق فيها مؤلف من جزء من ساق الورقة وجزء منها هي نفسها وفي قعره سائل عمقهُ بوصة او اكثر · وكان يظن فيما مضى ان هذا السائل ماء صرف يصلح للشرب ولكن ظهر من تحليلهِ انهُ يحتوي على كثير من الاملاح المعدنية · والغالب ان يكون فيهِ جثث كثير من الذباب وسائر الحشرات يغرّها بصيص ماء الابريق فتدخلهُ لتبقى وتموت فيهِ لانها اذا حاولت الخروج منعها من ذلك حاجز مكفوف الى داخل الابريق وعلى حافاتهِ شعر محدد الرؤوس (حرف س) · وقد ظهر من تحليل السائل انهُ حامض يعجل انحلال الجثث وهضمها · وغريب فيهِ انهُ اذا صبّ من ابريقهِ في كأس من الزجاج بطلت قوتهُ الهاضمة مع بقائهِ حامض المذاق · وقد استدل دارون من ذلك على ان المادة الفعالة التي تهضم الطعام فيهِ هي خميرة من نوع الببسين تُفرَز في خلال امتصاص مادة نتروجينية فقط

ولو اعتذر معتذر عن هذه النباتات على افتراسها للهوام والحشرات بانها تطلب صيداً تقتات بهِ كسائر من في الوجود فما عذرها في تعذيب فرائسها قبل القضاء عليها ان كانت اعصاب الحشرات تشعر بالالم · فان الحشرة قلما تُقتَل حالما تُمسَك · ففي النوع المسمّى درلنتونيا وهو من الجنس الابريقي يزين للذباب وغيرهِ من الحشرات ذوات الاجنحة دخول الابريق شهد مقطّر من جوانبهِ في الداخل فتدخلهُ من مثل سرداب في راس الابريق (حرف ص) لهُ فتحة من اسفل · واعلى السرداب مملوء بقعاً شفافة كالشبابيك · فاذا ارادت الذبابة التي دخلت ان تخرج طارت صعداً نحو النور المنبثق من تلك الشبابيك الكاذبة · اما الفتحة الحقيقية فمخبوءة في ظلّ الجزء الاسفل من السرداب فلا يراها الذباب · فتنطح الذبابة جوانب السرداب وتضرب نفسها عليها مرة بعد اخرى حتى تسقط معيية في السائل الذي يملأ قعر الابريق فتموت غرقاً · وقد يدوم تخبطها بضع ساعات

وكثيراً ما يموت الذباب معذباً شر عذاب في النبتة المسماة مصيدة الزهرة ترى في الرسم (حرف ط) ذبابة زرقاء كبيرة واكبر من ان تحتويها الورقة علقت بارجلها وحاولت التملص فلم تستطعهُ لشدة لزوجة السائل · ثم ان هناك شعرات متينة اذا مست جعلت الورقة تطبق على الفريسة · ولو كانت الذبابة التي في هذا الرسم اصغر مما هي لاطبقت عليها ولكن كبرها منعها من ذلك فعهدت الورقة الى سيّالها اللزج في اتمام ما عجزت هي عنهُ فكان بهِ القضاء على الذبابة

وافظع من ذلك ما يفعل سبط من اسباط الرتبة الوردية قريب من العليق (حرف ع) فان لاثمارهِ صنّارات تمسك ارجل الذباب الذي يسوقهُ جدهُ العاثر الى الوقوف عليها فيموت اشنع الميتات · وافظع ما في الافظع ان هذه النباتات تفتك بالذباب لا لدفع مغرم ولا لجر

مغنم بل لمجرد اللهو والتسلية كما كان نيرون يتسلى « بحرائق » رومية

وكثير من النبات يبدي مزيد القسوة في توزيع بزوره . مثال ذلك نبتة معروفة باسم مرتينيا تنبت في اميركا الجنوبية فان غلاف البزور فيها مسلح بصنارات متينة قد يبلغ طول الواحدة منها ٦ بوصات فاذا علقت بجسم حيوان غرزت في لحمهِ . و يقال انها كثيراً ما تصيب الثيران فتؤلمها الى حدّ يحملها على الفرار على وجهها لا تلوي على شيء . وقد يستغرق شفاء الجراح الحادثة من هذه الصنارات ثلاثة اسابيع . اما فائدة هذا النبات من مصيبة الحيوانات التي تعلق اثمارهُ بها فهي توزيع بزورهِ هنا وهناك ولكن ذلك لا يتمّ الاَّ على ما رأيت من التهجم والقسوة

ولا ينكر على النباتات دفاعها عن نفسها من الحيوانات التي تهاجمها ولكن دفاعها هذا كثيراً ما يكون مشوبًا بالعدوان وحب الانتقام كالقراص مثلاً . وصف السر جوزف هوكر صنفاً منهُ رآهُ في احد اسفارهِ الى جبال حملايا قال : « يسمي الهنود هذا النبات ميالمًا . وقد يبلغ علوهُ ١٥ قدمًا ولهُ اوراق لماعة لا اثر للخمات اللذاعة فيها ولكن الهنود يخافون شرَّهُ حتى اني طلبت ممن كان معي منهم ان يقطعوا بعضهُ فلم يلبوا الطلب الاَّ بعد الالحاح الكثير » ولا عجب لانهُ اذا لمست يد انسان ما تلك الشعيرات المكرسكوبية المتصلة بالاوراق نالهُ من لمسها المٌ لا يوصف . و يكون في بادئ الامر خفيفًا ولكن لا يلبث ان يشتدَّ بعد بضع ساعات حتى كأنهُ لذع النار . ثم تطرأ على جسم المقروص في غير مكان الاصابة اعراض كاعراض التتانوس مثل انقباض عضلات الفك وغيرهِ من الاعراض . واتفق مرة ان دام الالم في احد المصابين تسعة ايام

و يبالغ النبات في الدفاع عن نفسهِ حتى جعل من ذلك الدفاع حرفة لهُ لا يقصد منها صدّ مهاجميهِ قدر ما يقصد الاثخان فيهم واذاقتهم الوان العذاب كالصبير (التين بشوكه) فان ما في الصنف العادي منهُ من الاشواك كافٍ لدفع عداء بعض الحيوان لهُ ولكن لبعض اصنافهِ الاخرى اشواكاً تغرز في ابدان الحيوانات التي تهاجمهُ ولا تقتلع منها الاَّ بعد ما تسام مرّ العذاب . ثم اذا انتزعت بقيت خلفها جراح لا تندمل بسهولة

هذا قليل من كثير مما يدلّ على ان بعض انواع النبات قاسٍ لا يرحم في معاملتهِ للحيوان المعتدي عليهِ . نعم انهُ يدافع عن نفسهِ فلا يصح تعييرهُ بما عير الشاعر الفرنسوي زميلهُ الحيوان حيث قال ما ترجمتهُ « هذا الحيوان لئيم جدًّا لانهُ يدافع عن نفسهِ من مهاجميهِ » ولكنهُ في غنى عن التذرع بالقسوة والشدة في الدفاع عن نفسهِ بدليل النباتات الكثيرة التي تردّ عنها غارات اعدائها من غير ان تلجأ الى امثال هذه الوسائل العدائية

بغض الالمان لإنكلترا

سببهُ ومعناهُ

انشأ الدكتور آرثر شدويل الكاتب الانكليزي المشهور مقالة بهذا العنوان نشرتها مجلة القرن التاسع عشر . قال :

ليس بين ما أثارتهُ هذه الحرب من الشهوات ما هو اعظم ظهوراً من البغض الشديد الذي تبديهِ الامة الالمانية لانكلترا في القول والفعل . فهذا البغض هو الشهوة البيّنة الأثر في مزدحم الشهوات الجمة المتلاطمة تلاطم الامواج في البحر العجاج . وقد أخذ بهِ الجمهور الانكليزي على غرة فلذلك نراهم اميل الى رمقهِ بعين المستهزئ المتعجب منهم الى رمقهِ بعين الجادّ المعتبر والى تعليلهِ بانهُ « ألمٌ في الطبع » . وقد نعتهُ كثير من الكتّاب بالمستيريـ وصرفوا النظر عنهُ بابتسامة في طيّها ما شئْت من تسامح وتعالٍ وترفّع . وهذا خطأ كبير جدًّا . فان لفظة « هستيري » التي يكثر الكتاب من الالتجاء اليها وزجها في كل معرض من معارض القول كثيراً ما وضعت في غير موضعها ولا سيما في الحالة التي نحن بصدد الكلام عليها . فالهستيريا ان كانت في البدن فهي مرض وهميّ وان كانت في العقل فهي شهوة وهمية وكلاهما متقلّب لا يستقرُّ على حال من القلق . فاذا استعملت هذا الاستعمال فلا بأس بها لانها كلمة مفيدة ذات معنى محدود ولكن سوء استعمالها جرّدها من معناها الاول

بالامس ظهرت مقالة عن الحرب في مجلة اسبوعية ذات منزلة كبيرة وقد استعملت فيها لفظة هستيريا وهستيري نحو اربعين مرة ولم يستعملها كاتبها مرة واحدة في معناها الاصلي بل لجأ اليها كلّ مرة حيث اراد المهانة والاحتقار . ولكن استعمالنا اياها في وصف البغض الالماني ونحن نريد انهُ بغض كاذب لا حقيقة لهُ يوقعنا في وهم فاضح . فان الالمان قوم شديدو الانفعال عرضة للانتقال من النقيض الى النقيض ولكنهم لا يفعلون ذلك اعتباطاً ولا لجأة ولا لسبب واهٍ . وشهواتهم قوية وحقيقية وشهوة الغضب هذه فيهم اعظم شهوة بدت منهم كأمّة . وقد رأينا بعض صحفهم يميل الى ذمها ولكن ذلك لا يدلّ على تفاقمها فيهم وخفة حدتها . فيجدر بنا لذلك ان نحاول درسها وتفهمها لا ان نحتقرها ونهزأ بها اذ ليست مما يصح الاستهزاء بهِ في حال من الاحوال . فهي اذا كانت باقية غير زائلة — وهو ما ترجحهُ الظواهر الآن — فلسوف تكون مصدر شرّ مستطير وخيم العقبى جيلاً فجيلاً تمسي عندها امنية السلام الدائم التي يمني الناس انفسهم بها ضغثاً من الاحلام وتحلّ محلها حروب لا آخر لها .

ولست اعلم هل يمكن الخلاص من تلك النتائج بحال من الاحوال اذ يستحيل الآن ان نرى كيف ان الاحقاد الجنسية والحزازات الوطنية التي اثارتها الحرب يمكن ازالتها او الجمع بينها. وهذه الحرب حرب امم وشعوب لا حرب حكام ولا حرب ساسة ولا حرب قواد

فالمسألة تقتضي درساً كثيراً . واول الخطوات في سبيل درسها ان نفصّل ذلك البغض وندرك ماهيتهُ تمام الادراك . وقد يظهر لاول وهلة ان ذلك لا حاجة اليهِ ولكن الباحث فيما كتب الكتاب حتى كبار المفكرين في هذا الموضوع يرى هناك ابهاماً كثيراً وغموضاً لا طائل تحتهُ . وهذا الغموض عائد الى سببين الواحد ان لفظة البغض استعملت لمدلولات شتَّى . والثاني ان شهوة البغض على كونها من اعظم الشهوات المتسلطة على الناس اهملها الفلاسفة وعلماء الاخلاق ولم يعيروها جانب اهتمامهم . وربما كان القديس توما اكيناس هو الكاتب الوحيد الذي اطال البحث فيها على ما اعلم . وقد ذكرها الفيلسوف لوك عرضاً واكتفى بتعريفها تعريفاً أبتر بقولهِ انها العلم بالألم الحاصل فينا من شيء من الاشياء

والبغض الحقيقي لا يقتصر على ارادة اجتناب الشيء بل يتناول ارادة الاضرار بهِ وابادتهِ . وكلُّ شهوة تميل بالمرء الى القتل او حب الابادة تنشأ عن فكرة التضرُّر واساسها غريزة المحافظة على النفس التي تعدُّ من صفات الحياة الجوهرية . فان الحيَّ اذا هوجم حاول ايذاء مهاجمهِ جهد طاقتهِ او ابادتهُ اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . والبغض والحرب من صفات الانسان الخاصة مهما قيل عن وجودهما في سائر الحيوان . والضرر الذي يسبب البغض ثلاثة انواع (١) ضرر واقع . و (٢) ضرر متوقع . و (٣) ضرر متوهَّم . فان كان الضرر متوقعاً او متوهَّماً لا غير فالبغض الذي يجرُّهُ زائل غير دائم وقد يكون في حال وجودهِ حقيقيًّا شديداً . والبغض الناشيء عن الضرر الواقع مصحوب بفكرة الانتقام . والناشيء عن الضرر المتوقع بفكرة الخوف . واجتماع الضرر الواقع والضرر المتوقع اعظم دواعي البغض . وقد يشبه الضرر المتوهم احدهما او كليهما معاً ولكن شبهاً وقتيًّا

وسواء كان الضرر واقعاً او متوقعاً او متوهَّماً فهو اما ان يكون حسّيًّا او معنويًّا او كليهما معاً . والضرر الحسّي او المادي اعم ولكن الضرر المعنوي كالاهانة والاذلال وايذاء الشرف قد يكون اشدَّ وقعاً بكثير . واذا اجتمعا كان فعلها عظيماً فترى من ذلك ان اجتماع الضرر الحسي والمعنوي واقعين ومتوقعين هو اعظم اسباب البغض بوجهٍ عامّ . ثم ان شدة الشعور بالبغض تتوقف على درجة الضرر وعلى طبع المضرور وهما مختلفان كلَّ الاختلاف . وليس من الضروري ان يكون الاذى الذي ينال المؤذى واقعاً على شخصهِ بل

ان الاذى الذي ينال احداً من اعزائهِ وذوي قرباهُ كثيراً ما يشعر بهِ اكثر من شعورهِ بالضرر الذي يقع عليهِ ويثير ثائرة بغضهِ الى حدٍّ لا يبلغهُ الثاني. فالام تستنكر التعرض لاولادها بسوءٍ والاضرار بهم اكثر من استنكارها لسوءٍ وضرٍّ ينالان شخصها. والرجل يستفظع كلَّ اهانة تلحق بامرأتهِ وبناتهِ واخواتهِ اكثر من الاهانة التي تلحق بهِ. لذلك ترى الحاكم تجيز لمن تقع بهِ اهانة ان يؤدب من يهينهُ بنفسهِ ويسمَّى ذلك في اميركا «بالشريعة غير المكتوبة»

وكثيراً ما يكون الاذى المسبب للبغض غير مقصود اي ان فاعل الاذى قد يكون مدفوعاً اليهِ بغير ارادتهِ ولكن مجرد وجودهِ يحسب ضرراً ويفضي الى بذل الوسائل للتخلص منهُ. على ان الضرر غير المقصود ليس سبباً مشروعاً للبغض فلا يتذرع بهِ الاَّ اللئيم

***

هذا كلام عامٌ في البغض يصحّ اطلاقهُ على الفرد والجماعة معاً وبغض المانيا لانكلترا من الشكل الثاني اي بغض الجماعة وبعبارة اخرى هو شهوة وطنية تجول في صدور طوائف الامة كلها بل في صدر كل عضو من اعضائها تقريباً على ما يلوح لنا. وبغض اجماعيٌّ مثل هذا لا يكاد يكون لهُ وجود الاَّ ويشعر صاحبهُ باذى حقيقي اصابهُ ولكنهُ اكثر توقفاً على الاذى الموهوم من البغض الفردي. اذا اجتمع رجلان تدبُّ في صدريهما عاطفة واحدة وجعلا يتعاتبان فان نتيجة ذلك العتاب تضاعف تلك العاطفة وزيادتها شدة. اي ان الصفة تتغير بتغيُّر الكمية. واذا انتقلنا الى الجماعات وجدنا ان عواطفهم على اختلافها تشتدُّ اشتداداً لا حدَّ لهُ بالعدوى. وهذا ما كان يحدث في المانيا حيث القوم عرضة بوجه خاصٍّ لما نسميهِ «الاستهواء الجمهوري»

ليس البغض الالماني لانكلترا بالحديث العهد ولا هو بالمفاجيء بل قد مرَّت عليهِ سنون كثيرة وهو في تقدم ونموّ. وقد ارجعهُ اسقف برمنهام الى ايام حرب فرنسا والمانيا. وانا اوافقهُ اجمالاً وان يكن اختباري الشخصي لتلك المدة مخالفاً لاختبارهِ. فقد قال انهُ لما نشبت الحرب بين الامتين تردد الرأي العام الالماني اولاً فيما يكون من سلوك انكلترا ولكنهُ استقرَّ بعد ذلك على قرار ثابت فناصب انكلترا العداء اذ علم انها ستلازم الحياد وان الصبية الانكليز في بعض المدن والقرى يتظاهرون بولاء فرنسا وعداء المانيا. اما انا فكنت في ذلك العهد في المانيا فلم ارَ فيها اثر عداء لانكلترا. نعم ان اهل الجنوب في المانيا لم يكونوا يريدون الحرب حسبان ان بروسيا هي المتسببة بها ولكنني قصدت فيِنا بعد سويسرا واقمت برهة في

فندق ببلدة دافوس وكان الفندق يعجّ بالالمان من بروسيا وغيرها فالفيتهم على غاية الولاء والمسالمة لي ولغيري من الانكليز النازلين معي في الفندق في حين ان ضلعنا كان مع فرنسا ولعل اعظم سبب في ذلك كونها كانت مغلوبة . ثم عدت الى المانيا وكان مسيري اليها من بحيرة كونستانس فلم القَ اثراً للعداوة حتى بلوغي بلدة اكس لا انا ولا غيري

لكن المانيا اليوم غير المانيا حينئذٍ فقد تغيرت كثيراً وكان تغيرها بطيئاً تدريجيًا . ففي السنة التالية لتلك الحرب عدت فسافرت من اكس الى باسل فرأيت من صلف الضباط ما لا يصدّق فانهم كانوا يحسبون سائر الخلق حشرات وهوام وتوالت زياراتي لالمانيا واسفاري فيها بعد ذلك فألفيت الصلف العسكري قد خفّ ولكن بعدما اعدي سائر الامة . وهو مشاهد في المان المانيا نفسها وفي الالمان المقيمين خارجها وربما كان في الثانين اشدّ منهُ في الاولين . ويعبّر الالمان عن هذا السلوك بلفظة عامية هي « شنيدج » ومعناها الاصلي الحدة والوضعي الزهو والادلال اي ان تدعي العظمة وتستأثر بها وتنظر الى سائر الخلق نظر السيد الى العبد او العالي الى مَن هو اسفل منهُ . قال كاتب الماني : « ان كل الماني يسلك مسلك الزهو والإدلال « شنيدج » في بلد غريب ينفّر القلوب من المانيا بما لا يصلحهُ مئة رجل صالح فيها » . على ان هذا الوصف يعدّ مدحًا على الغالب وما من احد الاَّ ويحبّ ان يوصف بهِ . وغنيٌّ عن البيان ان الالمان يسلكون هذا السلوك بازاء سائر الامم لا بازاء الانكليز وحدهم . وهو تربة صالحة لنمو بذور البغض وزكاء زرعهِ بعد ما بذرت تلك البذور سنة ١٨٧ اي يوم نهجت انكلترا منهجها المعروف في حرب بروسيا وفرنسا فاثار ذلك حقد الدوائر السياسية والعسكرية عليها

وازداد ذلك الحقد شدة سنة ١٨٧٥ يوم قاومت انكلترا سعي المانيا في محاربة فرنسا ثانية والقضاء عليها قضاء مبرماً . ولكن ذلك لا تصح تسميتهُ عداء قوميًّا اجماعيًّا فان العداء القومي الاجماعي بدا في ثورة الخواطر الشديدة التي ثارت في المانيا على انكلترا سنة ١٨٨٧ و١٨٨٨ ايام مرض الامبراطور فردريك الثالث والد الامبراطور الحالي . وكنت حينئذٍ مقيماً بالمانيا فشاهدت تلك الحركة من اولها . وهي قسمان سياسي وعلمي . والعلمي منها هو الاهم لانهُ مبدأ تلك الروح التي دبت في صدور علماء المانيا فصيرتهم اكثر الناس عداوة لانكلترا واشدهم بغضاً لها . وعداوتهم تفوق عداوة غيرهم بمراحل في مرارتها . وكان غرض عداوتهم الاخص السر موريل مكنزي الجراح الانكليزي الشهير الذي دعي لمعالجة الامبراطور وهو ولي العهد وبقي مستشارهُ الطبي الاكبر حتى موتهِ . وكان زعيم هذه الحركة

الجراح فون برجمان فانهُ استنكر وجود غريب في البلاط الالماني ولكن مصالحهُ الشخصية كانت مطابقة لاغراض بسمرك السياسية ولاسيما ان هذا كان يدير حملة على زوجة ولي العهد (ام الامبراطور الحالي وابنة الملكة فكتوريا) بدعوى انها انكليزية ونافخة روح الاميال الحرة في ولي العهد او مؤيدتها . وكان بسمرك قد استمال اليهِ الصحف والبلاط والحزب المحافظ والامبراطور الحالي وكان الحزب الحرّ يقاومهم . فاحتدم القتال بالكلام حول سرير ولي العهد العليل وقلق خواطر الامة يزداد كل يوم . ودام النضال بعد ان ذهب الداء بهِ . ذلك ان نشرة رسمية نشرت متضمنة لتفصيل مرضهِ وموتهِ ولم تكن في واقع الامر سوى طعن في طبيبهِ الانكليزي . وكاتبو تلك النشرة هم الاطباء الالمان الذين صرفوا من خدمة ولي العهد في مرضهِ او كانت علاقتهم بمداواتهِ قليلة . ولا يعقل ان تكون قد نشرت بلا موافقة الامبراطور الحالي . وقد كان ما فيها من القذف شديداً الى حدّ ان حظر نشرها في انكلترا فلم يطلع اطباؤُها على واقعة الحال كما هي

لهذه الحادثة اهمية تاريخية عظيمة لانها مبتدأ مرحلة واضحة الحدود في عداء الالمان لانكلترا وخصوصاً اهل العلم منهم . وقد نالني انا نصيب من هذا العداء لا لسبب سوى كره القوم لكل شيء انكليزي . وكانت تعاليم ترتشكي قد عززت في الامة قوة معرفة نفسها وزادها عزةً توحدُّ كلمتها وباتت انكلترا الهدف الاكبر لذلك الشعور المتزايد . وليست بنا حاجة الى ذكر الحوادث السياسية المختلفة التي حدثت في عهد الامبراطور الحالي وكان لها اعظم مساس بهذا الموضوع فاكتفي بذكر هذه الحادثة الطفيفة التي وقعت بمشهد مني : من اول الاوامر العسكرية التي اصدرها الامبراطور الحالي بعد ارتقائهِ الى السرير امر ينهى الضباط عن لبس الاحذية « ذات الكعب الانكليزي القبيح » . وكان الرجال في المانيا لا يزالون يلبسون حينئذٍ احذية ذات كعب عالٍ ولكن ظهر في دوائر المتأنقين في اللباس ميل الى اقتباس بعض ازياء الرجال من انكلترا ومنها الكعب الواطئ للاحذية . فحال الامر الامبراطوري المذكور دون ذلك الاقتباس . هذه الحادثة تافهة في حد نفسها لا يكاد احد يذكرها ولكنها بدء عصر جديد عصر ترويج كلّ شيءٍ الماني كبيراً كان او صغيراً

على ان تسلط الروح الالماني على الدوائر السياسية والعلمية اقترن من هذا العهد لمصاعداً بشكل آخر من اشكال التبسُّط الوطني فعل ما لم يفعلهُ شيء غيرهُ في تكوين طبع الامة الحالي . أُريد بهِ تقدم التجارة والصناعة مما صيرها ذات ثروة ويسار وعالها على ازدياد عددها ازدياداً كثيراً وارتفاع نفقات المعيشة . وهذا التقدم حديث العهد فجائي ولست اريد

القول ان المانيا حديثة العهد بالتجارة والصناعة فانهما كلتيهما قديمة فيها . وانما اريد ان التقدم الحديث جرى بسرعة اخذت القوم على غرّة فبدأت من عاداتهم كل تبديل في العشرين سنة الماضية او اقل منها فانهُ لم يكد يبدأ عند جلوس الامبراطور الحالي . والانقلاب العظيم الذي طرأ على البلاد منذ ذلك العهد يستوجب الدهشة وقد كان اقوى العوامل على توحيد الامبراطورية وانضواء القوم الى لوائها ورضائهم بالنظام الذي يؤيدها وتقوية روح الاعجاب بالنفس والطموح الى المعالي والنظر الى سائر الامم كما ينظر الرفيع الى الوضيع وترويج الفكرة المعبّر عنها بثلاث كلمات من النشيد الالماني الوطني وهي «المانيا فوق الكل» . وزد على ذلك ان تقدم الالمان العجيب السريع جعلهم امة ذات صلف وخيلاء لانهُ تقدم ماديّ منظور ملموس باغتهم فلم يصحوا من نشوتهِ . وكما امتهنوا العدوّ الذي قهروهُ سنة ١٨٧١ كذلك صاروا يمتهنون مزاحمهم الاقتصادي الذي يعدونهُ مغلوباً ويشعرون بانهم اغتصبوا مكانهُ وما يحفّ بهِ من اسباب الفخر والشرف . فالنجاح العسكري والنجاح المالي اشعرا الالمان بانهم اهل حول غير محدود وانهم اشرف طينة واطيب عنصراً من سائر الاقوام . وان الاقدار خبأت لهم مجداً مؤثلاً لا حدّ لهُ يعرف ولا آخر يوصف

ليس هذا حكم غريب فيهم بل هو مبسوط ومفصل كلّ التفصيل في مؤلفاتهم الحربية وفيها تعداد مناقبهم واسباب سموّهم على سائر خلق الله في كلّ باب وتجليتهم في كل ميدان . اما انا فأرى انهُ يحق لهم الازدهاء لانهم صنعوا العجائب . ولكن تماديهم في هذا الازدهاء وتعبيرهم عنهُ بلغة خارجة عن حدود الاعتدال والتباهي بانانيتهم تباهي الصبية وتخبطهم في الكلام عن الآداب والاخلاق (وهو ما يسمّى بالالمانية Kultur) واحتقارهم للامم التي كانت رائدة المشروعات الصناعية والتجارية والتي المانيا مدينة لها بالعناصر اللازمة لارتقائها — هذا كلهُ دليل على خلل تامّ في قوة التوازن . فان الامة الالمانية معروفة بشدة الانفعال وبسرعة التحوُّل من الشيء الى ضدهِ والانتقال من طرف الى الطرف الآخر . وقد سما بها نجاحها ورفاهها الى ذروة الاغتباط بما أوتيت من النعمة وهذا ما لم يتظاهر بمثلهِ احد قبلها مهما تكن حقيقة شعورهِ

وبعد حادثة الامبراطور فردريك ومرضهِ ووفاتهِ وجلوس الامبراطور الحالي بقي نبت ذلك البغض ينمو حتى كانت حرب البوير فعجلت نموهُ وظهر فيها قوة وطنية لاول مرة . نعم ان معظم الامم كانت تذمّ اقدام انكلترا على محاربة البوير ولكن هذا التيار كان اقوى في المانيا منهُ في سائر البلاد حتى بلغ حدّ البغض . فان امبراطور المانيا كان قد اوقف نفسهُ

موقف حامي البوير ومناهض السياسة الانكليزية فامن قومهُ على هذه الخطة تمام التأمين. وفعل ما حمل البوير على ان يمنّوا انفسهم بمساعدته وحمايته ولكن لما جاء اوان المساعدة تخلّى عنهم . ولم ينل المانيا اذى ماديٌّ من ذلك ولكن الاذى المعنوي كان كبيراً والضربة على حسن ظنها بنفسها شديدة فقد شعر بها الجميع من الامبراطور والحكومة الى احقر الرعية لما علمت من حالتهم العقلية فكانت نقطة انقلاب في سلوك الامة اذ شحذت عزيمتها على انتهاج سياسة التبسط وزيادة القوة البحرية وكانت راغبة عنهما قبل ذلك . وملأت الهواجس الحربية خواطر الاقوام المسالمة المطمئنة فبانت فكرة الحرب شغلها الشاغل وهمها الناصب . وقد قال لي بعض عقلاء الالمان منذ عشر سنوات ان المانيا تستطيع منازلة فرنسا وروسيا معاً . ثم جاء الاتفاق الانكليزي مع فرنسا اولاً ومع روسيا ثانياً وهما الدولتان اللتان اذا خطرتا على بال الماني فللأمر ذي علاقة بالحرب فزاد ذلك الاتفاق بغض الالمان لانكلترا وزادهم ميلاً الى الحرب وجعلوا ينتقدون الامبراطور على مغالاته في التودُّد الى انكلترا وفي مسالمتها

وليس هناك وهم اعظم من ذلك الوهم الذي لا يزال متسلطاً على بعض الاذهان وهو انهُ يجب الفصل بين الامة الالمانية وامبراطورها والعنصر الحربي فيها لانها انما دفعت الى الحرب او اقتيدت اليها مكرهة مسيّرة رغم ارادتها . والحقيقة هي على الضدّ من ذلك فيما يخصّ الامبراطور . فان الامة لم تمل اليهِ قط مثلما مالت اليهِ لما شهر الحرب وقابلتهُ عند مروره في شوارع برلين بمظاهرة بلغت حد الجنون ومع ذلك بقي ساكتاً صامتاً لا يحير جواباً ولا يبدي اشارة . وتضاعفت حمية القوم لما علموا انهم سيحاربون انكلترا ايضاً وقالوا قد آن الاوان لاخراج الشهوة التي غلت بها صدورنا هذا الزمان الطويل من القوة الى الفعل . فقد مرت سنون كثيرة وجميع طبقات الامة الالمانية تتربص بانكلترا ريب المنون وتتمنى لها الشرّ وتمني الشرّ هو من اول علامات البغض . اقول انكلترا ولا اقول الانكليز واريد انكلترا كدولة . وقد شاهدت هذا الشعور واضحاً حتى بين اقرب الالمان مودة للانكليز وابعدهم عن المشاغبة وفي الحفلات الاجتماعية الصرفة التي دعا اليها داعي القرى والاخاء وخُيّل اليَّ ان المانيا كلها أُشربتهُ . ولست أُريد ان الالمان كانوا يتوقعون محاربة انكلترا والواقع على ضدّ ذلك ولكنهم تمنوا اذلالها ولو جاء لرحبوا بهِ مهما يكن مصدرهُ . ولما ظهر لهم ان الاقدار قضت بان يتولوا تلك المهمة بايديهم قاموا لذلك قومة رجل واحد

هذا هو البغض الاكيد وهو ان تتمنى الضرّ لغيرك وتسعى اليهِ بنفسك وهنا مسائل نسأل انفسنا اياها وهي : هل نحن المتسبّبون بذلك البغض . وكيف تسببنا بهِ . وهل يمكن تخفيفهُ .

وكيف يكون ذلك . ولأي سبب يبغض الالمان انكلترا . وجواباً على هذه المسائل اقول :

رأينا ان البغض قد ينشأ عن ضرر حادث او متوقع او موهوم وانهُ قد يكون حسيا او معنويًّا . فان كان الضرر متوقعاً او موهوماً امكن استئصال البغض الناشىء عنهُ ولكن ان كان حقيقياً واقعاً فالصعوبة عظيمة في استئصال البغض الناشىء عنهُ . ولا يمكن القول ان انكلترا اصابت المانيا قبل الحرب فعلاً بضرر حسّي . فانهما لم تكونا قط عدوتين وكانتا احياناً حليفتين . ويقول الالمان الآن انهُ لما كانت المانيا وانكلترا حليفتين كانت انكلترا تترك المانيا وشأنها تتعب وتزرع وحدها فمتى يأْنِ الحصاد والقطاف تجمع انكلترا الثمر لنفسها . وهذا تشويه لوجه الحقيقة التاريخية دعا اليهِ الهوى . واذا رجعنا الى الحروب البسمركية التي خرجت بروسيا ثم المانيا منها ظافرة وجدنا ان انكلترا لم تكن سبب ضرر ماديّ ما لالمانيا . ومنذ بدأت المانيا سياستها الاستعمارية سنة ١٨٨٤ ساعدتها انكلترا في امتلاك بعض البلاد . وتنازلها لها عن جزيرة هليجولند (المناوحة للساحل الالماني على البحر الشمالي) سنة ١٨٩٠ كان قياضاً حبيًّا عزّز مركز المانيا البحري كلّ التعزيز . وفي الحوادث السياسية الاخيرة لم ينل المانيا اذى ولا خسران وقد شهد كتابها بان تسوية مسألة سكة حديد بغداد كانت في مصلحتها . ومن الوجهة التجارية لم تميز انكلترا احداً عليها ولا فرّقت بينها وبين احد بل فتحت امامها باب مستعمراتها اسوة بسائر الامم . وجهد ما هناك انهُ سنّ قانون يقضي بان كل سلعة اجنبية ترد على المستعمرات الانكليزية يجب ان يبيّن عليها مكان صدورها . وهذا القانون يسري على جميع البلاد بالسوية وقد اعترف الالمان بانهُ افادهم اعظم فائدة لانهُ جاء شبه اعلان عن سلعهم

وليس بين اعمال انكلترا عمل ما الحق بالمانيا ضرراً حسيًّا ولا الالمان يشيرون في كتاب من كتبهم حتى المتضمنة لاشدّ مطاعنهم في انكلترا الى عمل او شبه عمل من هذا القبيل . ومع ذلك كلهِ لحق بالالمان ضرر ماديّ منّا وهذا هو معظم السبب في بغضهم لنا . فان السلطنة الانكليزية تؤْذي المانيا بمجرد وجودها اذى سلبيًّا لا ايجابيًّا مقصوداً اذ هي حاجز حصين في سبيل تبسطها وتوسعها . وغنيّ عن البيان ان الذنب ليس ذنبنا ووجود الشيء ليس سبباً مشروعاً لبغضهِ بل الذنب ذنب المبغض . فان طموح المانيا وحالتها العقلية التي وصفناها آنفاً هما اللذان يبغضان السلطنة الانكليزية اليها . اما سائر امم الارض فلا تبغضنا لوجودنا . على اننا نفهم شعور الالمان فنعذرهم بقدر فهمنا اياهُ . فان قوماً بلغوا ما بلغوا من كثرة العدد والثروة والقوة والكفاءة لا بدع ان يحدو بهم ذلك الى

يحتلوا من هذا العالم مكاناً مناسباً لتلك الصفات وان يقتنوا الاملاك عبر البحار اسوة بامم دون الامة الالمانية في سعتها وفي امور كثيرة غيرها · ولكنهم كيفما التفتوا رأوا اطيب بقاع المعمور في حوزة اقوام غيرهم وانكلترا في مقدمتهم · فلا بدع اذا حرقوا الارّم عليها غيظاً لوقوعها في سبيلهم حيثما ضربوا في مناكب الارض · فقد جاؤوا الوليمة متأخرين. وان كانت مقاعدهم حولها قليلة وكان الزحام شديداً فذلك من سوء بختهم لا من ذنب غيرهم ولكن سوء البخت يهيج الحفائظ و يثير الضغائن كثيراً

ولو ان المسألة انتهت عند هذا الحد فكفّ شهود الوليمة عن الاكل حينما مدت المانيا يديها الى الزاد لما شعرت ببغض او نكد لان ذلك يمكنها من تعويض نفسها مما فاتها بتأخرها عن الوليمة · فانها جلست حول المائدة سنة ١٨٨٤ وفي الثلاثين سنة التي انقضت منذ ذلك التاريخ التهمت شيئاً كثيراً ولكن مؤاكليها وخصوصاً انكلترا لم يكفوا عن الاكل · وبعد حرب البوير ظهر بغض الالمان لانكلترا بمظهره المعروف ثم جاءت مسألة مصر · نعم ان هذه المسألة من الشؤون التي تخص فرنسا دون المانيا ولكن نجاح انكلترا جعل كأس مرارة المانيا دهاقاً · وتلت التسوية المصرية استيلاء انكلترا على هذه البقعة وتلك الارض في شرق افريقية وغربها وبرما · وكانت المستعمرات الانكليزية في خلال ذلك تنمو وتزداد قوة ونشاطاً · واشتغلت روسيا وانكلترا بشؤون ايران وفرنسا وايطاليا بشؤون بحر الروم والمانيا واقفة مكتوفة اليدين تشاهد ما يجري ولا تحرك ساكناً · فنشأ عن سكونها هذا مطالبتها «بالعوض» في الازمة المغربية فارتدت بالفشل والخذلان المعنوي للمرة الثانية وزاد ذلك بغضها لانكلترا وحقدها عليها · ولا تزال كتابات الالمان الحماسية تستشهد بالخطب التي خطبها وزراء انكلترا في تلك الازمة (ومنها خطبة المستر لويد جورج التي توعد فيها المانيا بصريح القول)

ففي هذا كله ما يكفي لتعليل بغض المانيا لانكلترا قبل الحرب ان لم يكف لتبريره · وكان ذلك البغض قد خفّ قليلاً على اثر المفاوضات الودية التي دارت على المشكلة البلقانية وتحوّل مجراهُ في جهة روسيا فلما اشتركت انكلترا في الحرب الحاضرة ضد المانيا وكان الرأي العام الالماني قد اطمأن اليها بعد تحسن العلاقات السياسية بين الدولتين زاد سخط الامة الالمانية اضعافاً مضاعفة على انكلترا فاتهمت بانها غادرة ذات وجهين وساد الاعتقاد بان الحكومة الانكليزية دبرت هذه الحرب متعمدة وادارت حركتها وليس لها غرض الأسحق المانيا حسداً على ما اوتيت من النجاح في التجارة · وقد توسلت الى بلوغ هذا الغرض بحمل الحكومة الالمانية على الاعتقاد بصداقتها · ولست ادري صاحب هذا الرأي وانما ادري ان

الالمان قبلوهُ على علاتهِ حيثما وجدوا بلا قيد ولا تحفظ · فتراهم يرددونهُ في كتاباتهم وهم يعتقدون صحتهُ وعندهم ان السر ادورد غراي هو الاصل المباشر لهذا البلاء وانهُ انما ينفذ الخطة التي رسمها الملك ادورد

ويصعب علينا نحن الانكليز ان نصدق ان الالمان يعتقدون صحة هذا القول ولكن اعتقادهم بصحتهِ ثابت الاصل لا يمرّ بهِ ظل ريب · يعتقدون انهم فرائس مكيدةٍ مدبرةٍ يراد بها سحقهم وابادتهم · ويدير حركة هذه المكيدة انكلترا حسداً لهم على نجاحهم التجاري · كلّ ذلك وهي تدعي صداقتهم وحسن الظن بهم · وهذا وحدهُ هو سبب بغضهم الشديد لانكلترا · واجماعهم على ذلك البغض · والسكوت عما نالهم من خيبة الآمال قانعين مسلمين · واحتمال الاعباء الثقيلة والضحايا الغالية في سبيلهِ · وعقدهم العزم الذي لا يتزحزح على الثبات حتى النهاية رغم كل شيء · ولما كانوا مقتنعين بانهم يقاتلون دفاعاً عن كيانهم من مكيدة نصبت لابادتهم فلا بدع اذا قاتلوا مستقتلين الى آخر نسمة من انفاسهم

ليست المسألة معرضاً للهزل والكلام يلقى على عواهنهِ بل هي معرض الجد ما بعدهُ جدّ · لان معناها ان هذا العراك سيسومنا من الجهد والتضحية اكثر مما نقدّر الآن بكثير وان النهاية لا تزال بعيدة وانها متى جاءت لا تكون نهاية · فان العواطف التي نشأت عن هذه الحرب ستدوم ميراثاً للاجيال التي تجيء بعدنا · وقتل الالمان للآمنين من غير المحاربين وسوء معاملتهم للاسرى — وهما نتيجة البغض الكامن في صدورهم لنا — أثرا فينا وحملانا على بغض بازاء ذلك البغض وكان غريباً عنا · ولست ارى لذلك آخراً · ولا يحسبنّ احدٌ ان الامة الالمانية يمكن ان تباد او تُضعف على الدوام · فان فكرة مثل هذه انما هي وليدة الغضب والجهل · فان الالمان سيبقون سبعين مليوناً وفي الجيل الآتي يصيرون تسعين مليوناً (اي بعد نحو ثلث قرن) لهم ما لاهل هذا الجيل من المواهب والقوى كحب العمل والقدرة على التنظيم وادامة السعي او يبلغ الغرض ونظام للتربية بديع وسائر النظامات الاجتماعية التي وضعوها وكيفوها لتشييد صرحي القوة والثروة

ومما لا غنى عنهُ في هذا المقام القول ان انكلترا لم تدبر هذه الحرب ولا ارادتها ولا توقعتها · ولو كانت تضمر شرّاً وتدبر حرباً لاصغت الى اللورد روبرتس (يوم حضها على الخدمة العسكرية الالزامية) · كذلك لا صحة لما يعزو الالمان من نيات السوء الى الملك ادورد او الى السر ادورد غراي · ومن الوهم ان يقال اننا كنا نضمر البغض والحسد لهم · نعم اننا لا نحبهم ولكن الفرق واضح بين الامرين · وقد اخذوا يدركون انهم غير محبوبين في كل مكان ·

هم يبغضون انكلترا لا الانكليز . ونحن نكره منهم من لم يكن صديقاً شخصياً لنا من غير ان نبغض المانيا . اما الحسد التجاري المزعوم فاقول قول عارف ان صناعنا وتجارنا في مركز يحسدون عليهِ ولا يحسدون احداً . وخلوّ قلوبهم من الحسد اعظم ضعف فيهم فان حسداً قليلاً منهم يعود بالخير عليهم . وان كانوا يحسدون احداً في العالمين فانما يحسدون الولايات المتحدة الاميركية لا المانيا . وسواء كان هذا او ذاك فان الحسد التجاري ليس بالسبب المعقول ولا المقبول للحرب في العهد الحديث

ويكاد اقناع الالمان بهذه الحقائق يكون من المستحيل فلا سبيل امامنا في اعتقادي لاصلاح هذا الحال الاّ السعي في اكتساب احترام اعدائنا لنا . ولا سبيل الى حملهم على احترامنا الاّ قهرهم . فان احترامك لخصمك هو الخطوة الاولى الى انصافهِ وقدر قوتهِ حق قدرها . فاذا وجد الالمان انهم مخطئون في امرٍ من الامور ادركوا انهم قد يكونون مخطئين في غيرهِ لانهم قوم اهل عقل وحصافة . ثم انهم يحترمون القوة فلنرهم اننا اقوياء بل اقوى مما كنّا . وقد اتى جيشنا الآن فعالاً مجيدة بددت رأي الالمان الاول فيهِ ونالت احترامهم لهُ . ولكننا في انكلترا نفسها اقلّ منا نجاحاً في خارجها . وبعض السبب في ذلك اختلاق الاخبار عن الرعب المستحوذ على الامة وفشل التجنيد الاختياري . ثم ان ما بدا من قصورنا في اعداد معدات الحرب ومشاكل العمال والجدال الحائم على مسائل سباق الخيل ومسئلة المشروبات — هذه كلها تولد في قلوب الالمان احتقاراً لنا

ان قهر عدونا عمل يستنفد جميع قوانا فلنوجهها كلها اليهِ ولنسكت عن المناقشة في شروط الصلح « بعد الحرب » فان الكلام فيها الآن لهوٌ باطل اذ ليس في وسع احد معرفة النهاية ولاسيما ان موت رجل واحد قد يوقع الخلل في كل حساب ويقلب وجه الحالة الحاضرة من اساسهِ . والمؤكد ان موت احد رجلين يفضي الى هذه النتيجة وان موت احد ثلاثة او اربعة غيرهم ربما افضى اليها ايضاً

والخلاصة اننا متى حزنا احترام الالمان واقنعناهم بانهم رفعوا انفسهم الى فوق ما يجب وحطوا غيرهم الى تحت ما يجب وباننا لم ندخل الحرب غدراً تعمّد محقهم وان انكلترا ليست غول الحسد والبغض والخيانة كما يصورون — فحينئذٍ نستطيع استئصال شأفة البغض المستحكم في صدورهم . لنقنع الالمان اولاً بانهم وضعوا كفاءتنا دون موضعها . وثانياً بانهم وضعوا جشعنا فوق موضعهِ . وكلّ سعي في بلوغ الغرض الثاني قبل الاول سعي عقيم غير مجدٍ بل هو هفوة لا تغتفر » انتهى ملخصاً

الرحلات الافريقية القديمة

٣

الرحلات البرتوغالية

ذكرنا في المقالة السابقة ان العرب توسعوا في الفتوحات منذ القرن الثاني للهجرة وامتلكوا كل شواطئ افريقية الشمالية والشرقية والغربية وتوغلوا في داخلية البلاد الى ان ضعفت شوكتهم بفقدان العصبية وضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد والفاطمية في مصر والعلوية في بلاد المغرب وخضعوا للدول التركية والتترية حتى سقط مجدهم وتفرقت كلمتهم واشتغلوا بالمنازعات القومية والدينية الى ان اشتد ساعد الاسبان والبرتوغال في الاندلس فطردوا العرب منها · ولما قويت شوكة الافرنج قام البرتوغاليون سنة ١٤٠٠ فجهزوا السفن الكثيرة والمراكب الكبيرة وارسلوها الى سواحل افريقية فطردوا العرب من بلاد السنيغال وشط العاج وكل السواحل الغربية · وكانوا يتنافسون في تحصيل اسباب الفخار والتوسع في الاسفار ويردفون الغزوة بالاخرى حتى ان نساء لشبونة عاصمة ملكهم كنَّ يحرضن رجالهنَّ على السفر وجوب البحار وغزو العرب ويدفعن حلاهن عن طيبة خاطر الى امراء البحر لتجهيز السفن · وكن يأبينَ التزوج بمن لا يذهب لغزو العرب وطردهم من بلادهم · ومما ساعد البرتوغاليين على تلك الغزوات البحرية استعمالهم البوصلة (او الحكّ) لمعرفة الجهات فانها جرأتهم على التوغل في عرض المحيط فاكتشفوا اولاً الجزائر التي على السواحل الغربية حتى رأس الرجاء الصالح ثم اتجهوا شمالاً فاكتشفوا السواحل الشرقية كلها حتى باب المندب وشواطئ حضرموت وخليج العجم ومن هناك توصلوا الى اكتشاف طريق الهند كما سيأتي بيانهُ

ففي سنة ١٤٣٣ اكتشفوا جزيرة ماديرا واسسوا فيها مستعمرات وغرسوا فيها قصب السكر والكرم ودخلوا بلاد غينيا وسنيغامبيا وشط العاج وعصاب وملكوها وزرعوا ارضها واخذوا منها الخشب الى بلادهم

وفي سنة ١٤٤٣ اكتشفوا بلاد السنيغال وسواحل الكونغو وانجولا وجلبوا منها الارقاء والعبيد السودانيين واخذوهم الى لشبونة وهي المرة الاولى التي رأى فيها اهلها الزنوج وذوي الشعر الجعد والاجسام المطيبة بالافاويه والزيوت · واكتشفوا جزائر سانتا ماريا وسانتا هيلانه وفرناندو بو وغيرها · وفي سنة ١٤٥٦ اخذ القبطان بطرس القنطرة بلاد سيراليون من العرب وتألفت فيما بعد في لشبونة شركة برتوغالية لاكتشاف سواحل افريقية كلها



(١) خرستوفورس كولمبوس مكتشف اميركا (٢) اميركوس فسبوس الذي ادعى اكتشاف البرّ الاميركي الاعظم قبل كولمبوس وسميت اميركا باسمهِ (٣) جاك كارتييه مكتشف نهر سنت لورنس في كندا (٤) فرننند كورتيز مكتشف برتوغالي (٥) فسكودي غاما البرتوغالي مكتشف طريق الهند بحراً (٦) فرنشسكو بيزارو الاسباني مكتشف بلاد بيرو (اميركا الجنوبية) وفاتحها (٧) فرديننند مجلاّن البرتوغالي وهو اول من دار حول الارض

مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٥٦

وطريق الهند فجهزت السفن الكثيرة العدد والعدد وامدّتها بالرجال والذخائر وكانت تنتقل من بلاد الى اخرى ومن فرضة الى غيرها في السواحل الغربية وتتجر مع اهلها بالعاج والذهب والطيور الغريبة والقرود والطيوب والافاويه واحتكر ملوك البرتوغال لانفسهم تجارة العاج فارسل يوحنا الثاني جماعة من قومهِ على سفن لهُ الى سواحل افريقية فاكتشفوا في طريقهم جزائر سان توماس والبرنسس وشواطئ العاج ونجريا وسواحل الكونغو وزرعوا فيها القطن واسسوا المستعمرات

وفي اواسط القرن الخامس عشر هاجر الى هذه البلاد اليهود المطرودون من اسبانيا والبرتوغال فاستعمروها واتخذوا العرب والزنوج عبيداً لهم ولم يزل الى الآن في تلك البلاد السحيقة بقية منهم وهم يهود الاَّ انهم اقتبسوا عادات الزنوج الاصليين في معيشتهم

وفي سنة ١٤٧٢ اكتشف القبطان البرتوغالي يوحنا ستتارم بلاد ساحل الذهب فاخذها من سكانها العرب وهاجر اليها البرتوغاليون واستوطنوها وبنوا فيها المدن والقلاع ثم دخلوا بلاد البنيان والكونغو ومنها نقلوا الى بلادهم زراعة الفلفل وغيرها من البهارات والفاكهة . وفي سنة ١٤٨٦ اكتشفوا اقليم السنيغال وانتهى الامر ان برتلمي دياز الرحالة البرتوغالي الشهير واصل اكتشافاتهِ جنوباً حتى وصل الى رأس افريقية الجنوبي بعد ما عانى الاهوال من العواصف والانواء وسماهُ « رأس الاهوال » ولكن يوحنا الثاني ملك البرتوغال ابدلهُ باسم « رأس الرجاء الصالح » . وحينئذٍ تيقن البرتوغاليون ان في وسعهم الطواف حول افريقية بحراً اذ عرفوا ان هذه القارة جزيرة او شبه جزيرة . وفي سنة ١٤٩٥ دعا ملك البرتوغال القبطان الشهير والرحالة العظيم فاسكو دي غاما للسفر الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فجهز لهُ اسطولاً من المراكب الكبيرة وامدهُ بالمال والرجال فخرج فاسكو من مرفإِ لشبونة باحتفال عظيم وشيعهُ الملك وعظماؤُهُ ورجال بلاطهِ بين هتاف الرجال وزغردة النساء . فاجتاز السواحل الغربية واستولى على جميع السواحل والبلاد التي مرَّ عليها في طريقهِ حتى وصل الى رأس الرجاء الصالح . ثم تحول بسفنهِ شمالاً واستولى على السواحل الشرقية فرسا اولاً عند بلاد سماها نتال اي المولد باسم المدينة التي كانت مسقط رأسهِ واخذ بلاد كفروريا واكتشف في طريقهِ مدغشكر وجزائر القمور وانجوان ولم يزل يسير شمالاً محاذياً السواحل حتى وصل الى بلاد سفالة (موزمبيق) فاحتلها ورفع عليها العلم البرتوغالي وهناك اكتشف مناجم الذهب القديمة التي كانت معروفة منذ القدم عند المصريين والرومان والعرب . ويقال انها بلاد ترشيش التي ورد ذكرها في سفر الملوك وقيل ان سليمان

الملك كان يأتي منها بالذهب والفضة والقرود والعاج والطواويس (ملوك اول ص ١٠) وبنى فاسكو في أكثر البلاد التي احتلها القلاع والحصون ووضع فيها بعض الحامية من رجالهِ وجعلهم وكلاء لهُ لشراء الذهب والعنبر والمعادن والعاج وقد وجد الرحّالون البرتوغاليون في اسفارهم هذه كثيرين من تجار العرب عند شواطىء النتال والترنسفال وموزمبيق يحملون تراب الذهب في الأكياس و ينقلونها الى سفنهم و يأخذونها الى زنجبار وعمان وشبه جزيرة العرب

ثم استولى هذا القبطان الشهير على كل المالك العربية الافريقية الشرقية وهي قطوة وسعداني وشيكوه و بتّة وكلوه وبنجاني وملندة وكلها كانت ممالك زاهرة عامرة تحت حكم سلاطينها المستقلين من العرب وقد ذكر ابن بطوطه اكثر هذه البلاد وحكامها في رحلتهِ المعروفة

ولما وصل القبطان ورجالهُ الى مصب نهر زمبيسي الكبير ركبوا فيهِ بسفنهم وبنوا على ضفتيهِ القلاع والفرض واقاموا فيها اناساً من قومهم للمحافظة عليها وفتحوا اسواقاً عظيمة للتجارة

ثم استولوا على بقية الشواطىء الشرقية فرسوا في ممبسة وكانت وقتئذٍ مدينة تجارية عامرة فسر البرتوغاليون بها لانهم لم يروا مدينة عظيمة مثلها وكان فيها بيوت نخمة وقصور ومبانٍ فاخرة واسواق عظيمة. قال ملطبرون في جغرافيتهِ القديمة « ان اهالي ممبسة كانوا قبل دخول البرتوغاليين من قبائل العرب العرباء وكلهم على حضارة يعيشون بالبذخ والترف وعندهم بعض العلوم والصنائع ويلمون باحوال التجارة ولهم فيها طرق مفتوحة في داخلية البلاد وسفنهم تمخر في انهارها وتتجر مع عمان وحضرموت والهند »

ثم استولى القبطان فاسكو على سلطنة ملندة شمالاً وكانت زاهية زاهرة كثيرة المباني واسعة التجارة ورأى فيها جماعة من البنيان وهم طائفة من التجار الهنود فاخذ بعضهم الى سفنهِ ليدلوهُ على طريق الهند. وبعد ان استولى على سلطنات لامو وملندة وكلوة ومغدشو وجميع السواحل الشرقية وجزائرها وطد قومهُ اقدامهم فيها فبنوا فيها القلاع الحصينة ولم تزل اثارها باقية الى الآن وعليها كتابات بلغتهم وعلى بعضها كتابات برتوغالية ازاء الكتابة العربية القديمة. ثم واصل دي غاما سفره الى الهند ورسا في سواحلها وجلب منها البضائع ورجع الى بلادهِ. وفي سنة ١٥٠٠ خرج القبطان الينوزا البرتوغالي بمراكب كثيرة من لشبونه واجتاز بها سواحل افريقية الغربية ثم دار حولها متعهداً اثار من سبقهُ من الرواد وموطداً دعائم المستعمرات البرتوغالية وظل يسير شمالاً حتى اجتاز بوغاز باب المندب الى البحر الاحمر ثم ارتاد سواحل شبه جزيرة العرب بين عدن والشحر وحضرموت ورجع الى بلادهِ

وفي سنة ١٥١٣ استولى البوقرق الاكبر البرتوغالي الشهير على جزيرتي زنجبار وبمبا وكان ملوكها واهلها وقتئذٍ من اليعاربة اصحاب الشوكة والصولة وجرى بينهُ وبينهم حروب عديدة برًّا وبحراً مدة سنين كثيرة واخيراً تم النصر للبرتوغاليين ففرضوا على ملوك تلك البلاد الخراج والمغارم ودخلت جميع ممالك العرب في طاعتهم . وكان في السواحل الشرقية بلاد يحكمها مشايخ من العرب بالشورى ولذلك دعاها مؤرخو البرتوغال جمهورية بروا فالزموا اهلها ان يدفعوا لهم كل سنة خمسمائة مثقال ذهب . وكان لملك البرتوغال ايراد سنوي من هذه الممالك العربية يؤخذ ويصرف ثمناً لجلب البضائع من الهند الى لشبونه . فانفتحت بذلك للبرتوغال اسباب الغنى والسيادة على سواحل افريقية كلها شرقاً وغرباً حتى خليج العجم وعمان والهند . واخذوا عن العرب كثيراً من العلوم والفنون والصنائع واصول التجارة وعلم اسفار البحر وعرفوا المواقع والمرافئ والخلجان . وقد وصفهم مؤرخو البرتوغال في كتبهم بانهم في سعةٍ من العيش والحضارة ولسلاطينهم شوكة وصولة وانهم من ذوي الكرم والثروة . وكان لهم تجارة واسعة مع سواحل العرب وحضرموت والبصرة وعمان والهند وكانت كل سلطنة مستقلة عن الاخرى في احكامها ومعاملاتها

وفي سنة ١٥٧٣ وصلت حملة بحرية برتوغالية واجتازت السواحل الشرقية وتوغلت في داخلية البلاد طلباً لاكتشاف مناجم الذهب وبعد مشقات كثيرة وحروب عديدة مع العرب والزنوج وصلوا الى ماتيكا في داخلية بلاد سفالة (موزمبيق) واكتشفوا معادن الذهب القديمة التي ذكرناها ولكنهم وجدوا الاراضي قاحلة جدباء وايقنوا انهم لا يقدرون ان ينتفعوا منها بشيءٍ لانهم لم يكونوا يعلمون طرق الحفر والنقب الحديثة وليس عندهم آلات للنزول الى اعماق الارض وبلوغ عروق الذهب وكان العامل يشتغل اياماً ولا يستخرج من عملهِ اكثر من خمسة دراهم فتركوا البلاد ورجعوا الى بلادهم

ثم ارسل ملوكهم عمالاً لهم الى تلك الاصقاع بعد ان رسخت اقدامهم فيها وكان اولهم القبطان فرنسز الفارس وامتد حكمهم نحو اكثر من مائتين وخمسين سنة في مسقط وعمان وخليج العجم وممبسة ولامو وملندة وكلوة وزنجبار وسلطنة ويتو وكل ممالك افريقية الشرقية وجزائرها الى سنة ١٧١٥ حين قام الامام الاكبر سعيد بن سلطان بن سعيد بن سلطان ابن مالك بن ابي العرب بن سلطان بن مالك اليعربي القحطاني النبهاني امام مسقط وعمان الملقب بقيد الارض فاخرج البرتوغاليين من بلادهِ واجلاهم عن مسقط وخليج العجم ثم جهز السفن العديدة وارسلها مع جيش عظيم من العرب الى زنجبار وبمبا وسواحل افريقية الشرقية

وطردهم من تلك الاصقاع وحاربهم في مواقع بحرية ومعارك برية يطول شرحها واخذ البلاد كلها منهم ودك حصونهم وقلاعهم واقام عمالاً لهُ في لامو وممبسة وملندة و بسته من مشايخ آل المذروعي . وفي زنجبار وبمبا اناب عنهُ امراء من آل نبهان ولبثت تلك البلاد تحت سلطة ائمة اليعاربة الى ان قام سنة ١٧٤١ الامام السيد احمد بن سعيد بن احمد بن محمد ابو سعيدي اليمني الازدي جد الاسرة البوسعيدية المالكة الآن في زنجبار وعمان وطرد اليعاربة من عمان وكل شواطئ افريقية ودانت لهُ البلاد كلها وامتدت سلطتهُ من عمان وخليج العجم وافريقية الشرقية حتى جزيرة القمور وشمالي جزيرة مدغشكر . وبعد ذلك انفصلت سلطنة زنجبار عن سلطنة عمان في اخبار طويلة لا سبيل لذكرها الآن

اما البرتوغاليون فتقلص ظلهم من كل البلاد الافريقية الشرقية ولم يبق تحت حكمهم سوى اقليم موزمبيق . وسنأتي في عدد تالٍ على وصف الرحلات الحديثة في اكتشاف افريقية

ديمتري نقولا

التتانوس والتلقيح

التتانوس احد الامراض التي تتفشى في ميادين القتال وعلى آثار الجيوش الزاحفة كالتيفويد والتيفوس والكولرا والدوسنطاريا وهي اشهرها . وهو خلل يطرأ على الجهاز العصبي عامة او الحبل الشوكي خاصة يصحبهُ ألم في عضلات البدن كلها . ومعظم الاصابات بهِ تصحب حدوث جرح في اطراف الجسم ولاسيما اذا تعرض الجسم للبرد بعد حدوث الجرح . وقد اكتشف طبيب ياباني ان سبب المرض مكروب يكون في التراب ويتكاثر حيث يجمع زبل الخيل والمواشي . فان هذا المكروب يفرز سمًّا يمتصهُ الجرح ويفضي امتصاصهُ الى الخلل المذكور

واول اعراض هذا الداء تصلب العضلات المجاورة للجرح وتشنجها ثم عضلات الفك خاصة معها يكن موضع الجرح من الجسم حتى اعطي التتانوس في الانكليزية اسم lockjaw اي الفك المقفل وفي العربية اسم الكزاز من كزّ صلب وانقبض . والغالب ان ينتهي هذا الداء بالموت اختناقًا او اعياء

وقد استخدمت علاجات كثيرة لمعالجته فلم تأتِ بالفائدة المقصودة واكتشف مصل مضادّ لهُ وجرّب في الخيل فافاد فائدة كبيرة . اما في الناس فلم يفد فائدة تذكر . ولكن اذا صح ما كتب طبيب اخيراً الى جريدة الستندرد الانكليزية اصبح الرجاء في هذا المصل

اعظم مما كان قبلاً . فقد ذكر في مقالتهِ ان جروح الجنود في ساحات القتال تعرّضهم لدخول مكروبات التتانوس ابدانهم لان الجروح كثيراً ما تتلوث بالتراب او المواد البرازية الملوثة بهذه المكروبات . وقد يكون الجرح خدشاً صغيراً ولكن ذلك لا يمنع دخول المكروبات . ثم قال

« وليس سبب المرض انتشار المكروبات في الجسم بل افرازها لسمّ يؤثّر في خلايا الحبل الشوكي والدماغ . وقد حقن فليار حيواناً بمكروبات التتانوس الخالية من السمّ فلم يصب بالمرض . ولكن اذا أُصيب نسيج الجلد بآفة في موضع الحقن حدث التتانوس . واصابتهُ تكون باسباب شتى منها اضافة احد العقاقير الى المكروبات وحقن الجسم بهِ كالحامض اللبنيك مثلاً . ومنها انكسار عَظْم في المكان المجاور لموضع الحقن . وادخال مادة مهيجة كالتراب او شظية خشب . على ان اعظم هذه الاسباب ان يدخل الجسم مع المكروبات المذكورة مكروبات اخرى كالتي تحدث التهابات تفضي الى افراز الصديد او المدّة . وبعض هذه المكروبات موجود دائماً على الجلد كالمكروبات المسببة للدمامل والبثور العادية كحب الصبا او غيرهِ . ومن رأي الدكتور كيتاساتو الياباني مكتشف مكروب التتانوس ان هذا المكروب يموت في الجرح ولا يحدث التتانوس لولا الاسباب المذكورة

اما حصول المناعة في الحيوانات القابلة للتتانوس فيكون بحقنها بمصل يستخرج من سم المكروب كما هي الحال في سائر الامراض التي اكتشف مصل مضادّ لها . وهذا المصل يحضر بطرق شتى تستعمل لتخفيف فعل السم مثل مزجهِ باحد مستحضرات اليود . والشفاء يتوقف على الاسراع في معالجة المرض . واول ما يجب عملهُ معالجة الجرح بمادة مضادة للفساد لقتل المكروبات المساعدة لمكروب التتانوس . فاذا ظهر التتانوس وجب معالجة الجرح موضعياً ومعالجة الجسم بحقنهِ بالمصل . ولما كان للاسراع في المعالجة ما كان من الشأن في الشفاء وجب فحص المدّة المفرزة من الجرح ليتحقق هل تحتوي على مكروبات التتانوس . ثم ينبغي ان تكون الجرعة (الحقنة) قوية . وقد قدر بيرين البكتريولوجي الالماني قوة المصل اللازمة للانسان بقولهِ انها ينبغي ان تكون بحيث ان غراماً واحداً من المصل يكفي لوقاية ١٠٠ مليون غرام من الفيران بالوزن . ولكن معهد باستور وزع للاستعمال مصلاً قوتهُ عشرة اضعاف هذه القوة والحقنة منهُ ١٠٠ مليغرام مكعب

والخلاصة ان علاج التتانوس بين ايدينا . واستعمالهُ العمليّ خير دواء لشفاء الداء بشرط ان لا يقف الغرض حجر عثرة في هذا السبيل »

كيف يجب أن نكتب

تقرأ كتابة بعض الكاتبين فان كنت لبيباً فهمت لاول اشارة تبدو فيها ان غرض الكاتب الفاظ كتابتهِ لا معانيها وانهُ اقرب الى الصائغ والمطرّز منهُ الى القماح الذي يبيعك القمح بالاردب لا بالحبة . وانهُ انما يعنى بالديباجة والاسلوب لا بالمعاني المتخللة لها — بالحرف لا بالروح

لست ممن يكره الصياغة او ممّن يقول بالباس المعاني حلة من الالفاظ لا تنزع ولا تتبدّل . ولكن كاتباً يستعمل لفظة اهريق مثلاً حيث يريد اهرق او أريق لا يسعني الاَّ الاشتباه فيهِ ونسبة سوء النية اليهِ لانهُ انما يقصد عرض بضاعتهِ للتباهي بها وليس لهُ من الكتابة غرض آخر . ولو امكنني ان اثبت ان لفظة « شُدِهتُ » التي استعملها ابو الطيب في بعض شعرهِ حيث اراد « دُهشتُ » لم تكن متداولة على الالسن في عصرهِ وانما اراد بها عرض بضاعتهِ لما ترددت طرفة عين في اتهامهِ بسوء النية في ديباجتهِ الشعرية او ما نسميهِ بالتقعّر والاغراب

وغريب ان تكون نقيصة الاغراب هي المزية الوحيدة التي احتكر بها بعض الكتاب صناعة الكتابة . ووجه الغرابة ان تكون النقيصة مزية لا الفضيلة . وان يستأثر اهل الالفاظ بهذه الصناعة لا اهل المعاني . فان في ادمغة بعض « الخارجين عن هيئة الكتاب » من المعاني ما لو جرؤُوا على اظهارهِ لرأينا عرائس ابكاراً تزفّ الى الآذان وتدخلها بلا استئذان . ولكن يمنعهم من اظهارها خوف الكتابة ورهبة المتمين اليها والمحتكرين لمصادرها ومواردها والمدعين لها سفاهاً والمحتقين بها ظلماً . قال شاعر انكليزي اسمهُ غراي في مرثاة هي اشهر ما نظم وقد وقف على مقبرة قرية يندب من فيها من القرويين السذّج : كأيّن من زهرة تنبت في مجاهل الصحراء فلا تُمتع ببهجة الوانها عين ولا يتعطر بشذاها انف تصبح زاهية ناضرة ثم تمسي ذاوية ذابلة وتموت ميتة المنسي المهمل بين يوم وليلتهِ . ولعل في هذه الحفر من اهل الاكف الخشنة الملس مَنْ لو أُتيح لهُ تعلّم العزف على العود لاسمعنا نغمات يتضاءل عندها غناء الاهات الشعر والموسيقى » . انتهى بمعناهُ او نحوهِ

هذه حال الكتابة . تقف وانت الكاتب اللبق تكلّم بعض العامة فلا يترك امامك مجالاً للقول فتصغر نفسك عندهُ حتى كأنك انت العامي وكأنهُ هو الاديب . فلا يسعك

حينئذٍ الاَّ القول انهُ لو أُتيح لهُ ما أُتيح لك لبزَّك وتحمد الله على ذلك والاَّ لذهبت ضياعاً انت وادبك وعلمك . وكثيراً ما يكون وهو على هذا الحال احسن منك وانت على احسن حالاتك . ولولا غول ادبك الذي تحتكر بهِ صناعتك وتخيف غير المنتمين اليها لكانوا احقَّ منك بلقبك وادبك وكنت احق منهم بلقبهم وحرفتهم

كتب جندي روسي من العامة الى صديق لهُ في انكلترا كتاباً نشرتهُ التيمس ثم انشأت عليهِ المقالة الافتتاحية الآتية نعربها لانها تعبّر عن شعور مشترك في دولة القلم قالت :

« نشرنا بالامس كتاباً من جنديّ روسيّ في ساحة الحرب الى صديق لهُ انكليزي يصف فيهِ ثقة الجنود الروس بحلفائهم الانكليز ويقول ان ما تعلَّمهُ في المدارس قليل يمنعهُ الاعراب عمَّا في نفسهِ اعراباً وافياً بالمراد . على ان كتابتهُ لا عيب فيهِ من حيث بساطتهُ الطبيعية الجميلة . ونحن لا نرتاب انهُ لم يتعلَّم الى الحدّ الذي يجعل المرء يظنّ ان الكتابة يجب ان تختلف عن الكلام العادي . فلذلك استطاع ان يقول ما يريد كأَنهُ يتكلَّم وهذا ما يجعل التعليم والتهذيب صعبين او مستحيلين على كثيرين فانهم يخشون اذا كتبوا كما يتكلَّمون ان يظهروا غير متعلمين ولا مثقفين فلذلك يساقون في تيار لغة ليس عليها من مسحة الادب الاَّ ما تلقفوهُ من بعض الصحف السيارة . وهذه اللغة لا تقول ما يريدون ان يقولوا — فان كلامهم العادي وحدهُ هو الذي يفعل ذلك — ولكنها تعبّر عن عواطفهم الاجمالية كأَنها عواطف جمعية لا عواطف رجل واحد . وهي ليست في الحقيقة الاَّ صورة اخرى للغتهم الطبيعية وهذه لا يمكن افراغها في قالب آخر ما لم تفقد شيئاً من روائها ورونقها لانها طبيعية والصورة الاخرى صناعية ولانهم اذا ارادوا ان يتكلموا عن شيء اتتهم الالفاظ الصحيحة منقادة عفواً بلا طلب ولا تكلُّف وكلّ ما عداها خطأ لما فيهِ من الكلفة وآثار التصنع

« والرجل الذي اعتاد الكلام البسيط في الاشياء البسيطة لا يستطيع فجأَة ان يحوّلهُ كلاماً مركباً مختلطاً . واللغة العالية التي يلجأ اليها الكتبة الاغرار انما هي تقليد للكلام المركَّب الذي يعمد اليهِ الكتَّاب الراسخون عند الكتابة في الاشياء المركبة . ولا بأس بهذا الطراز حيث الفكرة مركبة ولكنك اذا استخدمتهُ حيث الفكرة بسيطة سهلة فانهُ انما يضعفها ويذهب طلاوتها . وعليهِ اذا اطَّلعنا على كتب واردة من ساحات القتال تدهشنا جودتها حينما يكتب الكاتب كما يتكلم ورداءتها حينما يحاول تقليد ما قرأ . ففي الحالة الاولى يخبرنا بما حدث لهُ . وفي الثانية لا يأْتينا الاَّ باشياء كلية عامة لانهُ اكثر تفكيراً في اسلوبهِ منهُ فيما جرى لهُ

« وهذا الجندي الروسي لم يكن يفكّر في ديباجتهِ . فقد قال في كتابهِ « لقد اقترح بعضهم ان يكتب اليكم باسمي رجل اسمى مني ادباً واكثر علماً . ولكنني لم اشأ ذلك . وآمل انكم تكونون اكثر سروراً بكتاب رجل غير متعلم مثلي . فان ما اكتب هو الصدق بعينهِ » .

ولو انهُ اكثر تعلماً مما هو ما استطاع ان يقول الحق الصراح على ما يعلمهُ وانما كان يورد رأيهُ على الطريقة التي يعبّر بها غيرهُ عن ذلك الحق . فان الحق الصراح انما يقال بالالفاظ التي تجلي امام قائلهِ وتتمثل لهُ . فاذا نبذها ووضع في موضعها الفاظاً اخرى يظنها اعرق في الادب بطل قولهُ للحق

« ان في الكتابة بساطة غير مجلوبة يستطيع بها الكاتب ان يقول بعض اشياء بسيطة . وفيها صناعة وتطرية بامكانهِ من الاعراب عن افكارهِ وعواطفهِ . ولكن الكاتب الذي هجر الخلة الاولى ولم يصل الثانية لا يقول شيئاً ولا يعبر عن شيء — فقد اسلوباً للكلام من غير ان يكسب الآخر . وترانا نقول عادة ان الذنب ذنب نظامنا التعليمي وليس الامر كذلك فانهُ متى تعلّم احد القراءة فهو لا يتعلم قراءة التافه واذا قرأهُ فإما لان تهذيبهُ سطحي واما لان في مزاجهِ ما يجبب التافه اليهِ . وان نظامنا التعليمي في حاجة الى ما يخلّص تمام التخليص بين لغة الفكر والعواطف واللغة التي يراد بها تقرير الحقائق مجردة عن الغواشي والحواشي . ولتكن القاعدة لذلك ما يأتي : اكتب كما تتكلم ما دمت تستطيع ذلك بلغتك العادية اذ ليس هناك لغتان واحدة للكلام واخرى للكتابة . واللغة انما تختلف متى اردت ان تكتب اكثر مما تقول . وليس غرض الكتابة ان تعرض بضاعتك وتري الناس مبلغ ما قرأتَ بل ان تقول ما تريد متوخياً الصراحة والايجاز ما امكن

« واعلم ان معظم البضاعة المزجاة في الادب مصدرها اناس ليس لهم ما يقولون فلذلك لا يستطيعون استخدام اللغة العادية ولا لغة العواطف والفكر بل يلجأون الى لغة هي تقليد الثانية وغايتهم اقناع انفسهم واقناع السوى بانهم يعبرون عن عاطفة او عن فكر في حين انهم لا يعبرون عن شيء . وهذا التقليد شديد العدوى لسوء الحظ ومعظم الذين يُعديهم هم الذين عندهم امور بسيطة يريدون ان يقولوها فلا يطيقون ذلك للسبب المتقدم

« والخلاصة ان الكتابة اذا كانت غير مجلوبة فهي سهلة جداً . واذا كانت مجلوبة بتطرية وفنًا باصول وصناعة قائمة بنفسها فهي صعبة جداً . اما اذا لم تكن احد هذين الامرين فهي مستحيلة »

هذا ما قالتهُ التيمس وهو كلام لا غبار عليهِ · وفي اعتقادي ان الجري على هذه القاعدة اسهل في الانكليزية منهُ في العربية بمراحل لتقارب لغتي الكلام والكتابة في الاولى وتباعدها في الثانية · فان الانكليز يعجبون بالكتب والرسائل التي تكتب بلغة بسيطة صحيحة حتى عدوا في مقدمة كتابهم بعض الذين لم يجيدوا غير كتابة الكتب وحتى قال ثكري وهو من اكبر كتاب الروايات « ما نمت ليلة الاَّ ورسائل هوِل بجانبي · وما مللتها قطّ بل كنت دائم الاعجاب ببساطتها وسهولتها » · وهوِل هذا احد الذين اشتهروا بكتابة الرسائل دون غيرها · قابل بين رسائل هوِل ورسائل الخوارزمي او الهمذاني وغيرها ترَ عظم الفرق بين موضوع اعجابهم وموضوع اعجابنا وتعلم لِمَ يجيد الانكليزي كتابة الكتب والرسائل ولو تخرج من المدارس البسيطة ولا يجيدها العربيّ (اريد ابن اللغة العربية) ولو تخرج من المدارس العالية · وليس لذلك من سبب سوى ما بين لغتي الكتابة والكلام في العربية والانكليزية من الفرق الكبير كما تقدم القول مما يجعل الجري على قاعدة التيمس في العربية متعذراً الآن

ولا علاج لذلك الاَّ بالتقريب بين لغتي الكلام والكتابة في العربية. والتقريب بينهما يكون باقتباس الالفاظ الفصيحة من الثانية وزجها في الاولى فبالعادة ومرور الزمان تزول عنها آثار الغربة والغرابة وتصير « متبلّدة » في وطنها الثاني · وهذا ما هو حادث في لغة جرائدنا · فانها صحيحة اجمالاً على قدر ما يسمح بهِ وقت صحف يومية مثلها وهي كلّ يوم تضيف الى جعبتها كلمات جديدة وتقتبس الفاظاً جديدة يفهمها القارئ البسيط بالمزاولة والتكرار · حتى انك تسمع البوَّابين وباعة الصحف والحمَّارة يتحدثون بلفظة « النسخة » من هذه الجريدة او تلك كأَنها كلمة عادية رضعوها مع اللبن لا تتوقف اذهانهم عند معناها ولا تلكن السنتهم عند لفظها

كذلك يساعد على اصلاح هذا الحال وتوحيد لغتي الكلام والكتابة ما امكن — ان يقوم كاتب عصري تجمع كتابتهُ بين اللغتين او اللهجتين فيتهافت القراء عليها ويتخذها الكاتبون نموذجاً لكتابتهم ومنوالاً ينسجون عليهِ (ن · ش)

جزيرة ارواد

جاءت الانباء في اوائل الشهر الماضي بان بحرية الاسطول الفرنسوي في بحر الروم احتلوا جزيرة ارواد على ساحل سورية في آخر اغسطس الماضي ورفعوا عليها الراية الفرنسوية ·

وارواد هذه جزيرة صغيرة في منتصف الطريق بين طرابلس الشام واللاذقية وهي اقرب قليلاً الى الثانية منها الى الاولى والى الجنوب الغربي من بلدة طرطوس وعلى مقربة منها ويمكن الوصول اليها من طرطوس في زورق من زوارق الصيد التي تكثر في تلك الجهة في اقل من ساعة · وهي الجزيرة الوحيدة التي يصح ان يطلق عليها هذا الاسم في جوار ساحل سورية وهي تبعد عن البر نحو ميل وربع

وهذه الجزيرة صخر كبير غير منتظم التنضيد طولهُ نحو ٢٦٤٠ قدماً وعرضهِ نحو ١٦٥٠ قدماً وسطحهُ مغطى بطبقات سميكة من الرمل ومشغول كلهُ تقريباً ببلدة ارواد وهي بلدة حقيرة سكانها نحو ٢٣٠٠ نسمة لا حرفة لهم سوى نقل البضائع على سفنهم وصيد السمك واستخراج الاسفنج · وفي الجزيرة اعمدة كثيرة وخصوصاً في ما يلي الميناء · ولا يزال حول الجزيرة انقاض سور عظيم ولاسيما في الجهة الغربية منها ويختلف علو ما لا يزال قائماً منهُ هناك من ٢٨ قدماً الى ٣٨ قدماً وهو مبني على طرز البناء القيقلوبي الضخم · وفي اعلى قمة في الجزيرة انقاض قلعة عربية قديمة · وقد كان قرب الميناء قلعة اخرى عفت آثارها · وفي الجزيرة صهاريج كثيرة يستقي منها اهلها وفي الجهة الشرقية منها مما يلي البر نبع ماء عذب يفور من البحر

مجمل تاريخها

ارواد او ارادوس او رواد كلمة عبرانية معناها التيه او ملجأ الهاربين كان فيها كثير من ابنية الفينيقيين واليونانيين مما لا تزال اثارهُ ماثلة حتى الآن · وكان لها على رواية المؤرخ كانريك ميناءان صغيران في الجهة الشمالية الشرقية · وفيها الآن كثير من الآثار والنقوش والكتابات اليونانية ومعظمها مستهل بكلمتي السناتو والشعب

اما تاريخها فقديم جدًّا وقد ذكرت مرات كثيرة في البقية الباقية من تاريخ الفينيقيين فانها كانت ثالث مدنهم بعد صور وصيداء · وذهب بعض المؤرخين الى ان الصيدونيين هم الذين اختطوا هذه المدينة وخالفهم آخرون فقالوا ان الشهادات التاريخية الكثيرة تثبت ان بانيها هو الاروادي الذي جاء ذكرهُ في التوراة او اقرب رجل اليهِ من ذريتهِ فلم تكن لذلك

احدث عهداً من صيداء · ولقدمت ارواد في عهد الفينيقيين تقدماً عظيماً واتسع نطاق تجارتها وجاب تجارها الامصار وشقت سفنهم عباب البحار وذُكر اهلها في الكتب المقدسة فقال النبي حزقيال عنهم في كلامهِ عن مدينة صور « اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك » وقال « بنو ارواد مع جيشك على الاسوار من حولك الابطال كانوا في بروجك علقوا اتراسهم من حولك هم تمموا جمالك »

وكانت حكومة ارواد ملكية على رواية سترابو المؤرخ ثم صارت جمهورية · وكانت مملكتها متسعة النطاق تشمل الجانب الاكبر من شمال سورية (من جبيل الى اللاذقية واوصلها بعضهم شمالاً الى مصب نهر العاصي في البحر المتوسط) وظلت في عزة ورفعة يهابها الاعداء ويخطب ودها الاصدقاء حتى جاء الفتح الفارسي فعنت لحكمهم وصار ملوكها يدفعون الجزية للفرس

وبعد ما انتصر الاسكندر على داريوس في معركة ايسوس (سهل الاسكندرونة) سنة ٣٣٣ قبل المسيح زحف على سورية ليدوخها قبل ان يسير على بلاد فارس فالتقى بهِ سترابو ابن جيروستراوس ملك ارواد وقدم اليهِ تاجاً ثميناً وسلم اليهِ جزيرة ارواد ومدينة ميراثوس (عمريت) وبعض مدن اخرى كانت خاضعة لارواد فرضي الاسكندر بهذا التسليم بالسرور والارتياح اما جيروستراتوس ملك ارواد فكان قد سار مع كثيرين من ملوك فينيقية في الاسطول الفارسي لقتال المكدونيين

ولما استبد السلوقيون بسورية كانت ارواد داخلة في ما عنا لهم من البلاد وقد ذكرت كثيراً في تاريخ دولتهم واشتهرت خصوصاً باعداد السفن للحروب التي اثارها ملوكهم ولكنها كانت قد انحطت كثيراً عن منزلتها السابقة وما زال نجمها في الافول حتى انقسمت مملكة السلوقيين على نفسها فعاد ذلك عليها بفائدة عظيمة ·ولما نشبت نار الحرب بين سلوقوس كالينيوس وانطيوخس هيراكس جعل ملك ارواد جزيرتهُ ملجأ للهار بين السياسيين فباتوا فيها في امن وسلام وكان كثيرون منهم من اصحاب المراتب العالية فلما فض النزاع وسوي الخلاف عاد هؤلاء الى اوطانهم وسعوا في مكافأة ارواد على جميلها فاسترجعت بذلك بعض مكانتها السابقة وزادت عزة وبسطة

ولكن الدهر لم يصفُ لها طويلاً فاتى الرومان سورية وفتحوها بقيادة بومبيوس وجعلوها ولاية رومانية واثقلوا عاتق اهلها بالجزية التي فرضوها عليهم فثاروا على الرومان واحرقوا

قائدين من قوادهم المشهورين فانتقم الرومان منهم وقتلوا كثيرين من وجوههم وكبرائهم

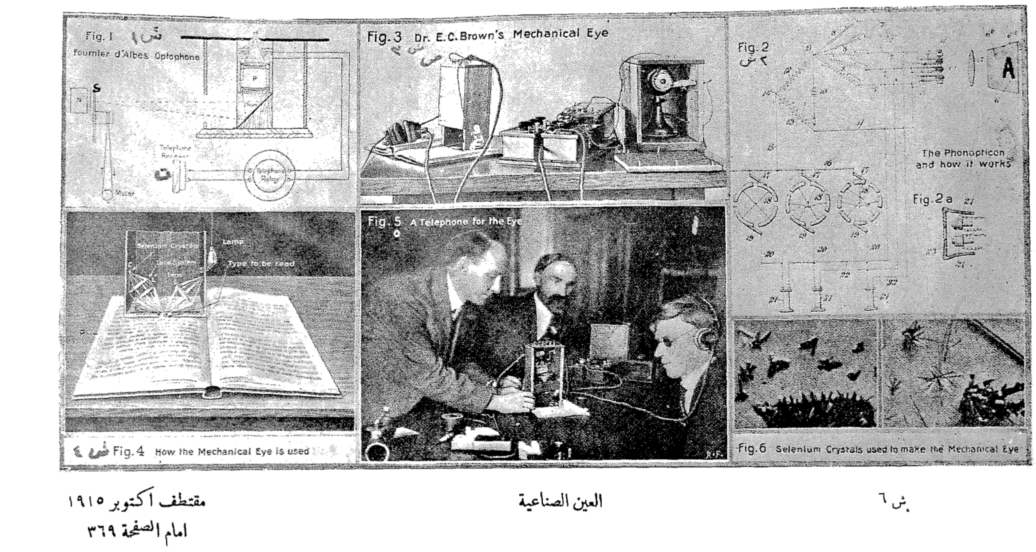
ولما ضاقت الجزيرة باهلها بنوا في البر قبالتها مدينة انترادوس (اي المقابلة لارادوس) وهي مدينة طرطوس الحالية · وقد خربت هذه المدينة مراراً ولكن قسطنطين الكبير اعاد بناءها سنة ٣٤٦ للمسيح واطلق عليها حينئذٍ اسم قسطنطينية وظلت تعرف بهذا الاسم الى القرون الوسطى لما ابدل باسم طورطوسا ثم حرفها العرب الى طرطوس

وذكرت جزيرة ارواد في جملة الاماكن التي امر لوقيوس القنصل الروماني بحماية اليهود فيها باشراف شمعون رئيس الكهنة كما ورد في الكتب المقدسة · ودخلت المسيحية هذه الجزيرة بواسطة بطرس الرسول لما زارها ثم صارت كرمي اسقفية وقد ذكر اسقفها في اعمال المجمع القسطنطيني · ولما عاد الخليفة معاوية ابن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية من غزوة قبرص في سنة ٦٣٧ اتى بسفنهِ الى جزيرة ارواد ودعا سكانها الى الطاعة فأبوا فشدد عليهم الحصار ولكنهُ لم ينل منهم منالاً فاوفد اليهم اسقف حماة ليحملهم على المسالمة والصلح فحبسوهُ عندهم وكان فصل الشتاء قد دنا واشتدت الارياح والامطار فاضطر معاوية الى رفع الحصار عنها ورجع الى دمشق · وعاد اليها بعد سنة وحاصرها فاستسلم اهلها بشرط ان تكون لهم الحرية في الذهاب اينما شاؤُوا ودخلتها عساكر معاوية وحرقتها ودكت اسوارها وعطلت ميناءها

وذكر ابن الاثير ان فتح ارواد كان سنة ٥٤ قال وفيها فتح المسلمون جزيرة ارواد ومقدمهم جنادة بن ابي امية واقاموا بها سبع سنين · وذكر ياقوت ان فتحها كان في تلك السنة ايضاً ايام معاوية وكان من الذين فتحوها مجاهد بن جبر المقرىء وتُبيع ابن امرأة كعب الاحبار

وقد اخذت ارواد تتقهقر منذ ذلك الحين فانحطت مكانتها وبارت تجارتها وما زالت تتناوبها الدول حتى جاء الصليبيون فاستولوا عليها وظلت في يدهم الى سنة ١٣٠٢ لما برحوا البلاد بجملتها · وامتدت مملكة ارواد في زمانها من جبيل الى اللاذقية كما تقدم وكان اشهر مستعمراتها حينئذٍ بلطس وبلانيه وكارن وانهدرا ومراثوس وهي معروفة الآن باسماء بلده وبانياس والقرنون ورمقا (بين طرطوس وعمريت) وعمريت

وكانت جزيرة ارواد آخر ما بقي بيد الفرسان الهيكليين من الصليبيين في سورية



مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٦٩

العين الصناعية

ش ٦

العين الصناعية

ليس المراد بذلك انهُ صُنعت عينٌ توضع بدل عين الاعمى فيرى بها المرئيات . بل المراد انهُ استُنبطت آلة تتأثر بالمرئيات تأثراً كهربائيًا يحدث صوتًا في التلفون يسمعهُ الاعمى فيعلم بالممارسة شكل المرئي الذي سبّبهُ . والمرئي هنا هو حروف الكتابة المطبوعة فاذا وقع عليها النور حرفًا حرفًا اثَّر النور المنعكس عنها في آلة دقيقة فيها سلينيوم فولّد فيها مجرًى كهربائيًا يؤَثر في تلفون سماعتهُ موضوعة على اذن الاعمى فيسمع بها اصواتًا تختلف باختلاف الحروف فيتعلم سريعًا تعليق كل صوت منها بالحرف الذي سببهُ فيصير يقرأُ حروف الطبع العادية كالبصير

وهذا الاستنباط البديع مبني على ان عنصر السلينيوم يتأثر بالنور فيزيد ايصالهُ للكهربائية او ينقص حسب قوة النور كما ابنا مراراً في المقتطف

وقد استنبط الدكتور فورنيه دابل آلة منذ سنوات تمكّن الاعمى من الشعور بالنور والظلمة وتمييز درجات النور هل هو شديد ساطع او ضعيف ضئيل وذلك بآلة فيها شيء من عنصر السلينيوم

ثم استنبط آلة الابتوفون وهي تمكّن الاعمى من قراءة حروف الطبع وقد وُصفت هذه الآلة في جمعية لندن الملكية منذ اكثر من سنة الاَّ ان الحروف يجب ان تكون شفافة يخترقها النور حتى تؤَثر في السلينيوم الذي فيها وان يكون ارتفاع كل حرف منها خمسة سنتمترات . والنور المار بها يجب ان يكون متقطعاً حسب ابراج السلَّم الموسيقي الثمانية ويصدر من نقط منيرة موضوعة في خط واحد طولهُ خمسة سنتمترات على الاقل في صفيحة مستديرة كصفيحة الفونوغراف او بعض الآلات الموسيقية التي فيها صفائح مخرقة

ثم اصلح الدكتور فورنيه هذه الآلة وقصَّر خط النقط المنيرة من خمسة سنتمترات الى ملتر ونصف اي جعل طولهُ كطول حروف الطباعة العادية وقوَّى التلفون المتصل بها فتألفت الآلة من صفيحة موسيقية صغيرة مستديرة تدور على محورها وهي المدلول عليها بالحرف S في الشكل الاول يقع عليها النور من مصباح ساطع النور N وجهاز بصري لالقاء صورة خط النقط المنيرة الناتجة من ادارة الصفيحة على حروف الكتاب التي يراد قراءتها . وهناك مدرَّج من السلينيوم معرَّض للنور الذي يعكس عن الحروف وتلفون متصل بهذا المدرَّج بعد

مروره على آلة لتقوية المجرى الكهربائي · وفي الجهاز البصري موشور قائم الزاوية يعكس اشعة النور المتوازية الآتية من الصفيحة الموسيقية الى الاعلى فتمر في العدسية P وتجتمع وتنفذ من الثقب H · وتوضع على الثقب الورقة المطبوعة اي التي فيها حروف الكتابة ووجهها الى الاسفل ويوضع مدرَّج السلينيوم على مقربة من الحروف وهو مثقوب لتمر منهُ اشعة النور · وتدار الصفيحة الموسيقية بآلة كهربائية او بثقل مارٍ على بكرة فاذا اديرت واجريت الورقة المطبوعة فوق الثقب سمع بالتلفونات صوت قوي حينما يمر الجزء الابيض الذي بين الحروف وينخفض الصوت حينما تمر الحروف اي ان الصوت المسموع ينخفض ويعلو حسب كون ما مرَّ من الورقة مطبوعاً او غير مطبوع · ويختلف الصوت حسب شكل الحرف · ولا بدَّ من امرار الورقة المطبوعة امام بؤرة النور في جهة قراءة السطور وتحكيمها حتى تمرَّ في خط مستقيم غير متعرج اي حتى يقع النور على سطر الكتابة دائماً لا يحيد عنهُ وحتى يقع ثمانٍ على الاقل من نقط النور على الحرف ستٌّ منها على جسم الحرف القصير كحرف e وواحدة على ما يمتدُّ منهُ الى الاعلى كحرف d وواحدة على ما يمتد منهُ الى الاسفل كحرف P

ويقال ان الاعمى يستطيع ان يقرأ الكتب العادية بهذه الآلة بعد شيءٍ من الممارسة وذلك بما يسمعهُ من الاصوات الدالة على شكل الحروف · وتأثيرها فيهِ كتأثير الاصوات الموسيقية حسب اختلاف ابراجها

اما الآلة الجديدة المسماة فونوبتيكون Phonopticon فقد استنبطها الدكتور برون من اساتذة جامعة ايوى باميركا واستعمل فيها بلورات من السلينيوم فصارت الآلة بها بسيطة سهلة الاستعمال يستطيع كل اعمى ان يتعلم استعمالها بسهولة · وفي اليوم الاول والثاني من شهر يوليو الماضي عرض هذه الآلة امام مجمع العمال لاجل العميان في اميركا الذي التأم في سان فرنسسكو وامتحنها حينئذٍ ثلاثون اعمى فاستطاع كل واحد منهم ان يميز بعض الحروف بسهولة من اختلاف الاصوات التي سمعها لها وكان هناك المستر ويدير امين اعمال العميان في جامعة كليفورنيا وهو نفسهُ اعمى فتعلَّم تمييز الحروف بها حالاً · وسمع اصوات ثلاث كلمات قصيرة فتعلم تمييزها عن غيرها بعد ما سمعها مرتين · ثم سمع صوت حرف لم يكن قد سمعهُ قبلاً فعرف ما هو من المقابلة بين صوتهِ واصوات الحروف المشابهة لهُ · ويقال الآن ان الاعمى المتوسط الذكاء يستطيع ان يتعلَّم قراءة المطبوعات بهذه الآلة في شهرين من الزمان على الاكثر

وصف الفونوبتيكون

ترى في الشكل الثاني رسوماً توضح اجزاء هذه الالة وكيفية عملها. لنفرض ان صفحة فيها الحرف A وضعت امام العدسية 5 وان الصفحة التي فيها الحرف A وسائر الحروف المطبوعة بقيت في محلها ولكن العدسية 5 وبلورات السلينيوم 1 كانت تتحرك امام الحروف حسب امتداد السطر الذي يراد قراءتهُ . وهناك خط من النور (6b) يقع على السطر ويمرّ على الحروف حرفاً حرفاً تابعاً حركة العدسية فتقع صورتهُ على العدسية وهو مارٌّ على الحرف وتنفذها الى بلورات السلينيوم معكوسة واول ما يصل اليها بهِ صورة اسفل الحرف A من الجهة اليسرى ثم صورة وسطهِ ثم صورة اعلاهُ وهكذا الى طرفهِ الاسفل الايمن . والنور الذي يصل الى بلورات السلينيوم يؤثر في المجرى الكهربائي المتصل بها وينتقل تأثيرهُ الى التليفونات الثلاثة المدلول على كلٍّ منها بالعدد 21 وعلى واحد منها مكبراً الى جانبها

وترى في الشكل ٣ هذه الآلة في حالتها الحاضرة وثقل كل اجزائها ٣٥ ليبرة والجزء منها الذي يقرأ بهِ هو الصندوق القائم على كتاب المدلول عليهِ بالحرف ص وثقلهُ ليبرتان لا غير ويمكن تصغيرهُ وتخفيفهُ حتى يصير ثقلهُ جزءا من ليبرة . وفي هذا الصندوق بلورات السلينيوم وهي تتأثر بالنور كما تتأثر العين الطبيعية ويتصل بهِ المصباح الذي يقع منهُ النور على صفحة الكتاب وفيهِ العدسيات اللازمة لنقل صور الحروف الى بلورات السلينيوم . فاذا وضع هذا الصندوق فوق الكتاب وقعت العدسيات التي فيهِ مائلة على صفحة الكتاب بعضها الى اليمين وبعضها الى اليسار كما ترى في الشكل ٤ وترى هناك مصباحاً خارج الصندوق والعدسية التي تحتهُ تجمع اشعة نورهِ على حروف الكتاب ثم تنعكس هذه الاشعة الى العدسيتين المقابلتين ومنها الى بلورات السلينيوم . وتري في الشكل الخامس هذا الصندوق موضوعاً على كتاب ورجلاً بصيراً يمرّهُ بيدهِ على سطور الكتاب ورجلاً اعمى واضعاً سماعة التلفون على اذنهِ يسمع الاصوات الصادرة من الحروف فيميز كل حرف منها بصوتهِ ويقرأها كما لو رآها البصير بعينيهِ

والفرق بين آلة الدكتور فورنيه وآلة الدكتور برون كبير جدًّا فان الدكتور برون استعمل بلورات كبيرة من السلينيوم بدل البلورات الصغيرة جدًّا التي كان الدكتور فورنيه يستعملها وتأثُّر البلورات الكبيرة بالنور يزيد على تأثُّر الصغيرة مئة ضعف . ولم يستعمل الدكتور برون في الآلة التي عرضها في سان فرنسسكو سوى بلورتين من بلورات السلينيوم

واحدة للجزء الاعلى من الحروف وواحدة للجزء الاسفل مع ان آلة فورنيه فيها ثمانية ثقوب . والصوت في آلة فورنيه موسيقي يميَّز باختلاف نغمتهِ الموسيقية اما آلة برون فتخرج منها اصوات تختلف باختلاف الحروف وتميزها الاذن بسهولة ولا تحتاج الى آلة لتقوية المجرى الكهربائي كآلة فورنيه . والكتاب في آلة فورنيه يوضع فوق الآلة ويجب امرارهُ فوق الثقب الذي يمرُّ منهُ النور ولا تخفى صعوبة ذلك في الكتب الكبيرة الثقيلة واما آلة برون فتوضع على صفحة الكتاب ويمكن تحكيمها حتى تناسب حروفهُ سواء كانت كبيرة او صغيرة وهذا ما لا يمكن في آلة فورنيه . والشيء الجوهري في الفرق بين الآلتين هو استعمال الدكتور برون لبلورات السلينيوم الكبيرة

والدكتور برون هو الذي استحضر هذه البلورات فلن بطريات السلينيوم التي كان الباحثون يستعملونها كان السلينيوم فيها ذرات صغيرة توضع على سلك ملفوف حول صفيحة من حجر الصابون او نحوهِ وكان المجرى الكهربائي يمرُّ بهذا السلك وبذرات السلينيوم فينتقل بها من لفة الى اخرى من لفات السلك وتختلف مقاومة السلينيوم للمجرى الكهربائي باختلاف قوة النور وضعفهِ فيختلف المجرى الكهربائي كذلك . فخطر للدكتور برون ومساعديهِ انهُ اذا امكن استخلاص بلورات كبيرة من السلينيوم حتى يسهل استعمالها وحدها نُفيت كل العيوب التي في بطريات ذرات السلينيوم فوجهوا همتهم الى ذلك وفازوا بالنجاح بعد ما اشتغلوا اربع سنوات وذلك بان وضعوا ذرات السلينيوم في انبوب زجاجي وافرغوا منهُ الهواء وسدوهُ سدًّا هرمسيًّا ووضعوهُ في فرن كهربائي وابقوهُ فيهِ على حرارة واحدة ثلاثة اشهر فتولدت فيهِ البلورات الكبيرة . وترى صور هذه البلورات في الشكل السادس . وقد استخدم علماء الطبيعيات هذه البلورات الآن في مباحث كثيرة متعلقة بالنور والكهربائية عدا استعمالها في العين الصناعية

والسلينيوم عنصر يشبه الكبريت اكتشفهُ برزيلوس سنة ١٨١٧ وسماهُ بهذا الاسم اي القمر لانهُ رآهُ مشابهًا في خواصهِ لعنصر التلوريوم الذي معنى اسمهِ الارض . وهو قليل الوجود ولا نعلم لهُ فائدة غير هذه الفائدة وهي تأثرهُ بالنور والظاهر ان تأثر بلورات السلينيوم بالنور يختلف باختلاف الضغط عليها كما يختلف باختلاف النور في قوتهِ وضعفهِ والنور يمر في البلورات على طولها ويمر فعلهُ بها كذلك على طولها

والمظنون انهُ اذا امكن استحضار بلورات من السلينيوم اكبر من البلورات التي استحضرت حتى الآن يكون تأثرها بالنور اشد ويحتمل ان تستعمل في التصوير والفوتوغرافيا

ما نأكل بدل اللحم

كتب الاستاذ جمس لونغ في جريدة الدبلي ميل الانكليزية مقالة في هذا الموضوع قال فيها : ان اللحم اغلى الاطعمة في الحالات العادية اذا قيس بمقياس قيمتهِ الغذائية . اما الآن وقد بتنا في حال استثنائية بسبب الحرب فقد زاد غلاء على غلاء . وهذا لا يهمّ الذين يحسبونهُ احد لوازم المعيشة ويأكلونهُ ثلاثاً في يومهم . ولكنني آتٍ هنا ببعض حقائق قد تقنع المتعنتين بان اللحم فضلة يستغنى عنها ونافلة زائدة على الحاجة

وجدتُ في بحثي ان جمهور الآكلين يلبّون داعي الذوق فيهم وهم يطلبون طعامهم لا داعي العلم والحقائق التي كشفها العلم . واذا قلت اللحم فانما اعني اللحمَ الاحمر (الهبر) لان الدهن ليس اغلى عندنا من الشحم . فاللحم معظمهُ ماء . أخذت فخذ خروف ثقلها ٨ ارطال وطبختها في فرن فلما جيءَ بها الى المائدة كان وزنها ٥ ارطال و٨ اواقي اي انها نقصت رطلين و٤ اواقي وكنت قد اشتريت الرطل بشلن فاصبح ثمن الرطل منها بعد ما اعتراها من النقص نحو شلن ونصف . على ان في الفخذ عظماً ونفاية اخرى لا تؤكل فاذا طرحت من الجزء الذي يصلح للاكل بقي منهُ ٤ ارطال و٤ اواقي فاصبح بذلك ثمن رطل اللحم الصالح للاكل نحو شلنين . وخمس هذا الجزء الى ربعهِ دهن . ولما كان اللحم يحتوي على ٣٠ في المئة من المادة المغذية فانهُ شرٌّ بديلٍ منَ الاطعمة المغذية التي يمكن ان تحل محلهُ والتي سأذكرها فيما يلي . والخلاصة ان الجزء المغذي من فخذ الضان ثمن الرطل منهُ نحو ستة شلنات ونصف

ومثل ذلك يقال في الكستلاتا وقد اشتريت منها ما زنتهُ رطل وثلث بشلن ونصف ثم طبخ فاصبح ثقلهُ $\frac{3}{4}$ الرطل اي انهُ فقد الثلث . ووزن اللحم مجرداً من العظم فكان نصف المقدار الاول . وبعبارة اخرى ان ثمن الرطل من اللحم المطبوخ المجرد من العظم $\frac{1}{2}$ ٢ الشلن . ثم ان آكل الكستلاتا كثيراً ما يختار منها اللحم الاحمر الطريَّ وينبذ الاطراف اليابسة والاجزاء التي خالطها الدهن فيبلغ ثمن الرطل مما يأكلهُ منها ٤ شلنات وثلثاً . واذا كان في اللحم ٣٠ في المئة من المادة المغذية كان ثمن الرطل من المادة المغذية في اللحم ١٤ شلناً

والسمك طعام حيواني كاللحم . وما تقدم من الكلام على اللحم يصدق عليهِ . فان سمكة ثقلها رطل اشتريت بشلن . وبعد تنظيفها وطبخها ونزع الشوك منها اصبحت نصف

ما كانت عليهِ عند شرائها اي نصف رطل فيكون ثمن الرطل شلنين · وثمن الرطل من المادة المغذية في السمك نحو ٨ شلنات

فاذا سألني بسائل ترى اي الاطعمة يمكن ان تحل محل اللحم والسمك ويكون ثمنها اقل منها · فاجيبهُ باننا نستطيع الحصول على جميع المواد المغذية اللازمة لنا في القطاني والخضر والاثمار · والمواد المذكورة فيما يلي غنية بالبروتايين وهو اهم عناصر اللحم ولكنهُ اقل ثمناً ونفقة فيها منهُ في اللحم · واذا ارتاب احد في احتواء القطاني كالفول والعدس على المادة المغذية في اللحم اقول لهُ اولاً ان ما يؤكل من الطعام في المرة الواحدة يكفي لتغذية الآكل مهما يكن نوع الطعام · وثانياً ان في الرطل من الفاصوليا الناشفة او البازلا او العدس او الجبن من المادة المغذية ضعفي ما في رطل من لحم البقر الجيد

وهاك جدولاً للمقابلة بين ثمن الرطل من المادة المغذية في اللحم والسمك والبقول واللبن محسوباً بالقروش المصرية

فخذ ضاني	٣٢	بطاطس	٠٢ $\frac{1}{2}$
كستلاتا ضاني	٣٩	خرشوف	٠٢ $\frac{1}{2}$
اللحم الذي يؤكل في الكستلاتا	٦٨	قنبيط	٠٧
فاصوليا ناشفة	٠١ $\frac{1}{2}$	معكرونه	٠٢ $\frac{1}{2}$
بازلا ناشفة	٠١ $\frac{1}{2}$	بن	٠٥
عدس	٠١ $\frac{1}{2}$	خبز	٠١ $\frac{1}{2}$
جبن	٠٨	عجه	١٠
بازلا خضراء	٢٢		

فهذه المواد تتألف منها الوان للطعام لا تحصى ونفقة ما يكفي عائلة منها اقل من نفقة ما يكفي الفرد من اللحم

وليست كمية الطعام الذي نأكلهُ هي التي فيها قوامنا بل موافقة الطعام لنا من حيث نوعهُ ومزاج الآكل والفصل الذي يؤكل فيهِ · وفصل الصيف هو الفصل الذي يجب فيهِ نبذ الاطعمة الحيوانية واحلال النباتية محلها · فان في ذلك توفيراً على الصحة والكيس معاً

مضادات الفساد

اشرنا في العدد الماضي الى الاكتشاف الطبي الذي اكتشفهُ العالمان الفرنسويان الدكتور الكسس كارل والدكتور بودن لمضادة الفساد في الجروح . وقد اطلعنا في المجلة الطبية البريطانية على وصف آخر لاكتشاف مثلهِ تماماً في الجزئيات والكليات اكتشفهُ عالم انكليزي قبلما أعلن العالمان الفرنسويان اكتشافهما في اكاديمية العلوم بباريس وهذا ما قالتهُ المجلة المذكورة :

« ان الاكتشاف الجديد ليس الاَّ الحامض الهيبوكلورس . فانهُ عرف منذ سنوات عديدة ان انواع الهيبوكلوريت التي يستخدم مسحوقها كثيراً في قصر الاقمشة وغيرها من اشد قاتلات جراثيم الفساد وبالتالي من افضل المطهرات . وقد كانت تستعمل في تطهير الاعمال الصحية العمومية منذ زمن طويل وهي تستعمل الآن في ميادين الحرب لتطهير المياه التي يستقي الجنود منها

وحاول الجراحون بعد ما عرفوا هذه الخاصة في الهيبوكلوريت ان ينتفعوا بها في تطهير الجروح ومقاومة الفساد الذي يطرأ عليها فلم يفلحوا لعدم توفقهم الى حفظهِ بحالة ملائمة من السيولة ولان استعمالهُ وهو قوي يهيج الانسجة ويحدث المًا شديداً فيها ولكن لما شبت الحرب الحاضرة وكثر الجرحى المصابون بالجروح البالغة القذرة التي لم يسبق لها مثيل في الحروب الماضية حول الاطباء والعلماء افكارهم وصرفوا هممهم الى اكتشاف مضاد للفساد يفي بالغرض اكثر من المضادات المعروفة . وفي جملة العلماء الذين اهتموا بهذا الامر الاستاذ لورين سمث رئيس القسم الباثولوجي في جامعة ادنبرا فان لجنة المباحث العلمية الانكليزية كلفتهُ ان يسعى مع الدكاترة درنان ورتي وكمل الى اكتشاف مضاد جديد مفيد فبدأ بحثهِ بالهيبوكلوريت وبعد تجارب عديدة عثر على طريقة يمكنهُ بها استعمال الحامض الصرف مضاداً للفساد . ومن غرائب الاتفاق انهُ وجد بالاختبار ما وجدهُ الدكتور كارل وزميلهُ الدكتور بودن وهو ان خير الطرق لتوليد الغاز (غاز الكلور) يكون بفعل حامض البوريك في مسحوق القصر (مسحوق الهيبوكلوريت) ممزوجاً بالماء

وقد اطلق الاستاذ لورين سمث اسم « يوباد » على المسحوق المؤلف من كميتين متساويتين من مسحوق القصر التام ومسحوق حامض البوريك بعد مزجهما جيداً في هاوون

واطلق اسم « يوزول » على الحامض الهيبوكلوروس الصرف المحضر بالطريقة السابقة مع اضافة الماء الى المسحوقين المذكورين

وظهر بالتجربة والامتحان ان فعل الحامض الهيبوكلوروس يكون على اتمهِ في الحالة الغازية لانهُ يتخلل الانسجة في هذه الحالة اكثر مما يتخللها لو كان محلولاً وهو اذا انحل في الانسجة بعد ذلك انحل الى حامض هيدروكلوريك ضعيف او كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ولذلك لا يخشى منهُ من التسمم اذا امتصتهُ اجهزة الجسم

وقد امتحن فعل هذا الحامض في عمليات جراحية عديدة عملت في مستشفيات ادنبرا محلولاً ومسحوقاً فاسفر عن نتيجة حسنة جداً . وفي جملة الحوادث التي امتحن فيها الحادثة التالية وهي جيء بجندي كسرت فخذهُ كسوراً عديدة سيئة واصيبت بجراح بالغة وادخل المستشفى بعد اصابتهِ بها بنحو شهر وكانت آلام جراحهِ شديدة مبرحة والمادة الكريهة تفرز من فتحتين منها بكثرة وحرارتهُ عالية فعولجت الجراح اولاً بمضادات الفساد العادية بضعة اسابيع فكان التقدم بطيئاً جداً ثم عولجت « باليوزول » فزالت رائحة الفساد بعد ثلاثة ايام وخف النز والالم منها وهبطت الحرارة تدريجاً واعتدلت بعد عشرة ايام وتحسنت حالة الجريح بهذا العلاج تحسناً كبيراً مطرداً

وقد استنتج الاستاذ سمث ومعاونوهُ من التجارب العديدة التي جربوها ان الحامض الهيبوكلوروس اقوى مضادات الفساد المعروفة وانهُ مع شدة فعلهِ بالجراثيم والخمائر واتلافها لا يؤْذي الانسجة في المكان الذي يستعمل فيهِ خاصة ولا بواسطة الامتصاص عامة وانهُ اذا كان ثم ضرر منهُ فهو قليل لا يعتد بهِ ولا يقاس بالضرر الذي تحدثهُ مضادات الفساد المعروفة

ومن مزايا هذا الحامض سهولة استعمالهِ في ساحات الحرب اذ يمكن استعمالهُ فيها مسحوقاً فيخفف عن الجنود مشقة البحث عن الماء اللازم لمضادات الفساد الاخرى . والطريقة المثلى في استعمالهِ كذلك هي ان يرش المسحوق على الضمادة الاولى التي يضمد بها الجرح في مستشفى الميدان اما اذا تيسر الماء فيمكن حل هذا المسحوق فيهِ ويكمد الجرح بالمحلول تكميداً

ومن خواص الحامض الهيبوكلوروس الغريبة انهُ يجذب العصير اللمفاوي فيسيل مخترقاً الجزء المعتل ويطرد في سيلهِ المواد السامة او المفسدة من الداخل الى الخارج ففعلهُ من هذا القبيل مثل فعل محلول قوي من الملح في معالجة الجروح . وقد اتت معالجة الجروح البالغة بمحلول الملح (وهي طريقة جديدة) بفوائد جمة ولكن محلول الملح لا يقتل جراثيم الفساد مثل الحامض الهيبوكلوروس انتهى »

بعد كتابة ما تقدم اطلعنا في عدد اخير من اعداد مجلة «نانشر» الانكليزية على الفقرة التالية :

«ان الحرب الحاضرة اثارت البحث في العلاجات الواقية والشافية فلا يكاد يوم يمضي حتى تنشر الصحف اليومية انباء مختلفة باكتشاف ادوية جديدة وطرق للمعالجة لم تكن معروفة قبلاً . من ذلك ما نشر عن اكتشاف مصل غريب الفعل عجيب التأثير في معالجة الجروح التي طرأ عليها الفساد اكتشفهُ الاستاذان لكلنش وفاليه من كلية ألفور البيطرية . ومن ذلك ما اشيع من ان الدكتور بُل من ملبورن باستراليا استخلص من اليوكالبتوس دواء شافياً للحمى الدماغية الفقارية . وكذلك ما اشاعوا عن اكتشاف مزيج مضاد للفساد لعلاج الجروح زعموا انهُ جديد . وهو مؤلف من كلوريد الجير (مسحوق القصر) والحامض البوريك والطباشير . ولكن هذا المزيج كان معروفاً من قبل كما قالت مجلة اللانست» (وهي اشهر المجلات الطبية الانكليزية)

باب الزراعة

الحرب والزراعة

سيكون لهذه الحرب اثر سيء في الزراعة باوربا لقلّة العاملين في خدمة الارض فقد اطّلعنا في مجلة المعرفة الانكليزية على صورتين لحقلين متشابهين من الحنطة احدهما تمكّن صاحبهُ من تنقية الحشائش منهُ فترى زرعهُ نامياً جدًّا والثاني لم يتمكن صاحبهُ من تنقية العشب منهُ لقلّة الايدي العاملة عندهُ فنبت العشب بين الزرع وهو من نوع الخردل البري حتى لا يكاد الزرع يبين بينهُ . ويقال ان ثمن ما يمكن ان يحصد من هذا الحقل لا يقوم بنفقة حصدهِ . واضرُّ من ذلك ان هذا العشب ازهر وستكثر بزورهُ وتملأ تلك الارض وما يجاورها . والمرجح ان هذا شأن اراضٍ كثيرة في اوربا لان الملايين الذين سيقوا الى هذه الحرب اكثرهم من الفلاحين

ومعلوم ان الفلاّح الواحد يستطيع ان يزرع ويخدم عشرة افدنة مزروعة حنطة وان متوسط غلة الفدان في اوربا نحو اربعة ارادب فاذا فرضنا ان عدد الرجال الفلاحين الذين سيقوا الى الحرب في روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا وايطاليا وانكلترا ثمانية ملايين فثلاث مئة

مليون اردب من الحنطة او ما يقوم مقامها لا تجد لها ايادي عاملة لزرعها وخدمتها واستغلالها وهي اكثر من نصف ما يأكلهُ سكان اوربا من الحنطة

محصول القمح
في الولايات المتحدة وكندا

يؤْخذ من التقارير التي وردت على انكلترا من الولايات المتحدة ان حصد محصول القمح الشتوي قد تأخر فيها عن المعتاد بسبب سوء الاحوال الجوية في اكبر المقاطعات التي زرع فيها القمح الشتوي. ويقال ايضاً ان المحصول اصيب بضرر كبير للسبب عينهِ ولا بد لذلك من تعديل التقدير الذي قدر بهِ محصول القمح اخيراً قبل انتهاء الحصاد

على ان جميع الدلائل تدل الآن على ان محصول القمح الربيعي سيكون اكبر محصول عرف في تاريخ الولايات المتحدة حتى الآن بشرط ان تظل الاحوال الجوية ملائمة لهُ

وقد شرع في الحصاد في كندا والمحصول فيها هذا العام اكبر من محصول العام الماضي كثيراً ولكنهُ متأخر عن المعتاد مثل المحصول في الولايات المتحدة

وتجار القمح في بريطانيا العظمى يبذلون المساعي الآن للتعجيل في شحن ما تيسر من المحصول الجديد في الولايات المتحدة وكندا الى انكلترا لان الوارد عليها من القمح قلّ عن المعتاد في هذه الايام نحو النصف

وقد قالت مجلة ناتشر الانكليزية في عدد اخير ان الحشرة المسماة « هسيان فلاي » فتكت في الفصل الماضي فتكاً ذريعاً بموسم القمح الاميركي واتلفت ملايين من الارادب. فاذا لم تتدارك الحكومة الاميركية هذه المسئلة حالاً خيف ان يتفاقم الخطب في الموسم الآتي. وقد اصدرت مصلحة الزراعة الاميركية منشوراً وزعتهُ على الفلاحين الذين نكبت زراعتهم في طول البلاد وعرضها وحضتهم فيهِ على اتباع النصائح التي زودتهم بها سنة ١٩١٤ ولكنهم تجاهلوها رغم الانذارات المتكررة فكان من فتك تلك الحشرة بزروعهم ما كان. ومما قالتهُ في منشورها ان هذه الآفة يمكن ابادتها واستئصال شأفتها بتأجيل زرع الخريف الى ما بعد ما خروج الذباب من شرانقهِ اللاصقة بسوق الموسم الصيفي فان هذا الذباب يموت حالما يدرك سنّ البلوغ من غير ان يخلف نسلاً اذ لا يجد مكاناً يلقي فيهِ البيض. واوصتهم كذلك بحرق سوق القمح الباقية في التربة بعد الحصد حيث يمكن ذلك. وحيث لا يمكن ذلك ينبغي تعميق الحرث وتزحيف الارض

محصول القطن المصري

نشرت شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية بيانها السنوي عن محصول القطن والبزرة في عام اوله ١ سبتمبر ١٩١٤ وآخره ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهذا ما جاء فيهِ

القطن

الواصل الى الاسكندرية		٦ ٣٧٣ ٢٦٣ قنطاراً
يضاف اليهِ ليصحح الحساب		٠ ١١٦ ٩٥٨ «
		٦ ٤٩٠ ٢٢١ «
الصادر الى انكلترا	٣٧٩ ٤٥١ بالة	
« اسبانيا	٠٢٣ ٢٠٤ «	
« الولايات المتحدة	١٧٤ ٣٨٢ «	
« فرنسا	٠٢٧ ١٠٧ «	
« الهند	٠٠٠ ٤٧٥ «	
« اليابان	٠١٨ ١٦٩ «	
« ايطاليا	١٦٧ ٧٠١ «	
« البرتغال	٠٠٠ ٧٥٦ «	
« روسيا	٠٠٧ ٥٢٨ «	
« اسوج ونروج	٠٣١ ٤٤٢ «	
« اليونان وتركيا	٠٠٢ ٥١٦ «	
	٨٣٢ ٧٣١ «	فيها ٦٣١٨٩٩٠ قنطاراً
المخزون في الاسكندرية في اول سبتمبر ١٩١٤		٧٦٦ ٣٠٠ «
الواصل كما هو مبين اعلاه		٦ ٤٩٠ ٢٢١ «
		٧ ٢٥٦ ٥٢١ «
الصادر كما هو مبين اعلاه	٦ ٣١٨ ٩٩٠ قنطاراً	
الذي اخذ للغزل	٠ ٠٤٦ ٨٩٠ «	
ما دمرتهُ النار	٠ ٠٠٠ ٣١١ «	٦ ٣٦٦ ١٩١ «
الباقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥		٠ ٨٩٠ ٣٣٠ «

البزرة

		اردب
الواصل الى الاسكندرية		٣ ٧٥١ ٧٠١
يضاف اليهِ لتصحيح الحساب لآخر السنة		٠ ٠٢٣ ٩٦١
		٣ ٧٧٥ ٦٦٢

الصادر من الاسكندرية

		اردب	
الى انكلترا	هل	١ ٦٣٤ ٨٧٤	
	لندن	٠ ٤٥٥ ٩٧٠	
	موانىء اخرى	١ ١٧٥ ٦٩٣	
الى فرنسا	مرسيليا وسواها	٠ ٠٠٨ ٨٢٢	
		المجموع	٣ ٢٧٥ ٣٥٩
المخزون في الاسكندرية في ١ سبتمبر ١٩١٤			٠ ١١٣ ٢٩٧
الواصل كما هو مبين اعلاه			٣ ٧٧٥ ٦٦٢
			٣ ٨٨٨ ٩٥٩

	اردب	
الصادر كما هو مبين اعلاه	٣ ٢٧٥ ٣٥٩	
المستقطع في برمصر	٠ ٦٠٠ ٠٠٠	
	المجموع	٣ ٨٧٥ ٣٥٩
الباقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥		٠ ٠١٣ ٦٠٠

وعلاوة على ما استقطع في الاسكندرية عصر نحو ٤١٥ ٠٠٠ اردب في كفر الزيات والزقازيق

هذا وقد قررت الحكومة المصرية الآن ان لا تقيد زراعة القطن بثلث الاطيان في السنة القادمة . ومن المرجح حينئذٍ ان يعود زمام الاطيان التي تزرع قطناً الى ما كان عليهِ اي نحو ١ ٧٠٠ ٠٠٠ فدان او اكثر فتزيد الحاجة الى البزرة لاجل التقاوي

محصول القطن ومقطوعيتهُ

نقل البصير عن جريدة الكرونكل جدول مقطوعية القطن في الدنيا في الاعوام الخمسة الماضية وجدول المحاصيل التجارية فيها اي ما وصل من القطن الى اسواق التجارة فيها والجدول الاول محسوب بالبالات الاميركية والبالة خمسة قناطير وهو

	٩١٤—٩١٥	٩١٣—٩١٤	٩١٢—٩١٣	٩١١—٩١٢	٩١٠—٩١١
اميركا	٥ ٨٠٥ ٠٠٠	٥ ٦٨٠ ٠٠٠	٥ ٥٣١ ٠٠٠	٥ ٢١٠ ٠٠٠	٤ ٤٨٥ ٠٠٠
انكلترا	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٤ ٣٠٠ ٠٠٠	٤ ٤٠٠ ٠٠٠	٤ ١٦٠ ٠٠٠	٣ ٧٧٦ ٠٠٠
اوربا	٣ ٢٥٠ ٠٠٠	٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٥ ٧٢٠ ٠٠٠	٥ ٤٦٠ ٠٠٠
الهند	١ ٦٠٧ ٠٠٠	١ ٦٨٠ ٠٠٠	١ ٦١٣ ٠٠٠	١ ٦٠٧ ٠٠٠	١ ٤٩٤ ٠٠٠
اليابان	١ ٤٠٠ ٠٠٠	١ ٥٢٢ ٠٠٠	١ ٣٥٢ ٠٠٠	١ ٣٣٧ ٠٠٠	١ ٠٨٧ ٠٠٠
بلاد مختلفة	٠ ٨٥٤ ٠٠٠	٠ ٦٨٤ ٠٠٠	٠ ٥٩٨ ٠٠٠	٠ ٥١٢ ٠٠٠	٠ ٤٤٨ ٠٠٠
المجموع	١٥٩١٧٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠	١٩٥٤٤٠٠٠	١٨٥٦٦٠٠٠	١٦٧٥٠٠٠٠

والجدول الثاني محسوب بالبالات الاميركية ايضاً وهو

	٩١٤—٩١٥	٩١٣—٩١٤	٩١٢—٩١٣	٩١١—٩١٢	٩١٠—٩١١
الولايات المتحدة	١٤٧٦٦٤٦٧	١٤٤٩٤٧٦٢	١٣٩٤٣٢٢٠	١٥٦٨٣٩٤٥	١١٨٠٤٧٤٩
الهند	٠٣٣٣٧٠٠٠	٠٤٥٩٢١٤٩	٠٣٤٦٨٤٠٧	٠٣١٠٧٦٦٠	٠٣٢٣٥٧٤٨
مصر	٠١٢٠٠٠٠٠	٠١٤٣٩٨٠٢	٠١٤١٦٣٥٢	٠١٣٩٦٤٧٤	٠١٤١٥٧١١
برازيل وغيرها	٠٠٢٤٠٠٠٠	٠٠٣٨٧٩٤٧	٠٠٣٧٠٠٠٠	٠٠٣٤١٨٣٦	٠٠٤٠٦٥٢٩
المجموع	١٩٥٤٣٤٦٧	٢٠٩١٤٦٦٠	١٩١٩٧٩٧٩	٢٠٥٢٩٩١٥	١٦٨٦٢٧٣٧
المقطوعية	١٥٩١٦٩٩١	١٩٩٥٨١٧٦	١٩٥٤٤٠٠٧	١٨٤٦٥٧٣٢	١٧٧٥٠٤٨٤
الفضلة	٠٣٦٢٦٤٧٦	٠١٠٥٦٤٨٤	٠٠٣٤٦٠٢٨	٠١٩٦٤١٨٣	٠٠١١٢٢٥٣

وعليهِ فالفضلة التي زادت على المقطوعية من الموسم الاخير تزيد على ثلاثة ملايين ونصف من البالات ولا تقاربها الاَّ الفضلة التي بقيت سنة ١٩١٢ ولكنها كانت اقل من مليوني بالة.

ولا شبهة ان الفضلة هذا العام اكثر من ثلاثة ملايين بالة ونصف مليون لان الموسم الاميركي كان ١٦ مليونًا وثلاثة ارباع المليون ولم يدخل منهُ الاسواق سوى ١٤ مليونًا وثلاثة ارباع المليون فبقي منهُ مليونا بالة يجب ان تضاف الى الفضلة الباقية

لكن الموسم الاميركي الحالي يقدر بنحو احد عشر مليونًا وثلاثة ارباع المليون من البالات فهو وحدهُ انقص من الموسم الاميركي الماضي بخمسة ملايين بالة. وموسم مصر الحالي انقص من موسمها الماضي بنحو نصف مليون بالة اميركية فاذا بقيت مقطوعية المعامل هذا العام كما كانت في العام الماضي استنفدت المحصول كلهُ واكثر ما بقي من المحصول الماضي . واذا وضعت الحرب اوزارها قبل آخر هذه السنة زادت المقطوعية على المحصول. و يقال ان المانيا تشتري الآن قطنًا في اميركا وتبقيهِ فيها الى ان تستوردهُ بعد انتهاء الحرب مخافة ان يغلو ثمنهُ حينئذٍ او مخافة ان لا تجد قطنًا تشتريهِ لمعاملها حينئذٍ

وقد كان لقلة موسم اميركا الحالي اكبر شأن في ارتفاع الاسعار الآن ومن المرجح ان الاميركيين يجرون على تقليل المساحة المزروعة في العام المقبل ليزيد ارتفاع الاسعار فيربحوا منها اكثر مما يربحون من زيادة المحصول

اما القطن المصري فليس من الحكمة تقليل زراعتهِ لان سعرهُ قلما يتوقف على مقدارهِ بل هو تابع بالاكثر لسعر القطن الاميركي ولو بلغ الموسم المصري الحالي ستة ملايين قنطار لكان سعرهُ كما هو الآن او اقل قليلاً جدًّا . اما هل يربح اهل الزراعة من زرع القطن اذا بقيت اسعارهُ على هذه الدرجة مع ما ينفق عليهِ من النفقات الطائلة فتلك مسألة اخرى يختلف الجواب عليها باختلاف الاطيان وثمنها ونفقات الري فيها وما يمكن ان تغلّهُ من غير القطن

وعلمنا بعد كتابة ما تقدم ان الحكومة الغت امرها السابق بحصر زراعة القطن في ثلث الاطيان فاحسنت صنعًا وعسى ان يعلم المزارعون كلهم ان كبر المحصول يتوقف بالاكثر على الخدمة واتقاء الآفات الطبيعية

وقد ارتفع سعر القطن عند كتابة هذه السطور في ١٦ سبتمبر فبلغ سعر الكنترانات لنوفمبر $\frac{١٩}{٣٢}$ ١٧ الريال ولمارس $\frac{٩}{٣٢}$ ١٨ و بلغ ثمن القنطار من البضاعة الحاضرة في الاسكندرية ١٥ ريالاً للاشموني و٢١ ريالاً للسكلاريدس و١٨ ريالاً للنوباري وثمن اردب البزرة ٩٢ غرشًا للصعيدي والفيومي و ٩٠ غرشًا للسكلاريدس وهي اسعار حسنة والظاهر انها ستزيد ارتفاعًا ولكن الموسم الجديد قد لا يزيد على اربعة ملايين قنطار الى اربعة ملايين

ونصف فاذا كان متوسط ثمن القنطار اربعة جنيهات وبلغ الموسم اربعة ملايين ونصف فثمنهُ كلهِ ١٨ مليونًا من الجنيهات ولولا تنقيص المساحة لبلغ ثمنهُ ٢٧ مليونًا لانهُ لم يزرع الأ ثلثا المساحة التي تزرع عادةً فخسرت البلاد تسعة ملايين من الجنيهات بارشاد الذين ارشدوها لتقليل المساحة . ولقد كانت الحكومة معذورة في العمل بارشادهم في اواخر العام الماضي اذ هبط ثمن القطن هبوطًا فاحشًا بسبب الحرب وعسى ان نتعلَّم من هذه الخسارة ان لا نطاوع احدًا في تقليل زراعة القطن لان سعرهُ يتوقف بالأكثر على سعر القطن الاميركي كما تقدم فاذا لم يكن لنا يد في تقليل الموسم الاميركي لرفع سعرهِ فمن العبث ان نقلل موسمنا . نعم اذا قلَّ الموسم المصري ارتفع سعرهُ ولو كان الموسم الاميركي كبيرًا رخيصًا ولكن ارتفاع السعر لا يكون مناسبًا لقلَّة الموسم ففي هذه السنة يبلغ ثمن موسم القطن المصري نحو ١٨ مليونًا من الجنيهات وثمن محصولات الاطيان التي ابطلت زراعتهُ منها نحو ٣ ملايين من الجنيهات والجملة ٢١ مليونًا فلو زرعت الارض كلها قطنًا لبلغ المحصول ٦ $\frac{3}{4}$ المليون من القناطير ولو بلغ هذا الحد لما هبط سعر القنطار اكثر من ريالين ولبلغ ثمنهُ اكثر من ثلاثة وعشرين مليونًا من الجنيهات

صادرات الارز ووارداتهُ

بلغت قيمة الصادر من الارز والوارد منهُ منذ عشر سنوات الى الآن ما ترى في هذا الجدول

السنة	قيمة الصادر	قيمة الوارد
١٩٠٥	١٤٣٥٣٣ جنيهًا	٣١٥٣٨٦ جنيهًا
١٩٠٦	١٣١٠٣٨ «	٣٧٢١٠٧ «
١٩٠٧	١٣٥٤٣٠ «	٣٨٥٥٦٩ «
١٩٠٨	١٤٠٦١٦ «	٤٠٦٣٧٠ «
١٩٠٩	١٦٧٣١٢ «	٤٤٦٦٩٧ «
١٩١٠	٢٨٨٢٩٨ «	٣٢٥٨١٣ «
١٩١١	٢٨٧٦٣٧ «	٣٣٣٢٩٤ «
١٩١٢	٢٨٤٢٧١ «	٣٦٥٠٣١ «
١٩١٣	٢٧٨٩٢٠ «	٥٠٣٥٠٥ «
١٩١٤	١٦٠٥٩٢ «	٤٢٣٣٧٥ «

وواضح من ذلك ان ثمن الارز الذي يجلبهُ القطر المصري كل سنة اكثر من ثمن الارز الذي يصدرهُ وسبب ذلك تجاري محض فان الارز المصري اغلى من الارز الذي يرد من الخارج ولذلك يرى التجار ان يصدروا ارزًّا مصريًّا ويجلبوا ارزًّا من ايطاليا والهند الشرقية. والغالب ان يكون ثمن اربعة ارطال من الارز الوارد مثل ثمن ثلاثة او اقل من الارز الصادر. وواضح من ذلك ايضاً ان مقطوعية البلاد من الارز الاجنبي تزيد على ما كان يصدر من الارز المصري فلا عجب اذا شملت المقطوعية المحلية كل محصول الارز المصري الآن اذا رخص ثمنهُ ولو زادت زراعتهُ اتساعاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية من الدفثيريا

الدفثيريا واوانها

الدفثيريا مرض حميٌّ عفن يصاب بهِ الانسان مهما تكن سنهُ وتكثر اصابة الاطفال بهِ فيموت بهِ كثيرون منهم. لهذه الحمى مكروب خاص بها اول من شاهدهُ الاستاذ كليبس ووصفهُ الاستاذ لوفلر وصفاً وافياً فقال انهُ يرى كحزم من الدبابيس مبعثرة على مائدة في اطرافها انتفاخ بعضها طويل او متوسط في طولهِ وسائرها قصير وقصيرها اقل سمًّا من طويلها. وهذا الباشلس قوي شديد المقاومة يظل حيًّا ولو جف عدة اشهر بل عدة سنين من غير ان يفقد حيويتهُ. ويكون كذلك على الملابس والبسط والستائر وكل شيء لمسهُ المريض

وهذا الباشلس الذي يسمونهُ «باشلس لوفلر» يوجد في الاغشية الكاذبة وفي سوائل الفم والحلقوم والغلصمة والانف وقد يوجد احياناً في القروح الجلدية. ويدخل بالتلقيح بواسطة جرح في غشاء مخاطي وينتشر في تلك القروح بسرعة ويمكن ان يصل الى من يكون مصاباً بنزلة حنجرية بسيطة او بواسطة خدش او تسلخ بسيط او جرح

يعدي المريض سواهُ مباشرة او باشياء يكون قد لوثها. فقد وجد لوفلر ثم البروفسر رو

والدكتور برس جراثيم الدفثيريا في زور اولاد غير مرضى · واتضح ايضاً ان باشلس هذه الحمى قد يبقى زمناً طويلاً في زور المصاب بالدفثيريا حتى بعد شفائهِ الظاهري · وبناء على ذلك اصدر حاكم السين (احدى مقاطعات فرنسا) قراراً نبه فيهِ على الطبيب الصحي في المدارس بان لا يسمح للاولاد وهم في حالة النقه من الدفثيريا بالعود الى مدارسهم الاَّ بعد حصولهم على شهادة من دار الفحص البكتريولوجي التابع للحكومة يذكر فيها ان افرازات الزور خالية من باشلس لوفلر · ولا تقبل شهادة الطبيب الذي يعالج المريض بمجرد زوال الاعراض · وقد شوهد اولاد ظل الباشلس فيهم عدة اسابيع وظل في احدهم نحو ثلاثة اشهر

ومدة العزلة للمصابين بالدفثيريا في اللوائح الفرنسوية والسويسرية اربعون يوماً · وقد فحص الدكتور استويد ٤٢٧٧ ولداً في مدارس كرستيانيا فوجد ١٩١ ولداً منهم (اي ٤ $\frac{1}{2}$ في المئة) فيهم باشلس لوفلر فطلب عزلهم الى ان يزول منهم · وجرى مثل هذا الفحص في بلاد اخرى فكانت النسبة اكثر من ذلك

علاماتها

يصاب الطفل او الرجل بحمَّى وعسر في الازدراد (البلع) وتظهر نقط بيضاء على سطح اللوزتين والجزء الحلقي من الحلق ويزيد عدد هذه النقط وتختلط بعضها ببعض وتكون غشاء كاذباً يغطي اللوزتين تقريباً والجهة الخلفية من الحلق وتحتقن العقد تحت الفك ويصير الصوت انفيًّا (اي كصوت الاخنف) ويكون في البول زلال ومتى تقدم المرض زاد عسر التنفس والشخير واحتقن الوجه

الوسائط الواقية من هذا المرض

١ ان لا يختلط الاصحاء بالمرضى الذين يجب عزلهم عزلاً تامًّا

٢ ان تجتنب ملاعبة الاطفال للقطط والطيور كالفراخ والحمام لئلاَّ تكون مصابة بهذا المرض او ملوثة بهِ فتنتقل العدوى اليهم

٣ ان لا يستعمل اللبن غذاء الاَّ بعد غليهِ جيداً

٤ ان يغطى وجه الطفل ولا يعرض لوقع الذباب عليهِ لان الذباب قد يكون ناقلاً لباشلس المرض من افراز المصابين ومن مخاطهم

٥ ان يجتنب اكل اصناف الحلوى التي يبيعها للاطفال باعة قذرون وتكون معرضة لسقوط الذباب عليها

٦ ان يجتنب اكل بعض اصناف من الفاكهة الاَّ بعد غسلها بماء مغلي غسلاً تامًّا وازالة غلافها (اي نزع قشرتها)

٧ ان يجتنب اكل ثمر الشليك الاَّ بعد غسلهِ بالماء المغلي والاحسن طبخهُ لاسباب لا يجهلها الذين شاهدوا كيف ينظفهُ باعتهُ

٨ ان يجتنب اكل البسيسة التي تصنع من دقيق الذرة او القمح وتباع للاطفال بين الحواري لكثرة تساقط الذباب عليها . تجد البائع لها واضعاً طستاً من النحاس فيهِ البسيسة ومقطفاً مملوءًا بمسحوق السكر الممزوج بالنشا فيقدم للاطفال والشبان والكهول اطباقاً من الصفيح مملوءة منها وملعقة من صفيح ايضاً . ثم يأخذ الطبق والملعقة من شخص بعد فراغهِ منها و يقدمها الى شخص آخر من غير ان يغسلها . فالعدوى تنتقل بذلك من المريض الى السليم اما بواسطة الملعقة او الذباب المتساقط على البسيسة . ومثلها الطعام المعروف بالبليلة التي تصنع من الذرة او القمح

٩ ان يجتنب اكل الفطير الذي يباع بين الحواري فتجد بائعهُ واضعاً الفطير على اناء نحامي قذر وترى قربهُ مقطفاً مملوءًا نخالة فبعد انتهاء الآكل من اكل الفطير يفرك يديهِ في مقطف النخالة و يحذو آخر حذوهُ ففي هذه الحال تكون النخالة والقذارة سواء . ومثل بائع الفطير بائع لقمة القاضي وبائعو صنف الحلوى الملفوفة على عصاً طويلة وقد كساها الذباب . وبائع البطيخ المقطوع (المشقوق) . وبالجملة فجميع الاغذية المعرضة لتساقط الذباب عليها قد تكون سبباً في نقل عدوى الدفثيريا وغيرها فلا يجوز اكلها الاَّ بعد تطهيرها

١٠ ننصح للامهات بان يجتنبن مسَّ حلق الطفل بالمسحوق الذي تستعملهُ نساءُ اعتدن مسَّ حلوق الاطفال حين توعك مزاجهم لسبب من الاسباب . فتقول احداهنَّ لام طفل « ان سقف حلقهِ ساقط » ثم تدهن حلق الطفل بمسحوق قابض باصبعها القذر الذي قد يكون سبباً في نقل العدوى من مريض الى سليم فبدلاً من ان يكون الطفل متوعكاً من امساك او التهاب بسيط في فمهِ يصاب بما هو اشد من ذلك وهو الدفثيريا . وقد اطلعتني احداهنَّ على تركيب هذا المسحوق الذي يزعمن انهُ شاف من الدفثيريا المعروفة عندهنَّ بالخنَّاق فاذا بهِ مسحوق براز الكلاب المجفف

١١ ان يجتنب تقبيل الامهات والمراضع لاولادهنَّ في اثناء مرضهم لان ذلك قد يكون سبباً في نقل مرض الدفثيريا الى الامهات مهما يكن سنهنَّ

١٢ ان تغلى ملابس الاطفال المصابة غلياناً تامًّا . وترفع الستائر والبسط وسائر ما

يمكن ان يلوث بافرازات هذا المرض وان لم يتيسر ذلك مدة المرض فيجب تسليم هذه الامتعة كلها لمجري مصلحة الصحة لتطهيرها وقاية للاصحاء من نقل جراثيم هذا المرض اليهم

١٣ ان يجتنب عادة تزقيم الحمام او بعض صغار الطيور من الفم فقد يكون ذلك سبباً في نقل امراض الطيور كالدفثيريا وغيرها اليهم

١٤ ان يجتنب شرب المياه من كوبة (او طاسة) واحدة كأن يشرب منها جماعة الواحد اثر الآخر فيجب غسلها وتطهيرها بالماء مراراً قبل الشرب بها . فقد اصيب شخص بالدفثيريا بشربهِ من كوبة شرب منها آخر كان مصاباً بالدفثيريا . والشرب من كوبة واحدة لا يزال مستعملاً في بعض المدارس الاهلية والكتاتيب التي لا تفتش تفتيشاً صحيًّا . ولعل معلمي هذه المدارس يتنبهون لهذا الامر فيجتنبوهُ . وشرب الماء من كوبة واحدة قد يكون سبباً في نقل مرض آخر كالسل مثلاً من مريض بهِ الى سليم

١٥ ان يجتنب وضع الاقلام الرصاص في الفم قبل الكتابة بها فلربما تكون ملوثة بمكروب هذا المرض او غيرهِ من فم شخص آخر . وان يمنع شرب الماء من الاسبلة التي اعتيد الشرب منها من طاسة واحدة ولاسيما الاسبلة ذات «البزابيز» التي يمصّ الماء منها مصّاً وهي موجودة في بعض المنازل الكبيرة في العاصمة وغيرها . فهذه البزابيز قد تكون سبباً في نقل امراض الدفثيريا وغيرها

١٦ ان يجتنب قرض الاظافر بالاسنان وهي عادة قبيحة — فقد تكون الاظافر ملوثة بمكروب هذا المرض من ملامسة افراز المريض او بمكروب مرض آخر

١٧ يجب على كل شخص حين شعورهِ بأقل ألم في حلقهِ او ببعض اعراض المرض المذكور ان يستشير الطبيب في الحال لتدارك المرض قبل استفحالهِ

١٨ يجب على رب المنزل او ربتهِ اخبار الطبيب الصحي في الحال اذا اصيب ولد فيهِ ليرشد الى ما يجب اجراؤُهُ من العلاج ويبذل النصح ويحقن المصاب بمصل الدفثيريا الشافي ويحقن ايضاً الاصحاء الذين لا بد لهم من الاختلاط بهِ بالمصل الواقي من هذا المرض

ولقد كفت مصلحة الصحة الناس بهمة رجالها العاملين مؤُونة التعب والمشقة بتطهير الملابس والفرش وسائر الاثاث فان موظفيها يأتون كل يوم الى المنازل التي تحدث فيها الاصابات بالدفثيريا او بغيرها من الامراض المعدية ويطهرونها التطهير اللازم فعلى كل والد او والدة ابلاغها اذا اصيب احد اولادهما بالدفثيريا في الحال لتجري الاجراءات اللازمة . ولمصلحة الصحة الف شكر وشكر على عنايتها هذه

ثم ان هناك عيادات للمرضى وللفقراء مجاناً في مكاتب صحة الاقسام ومستشفى قصر العيني ومستشفيات الاوقاف

ويجب على المتعلمين والمتنورين حث الطبقة الفقيرة التي اعتادت اخفاء مرضاها على عرض اولادها على الاطباء في العيادات المذكورة لمعالجتهم ذلك اولى من تركهم ينقلون العدوى الى الآخرين . وعلى كبار الوعاظ والمعلمين والمعلمات وعظ الاهلين ليمتثلوا هذه النصائح لان علم الابدان مقدم على علم الاديان

محمد رشدي

حكيمباشي محافظة مصر

فوائد منزلية

ماء الشعير

ماء الشعير شراب منعش مغذٍ يصنع صافياً بان تضع ملعقة كبيرة من الشعير المقشور في حلّة وتصب عليهِ ماء بارداً حتى يغمرهُ وتضع الحلة على النار حتى يغلي خمس دقائق ثم تكب الماء وتضع الشعير في اناء من الزجاج او الصيني وتضع معهُ القشر الدقيق من نصف ليمونة حامضة وفنجاناً من السكر وتصب عليهِ رطلاً من الماء الغالي وتغطيهُ وتتركهُ حتى يبرد ثم تزل الماء وتضف اليهِ قليلاً من عصير الليمون فيكون شراباً منعشاً

ماء الخبز المحمّص

حمص قليلاً من الخبز حتى يحمرّ جيداً ولكن لا يحترق وضعهُ في وعاء من الزجاج او الخزف المدهون وصب على الاوقية منهُ اوقيتين من الماء البارد واتركهُ ساعة من الزمان ثم صفِّ الماء واضف اليهِ نقطاً قليلة من عصارة الليمون وما يلزم من السكّر لتحليتهِ

شراب الشليك

اذب رطلاً من السكر في اربعة فناجين شاي من الماء البارد واغلهِ ربع ساعة حتى يصير شراباً . ثم امرث رطلين من الشليك (الفريز) وصب عليهِ الشراب وامزجهُ بهِ جيداً ثم صفّهِ واضف اليهِ فنجاناً من الشراب الذي يكون في علب الاناناس ورطلين من الماء المثلوج وقليلاً من كبوش الشليك او قطع الاناناس فيكون من ذلك شراب لذيذ الطعم

خضاب للشعر الشائب

يقال انهُ اذا مزجت اوقية من التماليت Tammalite باربع اواقي من الروم ودهن بها الشعر الشائب في المساء والصباح اياماً متوالية عاد الشعر الى لونهِ الاصلي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الفصاحة والبلاغة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في المقتطف الاخير مقالة شائقة في «الفصاحة والبلاغة» لكاتبٍ محتجب ولكنهُ لم يغب عن مراقبيهِ الذين استشفّوا عينهُ من خلال هذا الاثر

وقفتُ على مقالتهِ ووفيتها حقها من التدبر والتأمل فراعني ما لقيتهُ من براعة كاتبها في استنباط اساليب الذود عن حوض الذين شهرتهم محكمة علماء البيان حاكمةً عليهم بمخالفة شروط الفصاحة والندّ عن نهج البلاغة وراقني تفننهُ في محاولة نقض هذا الحكم وهو متين الوضع محكم البناء حتى انهُ يوشك أن يكون مبرماً كالقضاء فشكرت لهُ ابداعهُ في التنصّل والدفاع واثنيت على حسن سعيهِ واجتهادهِ في ترقية افكار طلّاب الادب وتحريرها من ربقة التقييد وحثها على الجري في مضمار الابتكار والتوليد

على اني لا اكتمهُ اني رأيت في مقالتهِ اموراً لا اوافقهُ عليها ولا يسعني السكوت عنها. ولما كنت عالماً كل العلم بسعة صدرهِ وحرية افكارهِ وانهُ ليس من اولئك الذين يدعون العصمة والسداد ويكبر عليهم ان يتصدَّى لهم احد بشيءٍ من الاعتراض والانتقاد جئت استأذنكم في نشر ملاحظاتي هذه على صفحات المقتطف ليطلع صديقي ن. ش. عليها ويرى رأيهُ فيها آملاً انهُ يحملها على ما يعهدهُ احدنا في الآخر من حسن النية ونزاهة القصد فكلانا وارد شرعة ورائد نجعة وكلانا ضالتهُ المنشودة نهجٌ سديد يتوخاهُ في بحث مفيد يتحرّاهُ

(١)

اشار الى استشهاد علماء البيان على احد عيوب الفصاحة بالنقاخ في قول الشاعر:

واحمق ممن يكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخٍ مبرَّد

نخالفهم في ذلك وقال ان استشهادهم بالنقاخ على الإِخلال بالفصاحة في غير محلهِ . وخلاصة ما استدل بهِ على صحة حكمهِ ان الشاعر اراد تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بافصح اسماء الخمر واقبح اسماء الماء . وقد خفي عليَّ وجه حكمهِ على النقاخ بكونهِ اقبح اسماء الماء أَباعتبار لفظهِ ام باعتبار معناهُ ؟ فان كان الاول فنسبة الاقبحية اليهِ لا تصح الَّا لكونه كريهاً في السمع ثقيلاً على الأُذن كما قال البيانيُّون ولا وجه لمخالفتهم ومحاولة نقض حكمهم . وان كان الثاني لم يوافقهُ عليهِ احد من رجال هذا الفن لانهم يرونهُ ادلَّ اسماء الماء على أَفضل انواعهِ كيف لا ومعناهُ الماء البارد العذب الصافي سمّي بذلك لانهُ ينقخ العطش اي يكسرهُ . واذا كان مراد الشاعر تفضيل الخمر على الماء كما ذهب صديقي ن . ش . وفيهِ نظر فأَحْرِ بالنقاخ ان يخيّب مرادهُ من هذا القبيل . وكان حقهُ ان يجيءَ بدل « النقاخ المبرَّدِ » « بالاجُونِ المسهَّدِ » مثلاً (اي الماء الذي تغيَّر لونهُ وطعمهُ ورائحتهُ)

إِذاً عيب النقاخ لفظيٌّ وهو كراهتهُ في السمع كما قال علماء البيان . وكأَني بصديقي ن . ش . تكلَّف مخالفتهم تكلُّفاً فساقهُ الطبع من حيث لا يدري الى موافقتهم والاعتراف بأَن النقاخ اثقل اسماء الماء على الاذن واوقرها للسمع

(٢)

وهنا انتقل الى عيب آخر من عيوب الفصاحة وهو تنافر الكلمات كما في هذا البيت :—

وقبر حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قرب قبر حرب قبرُ

فسلَّم بتنافر كلماتهِ وكونها غير فصيحة كلفظة نقاخ . ولكنهُ قيد تسليمهُ هذا بشرط ان يكون مراد علماء البيان بالفصاحة مجرَّد السلامة من العيوب « بلا نظر الى المراد وبعبارة اخرى بلا نظر الى البلاغة » قلت نعم هذا هو مرادهم بعينهِ كما نصُّوا عليهِ في كتبهم . والبلاغة غير منظور فيها الى الفصاحة على الاطلاق بخلاف الفصاحة فانها من شروط البلاغة ولذلك قالوا كل بليغ فصيح ولا يعكس

ومهما تكن اغراض الكتَّاب والشعراء في ما يكتبونهُ وينظمونهُ كإِرادة المداعبة والملاهاة والمعاجزة والمعاياة او قصد الإِلغاز والتعمية والمحاجاة او تكلف جناسٍ او نوعٍ من البديع او التزام سجع او حفظ قافية او غيرها من المقاصد فان هذه كلها لم تكن لتبيح لاحدهم ارتكاب شيءٍ مما يخالف القواعد والاحكام الموضوعة لعلوم اللغة وفنونها . وهذا الامر غير

محصور في اللغة العربية بل هو شامل لاحكام الصرف والنحو والبيان في اللغات الافرنجية فانك ترى علماءها يثبتون في كتبهم ما اجمعوا عليهِ من القواعد والقوانين ويخطئون من خالفها مشيرين اليهِ باسمهِ ولو كان من ابلغ الكتَّاب وابنغ الشعراء

إذاً رجال القلم — امراؤهُ وملوكهُ وسلاطينهُ — هم في كل لغةٍ لأحكامهِ خاضعون وامام محكمتهِ متساوون فلا يحق لاحدهم ان يتشبَّه بكبار رجال السيف ويقول عن نفسهِ « انا فوق القانون »

وبناء عليهِ يُعدُّ ناظم هذا البيت الذي نحن بصددهِ مرتكباً لعيب التنافر ومحكوماً عليهِ بالإخلال باحد شروط فصاحة المركب . وهذا الحكم — كغيرهِ من احكام علوم اللغة — قاطع جامع يتناول كل مخالف لهُ من الكتَّاب والشعراء على الاطلاق . فليس لصديقي ن . ش . والحالة هذه ان يستثني منهُ حتى عميدهم وحامل لوائهم ابا الطيب المتنبي في بيتهِ : —

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل عيشٍ كلهنَّ قلاقل

فانَّ هذه القلاقل اشبه بالزلازل وان توالى هبوبها على معالم الفصاحة ولم توقَ شرها دكَّت بنيانها وقوَّضت اركانها

هذا ولا يخفى ان الافراط في الاجتهاد مضرٌّ كالتفريط فيهِ وهو في الادب كما في غيرهِ محفوف بمزالق ومعاثر قد لا يسلم الخابطون فيها من المخاطر . وتمحُّل الاعذار لمن يرتكب خطأً أيّاً كان نوعهُ هو من شرِّ التقاليد التي تدأب كلُّنا في تمزيق اطمارها ومحو آثارها . واقلُّ ما في هذا التمحُّل ادّعاء العصمة لأُناس هم منها براء وكانوا في حياتهم بعيدين عنها بعد الارض عن السماء

(٣)

لا والذي هو عالم ان النوى مُرٌّ وان ابا الحسين كريمُ

هذا البيت لابي تمام الشاعر المشهور من قصيدة مطلعها :

ظلمتك ظالمة البريء ظلوم والظلم من ذي قدرة مذمومُ

وقد عابه عليهِ البيانيُّون من وجهين اولهما عطفهُ بلا جامع يسوّغ ذلك لأن مرارة النوى وكرم ابي الحسين ليس بينهما اقل شيء من المناسبة او المضادة فلا يحسن الجمع بينهما والثاني انتقالهُ الى المدح على اسلوب ليس فيهِ شيءٌ مما يقتضيهِ حسن التخلُّص المعدود احد اسوار القصيدة الثلاثة فانهُ يوجب على الشاعر ان يستطرد من سياق الكلام الذي اخذ فيهِ الى

غيره على وجه يختلسهُ اختلاساً بحيث لا يشعر السامع بانتقالهِ من المعنى الاول الاَّ وهو قد وقع في الثاني لشدَّة ما بينهما من الالتئام. ولما كان الانتقال من ذكر النوى الى كرم ابي الحسين خالياً من هذا الامر البيت عُدَّ البيت عاطلاً من حلية حسن التخلُّص

اما صديقي ن ش. فعارض في هذا الحكم وحاول نقضهُ بتعليل طويل دلَّ على حسن اجتهادهِ ولكنهُ لم يظفرهُ بنيل مرادهِ . على اني اشكر لهُ تنبيههُ على خطإ قول ابي تمام « النوى مرٌّ » وصوابهُ مُرَّةٌ الاَّ ان يكون مرادهُ بالمرّ العصير المعروف [وهو طيب الرائحة مرّ الطعم] لا الصفة من مرَّ ضدَّ حلا وحينئذٍ ينتفي وجوب تأنيثهِ

بقي انهُ في كلامهِ على البلاغة عرَّفها بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ثم قال على الاثر انها « قد تكون بكلام وقد تكون بلا كلام » وأسهب في ذلك إسهاباً طويلاً . واذا صحَّ انَّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال — وانها لكذلك — فما ليس بكلام ليس ببلاغة . واذا جاز لنا عند المبالغة في وصف فائدة السكوت ان نعدَّهُ ابلغ من الكلام كقول المغني « لسان الدمع افصح من بيانٍ » وكقولي بالامس لمن سألني عن سبب تركي الكتابة في هذه الايام : —

سكوتي الآن ابلغ من كلامي فما شأن اليراع مع الحسام

لم يجز لنا قسمة البلاغة الى ناطقة وصامتة لانها لا تكون الاَّ بالكلام

وقد أصاب في ما لاحظهُ على بيت شوقي من رفع « فيطرب » وحقهُ النصب لانهُ معطوف على « ان يغني » ولا يصحُّ جعل الفاء فصيحة مستأنفة . هذا هو موجب نصب « فيطرب » لا غير . اما الموجب الآخر الذي اشار اليهِ بقولهِ : « بعد وقوعها في جواب طلب محض » ففيهِ نظر لان انتصاب المضارع بان المضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب المحض يشترط فيهِ ان تكون صيغة الطلب خالية من أن وان يكون فاعل الجواب غير فاعل الطلب نحو هل تزورنا فنحدثك اما في نحو قولك « هل لك ان تزورنا فنحدثنا » فالجواب منصوب بالعطف على الطلب لا بان المضمرة بعد الفاء وجوباً وفي قولك « هل تزورنا فتحدثنا » مرفوع بالعطف عليهِ . وهكذا الجواب في « فهل ليراعي ان يغني فيطرب » فانهُ منصوب بالعطف على الطلب ولو حذفتَ أن وقلتَ هل يغني يراعي فيطرب لامتنع نصب الجواب والله اعلم بالصواب

القاهرة اسعد داغر

القاضي يحيى بن اكثم
والخليفة المأمون

حضرات العلماء الاعلام اصحاب مجلة المقتطف الغراء

سلام الله عليكم « وبعد » .. المقتطف احسن واشهر المجلات العلمية بلا نزاع ولا دفاع لما يكتب فيهِ من المقالات الجليلة والاخبار الوثيقة فما لي اراهُ في بعض الاحيان يقبل نشر الموضوعات التي مصدرها اخبار القصّاص الواهية . كنت اطالع في المجلد ٣٣ جزء ٤ سنة ١٩٠٨ صفحة ٣٢٧ رقم « ٩ » نوادر شعراء العرب لحضرة الاديب نسيم افندي الحلو فعثرت على القصة الآتية

شرب المأمون ويحيي ابن اكثم وعبد الله ابن طاهر فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيي فغمز الساقي فاسكرهُ وكان بين ايديهم رزم من رياحين فامر المأمون فشق لهُ لحد من الورد والرياحين وصيروهُ فيهِ وعمل بيتين من شعر ودعا قينة فجلست عند رأسهِ وحركت العود وغنت

ناديتهُ وهو حي لا حراك بهِ ... مكفن في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني ... فقلت خذ قال كفي لا تؤاتيني

فانتبه يحيي لرنة العود وقال مجيباً لها

يا سيدي وامير الناس كلهم ... قد جار في حكمهِ من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني ... كما تراني سليب العقل والدين
لا استطيع نهوضاً قد وهى جسدي ... ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لبغداد غيري انني رجل ... الراح يقتلني والعود يحيني »

المنصف المحقق مثلكم يرى ان ذلك ظلم وعدوان وليس من شأن ابن اكثم والخليفة المأمون السكر كما قال العلاَّمة الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون وصحابة الاول مع الثاني انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت انهُ كان ينام معهُ في البيت . ومن فضائل المأمون وحسن عشرتهِ انهُ انتبه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس و يلتمس الاناء مخافة ان يوقظ القاضي يحيي وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعاً وقد كان القاضي رحمهُ الله من علية اهل الحديث واثنى عليهِ الامام احمد ابن حنبل وقد ذكر للامام ما يرميهِ بهِ الناس فقال سبحان الله سبحان الله ؟؟ وانكر ذلك انكاراً شديداً

واثنى عليهِ القاضي اسماعيل وقال ابرأُ الى الله ان يكون فيهِ شيءٌ مما يرمى بهِ فقد كنت اقف على سرائرهِ فاجدهُ شديد الخوف من الله لكنهُ كانت فيهِ دعابة وحسن خلق

ومما يدلك على كمالهِ ان الترمذي الحكيم خرج عنهُ كتابهُ الجامع (من الكتب الستة المعتبرة عند اهل الحديث) وذكر الحافظ المزني ان البخاري روى عنهُ في غير صحيحهِ فالقدح فيهِ قدح في جميعهم

وكذلك ما ينبزه المجان بالميل الى الغلمان بهتانًا على الله وفرية على العلماء من افتراء اعدائهِ فانهُ كان محسوداً في كمالهِ وخلتهِ للسلطان وكان مقامهُ من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك اه

اما المأمون فانتم ادرى العلماء باحوالهِ فان اهل العلم والحرية والادب الخ الخ كانوا في عصرهِ بدرجة عظيمة وكان يقضي اوقاتهُ في المناظرات الفلسفية وما يفيد البلاد ولو كان رحمهُ الله من السكيرين لما بلغت الدولة في عصرهِ ما بلغت فلا حاجة الى الدفاع عنهُ فسيرتهُ الحسنة واعمالهُ المرضية مدونة في كتب الشرق والغرب والسلام

الخرطوم محمد توفيق بدوي

كاتب حسابات مديرية الخرطوم

[المقتطف] لا يخفى ان ما ننشرهُ لغيرنا من الكتَّاب وما ننقلهُ من مؤَلفات غيرنا مثالاً لها لسنا مسؤُولين عنهُ كما نحن مسؤُولون عمَّا نكتبهُ بانفسنا

وبعدُ فان ما ذكرهُ نسيم افندي الحلو في الفصل الذي نقلناهُ عنهُ مشهور مذكور في كثير من كتب الادب فلم نعنَ بتمحيصهِ وقت نشرهِ والقصة التي اشرتم اليها ذُكرت في حلبة الكميت للامام شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٥٩ وذكرها قبلهُ الراغب الاصبهاني في محاضرات الادباء والراغب الاصبهاني نشأَ في اوائل القرن الخامس وهو من افضل الكتاب وكتابهُ من خيرة كتب الادب حتى اضطرَّ الامير اسامة بن منقذ ان يغير فواتح بعض فصولهِ في كتابهِ لباب الآداب لما رأَى محاضرات الادباء . ثم ان كتَّاب العرب اختلفوا كثيراً في ما كتبوهُ عن الخلفاء والعلماء حسب كونهم من شيعتهم او من غيرها فعلي يزدي كاتب سيرة تيمورلنك جعلهُ ملكاً كريمًا وابن عرب شاه الذي كتب سيرتهُ ايضاً مسخهُ شيطانًا رجيماً . والباحثون في تاريخ العرب من الافرنج يقولون ان الوليد بن عبد الملك كان اعظم الخلفاء وان عصرهُ كان امجد عصور الاسلام . واما كتَّاب العرب مثل السيوطي فيقولون انهُ كان جبَّاراً ظالماً وان الارض امتلأَت جوراً في عهدهِ

والخليفة المأمون كان من اعظم الخلفاء ولهُ على العلم فضل لا ينكر ولكن سيرتهُ الشخصيَّة

لا يلزم ان تكون خالية من كل عيب فقد ذكر عنهُ الامام السيوطي في تاريخ الخلفاء ما لا يعدُّ حسناً في عصرنا مع ميل السيوطي الى انصار العلويين . وكذلك سياستهُ لم تكن خالية من الشوائب فقد ذكر محمد بن يوسف الكندي في كتابهِ ولاة مصر ان القبط حكَّموهُ في امرهم فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال بعد ان صرَّح ان اللوم كلهُ على الولاة والعمال

اما القاضي يحيي بن اكثم فعسى ان يكون بريئاً من التهمة التي اتُّهم بها وهي اشنع جداً من شرب الخمر وحب الغناء . راجعوا ما كتبهُ عنهُ ابن خلكان وما نقلهُ عن تاريخ ابي بكر الخطيب البغدادي وهو من اهم التواريخ العربية واقدمها

والظاهر ان الذين اهتموا بتبرئتهِ انما ارادوا تبرئتهُ من ذلك العيب لا من شرب الخمر وحب السماع كما يظهر لكم بالمراجعة . ولو كان في الابيات المنشورة اشار الى ذلك العيب لانتبهنا لهُ ومنعنا نشرها ولو كان يحيي ابن اكثم من عامة الناس لا من العلماء الفضلاء وجلَّ من لا عيب فيهِ

اما الخمر فالعلماء مختلفون في تحريمها وقد اشار الى ذلك ابن الرومي حيث قال :

اباح العراقيُّ النبيذ وشربهُ وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلَّ لنا من بين قوليهما الخمرُ

وجاء في كتاب المحاضرات « ان الحسين بن موسى استحضر ابن عياش وابن ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابن عياش حلال وقال ابن ادريس حرام . فقال ابن عيَّاش ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلالاً كانت او حراماً وبكاؤُنا على اصل الدين اشدُّ من بكائنا على النبيذ »

وقد بحثنا في كتب التاريخ والادب ودواوين الشعراء فوجدنا ان شرب الخمر كان شائعاً قبل الاسلام وبعدهُ وترون نتيجة بحثنا في مقتطف سبتمبر سنة ١٨٩٧

اما حب الغناء والسماع فلم يحرمهُ احد وقد روى السيوطي عن هرون الرشيد « انهُ اجاز اسحق الموصلي المغني مرةً بمئتي الف (ولعلها دنانير) وقال الذهبي ان اخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنهُ جمة ولهُ اخبار في اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحهُ الله » . وانفس التواريخ العربية واجمعها لاخبار العرب كتاب الاغاني للامام ابي الفرج الاصبهاني ونفح الطيب للعلاَّمة المقري وهما حافلان باخبار الغناء والمغنين والمغنيات وتهافت الجميع على حب الغناء حتى الخلفاء والعلماء

باب التقريظ والانتقاد

انتشار الخط العربي

هو كتاب علمي تاريخي اجتماعي مزين بالرسوم والخرط يبحث في تاريخ الخط العربي قبل الاسلام وبعدهُ وانتشارهِ في انحاء العالم وذكر اللغات التي تكتب بهِ والكلام عليها وعلى الممالك والاقطار التي انتشر فيها بالتفصيل واسباب الانتشار وعلاقة الاديان بمحافظة الامم على الخطوط وما ورثهُ الخط العربي منها وتأثير الحضارة الاسلامية في كل ذلك . الفهُ حضرة الباحث المدقق عبد الفتاح افندي عباده . وفي كل فصل من فصول هذا الكتاب ادلَّة كثيرة على اجتهاد مؤلفهِ وبذلهِ الوسع في جمع اشتات الفوائد معتمداً على الباحثين المحققين من الاوربيين وغيرهم . وقد عُني برسم صور الحروف العربية حسب اختلاف ازمانها ورسم حروف اللغات المتصلة بها بالاشتقاق او نحوهِ واستخلص من بحثهِ ان الذين يكتبون بالحروف العربية الآن هم المتكلمون باللغات التركية وعددهم نحو ٤٠ مليوناً . والمتكلمون ببعض اللغات الهندية وعددهم ٩٦ مليوناً . والمتكلمون باللغات الفارسية وعددهم ١٧ مليوناً . والمتكلمون ببعض اللغات الافريقية غير العربية بين ٣٠ و ٤٠ مليوناً والمتكلمون باللغة العربية وعددهم نحو ٦٠ مليوناً . فيكون مجموع الذين يكتبون بالحروف العربية الآن ٢٤٣ مليوناً من الانفس.

فاذا صح هذا الاحصاء فتكون الحروف العربية الثالثة في الانتشار الآن . والاولى الحروف الرومانية التي يكتب بها نحو ستمائة مليون من البشر . والثانية الحروف الصينية التي يكتب بها نحو اربع مئة مليون

وقد اهدى المؤلف كتابهُ الى صاحب العظمة مولانا السلطان حسين كامل وصدَّرهُ برسمهِ الكريم

مسئولية الحكومة المصرية

وضع حضرة الاستاذ الدكتور عبد السلام ذهني المحامي في بني سويف كتاباً باللغة الفرنسوية في مسئولية الحكومة المصرية باعتبارها صاحبة الولاية العامة فجعلهُ ثلاثة اجزاء ظهر منها اثنان ولا يزال الثالث تحت الطبع . وقد ترجم هذه الاجزاء الى العربية فظهر الجزء الاول منها منذ زمن وجيز وظهر الثاني الآن . وقد عالج المؤلف هذه المباحث القانونية معالجة دقيقة اذ المّ بجميع صورها وقارن بين المذاهب القانونية المقررة في

بالاوساط العلمية المعروفة في اوربا ومصر واسهب في ذلك كلهِ باحثاً ومدققاً وحبذا لو دقق بمثل ذلك في ما ذكرهُ في الصفحة ١٨٠ وما بعدها من حيث المكر السياسي فان كتاب لورد كرومر صريح في هذا الباب مؤيد بالادلة الرسمية يظهر الاخلاص في كل سطر منهُ ومدارهُ على ان الحكومة الانكليزية لم تكن قط راغبة في احتلال القطر المصري ولا في البقاء فيهِ . وهذا ليس من موضوع الكتاب ولو استطراداً

تاريخ مصر الى الفتح العثماني

تأليف عمر افندي الاسكندري والمستر سفدج

اودع المؤلفان هذا الكتاب خلاصة تاريخ مصر من اول عهدها الى اوائل القرن السادس عشر للميلاد اي مدة سبعة آلاف سنة او اكثر ولذلك التزما الاختصار التام لكنهما ذكرا زبدة ما يحتاج اليهِ التلميذ او ما يحتمل ان تعيهُ ذاكرتهُ من امهات الحوادث وزينا الكتاب بكثير من الصور التي تزيد المتن وضوحاً . ومما يزيد هذا التاريخ فائدة ان مؤلفيهِ توخيا جعلهُ وطنياً على قدر الامكان فنشرا فيهِ صور كثيرٍ من الآثار والمباني المصرية . ولما تكلما عن الاسكندر المكدوني رسما صورة تمثالهِ المحفوظ في دار الآثار بالاسكندرية وكذلك صورة يوليوس قيصر وكليوبطرة ومرقس اوريليوس فانها منقولة عن تماثيلهم المحفوظة في تلك الدار . واسهبا في الكلام على العرب واديانهم وآدابهم وعلومهم وحروبهم . وفي الكتاب خلاصات تاريخية تسهيلاً للمراجعة وفيهِ نحو ٣٠٠ صفحة

الشذور

اهدى الينا الكاتب الاديب عباس افندي محمود العقاد كتيباً سماهُ الشذور وقال فيهِ انهُ مقالات قصار في الادب والاخلاق لم يسبق نشرها . وعدد المقالات اثنتا عشرة مقالة في موضوعات شتى كالراحة والغرور والبخيل وقوة الارادة . ومنها مقالة عنوانها « الصدى ونرجس » نثبتها برمتها للدلالة على اسلوب الكاتب قال :

« الصدى في اساطير القدماء جنيّة من بنات الغاب والاودية ، ونرجس فتى سليل الجين من آلهة الماء . وكانت الصدى ذات منطق فصيح وحديث خلاب يستهوى السامع فينسيهِ نفسهُ ، ويلهيهِ عن شأنه ، فمرت بها (هيرا) حليلة (زوس) رب الارباب فاستوقفتها بالحديث وعاقتها عما قدمت لهُ . وكانت هيرا قادمة لتباغت (زوس) مع خليلاتهِ فلما وصلت كنّ قد هربن وبقي حليلها وحدهُ في مخدعها . وعلمت هيرا انهُ لولا الصدى لما أفلتَ

اولئك الضرائر منها فغضبت عليها وسلبتها قوة الحديث الاَّ ان تردد ما تسمعهُ ولا تزيد عليهِ

أَحبت الصدى نرجس فلم يحفل بها ، وامتنع عليها ان تبثهُ هيامها فذاب لحمها ، وبلي عظمها ، ولم يبق منها الاَّ نفس مصعد ، وصوت مردد . اما نرجس فقد نقمت عليهِ (نمسيس) بنت الليل والربة المنتصفة للمظلوم من الظالم . نقمت عليهِ جفاءهُ وتيهه فامهلتهُ الى ان اقبل على بعض العيون ووقف يعجب بما ابداهُ الماء من جمالهِ فمسختهُ زهرةً في مكانهِ ، فهو لا يبرح واقفاً على حافات العيون والجداول ناكس الطرف يطل على خيالهِ في الماء

بهذا التمثيل الشعري كان القدماء يفسرون عجائب الطبيعة ويشاركونها في الاحساس فيبتهجون ويخالون انها تضحك لهم ، ويحزنون ويحسبون انها تبكي معهم . ويصاحبونها مصاحبة الاحياء للاحياء ، فكانت الطبيعة حياةً كلها وليس في زاوية من اخفى زواياها موضع للجمود

وقد كانت هذه الاساطير مادة غزيرة للشعراء فاولعوا بالنظم فيها ، وعُني احدهم بنظم قصص المبدولين والمتقمصين فسبكها احسن سبك . وهو (پبليوس اوڤيداس ناسو) شاعر لاتيني ولد قبل الميلاد ونفاهُ القيصر اوغسطس من رومة لافتتان الشعب الروماني بغزلهِ . كما نفى عمر بن عبد العزيز الفرزدق من المدينة لتهتكهِ ، وكما نهى المهدي بشاراً عن النسيب في ابان المدنية العباسية . واليك ما نظمهُ في حكاية الصدى قال :

« راحت الصدى تقفو اقدام نرجس ولا يراها . وكلما لحقتهُ تعاظمت برحاؤُها ، وتحرقت احشاؤُها ، كهواء المشاعل يتبعها ولا تدركهُ الابصار ، ويكاد يضطرم وان لم تمسسهُ نار . وطالما همت بان تفاتحهُ بتحية او تستعطفهُ بكلمة ، فكان يخونها الحياء ، ويستعصي عليها النداء

« وضل نرجس عن رفاقهِ يوماً فجعل يصيح أَليس هنا احد ؟ ؟ قالت الصدى أَليس هنا احد . . . وسكتت

« فبهت نرجس وتلفت حولهُ ليرى مصدر الصوت ، ونادى هلم اليَّ ! هلم اليَّ ! فسمع الصدى تجيبهُ ! هلم اليَّ . . .

« وقال نرجس دعينا نلتقِ ! ! فسرعان ما سمع رجع كلامهِ بصوت مد فيهِ الحنان ، وترنمت بهِ الشعاب والغيران . ووثبت اليهِ تضمهُ وتعانقهُ فاجفل منها ومضى وهو يقول : اعزبي عني ! ! لا كنت ولا كان قلبي ان جرى بيننا الحب . . .

« صدمة كسرت قلب الصدى فنادت وهي كاسفة . . . جرى بيننا الحب ! !

« ثم ما زالت ينخر في قلبها الداء الدفين ، ويأكل منها الكمد والانين ، حتى عادت ارق من الهواء . ويراها النحول الاَّ خفقة نداء ، لا تلبث ان يعبث بها الفضاء »

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) معجم العربية

شبراخيت . احمد افندي الصراف . اي المعجمين اوفى بحاجة الطالب أهو المحيط للفيروزابادي او اقرب الموارد للشرتوني

ج . نرى ان اقرب الموارد اوفى لاسيما وان ايجاد المطلوب فيهِ اسهل واسرع

(٢) شرح ديوان البحتري

ومنهُ . هل يوجد لديوان البحتري شرح مطبوع

ج . كلاَّ

(٣) ديوان بشار بن برد

ومنهُ . هل ديوان بشَّار بن برد مطبوع او بعض قصائدهِ ومنظوماتهِ مطبوع في كتاب على حدة لا ضمن بعض الكتب

ج . لم يطبع ديوانهُ على حدة ولم يجمع حتى الآن فيما نعلم . وكان احد علماء طرابلس الشام قد اهتم بجمع اشعار بشار منذ سنتين ثم لم نسمع ما جرى بعد ذلك . وقد طُبع جانب كبير من شعر بشار في كتاب الاغاني وفي مختارات البارودي

(٤) رجوع البصر

اسيوط . زكي افندي ناشد . قرأنا في الجرائد الصادرة في ٧ الجاري بين تلغرافات روتر من كو ينستون انهُ انزل ٢٠ جريحاً من الباخرة اسبريان بينهم بعض الجنود الذين كانوا في ساحة القتال في فلاندر واصبحوا في عجز عن القتال وكان جندي كنَدي قد اصيب بفقد البصر فعاد اليه بصرهُ على اثر الصدمة الناشئة عن الانفجار في الباخرة . فنرجو التكرّم بافادتنا على صفحات المقتطف في الباب الخاص بذلك عن كيفية رجوع البصر بعد فقدهِ بواسطة الانفجار

ج . قد يحدث فقد البصر من ضربة على الرأس او من تأثير البرق او نحو ذلك . كأنهُ يقع شلل حينئذٍ في شبكية العين ثم يزول هذا الشلل من نفسهِ او بصدمة اخرى فيعود البصر الى حالهِ . والظاهر ان الرجل المشار اليهِ في التلغراف اصيب بهذا النوع من العمى ثم شفي منهُ . اخبرنا بعضهم انهُ رأى بين الجنود الذين عادوا من الدردنيل الى هذه

العاصمة جنديًّا فقد البصر من احدى عينيهِ وهي سليمة لا علّة ظاهرة فيها

(٥) كتب التغذية والادوية

مينا القمح. مرعى افندي حسنين مرعى. هل توجد كتب عربية قديمة او حديثة تبحث في التغذية والمواد المغذية من الجهة الكيماوية والفسيولوجية وفي العقاقير والادوية المتخذة من النباتات والمواد المصرية

ج من الكتب القديمة قانون ابن سينا فيهِ فصول مطولة في التغذية والمواد المغذية ولكن البحث فيها ليس من الجهة الكيماوية والفسيولوجية. وفي كتاب الفسيولوجيا للدكتور ورتبات فصول في التغذية من الجهة الكيماوية والفسيولوجية وكذا في كتاب صغير لهُ في الهيجين وهو مطبوع في المقتطف وفي كتاب آخر للدكتور بوست. وتجدون في المقتطف فصولاً كثيرة عن التغذية والمواد المغذية فسيولوجيًّا وكيماويًّا. اما العقاقير والادوية المتخذة من النباتات المصرية والمواد المصرية خاصةً فلا نعرف كتابًا فيها من الكتب القديمة ولا الحديثة

(٦) المذهب النباتي

السويس. محمد افندي زكي. نود ان ترشدونا الى كتاب في اللغة الانكليزية يشرح المذهب النباتي ويبين طرق اعداد الاطعمة النباتية

ج. في الانكليزية كتب ومجلات كثيرة تبحث في ذلك منها The Ethics of Diet تأليف Howard Williams و The perfect way of Diet تأليف Dr. Anna Kingsford ومن مجلاتهم Herald of the Golden Age و Vegetarian Messenger

(٧) انتشارهُ في انكلترا

ومنهُ. يقال ان هذا المذهب منتشر في انكلترا انتشاراً عظيمًا ومتمذهب بهِ كثير من الانكليز. والانكليز كما نعلم اعرق الامم في المدنية وهم اكثر الشعوب طلبًا للحقيقة وجريًا وراءها لذلك لا يمكن ان ينتشر مذهب بينهم الاَّ اذا كان فيهِ شيءٌ من الصواب على الاقل فهل الامر كذلك

ج. نعم في هذا المذهب شيءٌ من الصواب بل كثير من الصواب لان الانسان يستطيع ان يكتفي بالاطعمة النباتية. ولكن الانكليز اكثر الامم اكلاً للحوم ونحوها من الاطعمة الحيوانية واقلهم اكلا للخبز وغيره من الاطعمة النباتية فان كان تفضيلهم للطعام الواحد على الآخر مبنيًّا على انهم اعرق الامم في المدنية واكثر الشعوب طلبًا للحقيقة فيكون اكثارهم من اكل الاطعمة الحيوانية واقلالهم من اكل الاطعمة النباتية حجة على النباتيين لا لهم. والانسان يستطيع ان يعيش من غير ان يأكل اطعمة حيوانية. والاطعمة الحيوانية اغلى في الغالب من الاطعمة النباتية ولكن

الامم التي تعتمد على الاطعمة النباتية وقلما تأكل طعاماً حيوانياً هي اضعف من الامم التي طعامها مزيج من الاطعمة النباتية والحيوانية

(٨) مناظر السنماتوغراف

بنها ٠ متري افندي سليمان ٠ نرى مناظر في السينماتوغراف بعيدة الفهم مثل تصادم قطارين وحرق منازل وتكسير آنية غالية الثمن وظهور جيوش كثيرة العدد في تمثيل رواية نبوليون مثلاً وموت بعض الافراد من تصادم اوتوموبيلات ونسف بعض القطارات والمنازل واغراق سفن ونحو ذلك ٠ فهل هذه الاشياء تحدث حقيقة في التمثيل ام هناك مهارة مخصوصة

ج٠ ما ذكرتموهُ يخطر على بال كل مَن يرى صور السينماتوغراف ٠ ولم نطَّلع على شرح لهُ ولكن يعلم ان بعض الروايات يُنفق على إعداد الرواية منها وتصويرها عشرة آلاف جنيه او عشرون الف جنيه فلا عجب اذا استُخدم فيها مئات والوف من الناس وكسرت فيها ادوات كثيرة وظهرت فيها صور اماكن حقيقية فان الممثلين قد يذهبون لهذه الغاية الى قلب افريقية او يدخلون القصور والقلاع والحصون

ثم ان الصورة الفوتوغرافية لا تدلُّ على جرم المصوَّر فقد يكون طول صورة الانسان سنتمتراً واحداً وقد يكون متراً او مترين ومع ذلك تراها العين ويقوم في النفس انها صورة انسان حقيقي بجرمهِ الطبيعي وقس على ذلك صور البيوت والسفن والقاطرات فاذا وقف انسان امام قطار حقيقي وصُوّر القطار وهو قادم اليهِ ثم اديرت آلة التصور ووضع امامها قطار صغير مما يلعب بهِ الاولاد ووضع تحتهُ تمثال صغير كالاصبع وصوّر وهذا القطار مارٌّ عليهِ ثم أُظهرت الصورة الاولى والثانية في دار السينماتوغراف تعذَّر على مَن يراهما ان يميز الاولى عن الثانية ويعلم ان الاولى صورة قطار حقيقي ورجل حقيقي والثانية صورة قطار صناعي صغير مما يلعب بهِ الاولاد وتمثال رجل كالاصبع لاسيما وانهُ يمكن تصغير الصورة الاولى وتكبير الثانية بابعاد آلة التصوير وتقريبها كما لا يخفى

واذا دققتم النظر ترون ان عارضي هذه الصور يفصلون بين اجزاء الحادثة الواحدة حتى لا يبين الانتقال من الصور الحقيقية الى الصناعية فيظهرون مثلاً صور لصوص هجموا على امرأة ليقتلوها ثم يرفعون الصورة ويظهرون صورة اولئك الرجال وقد حملوا المرأة بعد قتلها وطرحوها في البحر او في النهر فالصورة الثانية من صور المرأة انما هي صورة تمثال عليهِ ثياب امرأة وهو الذي يطرحونهُ في البحر او النهر ٠ والذين صوَّروا هذه الصور صوروا اولاً صورة امرأة حقيقية هجم عليها

اللصوص ثم ابدلت المرأة الحقيقية بتمثال امرأة وهو الذي القاهُ اللصوص · واذا عرفتم ان بعض الصور منقول عن اشياء حقيقية وحوادث واقعية وبعضها منقول عن اشياء صناعية وقد تبلغ نفقات تصويرها الوفاً كثيرة من الجنيهات وان العين لا تميز بين صور الاشياء الحقيقية وصور الاشياء الصناعية معها كانت الثانية اصغر من الاولى وان مظهري الصور يفصلون بينها على اسلوب يمنع الاستدلال على الانتقال من الواحدة الى الاخرى — اذا عرفتم ذلك كلهُ سهل عليكم تفسير كل ما ترونهُ او اكثرهُ

(٩) اطالة العمر

اسيوط · ثابت افندي جريس بشاي

قرأت ان احد اساتذة جامعة هال اخذ نوعاً من انواع النبات العفن الذي ينمو على جثث الذبان المائتة ولا يعيش اكثر من اسبوعين ثم عالجهُ حتى عاش ست سنوات · فاذا كان هذا صحيحاً فهل يتوصل العلماء يوماً ما الى زيادة عمر الانسان كما فعل هذا الاستاذ

ج · كلاَّ لان النبات الفطري او العفن مؤلف غالباً من خلايا بسيطة فالوسائل تفعل بها بسهولة لقلة تركيبها وسرعة تولدها وكذا اكثر المكروبات فاذا كانت زيادة الحرارة تفيد في اطالة حياة هذا النبات اسبوعاً واحداً فالنسل الجديد الذي يتولد كل اسبوعين يطول عمرهُ اسبوعاً بزيادة الحرارة فتزيد حياتهُ سنة كل سنتين اي تزيد ست سنوات في اثنتي عشرة سنة · واين ذلك من جسم الانسان المؤلف من ملايين لا تحصى من الخلايا كلٌّ خلية منها تقتضي لاطالة عمرها وسائل قد لا تفيد غيرها او كل مجموع منها قد يقتضي من الوسائل غير ما يقتضيهِ غيرهُ · لنفرض انهُ كشفت طريقة لاطالة اصابع اليد اليمنى في رجل وامرأتهِ واثرت في جسميهما واورثا هذا التأثير ابنهما الاكبر ثم تزوج ابنهما هذا بامرأة لم يستعمل والداها هذه الطريقة لاطالة اصابع اليد اليمنى فاولادها منهُ قلما يحتمل ان يرثوا طول الاصابع لان الصفة الجديدة التي دامت عشرين سنة او ثلاثين سنة فقط لا تتغلب على صفة قديمة تمكنت الوفاً كثيرة من السنين ولكن اذا وجدت اسباب تطيل اصابع الناس كلهم واستمرت الوفاً من السنين فالمرجح ان اصابعهم تطال بها اطالة دائمة وكذلك اذا وجدت اسباب تطيل عمر الانسان واستمرت تفعل على نسق واحد الوفاً من السنين فالمرجح ان عمر الانسان يطول بها

اما اطالة العمر او اطالة متوسطهِ التي نذكرها في المقتطف احياناً فسببها استعمال الوسائل الصحية والطبية لتقليل موت الاطفال وفتك الامراض والاوبئة فيظهر ان متوسط عمر الناس قد طال لقلة الذين ماتوا صغاراً

ولكن نهاية ما يصل اليهِ عمر الشيوخ لم تتغير منذ خمسة آلاف سنة الى الآن على ما هو ثابت من التواريخ فقد كان الشيخ في زمن الفراعنة يبلغ سبعين سنة او ثمانين او تسعين او مئة ولا يزال يبلغ هذا العمر الآن ولا عبرة بالذين شذوا عن هذا الحد

(١٠) جعل التعليم اجباريًا

ومنهُ . ماذا يقترح المقتطف لجعل التعليم اجباريًّا في مصر وما هي العوائق التي تحول دون تعميمهِ الآن

ج . العائق الاول والاهم قلة المعلمات والمعلمين . ففي القطر المصري نحو مليونين ونصف من الصبيان والبنات سنهم بين السادسة والرابعة عشرة . فاذا فرضنا انهُ يلزم لكل ٢٥ منهم معلم او معلمة لزم لهم كلهم مئة الف معلم ومعلمة او نحو سبعين الف معلمة وثلاثين الف معلم . واذا فرضنا انهُ يلزم لكل ٥٠ منهم معلم او معلمة لزم لهم نصف ذلك من المعلمين والمعلمات وليس في القطر المصري الآن ربع عدد المعلمين المطلوبين ولا عشر عدد المعلمات . والمعلمات الزم من المعلمين لتعليم الصغار كما لا يخفى . واذا اردنا ان ننشئ مدارس لتعليم المعلمات حتى يخرج منها ثلاثة آلاف وخمس مئة معلمة كل سنة فيبلغ عددهنَّ ٣٥ الفًا في عشر سنوات ويصرن كافيات لتعليم البنات والاطفال وجب ان يكون عدد المتخرجات من هذه المدارس اربعة اضعاف ذلك على الاقل لانهُ لا يحتمل ان يمتنع عن الزواج وينقطع للتعليم اكثر من ربع المتعلمات . اي يجب ان يخرج من هذه المدارس ١٤ الف فتاة كل سنة واذا كانت سنوات التعلُّم اربعًا فقط وجب ان يكون عدد التلميذات في هذه المدارس ٥٦ الفًا . واذا فرضنا ان نفقة تعليم التلميذة في السنة في مدارس المعلمات خمسة وعشرون جنيهًا فقط وهي اكثر من ذلك كثيرًا الآن بلغت نفقات مدارس المعلمات وحدها مليونًا واربع مئة الف جنيه في السنة وهذه عقبة اخرى في طريق التعليم لانهُ لا سبيل لايجاد هذا المال لا من ميزانية الحكومة ولا من مجالس المديريات ولا من زيادة الضرائب على الاطيان . واذا اضفنا الى ذلك ما يلزم من النفقات لمدارس المعلمين اي لكل ما يلزم لجعل التعليم عامًّا اجباريًّا لم يقلّ مجموع النفقات السنوية عن ثلاثة ملايين من الجنيهات

والذي نشير بهِ هو مواصلة السعي في نشر التعليم فان ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ . ولا يحتمل ان يجعل التعليم اجباريًّا قبلما توجد معداتهُ الاولى وهي المال والمعلمون والمعلمات

(١١) قصيدة يا ليل الصب

ومنهُ . اين توجد القصيدة التي مطلعها

يا ليل الصب متى غدهُ
اقيام الساعة موعدهُ

ج . ترونها في مجلة الزهور فقد نشرت فيها وعارضها جماعة من شعراء العصر

(١٢) كيف تعرف خسارة الجيوش

ومنهُ . كيف تعرف خسارة احد الجيوش المتحاربة بعد واقعة ما

ج . يعدُّ القتلى والجرحى بسهولة وينادى آحاد الجيش فمن وجد منهم غائباً ولم يكن مقتولاً ولا مجروحاً فهو مفقود اي مأسور او شارد

(١٣) تكوُّن الكواكب

ومنهُ . كيف تكونت الكواكب

ج . راجعوا ما كتبناهُ مراراً في هذا الموضوع في مجلدات المقتطف الماضية

(١٤) الحركة قبل التاء المربوطة

القاهرة مستفيد . من اغرب ما لاحظت ان اهل مصر يلفظون الكلمات المختومة بالتاء المربوطة بفتح الحرف الذي قبلها وهو اللفظ الصحيح كما لا يخفى . اما اهل سورية فيلفظونها بكسر ذلك الحرف الاَّ اذا كان احد الحروف الآتية فحينئذٍ يفتحونها وهي : الحاء كما في صحة والخاء كما في خوخه . والصاد كما في فرصه . والضاد كما في عضه . والطاء كما بلطه . والظاء كما في بوظه . والعين كما في اربعه . والغين كما في لغه . والقاف كما في مخروقه . والهاء كما في نوهه

ومما لاحظتهُ ايضاً ان الراء تفتح في لفظة عشرة من الاعداد وتكسر في لفظة عشرة بمعنى صحبة ومعاشرة . فكيف تعلّلون ذلك

ج . يظهر لنا من مقابلة لهجة مصر بلهجة الشام ان الاولى اثَّرت فيها اللغة اليونانية التي كانت شائعة في هذا القطر وقت الفتح والثانية اثَّرت فيها اللغة السريانية او الارامية التي كانت شائعة في الشام . وكان من تأثير الاولى ان وجد النبر في اللفظ المصري وكثر الفتح والميل الى فتح الآخر قبل هذه الهاء . ومن تأثير الثانية مد الصوت والامالة بهِ والميل الى الكسر قبلها . اما ابقاء الفتحة على بعض الحروف السابقة لها فسببهُ ان التلفظ بتلك الحروف مفتوحة اسهل من التلفظ بها مكسورة لان اكثرها حروف حلقية والباقي قريب منها

(١٥) تعب الجماد

طنطا . باسيلي افندي توما . تناظرتُ مع جماعة من الادباء في ان الجمادات تحتاج الى الراحة بعد العمل كالاحياء وضربت لهم مثلاً بموسى الحلاقة فانهُ اذا تكرَّر استعمالهُ ثم اريح مدة صار امضى مما لو تكرَّر استعمالهُ بلا راحة فهل ذلك صحيح

ج . ان ما ذكرتموهُ عن موسى الحلاقة صحيح على ما اكدهُ كثيرون من الباحثين ولكن سبب ذلك غير معلوم حتى يستنتج منهُ هل هو يصدق على غيره او لا يصدق . ومعلوم ان دقائق الجماد في حالة حركة مستمرة ولذلك فهي تشغل مكاناً اكبر جداً من المكان الذي تشغلهُ لو بطلت حركتها وانضم بعضها الى

بعض فمن المحتمل ان استعمال الموسى يزيد حركة دقائق حرفهِ فيثخن ويقل مضاؤُهُ واذا ترك مدة عادت هذه الدقائق الى وضعها الاول . ولكن يعترض على ذلك ان الحرارة تزيد حركة الدقائق ولا يُعلم ان الحرارة تقلل مضاء الموسى بل قد تزيد مضاءهُ ولذلك تبقى المسألة على إشكالها

(١٦) حقوق الطبع

الفيوم . فوزي افندي غبور الديري . كثيراً ما نرى على الكتب المطبوعة كلمة حقوق الطبع محفوظة فهل للطبع حقوق في مصر

ج . ليس في القطر المصري قانون لحفظ حقوق المؤلفين ولكن المحكمة المختلطة حكمت بحفظ هذا الحق بناء على القانون العام وهو حفظ حق الانتفاع من الشيء لصاحبهِ

(١٧) اغتصاب حق الطبع

ومنهُ . كيف يكون الحكم على من يطبع وينشر مؤلفًا لغيرهِ

ج . اذا رفع صاحب المؤلف دعوى على طابعهِ وناشرهِ وطلب التعويض فالمرجح عندنا ان المحكمة تقدر الخسارة المالية التي خسرها صاحب التأليف بطبعهِ على هذه الصورة وتحكم لهُ بها

(١٨) حفظ حق الطبع

ومنهُ . هل يبقى حق الطبع محفوظاً بعد وفاة المؤلف وهل هو محفوظ في كل الممالك

نص القانون الانكليزي الذي وضع سنة ١٨٤٢ ان حق المؤلف يبقى ما دام حيًّا ويبقى لورثتهِ سبع سنوات بعد وفاتهِ على شرط ان لا تزيد المدة التي تمتع بها بهذا الحق في حياتهِ وتمتع بها ورثتهُ بعد موتهِ على ٤٢ سنة . فاذا عاش بعد نشر كتابهِ ٣٥ سنة تمتع ورثتهُ بهذا الحق ٧ سنوات واذا عاش ٤٠ سنة تمتعوا بهذا الحق سنتين فقط . واذا طُبع الكتاب اولاً بعد وفاة مؤلفهِ دام الحق لورثتهِ ٤٢ سنة اي للذين يملكون نسخ الكتاب قبل طبعها . ويسجل اصحاب الكتب اسماءها وتاريخ طبعها اول مرة حتى يُعلَم متى ينتهي حق مؤلفيها . ولا يحق لاحد أن يقيم دعوى على طابع كتابهِ ما لم يكن قد سجَّلهُ كذلك ولكن اصحاب الجرائد والمجلات يكفي ان يسجلوا اول عدد منها فيصدق التسجيل على كل ما يتلوهُ ويحفظ حق اصحابها . ثم صار حق المؤلفين دوليًّا عامًّا في مؤتمر برن سنة ١٨٨٧ ولكن مصر لم تشترك فيهِ بل اشتركت فيهِ بريطانيا وبلجكا وفرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا وسويسرا وتونس وهايتي ولكسمبرج وموناكو ونروج

ويدوم حق المؤلف في النمسا والمجر مدة حياتهِ و٣٠ سنة بعد موتهِ وفي بلجكا مدة حياتهِ و٥٠ سنة بعد موتهِ . وكذلك في فرنسا . وفي المانيا مدة حياتهِ و٣٠ سنة بعد موتهِ . وفي بلاد اليونان ١٥ سنة بعد طبع الكتاب .

وفي هولندا ٥٠ سنة بعد طبعهِ او الى ان يموت المؤلف اذا عاش اكثر من خمسين سنة بعد نشرهِ . وفي الجرمدة حياة المؤلف و٥٠ سنة بعدهُ . وفي ايطاليا مدة حياة المؤلف و٤٠ سنة بعدهُ . وفي اليابان مدة حياة المؤلف و٣٠ سنة بعدهُ . وفي نروج مدة حياة المؤلف و٥٠ سنة بعدهُ وكذلك في البرتغال وروسيا واسوج والدنمارك . وفي اسبانيا مدة حياة المؤلف و٨٠ سنة بعدهُ . وفي سويسرا مدة حياة المؤلف و٣٠ سنة بعدهُ . وفي تركيا مدة حياة المؤلف و٤٠ سنة بعدهُ وفي الولايات المتحدة الاميركية ٢٨ سنة للمؤلف واذا بقي حيًّا يجدد الحق ٢٨ سنة اخرى والأ فيعطى هذا الحق لورثتهِ . وهناك تفاصيل كثيرة لا محل لها هنا

(١٩) حقوق الترجمة

ومنهُ . هل للترجمة حقوق

ج . نعم حُفظ حق المؤلفين في ترجمة كتبهم في مؤتمر برن عشر سنوات

(٢٠) السواقي والطواحين في الفيوم

ومنهُ . في مديرية الفيوم سواقي هدير وطواحين للغلال تدار بقوة انحدار الماء وهي آخذة في النقصان لان مصلحة الري لا تعطي رخصاً لبناء سواقي او طواحين جديدة . على ان الغربيين ينتفعون كثيراً بقوة انحدار الماء ويركبون عليها الآلات الكبيرة الكهربائية وغيرها ونحن لا نعلم لماذا تمنع مصلحة الري الاهالي من الانتفاع بقوة انحدار الماء فهل لكم ان تجيبونا عن اسباب ذلك

ج . اذا كانت ادارة الآلة بانحدار الماء لا تضرُّ احداً مطلقاً فلا نظن ان مصلحة الري تمتنع عن الترخيص بها ولكن اذا كانت تضرُّ احداً فلا يحق لها ان تصرح بها . وقد بلغنا عن اصحاب مطحنة في مديرية الفيوم انهم اذا قلَّ الماء وقت التحاريق يحجزوهُ حتى يكثر ويصير كافياً لادارة مطحنتهم ثم اطلقوهُ فالاطيان التي تروى من ذلك الماء تحت المطحنة يصلها الماء بعد اطلاقهِ ولكنهُ لا يصل اليها في المواعيد التي كان جارياً فيها وهذا يضرُّ بهم لانهُ يتعذر توزيعهُ على المزارعين كما لو كان جريانهُ مستمرًّا على معدَّل واحد . ولا يخفى ان الغاية الاولى من الماء في الفيوم هي ري الاطيان لا ادارة الآلات فيجب ان تضحى كل فائدة منهُ لاجل الفائدة الاولى التي هي ري الاطيان . واما في اوربا فالمياه التي تستعمل لادارة الآلات ليست مرصودة على ري الاطيان

هذا من جهة الطواحين اما السواقي فاذا رفعت مقدار الماء المقنن للاطيان التي تروى بها لا اكثر منهُ فلا ضرر منها ولكن التحكم فيها غير ممكن ولا فائدة منها اذا قلَّ الماء حتى عجز عن ادارتها فتبطل فائدتها حينما تكون الحاجة اليها على اشدها . ولا يتعذر على مصلحة الري ان تشير بري تلك الاطيان باساليب اصلح من السواقي واضمن

باب الاخبار العلمية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

اجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في مدينة منشستر في السابع من سبتمبر وخطب رئيسهُ الاستاذ شستر خطبة الرئاسة جاعلاً موضوعها « سبيل النجاح » . ومما قالهُ فيها اننا نجد في التعبُّد للنجاح الوطني بزور الطمع الاشعبي الذي اختلب لب احدى الدول فحملها على زج اوربا كلها في هذه الحرب. ألا ترون ان ازدراء الناس للمبادىء الادبية هو الذي ولَّد الرأي الفاسد القائل ان القوة على امتلاك الشيء تخوّل صاحبها حق امتلاكهِ . وان امتلاك الشيء واجب لذاتهِ من غير التفات الى الغاية التي يستعمل لها

وسنأتي على خلاصة هذه الخطبة في الجزء التالي

مجمع تقدم العلوم الاميركي

عقد هذا المجمع اجتماعهُ السنوي السابع والستين في مدينة سان فرنسسكو في الثاني من اغسطس وخطب فيهِ رئيسهُ الدكتور كمبل خطبة الرئاسة وموضوعها « العلم والعمران » وسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

الغازات السامة في الحرب

اختلفت آراء الكيماويين في حقيقة الغازات السامَّة التي استعملها الالمان في هذه الحرب وقد كتب دهقال الكيماوي الهولندي انهُ يظهر من وصفها وشدَّة فتكها انها ليست غاز الكلور بل غاز اكسيد النتروجين الاول او هي غاز مركب من الكلور والنتروجين مثل النتروسيل كلوريد nitrosyl chloride . فان الدرهم من الكلور يقصر خمسة آلاف درهم الى عشرة آلاف درهم من الدقيق واما الدرهم من النتروسيل كلوريد فيقصر نحو اربعمئة الف درهم من الدقيق فهو اقوى من غاز الكلور اربعين مرة ولعلَّ فعلهُ الخانق اشد من فعل غاز الكلور اربعين مرة وهذا يعلل فتكهُ الشديد بالذين يستنشقونهُ

مكروب الكبريت

من المكروبات انواع تحل مركَّبات الكبريت وتخرج الكبريت الصرف منها وتركبهُ بالاكسجين وتولد منها الحامض الكبريتيك

وهذه الانواع من المكروبات تعيش في الماء الراكد وقد تلونهُ بلون احمر زاهٍ او تلون الطين الذي يمازجهُ

اغلاء اللبن

وجد بالامتحان ان المكروب المسمَّى بمكروب القولون لا يموت كلهُ من اللبن المسخَّن الأ اذا زادت حرارتهُ على ٦٦ درجة بميزان سنتغراد

الغول وكسوفهُ

في السماء نجم كبير اسمهُ الغول عُرف منذ عهد قديم انهُ يفقد ثلثي نورهِ مرة كل ٦٩ ساعة وعُلّل ذلك بان لهُ نجماً آخر متصلاً بهِ يدور حولهُ مرةً كل ٦٩ ساعة فمتى توسَّط بيننا وبينهُ كسف جانباً كبيراً من نورهِ. ويجب ان يكون هذا النجم مظلماً تماماً ولولا ذلك لبان كسوف آخر حينما يقع وراء الغول. وقد ثبت ان هذا هو الواقع اي ان نور الغول يقل قليلاً بين كسوف وكسوف لان تابعهُ يكون وراءهُ فيُحجَب نورهُ ولو كان ضئيلاً والمقدار الذي يحجب حينئذٍ هو ستة في المئة. وثبت ايضاً ان هذا التابع كثير الاشراق في الجهة التي يقابل فيها متبوعهُ وان الجانب المتجه نحونا ونحسبهُ مظلماً لا يخلو من النور ونورهُ اسطع من نور الشمس

التذكير والتأنيث في الحمام

وجد الاستاذ هويتمن بعد البحث الطويل في تربية الحمام انهُ اذا نزع بيض الحمامة كلما باضتهُ واستمرَّ على ذلك الى الربيع فالبيضتان الاخيرتان اللتان تبيضهما حينئذٍ يولد منهما ذكران في الغالب والبيضتان الاخيرتان اللتان تبيضهما في الخريف يولد منهما انثيان في الغالب واما في المدة بينهما فالبيضة الاولى من البيضتين تكون ذكراً والثانية انثى

ولاحظ الدكتور اسكار رول ان احدى الانثيين اللتين تتولدان في الخريف تكون كالذكر في حركاتها وسكناتها واحد الذكرين اللذين يتولدان في الربيع يكون كالانثى. والانثى التي تتصرف كالذكر تفقد هذه الصفات وتصير مثل غيرها من الاناث اذا حُقنت بخلاصة المبيض من حمامة انثى. والمرجح ان سبب ذلك كلهِ المفرزات الداخلية التي تفرز من المبيض والخصيتين وفعلها بالاعصاب

وقضى عالم اميركي سبع سنوات باحثاً في الحمام وبيضهِ وحضنهِ للبيض وتفقيسهِ وغير ذلك فوجد ان نسبة الذكور الى الاناث فيهِ كنسبة ١٠٥ : ١٠٠ وان لا صحة لما اشيع من ان البيض الاول الذي يبيضهُ الحمام يخرج ذكوراً والثاني اناثاً. وان هناك علاقة بين وقت تفقيس البيضة الثانية ووقت بيض الاولى

الاوتوموبيل في اميركا

ذكرنا في الجزء الماضي ان معامل الاوتوموبيل في اميركا ستصنع في السنة المقبلة مليون اوتوموبيل . وقد قرأنا الآن في السينتفك اميركان ان عدد الاوتوموبيلات في الولايات المتحدة الاميركية بلغ حتى اول يونيو الماضي ٢٠٠٠٠٠٠ وانهُ يلزم لهذه الاتوموبيلات في السنة الف مليون جالون من الغاز ثمنها ١٣٠ مليون ريال وعشرون مليون جالون من الزيت للتزييت ثمنها ٨ ملايين ريال و١٢ مليون اطار من الكاوتشوك ثمنها ١٩٢ مليون ريال وادوات اخرى تبلغ عشرة ريالات لكل اوتوموبيل والجملة مئة مليون ريال ومجموع ذلك كلهِ ٧٣٠ مليون ريال او ١٤٦ مليون جنيه عدا اجور السوَّاق

المدرَّعة الاولى

للانكليز اول مدرعة من مدرعاتهم وذلك سنة ١٨٦٠ كان وزن القنبلة من اقوى مدافعهم ٦٨ رطلاً فكانت درع تلك المدرعة كافية لمقاومتها لان ثخنها كان $4\frac{1}{2}$ بوصة اما الآن فصار وزن القنبلة من المدافع الكبيرة الفي رطل فاكثر

معمل كروب

يشغل معمل كروب الذي تصنع فيهِ المدافع وسائر ادوات الحرب الف فدان وفيهِ سبعون الف عامل وهو يصنع اربعين الف مدفع كل سنة

القنابل التي تطلق على التسبلين

صنع الفرنسويون قنابل ليطلقوها على بلون تسبلين تتفتت في الجو ولا يعود منها الى الارض الأ شيء قليل جدًّا اذا وقع على المساكن لا يلحق بها ضرراً يذكر

اثمن الاوقاف

في مدينة نيويورك كنيسة اسمها كنيسة الثالوث اوقفت لها الملكة حنَّة الانكليزية ارضًا في تلك المدينة منذ مئتي سنة وقد ارتفع ثمن هذه الارض وزاد دخل ما بني فيها حتى يبلغ الآن خمس مئة الف جنيه في السنة

منائر للطيارات

اخذ الاوربيون يقيمون المنائر لارشاد الطيارات في البحر كما تقام المنائر لارشاد السفن . ويضع الالمان في المنارة مصباحًا كهربائيًّا ساطع النور جدًّا يبلغ نورهُ نور ٢٧ مليون شمعة وتدفع اشعتهُ في الجو فترتفع الى علو شاهق يراها الطيار وهو محلّق ويهتدي بها . وفي المنارة آلة تلغراف لا سلكي تخبر بها الطيارات عن احوال الطقس وفي

كل طيارة المانية آلة للتلغراف اللاسلكي يتناول بها الاخبار من الارض دواماً

مدفع سكودا النمسوي

قالت «مجلة المهندسين» الانكليزية تصف ما فعلت المدافع الضخمة بالحصون والقلاع في هذه الحرب وخصوصاً الميدان الشرقي منها :

«ظهر حتى الآن من مجرى الحرب الحاضرة ان الحصون والقلاع ستزول من الوجود لتحل محلها الاستحكامات والخنادق . فان هذه لا ترى ولا تؤْخذ فضلاً عما فيها من الاقتصاد في المواد الحربية ومن السهولة على الجندي ثم ان مدافعها تكون متنقلة ولا تستهدف للرماة استهداف مدافع الحصون. وقد احدث هذا الانقلاب العظيم مدافعُ سكودا التي قطر فوهتها ١٧ بوصة فقد استعملت في غليشيا على ما يظهر وكان فتكها ذريعاً . فان ثقل قنبلتها طن وربع طن وهي من القنابل الشديدة الانفجار فاذا اصابت مكاناً اخترقتهُ الى عمق ٢٠ قدماً ثم انفجرت فابادت كلَّ ما حولها على مسافة ١٥٠ يرداً . اما القنبلة الفرنسوية التي قطرها ٣ بوصات فتقتل كلَّ حيّ قربها بما تحدثهُ في الهواء من الارتجاج وتتطاير شظاياها في دائرة اهليليجية طولها ٥٠ يرداً الى الجانبين بعشرة يردات الى الامام. ولما كان ثقل القنبلة يزداد بازدياد مكعب قطرها فان قوة قنبلة سكودا تساوي قوة ١٨٢ قنبلة من قنابل المدفع الفرنسوي ٧٥ . نعم انهُ يستحيل ضبط الرماية كلَّ الضبط بالمدافع الضخمة جداً ولكن مداها وضخامة مقذوفاتها مما يجعلها سلاحاً فتاكاً . وقد بلغت الرماية في خط منحنٍ وعلى زاوية عالية مبلغاً ذا شأن عظيم في هذه الحرب حتى لقد قذفت القنابل بها الى مسافة ٢٥ ميلاً . وقوة هبوط هذه القنابل الضخمة من مكان عالٍ هي التي تمزق الحصون كلَّ ممزق وتمكن القنابل من اختراق الارض الى عمق كثير قبل انفجارها . ولا يبعد ان يفضي استخدامها لرمي البوارج الى تغيير طريقة تدريعها بحيث يصير تدريع الظهر اثخن مما هو الآن وامتن

الماس في المستعمرات الالمانية

اكتشف الماس في المستعمرات الالمانية بجنوب افريقية سنة ١٩٠٨ فلم تأْتِ سنة ١٩١٢ حتى استخرج منهُ ما قيمتهُ مليون ونصف من الجنيهات وقد وجد فيها الذهب والرخام ايضاً . وزد على ذلك ان ارضها صالحة لزراعة الاثمار على انواعها والدخان . وقد جرب فيها زرع القطن فاخرجت قطناً جيداً ولذلك سيكون فقدها خسارة كبيرة على المانيا

دقيق القمح في الهند الغربية

ارتفعت اسعار دقيق القمح في جزر

الهند الغربية لاسيما وانهُ يجلب اليها من الخارج فقام اهلها ينقبون عن مواد اهلية تمزج بهِ توفيراً فوفقوا في جامايكا الى مزجهِ بدقيق الموز فجاء ذا نكهة طيبة ولكنهُ اقل تغذية من دقيق القمح او دقيق الذرة

سبب كلف الشمس

خطب الاستاذ دفيلد الانكليزي خطبة امام الجمعية الملكية المتيورولوجية ذهب فيها الى ان دوران الشمس على محورها هو سبب ما يرى على سطحها من الكلف والمشاعيل وعلل ذلك بقولهِ ان اختلاف السرعة في طبقات جو الشمس المختلفة يولّد حلقات زوبعية فاذا رئيت وطرفها متجه الينا ظهرت كالكلف واذا رئيت وجانبها متجه الينا ظهرت كالمشاعل

تعقيم ماء الشرب

وضع الدكتور هوستون تقريراً عن ماء الشرب في لندن وتعقيمهِ . ومما جاء فيهِ ان السبب الاعظم في قساوة الماء (الماء القاسي هو الذي لا يرغي الصابون فيهِ) وجود بيكربونات الجير فيهِ وقتيًّا ووجود كبريتات الجير دائمًا وان الاول يبقى في الماء محلولاً بفعل الحامض الكربونيك الذي فيهِ . والماء القاسي يليَّن باضافة الجير اليهِ فيتحد الجير بالحامض الكربونيك ويتألف من اتحادهما راسب من الجير المضاف ومن بيكربونات الجير الموجود في الماء وهذا الراسب يكون بصورة كربونات الجير وهو لا يذوب في الماء الاَّ قليلاً . والماء الذي يضاف اليهِ قليل من الجير يصير قلويًّا ولكنهُ لا يكون كاويًا فلا يؤَثر فيما يكون فيهِ من المكروبات فاذا أُضيف اليهِ مقدار كبير من الجير اصبح كاويًا وقاتلاً للمكروب ولكنهُ لا يصلح وهو على هذه الحالة للشرب فاذا أُضيف اليهِ ماء ازيل منهُ المكروب بات صالحًا لكل شيء بتخفيف فعل الجير فيهِ . وكان قد اثبت بالتجربة انهُ اذا أُخذ ماء النهر وخزن اربعة اسابيع او خمسة زال معظم المكروب منهُ فبات شربهُ مأمونًا . فماء مثل هذا اذا اضيف الى الماء الماذج بالجير ثم صفي مما فيهِ من كربونات الجير الراسب كان سليماً من كل مكروب وآفة

العلماء والحرب

جاء من انباء المانيا ان جمعية اطباء الحنجرة حذفت اسم السر فليكس سيمون من قائمة اعضاء الشرف فيها لانهُ نشر كتاباً في التيمس قبح فيهِ ما اتى الالمان من الكبائر في هذه الحرب . والسر فليكس هذا طبيب انكليزي مشهور وهو الماني الاصل ولد في مدينة دنتسك ببروسيا وتعلم في مدارس برلين وفينا وتطوع في حرب بروسيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ اذ انتظم في سلك حرس الفرسان

البروسيين الملقبين بالاوهلان. وشهد معارك اميان وبابوم وسان كنتان في تلك الحرب وحصار متس وباريس. وبعد الحرب انتقل الى لندن فتمرن في احد مستشفياتها ثم في بعض مستشفيات باريس وهو حامل لكثير من النياشين الانكليزية والالمانية والنمسوية والعثمانية. وفي سنة ١٩٠١ عين طبيباً فوق العادة لملك الانكليز

وحذت المجلة الالمانية التي تبحث خصيصاً في ادواء الحنجرة حذو الجمعية المذكورة فحذفت اسمهُ ايضاً من عداد مراسليها وكان هو قد انشأها منذ ٢٥ سنة. ولما علم مراسلو المجلة من الاطباء الانكليز بعملها هذا بعثوا يستعفون من مراسلتها احتجاجاً على الاهانة التي لحقت بهِ من معاملتهِ تلك المعاملة. وجرى مجراهم طبيب اميركي الماني الاصل

مسئلة الذباب

لا نكاد نطلع على مجلة علمية في الانكليزية او الفرنسوية الاَّ رأيناها تفسح المجال في كثير من اعدادها للكلام على الذباب وتطيل في بيان ضررهِ والطرق التي يجب الالتجاء اليها في ابادتهِ منعاً لاذاهُ حتى لا نرانا مبالغين اذا سمينا هذه المسئلة مسئلة الذباب وآخر ما فعلهُ الانكليز فيها ان الجمعية الزولوجية في لندن اصدرت منشوراً عنوانهُ « النصيحة العملية في المسئلة الذبابية » لخصت فيهِ الوسائل التي جربتها في مكافحة الذباب واوردت النصائح التي يجب اتباعها في اقصائهِ عن الطعام والمنازل. وفي اهلاكهِ. وفي معالجة زبل الاصطبلات وغيرهِ من النفايات التي يبيض الذباب فيها ويعيش

نقول اذا كان هذا مقدار اهتمام الانكليز بالذباب اتقاء لشرهِ وبلدهم بارد لا تقوم للذباب فيهِ قائمة الاَّ في بعض اشهر الصيف فما بالك بهذا القطر الحارّ الذي يلائم هواؤُهُ مزاج الذباب كلّ الملاءمة وهو فيهِ « مقيظ مصيف مشتي » وفي رأْينا انهُ لولم يكن لرجال الصحة عندنا همٌّ الاَّ بهِ لكان في ذلك شغل شاغل لهم. فان الطائر الذي اغضب زيداً من عهد النحاة الاقدمين بدليل قولهم في بعض امثالهم « الطائر فيغضبُ زيدٌ هو الذباب » هو نفسهُ الذي يغضب نسل زيد في هذا العصر ويميتهم قبل الاوان بما يدسّ لهم من السمّ في الطعام ويعمي عيونهم بما ينقل اليها من مكروبات الرمد

وصدر بعد هذا المنشور مؤلفات موضوع الواحد منها « مقاومة خطر الذباب» وموضوع الثاني « ذبابة البيت قاتلة الناس » وقد وصف الاول منها كيفية استعمال العلاجات لاهلاك الذباب بيضاً وطائراً واخصها البورق والفورمالين والمصائد المختلفة وابان الثاني ان خطر الذباب خطر حقيقي وحضّ قارئيهِ على درء الخطر قبل وقوعهِ

وقد خصّ فيهِ فصل بذبابة الاصطبل التي يقال انها سبب انتشار شلل الاطفال

مكتشف علاج ٦٠٦

نعت صحف اوربا الاستاذ بول ارليخ الالماني مكتشف علاج الزهري المعروف باسم سلفرسان او ٦٠٦

ولد سنة ١٨٥٤ في مدينة ستراهلين بمقاطعة سليزيا من ابوين يهوديين وتلقى الطب في جامعتي برسلو وستراسبرج . ومن اول ما اشتغل بهِ تأثير بعض الوان الصبغ المعروف بالانيلين في الانسجة الحية واكتشف اصباغاً لتلوين المكروبات اشتهرت باسمهِ واباناَن بين بعض المكروبات وبعض الاصباغ الفة خاصة

على ان اعظم ما عرف بهِ تحضير عدد كثير من مركبات الزرنيخ والزيبق الآلية وتجربتها في المصابين بالزهري مما افضى الى اكتشاف دواء ٦٠٦

وقد كانت وفاتهُ في معملهِ البكتريولوجي فجأةً . قالت مجلة « نانشر » العلمية الانكليزية في تأبينهِ : « اننا نحن الانكليز رغم الحرب القائمة الآن بين الامم اول من يعترف ان العالم فقد بموت بول ارليخ رجلاً عظيماً يستحق ان يكون في مصاف باستور ولستر وكوخ »

تذكار لحملة سكوت

عهد الى نقاش انكليزي في صنع اثر من البرونز تذكاراً للكبتن سكوت ورفاقهِ الذين ماتوا في الاصقاع القطبية الجنوبية وهم عائدون من اكتشاف القطب سنة ١٩١٢ بعد اكتشاف الرحالة امندسن النروجي لهُ .

وقد اكمل النقاش عملهُ فطلبت اللجنة الموكلة بذلك الى اللورد كرزون ان يكتب بضعة اسطر توضع تحت الاثر فكتب ما يأتي :

« تذكار للكبتن روبرت فوكن سكوت والدكتور ادورد ادريان ولسن والكبتن لورنس اوتس واللفتننت هنري بوورز والصف ضابط ادجر ايفانس — الذين ماتوا في اثناء عودتهم من القطب الجنوبي في فبراير ومارس سنة ١٩١٢ . لقد كانوا اهل عزيمة لا تمل وشجاعة لا تكلّ وصبر لا يضمحل في وجه مكاره ليس لها مثل . ضاعت اجسامهم في ثلج الاصقاع المجمدة الجنوبية لكن ذكرى اعمالهم نصبٌ خالدٌ »

اصل الماس

ذهب بعض العلماء ان الماس في جنوب افريقية تكوَّن من الكربون المحلول في الصخور المصهورة ولكن قام اخيراً عالم يفند هذا المذهب ويقول ان الضغط هو العامل الاعظم في تكون الماس ايام كانت الصخور النارية التي في بلاد كمبرلي (حيث مناجم الماس) اعمق في الارض مما هي الآن

الهواءُ الفاسد والقابلية

فنّد بعض العلماء الانكليز والاميركيين المذهب القائل بان هواء الغرف غير المطلقة يصير سامًّا لانهُ يحتوي على شوائب التنفس او لطروء تغير آخر على تركيبهِ الكيماوي ومحتو يانهِ وابانوا ان ما في الهواء المحصور من الضرر عائد الى حرارتهِ ورطوبتهِ · على ان عالمين اميركيين اثبتا اخيراً بالامتحان ان الهواء الفاسد يضرّ الصحة بسبب تغيرهِ الكيماوي لا الطبيعي ذلك انهما جرّبا سلسلة تجارب في بضعة اشخاص حجزوا في غرفة حرارتها ورطوبتها واحدة وراقبا تأثير تهوية الغرفة وعدم تهويتها فيهم · وبعد ما اقام الاشخاص ساعتين او ثلاثًا في الغرفة قدما اليهم طعامًا موزونًا ثم وزنا الباقي ليعرفا مقدار ما اكلوا تمامًا فتبيّن لهما ان هواء الغرف المأهولة غير المهوّاة يشتمل على شوائب تضعف القابلية بطريقة مجهولة من غير ان يزعج المقيمين فيها او يولّد فيهم اعراضًا فسيولوجية ظاهرة

مصدر المذنبات

بحث احد علماء الفلك الدنمركيين في مصدر المذنبات هل تأتي من فضاء النجوم فيما وراء النظام الشمسي كما هو الشائع او تتولد في دائرة هذا النظام فظهر لهُ من تتبع حركات ثمانية من المذنبات والاضطرابات الفلكية التي تحدثها في السيارات ان جميع المذنبات التي رئيت من الارض نشأت في دائرة النظام الشمسي لا فيما وراءها

وقود جديد

يقال انهُ اكتشف في انكلترا وقود جديد للموطرات (مركبات الاتوموبيل) يسمى « ناتاليت » وهو مؤلف من الكحول في الاكثر مضافًا اليها قدر قليل من القلي لابطال حموضة ما يتخلف من احتراق الكحول فان هذه الحموضة تأكل من حديد المصاريع والاسطوانات .

التنافس في الطيارات

روت صحف سويسرا منذ مدة ليست بوجيزة ان انكلترا تبني طيارات كبيرة تحمل الواحدة منها ١٦ نفسًا · وقد علمت جريدة السينتفك اميركان ان المانيا ستشرع قريبًا في بناء طيارات من ذوات الاسطح الثلاثة تساوي ثلاثة اضعاف الطيارات الحاضرة في حجمها وقوتها وتحمل الواحدة منها ٢٠ نفسًا يسلحون باربع بنادق من المتعددة الطلقات ومدفعًا خفيفًا يوضع في برج مدرّع · وتسير الطيارة منها بقوة ثمانية موطرات وتكون كلها مدرعة

بقسماط الجيش الانكليزي

توجهت انظار اهل الامر في وزارة

الحربية الانكليزية الي فتك بعض اصناف السوس والخنافس بالبقسماط الذي يصدر من انكلترا الى الجيش الانكليزي خارجها وخصوصاً جنوب افريقية وسيلان وجبل طارق ومالطة والسودان حتى يمسي غير صالح للأكل فانتدبت لذلك لجنة من العلماء وكلفتهم درس المسألة وعلاج هذه الحالة فبقيت اللجنة ثلاث سنوات باحثة منقبة حتى اهتدت الى طريقة وافية بالمرام في حفظ البقسماط سليماً من فتك الحشرات

بعض الشذوذ الحيوانية

فحص احد العلماء كثيراً من البيض ذي المحين في الدجاج العادي فوجد انهُ ثلاثة انواع : الاول ما احتوى على جميع الغلف المعتادة في البيضة ذات المحين ٠ والثاني ما كان فيهِ طرفا المح منفصلين والزلال مشتركاً ٠ والثالث ما كان فيهِ غلافا الزلال منفصلين والغشاء والقشرة مشتركين ٠ ووجد ايضاً ان ٧١ في المئة من البيض الذي فحصهُ هو من النوع الثاني ٠ وان عدداً قليلاً من البيض كانت فيهِ دلائل على وجود بيضتين كاملتين معاً او على ما يسمونهُ بالتفريخ المزدوج

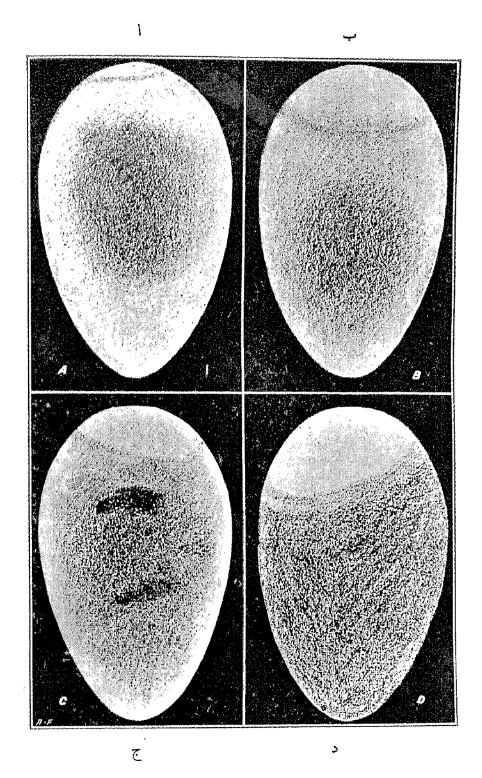
ووصف عالم آخر بقرة ظهرت فيها بعض خصائص الذكور الثانوية مثل غلظ الرقبة ٠ وقبل ظهور هذه الخصائص فيها حملت ثلاث مرات وكانت حلوباً لا مثيل لها ٠ وبعد قتلها فحصت فوجد المبيض وارماً لا وجود للجسمين الاصفرين فيهِ ٠ وعليهِ استدل ان الجسم الاصفر في المبيض لازم لحفظ صفات الانثى الثانوية على اتمها

عمر الجثث

يستدلون الآن على عمر الجثث منذ عهد البلى بها حتى مرور ثلاث سنوات عليها من دول الهوام والحشرات التي تتداولها ٠ فاذا كانت الجثة جديدة سطت عليها هوام من فصيلة الدبترا دون غيرها ٠ وبعد ان يتطرق الفساد اليها ويدب الانحلال فيها تدول دولة الهوام المشار اليها وتحل محلها هوام اخرى ٠ وفي الشهر الثالث حتى السادس اي مدة تكون الحوامض الدهنية تقوم دولة الخنفساء المسماة درمستس والسوسة المسماة اجلوسيا ٠ ثم اذا جاء الدور الجبني بعد الدهني حلّت خنفساء اخرى محلها ٠ ومن الشهر الرابع الى الثامن تتحول الجثة الى كتلة مسودّة فتتسلط عليها حينئذٍ خنافس من اربعة اصناف ٠ ثم تأخذ الجثة في الجفاف فتتسلط عليها هوام جديدة وكلما اشتد جفافها دالت دولة من الهوام والذباب المتسلط عليها لتقوم مقامها غيرها ٠ فلا تمضي ثلاث سنوات حتى لا يبقى منها سوى اربطة العظام فيستولي عليها اذ ذاك صنفان من الخنافس يتمان عمل البلى فيها

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والاربعين

صفحة



ا منظر البيضة الجديدة اذا وضعت بين العين والمصباح · ب منظر البيضة العتيقة · ج منظر البيضة التي ابتدأ فيها الفساد · د منظر البيضة الفاسدة تماماً · انظر الصفحة ٤٢١

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

البيض وما فيهِ من الغذاء

البيض طعام طبيعي كاللبن اعدتهُ الطبيعة ليكون كافياً لبناء جسم الحيوان لان منهُ يتكوَّن لحم الفرخ وعظمهُ وجلدهُ وعصبهُ وريشهُ الذي هو بمثابة الشعر في غيرهِ

وانواع البيض كثيرة والمرجح ان الناس اكلوها كلها من قديم الزمان اما الآن فلا يأكلون الأ بيض الدجاج والبط والوز والسلاحف . واكثرها استعمالاً بيض الدجاج وهو المقصود في هذه المقالة

والبيض كثير في هذا القطر كما في كل البلدان الزراعية فقد صدر منهُ في العام الماضي نحو ١٥١ مليون بيضة بيعت بنحو ٢٢٦ الف جنيه . ولا يُعلَم كم يؤْكل فيهِ في السنة ولكن ديوان الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية قدَّر متوسط ما يأكلهُ الواحد من سكانها في السنة ٢١٠ بيضات او اربع بيضات كل اسبوع فاذا قدّر ان متوسط ما يأكلهُ الواحد في الاسبوع من سكان القطر المصري بيضة واحدة فما يأكلونهُ كلهم في السنة يبلغ سمائة مليون بيضة واذا حسبنا ثمن كل ست بيضات غرشاً كما بلغ الآن في بلاد الفلاحين فثمن البيض الذي يأكلونهُ مئة مليون غرش او مليون جنيه . الأ ان هذا السعر حديث ولا سيما في بلاد الفلاحين فمنذ شهرين من الزمان كان ثمن البيض نصف ما هو الآن او اقل . والذين يعرفون ما في البيض من الغذاء يعلمون انهُ مع هذا الغلاء الفاحش لا يزال ارخص من اللحم كثيراً اذا اعتبرنا ما فيهما من الغذاء

وقد حلَّل العلماء البيض وبحثوا عمَّا فيهِ من الغذاء بحثاً مدققاً فوصلوا الى ما يرى في الجدول التالي

		وزن القشر في المئة	الماء في المئة	البروتين في المئة	الدهن في المئة	الرماد في المئة	قوة الرطل
بيض الدجاج	البيض بقشرهِ	١١٫٢	٦٥٫٥	١١٫٩	٩٫٣	٠٫٩	٠٥٩٦
	البيض بلا قشرهِ	٠٠	٧٣٫٧	١٣٫٤	١٠٫٥	١٫٠	٠٦٧٢
	البياض وحدهُ	٠٠	٨٦٫٤	١٢٫٣	٠٫٢	٠٫٦	٠٢٣١
	الصفار وحدهُ	٠٠	٤٩٫٦	١٥٫٧	٣٣٫٣	١٫١	١٦٤٣
بيض البط	البيض بقشرهِ	١٣٫٧	٦٠٫٨	١٢٫١	١٢٫٥	٠٫٨	٠٧٣٠
	البيض بلا قشرهِ	٠٠	٧٠٫٥	١٣٫٣	١٤٫٥	١٫٠	٠٨٣٥
	البياض وحدهُ	٠٠	٨٧٫٠	١١٫١	٠٠٫٠٣	٠٫٨	٠٢٠٣
	الصفار وحدهُ	٠٠	٤٥٫٨	١٦٫٨	٣٦٫٢	١٫٢	١٦٨٣
بيض الوز	البيض بقشرهِ	١٤٫٢	٥٩٫٧	١٢٫٩	١٢٫٣	٠٫٩	٠٧٣٧
	البيض بلا قشرهِ	٠٠	٦٩٫٥	١٣٫٨	١٤٫٤	١٫٠	٠٨٢٩
	البياض وحدهُ	٠٠	٨٩٫٣	١١٫٦	٠٠٫٠٢	٠٫٨	٠٢١١
	الصفار وحدهُ	٠٠	٤٤٫١	١٧٫٣	٣٦٫٢	١٫٣	١٧٩٣
بيض دجاج الحبش	البيض بقشرهِ	١٣٫٨	٦٣٫٥	١٢٫٢	٠٩٫٧	٠٫٨	٠٦١٨
	البيض بلا قشرهِ	٠٠	٧٣٫٧	١٣٫٤	١١٫٢	٠٫٩	٠٧٠٠
	البياض وحدهُ	٠٠	٨٦٫٧	١١٫٥	٠٠٫٠٣	٠٫٨	٠٢١٠
	الصفار وحدهُ	٠٠	٤٨٫٣	١٧٫٤	٣٢٫٩	١٫٢	١٦٦٠
بيض السلحفاة البرية		٠٠	٦٥٫٠	١٨٫١	١١٫١	٢٫٩	٠٧٧٢
« « البحرية		٠٠	٧٦٫٤	١٨٫٨	٠٩٫٨	٠٫٤	٠٧٤٢
لحم الغنم		٠٠	٥٣٫٦	١٦٫٠	٢٩٫٨	٠٫٨	١٢٠٠

ويظهر من ذلك ان ٧٢ في المئة الى ٧٥ في المئة من البيض ماء و١٢ في المئة الى ١٤

في المئة مواد بروتينية (اي نيتروجينية) و ١٠ الى ١٢ في المئة دهن ونحو واحد في المئة مواد معدنية او بعبارة اخرى ان ربع البيضة مواد مغذية تشبه المواد المغذية في اللحم والدهن والثلاثة الارباع الباقية ماء وان في الرطل من البيض قوَّة لجسم الانسان الذي يأكلهُ تعادل ٦٧٢ فيحًا ولكن صفار البيض اغنى بهذه القوة من بياضهِ . والماء في الرطل من لحم الغنم اقل من الماء في الرطل من البيض . والدهن والبروتين في لحم الغنم اكثر منهما في البيض وكذلك القوة ولكن مقدار هذه المواد يختلف باختلاف اعضاء الخروف فهو في لحم الصدر غير ما هو في لحم الخاصرة او الفخذ او الرقبة او الذراع كما سيجيء في الكلام على اللحم

وصف مواد البيض

الماء — الماء سبعة اثمان بياض البيض والثمن الباقي منها بروتين واكثرهُ زلال . وفي البياض قليل من كلوريد الصوديوم اي ملح الطعام وقليل من املاح البوتاسيوم . واما الصفار فنصفهُ فقط ماء وثلثهُ دهن وسدسهُ بروتين وفيهِ مواد معدنية اكثر مما في البياض وهي تشمل الفصفور والكلس والحديد وكلها مركبة تراكيب آلية مغذية ولذلك فالغذاء في صفار البيض اكثر جدًّا مما في بياضهِ وفي الرطل من صفار البيض من القوَّة سبعة اضعاف ما في الرطل من بياضهِ

الدهن — اكثر دهن البيض في صفارهِ كما تقدم وهو مستحلب مثل دهن اللبن فيسهل هضمهُ في المعدة كما يهضم في الامعاء . وقد ثبت بالامتحان ان ٧٨ في المئة من دهن الصفار تهضم في المعدة . ونحو ربع دهن البيض من الدهن المفصفر اي الذي دخل الفصفور في تركيبهِ الكيماوي مع النيتروجين واليهِ ينسب نمو الفرخ في البيضة حتى لقد ظن البعض ان اكل صفار البيض او هذا الدهن الفصفوري الذي فيهِ يزيد النمو او هو ضروري لنمو الحيوان . وفي الصفار مادة تكسبهُ اللون الاصفر وهي ذائبة في دهنهِ

البروتين — بروتين البياض مختلف عن بروتين الصفار وهو على انواع في كل منهما اشهرها الزلال (الالبيومن) وهو في البياض والاوفوفيتالين الشبيه بالجبن وهو في الصفار

الرماد — المواد المعدنية التي تبقى رماداً اذا حرقت البيضة لازمة كلها لبناء جسم الحيوان . وهي قليلة جدًّا ففي كل مئة الف درهم من البيض الخالي من القشر ٩٣ درهمًا من الكلس و ١٥ درهمًا من المغنيسيوم و ١٦٥ درهمًا من البوتاسيوم ومئتا درهم من الصوديوم و ٣٧٠ درهمًا من الفصفور و ١٠٠ درهم من الكلور و ١٩٠ درهمًا من الكبريت وثلاثة

دراهم من الحديد . والحديد والكلس والفصفور اكثر في الصفار منها في البياض ولهذا فالصفار اكثر الاطعمة غذاء

هضم البيض

ظهر بالامتحان ان البروتين الذي في البيض يهضم بسهولة كبروتين اللبن واللحم وكذلك دهن البيض يهضم كما يهضم سمن اللبن وهضمهُ اسهل من هضم دهن اللحم . والمرجح ان البيض الذي يُسلَق في ماء حرارتهُ دون درجة الغليان يكون اسرع هضماً من غيره

والبيض يقوم مقام اللبن في التغذية وهو اوفر منهُ حديداً واذا قلَّ اللبن في تغذية الاطفال امكن استعمال البيض معهُ ولكن البيض لا يغني عنهُ في تغذيتهم . وهو اصلح الاطعمة للمهزولين والمسلولين والمصابين بفقر الدم

ويقال بنوع عام ان كل اثنتي عشرة بيضة من البيض الاوربي او السوري الكبير تقوم مقام رطلين من اللحم . اما البيض المصري فانهُ صغير جدًّا البيضة منهُ قلما تزيد على نصف بيضة من البيض الاوربي فاذا حسبنا ان كل اربع وعشرين بيضة من البيض المصري تساوي رطلين من اللحم وبلغ ثمن رطل اللحم اربعة غروش فاربع وعشرون بيضة تساوي ثمانية غروش. ولذلك فالشكوى من غلاء البيض اذ تباع اربع بيضات بغرش ليست في محلها لان البيض لا يزال ارخص من اللحم اذا اعتبرنا ما فيهما من الغذاء لجسم الانسان . ولكن اللحم والبيض غاليان جدًّا في جنب الحبوب والبزور والاثمار اذا نظرنا الى ما في الفريقين من الغذاء للانسان كما ابنا غير مرة وكما سنبينهُ عند الكلام على الاطعمة النباتية

الَّا ان البيض سريع الفساد ولاسيما في الصيف وفي البلاد الحارة وسبب فسادهِ ان قشرتهُ ذات مسام فيدخلها الهواء وما فيهِ من المكروبات . فالمكروبات تنمو في زلال البيض وصفارهِ واكسجين الهواء يساعدها على النمو فتنحل مادة البيضة وتمذر اي تفسد فلذلك ولأن البيض يكثر في بعض الفصول فيرخص ويقلّ في غيرها فيغلو وكذلك يكثر في بلاد الفلاحين فيرخص ويقل في المدن فيغلو تدعو الحال الى حفظهِ من فصل الى آخر والى نقلهِ من جهة الى اخرى من غير ان يتطرق الفساد اليهِ . ولهم في حفظهِ اساليب كثيرة اشهرها وابسطها ان يوضع في سائل يسدُّ مسام قشرهِ ويمنع دخول الهواء والمكروبات اليهِ . والسائل الذي يفي بذلك هو سلكات الصودا ويكون لزجاً كالدبس او كالشراب فيخفف بعشرة امثالهِ من الماء بان يضاف الى كل كوبة منهُ عشر كوبات من الماء حتى يصير البيض الجديد يغرق فيهِ بسهولة ويبقى مغموراً بهِ فاذا كان هذا السائل نقيًّا

ووضع في مكان بارد وغمر البيض بهِ تماماً امكن حفظهُ بضعة اشهر سالماً من غير اقل تغير في طعمهِ او وزنهِ او تركيبهِ ولكن لا بدَّ من ان يكون البيض سليماً نظيفاً حينما يغطس في هذا السائل

ويمتاز البيض الجديد عن القديم والفاسد بوضعهِ بين العين ومصباح والنظر اليهِ فالجديد يظهر كصورة ا في الشكل المقابل وفي اعلاهُ فراغ صغير جداً والقديم كصورة ب وفي اعلاهُ فراغ كبير والذي ابتدأ فيهِ الفساد كصورة ج والفاسد تماماً كصورة د

والغالب ان يقع الفساد في صفار البيضة لا في زلالها لان في الزلال خاصيَّة تقتل المكروبات. وقد اهتمَّ البعض بحفظ البيض بواسطة التبريد الشديد حتى يجلد او بواسطة تجفيفهِ حتى يجمد لكنهُ لا يسلم من المكروبات في الحالين فقد وجدوا في الغرام من البيض الذي جمد بالبرد نحو مليون مكروب وفي الغرام من البيض الذي جمد بالتجفيف نحو اربعة ملايين مكروب وهما مع ذلك صالحان للاكل لانهُ قلما وجد فيهما شيء من المكروبات الضارَّة

الصفات الجنسية الثانوية

سألنا احد القراء منذ بضعة اشهر لماذا اذا خصي الحمَل صغيراً كبر اجمَّ اي لم ينبت قرناهُ بعد ذلك. فاجبناهُ انهُ اذا صحَّ ما قال فتعليلهُ سهل وهو ان القرون سلاح الحيوان. والحيوانات التي من جنس الغنم والمعزى والظباء والايائل تستعمل قرونها وقت المزاوجة فيتقاتل ذكورها بها والغالب منها يستبد بالاناث فقويت العلاقة بين القرون والتناسل ولذلك تسقط قرون ذكور الايائل بعد فصل المزاوجة ولذلك ايضاً صارت اناث بعض انواع الغنم جماء لا قرون لها. وعليهِ لا يبعد ان يتوقف نمو القرون في ذكور الغنم اذا خصيت صغيرةً. واتفق اننا لقينا بعض اصحاب القطعان بعد ذلك وسألناهم عن نمو القرون في الحملان المخصيَّة فقالوا ان قرونها تنبت ولكنها لا تنمو بل تبقى صغيرةً مع ان النعاج جماء. فرأينا ان نعود الى هذا الموضوع ونذكر ما قالهُ الثقات الباحثون فيهِ ونبسطهُ بما يحسن من التفصيل

يراد بالصفات الجنسية الصفات التي تكون في الذكور خاصَّة او في الاناث خاصَّة فيمتاز بها الذكر عن الانثى. وهي كثيرة كما لا يخفى بعضها اولي او جوهري يتعلَّق باخلاف النسل كالخصيتين في الذكر والمبيض في الانثى. وبعضها ثانوي او عرضيّ كطول الشعر في وجه

الرجل وتزوُّق ريش الديك وكبر ثديي المرأة واغبرار لون الدجاجة وهلمَّ جرًّا

اما الصفات الاولية فما يختص منها بالذكور لا يظهر الاَّ فيهم وما يختص بالاناث لا يظهر الاَّ فيهنَّ . وقد تجتمع هذه الصفات في شخص واحد فيكون ذكراً وانثى معاً وهو الخنثى وذلك نادر جدًّا في البشر والحيوانات العليا ولكنهُ كثير في بعض انواع الحيوانات الدنيا كالبزاق ويكاد يكون عامًّا في انواع النبات لا يستثنى منها الاَّ مثل النخل والصنوبر اذ تكون ازهار الذكر في شجرة وازهار الانثى في اخرى

والصفات الثانوية غير مرتبطة باخلاف النسل ارتباطاً جوهريًّا اي هي خارجة عن اعضاء التوليد ومع ذلك تظهر وتنمو حينما يصير الحيوان قادراً على التوليد فترى جلية في البالغ منهُ ولو لم ترَ جلية في صغارهِ كما ترى في الفرق الظاهر بين الرجل والمرأة والديك والدجاجة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنزة ولو لم تظهر في صغار هذه الحيوانات . وتظهر ايضاً في الوان الطيور واشكال الاسماك فيراها مربو الطيور وصائدو السمك ولو لم ينتبه لها غيرهم

وليس لهذه الصفات الثانوية علاقة جوهرية بالتوليد ولكن لها بهِ علاقة ثانوية فبعضها من الجواذب التي تقرّب بين الذكر والانثى لاخلاف النسل كالوان الطيور واصواتها . وبعضها من الاسلحة التي تمكّن الذكور من الحصول على الاناث كقرون الكباش والايائل . وبينها وبين الصفات الاولية صفات اخرى بين بين اي انها ليست ضرورية لاخلاف النسل حتى لا تقوم الولادة بدونها ولكنها متعلقة بهِ كادرار اللبن من اناث الحيوانات اللبونة لتغذية اطفالها ووجود مثقب لاناث بعض الحشرات تثقب بهِ الثمرة او نحوها وتضع بيضها في الثقب حتى اذا ظهرت صغارها وجدت لها طعاماً كافياً . ووجود اكياس لذكور بعض الاسماك والضفادع تحمل بهِ بيض اناثها الى ان تولد صغارها منهُ

واذا امعنت النظر وجدت ان الصفات الجنسية كثيرة جدًّا مختلفة الدرجات مما هو لازم لزوماً لا بدَّ منهُ لتوليد النسل كالمبيض في الانثى والخصيتين في الذكر الى ما هو عرضي تماماً كصياح الديك ونقيق الدجاجة ومع ذلك لا تنكر علاقة هذه الصفات الثانوية بالتوليد ولو كانت علاقةً غير جوهرية

ومن الامور المشاهدة ان الصفات الثانوية يتوقف ظهورها ونموها غالبًا على وجود الصفات الاولية ونموها فلا تظهر واضحة الاَّ متى بلغ الحيوان اشدَّهُ ذكراً كان او انثى كما تقدم اي متى نمت فيهِ الصفات الاولية وبلغت غايتها . والحيوانات التي تتزاوج وتتوالد في فصل

معلوم من السنة يظهر فيها بعض الصفات الثانوية في ذلك الفصل فقط كأنها وُجدت لاجل التزاوج والتوالد واخلاف النسل لا غير ومن هذا القبيل نمو قرون الايائل في فصل المزاوجة وسقوطها بعده · ومنهُ علاقة القرون بالخصى فاذا خصيت الحيوانات ذوات القرون وهي صغيرة قبلما تنبت قرونها بطل نمو قرونها او نمت صغيرةً فاذا خصي الايل صغيراً لم ينبت قرناهُ بعد ذلك واذا خصي بعد ان كبر قرناهُ ثم وقعا في ميعاد وقوعها لم ينبتا بعد ذلك او نبتا صغيرين في الفصل التالي · ومن الغنم صنف ذكورهُ قرناء واناثهُ جمّاء فاذا خصيت حملانهُ صغيرة قبلما تنبت قرونها لم تنبت بعد ذلك او نبتت صغيرة واذا خصيت بعد ان نبتت قرونها بقيت على حالها ولم تكبر · ومنهُ صنف ذكورهُ واناثهُ قرناء ولكن قرون الذكور اكبر من قرون الاناث فاذا خصيت الذكور صغيرة نبتت لها قرون صغيرة كقرون الاناث اي صارت الذكور كالاناث في الحالين اذا خصيت صغيرة

ومفاد ذلك ان هذه الصفة الثانوية في ذكور الغنم تابعة للصفة الاولية فيها التي تميز الذكور عن الاناث وهي وجود الخصيتين. ومن هذا القبيل كثير من الصفات الثانوية فانها لا تظهر اذا نزعت الخصيتان قبلما تظهر او تظهر ضعيفة ولكن اذا نزعت الخصيتان بعد ما تظهر فان نموها يقل او يقف عند الحد الذي بلغتهُ وذلك واضح في خصيان البشر

واذا نزع المبيض من الانثى (وهو بمثابة الخصيتين في الذكر من حيث لزومهُ للتوليد) فان نزعهُ يؤثر في صفات الانثى الثانوية ولكن تأثيرهُ يكون اقل من تأثير نزع الخصيتين من الذكر فتصير الانثى ميالة الى الزهو والمرح كالذكر ولكنها لا تعدم بعض المزايا الظاهرة المميزة لها

وقد تقدم ان هذه الصفات مرتبطة كلها بإخلاف النسل وقد توالى ظهورها وثبتت بالانتخاب الطبيعي والجنسي فقرنا الكبش نبتا وبلغا الحد الذي تراهما فيهِ الآن لكثرة ما ناطح اقرانهُ لاحراز الاناث في فصل المزاوجة فهما مرتبطان بخصيتيهِ فاذا نزعتا بطل الموجب لنمو قرنيهِ ولا ينتظر ان يكون بين الخصيتين والقرنين علاقة عقلية فيقول القرنان لم يبقَ داعٍ لنمونا بعد سلت الخصيتين فلا نتعب نفسنا بالنمو · ولكن لا بدَّ من علاقة ما طبيعيةً فسيولوجيةً اي لا بد من وجود شيء في الخصيتين يؤثر في نمو القرنين او في البدن كلهِ فيربط نموهما بوجود الخصيتين

وقد عللوا ذلك بانهُ يفرز من الخصيتين والمبيض مفرزات داخلية تدور مع الدم وتؤثر في البدن كما ابان الاستاذ ستينخ فانهُ نزع المبيض والخصيتين من الجرذان وخنازير الهند

وطعّم[1] بعض الذكور بخصى ذكور اخرى او بمبيض الاناث والاناث بمبيض اناث اخرى او بخصى الذكور · فالحيوانات التي اكتفي بنزع خصاها او مبيضاتها نمت مثل غيرها ولكن لم تظهر فيها الصفات الجنسيَّة الثانوية او ظهرت ضعيفة · والذكور التي ابقي خصاها وطعّمها بخصى ذكور اخرى قويت فيها الصفات الثانوية المميزة للذكور فكبر جسمها وزادت اقتحاماً وطلباً للاناث · والذكور التي طُعّمت بمبيض الاناث صارت كالاناث في طباعها وشكلها وكبرت ثديها وصارت تفرز لبناً كثدي الاناث وترضع اجراء غيرها كأنها اناث · والاناث التي طعّمها بخصى الذكور ظهرت صفات الذكور فيها فانها كبرت وقويت وشرست وصارت كالذكور في طلبها للاناث · والديوك التي تخصى صغيرة لا يكبر عرفها ولكن ريشها لا يختلف عن ريش غيرها من الديوك واذا نزع المبيض من دجاجة بدت عليها صفات الديوك فيكبر عرفها كعرف الديك ويطول بعض ريشها ويتلوّن ويحدث مثل ذلك في البط · اي ان نزع الخصيتين اقل تأثيراً في هذه الطيور من نزع المبيض · ومعلوم ان اناث الطيور اذا جاوزت السن الذي تبيض فيهِ شابهت الذكور فاتصافها بصفات الذكور اقرب وقوعاً

ويمكن تعليل ذلك كلهِ بانهُ يفرز من الخصيتين والمبيض مفرزات داخلية تؤثر في الحيوان الذي تكون فيهِ فمفرزات الخصيتين تولد في جسم الحيوان صفات الذكور الثانوية ومفرزات المبيض تولد فيهِ صفات الاناث الثانوية سواء كان الحيوان ذكراً او انثى في الحالين · ولكن يعترض على ذلك بوجود الخصيتين والمبيض في حيوان واحد وتظهر الصفات الواحدة في احد شقيهِ والاخرى في الاخر · فان بعضهم وجد عصفوراً من العصافير التي صدور ذكورها حمراء وكان الجانب الايمن من صدرهِ احمر كصدر الذكر والجانب الايسر اصهب كصدر الانثى فشق بطنهُ فاذا فيهِ خصية على الجانب الايمن ومبيض على الجانب الايسر اي ان احد شقيهِ ذكر والآخر انثى · وقد قال البعض ان هذا ينفي ان يكون سبب الصفات الجنسية الثانوية مفرزات داخلية من المبيض والخصيتين لانهُ لو صح ذلك لابطلت المفرزات الواحدة فعل المفرزات الاخرى ولكننا لا نرى ذلك نافياً لفعل المفرزات الداخلية اذ يحتمل ان يكون فعلها في الجانب الذي هي فيهِ اشد من فعلها في الجانب البعيد عنها

هذه خلاصة ما يقال في الصفات الجنسيَّة الثانوية وعلاقتها بالصفات الجنسية الاولية وقد اعتمدنا في ما كتبناهُ فيها على كتاب حديث للدكتور دنكستر طبع في العام الماضي

(1) يراد بالتطعيم نزع جزء من حيوان وغرسهُ في بدن حيوان آخر حتى ينمو فيهِ كما تطعم الاشجار بعضها من بعض

الحرب والتقدم الاجتماعي

اقتصر دارون في مذهبهِ على القول بنشوء الاحياء دون غيرها وارتقائها شيئاً فشيئاً على مرّ العصور والاحقاب من ابسط الحالات وادناها الى اكثرها تعقيداً وتركيباً . ولكن غيرهُ من العلماء توسعوا في هذا الحكم وجعلوا ناموس النشوء والارتقاء شاملاً لجميع الخليقة من حية وغير حية فادخل الفلكيون الافلاك تحتهُ وجعلوها ناشئة مرتقية من السديم اللطيف الى اكثف الشموس والاقمار . وكتب كبار العلماء كالفيلسوف سبنسر وغيره المجلدات الضخمة في بيان ان الاجتماع خاضع لذلك الناموس ايضاً وان الجمعية الانسانية ارتقت من البداوة الاولى العارية من كلّ لباس وزخرف وبهرجة الى الحضارة الحاضرة الكاسية من كلّ ثوب وطلاء ومرط مرحّل

انتشر هذا المذهب في الربع الاخير من القرن الماضي . ومنذ اول انتشارهِ الى الآن عمّ الاعتقاد بان الخليقة صائرة من حسن الى احسن وان كل شيء فيها متقدم ومرتقٍ لا سبيل الى المكث والتقهقر وان يكن ذلك التقدم وذلك الارتقاء بطيئين في سيرها متثاقلين في حركاتهما الى امام والى فوق . فاذا قال قائل بعد ذلك ان هذا الشيء ما كث حيث هو لا يرى متقدماً ولا متأخراً بل انهُ يرجع القهقرى كان قولهُ هذا محلاً للشك والارتياب او الانكار البات . وهذا ما قالهُ الاستاذ هاورث من اساتذة جامعة كليفورنيا في مقالة نشرت في مجلة العلم العام الاميركية . قال ما ملخصهُ :

اعتدنا نحن الاميركيين فكرة التقدم الاجتماعي والتحدث بالآراء والعوامل والحركات الارتقائية حتى رسخ في اذهاننا ان التقدم عامّ وانهُ في طبيعة الاشياء . على ان الامر ليس كذلك اذ ليس هناك دليل كافٍ يؤيد الاعتقاد الشائع بان الناس عامة ومنهم امم اوربا وامتنا آخذون في سنن الارتقاء رغم شرورهم وجنونهم وخروجهم عن دائرة الاعتدال وتماديهم في فيافي الغواية والضلال . فان فكرة تقدم الاجتماع حديثة العهد وكلّ باحث ولو بحثاً سطحياً في حوادث النشوء الاجتماعي المسطرة في بطون التواريخ يعلم ان ذلك التقدم مفرد محليّ محصور في زمانهِ ومكانهِ . فان الحضارات الاولية كانت غير متقدمة ولا يزال بعض الامم الحديثة كالامة الصينية مثلاً ما كثاً حيث كان فضلاً عن ان الانحطاط والتأخر القومي ظاهرتان من ظواهر التاريخ كتأخر اسبانيا وورومية واليونان ومصر وقد كانت فيما مضى

موطن مدنيات عالية الكعب وارفة الظل · والحق يقال ان التأخر القومي اكثر شيوعاً من التقدم القومي وقد صدق « ماين » حيث قال « ان جمود النوع الانساني هو القاعدة وتقدمهُ هو الشذوذ »

واذا سلّمنا جدلاً ان مذهب النشوء الاجتماعي صحيح فان جميع الشعوب والامم نالت بعض قسط من التقدم في تاريخها · ولا بدّ ان تكون الامم الجامدة في مكانها من قديمة ومعاصرة قد تقدمت قبل الجمود · وغرض هذه المقالة درس هذا التقدم وخصوصاً الدور الذي مثلتهُ الحرب على مسارح التقدم الاجتماعي في الماضي والحال

يقولون ان الحرب من العوامل اللازمة لتقدم الاجتماع ويظهر ان هذا القول اعتقاد شائع في كثير من البلاد · ولكنني مبيّن ان هذا القول وهذا الاعتقاد لا مسوّغ لهما· قلّبْ ما شئت من كتب الاجتماع ترَ الكتّاب متفقين على تعيين عوامل التقدم الاجتماعي وعلى بيان الاحوال والعناصر والمؤثرات التي تعمل على ترقية المدنيّة وان كانوا لا يفرّقون تمام التفريق بين القوى والطرق والوسائل التي تستخدم لذلك · فالمؤرخ الانكليزي « بَكْل » يعزو التغيرات الاجتماعية في كتابهِ « تاريخ مدنية انكلترا » الى الهواء والطعام والتربة والطبيعة عموماً · ومن رأي « جون فِسْك » الفيلسوف الاميركي ان الجمعية الانسانية ومحيطها هما العاملان الاولان في التقدم الاجتماعي · ولا يريد بالمحيط مجرّد الهواء والتربة والنبات والحيوان والارتفاع وامتداد السواحل وماهية المناظر الطبيعية والموقع الجغرافي بالنسبة الى سائر البلاد بل يريد ايضاً كما قال « الآراء والعواطف والتجارب والمشاهد التي كانت في الماضي فنُقلت الينا على يد التواريخ والتقاليد والآثار · وكذلك آراء الامم المعاصرة وعاداتها وطباعها المعروفة »

وقسم كارفر الانكليزي عوامل التقدم كما يأتي : العوامل الطبيعية والجيولوجية · العوامل العقلية · العوامل الاجتماعية والاقتصادية · العوامل السياسية والقانونية · ومنهم من اضاف اليها العوامل الجغرافية والبيولوجية والهيجينية والادبية والدينية الى آخر ما هنالك

واذا صرفنا النظر عمّا كتب في هذا الموضوع وجدنا ان العوامل التي تعمل على تقدم المجتمع قسمان خارجية وداخلية · اما الخارجية فثلاثة طبيعية وحيوية واجتماعية · والاول منها يشتمل على التربة والهواء وطبيعة البلاد الخ · والثاني نباتها وحيوانها · والثالث

الاوساط الاجتماعية التي تؤثر في مجتمع معين بالطرق المختلفة . واما العوامل الداخلية فقسمان الناس والاشياء التي عملها الناس او بعبارة اخرى الافكار ونتائج تلك الافكار كما تظهر في اللغات والآداب والعلوم والفنون والقوانين والاملاك والحكومات والاديان وما جرى مجرى ذلك . واهمّ العوامل الداخلية العامل الذي تشتق منهُ سائر العوامل وهو القوة المفكرة التي هي بمنزلة الدليل للارادة . وقد صدق من قال ان الحضارة بنت الارادة والعقل وثمرة ازدواجهما وتعاونهما

وخلاصة ما تقدم اولاً ان عوامل الارتقاء الاجتماعي كثيرة فيجب الحذر والاحتراس من ان ننسب الى احدها اكثر مما يحق لهُ عند بحثنا فيهِ . وثانياً ان الحرب لم تذكر بين تلك العوامل ولِمَ ذلك ؟ أَلأنها أُهملت ام لانهُ لا يصحُّ حسبانها عاملاً من عوامل التقدم ؟ والجواب هو الامر الثاني فان الحرب ليست من عوامل التقدم وهذا يتضح لنا من البحث في معنى لفظة «عامل» . فالعامل هو كلّ شيء يستخدم للوصول الى نتيجة معينة وعدد العوامل التي تتحد او تستخدم للحصول على نتيجة معينة هو على الغالب محدود ولكن طرق استخدامها مختلفة الى ما لاحدّ لهُ . وترانا نأخذ هذه وننبذ تلك حسبما يعنّ لنا ولكن العوامل لا تزال واحدة محدودة . فهل الحرب طريقة من طرق التقدم الاجتماعي

ان كانت الحرب طريقة من طرق التقدم الاجتماعي فهي ليست طريقة وحيدة ولذلك تمكن مقابلة مفعولها بمفعول الطرق الاخرى . وقيمتها في هذا الشأن تتوقف على نفقتها وتأثيرها بالنسبة الى وسائل التقدم الاخرى التي يمكن تصورها كالتربية والتعليم والتجارة والسفر وسائر طرق الاتصال والانتقال وهي وحدها التي يستطيع بها احد المجتمعات ان يساعد على تقدم مجتمع آخر . فاذا ظهر بالمقابلة فضل طريقة على اخرى فمن الخطل والجهل اختيار المفضول على الفاضل

على ان الحرب ليست واسطة لتقدم المجتمع الاَّ مجازاً لان الواسطة يجب ان تكون اسمى مظاهر المعرفة والادراك كما قال دي غريف العالم الفرنسوي او اسمى مظهر من مظاهر القوة المدركة كما قال سبنسر . ذلك لانها كيفما كانت واينما كانت تنطوي على غاية يراد بلوغها وعلى اختيار الطرق المؤدية اليها واستخدامها استخداماً مبنيًّا على تدبُّر وروية . وقبل حسبان الحرب واسطة للتقدم الاجتماعي يجب اولاً حسبان التقدم غاية مرومة ثم خوض الحرب على نية ترقية الاجتماع بها . ولا يكاد يحتمل ان امة ما شهرت حرباً عن تدبُّر وعمد وهي تنوي

بها ترقية حال المجتمع . ولا يكاد يحتمل ايضاً ان امة تفعل ذلك في مستقبل الزمان . فاذا لم يفعل احد ذلك فلا يصح ان تعدَّ الحرب واسطة من وسائط التقدم الاجتماعي وانما يمكن استخدامها من حين الى آخر لبلوغ غايات لها علاقة بالحكومة او الدولة او الطبقات المختلفة في الامة

رأينا ان الحرب ليست عاملاً للتقدم ولا واسطة للارتقاء الاجتماعي . فبناء على ذلك ليست واسطة لها لان الواسطة شيءٌ يختار لبلوغ غاية او هي ما يتوسط بين الحالة الحاضرة والغاية المطلوبة . فان لم تجعل حكومة من الحكومات او امة من الامم او جمعية من الجمعيات التقدم الاجتماعي غرضاً نصب عينها ولم تتخذ الحرب آلة لبلوغ ذلك الغرض فلا يجوز عدّ الحرب واسطة لذلك التقدم او عاملاً من عواملهِ

لكن اذا لم تكن الحرب شيئاً من الاشياء التي نقدم الكلام عليها فما هي اذاً ؟ وما هي علاقتها الحقيقية بالتقدم الاجتماعي ؟

الحرب في نظر الاجتماع شكل من اشكال تفاعل الامم المختلفة . فان هذه الامم التي تخوض غمارها تتصادم وكلٌّ منهن تطلب ما تحسب فيهِ مصلحتها ورفاهها . واذا خاضت امة من الامم الحرب فانما تخوضها لتحقيق امنية واحدة من اماني احدى الجماعات التي يتألف المجتمع الاعظم منها لا لادراك غرض واسع النطاق يراد بهِ ترقية ذلك المجتمع برمتهِ . فالتقدم الاجتماعي ليس غاية مقصودة بها وان تكن كل امة من الامم المتحاربة تدعي ان غايتها تطابق التقدم الاجتماعي وانها تدافع عن كلّ ما كان غالي القيمة في الحضارة العامة . واذا لم يكن غرض الحرب التقدم الاجتماعي فهي شيء غير مقصود من الوجهة الاجتماعية وبعبارة اخرى ليست عملاً صناعيًّا من اعمال المجتمع الانساني يأتيهِ قصداً لترقية شؤُونهِ بل ظاهرة طبيعية صرفة كالزلازل والمجاعات والاوبئة والسيول

فليس للحرب والحالة هذه علاقة بالتقدم الاجتماعي الاَّ لماماً لانها صورة من صور الاعمال التي تقدم عليها الجماعات وقد تكون نتيجتها تقدماً او تأخراً . فهي اوضح مثال للظواهر الاجتماعية غير المقصودة اي التي يقدِم الناس عليها بلا انعام نظر ولا روية كما قال دي غريف

لكن يقول قائل ان الحرب افضت في بعض الاحيان الى التقدم الاجتماعي . وهذا وهم والصحيح انها افضت في بعض الاحيان الى التأخر . فقد نشأت بها ممالك وابيدت ممالك قامت مدنيّات واندرست مدنيّات وكان اثر ذلك في التقدم الاجتماعي على الدوام عرضيًّا

غير منظور ولا مقصود او مثل اثر القوى الطبيعية العمياء · فان هذه القوى غير المدركة تفضي احياناً الى نتائج مروجة للتقدم واحياناً الى نتائج مضادة لهُ ولكنها لا تتوخَّى انتاج تلك النتائج · فالحرب لذلك داخلة في باب تصرُّف الطبيعة لا في باب تصرُّف العقل · ومن خصائص الباب الاول الاسراف · فان الطبيعة مشهورة باسرافها والتقدم الذي تحدثهُ بطيء كثير النفقة غير اكيد · ولما كانت الحرب ظاهرة طبيعية في نظر الاجتماع فلا غرابة اذا ظهر عليها الاسراف · وربما كانت اعظم نموذج على الاسراف الاجتماعي

وسواء صدر الاسراف من الفرد او من الجماعة فهو عنوان سفه الرأي وقلة الادراك · فان وظيفة الادراك استخدام الاقتصاد في الوقت والوسيلة والعمل لبلوغ غاية معينة · فاذا وُجِّه الادراك الاجتماعي لترويج التقدم الاجتماعي لم يعمد الى الحرب لما فيها من الاسراف وعدم الثقة بالنتائج · ولا بدَّ ان يفضي التقدم الاجتماعي العام الى منع الحرب اذ اطّراد التقدم ودوام الحرب نقيضان لا يجتمعان

الجندي الفرنسوي

نشرت احدى صحف لندن اليومية الكبرى في صدرها مقالة لكاتب كبير معروف ترجمها عن الفرنسوية عنوانها « صنفان من الشجاعة » قدمها بمقدمة صغيرة · والاصل الفرنسوي من قلم المسيو جورج بيردون نشر في مجلة « مركور دي فرانس » والمقدمة من قلم المستر وورد برَيس المترجم نشرها في صدر الدايلي مايل · وقد رأينا ان نترجمها الى العربية لما تضمنتاهُ من الوصف البليغ والمعاني البديعة قال الكاتب

« مما يقضي بالعجب في هذه الحرب العظمى التي اقتضت منا مجهوداً لم تقتضهِ حرب قبلها انهُ لم يحاول احد درس سلوك الجندي في ساحة القتال وشرح ما يجول في صدرهِ من المخاوف وما يختلج فيهِ من الآمال

« نرى صحبنا يغادروننا الى ميادين القتال — رجال كرهوا التعب واحبوا الراحة واولعوا باهلهم وشاقتهم الحياة كما تشوقنا · واول ما نسمع عنهم بعد غيابهم عنا انهم يحتملون النزع وحشرجة الصدر بلا شكاية ويجودون بارواحهم والنكتة على شفاههم — ذلك كلهُ ليتقدموا قيد باع او باعين من الارض

« فكيف جاءتهم هذه الشجاعة . هل هي باقية او زائلة . وهل هم فيها سواء او هي على درجات فيهم

« احسن وصف رأيتهُ لضروب الرجال الذين تتألف الجيوش منهم مقالة نشرتها مجلة « مركوردي فرانس » بقلم جندي في خط النار وهو المسيو جورج بيردون . بدأها بالاحتجاج على اختلاق انموذج للجندي الفرنسوي اختلقتهُ مخيلة الامة الفرنسوية منذ شبت نار الحرب واخترعت لهُ اسماً جديداً في اللغة الفرنسوية وهو « بوالو » ومعناهُ الاشعر . اما صفاتهُ فهي البسالة والحنان وحب المجون والسذاجة الجذّابة سذاجة الاولاد . والذي يزيد هذه الصفات وضوحاً فيهِ منظرهُ المهيب ووجههُ الملتحي الذي لوحتهُ نار الحرب من طول اصطلائها واكسبتهُ لون النحاس وصلابة البرونز

« وقد صدق المسيو بيزدون حيث قال انهُ يستحيل ابداع انموذج واحد ينطبق على كل واحد من الجنود الفرنسوية لان الجندي الفرنسوي الحديث هو الامة كلها تحت السلاح . واختلاف الصفات الذي يشاهد في البلاد ايام السلم يشاهد في ساحة القتال ايام الحرب »

المقالة

« اول فارق يمكن وضعهُ بين جنود امة هو انهم على قسمين قسم الذين يحبون الحرب وقسم الذين يرتاحون اليها جهرة . ففي القسم الاول ضباط الجيش النظامي الذين اولعوا بحرفتهم . وكثير من صغار الجنود الذين يخدمون خدمتهم العسكرية ويفضلون مشاق المعارك على راحة الثكنات . وبعض المتطوعين الذين يرون الحرب لهواً ولعباً . واهل الغيرة الوطنية الذين عقدوا العزم على تفدية وطنهم بجميع ما تملك ايمانهم

« وفي القسم الثاني آباء العائلات الذين شغل قلوبهم خوف المكاره التي تحدق بنسائهم واولادهم اذا قتلوا هم في الحرب . والجبناء الذي يجفلون من صفير الرصاص ويدركهم الشلل او الذين يغمى عليهم اذا انفجرت قنبلة على كثب منهم . والمترفهون الذين لا يطيقون فقدان ما يتمتعون بهِ من الرفاهة ويستوحشون لفنجان الشكولاتا الذي يؤْتى بهِ الى اسرتهم كل صباح . ومشايخ الضباط المكتفين بشرائطهم العسكرية وبالسنين الطوال التي قضوها في حاميات صغيرة نائية فما يعرف أأموات هم ام احياء . والفلاّح الذي لا يمتد فكرهُ الى ما وراء قريتهِ والذي لا يفقه معنى لهذه المجازفة المهلكة التي استيق اليها . ونفر من الذين لا يعرفون من الدنيا الاَّ ما يرى في الحمامات والكازينات والخانات . وابن بنت الحان الذي تولاَّهُ

القنوط لفقد خليلته . والمتهتك الذي لا قبَل لهُ باحتمال قيود النظام الذي قُيِّد بهِ

« وبين الملايين الذين اصطلوا بنار الحرب رجال يشعرون بالخوف ورجال لا يشعرون بهِ . واعظم مميّز بين فريق وفريق هو بين الشجعان الذين يفعلون مهما طُلب منهم ولا يبالون والجبناء الذين لا يتقدمون الى الامام الاّ مستندين الى رفاقهم والذين تجب مراقبتهم على الدوام . ولا يغرب عن البال ان الخوف ورباطة الجأش وهما نقيضان ليسا كافيين ليكون المرء باحدهما جباناً وبالثاني شجاعاً . فان العصبي الذي يرتجف لصفير الرصاصة يستطيع ان يشدد ركبتيهِ المصطكتين بالتفكير في الشرف والواجب . اما الذي لا يحرّكهُ وقع القنابل حولهُ فهو على الغالب فاتر الهمة فاقد العزيمة لا يستفزهُ شيء فاذا رأى من ضابطهِ احجاماً او سمع جباناً من رفاقهِ يقترح الفرار اطلق ساقيهِ للريح لا يقف ولا يلوي على احد . وبعد هذين يأتي الرعديد الذي يقول في نفسهِ « اني اكره ان أحاكم في مجلس عسكري ولكني اذا استطعت التخلف عن رفاقي في حفرة او اخدود يوم يؤمرون بالهجوم لا اعدم طريقاً انضمّ بهِ الى فصيلتي فيما بعد »

« ان الشجاعة التامَّة التي تتناول الصبر على المكاره قد تكون فطرية وقد تجلب بالتربية . ويجب ان تكون شيمة كل ضابط وقائد . وقد بلغ فتك السلاح الحديث حدًّا لا يستطيع كلّ احد عندهُ ان يزبي هذه الفضيلة فيهِ . وليس فيمن شهد المعارك من يلوم رجلاً فقد قياد نفسهِ عند رؤية الجروح الحادثة من القنابل المتفجرة . ولا غرابة اذا تردد اب العائلة في الهجوم بالحراب على فصيلة من الاعداء سلاحها البنادق المتعددة الطلقات

« والقائد الحقيقي يعلم هذه الفروق كلها ويعلم ان الرجال الذين يقودهم ليسوا كلّهم ابطالاً ولكن امامهُ عملاً لا بدّ منهُ فيسعى جهدهُ في حملهم على بذل كل ما في طاقتهم . وعليهِ ان يفتش عن الوسائل التي تبلغهُ النتيجة المرومة وهي ان يحارب جيشهُ كما لو كان مؤلفاً من خيرة جنود الدنيا . ولا جدال في انهُ متى كان الرجال شجعاناً لا يضطر قائدهم ان يسير امامهم بل يستطيع ان يسير على محاذاتهم او ان يتأخر عنهم قليلاً . ومتى كانوا خليطاً بينهم الشجاع والجبان حذوا حذو قوادهم في الاقدام او الاحجام . ومتى كانوا كلّهم من ضعاف القلوب خائري العزائم فان سماعهم بعض الفاظ من قوادهم ورؤيتهم المسدسات محشوة ومشهورة في ايديهم يقنعانهم بان لا سبيل الى التردد او التريّث

« وكلما رأيت من الحروب وشهدت من المعارك زدت وثوقاً بالقواد واعتماداً عليهم . ولا

تحسبن من ذلك اني احتقر العامة وامتهن الجنود . فان جنودنا كلهم تقريباً شجعان ولكنهم اولاد لا يصلحون لشيء بلا قواد . انظر ماذا يجري اذا فقدوا قوادهم . فانهُ اذا لم يقم منهم جندي عزوم و يحمل نفسهُ قائداً لهم وسيداً يتفرقون ايدي سبا و يتركون الميدان قائلين « ان قائدنا قتل وضباطنا جرحوا فلم ندر ما نفعل فتركنا ساحة القتال » . ولطالما سمعت هذه العبارة يرددها فئات من الجند وهم غير مبالين بعقبى اعمالهم على غيرهم . فقد حسبوا انهم فقدوا كل شيء بفقد قوادهم ولم يحسبوا حساباً لامر آخر

« انهم قوم من الغرابة بمكان . اجمع جموعهم وبث روح النخوة فيهم وتماد الى حد توبيخهم واهانتهم تجدهم ساكنين لا يحفظهم زجر ولا تعنيف . ثم أعطهم قائداً آخر يندفعوا الى المزدحم برباطة جأش و يمشوا الى الموت بين القنابل المتفجرة والرصاص المنهمر . ذلك ان جاءهم قائد يقودهم وهذا كل ما يرضيهم و يقنعهم » انتهى

رأيت مما تقدم ان الشجاعة صنفان شجاعة مطلقة وشجاعة مقيدة بقيود وضوابط . وان الذين يشهدون الحروب لا يخرجون في واقع الامر عن صفين فاما صف الاسد واما صف النعامة . وان الشجاعة المقيدة ليست بشجاعة

وما دام الناس ناساً وما دام لذوي العيال منهم اكباد في جنوبهم واكباد تمشي على الارض وما دامت النفس مقدمة على سائر الاشياء فلا يرى كثيرون منهم جناحاً عليهم في الانتهاء الى الذين يحجمون عن الوغى وفي انشاد قول من قال :

وقالوا تقدم قلتُ لستُ بفاعلٍ أخاف على فخَّارتي ان تحطما
فلو كان لي رأسان عشت بواحد ولكنهُ رأس اذا راح اعقما
ولو كان مبتاعاً لدى السوق مثلهُ فعلت ولم أحفل بان اتقدما
فأوتمَ اولاداً وأرمل نسوةً فكيف على هذا ترون التقدما

ولكن هؤلاء يقلُّون بارتقاء التضامن بين الناس حتى يشعر كل احد انهُ جزء من الامة كلها وان عزَّة امتهِ ومنعتها تتوقفان عليهِ كما تتوقفان على غيرهِ . فاذا خيف على الامة ان تذل لغيرها فالموت في سبيل عزها أولى من حياة المذلة



مدام دي ستايل

امام الصفحة ٤٣٣

مقتطف نوفمبر ١٩١٥

مدام دي ستايل

رأيها في فرنسا والمانيا وايطاليا وانكلترا

هي كاتبة فرنسوية اللغة والفكر باريسية المولد والتربية سويسرية الوطن الثاني المانية الوطن الاول اسوجية الاسم لزواجها من اسوجي . قارعت بونابرت فقرعتهُ . وتزوجت مرتين مرة في الجهر ومرة في السرّ فكانت سيئة البخت في المرتين لان عمر بعلها الاول — (٣٧ سنة) كان نحو ضعفي عمرها فلم تحبهُ ولم يحبها ولأن عمر بعلها الثاني (٢٢ سنة) كان نحو نصف عمرها فضلاً عن انهُ أُصيب بالسلّ بعد زواجها باربع سنوات ولكنها ماتت قبلهُ بنحو نصف سنة . على ان كلا الفريقين قنع بالزواج الاول تلبية لداعي المصلحة ثم افترقا على سلام ووجه المصلحة لها في ذلك الزواج ان الرجل اكتسب مالاً لان قرينتهُ كانت غنية وهي اكتسبت جاهاً لان بعلها كان شريفاً وسفيراً

ولا نتولى في هذا المقام سرد تاريخ حياتها فقد اتينا على ذلك في بعض مجلدات المقتطف الماضية وانما نقول انها ولدت في زمان يُعدّ مفترق عصرين ونقطة انقلاب عهدين عهد فرنسا العجوز وقد اثقل كاهلها الظلم وعهد فرنسا الفتاة وقد اصفرّ لها الشفق مبشراً ببزوغ شمس الحرية والاخاء والمساواة . ولدت سنة ١٧٦٦ فرأت اواخر العهد القديم وتعرفت باهلهِ ولكنها لم تكن منهم وان كانت فيهم . ورأت كذلك طوالع العهد الجديد وعاشت بين اهلهِ وكانت منهم ولقيت نبوليون رأسهم وكان لها معهُ وقائع آلت الى ابعادها عن فرنسا غير مرة لمّا استبدّ بالامر واخلف آمال المصلحين من اهل العهد الجديد وجنى على قومهِ وجيرانهِ الاقربين والابعدين ما لم يجنِ لويس السادس عشر عشر معشارهِ . وماتت سنة ١٨١٧ بعد معركة ووترلو بسنتين وقبل نبوليون باربع

اما زواجها السري بقرينها الثاني فكان سنة ١٨١١ ولم يشتهر امرهُ الاّ بعد مماتها وقد اقدمت عليهِ كما قالت الانسكلوبيديا البريطانية لتسلية همّها بعد خيبة آمالها مما جرى في فرنسا . وشاع في حين من الاحيان ان وليم بت الصغير والوزير الانكليزي الكبير اراد خطبتها . وحامت الاشاعات الكثيرة حول علاقتها بنار بون[1] في اثناء اقامتها بانكلترا كما

(١) قائد وسياسي فرنسوي مشهور

حامت حول علاقات امها بالمؤرخ جِبُن الانكليزي قبلها وكما تحوم في كل عصر ومصر على حدّ قول الشاعر العربي

ألا قاتل الله الوشاة وقولهم فلانة اضحت خلّة لفلانِ

وكانت في زمن نفيها من باريس اولاً ثم من ارض فرنسا كلها ثانياً تقيم في كوبه بسويسرا قرب بحيرة جنيف حيث كان لابيها املاك واسعة ولكنها كانت تحنّ الى باريس دائماً ولا تطيق البعاد عنها فاذا غفلت عين نبوليون عنها عادت اليها ثم اذا استفاق من غفلتهِ كرّت عنها الى سويسرا. وكان يسوءُهُ منها شكاستها وعدم رضوخها لسلطتهِ وربما كان سرورها بمنازلتهِ لها وخروجهِ من المعمعان مهزوماً اعظم من مساءتهِ منها

وانما حدا بنا الى العود اليها مقالة رأيناها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر عنوانها « مدام دي ستايل والحوادث الجارية » وهي جديدة في بابها ولاسيما ما اختص منها بزيارة مدام دي ستايل لانكلترا ورأيها في البلاد واهلها فاخترنا تلخيصها على قدر ما يسمح بهِ المقام. قال الكاتب وهو الاب ارنست دمنيه الفرنسوي بعد مقدمة طويلة :

كانت جرماين نكر (اسم مدام دي ستايل قبل الزواج) تقول بفائدة الاصلاح والعدل وما في الحرية من القدرة على تجديد حياة الامة. وكان مونتسكيه قبلها في الفلسفة وروسو ورتشردصن انموذجيها في الادب ولم يخامرها ريب في انهُ اذا جاء الدستور الذي يشير بهِ الاول فان حكم العقل والصلاح والطبيعة الذي قال بهِ الآخران يجيءُ منقاداً مختاراً. وكانت تعتقد ايضاً ان النبوغ في الانشاء وصحة المبادئ السياسية امران متلازمان وان العبقرية لا تولد على الغالب الاّ في بلد حرّ

وكان اعظم صدمة صدمتها اخفاق الثورة الفرنسوية. فقد عللت النفس هي وتلاميذ روسو بان الثورة تقابل على الرحب والسعة فاذا امامها سيول من الدم والظلم. ولم تستطع رؤية يد العناية في كبائر الجمعية المسماة جمعية سلامة الوطن لانها كانت تكره وضع الخير العام فوق الناموس الادبي واعتقدت بان لابدّ من ادخال تغيير على الدستور في عهد الدركتوار فانعم هذا الاعتقاد قلبها سروراً. وايقنت بانهُ اذا عُمل بالدستور سنين كثيرة ورفعت من طريقهِ الحوائل والعوائق اصبحت الحرية حقيقة فعلية لا كلمة تكتب على الآثار العمومية

ولكن املها هذا خاب ايضاً. ففي سنة ١٧٩٥ لقيت الجنرال بونابرت لاول مرة وكان عمرهُ ٢٦ سنة (اي كان اصغر منها بثلاث سنوات) وكل احد يُعجب بطيبة قلبهِ وذكاء

عقلهِ · وكان رفاقهُ من اعضاء الدركتوار يتكلمون كمن لهُ سلطان ولهجتهم لهجة الضابط الفظّ الغليظ القلب · اما هو فكان يتصرف تصرّف القاضي الحكيم والرجل الموكول اليهِ تنفيذ القانون · وكأن مدام دي ستايل أُخذت في تيار الاعجاب بهِ لدى مقابلتها الاولى لهُ وصعقت حتى فقدت كل قواها في حضرتهِ فلم تنطق الاَّ ببعض الكلمات العادية شكراً لهُ على مدحهِ لابيها

وفي سنة ١٧٩٧ عاد بونابرت الى باريس فاجتمعت بهِ مراراً ولكن اطوارهُ كانت قد تغيرت في خلال تينك السنتين اذ ادرك فيهما انهُ صنم رجالهِ المعبود بل وثن فرنسا كلها واستولى عليهِ الاعتقاد بنجم سعدهِ الصاعد في البروج وهذا الاعتقاد جعلهُ يسخر بكل عقبة كؤود تعرض في سبيلهِ وتدلّ ظواهرها على انها لا تذلل ولا تمهّد · وكانت مدام دي ستايل كلما لقيتهُ تدرسهُ درس الباحث المنقب ووقع في نفسها منهُ ما سمتهُ « تفوّقهُ » على غيرهِ ولهجة البتّ والجزم التي كانت بادية في اقوالهِ كلها · ولكن ذلك التفوّق لم يكن من الصنف الذي تحبهُ وتحترمهُ · قالت : « وكلّ كلمة تفوّه بها شفت عن رغبة مطلقة في ادراك اشياء حقيقية قريبة (لا خيالات بعيدة) فهو بذلك كالصياد الذي يطلب صيداً » · وكانت تكره منهُ غياب ذهنهِ وادبهُ المتكلف وتستاء من طريقة سؤالهِ عن امور شخصية لا يحسن السؤال عنها · واخيراً وصفتهُ ووصفت اخلاقهُ بعبارة بديعة لم يصفهُ « تاين » بمثلها في كلّ ما كتب عنهُ وهي قولها « لم يكن يحسب الناس خلائق مثلهُ بل حوادث او اشياء » · ولما كانت تعتقد ان هذه الخلّة هي اشد الخلال مضادة لرعاية الجار التي عدّتها اساس الحرية وكانت هي وبونابرت سواءٌ في سرعة الانفعال فلا عجب اذا شعرا كلاهما من مبدإ الامر بانهما عدوّان لا يصطلحان · فلم تأتِ سنة ١٧٩٩ حتى مسخ ذلك الجنرال الشبيه بالقاضي والحاكم جبّاراً عنيداً في نظرها وحتى قام صديقها كونستان يذم من المنابر جهرةً عود عصر الظلم والاستبداد

وقد يعجب المرء كيف ان مدام دي ستايل وهي ابنة ابوين سويسريين وقرينة رجل اسوجي لم تتبرأ من باريس وتنفض يديها منها غير آسفة عليها بعد نفيها وبعد خيبة آمالها وتلزم بيت ابيها في كوبه وهو خير مقام لمن كان تلميذاً لروسو مثلها · والحقيقة ان جميع افكارها وتصوراتها كانت فرنسوية · وجميع اصدقائها فرنسويون اما بالميلاد واما بالاختيار · وظمأها الى الحديث لا يروى الاَّ في فرنسا · وكان همّها في اسفارها الاوربية همّ شخص نظرهُ في الادب نظر باريسيٍّ وفي السياسة نظر من شاهد حادثين عظيمين وراح فريسة

لها . وهما اخفاق الثورة الفرنسوية وقيام نبوليون بونابرت . ذلك بانها كانت تتطالُ شوقاً الى تلك الحرية السياسية التي عدتها امَّ العظمة في كل صقع فلا بدع اذا جاءت خيبة املها على قدر شوقها

وبعد ما اقامت بضعة اشهر في كوبه قصدت المانيا مع ابيها . فقالت فيها انها ارض لا امة لان الوحدة السياسية لم تكن معروفة هناك ولا كانت مطمح احد . وكانت سوق الصناعة والتجارة كاسدة ومنظر البلاد يدلُّ على بساطة العيشة وشظفها وبعدها عن الترف وكثير من بقاعها غير آهل . وكانت فوق ذلك كلهِ خلواً من السياسة واهلها وهمومها والسياسة في عين مدام دي ستايل مقدمة على كل شيء . ومع كثرة الذين عرفتهم من اهل العبقرية والعلم من الالمان ما كان ذلك ليسدَّ نقص البلاد مما احبت فوق كلّ شيء وهو الروح القومية الصحيحة ولا ليستر العيب الناشئ عن وجود الروح التي كانت تكرهها وهي شدة تملُّق المحكومين لحكامهم وخنوعهم لهم لو لم تجد في البلاد اينما سارت خُلقاً قالت انهُ اكرم الاخلاق وهو بعد الالمان عن حب الذات وعدم مبالاتهم بحالتهم الدنيوية وغرقهم في بحور التأمل والتفكير وذهابهم كل مذهب في شعاب الفلسفة . فهذه الحرية العقلية رجحت في عينها على العبودية السياسية الالمانية التي ليس من شأنها ان تخلق من الانسان العادي رجلاً عارفاً بحقوقهِ المدنية غيوراً عليها والتي كانت تحسب السلطة استبداداً وظلماً لولا بساطة القوم ولين مراسهم مما جعل تلك السلطة مفترّة الثغر مشرقة النحر

وذكرت في مكان آخر ان بروسيا من صنعة اكثر الملوك استبداداً واشدّهم تهوراً ولكنها مع ذلك بلد الفكر والفكر حرٌّ في جميع جوانب المانيا . ولما كان ملوكها انفسهم قد شجعوا اهلها على هذه الحرية الفكرية فمن الصعب ان يسمى الالمان عبيداً . والبلاد تغصُّ بالعلماء الذين يلقاهم المرء في كل امة ايام السلم وهم في الظاهر معاصرون لنا وعائشون بين ظهرانينا ولكنهم في الباطن عائشون في الابديّة

واعظم ممثل لهذه الغيرة الالمانية على الحق الصرف في زعمها الفيلسوف «كَنت» . فان الفلسفة التي راجت ايام كانت صغيرة السن مكبّة على روسو لم تكن ما في كتابهِ «اميل» من الانفعالات النفسية بل تقديس الذات وتباهي لندن وباريس في ذلك . والفلسفة التي خلّفتها جمعية سلامة الوطن ارثاً لبونابرت كانت نبذ الناموس الادبي . اما في المانيا فان وضع الواجب فوق كل مصلحة ولو مصلحة الجماعة كان قد تأصل في كل ذهن من اذهان الخاصة والعامة حتى ظهر انهُ يستحيل على الالماني ان يرمق بنظرة الاستحسان عملاً من اعمال الجور

او الجشع فضلاً عن ان يقدم عليهِ · فافتتنت بهذه الحالة حتى انستها ما وجدت البلاد عليهِ من الجمود الاجتماعي · وخيل اليها ان المانيا نموذج الصراحة الادبية بما تحمل هذه الصراحة من الثمار الطبيعية ونموذج الطهارة وسمو النفس حتى كانت تصف الالماني بقولها « الالماني المسكين الشريف » · وكانت باريس تمثل في زمانها روح العسكرية الوحشية · ولم تذكر الضابط البروسي مرة الا بالخير وبالقول انهُ دعي لا ضرر من دعواهُ يرضى بان يضرب ما دام ضربهُ مطابقاً للقواعد العسكرية

***

اما ايطاليا فلم تجد في مدائنها مثل ميلان وروميه ونابلي اثراً للحرية المدنية كما عرفتها ولا املاً بها · وكانت كلما ذكرت ايطاليا سمتها « العبدة الجميلة » واحبتها لان ارضها ارض العواطف وسماءها سماء الاحلام المطربة · وكانت كورين التي عليها مدار روايتها عاشقة وشاعرة والرواية كلها عشق وشعر · واهم ما همها في ايطاليا المزاج الايطالي الفياض والطبيعة والفنون الجميلة · ولكنها لم تنس في روايتها هذه ان في ايطاليا اشياء اخرى غير الشعر والموسيقى والجمال

***

وقد قابلت في كتابها « خواطر في الثورة الفرنسوية » بين الفرنسويين والانكليز وتساءلت هل يصلح الفرنسويون للحرية واجابت عن ذلك بقولها نعم ما دام الانكليز صالحين لها · ثم تساءلت ولكن أليس للانكليز طبع خاص بهم يدعوهم الى احراز الحرية · واجابت عن ذلك بقولها لا وتاريخهم شاهد بصحة هذا القول · نعم انهُ منذ سنة ١٦٨٨ (تاريخ الثورة الدستورية الثانية في انكلترا) لم تختم جلسة من جلسات البرلمان الانكليزي الا وقد ادخل فيها شيء من الاصلاح على الحالة السياسية · ولكن لم يكن الامر كذلك قبل السنة المذكورة بل ان آل تيودور كانوا مثل آل ستيورت طغياناً · وقبلهم اتى على البلاد عهود طويلة خضع فيها القوم لملوكهم خضوع المستكين وكانوا يستفيقون من سباتهم السياسي فترة قصيرة كل حين من الدهر ريثما يذكرون ملوكهم بالحرية السياسية الكبرى التي نالوها في ثورتهم الدستورية الاولى (سنة ١٢١٦) · ولما كان الفرنسويون قد اظهروا انهم قادرون على اعظم ثورة سجلت في التاريخ فلا بدع ان يجري في فرنسا ما جرى في انكلترا

لما وصلت انكلترا سنة ١٨١٣ كان الوزير بت قد مات ولم يكن ولنتون حتى تلك السنة ذلك البطل الذي صيرتهُ معركة ووترلو ما صار · وكان الملك (جورج الرابع) مجنوناً

والحالة المالية حرجة بعد احتمال انكلترا لاعباء حرب دامت عشرين سنة · ومع ذلك لم تلحظ اثراً للقلق ولا رأت ان البلاد في حاجة الى ملكها او الى اعلامها الذين ماتوا قبل زيارتها لها بل ان كل رجل ادرك ما يجب عليهِ لوطنهِ وهو العمل بلا ضجة وقضاهُ بلا جهد ظاهر حتى قالت في ذلك : « حقاً ان الامة الانكليزية جمعٌ من النابغين » · فان الرفاه والثراء كانا يربان اينما كان وكانت الزراعة تربح حيث خسرت التجارة واستسهلت الخزينة الانكليزية ان تبقى بنك اوربا في وجه عدوها العام

فلا عجب اذا تساءلت مدام دي ستايل عن تلك القوة الغريبة وسط تلك المصاعب والمكاره · فانهُ لما تولى ابوها تنظيم المالية الفرنسوية قبل بخمس وعشرين سنة وفاز ببرامهِ كان دأبهُ الصراحة التي سمَّاها الماليون في زمانهِ حسداً منهُ حبَّ الافشاء · ولكن مدام دي ستايل لم تأنف من استخدام هذا التعبير في تعليل نجاح انكلترا فقالت ان حبَّ الانكليز للافشاء وعدم الكتمان هو الذي صنع تلك العجائب بينهم · فان الامة الانكليزية رفيعها ووضيعها عرفت اين هي · ولم يكن في حسابات الخزينة زوايا مظلمة تلقي ظلَّ الريبة والشبهة عليها او تؤدي الى البلابل والهموم التي عاش اهل العهد الماضي وماتوا فيها · وكلُّ انكليزي كان يرى النور في اعمال حكومتهِ وشؤُونها · وحيث النور فلا مجال للخوف والقلق

وطربت بالبرلمان الانكليزي لانهُ جاء محققاً لامنية طالما اشتهتها للبرلمان الفرنسوي وهي التي سمَّتها « بالمناقشات العمومية البديعة » وقالت عن البرلمان انهُ ارستوقراطية بالغة منتهى الكمال ومفتوحة في وجه كل عظامي وكل عصامي وانهُ الممثل الحيُّ لما تستطيع الجماعة عملهُ في سبيل تبسُّط الفرد · وهو يجري على سنن ديموقراطيٍّ صحيح والرأي العام يملك فوقهُ بلا منازع · والانكليزي يدرك ذلك ويشعر ان ليس لهُ اسياد يحكمونهُ وان كبراء قومهِ خاضعون لما يخضع هو لهُ · فلذلك اهتمَّ الجميع اهتماماً واحداً بمصلحة البلاد المشتركة

ومما قالتهُ ان حالة انكلترا السياسية هي نتيجة شعور الفرد بقدر نفسهِ وهذا هو اساس الحرية الحقيقي · فليس في البلاد شيءٌ من خفة الفرنسوي والايطالي ولا من تزلُّف الالماني الى السلطة الحاكمة بل فيها الحرية التي تكون في نادٍ كبير يقول فيهِ كلٌّ ما يشاء · والخلاصة ان كلَّ ما رأت وسمعت في انكلترا جاء مطابقاً لذوقها الاجتماعي ورأيها السياسي

ومع شدة اعجابها بانكلترا واهلها لم يُعمها ذلك الاعجاب عن رؤْية بعض معايبها · فقد ثار ثائر غيرتها على بنات جنسها اذ رأت الرجال يكسفون السيدات الجميلات كسوفاً تاماً

ويمحون شخصيتهن وهن لا يبالين بذلك · وساءتها المشكلة الارلندية واوجه الضعف في النظام الانتخابي ورأت في ذلك مغايرة لروح العدل الذي كان يملأ صدرها

ثم غادرت انكلترا سنة ١٨١٤ وبقيت حتى كتابة كتابها «خواطر في الثورة الفرنسوية» في السنة التالية وحتى موتها سنة ١٨١٧ تقول انهُ اذا اقتبست فرنسا الدستور الانكليزي عاد ذلك بالفوائد العظمى عليها وعلى سائر العالم المتمدّن

واستطرد الكاتب من ذلك الى التكهن بما كانت تقول مدام دي ستايل وما كانت تظن لو قامت من قبرها وشاهدت ما طرأ على خريطة اوربا خاصة من ازالة تخوم قديمة واقامة تخوم جديدة وما طرأ على اقوامها من الانقلاب السياسي والاجتماعي فقال انها كانت تسرّ بنشوء ايطاليا الجديدة ونشوء الممالك الصغرى المستقلة كالبلجيك واليونان وسائر ممالك البلقان وتحوُّل المانيا من بلاد ذات ثلاث مئة حكومة الى امبراطورية عظيمة متحدة تناو انكلترا في التجارة وثروة الفرد من اهاليها مثل ثروة الفرد من اهالي فرنسا المفلحة الموسرة

ولكنها اذا التفتت من هذا الوجه المنير الى الوجه الآخر المظلم اسودّت الدنيا في عينيها اذ ترى معاملة المانيا للبلجيك والسرب وغيرها من الامم المستضعفة وترى المانيا كروب قائمة مقام المانيا غيتي وشلّر وكنت · والمانيا القديمة بفضائلها قد ماتت وقامت على اطلالها المانيا جديدة ذات طمع وجشع وقد وقف تلاميذ كنت وشلّر فيها وراء المالي والعامل والصانع وصاحب السفن ومحصّل المال بكل وسيلة — وقف اولئك التلاميذ وراءهم يبسطون لهم قواعد الفتح ومبادئ التسلُّط على العالمين ويبررون الوسائل التي يُعمَد اليها في هذا السبيل مهما تكن صفتها بدعوى ان العمران (Kultur) ناموس مستقلٌّ لا يُسأَل عما يفعل

تقول وان امرأة خاصمت نابليون وعاصرت تلران[1] وفُضِّلت على شاتوبريان[2] وصاحبت بيرون[3] لجديرة بان تكون عظيمة لهذه الاسباب ان لم يكن لغيرها · فقد وصفها معاصروها بانها اعظم نساء التاريخ وربما كانوا صادقين ولقبوها بمؤسسة فن الروايات الحديثة ولعلّهم غير مخطئين

(١) سياسي فرنسوي مشهور ولد سنة ١٧٥٤ وتوفي سنة ١٨٣٨

(٢) كاتب فرنسوي معروف

(٣) شاعر انكليزي غرامي

المادة والحركة والاثير [1]

كلُّ ما نستطيع إدراكهُ بالحواس الخمس او بإحداها أو ببعضها يقال لهُ مادة · وهي تتألف من عناصر كثيرة بلغ عدد المعروف منها ٧٨ عنصراً · وقد ينقص هذا العدد او يزيد تبعاً لاكتشاف وسائط اقوى من وسائط عصرنا الحاضر في التحليل الكيماوي

وكان العلماء الى عهد غير بعيد يقولون « بالرأي الجوهري » · وهو انَّ المادَّة تتألف من جزئيات في نهاية الصغر تعرف « بالجواهر الفردة » · ولكلّ منها ثقل ولون وشكل وحجم وغير ذلك من خواصّ المادة · وهو آخر جزء مادي فرض تصورهُ وقالوا انهُ لا يتجزأ ولا يدرك الأ عقلاً · وتتماسك هذه الجواهر دون ان تتلاصق تمام التلاصق لانفصالها بعضها عن بعض « بالابعاد المسامية » التي لا يتصورها الوهم لصغرها

والمسام وأبعادها وان تكن لشدَّة صغرها لا ترى بالمكرسكوب فهي أكبر من الجواهر بما لا يقاس · فلو تصوَّرنا أنَّ حيواناً صغيراً جدًّا بحيث يعيش على جوهر من الجواهر كما يعيش الانسان منا على سطح الارض وفرضنا أنَّ ذلك الجوهر واقعٌ في وسط حجر لكان الحيوان المشار اليهِ يرى اقرب الجواهر اليهِ بعيدة جدًّا عنهُ كما نرى نحن الشمس والقمر والنجوم وربما كان يحتاج لمعرفة تلك الجواهر الى نظَّارات كما نحتاج نحن اليها لمعرفة الاجرام السموية

وتتكون « الذرة » من جوهرين فاكثر · ومن الذرات تتألف « الدقيقة » وهي اصغر جزء مادي امكن فحصهُ واستجلاؤهُ عمليًّا

وتحافظ الذرات على بقائها بواسطة « القوى الذرية » حسب قانون الانتخاب الطبيعي ويبلغ عدد الذرات الهوائية في س م^3 واحداً وعشرين الف مليون ذرة · وقطر الذرة الواحدة من غاز الهيدروجين ٠٠٠٠٠٠٤ ، ٠ من س م^3 وقطر الكرية التي يتجاذب فيها ذرتان في بعض المواد بين ٠٠٠٠٦ ، ٠ الى ٠٠٠٠٨ ، ٠ من س م^3 اي انها أصغر من طول موجة النور خمس مرات الى عشر مرات

وقد احصى الشهير جوزف طمسن معدل « البعد الذري » في بعض السوائل والجوامد

---

(١) قد اعتمدت في تلخيص هذه المقالة على المؤلفات الآتية :–

(1) Ganot's Eléments de Phisique. (2) Manual of Chemistry, by W. Simon. (3) Remsen.

(٤) المقتطف (٥) الفلسفة الطبيعية للفاضلة الن جكسن (٦) كتاب فلسفة النشوء والارتقاء للدكتور شميل (٧) بعض صحف افرنجية وكتب اخرى لا محل لذكرها

فوجده اقل من جزء من مائة مليون جزء من السنتيمتر المكعب واكبر من $\frac{١}{٢}$ من الفي مليون جزء منهُ

ورأى لورد كلفن اننا اذا تصورنا قطرة من الماء في حجم الحمصة ثم اخذت تكبر رويداً رويداً الى أن صارت في حجم الارض وكبرت ذراتها وجواهرها ايضاً على هذه النسبة لم يزد حجم الجوهر منها على حجم الليمونة

ومن رأيهِ أنَّ الجواهر الفردة زوابع حلقية في الاثير او المادة . وهي ذات وجود مستقل أزلي ابدي والعالم مؤلف منها ومن سائل تام الاتصال وهي اجزاؤهُ المتحركة فيهِ هذه الحركة الزوبعية . وكل حلقة منها محدودة ومتميزة عن نفس السائل وعن غيرها من الحلقات الأُخر ليس بجوهر مادتها بل بجرمها وحركاتها . وهذه المميزات ابدية لها . وهي — اي الجواهر — وان تماثلت في الذات فانها مختلفة في الصفات

وذهب غستاف لبون في كتابهِ المسمَّى « نشوء المادة » الى نفي ثبوت الجوهر الفرد ثبوتاً مطلقاً إذ اعتبرهُ مخزناً لقوى عظيمة وانطلاقها تبدداً لماديتهِ . فتتلاشى المادة بناء على ذلك خلافاً للمقرر في العلم . وهي تتلاشى حقيقة في القوة التي تتحول اليها

هذه خلاصة آراء فريق كبير من العلماء في الجواهر الفردة . اما الفريق الآخر وجلُّهم من متأخري الطبيعيين فقد قسَّموا هذه الجواهر الى جواهر كهربائية دعاها الاستاذ ستوني « الكترونات » او « كهربائيات » وهي وحدات متماثلة من الكهربائية السلبية . والقول بانَّ الكهربائية مؤلفة من ذرات لم يعد في طور الحدس والتخمين كما كان في ايام « فارادي » بل اثبتهُ العلم الحديث واقام عليهِ الدليل الرياضي القاطع قدراً وكمّاً وكيفاً قال هلمهلتز سنة ١٨٨٢ « ان الدليل على ان الكهربائية مؤلفة من دقائق اقوى من الدليل على ان المادة مؤلفة من دقائق »

واحصى السر جوزف طمسن الالكترون فوجدها ٢٨٠٠٠٠ ك . م في الثانية الواحدة وهذه السرعة تعدل $\frac{١}{١٠}$ سرعة النور . وايدهُ في ذلك الاستاذ لينرد الذي قرر مع الاستاذ ر يتشرز ان نسبة الالكترون السلبي الى جوهر الهيدروجين $\frac{١}{١٠٠٠}$ ونسبتهُ الى شحنتهِ الكهربائية في الغازات $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠}$ وفي السائلات $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$

وبعد ان برزت مجهودات هؤلاء الاعلام وثبتت امام التمحيص العلمي قارن السر جوزف طمسن بين حجوم الالكترونات والجواهر الفردة . فقال : ان نسبة حجم الالكترون الى حجم الجوهر الفرد كنسبة ذرة رماد الى قبة عظيمة

والعلماء الآن ينضون ركاب البحث وراء ذرات الكهربائية الايجابية ولم يصلوا الى القول الفصل فيها لانهم لم يعرفوا للآن هل هي مركبة من وحدات . واذا كانت كذلك فهل هذه الوحدات لهاجوم الالكترونات السلبية . غير انهم أدركوا أخيراً أن اصغر ذرات الكهربائية الايجابية التي قام عليها البرهان العملي في حجم جوهر الهيدروجين

فيتضح لنا مما تقدم ان الجوهر الفرد الذي قال بهِ العلماء من عهد ديموقراط وابيقورسَ واقاموا الحجج والبراهين على انهُ لا ينقسم قد ظهر في عصرنا هذا ان فيهِ مئات الالوف والوف الالوف من الجواهر الكهربائية السلبية

ولكي ننتقل في ابحاثنا من الظواهر الطبيعية الى اسبابها ومسبباتها ونتائجها لا بد لنا من القول بأنَّ هناك حركات او اهتزازات في المادة كالجاذبية والحرارة والنور والمغناطيسية والكهربائية . لكن اسرار هذه الفواعل بقيت غامضة رغماً عن ظهور نتائجها . وطالما وقف العلم حائراً امامها دون ان يتمحَّل لها تعليلاً ثابتاً فرضيًّا كان او عمليًّا . فلم يكن باستطاعتهِ أن يثبت لنا هل هذه المؤثرات ورائية في المادة او نشأت عن حركات يقع تأثيرها على جسم او اجسام لا يُشعَر بوزنها منتشرة في الكون . واذا سلمنا بذلك فهل لهذه الاجسام هيئات وصفات . واذا صحَّ ذلك فما هي تلك المميزات المنشودة وما هي خصائصها . واذا ثبت لنا ذلك ايضاً فهل فيها قوى عظيمة بهذا المقدار تتسلط على رحى المادة فتديرها بهذه الدقة المتقنة والنظام الشامل . او ان جميع ظواهر الكون من مادة وحركة ترجع الى مصدر واحد وتتوالى في جوف محيط عظيم يساعدها على ذلك بما فيهِ من غرائب الاسرار الطبيعية

أجَلْ فقد اوصلنا اتساع دائرة العلم إلى « الرأي الاثيري » الذي اصبح اعم الآراء العلمية واوسعها انتشاراً . وقد فرض الطبيعيون وجود « الاثير » لشدة حاجتهم الى تعليل غالب الظواهر الطبيعية بواسطتهِ . واعتبروهُ مستودعاً عاماً تكمن فيهِ القوى او الحركات ثم تتوزع في المادة . واعتبروهُ كأَنهُ ثابت بالامتحان لما اثبت فرزنل انَّ النور ينتشر بتموجات شبيهة بالتموجات التي تحدث عند سقوط حجر في الماء . ولما كان انتشار النور يحدث بالتموجات فلا بدَّ اذن لهذه التموجات من شيءٍ تتموج فيهِ وذلك الشيءُ هو « الاثير »

فلولاهُ لما تحركت المادة ولا تحولت من صورة الى اخرى ولا كانت تنوعت الحركات من تموجاتٍ واهتزازات ولكان العالم صامتاً ميتاً او كان في حالة لا يمكن تصورها . فلو امكن بناء غرفة من زجاج ونزع الاثير منها بالكلية لما امكن للحرارة والنور ان ينفذا اليها

ولبقيت في ظلمة دامسة . والراجح انَّ الجاذبية تنفقد مفعولها على الاشياء التي في هذه الغرفة فلا يبقى لها وزن او ثقل

ويقولون ايضاً ان الاثير ليس مادة بالذات بل هو مادي لانهُ من العالم المادي . وهو مرن جدًّا وكثيف لكن رغماً عن كثافتهِ العظيمة لا يشعر بوزنهِ في المادة التي يصحبها . واقاموا على ذلك براهين معقولة . وهو يتخلل ذرات الاجسام على انواعها و يصل بينها لانهُ متصل الاجزاء ولذلك دعوهُ حلقة الاتصال الكبرى بين جزئيات المادة

ترى الماء جسماً واحداً فتحسب دقائقهُ متصلة متلاصقة مع انهُ مركب في الحقيقة من دقائق منفصلة سابحة في الاثير وهو الذي يوصل بينها . وهو الذي يربط جميع الاجرام السموية المتحركة فيهِ برباط متين لا انفصام لعراهُ . اما الاشعاع فهو الحلقة بين المادة والاثير. والمرجح انهُ الحلقة الوحيدة المعروفة عندنا التي تؤَثر في الاثير حينما يكون وحدهُ لان الكهربائية والمغنطيسية مرتبطتان بالالكترون الذي يهيج الاشعاع ثم يتركهُ في اثير الفضاء فيسير بسرعة معلومة مستقلة تستمرُّ على درجة واحدة ما دام الاثير حرًّا غير متنوع بالمادة وغير مثقل بها . والمادة تتحرك ولكن الاثير يتغير شكلهُ لا غير . ومن الحركة تحدث ظواهر الكون المتنوعة . ولقد كانوا يطلقون على الحرارة والنور والكهربائية اسم « قوى المادة » اما الآن فهي حركات المادة واهتزازاتها

فحركة خاصة ذات سرعة محدودة تحدث الحرارة . وحركة أُخرى — او اهتزازات — من نوعها تفوقها في السرعة تحدث النور . وحركة غيرهما تختلف عنها من بعض الوجوه تحدث الظواهر الكهربائية والمغنطيسية . اذن فجميع ظواهر الكون ترجع الى سبب واحد هو تنوع الحركة وتحولها المستمر في « الاثير »

وايضاحاً لذلك نقول : —

لماذا تدور السيارات حول الشمس بحركات محدودة في افلاك لا تتخطاها واوقات لا تتعداها دون ان تخرج عن نواميس الجذب العام . لماذا لا تتداعى الثوابت وسياراتها وتتساقط بعضها على بعض فيصبح الكون قاعاً صفصفاً و بلقعاً خراباً . وكيف يصل النور من الشموس الى مجموعاتها ثم الى مجموعات الشموس الاخرى التي هي على ابعاد سحيقة منها . أليس ان الثوابت وسيارتها واقمارها ومذنباتها ونيازكها وشهبها خاضعة لنواميس الجاذبية وان هذه الاجرام منفصلة بعضها عن بعض بابعاد يضل العقل في عظمها واتساعها ولا يحصي سوى النزر اليسير منها وان خلاء هذه الابعاد يكاد يكون خالياً من اي اتصال مادي

ان الجاذبية حركة ولا بدَّ للحركة من مادة تتحرك فيها لتقوم بعملها الخطير وما هذه المادة سوى «الاثير» . هذا ما اوضحنا بهِ حركة الجاذبية ولنوضح ايضاً حركة الحرارة في الاثير ونضمنها ايضاً حركة النور فنقول : —

اذا القينا حجراً في البحر حدثت حلقات سريعة تتسع رويداً رويداً على صفحات الماء حتى تصل الى امدٍ بعيد كاتساع حلقات الصوت في الهواء . فعلى هذا المثال تتموج اهتزازات الحرارة في الاثير عند ما تثيرها حركة سريعة في ذرات جسم من الاجسام

ويقول بعضهم ان الاثير اذا تحرَّك حرَّكها وتحرَّك بها كما ان الهواء اذا هبَّ حرَّك الاغصان وتحرَّك بها . وليست ذرات المادة او الكتروناتها هي التي تبعث الحرارة فيهِ بل هو ايضاً يمنحها اياها

ومع ان معلوماتنا عن الاثير فرضية ولكن ليس ثمت شك في وجود تموجات الحرارة فهي تسير في هذا المحيط الاثيري الاعظم وفقاً لنواميس اهتزازات النور . اي انها عند ما تؤَثر في جسم من الاجسام تكتسب خواص الانعكاس والنفوذ والانتشار والامتصاص . وينشأ عن الخاصية الاخيرة مؤَثرات الحرارة في الفراغ

ويمكننا ايضاح ذلك بحركة جسم طافٍ على سطح ماء ساكن فاذا حركنا الماء بالقاء حجرٍ فيهِ عن كثبٍ من الجسم حدثت حلقات ذات مركز مشترك تأخذ في الاتساع تدريجاً حتى تصل الى الجسم فتحركهُ . فكذلك تنتشر تموجات الحرارة من الجسم الى كل الجهات في الاثير . اما تأثيرها في اي جسم فهو انها تحرك ذراتهِ حركة اسرع من حركتها الطبيعية فتصيرهُ أشدَّ حرارة مما كان قبلاً . وبهذه الكيفية تصل حرارة الشمس الى الارض

هذا هو «الاثير» مستودع الحركات العام الذي يستودعها في احشائهِ حتى تتصرف في شؤُونها . بل هو ذلك المحيط اللانهائي الذي سبح فيهِ الكون وهو سديم ليس فيهِ شيء من آثار الحياة ويتحرك فيهِ اليوم وهو بين سائل وجماد وتتلاشى الحياة فتعفو ربوعها والاثير دائم لا يزول[1]

زكي جندي المساح
مصر مدرس علوم طبيعية في الاقسام الثانوية

(١) من اراد التوسع في درس «الاثير» و«الالكترونات» فعليهِ بمراجعة الخطب الآتية وكلها مدرجة بالمقتطف الاغر

(١) شمول مذهب النشوء لجورج داروِن سنة ١٩٠٥ (٢) الطبيعيات وارتقاؤها لجوزف طمسن مجلد سنة ١٩٠٩ (٣) مبدأ الاتصال لأليفر لدج سنة ١٩١٣

ثم المجلات والكتب التي اشارت اليها دائرة المعارف الانجليزية عند كلامها على كلمتي «اثير» و«الكترون»

العلم والعمران (١)

صار عمر هذا المجمع ٦٧ سنة وقد اجتمع اجتماعاته السنوية في المدن الشرقية الحافلة بالسكان ومعاهد التعليم من بوستن الى دنفر ومن نيو اورلينس الى تورنتو . وقد عقدناهُ في سان فرنسسكو لغايتين الاولى تعزيز العلم في الجهات المتاخمة للباسيفيكي والثانية الاشتراك في الاحتفال باتمام ترعة بناما

فلما يوجد مثال اصلح من هذه الترعة لاظهار فائدة العلم للعمران . فان اكثر الفضل في انشائها راجع الى تغلُّب العلم المحض على الحمَّى الملاريه والحمَّى الصفراء لا الى وفرة غنانا ولا الى مهارتنا في الهندسة والادارة

مرَّت ثلاثة قرون والعلماء يبحثون في علم الاحياء ابتدأ هذا البحث بفساليوس الذي شرَّح الحيوانات سنة ١٥٣٠ وتلاهُ هارفي في اكتشافهِ دورة الدم سنة ١٦١٦ وهوكر في استعمالهِ المكروسكوب نحو سنة ١٦٦٥ واكتشاف ليونهوك للبروتوزوى سنة ١٦٧٥ والبكتيريا سنة ١٦٨٧ . وجاء على اثرهم رجال كثيرون منقطعون للبحث العلمي المجرَّد رجال اسماؤُهم على لسان كل علماء البيولوجيا ثم جاءت مكتشفات باستور ولستر وكوخ في علم المكروبات وتلتها مباحث ريد وغيرهِ في عدوى الحمَّى الصفراء ولافران ومنسون وروس في عدوى الملاريا . ولولا تبرُّع الدكتورين لازير وكارول لاجراء التجارب في كوبا سنة ١٩٠٠ اذ كانت النتيجة ان جاد لازير بنفسهِ في هذا السبيل . ولولا تجارب كثيرة قام بها غيرهم ولاسيما في ايطاليا لكي يعلموا الاحوال التي ينقل بها البعوض عدوى الملاريا — لولا ذلك كلهِ لما تمت ترعة بناما الآن ولمَّا اخذت حكومتنا اتمامها على نفسها . ولو سارت على غير هدًى وفعلت ذلك لآبت بالفشل كما آبت الشركة الفرنسوية والسبب واحد في الحالين وهو الملاريا

الانسان ينسى سريعاً ما يؤْلمهُ . مثال ذلك انهُ اتى بناما ٣٦ من الممرضات الفرنسويات في عهد الشركة الفرنسوية فلم يسلم منهنَّ الاَّ ١٢ ثم اتاها ١٨ من المهندسين الفرنسويين وهم شبان كبار المطامع فمرضوا وماتوا كلهم في شهر من الزمان ما عدا واحداً . وكان العمال في تلك الترعة يموتون بالالوف فتغلَّب على هذا المشروع عدوٌّ مجهول . وهبْ ان المهندسين والعمَّال كثروا جدًّا حتى تمكنوا من حفر الترعة وفتحها وبقيت الملاريا والحمَّى الصفراء متسلطتين هناك

(١) من خطبة الرئاسة للدكتور وليم كمبل مدير مرصد لك بجامعة كولمبيا ورئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في اجتماعهِ الذي التأم في سان فرنسسكو في شهر اغسطس الماضي

وبقي ذلك المكان بؤرةً ينتشر منها هذان المرضان في الدنيا مع ما يمرُّ في الترعة من السفن فهل يكون من فتحها فائدة للمسكونة او تكون مصدر خطر عظيم وسبب قلق دائم. فعلى الذين يعرفون فضل الفضلاء ويعترفون بهِ ان ينصبوا عند الباب الذهبي تذكاراً للدكتور لازير الذي جاد بنفسهِ لكي يمكّننا من انشاء هذه الترعة وجعلها نافعة خالية من الضرر

والاذهان متجهة الآن الى عمل آخر يستعمل فيهِ العلم وهو الحرب الاوربية الكبرى. ففي الاثني عشر شهراً الماضية استخدمت دول اوربا العظمى كل قواها في التخريب والتدمير وفي ارجاع العمران القهقرى. احدث مكتشفات العلم واقوى مخترعات الصناعة استُخدمت لقتل الناس فانهالت عليهم سهام المنايا من السماء والبر والبحر. ومعلوم ان فعل الاسلحة عند كل امة يقاس بالدرجة التي وصلت اليها تلك الامة من العلوم واذا كان الامر كذلك فبماذا ندافع عن العلم. لا شبهة ان استخدام العلم لقتل الناس او لتشويههم عَمَلٌ فظيع جداً ولكن ان كان للعلم هذه السيئة فلهُ حسنات لا تعدُّ. اذا شبَّت النار في مدينة وحرقتها لا نلوم النار وننكر نفعها وننفيها من منازلنا. ان ارتقاء هذه الامم العجيب في عمرانها منذ اربع مئة سنة الى الآن سببهُ الاكبر عائد الى العلم والطريقة العلمية. وهذه الطريقة العلمية لا وجود لها الآن عند ثلاثة اخماس البشر ولا نستطيع ان نذكر ثلاثة منهم افادوا العلم فائدة تذكر منذ مئتي سنة الى الآن. ولم يدخل العلم بلدانهم الاَّ عن يد الاجانب. والامم الخالية من الميل العلمي تكاد تخضع كلها للامم المتعلمة لا لانها عجزت عن استنباط اقوى المدافع واكبر البوارج واسرع الطيارات وادهى الغوَّاصات بل لان الامم الاخرى سبقتها في اساليب العمران السلميَّة. والامم المتأخرة لم ينشأ تأخرها من قلة مقدرتها الحربيَّة لان رجالها من اشجع الرجال واصبرهم في الملمات بل لانهُ ينقصها التدبير المبني على الاساليب العلمية

يمكن تعريف العلم على صور شتَّى. ولعل التعريف القائل « ان العلم هو معرفة علاقة العلَّة بالمعلول » اصلح التعاريف المناسبة لموضوعنا الآن. فانهُ حيثما نرى معلولاً فهناك علة اقتضتهُ وحيثما توجد علل فاعلة فهناك معلول او معلولات لها. والعلل المتماثلة تنتج معلولات متماثلة اذا فعلت في احوال متماثلة. هذه خلاصة ما وصل اليهِ كل الباحثين في كل الازمنة فلا سبيل للشك في صحتها ولا مجال للتحكُّم والاهواء فيها بل ليس في الطبيعة تحكُّمٌ ولا هوًى. فاذا اختلَّت هذه القاعدة في حادثة من مئة حادثة فلاختلالها علة اخرى اثَّرت في العلَّة الفاعلة او في معلولها. واذا حدثت حوادث لم تُعلَم كيف حدثت فذلك دليل على اننا لا نعلم ما هي القوى التي تنتج تلك الحوادث. واذا علَّلنا بعض الحوادث كان المراد اننا فصلنا علتها

عن غيرها واستطعنا ان نعرف الاساليب او النواميس التي فعلت بموجبها

والقوى التي اهتمَّ الناس بها مختلفة من القوى الطبيعية العظيمة التي تفوق طور الانسان فلا يستطيع التسلُّط عليها الى القوى التي يتسلَّط عليها بعض التلسط الى القوى الخاضعة لهُ تمام الخضوع · فلا نستطيع مثلاً ان ننقص القوة الصادرة من الشمس او ان نزيدها ولا نستطيع ان نتحكَّم في حركات السيَّارات في افلاكها ولا نعلم كيف نوقف الريح ونمنع المطر ولكننا نستطيع ان نستخدمها لاغراضنا ونتقيها · اما القوى المتسلطة على حياة الافراد والجماعات والام وعلى علاقة الناس بعضهم ببعض افراداً وجماعات واممًا فخاضعة كلها للانسان او ستخضع لهُ قريباً الاَّ ما ندر منها وهي ايضاً جارية على سنن معلومة لا تحيد عنها · وفي طاقة الانسان ان يستخدمها للخير وفي طاقتهِ ان يستخدمها للشر · فالاوتوموبيل يستخدم لجلب الطبيب الى بيت المريض او للاسراع باللص الى مكان لا تصل اليهِ الشرطة · والديناميت يستعمل لنسف الصخور في انشاء الترع وتحشى بهِ القنابل الشديدة الانفجار · والجيش الاميركي قد يستخدم لانشاء حكومة مستقلة في كوبا مدفوعاً الى ذلك باسمى العواطف البشرية وقد يستخدم لغزو بلاد آمنة مدفوعاً باخس المطامع لاستعباد الناس

ولقد قادنا الاختبار الى الايقان ببعض النواميس الطبيعيَّة مثل ان دقائق المواد تتجاذب حسب ناموس الجاذبيَّة وان الحرارة تشع دائمًا من الجسم الحار الى البارد وان حجم مقدار معلوم من الغاز يتوقف على حرارتهِ وما عليهِ من الضغط

فاذا اطلقنا رصاصة من بندقية بعد ان رفعنا البندقية على زاوية معلومة ارتفعت الرصاصة في الجو وسارت في خطٍ منحنٍ ثم عادت الى الارض ووقعت حيث يجب ان تقع بموجب ناموس الجاذبيَّة · واذا اطلقنا قنبلة من مدفع على اكمة مغطاة بالثلج حتى وصلت اليها محماة كالنار فانها تبرد رويداً رويداً حتى تصل الى درجة الثلج من البرودة ولكن اذا كان ما اطلقناهُ رصاصة صغيرة فانها تبرد باسرع من برد القنبلة · واذا ملأنا بلونًا من الصمغ الهندي بغاز الهيدروجين ورمينا بهِ عن رأس برج في يوم شديد الحر فان الغاز الذي فيهِ يتمدَّد ويرفعهُ في الجو واذا رميناهُ في يوم شديد البرد فان الغاز الذي فيهِ يتقلَّص ويهبطهُ الى الارض

واذا رصدنا نجماً من ذوات الاذناب الليلة وهو على مئة مليون ميل منا وعيَّنا موقعهُ بالضبط ثم رصدناهُ بعد اسبوع وعيَّنا موقعهُ ايضاً وبعد اسبوعين وعيَّنا موقعهُ فقواعد الجاذبيَّة التي اكتشفها نيوتن تمكننا من معرفة فلكهِ الذي يدور فيهِ حول الشمس والانباء عن المكان الذي يرى فيهِ بعد ثلاثة اشهر او ستة اشهر وهلمَّ جرًّا

والنجوم الكبيرة والصغيرة تشعُّ حرارتها الى الفضاء حولها فيبرد الصغير منها قبل الكبير مثال ذلك الشمس والارض فالشمس نجم كبير اكبر من الارض ١٣٠٠٠٠٠ مرة ولا تزال حرارة سطحها على الدرجة ١٠٠٠٠ بميزان فارنهيت وحرارة باطنها اشد من ذلك واما الارض الصغيرة فقد بردت جدًّا في ظاهرها وباطنها ايضاً بالنسبة الى الشمس

والشموس الغازية التي تشعُّ حرارتها في الفضاء تتقلَّص و يصغر حجمها رويداً رويداً

وهذا شأن كل النواميس الطبيعية التي اكتشفها الانسان فانها تجري على سنن واحد وتتسلط على كل الموجودات وهي السبب الذي يربط العلَّة بالمعلول وعلى معرفتها بُنيت قواعد عمراننا

كان لليونان عمران تداعت اركانهُ بانحطاط مملكة الرومان . لكنهُ كان مبنيًّا على الآداب لا على العلم وقد بلغ اليونان في الآداب مبلغاً لم يفقهم فيهِ احد بعدهم واما العلم اي العلم الطبيعي فلم يوجد عندهم نعم ان بعض فلاسفتهم قالوا بكروية الارض او بدورانها حول الشمس ونظروا في بناء المادة ووضعوا قواعد الهندسة و برهنوها ولكن لم يكن في الامكان ان يتسلَّط العلم على الامَّة اليونانية وهي تدين بديانة وثنيَّة وحكومتها تبني اعمالها على استشارة الاوثان . فلو كان عند اليونان علم يقابَل بعلمنا الحاضر لما صدَّقوا الخرافات ولا تسلطت عليهم الاوهام . ولم يكن في الامكان ان ينبع العلم في اوربا منذ ثلاثمائة سنة في زمن برونو وغليليو واهل السلطة الدينيَّة يحكمون « ان الحيوانات التي تتحرك لها اعضاء وعضلات واما الارض فليس لها اعضاء ولا عضلات ولذلك لا يمكن ان تدور حول الشمس » او ان يقتلوا امرأة في مستشوستس باميركا منذ اقل من ٢٥٠ سنة زاعمين انها نظرت الى البيت الذي كان الشيوخ مجتمعين فيهِ في مدينة ساليم وللحال دخلهُ الشيطان ونزع جانباً من الواح الخشب التي كانت جدرانهُ مبطنة بها . ولم يأخذ اهالي اوربا في اطّراح خرافات القرون الوسطى الاَّ بعد ما نبغ العلم فيها علم الفلك اولاً ثم علم الطب

والغرض الذي أُنشئ لاجلهِ هذا المجمع هو ترقية العلم بكل فروعهِ والنظر في كل بحث علمي فالمقالات التي موضوعها نشوء اللغات وقواعد الحكومات وتاريخ الديانات اذا كان اساسها علاقة العلل بمعلولاتها حرية بان تتلى و ينظر .. ي مجمعنا مثل المقالات التي موضوعها طيف ذوات الاذناب وثقل جواهر الهليوم واصل البراكين

ويصعب الآن ان نجد موضوعاً لا يبحث فيهِ بعض العلماء بحثاً علميًّا وهذا هو السبب الاكبر للنجاح العظيم الذي نجحهُ العمران منذ خمسين سنة الى الآن او بالحري في الثلاثين سنة الاخيرة . وكل اهل السعي الاَّ فيما ندر متجهون الى جهة واحدة وهي اصلاح شأن الانسان .

وسعيهم مكلل بالنجاح لانهُ مبني على اسس علمية راسخة. فكل الفنون والآداب وكل الاصول الدينيَّة الخالية من الشوائب وكل الاساليب التجارية التي يراد بها انتفاع البائع والشاري معاً كل ذلك متجه الى جهة واحدة وهي النفع العام ولولا ضيق الوقت لذكرت لكم امثلة كثيرة تؤيد ذلك كلهُ فاجتزئ بذكر بعض ما تمَّ في الماضي وما ينتظر اتمامهُ في المستقبل من هذا القبيل

لا شبهة ان اكتشاف الوسائل التي تقي من الامراض وتشفي منها هو من انفع ما نتج للعمران من البحث العلمي . وعندي ان لويس باستور وجوزف لستر وروبرت كوخ المقام الاسمى بين الذين احسنوا الى نوع الانسان . كان باستور استاذاً للكيمياء وكان بحثهُ الاول محصوراً في المواضيع الكيماوية المجرَّدة ونجاحهُ التالي الذي هدى الناس الى اتقاء الامراض المعدية واستئصالها بُني على استخدامهِ اساليب البحث الكيماوي المجرَّد للنظر في مسائل الاختمار فاثبت ان الخمر والبيرة واللبن تختمر كلها وتحمض لانهُ يكون في الهواء دائماً احياء صغيرة تقع على هذه السوائل وتتكاثر فيها وتفسدها . شقّ غلاف حبة العنب فتدخلها هذه الاحياء وتشرع في تخميرها . امنع الهواء عنها او اقتل ما فيهِ من هذه الاحياء فلا يحدث في حبة العنب شيء من الاختمار بل تبقى سليمة دواماً

واكتشاف باستور هذا نبَّه افكار لستر فاستعملهُ في العمليات الجراحيَّة وكانت نتيجة ذلك الجراحة المضادة للفساد التي هي من انفع اعمال البشر

ولما رأى باستور ان الاختمار ناتج من فعل الاحياء في المادة التي تختمر رجَّح ان بعض امراض الحيوان ينتج من فعل المكروبات التي تدخل جسمهُ . واول امر نجح فيهِ وقاية الدجاج الفرنسوي من الكوليرا التي تصيبهُ ووقاية الغنم والبقر من الانثراكس (البثرة الخبيثة) . ومعالجتهُ لهذين المرضين قللت نفق الدجاج والمواشي بهما فصارت واحداً في المئة بعد ان كانت عشرة في المئة . وقد قدَّر الاستاذ هكسلي ان ما وفرتهُ فرنسا بذلك مدة سنتين كاف لايفاء الغرامة الحربية التي دفعتها لالمانيا سنة ١٨٧١ . ثم توصَّل باستور الى اكتشاف المصل الشافي من داء الكلب وكان الذين يصابون بهذا الداء يموتون كلهم اشنع ميتة فصاروا يشفون كلهم الأ نحو واحد او اقل في المئة وزيتهِ تمَّ ذلك كلهُ منذ ثلاثين سنة فقط . وهذه الثلاثون السنة شهدت اكتشاف العلاجات الناجعة في الدفثيريا والتتانوس والحمَّى الصفراء والملاريا والالتهاب السحائي والتيفويد وغيرها من الامراض . وقد تقدَّم الاطباء في معالجة السل والطاعون الدبلي والكوليرا والتيفوس وداء النوم . والآمال معقودة بوجود علاجات واقية او شافية للسل والقرمزية والحصبة والسرطان . وقد تمكن الجراحون بواسطة النظافة التامة

واستعمال المخدرات من الوصول الى بعض الاعضاء الباطنة التي كان الوصول اليها متعذراً والى تقليل معدَّل الوفيات كثيراً جدًّا وتخفيف آلام المرضى واعادة الصحة والعافية بعد الشفاء. والآن تعمل عمليات بديعة في الدماغ والامعاء والاعصاب والاوردة والشرايين. وقد صلحت صحة الناس عموماً بالاعتماد على النظافة واستنشاق الهواء النقي وزاد متوسط الاعمار سنين كثيرة منذ عُمل بالمبادئ التي اكتشفها باستور. واكثر هذه الزيادة في متوسط عمر النساء والاولاد والضعاف البنية ولكن الزيادة في متوسط اعمار غيرهم غير قليلة كما ثبت لشركات ضمانة الحياة. فان هذه الشركات كانت تبني حسابها على جداول استخرجتها من متوسط اعمار الناس منذ خمسين سنة لكن هذه الجداول لا تصحُّ الآن لان عدد الوفيات صار اقل مما يذكر فيها ولذلك وجب ان يقل المال الذي يؤْخذ ضمانةً للحياة. ولا يعلم بالتدقيق كم ربحت الشركات من جراء ذلك ولكن يمكن ان يقال ان الرجال الذين زاد عمرهم وتأخر اجلهم بواسطة التدابير الصحية من المضمونة حياتهم وفروا بذلك ما يزيد على النفقات التي أُنفقت على كل المدارس الجامعة ومعاهد البحث العلمي والمشتغلين بالمباحث الطبيَّة. وهذا لا يشمل ما توفَّر بتقليل وفيات النساء والاولاد ولا قيمة السنوات التي زادت في اعمار الرجال والنساء والاولاد ولا قيمة الراحة والرفاهة اللتين تمتَّع بهما الذين حسُنت صحتهم

اسهبنا في الكلام على تقدُّم علم الطب وقلنا ان تقدمهُ نتج من بحث باستور في الاختمار كقضية كيماوية مجرَّدة ولا نحط من قيمة اشغال باستور ولستر وكوخ ورو وبيرنج وروس واوليخ وفلكسنر اذا قلنا ان البناء العظيم الذي بنوهُ انما اقاموهُ على الاسس الوثيقة التي اسسها علماء البيولوجيا والكيمياء قبلهم

ولقد كان النجاح في سائر المواضيع التي اصبحت ضرورية في معيشة الناس مماثلاً للنجاح في البيولوجيا والكيمياء والطب

من المعلوم ان العلماء اقاموا يبحثون في الكهربائية قرناً كاملاً بعد اكتشاف فولطه وغلفني لها قبلما استعملت في الصناعة. وقلَّ مَن يعلم ان فائدة الكهربائية كما يستعملها المهندسون الكهربائيون الآن نتجت من مباحث رجلين وهما فارادي الذي درس الكهربائية كعلم مجرَّد في دار العلم الملكية بمدينة لندن غير ناظر الى فائدتها العملية فاكتشف مبادئ المجاري المغنطيسية الكهربائية التي بنيت عليها كل المحركات الكهربائية ونقل القوة والنور الكهربائي والتلغراف والتلفون. ومكسول الذي بحث بجامعة كمبردج في اعمال فارادي فاستنتج منها قاعدة محكمة بنى عليها المهندسون الكهربائيون اعمالهم

وقد نتج اكتشاف اشعة رنتجن وعنصر الراديوم من البحث العلمي المجرَّد ومن غير التفات الى ما يمكن ان ينتج عن ذلك من النفع ولكن مَن ينكر نفع اشعة رنتجن الآن واي عنصر يؤمَّل منهُ النفع اكثر مما يؤمَّل من الراديوم والمواد الشبيهة بهِ

والدرس العلمي المجرَّد في النبات والكيمياء جعل الزراعة علماً كبير النفع لنوع الانسان منذ بضعة اشهر تيسَّر لاهالي البلاد التي على سواحل الباسيفيكي ان يتكلموا بالتلفون مع اهالي البلاد التي على سواحل الاتلنتيكي . واطنبت الجرائد اليومية في ذلك ولكنها اغفلت الامر الجوهري وهو ان التكلم على هذه المسافة الشاسعة لم يكن في الامكان لولا استنباط بديع استنبطهُ الاستاذ يوپن من اساتذة جامعة كولمبيا بعد درس كثير وهو انهُ اذا علِّق بالسلك الكهربائي لفات مثقلة على ابعاد مناسبة جعلت المجرى الكهربائي يجري الى آخر السلك مهما طال من غير خسارة كبيرة . نعم انهُ في الامكان ان يُمَدَّ سلك غليظ من النحاس من نيويورك الى سان فرنسسكو لاجل الكلام بالتلفون ولكن نفقاتهُ تكون كبيرة جدًّا فتصير اجرة الكلام اغلى مما يحتمل اما الآن فاستعملت شركة التلفون استنباط الاستاذ يوپن العلمي فامكنها جعل اجرة الكلام من اقصى اميركا الى اقصاها رخيصة جدًّا

والتلغراف اللاسلكي افاد الذين يسافرون بحراً فائدة لا تقدَّر وبهِ أُتقيتْ مخاطر كثيرة في السنوات العشر الماضية . والفضل في وضع الاساس الذي بني عليهِ هذا التلغراف لهرتز وغيرهِ من الذين درسوا خواص الامواج الكهربائية كما تدرس امواج النور الآتي من السديم اي درسوها درساً مجرداً غير ناظرين الى ما يمكن ان يترتَّب عليها من النفع المادي

ان اسس العلوم وضعت في الغالب في كَنَف المدارس الجامعة ودور البحث والامتحان ولكن نجاح المكتشفات العلمية تمَّ باشتراك رجال العلم ورجال العمل . مثال ذلك الكهربائية فان العالَم مديون بها لفولطه وغلفني وفارادي ومكسول من رجال العلم المجرَّد ولكن اكتشافاتهم لم تنفع الناس النفع الكبير الاَّ بعد ما قام اديصن وبل ومركوني وغيرهم من الرجال الذين قرنوا العلم بالعمل فانهم هم الذين ادخلوا الكهربائية الى كل بيت ومعمل واوصلوها الى كل قرية وسفينة وجعلوها خادمة لكل الناس . وقد اكتسب هؤلاء من مكتشفاتهم ومستنبطاتهم مكاسب مالية طائلة حملت البعض على الحط من قدرهم كرجال علم اما انا فلا اوافق على ذلك لان استخدام المبادئ العلمية في الامور العملية والمخاطرة بما يملكهُ العالِم في هذا السبيل يقتضيان ما لا يوصف من البحث والتفكير والعناء والحنكة والاشتغال المتواصل نهاراً وليلاً . والنجاح المالي حريٌّ بكل مدح وهو من مغريات الاجيال المقبلة

بالتقدم فضلاً عن ان نفع المكتشفات العلمية متوقف عليهِ · ومن حسن الطالع انهُ قام بين الناس مثل ستفنصن وفولتن واديصن وماركوني كما قام بينهم مثل نيوتن ولابلاس وداروين وهلهلتز. فان هؤلاء وضعوا الاسس الراسخة المتينة واما اولئك فبنوا عليها مباني فاخرة يستفيد منها نوع الانسان كل يوم · وهي فوق ذلك ماثلة منظورة تغري الذين يرونها ليضعوا اسساً مثل اسسها ويبنوا على مثالها · وفائدة العلم في العمران تتوقف على القسم العملي منهُ كما تتوقف على القسم النظري · ولا يقوم بناء متين من غير اساس راسخ ولكن الاساس وحدهُ لا يكفي مهما كان راسخاً · وتاريخ العمران يدلُّ على ان التقدم السريع يتوقف على سرعة استخدام المبادىء العلمية

وادارة البلدان ايضاً لا تُحكَم الاَّ اذا بُنيت على الاصول العلمية · ولا ينتبه احد الى ما حولهُ في بلادهِ الاَّ ويرى الاعمال تجري على اساليب غير علمية فكم من مرةٍ يرى الاسفلت في شوارع المدن قد لينتهُ حرارة الشمس وجعدتهُ وذلك لان الذين وضعوهُ لم يستشيروا رجلاً من رجال العلم في وضعهِ بل اكتفوا باوامر رجال الادارة

والظاهر ان اهم ما يحتاج اليهِ الناس الآن هو علم العلاقات الدولية التي يقصد بها اقامة الحق والعدل مقام الخداع والقوة الوحشيَّة حتى صار للسياسة معنًى قبيحٌ وهو الاحتيال على نيل المنافع · فان السياسي الذي يقصد ان ينيل بلادهُ النفع بمضرة غيرها يجري على اسلوب مخالف للعدل والعلم والمرجح انهُ لا يفيد نوع الانسان بل يضرُّهُ لانهُ معرَّض لاستعمال وسائل عدائية لا يجوز استعمالها

والصلح المبني على التغلُّب في الحرب او على التهديد والوعيد بالجيش الكثيف او الاسطول الكبير · او الذي لا ينظر فيهِ الى اشتراك المصالح ولا تعتبر فيهِ علاقة العلَّة بالمعلول قلما يكون صلحاً ثابتاً بل الغالب ان يفضي الى الشر والعدوان · ومن اكبر مساوىء السياسة الاوربيَّة ان تسعة اعشار السنين التي مرَّت على اوربا من حين كتب التاريخ فيها الى الآن كانت سني حرب وقتال

ولا يخفى على علماء التاريخ ان اخذ ولاية وضمها الى بلاد غير بلادها تخالفها في اللغة والمشرب والافكار هو في الغالب خطأٌ فاحش يعود بالضرر على الولاية وعلى البلاد التي ضمتها اليها ولاسيما اذا كانت الولاية والبلاد متقاربتين في درجة العمران · واذا أُجبرت تلك الولاية على ترك لغتها وعاداتها وجعل حكامها من غير اهلها نُتجت من ذلك نتائج وخيمة لا بدَّ منها كما تنتج المعلولات من عللها · واذا بحث احد في مالية تلك البلاد وجد انها خسرت بضم

الولاية اليها اكثر مما ربحت وان ارجاع الولاية الى بلادها الاصلية تزيد نفقاتهُ على ما تساويهِ تلك الولاية · وكل عمل من هذا القبيل يوسع شقة الخلف بين البلادين و يتصل ضررهُ الى سائر البلدان · وما من احد يدَّعي ان الحروب تزيل ما بين الدول من الخلاف وتصلح الخلل اصلاحاً دائماً وانما هي توقف بعض الفواعل الى ان يحين الوقت لتقويها وظهورها ثانيةً · وكثيراً ما يتفق الخصوم على امر حسبان انهُ غاية ما يطلبهُ الشرف الوطني لكنهم يكونون مخطئين فلا يدوم اتفاقهم · ولا يدوم اتفاق الأَ اذا بني على اسس علمية · ولكن الاتفاقات التي من هذا القبيل نادرة جدًّا حتى لا تذكر · وقلما يرجى ان الحرب الحاضرة تزيل ما بين الدول المتحاربة من الخلاف اذا تركت شروط الصلح الى رجال السياسة في اوربا لانهم قد يزيلون بعض المشاكل الموجودة الآن ولكن لا بد ان تنشأ مشاكل غيرها يجني ثمارها الجيل المقبل · ومن الاسف ان الذين يضعون شروط الصلح بين الدول لا ينظرون الى ما يعلمناهُ التاريخ تعليمًا جليًّا من هذا القبيل

اني لم اقل ما قلت لاني اوجب ابطال الحرب مهما كانت النتيجة كلاَّ فان الحرب قد تكون في بعض الاحيان اصلح من السلم بل لان الصلح المبني على قواعد العدل والانصاف يمنع الحرب في المستقبل

واهم ما يحتاج اليهِ نوع الانسان ان يرسخ في ذهنهِ ان القواعد العلمية متسلطة في كل مكان وانهُ لا يمكن حل المشاكل اذا اهملت بعض الفواعل المهمَّة ولكن الحث على اتباع القواعد العلمية في امور المعيشة واعمال الحكومة وعلاقات الدول لا يراد بهِ الانقطاع لها والاكتفاء بها لأَن مَن يعبد العلم كمن يعبد المال وانما يراد بهِ استخدام القواعد العلمية في حل ما يعرض لنا من المشاكل لانها ترشدنا الى معرفة القوى الفاعلة وهي منطبقة على القاعدة الذهبية القائلة كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم هكذا بهم · نعم منطبقة على تعليم المسيح

ولقد تبرَّع المحسنون وجادت الحكومة بالمال للبحث العلمي لكي تكشف الحقائق وتستخدم لنفع الانسان وهذه هي غاية دور البحث في المدارس والمراصد وسائر معاهد العلم · وام الارض تسعى في تقدم العمران على قدر ما نتوخى من تأييد الحقائق والغايات الادبية · والاعمال النافعة الخالية من غاية ادبية قد تكون ثمينة لذاتها وتفيد الناس ولكنها لا ترقي العمران · وعندي ان الغاية المعنوية الادبية التي ترمي اليها العلوم النظرية والعلوم العملية والتجارة والصناعة والفنون والآداب والاديان — هي الغاية التي تشرف الحياة وتوسع نطاق العمران

اكبر البوارج

وقوات الدول المحاربة بحراً

لما كثر تحدث الناس بالبارجة «كوين اليزابث» الانكليزية قادهم الحديث بالطبع الى المقابلة بين قوتها وقوة ما عند الدول الاخرى من البوارج التي من طرز «سوبردريدنوط» مثلها اي الطرز الذي فوق بوارج «دريدنوط» . وقد ذكرنا في عدد سبتمبر الماضي شيئاً عن قوة مدافع «كوين اليزابث» الانكليزية بالمقابلة مع مدافع «كليفورنيا» الاميركية و«تورفيل» الفرنسوية و«فوسو» اليابانية . ونحن ذاكرون الآن جداول تفصل سعة تلك البوارج وسرعتها ودروعها وما اشبه ذلك. وقبل نشر هذه الجداول نقول ان البوارج المذكورة ما عدا «كوين اليزابث» لا تزال في مصانعها ولم يكمل بناؤها حتى الآن . ومما تجب الاشارة اليهِ ايضاً ان البحرية الانكليزية والبحرية الالمانية تبنيان بوارج تختلف عن طراز «كوين اليزابث» في امور كثيرة لا تزال طيّ الكتمان . وكلّ ما عرف عن البوارج الالمانية انها ستكون فيما يرجح مماثلة للبارجة كوين اليزابث وتكون بطريتها الكبرى مؤلفة من ثمانية مدافع من عيار ١٥ بوصة . اما الجداول فهي :

(١) جدول يبين عدد المدافع وثخن الدروع والسرعة والسعة

	كليفورنيا	كوين اليزابث	تورفيل	فوسو
عدد المدافع	١٢ من عيار ١٤ بوصة	٨ من عيار ١٥ بوصة	١٦ من عيار ١٣٫٦٤ البوصة	١٢ من عيار ١٤ بوصة
ثخن الدرع	١٥ بوصة	١٣ بوصة	١٢ بوصة	١٢ بوصة
السرعة بالاميال البحرية	٢١	٢٥	٢٣	٢٢٫٥
المحمول بالاطنان	٣١٥٠٠	٢٧٥٠٠	٢٩٥٠٠	٣١٠٠٠

(٢) جدول يبين قوة السلاح كلهِ وقوة اندفاع القنابل ومقدار خرقها للدروع وغير ذلك

	كليفورنيا	كوين اليزابث	تورفيل	فوسو
طول المدفع الكبير	٥٨ قدماً	٥٦	٥٠	٥٢
ثقل القنبلة	١٤٠٠ ليبرة	١٩٢٥	١٣٣٢	١٤٠٠
سرعة القنبلة	٢٧٠٠ قدم في الثانية	٢٥٠٠	٢٦٧٥	٢٧٠٠
ثقل قنابل مدافعها كلها لو اطلقت معاً	١٦٨٠٠ ليبرة	١٥٤٠٠	٢١٣١٢	١٦٨٠٠

(٣) جدول يبين نسبة مجموع قوة كلٍ منها الى الاخرى في المدافع والدروع والسرعة والتفريغ

	كليفورنيا	كوين اليزابث	تورفيل	فوسو
قوة المدافع	٣١٫٧٣	٤٠	٣٨٫٣٠	٣١٫٧٣
قوة الدرع	٣٠	٢٦	٢٤	٢٤
السرعة	١٦٫٨	٢٠	١٨٫٤	١٨
التفريغ	١٠	٨٫٧٣	٠٩٫٣٦	٠٩٫٨٤
المجموع	٨٨٫٥٣	٩٤٫٧٣	٩٠٫٠٦	٨٣٫٥٧

اي ان كوين اليزابث هي الاولى في مجموع قوتها وتورفيل الثانية وكليفورنيا الثالثة وفوسو الرابعة . وقد بني هذا الجدول على تقدير ان قوة المدافع هي ٤٠ في المئة من مجموع قوة البارجة . وقوة التدريع ٣٠ في المئة . والسرعة ٢٠ في المئة . والتفريغ ١٠ في المئة . ولزيادة التفصيل نقول ان البارجة كوين اليزابث تتقدم سائر البوارج المذكورة في مجموع قوة مدافعها وتتلوها البارجة الفرنسوية ثم الاميركية واليابانية وهما متساويتان

وفي قوة الدرع الاميركية الاولى والانكليزية الثانية والفرنسوية واليابانية ثالثتان

وفي السرعة تتقدم الانكليزية زميلاتها فهي المجلّية والفرنسوية المصلية واليابانية المسلّية والاميركية التالية . وهي اسماء المراتب الاربع الاولى في سباق الخيل

وفي السعة تتقدم الاميركية رفيقاتها وتليها اليابانية فالفرنسوية فالانكليزية

والنتيجة العامة تدلُّ على ان الانكليز وهم المجلون في حلبة البحار ادركوا جلية الامر لما زادوا ضخامة مدافعهم الكبرى وخفضوا عددها الى ثمانية وزادوا سرعة البوارج الكبرى الى ٢٥ ميلاً بحريًّا . فلما قيست قوة بوارجهم بغيرها جاءت في المحل الاول وبوارج غيرهم في المحل الثاني

ومما يذكر عن البارجة كليفورنيا الاميركية ان طولها عند خط الماء ٦٠٠ قدم وعند الظهر ٦٢٤ قدماً وعرضها ٩٧ قدماً . وبلغت نفقة بنائها ما عدا نفقة التدريع وثمن المدافع ٧٨٠٠٠٠٠ ريال او نحو ١٥٦٠٠٠٠ جنيه . وتقدر نفقتها كلها متى تمت بمبلغ ١٥ مليون ريال او ٣ ملايين جنيه . فتكون نفقة الدرع والمدافع نحو النصف . وقد شرع في بنائها في فبراير سنة ١٩١٣ وسيتمُّ في فبراير سنة ١٩١٦ فتكون مدة بنائها ثلاث سنوات

الاَّ ان الغواصات جاءت ضربة قاضية على البوارج فان طربيداً واحداً منها ينزل اكبر البوارج واقواها الى اعماق البحر والظاهر انهُ لا سبيل لاتقاء ذلك ما لم تدرَّع البوارج من اسفلها حتى تغطي الدروع ما يغوص منها في الماء كما تغطي ما يظهر ولو اقتضى ذلك تخفيف مدافعها وتقليل سرعتها

كتاب فرنسا

تعاون بعض مشاهير الكتاب الفرنسويين والانكليز على اصدار كتاب يشتمل على عدد من المقالات يدبجونها في موضوعات شتى خاصة بهذه الحرب ثم يقفون ثمنهُ على مساعدة البلاد الفرنسوية التي يحتلها الجيش الالماني الآن فيضاف المال الذي يباع هذا الكتاب به الى اموال اللجنة البرلمانية التي اختيرت لهذه الغاية . وقد سمي «كتاب فرنسا» وهو صغير الحجم اصدرهُ في انكلترا المس ونفريد ستيفنس بعد ان عهدت في ترجمة مقالاتهِ الفرنسوية الى نفر من مشاهير المترجمين

افتتح بمقالة من قلم المستر هنري جمس الكاتب الانكليزي الشهير في اطراء فرنسا وبيان منزلتها من عالم الحضارة والعمران . وتليها مقالة قصيرة بقلم المسيو روسني الفرنسوي في اخلاق الانكليز وسياستهم . وقد بيّن فيها مزايا الامة الانكليزية وعيوبها بقلمٍ رشيق جمع بين الكياسة والصدق . ثم مقالة في اخلاق الالمان بقلم المسيو رينه بوالسف فصّل فيها العقل الالماني وشرّحهُ تشريحاً معنويًّا خاليًا من الهوى

على ان احسن ما في الكتاب مقال بقلم اناتول فرانس الغنيّ عن التعريف عنوانها «هلم الى الحرب الاخيرة» . ومما جاء فيها قولهُ :

«لقد تحقق كلّ ما نشاءم بهِ المتخرّصون من علمائنا وصحّ كلّ كابوس رأوهُ في احلامهم وجاءت تلك الكبائر المحدقة بنا شرًّا مما رأى احد شعرائنا في «مملكة البلاء والشقاء» . ولم تجيء عن يد اهل المرّيخ النائين عنّا بل عن يد اساتذة المانيا القريبين منّا . فقد ألبسوا هذه الحرب لبوساً شتى تشهد بما فطروا عليهِ من الشرّ . فمن سيول النار الى حرب الكهوف الى سحائب الغاز السامّ

اكتب هذا وقد وقف بجانبي دكتور فيلسوف يقرأ ما اكتب . فلما انتهيت الى هذا الحدّ قطع عليّ الفكر وقال : اعلم انهم متى عدلوا عن هذه الطريقة الاخيرة يعمدون الى حرب المكروبات فنضطر ان ننشئ في كل بلدٍ وزارة للمصل المضاد للالمان . الى هذا كلهِ ادّى بهم علمهم . ولقد صدق رابليه حيث قال «العلم بلا ضمير لعنة» . وختم مقالهُ بهذه العبارة :

«اما انتِ يا بريطانيا ملكة البحار ومحبة العدل . وروسيا الجبارة ذات القلب الحسّاس الرقيق . وايطاليا الجميلة التي يعبدها قلبي . والبلجيك البطلة الشهيدة . والسرب ذات الانفة والعزة . وفرنسا وطني العزيز — وانتنّ ايتها الامم اللواتي تعددن السلاح لمعاونتنا —

فاخنقن هذه الهيدرا [١] واقضين عليها القضاء المبرم تفتر ثغور كن غداً وتتصافحن من طرف اوربا الى طرف بعد ان تنقذنها من الوبال »

ثم مقالة اخرى للمسيو رميه دي جورمون وصف فيها البلاد التي يراد اغاثتها وصفاً يسترعي الاسماع ويستميل القلوب حناناً. وبعدها مقالة لبيير لوتيه عنوانها « شبح الكنيسة » وصف بها اطلال كنيسة ريمس وصفاً ينطبق كل الانطباق عليها بعد الذي نالها من مدافع الالمان. قال:

« ولا اهول من ان يفكر المرء في الوحشية الموسومة بالجبن وخلو الراس من الدماغ — تلك الوحشية التي قضت بقذف القنابل تباعاً على بناء له نسيج من النقوش كالحبك في دقته ورقته وقد مضت عليه القرون وهو يشمخر الى السحاب وعصفت حوله رياح المعارك والغارات وثارت الزوابع ولكنها لم تمسهُ بسوء. وقد حملهم على ارتكاب تلك الفعلة الشنعاء ما في طبعهم من السوء مضافاً اليه خرافة استحكمت في صدورهم

على ان ما لا يعوّض من تلك الخسارة هو فقد ما كان في نوافذ الكنيسة من الزجاج ذي النقوش والرسوم التي جادت بها مخيلات المصورين والنقاشين في القرن الثالث عشر وهم ثملون بخمرة احلامهم الدينية وبينها صور قديسين وقديسات اتشحوا بالحلل الفائضة نوراً وحول رؤُوسهم هالات تتدفق سناء واشراقاً. كذلك التماثيل البديعة التي تطايرت شظاياها في كل جهة تحت وابل القنابل وضاع ما فيها من الالوان الجميلة بين ذهبي واحمر وازرق

في ذمة الالمان ما راح من الزجاج الشفاف الملون بالوان قوس قزح وصور القديسين والقديسات ذوي الوجوه الصبيحة. لقد اندثرت وتناثرت شظاياها في ارض الكنيسة وهي تضيء كانها فرائد اللآلئ »

وتلي هذه المقالة مقالة لمدام دكلو عنوانها « ما وراء النصر » وقد وصفت فيها العواطف المتضاربة التي تناوشت الفرنسويين في شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ وما دب في صدور نساء « ملون» من الروع عند ظهور الالمان فجأة في ساحة مدينتهم وهم يعزفون على آلاتهم الموسيقية. قالت « وسألت جندياً انكليزياً حينئذٍ كيف الحال هل هناك خطر كثير؟ فاجابني قائلاً « ان الحال على هذا المنوال — المكان غاص بالجنرالية وقد لاحظت انهُ حيث يكثر الجنرالية يقل الخطر لسبب لا ازال اجهلهُ » . وسألت جندياً اسكوتلنديًا عما يجري . فقال سمعت « ان الالمان رُدّوا قليلاً » . وكانت هذه الاشارة اول ما سمعت عن نتيجة معركة المارن

(١) الهيدرا افعى مائية ذات رؤُوس عديدة اذا قطع راس منها نبت مكانهُ آخر. وعليهِ اعطوا هذا الاسم لكل آفة كثيرة الاصول والفروع

جمهورية العلم والادب

قامت في انكلترا وفرنسا حركة بين بعض العلماء يريدون بها الحطّ من قدر علماء الالمان وما نفعوا بهِ الناس وان يبخسوهم اشياءهم ويبرهنوا على انهُ ليس في كل ما اخترعوا وما اكتشفوا شيء جديد . ولكن لا يزال فيهم كثير ممن يرى ان هذه الحرب على ما فيها من بغي وعدوان ليس من شأنها ان تحمل الجهلاء فضلاً عن العلماء على قلب وجه الحقائق واظهار الامور بغير مظهرها الصادق كأن يقال ان فلاناً الالماني لم يخترع هذا الاختراع وهو مخترعهُ وانهُ ليس مكتشف هذا الاكتشاف وهو مكتشفهُ . اي ان هناك فئة كبيرة من علماء الفريقين تريد المحافظة على ما بينهما من العلاقات العلمية رغم انقطاع العلاقات السياسية بين دولهم . ومن هذه الفئة الاستاذ هنريك مورف الالماني من اساتذة جامعة برلين . خطب عند ابتداء الفصل المدرسي هذه السنة فقال :

« في صباح اول اغسطس سنة ١٩١٤ خطبت آخر خطبة في تاريخ الآداب الفرنسوية وكان الرجاء في حفظ السلام لم ينقطع تماماً وكنت من المتفائلين بالخير ولكن مجرى الحوادث جاء مخيباً لتفاؤلي . فنحن الآن في حالة حرب

« ان تصادم السلاح الهائل هو تصادم بين العقول ايضاً . فمن منّا يستطيع التباهي بانهُ حافظ تمام المحافظة على رباطة جأشهِ ان صحّ ان يسمّى هذا تباهياً . فان المحايدين انفسهم يميلون الى هذا الفريق دون ذاك روحيًّا وادبيًّا . والعالم كلهُ مقسوم قسمين كبيرين متعاديين ومعظم الجنس اللاتيني اعداء لنا . ويظهر ان الجسور العقلية التي تصل بين الامم تهدمت وبتنا نسمع من ساحلي الهوة المعترضة بينهما تطاعناً قبيحاً بالرأي واللسان قبل تطاعن الاقران . ففي دائرة العلوم والفنون حرب اهلية هي شرّ الحروب التي قامت في جمهورية العلم والادب اللذين يوحّدان الناس في زمان السلم ويجعلان منهم مواطنين ينتمون الى وطن واحد هو العالم كلهُ اجمع

« ولا نبحث هنا في تلك الحرب الاهلية فقد اجتمعنا لغرض سلميّ لا حربيّ . ولعلكم تذكرون ان المنشور الذي نشرناهُ نحن معلمي الجامعات الالمانية في جميع انحاء العالم استهلّ بهذه الكلمات « نحن اساتذة الجامعات الالمانية نخدم العلم ونقف نفوسنا على عمل السلام » . والآن وقد رقيت هذا المنبر واغلقت باب هذه الغرفة دون العالم الخارجي لنشح بوجوهنا ساعة عمّا أناخ بكلكلهِ على قلوبنا ليل نهار ولنولّها شطر العلم واهلهِ ولننصرف بكليتنا الى

العمل العلمي . ولنترك اهواء قلوبنا خلفنا ولا ندخلها هذا المكان ان العلم يطالبنا بالمحافظة على النظام في صفوفنا و بضبط عواطفنا وكبح جماحها . ومن لم يطق ذلك فلا يستطيع ان يخدم غاية العلم او يواصلها بل يبقى غير راض وغير قانع حتى في هذه القاعة التي وقفت لخدمتها

« اريد ان احدثكم هنا بالادب الفرنسوي في الماضي مثلما كنت افعل على الدوام منذ توليت هذا العمل في مدينة برن . ففي ذلك الوقت اشرت الى « غيتي » كما اشير اليهِ الآن لانهُ علمنا انهُ يمكن الجمع بين الاهتمام بادب الامم اللاتينية والانعطاف اليهِ وبين الحب الشديد للادب التوتوني ادبنا وقد مرت ٣٥ سنة وانا اشرح للشبان الالمان هذه الموضوعات اللاتينية يتنازعني عاملان عامل الاحترام لما هو غريب عنا والحب لما هو لنا ومنا . وقد برهنوا لي على انهم يقدرون عملي هذا حق قدرهِ حتى في هذه الايام الصعبة اذ جاءتني كتب من الميدان الغربي كتبها شبان لا أعرفهم شخصيًّا وقد ذكروا فيها بالشكر الساعات التي قضوها في هذا المكان يدرسون فيها الادب الفرنسوي معي

« لذلك لا ارى داعيًا يدعو الى تغيير الصبغة العلمية الصرفة التي لهذه الخطب . فاني اريد تمرين عقولكم كما فعلت حتى الآن على طريقة التفكير العلمية وارشادكم الى ادراك ماضي الامم الغريبة عنا ادراكاً تاريخيًّا خاليًا من الغرض والحكم فيهِ حكمًا لا تشوبهُ شائبة . وعمل علمي مثل هذا لا يفرّق بل يوحّد . ويعلّم النظر والتأمل لا الاحتقار والامتهان

« اقول هذا القول وشبح معلمي غاستون باريس يتراءى لي فاذكر اوقات الدرس الماضية وايام رفاق مضوا معها ولقترن بهذه الذكرى تذكارات شبابي القديم وتذكارات عهود حديثة قضيتها مع اخوان لي ما كان احلاها واهناها . ولطالما سمعتم مني اسماءهم واخبرتكم بمقدار دين علمنا لهم ومالهم من الفضل والمعروف عليَّ

« ارى خلف العراك الدموي القائم الآن شخص غاستون باريس يناجيني . فاحيي روحهُ من هذا المجلس تحية شاكر ودود . فقد اعترفت امامكم مراراً بما كان لهُ من الاثر الشديد في نفسي واقول الآن ان احسن ما اعطيكم انما هو مستمد منهُ . اسمعوا شيئًا من الكلام الذي افتتح بهِ خطبهُ في « كلية فرنسا » سنة ١٨٧٠ ايام « كانت الجيوش الالمانية تحصر باريس بحلقة من حديد » كما قال وكان ابن ثلاثين سنة حينئذٍ :

لست ارى للوطنية علاقة بالعلم اجمالاً . فان غرفة الخطب العلمية ليست منبراً سياسيًّا وكل من يستخدمها للمهاجمة ما كان خارجاً عن اختصاصها العقلي المحض او للدفاع عنهُ يحوّلها عن مجراها الصحيح . اقول بلا قيد ولا تحفظ ان غاية العلم القصوى طلب الحق لنفسهِ بلا

التفات الى ما ينشأ من الخير او الشر عن اخراجهِ من القوة الى الفعل ولا الى طبيعة النتائج التي تنتج عن ذلك · وكل من يخبئ الحق ولو بعض تخبئة و يتلاعب اقل تلاعب في عرض الحقائق التي هي غرض بحثهِ او في الاقيسة التي يستخرجها منها لا يستحق ان يعطى مكاناً في ذلك المعمل العظيم الذي يقدم فيهِ الصدق والامانة كل التقديم على الحذق والمهارة سواء كانت البواعث التي بمثتهُ على ذلك وطنية او دينية او ادبية

فاذا بنيت الابحاث المشتركة على هذا الاساس واجريت هذا المجرى في جميع البلاد المتمدنة تكوّن منها وطن مشترك يسمو على تخوم الامم المتعادية وحدودها فلا تدنسهُ حرب ولا يهددهُ الغزاة الفاتحون · وتجد فيهِ العقول ملجأها وواسطة عقدها · انتهى

« هذا ما قالهُ عالم فرنسوي شابٌّ ووطني فحٌ في سنة ١٨٧٠ · ولست اعلم هل قام في باريس من يقول مثل هذا القول الآن · وستبدي لنا الايام ذلك · ولكني اريد ان اذكركم اليوم كلمات هذا الرجل القدير الكبير النفس الذي ضمَّ بين جوانحهِ حبَّ بلادهِ وحب الحق · عسى الله ان يكون كلامهُ هذا قد لقي قلوباً واعية وصدوراً ذات زرع فلا يذهب نفخة في رماد او صرخة في واد »

جميل انكلترا على فرنسا

اذا كان لفرنسا جميل على انكلترا بتحريرها من قيود شعب فظ سفاح فلانكلترا جميل على فرنسا ببثّ روح الانسانية الصحيحة التي يتحلى بها الشعب الفرنسوي واعني بها محبة الامم الغربية والتفاهم معها واكتساب ثقتها لان فرنسا في القرن الثامن عشر كانت منعزلة عن بقية الامم ولا اختلاط لها الا بالامة الانكليزية · ولا بدع اذا قلنا ان الجهاد العظيم الذي جاهدتهُ فرنسا في ذلك العصر لاكتساب الحرية وكسر قيود الاستبداد وقام عليهِ مجدها ومفاخرها يعود معظم الفضل فيهِ الى التأثير الحسن الانكليزي في الامة الفرنسوية

(١) تكوين القرائح

ان نسخ منشور نانت(١) دعا الى مهاجرة الوف من خيار الفرنسويين الى بريطانيا العظمى لان كثيرين من الهوغونوت(٢) المتنورين لجأُوا اليها ليتنشقوا فيها نسيم الحرية و يذوقوا ثمارها ولم يكونوا قبل ذلك يعرفون عنها شيئاً الاَّ بالسماع ولا يسمعون عنها الاَّ ما كان رديئاً

(١) هو امر اصدرهُ هنري الرابع ومنح فيهِ البروتستانت حريتهم الدينية سنة ١٥٩٨ فنقضهُ لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٥ (٢) هم طائفة من البروتستانت اتباع كلفن

كانت انكلترا في ذلك الوقت تحترم فرنسا وتحبها حباً فائقاً واما فرنسا من اشرافها الى عامتها فكانت تكره انكلترا كرهاً شديداً وترميها بالحماقة والكبرياء كما وصفها سنت امان في اشعاره. ذلك لان الشعب كان يجهل آداب اللغة الانكليزية جهلاً تاماً ولم يقف على شيء منها حتى اوائل القرن الثامن عشر حين ترجمت مؤلفات باكون « ورجل القمر » لغودوين وبعض الكتب القليلة الاهمية واما ترجمة شاكسبير فلم تظهر الا سنة ١٧٧٦

وبلغ بغض الانكليز اشده في بلاط الملك وفي نفوس الاشراف والاكليروس فالملك الملقب بالشمس كان يتمنى اضمحلال ذلك الشعب الانكليزي حاسباً انه يتألف من قتلة تبلغ القحة منهم الى التعدي على الملك وعلى حقوقه المقدسة . وكان الكتّاب الذين يتقاضون الرواتب من لويس الرابع عشر او الذين يتزلفون اليه طمعاً بهباته لا يدعون فرصة تفوتهم للتنديد بانكلترا والباسها كل صفة مكروهة ومستقبحة . وكان الاشراف يخشون جوار تلك الامة المضطربة في ارضها اكثر من اضطراب الاوقيانوس المحيط بها (كما يقول بوسيه) . والاكليروس يندد على الدوام بشعب يسهل عليه العبث بالدين وبكثير من امتيازاته الدنيوية . وقد بلغ كرههم للانكليز انهم لم يقبلوا الكنكينا في اواخر القرن السابع عشر بحجة انها غذاء الانكليز (سبرنجل . تاريخ الطب)

بينما كان الدم يجري في فرنسا انهاراً حول التعاليم الدينية كانت الاميال في انكلترا متجهة نحو الحرية الارضية فانصرف الشعب بها عن المناظرات الدينية . يدلنا على ذلك ان هنري الثامن وضع بنفسه نظام الديانة الاهلية ورتب نظامات الكنيسة ثم خلفه ابنه ادورد فهدم التعليم الكاثوليكي الذي اسسه ابوه وشيد البروتستانتية وخلفت ادورد ابنته ماري فالغت البروتستانتية واعادت الكثلكة وخلفت هذه اليصابات فمحت الكثلكة والكاثوليك . وكان الشعب يشاهد سلسلة هذه الانقلابات الدينية بدون ان يهتم بها او يتأثر منها اذ لم تكن تهمه اميال ملوكه الدينية ما دامت حريته محفوظة وسائرة الى الاتساع والنمو وهذا ما سهل على الملوك تنفيذ مآربهم واصبحت انكلترا في اعين الفرنسويين المتنورين الارض التي ينشدونها لحرية الضمير لانهم ملّوا من المشاهد المؤلمة التي تظهر في وطنهم على مرسح الانقلابات الدينية

وصل المهاجرون الى انكلترا فدهشوا اولاً مما شاهدوا فيها من كنوز الفكر والعقل ونظراً لما هم عليه من الذكاء وسرعة الخاطر لم يلبثوا ان تحول اندهاشهم الى الاعجاب فتقربوا من الاهالي وامتزجوا بهم فوقفوا على النفائس التي جهلوها في بلادهم وعلى درجة النبوغ الانكليزي وشرعوا في اصلاح اغلاط القرون الماضية وسرت منهم وبهم الى فرنسا اجمل

مظاهر العقل الانكليزي البادية في المأساة والرواية والشعر والصحافة والفلسفة والعلم فلم يهملوا شيئاً ولم يستخفوا بشيء فترجموا واجملوا المؤلفات المشهورة وكل مخبآت العقل الانكليزي . وقد استفاد الانكليز انفسهم من عمل الفرنسويين هذا لانهم نشروا آدابهم وعمموها واذا كان للانكليز جميل عليهم من هذا القبيل فالفرنسويون اوفوهُ بصدق واخلاص لانهم اذاعوا مناقب انكلترا في كل اوربا وليس في فرنسا وحدها . ويقول رابين ده تواراس ان الانكليز كانوا يجهلون تاريخ امتهم العام حتى اتى هؤلاء المهاجرون فنشروهُ وعمموهُ . وبواسطتهم ذاع فضل لوك ونيوتون وشاكسبير وتشردصن كأنهم رسل انكلترا انبثوا في الارض ليذيعوا فضلها ومناقبها فاستفادوا وافادوا الانسانية عموماً

وبواسطة المهاجرين الفرنسويين عرفت اوربا محاسن الحكم النيابي في انكلترا لانهُ الى اوائل القرن الثامن عشر لم يكن يقال عنها في اوربا كلها سوى انها قاتلة الملوك فانقلبوا بعد ذلك الى اطرائها ايما اطراء

ومن ثم كانت انكلترا الباعث الاكبر لانقلاب اطوار الشعب الفرنسوي وزيادة اهتمامهِ بالامور الخارجية واطلاق العنان لاحلامهِ بالمساواة والحرية وعدم وقوفهِ عند مراقبة ما يجري ضمن حدودهِ فاشترك معها في العمل واكتسب قلوب الشعوب التي تميل الى ذلك وتهتم للحياة العامة اللائقة بالناس الاحرار

نحو سنة ١٧٢٠ قام نزاع بين الروح الانكليزية والروح الفرنسوية كانت عاقبتهُ حسنة لمصلحة الامتين وامتاز اصحاب الصحف الفرنسوية بتقريب افكار الامتين واتحاد ادبهما خدمة للانسانية وتبارى افضل الكتاب في هذا الباب كالاب برفوست صاحب « مفكرات رجل ممتاز » وهو كتاب يصح ان يكون دليلاً علميًّا لحياة الامم المتمدنة ورابين ده تواراس صاحب تاريخ البارلمان الانكليزي الذي اقبل عليهِ الجمهور اقبالاً عظيماً ووقع احسن وقع عند العقلاء حتى اصبحت جمعية الحكماء الساكسون الضالة التي ينشدها نظام الحرية

وبقي هذا الصدى يتردد الى عهد مونتسكيو مؤلف « روح الشرائع » فانهُ كان غير مقتنع بصحة النظام الانكليزي ثم مال بكليتهِ اليهِ وتشيع لهُ كل التشيع

وقد عم حب انكلترا والاعجاب بها الى درجة خشي معها بعض الوطنيين من تغلب هذا الحب على الروح الوطنية الفرنسوية فقامت فئة تنشر النشرات لمضادتهِ وتوقيف تيارهِ وشرعوا في اواخر القرن الثامن عشر بمعاكسة كل اعضاء الجمعية الوطنية الذين يميلون الى الانكليز ومنهم نيكر ومونيه ولالي وموله وبالاجمال كل حزب مونتسكيو الا ان ذلك

الحب تمكن وعجزت المساعي عن محوهِ وتحرير فرنسا من النفوذ الانكليزي

فبهذا التغير العظيم انقلبت اطوار الشعب الفرنسوي وجاز الحكم بان الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حصل في القرن الثامن عشر وانتهى بالثورة الكبرى قد حصل بتأثير الامة الانكليزية لان فرنسا التي ثقل كاهلها مدة حكم لويس الرابع عشر الطويل شعرت بحاجتها الى ما يجدد نشاطها العقلي الذي ضعف وكلَّ بعد جهاد قرون متوالية فلم تجد منبهاً ومقوياً لهُ الاَّ في انكلترا فاليها يعود الفضل بدعامة الافكار والمبادئ الفرنسوية الجديدة وبتوجيه امواج الحياة الى العضو الذي ضعف دمهُ . ومن الخوض في محبة التمدن الانكليزي ظهرت تلك النتيجة العجيبة التي ادهشت العالم باسرهِ

(٢) انكلترا والثورة الكبرى

مما يستحق الالتفات ولا يجوز اغفالهُ ان الاستقاء من الينابيع الانكليزية لم يقتصر على الفلاسفة ورجال القلم بل ان مبادئ المساواة والاستقلال الاجتماعي والاستقلال السياسي اخذت تتسرَّب من سماء انكلترا الى ارض فرنسا وتشبعت منها روح رجال العمل ورجال الثورة . وتدلنا كتابات تلك الايام على ان كل رؤَساء الثورة كانوا يعجبون بالعلماء الانكليز ورجال السياسة الانكليز والتعاليم الانكليزية والشعب الانكليزي فولدت في نفوسهم الرغبة في نقل فتوحاتهم الى ارض فرنسا . ويظهر ان كاميل دمولين ومونيه ولافايت وميرابو وبريسو وغيرهم من رؤَساء الثورة كانوا ملمين بالتاريخ الانكليزي ويعرفون اللغة الانكليزية وآدابها ومن لا يعرفها يطالع ترجمات مؤلفاتها التي كثرت فيميل الى محبة شعبها وتتمكن فيهِ الثقة والحماسة للتغلب في الجهاد العظيم القائم باسم الحقوق . ومن لطائف الروايات عن تمكن الروح الانكليزية في فرنسا ان دانتون قبل ان يصعد الى المشنقة قرأ كتاب « ليالي يونغ » لكي يموت موتاً شريفاً

بناءً على ذلك اخذ النظام القديم في فرنسا يتنوع ويتقلص شيئاً فشيئاً وتمكنت المبادئ الحديثة فتغيرت روح الفرنسويين تغيراً تامًّا في خمسين سنة لانهم كانوا قبلاً يحترمون حقوق الكنيسة والملكية ورتب الشرف فاخذوا يستقلون الاستقلال الفكري الذي ينذر بحصول عاصفة شديدة . واذا قابلنا بين ثورة كرومويل وثورة ١٧٨٩ عجبنا للمشابهة بينهما من وجوه كثيرة وحكمنا بان فرنسا اكتسبت الثقة بقوة شعبها من فوز الشعب الانكليزي منذ مئة واربعين سنة سبقت

ان طبقة الفقراء في انكلترا هي التي اثارت الحركة التي زعزعت اركان المجتمع ورفعت

منارةً من اسفل الى اعلى . ولما انهدم الركن القديم وجّه الشعب اهتمامهُ الى محق كل العوائق التي تحول دون توطيد النواميس الاجتماعية الجديدة فهدم الملكية واجتهد ان يلغي مجلس الاعيان وحصل كما حصل في ما بعد في فرنسا اي ان العامة استولوا على المراكز العليا وادهشوا العالم بكفاءتهم لان حرذيًا صار كولونلاً (ريد) وخادم خمارة نال هذه الرتبة ذاتها (اوكي) ومستخدماً متجولاً لمحل تجاري اصبح جنرالاً (هوتي) وخادماً (جونس صهر كروموبل) كان جنديًا من افضل الجنود واشهرها وخدام جزارين (ساوي . وِن . رنسجنبورن الخ) صاروا من قواد الجيش واصبح هؤلاء الرؤساء بجسارتهم وشجاعتهم مثالاً وقدوة للذين جاؤوا بعدهم . فالشعب الانكليزي الذي شاهد فعال اولئك الابطال الذين خرجوا من قلبهِ بدون ان يكون لهم تقاليد سابقة و بدون ان يكونوا قد تهيئوا بالتربية ليفعلوا تلك الافعال المجيدة عرف ما لهُ وما فيهِ من القوة فاعتزّ بها والفخر وحقهُ ان يعتز ويفتخر واصبحت لهُ ثقة بنفسهِ في المستقبل لا حدّ لها . واذا راجعنا حوادث الثورة الفرنسوية رأينا انها سارت في احوال كثيرة على خطة كروموبل حتى قتل الملك

على ان الاستفادة هي غير التقليد فالثورة الفرنسوية حصلت في احوال واوقات تختلف عن احوال واوقات الثورة الانكليزية التي وان كانت عظيمة بذاتها الاَّ انها كانت انكليزية فقط واما الثورة الفرنسوية فكانت عمومية وقلبت الانسانية بتمامها . ومما لا ريب فيهِ ان الثورة الانكليزية مهدت السبيل لثورة ١٧٨٩ وان اختلاط الشعبين اتى بافضل النتائج لمستقبل الانسانية

كانت فرنسا في القرن الثامن عشر لا تزال تئن من عدم وجود المساواة الاجتماعية الاَّ ان التذمّر اخذ يظهر و يزيد ولم يبقَ سوى الفرصة الملائمة لخلع نير الامتيازات الموروثة . ولما خلعت اميركا سلطة انكلترا وانفصلت عنها سرّت فرنسا سروراً عظيمًا ليس لفشل الانكليز بل لفوز الحرية وانتصارها وبلغ فرحها حد الجنون لما اعلنت اميركا ان حكومتها حكومة ديموقراطية خادمة للشعب

(٣) فرنسا العقلية والتأثير الانكليزي

اذا انتقلنا من طبقة الشعب الى الطبقة التي تمثل الحالة العقلية في القرن الثامن عشر وجدنا التأثير الانكليزي يزيد وضوحاً ورسوخاً فنرى ڤولتير وديدرو وجان جاك روسو والفلاسفة والعلماء ورجال القلم قد تشربوا الافكار الانكليزية ففعلت بهم عمداً او عن غير عمد. ونرى ان ڤولتير بعد ان ذهب الى انكلترا واقام فيها مدة تحول من شاعر الى مفكر

وفيلسوف ومن ثم كتب رسائلهُ المشهورة بالرسائل الانكليزية التي تجسم فيها الفلسفة والانسانية واصبح تشيعهُ لكل ما هو انكليزي عظيماً جدًّا

وديدرو كان بكليتهِ انكليزيًّا وقضى حياتهُ مطريًّا المبادئ الانكليزية وحاثًّا على نشرها وتعميمها وكان يتحلى بالمناقب الانكليزية ويحلي بها موءلفاتهِ ومع انهُ كان نابغة المنشئين والموءلفين كان لا ينفك عن ان يسند ما هو لهُ الى المصادر الانكليزية ويقول ان تلك المصادر هي ركن نشأتهِ ونبوغهِ وان رتشردصن وليلو وسترن وفيلون واديسون هم اساتذتهُ وان ما في موءلفاتهِ من المحاسن «كالمتدينة» و«صاحبي البوربونية» الخ يعود الفضل فيها الى رتشردصن ويقول في الثناء عليهِ انهُ يقل عليهِ ان نشبه روايتهُ بالانجيل وان نشبههُ بموسى وهوميروس ويوربيدس وسوفوقليس . وقال بيفون ان حقيقة الطبيعة توجد فيهِ ؟

اتسعت شهرة الانكليز في فرنسا وزادت موءلفاتهم الروائية جدًّا وبلغ من زيادة نفوذهم ان الروائي الفرنسوي اذا أَلَّف رواية قال انها ترجمة عن الانكليزية فيقبل الجمهور عليها اقبالاً عظيماً حتى ان الاب بريفوست صاحب «المفكرات لخدمة تاريخ الفضيلة» اكسب مفكراتهِ رسماً انكليزيًّا

وروسو نفسهُ كان متشربًا الروح الانكليزية وروايتهُ جوليا ليست الاَّ وحياً من رتشردصن وموءلفات روسو النابغة الخالد الذكر وان تكن بمكان يفوق منزلة ارسيتوت وبيفون فانهُ استقى فيها كما استقى ديدرو من موارد رتشردصن وكلاريس هارلو . وقد كتب كثيرون في المقابلة والتفاضل بين روسو ورتشردصن ففضل اكثرهم رتشردصن الاَّ ان ذلك لا يقلل من فضل روسو لان الموءلفين مهما نبغوا فلا يأتون دائماً بالجديد واذا بحثنا في تآليف اوسع الكتاب شهرة مثل سوفوقليس ودانتي وشاكسبير وموليير وغيرهم رأينا انهم لم يتفردوا في ما كتبوا وان بينهم مآخذ ومشابهات وتوارد خواطر . وهنا اوغل جان فينو في البحث عن مآخذ الكتَّاب ممَّا يهم معرفتهُ اهل اللغتين الانكليزية والفرنسوية فضربنا صفحاً عن نقلها اكتفاء بما سبق ونقول ملخصاً ان ما يأخذهُ الكاتب المجيد عن كاتب سبقهُ يحولهُ الى منفعة اعم او الى مبدإٍ اصح كما فعل روسو فانهُ نظراً لدقة شعورهِ ولطف احساسهِ وقوة قريحتهِ حوَّل ما اخذهُ عن الرقي الانكليزي الى رقي عام انساني

(٤) المقابلة بين نمو الشعبين

سار تاريخ كل من انكلترا وفرنسا سيراً متشابهاً ونما العقل فيهما نموًّا يشبه نمو توأمين يوءثر فيهما موءثر واحد فيفعل في مستقبلهما المشترك لان افعالهما وافكارهما ومشاعرهما واحدة

وكاد نجاح الامتين يكون واحداً كما يقول بكل في « تاريخ التمدن الانكليزي مجلد ٢ » ان النسبة بين دكارت ومونتانيي هي كالنسبة بين هوكر وشلنجورث مع مراعاة الفرق بين العصرين ومراعاة الفرق في المذهب فشهرة هوكر في انكلترا مهدت السبيل لشهرة شلنجورث ومن عقب مونتانيي في فرنسا احيا مذهب دكارت ومبادئهُ

والفروندا (١) الفرنسوية كان لها شبيه في الحرب الاهلية الانكليزية لان في كل منهما دخلت افراد لقمع الفتنة (ريشيليو واليزابث) وفي كل منهما فعل عنصر مجهول لحد ذلك الوقت وهو الصحافة الحرة

وكان النزاع شديداً وعنيفاً بين اصحاب الرقي واصحاب الرجعة وبين القديم والحديث . بين الفكر الجديد الذي بدأ ينفجر في الافق والفكر القديم الاصم الجامد الذي لا يتأثر الأ بعد العناء

وعلى جانبي المانش كان يتوارى وراء ستار الديانة الاهة سرية هي الحرية المدنية التي اثارت فيها بعد الحروب الاهلية واسالت الدماء انهاراً وادهاراً

صارت الحوادث متشابهة من حكم لويس الرابع عشر في فرنسا وشارل الثاني في انكلترا وقامت انكلترا بعملها العظيم في الدفاع عن الحرية وخلع نير الاستبداد ثم اقتفت فرنسا اثرها بعد ان تأخرت عنها مدة ليست بقصيرة الأ انها في اواخر القرن الثامن عشر غنمت بضربة واحدة ما اضاعتهُ في السنين السابقة بجهاد يفوق قوة البشر وتوصلت اخيراً الى اعلان حقوق الانسان

بعد ذلك اتفقت الامتان وطرحتا سلاحهما

نشأت حرية الضمير في فرنسا واقام دكارت في كتابهِ « الطريقة » البرهان على ان الله موجود فينا وليس خارجاً عنا وافسد مونتانيي في كتابهِ « التجارب » وشارون في كتابهِ « الحكمة » الاعتقاد بافعال الصدفة وظهرت في فرنسا القضية المنطقية المشهورة وهي « انا افتكر . اذاً انا موجود » فاخذ عمال الانكليز هذه المبادئ شعاراً لاعمالهم وصارت مهد جهادهم في الدفاع عن الحرية ثم عاد الفرنسويون لاسترجاعها من حيث نمت وارتقت واستفادوا من عمل كرومويل فائدة كبرى يخلدها لهم التاريخ العام ولا عبرة للسبق لان انكلترا اشتغلت لنفسها ووصلت الى غرضها بسرعة واما فرنسا فتأخرت ولكنها اشتغلت لاجل العموم ولفائدة الانسانية

الدكتور امين ابو خاطر

(١) اسم حرب اهلية ثارت في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر قبل بلوغهِ سن الرشد وكان مازران على رأس الحكومة وانتهت بانتصار الملكية

الترجمة ومقامها

قلما تجاوز العرب في علوم الدنيا حدّ التقليد والاقتباس حتى في عهد الدولة العباسية التي هي من سائر دولهم بمكان الشباب من ادوار العمر — فلا اخترعوا ولا اكتشفوا ولا ابتكروا في تلك العلوم الاّ قليلاً وانما كادوا يحصرون اجتهادهم في علوم الدين حتى جروا فيها أبعد شوط . على انهم اجادوا في باب النقل وصاروا بهِ اهل فضل لتحريهم الامانة حتى سمّوا حلقة الاتصال بين القديم والحديث . واقلّ ما يقال فيهم انهم فهموا علوم اليونان من رياضة ومنطق وطبّ حق فهم وهذا ما مكنهم من الاجادة في ترجمتها الى العربية والاضافة اليها والتعليق عليها وادخال بعض التغيير في اعراضها

والذي يقرأ وصف الطرق التي اتبعوها في الترجمة يراها مشابهة للطرق المتبعة في هذا العصر ويرى ان ما كان تراجمتهم يفضلونهُ منها هو ما نفضلهُ نحن الآن . قال الصفدي قولاً ينطبق على بعض تراجمة هذا العصر كل الانطباق حتى كأنهُ يكتب عنهم بعين الناظر الى المستقبل لا عمّن جاء قبلهُ منهم :

« وللتراجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما . وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدلّ عليهِ من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبهُ . وهذه الطريقة رديئة لوجهين . احدهما انهُ لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواصّ التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائماً وايضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . والطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما . وهو ان يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنهِ ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهذا الطريق اجود . ولهذا لم تحتج كتب حنين ابن اسحق الى تهذيب الاّ في العلوم الرياضية لانهُ لم يكن قيّماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والالهي فان الذي عربهُ منها لم يحتج الى اصلاح . فاما اقليدس فقد هذبهُ ثابت بن قرة الحراني وكذلك المجسطي والمتوسطات بينهما » انتهى

وليست الترجمة بالامر الهيّن بل هي صعبة واصعب من التأليف لأن المؤلف طليق بين

معانيهِ والمترجم اسير معاني غيرهِ مقيد بها مضطر الى ايرادها كما هي وعلى علاَّتها اذا لزم الامانة في الترجمة كما هو الواجب والاَّ فليس مترجماً بل مصنف . ثم انهُ يستحيل على مترجم مقالٍ ما ان يجيد ترجمتهُ الاَّ اذا فهم موضوعهُ تمام الفهم . فمن لم يدرس الفلك لا يطلق ترجمة مقالة فلكية . ومن لم يدرس الرياضة لا يطلق ترجمة مقالة رياضية . نقول ان فلاناً ترجم المقالات البديعة في فنٍّ لم يدرسهُ . نعم ولكن معانيها معانيهِ هو لا معاني المؤلف الذي ترجم عنهُ . فاذا صحَّ نعتها بالبديعة فربما كان ذلك لحسن مبناها لا لضبط معناها . والغربيون يجلُّون قدر المترجم من كتَّابهم اذ لا يقدم على الترجمة منهم الاَّ من آنس من نفسهِ القدرة عليها . وترى المترجم يمهر ترجمتهُ بامضائهِ وهو الكاتب القدير وقد لا يستنكف من توقيع اصغر المقالات المترجمة بهِ

وقول الصفدي في وصف الطريق الاول للترجمة من انها ترجمة حرفية ينظر فيها الى كل كلمة بمفردها مبالغ فيهِ لانهُ اذا ترجمت الكلمات كلمة كلمة اتت الترجمة خالية من المعنى ولكن اذا اكثر المترجم من الاعتماد على الكلمات ولم يفهم معنى المؤلف ويعبر عنهُ تعبيراً صحيحاً جاءَت الترجمة سقيمة جدًّا ولعل هذا هذا مراد الصفدي . والظاهر ان بعض المترجمين اعتمدوا عليهِ وهو السبب في خروج الترجمة العربية لبعض كتب الفلاسفة اليونانية ملتبسة المعاني بحيث يتعذر فهمها . فانهُ ليس في العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية هذا اولاً . وثانياً « ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائماً » كما قال الصفدي ولان للكلمات معاني مختلفة ايضاً . ولكن يجب ان لا يغرب عن البال من جهة اخرى ان الفلسفة اليونانية القديمة فلسفة سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من زعماء المذاهب الفلسفية كانت فلسفة محجبة بحجب الغيب والابهام غير واضحة الحدود فليس فهمها من الهنات الهينات فضلاً عن ان اسلوبهم في الانشاء كان عويصاً بعيد الغور

ولا يدل المرءَ على استعظام الغربيين لشأن الترجمة وقدرهم للصاعب التي تحفُّ بها حق قدرها مثل مراجعة ما عانى الانكليز من المشاق في ترجمة التوراة . فانهم ترجموها بضع مرارٍ من القرن الثامن للمسيح الى اواخر القرن الماضي حينما شرع في الترجمة الاخيرة المعول عليها الآن في الكنائس الانكليزية ما عدا الكاثوليكية منها وهي المسماة The Revised Version اي « الترجمة المنقحة » . وقد جاءَ في الانسيكلوبيذيا البريطانية عن احدى الترجمات المسماة The Early Version اي الترجمة المتقدمة ما معناهُ « وكانت الترجمة المتقدمة تامة ولكنها لم تكن افضل من سالفاتها . نعم ان الترجمة ادق واضبط منهنَّ ولكنها تشتمل على جميع

عيوبهنَّ: ففي الجزء الاول منها عبارات غير مفهومة وخارجة عن دائرة المعقول والسبب في ذلك شدة التعلق باهداب الاصل اللاتيني . وفي الباقي ترى الترجمة اسهل وارشق مع كثرة ما فيها من الكلام اللاتيني وغير الانكليزي »

ولما سعى الملك جيمس الاول في الترجمة المعروفة باسم الترجمة الرسمية The Authorized Version في اوائل القرن السابع عشر اصدر امراً قال فيهِ: اريد ان يبذل جهد خاصٌ في اصدار ترجمة دقيقة للتوراة اذ لم ارَ حتى الآن توراة حسنة الترجمة في الانكليزية . وليوكل هذا الامر الى افضل علماء الجامعتين (اكسفورد وكمبردج) وليراجع الترجمة بعدهم الاساقفة واحبار الكنيسة الاعلام . ولتعرض بعد ذلك على المجلس الخاص ثم على الملك للمصادقة عليها »

ثم عينت لجنة مؤلفة من نحو خمسين عالماً للترجمة واقتضى اختيارهم مدة خمسة اشهر وقسموا فئات عهد الى كل منها في عملٍ خاص بها . وفي جملة الاوامر التي صدرت اليهم لاتباعها في الترجمة ما يأتي: « اذا عرضت كلمة ذات معانٍ كثيرة فليؤخذ المعنى الذي اصطلح عليهِ معظم الآباء الاقدمين فان ذلك اليق بالمكان واقرب الى الايمان . ولا يعلق على التوراة حواشٍ الاَّ لتفسير الكلمات العبرانية او اليونانية التي لا يمكن اثباتها في المتن باختصار بل بتطويل »

وبلغ من اهتمام الملك بالترجمة انهُ قال في الامر الذي اصدرهُ: « يجب على كل عضو من اعضاء فئات اللجنة ان يترجم الفصل او الفصول التي توكل ترجمتها الى فئتهِ . وبعد ما يترجمها على حدة يجتمع بالاعضاء الآخرين الذين ترجموها فيقابلون ترجماتهم بعضها ببعض فيثبتون ما يثبتون ويمحون ما يمحون . فاذا فرغت هذه الفئة من عملها ارسلت ترجمتها المنقحة الى الفئات الاخرى للنظر فيها . وهكذا الى الآخر . واذا ارتابت فئة بعد مراجعة الترجمة في شيء ورد فيها او رأت غير ما رأتهُ الفئة التي ترجمتها فلتعد الترجمة اليها مشيرة الى مواضع النقد او التخطئة ومبينة الاسباب فاذا اتفقتا فيهِ والأ سوي الخلاف في جلسة عامة تجمع زعماء كل فئة . واذا اشكل على اعضاء اللجنة شيءٌ فليشاوروا فيهِ علماء البلاد الخارجين عن هيئة اللجنة »

وبعد الفراغ من الترجمة كتب احد الاعضاء بالنيابة عن زملائهِ يبين طريقة العمل . قال: « ولم نسرع في عملنا اسراع اصحاب الترجمة السبعينية ان صحَّ ما قيل عنهم من انهم

ترجموا التوراة في ٧٢ يوماً . فان هذا العمل كلفنا من الوقت ضعفي السبعة مضروبة في ٧٢ يوماً (اي نحو الف يوم او ٣ سنوات) واكثر من ذلك »

ومما يدلنا على الطريقة التي اتبعت في الترجمات القديمة والترجمة الاخيرة قول الانسيكلوبيذيا البريطانية : « واذا قابلنا بين ترجمة سنة ١٦١١ وترجمة سنة ١٨٨١ وجدنا فرقاً كبيراً في طريق الترجمة . فان اصحاب الترجمة الثانية تحروا مزيد الامانة في النقل وجروا على خطة رفضها اصحاب الترجمة الاولى عمداً وهي ان تترجم الكلمة اليونانية الواحدة على الدوام بكلمة انكليزية معينة لا يتخذ غيرها مكانها . وكان همهم تمكين القارى من تتبع الاصل جهد المستطاع ليرى الفرق بين التعبيرين ويشعر بغرابة صور التعبير التي لم يتعودها »

ولما شرع المرسلون الاميركيون في سورية يعرّبون التوراة بمعاونة بعض العلماء السوريين تحروا المحافظة على الاصل العبراني في العهد القديم واليوناني في الجديد وراعوا الامانة في النقل كلّ المراعاة كما فعل اصحاب الترجمة الانكليزية الاخيرة . ويقال ان الترجمة العربية جاءت اقرب الى الاصل من الانكليزية واكثر انطباقاً عليهِ لما بين العربية وتينك اللغتين وخصوصاً العبرانية من صلة القرابة وجامعة المكان وتشابه وجوه الكلام بين مجاز واستعارة وتركيب وبيان وغير ذلك . فان كثيراً من هذه لا يمكن نقلها من لغة الى لغة مع بقاء المعنى ظاهراً وهذا ايسر في اللغات التي بينها جامعة او رابطة مما هو في اللغات التي ليست بينها وشيجة قربى او نسب

وانا اعلم بالاختبار ان كثيراً مما في التوراة لا يفهمهُ الانكليز والاميركيون حتى يزوروا بلاد المشرق ويروا سماءها وارضها واهلها ويعرفوا ما يأكلون وما يشربون وما يلبسون ويشاهدوا باعين رؤُوسهم هيئة منازلهم وترتيب حقولهم وكيفية ذهابهم وايابهم وقيامهم وقعودهم مما يختلف كثيراً عما عندهم ويوافق ما جاء في التوراة عن هذه الامور — فحينئذٍ يفهمون ما لم يفهموا

عندي صورة من صور العشاء الاخير مطبوعة في اوربا . ويراد بالعشاء الاخير جلوس السيد المسيح ورسلهُ على المائدة للمرة الاخيرة قبل موتهِ . وقد رُسموا لابسي حلل الارجوان الذي لم يكن يلبسهُ الأ الملوك وهم صيادو السمك وسيدهم لم يكن لهُ مكان يسند اليهِ رأسهُ كما جاء في الانجيل . ورصفت ارض الغرفة بالفسيفساء . ونشر على المائدة غطاء من الدمقس او الاستبرق ملوَّن بالازرق اللازوردي او الاسمانجوني . وعلى المائدة بعض الارغفة واكواب الخمر ولولا ما في الانجيل من التصريح بان العشاء اقتصر على الخبز والخمر

لرأينا صحاف الديوك الرومية وقصاع الدجاج الفيومية وطباق اللوزينج وجفان الفالوذج

هذا من قبيل ما يدلّ على جهل المصور لامور الشرق واهلهِ . ومما يدلّ على جهلهِ لفنّهِ —وهو ما نذكرهُ عرضاً وتطفلاً— تصويرهُ لتلاميذ المسيح وقوفاً او جلوساً على جانب واحد من المائدة بدل ان يجلسوا حولها كما هو المعتاد وقد سرّحوا ابصارهم في الفضاء كانهم وقوف امام آلة المصور يستعدون لاخذ صورتهم بالفوتغرافيا . وغنيّ عن البيان ان الفوتغرافيا لم تكن معروفة في ذلك الزمان . ولكن يقال من جهة اخرى ان من المصورين من لا يحجم عن الباس الاقدمين ملابس اهل هذا العصر كأن يلبس تلاميذ المسيح البرانيط والملابس الغربية الشائعة الآن وهو يعلم ان ذلك مخالف للواقع . يأتيهِ عمداً لانهُ لا ينظر في صورتهِ الى اللباس وما شاكلهُ من الاعراض بل الى الملامح والتقاطيع وهي عندهُ الجوهر . ولكن اذا اعتُذر للمصور بمثل هذا فما عذر المترجم في مخالفة الاصل والشرود عنهُ في حين ان الامانة في النقل هي اساس الترجمة وجوهرها

وكثيراً ما يجد المترجم عن الانكليزية والفرنسوية الى العربية انهُ اذا حافظ على الامانة في تعريب الاستعارات والتشبيهات الغربية خرجت ترجمتها ركيكة لبعدها عن العربية . فان ابلغ الابيات الانكليزية لو ترجم الى عربية صحيحة وحوفظ على ما فيهِ من غرائب التركيب والمجاز لخرج اقرب الى غير الشعر منهُ الى الشعر والى غير الكلام منهُ الى الكلام . وشاهدي على ذلك اشهر مرثية عند الانكليزية وهي مرثية الشاعر غراي فان مطلعها غريب عجيب بودي لو احفظهُ او لو كانت امامي نسخة من المرثية لاترجمهُ اذن لرأى القارئ العجب وسمع غير الطرب . على اني وان كنت لا احفظهُ لا يزال يعلق بذاكرتي اثر غرابتهِ منذ كنت ادرسهُ في المدرسة

شاهد آخر : كان بيير لوتيه الكاتب الفرنسوي المعروف في الشرق يبكي على اطلال كنيسة ريمس ويصف ما ابقت مدافع الالمان منها من الاثر الناحل فشبه بعض النقوش التي على جدرانها برسوم الدانتلاَّ . والقارئ لذلك الوصف في لغتهِ لا يقف عندهُ ولكن الذي يريد تعريبهُ بنثر شعري كما هو في الاصل ويأتي بالدانتلاَّ او التنتلاَّ في اثناء الوصف لا يجد من يقول لهُ بخٍ بخٍ او من يدعو لفيهِ بعدم الفض وليمينهِ بعدم الشلل ولقلمهِ بعدم الجمود

وخلاصة القول ان الترجمة عمل شاقّ يقتضي علماً غزيراً واختباراً كثيراً فيجب ان لا يقدم عليها الاَّ من تهيأت لهُ تانك الشيمتان وخصوصاً اذا كانت الترجمة مرادةً للبقاء وللمنفعة العامة . والاَّ كان عدمها خيراً من وجودها (ن . ش)

الذهب في العالم

وعلاقتهُ بالحرب الحاضرة

حلَّ الذهب محل الفضة كنقودٍ دولية سنة ١٨٧٨ وبات من ذلك الحين الواسطة الوحيدة لتسوية الحسابات وتأمين الصلات التجارية بين الامم . فاخذت اهميتهُ تزيد يوماً فيوماً بزيادة حاجات المعيشة وتقدم العلوم الاقتصادية حتى بلغتْ الحد الاقصى في هذه الحرب وصارت قيمة الجنيه كقيمة الجندي في نظر المتحاربين(١)

ونحن موردون هنا شيئاً عن تاريخ الذهب والمقادير الموجودة منهُ في العالم وعن اهميتهِ وتأثيرهِ في الحرب الحاضرة نقلاً عن الثقات

كانت المعادن الثمينة نادرة الوجود قبل اكتشاف اميركا . فان العالم الاقتصادي الشهير ميشل شفاليه قدر النقود في اوربا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية بمليار فرنك فقط منها ثلاث مئة مليون ذهباً والباقي فضة . وقد اجمع الاقتصاديون على ان اكتشاف اميركا من اهم اسباب النهضة الاوربية فقال اميل لافاسور في كتابهِ «تاريخ النقود» الذي طبع سنة ١٨٤٨ «ان وصول مقادير عظيمة من الذهب الاميركي الى اوربا احدث نشاطاً عظيماً في التجارة والصناعة وزاد ثروة الامم كثيراً . فبعد ما كان هكتولتر الحنطة يباع في باريس بفرنك وسبعة عشر سنتيماً سنة ١٥١٠ ارتفع سعرهُ الى سبعة فرنكات وتسعين سنتيماً سنة ١٥٤٧ والى خمسة عشر فرنكاً و٦٨ سنتيماً سنة ١٥٦٠ . ولم تنحصر هذه الزيادة في اسعار الحنطة والمواد الغذائية فقط بل تعدتها الى اجور العمال ورواتب الموظفين والمستخدمين والى المصنوعات وسائر ما كان من حاجات المعيشة في ذلك العصر»

وقد عثرنا على تقرير رسمي وضعتهُ ادارة النقود في وزارة المالية الفرنسوية سنة ١٩١٤ وبينت فيهِ مقدار الذهب الذي استخرج في العالم كلهِ منذ اكتشاف اميركا الى اوائل السنة الماضية فرأينا ان نثبت منهُ الجدول التالي

(١) قال المستر لويد جورج في خطبة لهُ : سيكون النصر النهائي للفريق الذي يملك آخر جنيه في خزينتهِ

السنة	الذهب المستخرج	المتوسط السنوي
من ١٤٩٣ الى ١٨٠٠	١٢ ٢٨٦ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنكاً	٠٣٩ ٨٠٠ ٠٠٠ فرنكاً
« ١٨٠١ — ١٨٥٠	٠٤ ٠٨١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠٠٨١ ٦٠٠ ٠٠٠ «
« ١٨٥١ — ١٨٧٠	١٣ ٤٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠ ٦٧٢ ٧٠٠ ٠٠٠ «
« ١٨٧١ — ١٨٨٠	٠٥ ٨٥٦ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠ ٥٨٥ ٦٠٠ ٠٠٠ «
« ١٨٨١ — ١٨٩٠	٠٥ ٥٧١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٠ ٥٥٧ ١٠٠ ٠٠٠ «
« ١٨٩١ — ١٩٠٠	١٠ ٨٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ «	١ ٠٨٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« ١٩٠١ — ١٩١٠	١٩ ٥٩٢ ٠٠٠ ٠٠٠ «	١ ٩٥٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «
« ١٩١١ — ١٩١٤	٠٩ ٤٧٦ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٢ ٣٦٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «
٤٢٢ سنة	٨١ ٢٠٦ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك	٠ ١٧٤ ٢٢٦ ٠٠٠ «

فيكون مجموع ما استخرج من الذهب الخالص في ٤٢٢ سنة ما قيمتهُ واحد وثمانون مليارًا ومئتان وستة ملايين فرنك وزنتهُ ٢٣٥٧٠ طنًّا اي محمول ٢٣٥٧ مركبة من مركبات سكك الحديد ذلك ما عدا النقود الذهبية التي قدرت بثلاث مئة مليون فرنك وكانت تتداولها الايدي قبل اكتشاف اميركا اي قبل سنة ١٤٩٢

وقد ظهر شيءٌ من العجز في مناجم الذهب في البرازيل والمكسيك و بوليفيا وشيلي و بيرو بين سنة ١٨٠١ و ١٨٤٠ ولكن اكتشاف مناجم جديدة في كليفورنيا سنة ١٨٤٨ وفي استراليا سنة ١٨٥١ زاد مقدار الذهب زيادة عظيمة حتى ان ميشل شفاليه وغيرهُ من مشاهير علماء الاقتصاد اشاروا على الدول بان لا تضرب نقودًا من ذهب اوستراليا وكليفورنيا . وحدثت ازمة اقتصادية عظيمة في العالم عقب امتناع الدول عن تداول النقود الفضية ولكن مناجم الذهب التي ظهرت في الترنسفال سنة ١٨٨٧ اصلحت الحال وسدت النقص الذي ظهر في المناجم الاخرى . والى القراء بيان هذه المناجم وما استخرج منها سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩١٤ :

اسم البلاد	سنة ١٩٠٤	سنة ١٩١٤	الفرق بين زيادة ونقصان
الترنسفال	٣٩٣ مليون فرنك	٨٩٨ مليون فرنك	+ ٥٠٥
اوستراليا	٤٣٨ «	٢٦٠ «	— ١٧٨
كندا	٠٨٨ «	٠٨٥ «	— ٠٠٣
الهند الانكليزية	٠٥٨ «	٠٥٩ «	+ ٠٠١
الاملاك البريطانية الاخرى	٠٢٣ «	١٣٤ «	+ ١١١
الولايات المتحدة	٤٢٦ «	٤٧٩ «	+ ٠٥٣
المكسيك	٠٥٤ «	٠٥٠ «	— ٠٠٤
روسيا	١١٣ «	١٣٥ «	+ ٠٢٢
الدول الاخرى	٢٠٧ «	٢٠٢ «	— ٠٠٥
المجموع	١٨٠٠	٢٣٠٢	+ ٥٠٢

واول ما يتشوف اليهِ القراء بعد اطلاعهم على هذه الجدولين معرفة مقدار الذهب من النقود التي تتداولها الايدي الآن وكيفية توزعهِ بين الدول · وقد توصل العالم الفرنسوي ادمون تيري الى تقدير الذهب الذي يدخل في صنع المجوهرات والحلى وغيرها فقال انهُ ٣٠ في المئة فقط وان السبعين في المئة الباقية هي النقود الذهبية التي في خزائن الدول وبنوكها وبين ايدي الناس · ثم وضع البيان التالي في كيفية توزع الذهب على الممالك المختلفة يوم إعلان الحرب :

الدول	الذهب المخزون والمتداول	الدول	الذهب المخزون والمتداول
المانيا	٤٦٨٣ مليون فرنك	بلغاريا	٠٦٥ مليون فرنك
انكلترا	« ٣٧٩٨	الدنمرك	« ٠١٨٠
فرنسا	« ٧٧٧٦	اسبانيا	« ٠٧٣٢
النمسا	« ١٦٦٨	اليونان	« ٠٠٥٠
روسيا	« ٥٩٩٦	ايطاليا	« ١٦٢٤
الولايات المتحدة	« ٩٧٧٣	نروج	« ٠٠٨٧
البلجيك	« ٠٣١٠	هولندا	« ٠٤٣٧
البورتغال	« ٠٠٧٥	اليابان	« ٠٦٧٥
رومانيا	« ٠١٦٥	اوستراليا	« ١٣٥٢
سربيا	« ٠٠٦٨	مصر	« ٠٦٤٥
اسوج	« ٠١٩٣	الهند الانكليزية	« ٠٦٦٠
سويسرا	« ٠٣٥٨	افريقيا الانكليزية	« ٠٣٨٠
الدولة العثمانية	« ٠٤٤١	كندا	« ٠٨٤٠
الارجنتين	« ١١٢٥	المكسيك	« ٠١٢٠
البرازيل	« ٠٥٢٦	البلاد الاخرى	« ٠١٠٠

فيكون مجموع النقود الذهبية في البلاد المذكورة آنفاً ٤٥ ملياراً و ٣٢ مليون فرنك ٠ وقد كان الذهب اساس كل المعاملات قبل نشوب الحرب الحاضرة بحيث ان صاحب الورقة المالية التي قيمتها جنيه وصاحب الاوراق التي قيمتها مليون جنيه كانا يستطيعان ان يبدلا اوراقهما بنقود ذهبية متى ارادا٠ ولولا الثقة التامة بوجود مقدار من الذهب يكفي لشراء الاوراق المالية كلها لاحجمت الامم عن استعمالها واضطرت الحكومات الى اخراج الذهب من بنوكها وخزائنها ٠ فيستنتج مما تقدم ان الدولة التي تصدر اوراقاً مالية بقيمة اكثر من قيمة الذهب الذي في بلادها تفقد مركزها المالي في العالم وتخطو خطوة كبيرة الى الافلاس

وهذا ما يجري الآن في البلاد المتحاربة التي اضطرت ان تنفق على هذه الحرب اضعاف ما عندها من الذهب وان تصدر اوراقاً مالية قد تعجز عن دفع قيمتها نقداً بعد الصلح فادى ذلك الى سقوط اوراقها المالية في جميع الدول المحايدة ولا سيما في اميركا كما لا يجهل القراء

ولا نعرف الآن كيف تسوى نفقات الحرب الحاضرة وكيف تستطيع الدول المتحاربة ان تحافظ على سمعتها المالية في العالم بعد ابرام الصلح . على اننا اذا نظرنا الى مالية الفريقين المتحاربين اي الى مقدار الذهب الموجود في بلدانهما ندرك تفوق الحلفاء على اعدائهما من الوجهة الاقتصادية ونعلم ان ثقة الدول المحايدة بماليتهم لن تتزعزع مهما طال امد الحرب . اما ما قد يحدث لالمانيا وحليفتيها فعلى الضد من ذلك فقد جاء في الجدول المنشور في صدر هذه المقالة ان الذهب في بلاد الحلفاء — ما عدا البلجيك — ومستعمراتهم كان قبل الحرب اكثر من ٢٣ مليار فرنك مقابل ستة مليارات وسبع مئة واثنين وتسعين مليون فرنك فقط في المانيا والنمسا والبلاد العثمانية

⁂

وقد كتب المستر فروين من اعضاء مجلس النواب الانكليزي سابقاً واحد الخبيرين بالمسائل المالية مذكرة عنوانها « مال الحرب العظمى » قال فيها :

زاد احتياطي الذهب في بنوك انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا منذ يوليو سنة ١٩١٤ نحو ٨٠ مليون جنيه في حين ان قيمة اوراق النقود فيهنَّ زادت ٦٠٠ مليون . اي ان زيادة الذهب كانت ١٩ في المئة وزيادة الاوراق ١٢٢ في المئة . وبلغ متوسط اصدار الاوراق ٦٠ مليوناً في الشهر

فاذا دامت الحرب سنة اخرى وبقي هذا المتوسط على حالهِ بلغت قيمة الورق المالية بعد انتهاء السنة ٢٤٠٠ مليون جنيه تغطيها ٤٨٠ مليوناً من الذهب او ٢٠ في المئة فقط . وقد كانت المانيا تغطي اوراقها قبل الحرب بمبلغ ٣٣ في المئة من قيمتها . وانكلترا بمبلغ ٧٧ في المئة . وفرنسا بمبلغ ٦٦ في المئة . اما روسيا فقد كان الذهب في خزائنها على الدوام اكثر من قيمة قراطيسها

ويؤْخذ من آخر بيان رسمي اصدرتهُ الحكومة الالمانية انهُ كان في المانيا في يناير سنة ١٩١٣ خارج البنوك وسائر المستودعات العمومية ١٣٠ مليوناً من نقود الذهب تتداولها الايدي . ومنذ اغسطس الماضي جمعت ٥٠ مليوناً منها واستبدلتها باوراق وجمع الريخسبانك ٢٠ مليوناً منها سنة ١٩١٣ فالباقي في الايدي نحو ٦٠ مليوناً

ولا ريب ان بعد نظر برلين صان المانيا اذ لم يكد يدور في خلد احد ان في ايدي اهلها من نقود الذهب خارج احتياطيها الكثير ما يساوي اربعة اضعاف ما في ايدي اهل الجزر الانكليزية . اما من جهة احتياطيها فانها كانت تشتري الذهب غير مبالية بقيمة الكمبيو كما كانت تشتري المواد المفرقعة لقنابلها

وقد قدر المضرب الاميركي ان في ايدي انكليز انكلترا ومستعمراتها (ما عدا الهند) ٧٠ مليونًا من الذهب او اكثر . والمرجح ان اوراق النقود الجديدة التي اصدرتها الحكومة الانكليزية خفضت ٢٠ مليونًا من ذلك المبلغ ذهبت الى احتياطي البنوك . وكان الذهب المتداول في فرنسا قبل الحرب ١١٦ مليونًا فيما يرجح والمتداول في روسيا ٧١ مليونًا . فلو امكن جمع كل مارك وروبل وفرنك من الذهب وكل جنيه واضافتها الى احتياطي الدول الاربع ما اجتمع اكثر من ٤٠٠ مليون لضمان زيادة الاوراق التي ربما بلغت ١٣٠٠ مليون

وقد ختم مقالتهُ بقولهِ انهُ لا يرى مخلصاً من هذه الحالة الأَّ بزيادة نقود الفضة

الرحلات الافريقية القديمة

٤

الرحلات الحديثة

قصد كثيرون من السياح الاوربيين اكتشاف مجاهل افريقية منذ القرن السابع عشر بعد ان عرفت واكتشفت شواطئها كلها . والمعروف منها رحلات كافانسي وبروا وكولنسي . وفي القرن الثامن عشر قام السياح كبانيون وستيوارت وسكاو ولوكوك وبرون ونوريس وبورمان وباروي ومندوزا لامسرد برحلات عديدة ولكن تقاريرهم التي وضعوها في اسفارهم قلما يركن اليها واكثرهم لم يتجاوز الشواطئ الغربية والشرقية الأَّ في بعض مئات من الاميال

وفي بدء القرن التاسع عشر قام ادمس الرحالة سنة ١٨١٠ برحلة وصل بها الى تمبكتو وقام بعدهُ الرحالة مونغو برك وصل بها الى نهر النيجر وهناك قتل بايدي المتوحشين

وكانت بعد ذلك رحلات السياح كلابرتون ولامي . ورتشرد لندر الانكليزي وكالبي الايطالي وكلهم لم يتوغلوا كثيراً في المجاهل الافريقية فلم تأت رحلاتهم بفائدة تذكر . وقام بعدهم الرحالتان الشهيران برث وفوجل برحلات في الاقطار السودانية الغربية وتجاوزا نهر النيجر وكتبا عن اهالي تلك البلاد وعوائدهم . وفي سنة ١٨٠٦ رحل بعض السياح

البرتوغاليين من موزمبيق الى داخل افريقية ووصلوا بعد مشقات ومصاعب عديدة الى مصب نهر زمبيسي العظيم ثم كانت بعد ذلك رحلة المرسل الانكليزي كريف ورفيقهِ ارهرت ور بمان فاكتشفوا بلاداً كثيرة في الداخلية كانت قبلاً مجهولة ووصلوا الى جبالــ قينيا وكلنجارو المكللة رؤُوسها بالثلوج صيفاً وشتاء . واتجروا مع العرب وحصلوا على ثروة طائلة وهم اول من قالوا بوجود بحيرات كبيرة في اواسط افريقية وذكروا بعض معلومات عنها افادت السياح من بعدهم للوصول الى تلك البحيرات

وفي سنة ١٨٤٤ رحل شاب فرنسوي يدعى ميزان وكان من ضباط البحرية الفرنسوية فخطر لهُ تبعاً لتقارير السائح كريف ان يتوغل في داخلية افريقية ويكتشف بنفسهِ بحيراتها الكبرى و يصف كل ما يتعلق بها فصوبت الحكومة الفرنسوية رأيهُ وامدتهُ بالمال فذهب اولاً الى جزيرة بوربون ثم الى زنجبار وكان فيها وقتئذٍ المسيو بروشان قنصلاً لهذه الدولة لدى الحكومة الزنجبارية فساعدهُ في مهمتهِ واراد ان يمدهُ ببعض الحرس الأ ان ميزان رفض ان يأخذ معهُ احداً ولم يستصحب معهُ سوى رجل واحد من السواحليين من التجار العارفين لطرق تلك البلاد السحيقة وتابع اسمهُ فريدريك ولما وصل ميزان الى بغامويو لحقهُ اربعون رجلاً من الزنجباريين كان ارسلهم قنصل فرنسا وراءهُ ليقوموا بحراستهِ غير ان ميزان امرهم ان يرجعوا من حيث اتوا ولبث في بغامويو مدة شهرين يتعلم فيها اللغة السواحلية حتى اذا اتقنها خرج في رحلتهِ الى داخلية البلاد مع تابعهِ فريدريك

وفي شتاء سنة ١٨٥٤ وصل الى مقاطعة واكبو وزار فازي مازنجري زعيم قبائل (المساي) ورحب بهِ غير انهُ لما رأى ما عندهُ من الآلات الفلكية والادوات الهندسية والنظارات العلمية وقد بهرت انظارهُ بلمعانها غدر بهِ طمعاً بالحصول عليها فقبض عليهِ واذاقهُ من العذاب الواناً وامر بتقطيع جسمهِ عضواً عضواً . واما تابعهُ فتمكن من الفرار بعد ان احتمى بزوجة هذا الزعيم الوحشي ورجع الى زنجبار واخبر قنصل فرنسا بما جرى لميزانــ فارسلت حكومة زنجبار قوة عظيمة للاقتصاص من تلك القبائل وزعيمها تبعاً للاوامر المشددة الصادرة من فرنسا

وجاء بعدهُ برتون وسبيك الرحالتان الانكليزيانــ الشهيرانــ ذهبا الى الهند سنة ١٨٥٦ وعزما على السياحة في داخلية افريقية لاكتشاف مجاهلها وبحيراتها فوصلا الى جزيرة بمبا ومنها الى زنجبار فاستقبلها السر هاملتون قنصل انكلترا ورحب بهما ونشطها على

السياحة وكانت وطأة التعدي على الاجانب قد خفت في تلك الاصقاع بفضل سلاطين زنجبار ونفوذهم

وفي سنة ١٨٥٧ ركبا سفينة سواحلية ووصلا الى ممبسة وتجمع الاهالي على الشاطىء ليروا السائحين الغريبين وكان الاولاد يتراكضون حولها ويصيحون بلغتهم « مزنجو مزنجو » اي الافرنج البيض وزارا بالقرب من هذه المدينة المرسل الانكليزي ربمان وكان مقيماً هناك من مدة طويلة وقد تعلم لغة تلك البلاد · ثم ذهبا الى تنغا وركبا سفينة في نهر بنجاني الى الداخلية · ولا بأس بتلخيص هذه الرحلة لما فيها من الغرائب والفوائد الجغرافية

استصحب هذان السائحان معهما بعض الحرس والحامية من السواحليين والعرب وكان سيرهم في نهر بنجاني بطيئاً متعباً وقد التقوا بقطعان من عجول البحر وغيرها من الحيتان ورأوا نوعاً من التماسيح هائل الجثة وهي كثيرة هناك تسرح على الشاطىء من الجانبين ومروا في طريقهم بغابات تكثر فيها القرود على اختلاف اجناسها ووجدوا انواعاً كثيرة من الاشجار الغريبة الضخمة ومن النباتات النادرة منها نوع يشبه النخل له سعف ضخمة كفخذ الانسان وطول الورقة منها عشرون ذراعاً وهي محددة الرأس كالرمح

ووصلوا في الليلة الاولى الى قرية ذات ادغال كثيفة فاستقبلهم الاهالي بترحاب وامدوهم بالمؤونة والفاكهة وما زالوا يتوغلون في مجاهل تلك البلاد حتى وصلوا الى مدينة فوجه القريبة من جبال فينيا الشامخة التي تعلو تسعة آلاف قدم من سطح البحر

ثم رجع الرحالتان ومن معهما الى زنجبار واستعدا في تلك السنة لرحلة اخرى اعظم من الاولى واخذا معهما الرجال والدواب والاحمال والزاد ولكن قبل ان يصلا الى اوغندا اعترت سبيك الحمى الخبيثة الافريقية واصيب رفيقه برتون باعراضها · ولما شفيا واصلا السير الى الداخلية ووصلا في شهر يوليو الى مقاطعة وازرمي وزنجوميرو وهناك قبائل المساي الشهيرة بالغزو والسطو · وقد تجشمت هذه الحملة كثيراً من المشاق والمخاطر الى ان وصلت الى قازه وهي محط رحال القوافل من تجار العرب والنخاسة الى اواسط افريقيا وبحيراتها · وقد تحمل رجال هذه الحملة من لذع النمل الاحمر والاسود ما جعلهم يتوقفون عن المسير الى الامام وهذا النمل يسير في تلك الفيافي كالجيش المرصوص وهو كبير الجثة طول النملة منهُ بوصتان او ثلاث ولها منسران صلبان حادان كنصل الرمح واحياناً يلتقي هذا الجيش بجيش آخر من النمل الابيض فيتقاتلان اشد القتال في معارك كبيرة الى ان يتغلب احدهما على الآخر ويفتك بهِ ولذع النمل الاحمر اشد ضرراً لانهُ سام

وقد التقت هذه الحملة في طريقها باسراب كثيرة من الفيلة والزرافي ٠ والاهالي هناك يصطادونها ويجعلون من جلودها تروساً وهي متى جففت على طريقة يعرفونها تصبح صلبة متينة كالحديد لا يخرقها الرمح الحاد

ثم وصلت الحملة الى بلاد اونياموزي وهي كثيرة الخصب جيدة المرعى ومنها واصلت سيرها الى بحيرة تنغنيكا ووصلت بعد سفر شاق اليها فطاف سبيك وبرتون حولها في قارب من جذع احدى الاشجار الضخمة ولاقت الحملة اهوالاً واخطاراً عظيمة من الاهالي والوحوش يعسر وصفها ثم وصلا الى اوبواري واهلها يأكلون الجرذان والحشرات ولحوم البشر نيئة وهم في اسفل درجات الانحطاط والهمجية لا فرق بينهم وبين الحيوانات في هيئاتهم وعوائدهم ٠ ثم استأنفا المسير الى عوبرة على الشاطىء الغربي من هذه البحيرة ودخلا في بلاد اوجيجي ٠ وبعد اربعة اشهر رجع برتون الى قازه مع بعض رجال الحملة قاصداً زنجبار لان الحمى انهكت قواهُ ولم يستطع مواصلة السير واما رفيقه سبيك فاخذ باقي الحملة وواصل سفره وقد عزم ان لا يرجع بالخيبة والفشل الا بعد ان يكتشف بحيرة فيكتوريا نيانزا ٠ وبعد شهر وصل اليها وهو اول من وصفها وصفاً جغرافياً علمياً وبعد ان طاف حولها ذكر جزائرها ووصف اهلها وحيواناتها وزراعتها وحاصلاتها وقال ان اهلها على جانب من الحضارة وكلهم مسالمون وعندهم قطعان البقر والغنم والماعز ويزرعون الفول والارز وهو اول من قال بان منابع النيل من تلك البحيرة العظيمة

وفي اوائل سنة ١٨٥٩ رجع سبيك الى قازه ووجد رفيقه برتون قد تعافى من مرضهِ فاخبرهُ انهُ اكتشف منابع النيل ثم طافا في تلك البلاد ووصلا الى اوغندا والتقيا بملكها ووصفا اهلها وحكومتها وكان للملك جيش لا يقل عددهُ عن مئة الف رجل ٠ ومن هناك رجعا مع الحملة الى زنجبار ومنها الى اوربا ٠ وهذه هي الرحلة الاولى المهمة الى اعالي النيل ٠ واقبل بعد سبيك وبرتون كثيرون من السياح لارتياد تلك البلاد السحيقة اشهرهم السائح العظيم لفنستون وستانلي الرحالة الشهير ٠ ولا يسعنا المقام وصف رحلتهما وما اكتشفا من البلاد والجبال والبحيرات والانهر وانما نكتفي بالاشارة الى رحلة ستانلي وهو اول من اخترق قارة افريقية مرتين من الشرق والغرب اي من زنجبار الى الكونغو وبالعكس وعادت اكتشافات هذا الرحالة بفوائد جمة على علم الجغرافية وكشفت النقاب عن مجاهل افريقية الوسطى

رحل ستانلي من باريس ووصل في فبراير سنة ١٨٧١ الى زنجبار وامدهُ المرحوم برغش

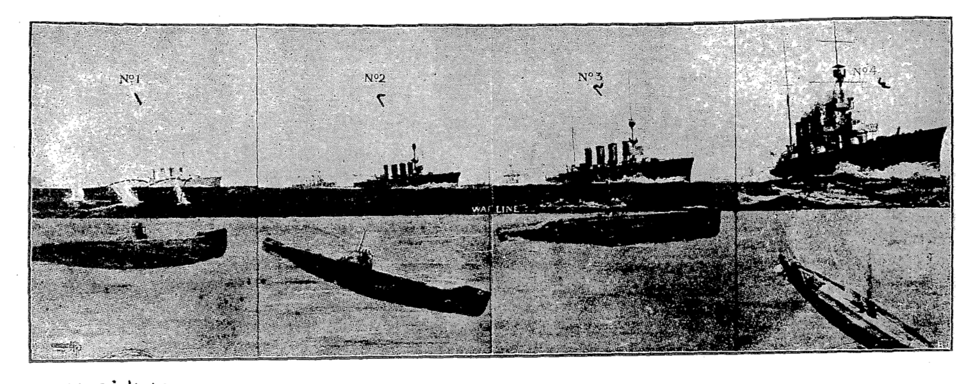
سلطان زنجبار بحملة كبيرة من الرجال السواحليين وفي ٢١ مارس وصل الى بحيرة تنغنيكا، وفي شهر نوفمبر وصل مع الحملة بعد ان لاقى المصاعب والاهوال الى بلاد اوجيجي حيث التقى بالرحالة لفنستون وكان التفتيش عنهُ هو المهمة التي انتدب لها كما هو معروف واقام ستانلي عند لفنستون شهرين واتحدا معاً على اكتشاف حدود البحيرة الشمالية · وفي شهر مارس سنة ١٨٧٢ فارق ستانلي لفنستون لانهُ لم يشأ ان يرجع معهُ الى اوربا

وطاف ستانلي في اواسط افريقية وحدهُ ورجع الى زنجبار ونقل خبر وجود لفنستون حيًّا بلسان البرق الى اوربا. وقام بعد سنة برحلة اخرى لاكتشاف ما بقي من اواسط افريقية المجهولة واختراقها من الشرق الى الغرب واستصحب معهُ من زنجبار حملة كبيرة وقارباً صغيراً مفككاً ورافقهُ بضعة اشخاص من اوربا فاجتاز في رحلتهِ هذه كل مقاطعات افريقية الشرقية واوغاندة ووصل سنة ١٨٧٥ الى منابع النيل وبحيرة البرت ثم واصل سيرهُ في اواسط افريقية حتى وصل الى الكونغو على المحيط الاتلنتيكي بعد ثلاث سنوات

ورحل ستانلي رحلة ثالثة سنة ١٨٨٤ اخترق فيها افريقية من الغرب الى الشرق اي من الكونغو الى زنجبار واكتشف في رحلتهِ هذه بلاداً كثيرة وجبالاً وبحيرات وانهراً كانت مجهولة مما هو معلوم فلا نطيل فيهِ

وفي سنة ١٨٨٧ قام برحلة رابعة منتدباً من الجمعيات الجغرافية الاوربية ومن المرحوم توفيق باشا الخديوي الاسبق للتفتيش عن امين باشا حكمدار مديرية لادو ولبطون بك حكمدار بحر الغزال وكازاتي السائح الايطالي و يونكر السائح الرومي وقد انقطعت اخبارهم بعد ثورة الدراويش واستيلاء المهدي على السودان · فقام ستانلي بمهمتهِ هذه المحفوفة بالمخاطر والمشقات واشترك بنفقات هذه الحملة الحكومة المصرية والجمعية الجغرافية الانكليزية فاكتشف كثيراً من البلاد المجهولة وطاف في جهات السودان كلها · وفي ١٦ يناير سنة ١٨٨٩ التقى ستانلي بامين باشا ومن معهُ من الجنود المصريين ورجع بهم عن طريق زنجبار · وفي سنة ١٨٩٠ وصل الى مصر وكان لهُ استقبال حافل وقد خدم هذا الرجل العظيم العالم اجمع وخلد لهُ اسماً مجيداً باكتشافاتهِ العلمية الثمينة

ديمتري نقولا



امام الصفحة ٤٨٣
مقتطف نوفمبر ١٩١٥

الغواصات ومستقبلها

ادهشت هذه الحرب رجال الحروب وغيّرت وبدّلت اساليب القتال · ومن اعجب ما اثبتتهُ ان الغواصة الصغيرة التي يركبها بضعة عشر نفراً من الرجال ولا تزيد نفقاتها على الوف قليلة من الجنيهات تهاجم اكبر المدرعات الحربية وتفاجئ اعظم البواخر التجارية فتغرقها بمن فيها

يُنفَق على البارجة الكبيرة ثلاثة ملايين من الجنيهات ولا يتم بناؤُها وتسليحها في اقل من ثلاث سنوات ومع ذلك فالغواصة التي تبنى في شهر من الزمان ولا ينفق على بنائها وتسليحها الا الوف قليلة من الجنيهات تطارد اكبر البوارج وتغرقها في دقيقة من الزمان

لما نشبت هذه الحرب لم يكن عند الالمان في ما قيل الا عشرون غواصة اما الآن فقد بلغ ما اقتنصهُ الانكليز او اغرقوهُ من الغواصات الالمانية اضعاف ذلك اي ان الالمان صنعوا كثيراً من الغواصات في سنة من الزمان منذ نشوب الحرب الى الآن · وكذلك لما نشبت الحرب كانت الغواصات الانكليزية قليلة جدًّا ولم يكن لها بلاء يذكر اما الآن فلا يمضي يوم الا ونسمع انها دخلت البلطيك واغرقت فيهِ بعض السفن الالمانية

والظواهر كلها تدل على ان الدول البحرية ستكثر من بناء الغواصات ويزيد اعتمادها عليها حتى يصير شأنها عندها اهم من شأن البوارج والطرادات ولكن

« كلما انبت الزمان قناةً ركّب المرء في القناة سنانا »

وكلما بالغ قوم في اتقان آلة من آلات الحرب بالغ غيرهم في اتقائها او تدميرها · فاولاً جعلت بوارج الانكليز تفتش عن الغواصات وتترقبها حتى اذا رأت ولو عينها ظاهرة فوق الماء سدّدت اليها مدافعها واغرقتها بمن فيها كما ترى في الشكل المقابل فان الصورة الاولى منهُ صورة الطراد الخفيف برمنهام وقد استدرج غواصة المانية الى ان صارت على ١٢٠٠٠ قدم منهُ ثم رمى عينها بقنبلة فلم يخطئها · وقطر انبوب هذه العين اربع بوصات وارتفاعهُ فوق الماء قدم واحدة فاصابتهُ بقنبلة مدفع من معجزات الرماية · فاضطرت الغواصة ان تغوص في الماء على غير هدًى كما ترى في الصورة الثانية ثم عادت الى سطح الماء لعلها تدنو من الطراد وترميهِ بطربيدها فلم يكد برجها يبين فوق وجه الماء حتى ضربها الطراد بقنبلة اصابت قاعدة البرج كما ترى في الصورة الثالثة فخرقت سطح الغواصة وجعل الماء ينصب فيها فغرقت كما ترى في الصورة الرابعة

لكن مطاردة الغواصات على هذه الكيفية عمل شاق والعثور عليها نادر فاستنبط الانكليز

اسلوباً آخر وهو صيد الغوَّاصات بالشباك · و يؤْخذ من مقالة في السينتفك اميركان ان السفن الانكليزية الحربية تمكنت حتى اوائل سبتمبر الماضي من تدمير ما يزيد على اربعين غواصة المانية او اسرها بواسطة شباك ثقيلة من الفولاذ (الصاب) مدتها في بحر المانش بين دوفر والساحل الفرنسوي وفي البحر الارلندي · وهذا يعلّل عدم تمكن الغواصات الالمانية من مضايقة الملاحة في ذينك البحرين في الاشهر الاخيرة بعد ما فتكت فيهما بكثير من سفن الحلفاء في اوائل الحرب · وهذه الشباك تلقى في البحر الى عمق مئتي قدم وهو العمق الذي لا تستطيع الغواصات الغوص الى ما تحتهُ فسدّ بذلك عليها مسالك الذهاب والاياب والدخول والخروج · وهذه الشباك تثبّت في مكانها بمراسٍ تلقى في البحر فلا تزحزحها الانواء من مكانها · وفيها فتحات لمرور سفن الاصدقاء تفتح وتغلق كالكباري المتحركة ولا يعلم مكان تلك الفتحات غير البحرية الانكليزية · وهي تغيَّر آناً بعد آن كيلا يهتدي الالمان اليها · وتعوَّم الشباك بعوامات كبيرة تربط بجانبها الفوقي ولا تظهر على سطح الماء فلا يرى الالمان اثراً للفخاخ التي تمدُّ لهم

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

تمهيد

نشرت جمعية الصليب الاحمر البريطانية كُتيّباً ضمَّنتهُ القواعد التي يجب على الممرضة مراعاتها فاقتطفنا منهُ الفوائد التالية لان مراعاتها واجبة على كل امرأَة تعتني بالمرضى سواء كانت ممرضة او كانت نسيبة للمريض كامهِ او اختهِ

ثياب الممرضة

يجب ان تكون ثياب الممرضة التي تدخل بها غرفة المريض ممَّا يسرُّ المريض برؤيتهِ من حيث لونها ومادتها وممَّا تتطلبهُ القوانين الصحية واهم ما في ذلك

اولاً ان تكون الثياب مما يغسل او مما ينظف بسهولة

ثانياً ان يكون نسيجها ليس مما يمتص بسهولة المكروبات المرضية وصديد الجروح وما ينفث من الفم والانف وما اشبه ولا مما تعلق بهِ هذه المواد بسهولة

ثالثاً على الممرضة ان تقلب المريض من جهة الى اخرى وتوآسي جروحهُ اذا كان مجروحاً فيجب ان تكون ثيابها مما لا يزعجهُ ولا يخمشهُ اذا لمسهُ

رابعاً بعض المنسوجات يبدو منهُ صوت بالحركة فيجب ان لا تكون ثياب الممرضة كذلك اي يجب ان لا يسمع لثيابها اذا مشت في غرفة المريض خشخشة

فالثياب الصوفية لا تصلح للبس الممرضات لانها تمتص المكروبات والمفرزات بسهولة فضلاً عن كون ملمسها خشناً يؤْذي المريضَ

وثياب الحرير لا تصلح للممرضات لانها تخشخش عند كل حركة ولا يسهل تنظيفها اذا تلوَّثت • وثياب القطن المنشَّاة المكوية لا تصلح لانها تخشخش ايضاً كلما تحركت الممرضة ولكن النسيج القطني اللين الناعم وصوف الالبكا يصلحان لثياب الممرضة فانهما لا يخشخشان ولا يمتصان المفرزات ولا يؤْذي لمسها

ولا يحسن بالممرضة ان تتحلَّى بالحلى ولاسيما اذا كانت ممكَّنة بالدبابيس ولا يحسن بها ان تضع سلسلة الساعة حول عنقها او تلبس حلقاً باذنيها لان المريض يضع يدهُ حول عنقها وهي تقيمهُ او تقلبهُ فمتى نزع يدهُ فقد تعلق سلسلة الساعة بها وقد تصيب اصابعهُ الحلَق او يعلق بها زرُّ كمهِ فيؤْلم اذنها و يستاءُ هو من ذلك• ولا يجوز لها ان تضع الدبابيس في ثيابها مطلقاً

وهذه الامور طفيفة لذاتها لكن مراعاتها ضرورية جدًّا ولقد احسن مَن قال

لا تحتقر شيئاً صغيراً محتقر فطالما اسالتِ الدم الابَر

وما قيل عن الممرضة يقال عن كل امرأة تمرض زوجها واولادها في بيتها فانها يجب ان تراعي القواعد المتقدمة

عوَّاد المريض

اذا كان المريض مصاباً بمرض يعدي بسهولة وجب ان يمنع كل العوَّاد عن دخول غرفتهِ • ولكن اذا كان المرض غير معدٍ او اذا طلب ذوو المريض ان يروهُ بعد ما عُملت لهُ عملية جراحية كبيرة او اذا كان المرض شديداً جدًّا فعلى الممرضة حينئذٍ ان تجري

حسب اوامر الطبيب ولكن اذا كان المريض في حالة الخطر فلا بدَّ من استدعاء ذويهِ واذا كان المرض شديداً وجب على الممرضة ان لا تفارق المريض وقتما يكون الزوار عندهُ لئلاَّ يعطوهُ شيئاً ليأكلهُ يضرُّ بهِ ولاسيما اذا كان مريضاً بالتيفويد او في حالة النقه منها. ولا بدَّ من مراعاة حالة الزائر فمن الزوار مَن يمكن ائتمانهُ على المريض لانهُ لا يمكن ان يفعل ما يضرُّهُ ومنهم مَن لا يؤْتمن مطلقاً

وكثيراً ما يُحضر الزوار ازهاراً للمريض وذلك حسن على شرط ان لا تكون الازهار مما رائحتهُ قوية جدًّا . ولا بد من اخراج الازهار من غرفة المريض ليلاً . ويجوز ان يأتوهُ بشيء من الاثمار ونحوها من المآكل التي يجيز الطبيب أكلها للمريض ويجب ان يجلس الزائر على كرسي مواجهاً للمريض ولا يحسن ان يجلس على سرير المريض

غرفة المريض

اذا اقام المريض في بيتهِ وجب ان تكون الغرفة التي يوضع فيها مستكملة للشروط التالية

اولاً ان تكون متجهة الى الجنوب حتى يدخلها النور الكثير وتدخلها الشمس شتاء

ثانياً يجب ان تكون مفصولة عن سائر غرف البيت على قدر الامكان وهذا لا بدَّ منهُ اذا كان المرض معدياً . وان تكون بعيدة عن مدخل البيت على قدر الامكان . واذا كان الفصل حارًّا وجب ان تكون من ابرد غرف البيت ولا بدَّ من كون المرتفق قريباً منها حتى يسهل قيام المريض اليهِ اذا كان ذلك ممكناً

ثالثاً ان غرف النوم سواء كانت للمرضى او للاصحاء يجب ان تكون واسعة تكفي سعتها لتجديد هوائها من غير ان يتولَّد فيها مجرًى للهواء لان مجرَى الهواء يؤْذي المريض بتبريدهِ ظاهر جسمهِ ولاسيما اذا كان الجسم مغطًّى بالعرق فان العرق يتبخَّر حينئذٍ بسرعة فيزيد برد الجسم . وقلما يسرُّ الانسان بمجرى الهواء الاَّ وهو منحرف الصحة او ستنحرف صحتهُ . والبرد يقلّص الاوعية الدموية التي في الجلد ويرد الدم الى الرئتين والكبد والامعاء ويسبب احتقاناً والتهاباً فيها

ومن الخطإ ان يتعرَّض جسم الانسان النائم في فراشهِ لهواء يسير بسرعة أكثر من ثلاثة اميال في الساعة سواء كان مريضاً او صحيحاً

ثم ان الانسان يحتاج الى ١٠٠٠ قدم مكعبة من الهواء كل ثلث ساعة فاذا كان طول غرفتهِ ١٠ اقدام وعرضها وعلوها كذلك كفتهُ وتجدَّد هواؤُها كل ثلث ساعة . ويحسن ان

تكون مساحتها مضاعف ذلك حتى يكفيهُ هواؤُها و يكفي الممرضة اي ان يكون طولها اربعة امتار وعرضها وعلوها كذلك

واذا فتح شباك ليدخل منهُ الهواء و يجدد هواء الغرفة وجب ان يدبَّر تدبيراً خاصًّا حتى لا يقع مجرى الهواء الداخل منهُ على المريض او على النائم ولو لم يكن مريضاً · واسهل سبيل لذلك ان يكون زجاج الشباك بجرارين اعلى واسفل فيرفع الاسفل نحو عشرة سنتمترات ويوضع لوح من الخشب تحتهُ سعتهُ كسعة الشباك فيصير بين الجرارين فسحة ضيقة الى الاعلى يدخل منها الهواء الخارجي الى سقف الغرفة فيتجدد هواء الغرفة بهِ ويتنقى من غير ان تمرَّ مجاريهِ على النائم · او يجب ان يدبَّر تدبير آخر حتى يصعد الهواء الداخل الى اعلى الغرفة ولا يمر على النائم بخط مستقيم

غش الطعام

ليس بين « المخالفات العمومية » ما هو شرٌّ من غشّ الاطعمة المختلفة بمواد اثقل او ارخص منها فيزيد ربح الغاشّ من ذلك المزج ولكنهُ ربح محرَّم يعود على صاحبهِ بالعار والشنار · والمادَّة المضافة قد تكون طعاماً سليماً من الضرر بنفسها فلا يؤَاخذ مضيفها الاَّ بالطمع في الربح · وقد تكون ضارة وفي هذه الحالة تكون مؤَاخذتهُ مزدوجة · ففي انكلترا يمزج الغاشّون البنّ ورطلهُ بنصف ريال بالشيكوريا المجففة ورطلها بنحو غرشين وغرضهم من ذلك زيادة الربح غير المشروع لا الضرر · ومن التجار في اوربا من يمزج الباسلاَّ المجففة والمخللات بالزنجار (خلات النحاس) او كبريتات النحاس ليبقى لها لونها الاخضر ومعلوم ان الزنجار سم زعاف · ومنهم من يمزج اللابن بالحامض البوريك وغيرهِ لحفظهِ من الفساد مدة طويلة فيمكن ارسالهُ من بلاد الى بلاد

واكثر المواد عرضة للغش الدقيق · والغرض من مزجهِ اما زيادة الربح واما تحسين لونهِ اذا كان اسمر وفي هذه الحالة يمزجونهُ بالشب الابيض ومزجهُ بالشب يجعل هضمهُ عسراً · ومنهم من يضيف اليهِ دقيق البطاطس ولكنهم لا يكثرون منهُ لسهولة اكتشافهِ وخصوصاً بالمكرسكوب

ومنها السمن والزبدة · وغاشوهما اما ان يضيفوا اليهما الحامض البوريك للحفظ والمواد الملوَّنة وفي هاتين الحالتين لا ضرر يذكر من هذا المزج · واما ان يضيفوا اليهما الدهن والشحم والزيت وهي لا ضرر منها اذا كانت غير فاسدة ولكن ذلك لا يبرئ الغاشين من الغش الحاصل من بيعها باثمان السمن والزبدة وهي ارخص منها

وفي مصر تمزج القهوة « المسحونة » بدقيق الفول السوداني او دقيق الحمص محمصين. وربما مزجوا بها اشياء أُخرى لا نعلمها

وفي اوربا يجمعون اوراق الشاي المغلاة والمستعملة فيجففونها ويخلطونها بالشاي الجديدة ويبيعونها باثمانها . ومنهم من يخلطها بورق الكستنا والاجاص البري او يصبغ اوراق الشاي الخضراء الرديئة باصباغ كيماوية لتسودّ وتلوح كاوراق الشاي السوداء الجيدة

ويغشون العسل بمزجهِ بدقيق البطاطس والحامض الكبريتيك . وفي مصر قلما يرى العسل نقياً الاَّ في اقراصهِ لانهم يكثرون مزجهُ بالسكر الدون وبمواد اخرى . ومعظم العسل الذي يباع في العلب يرد من كريت وسائر الجزر اليونانية ويقول جالبوهُ انهُ في كريت بريّ وكثير الى حدّ انهُ مشاع لا يكلف الاَّ تعب اشتيارهِ من وقباتهِ . ولهُ نكهة طيبة ولا نعلم هل هو خالص او مشوب بمواد اخرى. ولكن اذا صحّ ما يقولهُ تجارهُ عن رخصهِ فلا داعي الى غشهِ بشيءٍ

ويغشّ الفلفل « المسحون » في اوربا بمزجهِ بالرمل ودقيق الرز

ويغش الخل بان يضاف اليهِ مقدار كبير من الحامض الكبريتيك او يبيع الحامض الخليك المستقطر من الخشب كأَنهُ خلّ وفي ظننا ان معظم ما يباع خلاً في الاسواق المصرية هو من الصنف الثاني . فان « الفياسكو » منهُ وفيها نحو ثلاثة كيلوات تباع بغرش او غرش ونصف وهذا لا « يخلّص » اذا كان ما يباع خلاً خالصاً

على ان شر الغش في هذا الباب غش اللبن كما ابنا في فصل سابق وذلك لسهولة غشهِ وشدة قابليتهِ للتلوث بالمكروبات المختلفة . وقد احسنت مصلحة الصحة بتعريضهِ للفحص والكشف كل اسبوع ومعاقبة كل غاشّ طالب للربح القبيح . وحبذا لو شملت مراقبتها سائر الاطعمة القابلة للغش بمثل هذه العناية

شوربة البطاطس

نشرت الحكومة الالمانية ٢٤٨ وصفة لعمل الاطعمة الرخيصة زمن الحرب ومنها الوصفتان التاليتان لعمل الشوربا

(١) شوربة البطاطس مع الارز او الشعير — اغلِ نصف رطل من البطاطس المقشور وزلّ الماء عنها وصب عليها رطلين ونصف من الماء او مرق اللحم ونصف فنجان كبير

من الارز او الشعير المقشور واغلِ الكل جيداً وانت تحركهُ دواماً الى ان يشتد قوامهُ و يصير كاللبن ثم صفّهِ واضف اليهِ زلال بيضة وملعقة كبيرة من الزبدة

(٢) شوربة البطاطس مع الاوتميل — خذ فنجاناً كبيراً من الاوتميل لكل ستة انفس واغسلهُ جيداً بماء بارد ثم بماء غالٍ وصبّ عليهِ ماء بارداً وضعهُ على النار وقبلما يغلي صفّ الماء عنهُ وصب عليهِ ماء بارداً وضعهُ على النار ودعهُ يغلي وينطبخ جيداً فيبيض تماماً وحينما ينضج اضف عليهِ من البطاطس الذي قشر وسلق مع قطع صغيرة من اللحم المقدّد او المدخن واتركهُ حتى يغلي ثانيةً

الاسراف

كتبت لادي رندلف تشرشل التي كانت قدوة نساء الانكليز في الازياء ومقدمة عليهنَّ بما تلبسهُ من ثمين الحلى وفاخر الحلل مقالة تحثُّ النساء فيها على الاقتصاد التام في المأكل والملبس بسبب الحرب الحاضرة وما تكبدتهُ الامة من النفقات الطائلة قالت

الاقتصاد فضيلة غير محبوبة ولكن الضرورة جعلتهُ ضربة لازب

ولا شبهة انهُ مضى علينا عشرون سنة قبل الحرب ونحن راكبون طرق الاسراف حتى قالت مسز اسكويث زوجة كبير الوزراء منذ سنة او سنتين ان الإسراف صار سبيلاً للدخول بين جماعة الاشراف

ومنذ ثلاثين سنة او اربعين كان الكبراء يحسبون ان الشاب الذي دخلهُ الفا جنيه في السنة هو في سعة واذا تزوَّج امكنهُ ان يعيش بالرخاء ثم تغيرت الحال حتى صار دخل مثل هذا لا يعتدُّ بهِ . ولذلك قلَّ عدد الذين يتزوجون

غير ان هذه الحرب غيَّرت كل شيء وارجعت الناس الى البساطة فكفُّوا عن حسبان الفقر عاراً . وسيدوم ذلك جيلاً او جيلين بعد انتهاء الحرب لانهُ كلما زادت الامَّة شجاعة وعزة نفس زادت بساطة وبُعداً عن التظاهر بما ليس فيها . ونرى الآن ان كل اساليب الادعاء والتغالي التي كانت تشوب عمراننا قد اخذت تتقشع كما يتقشع الضباب امام شمس الصباح

اهالي فرنسا لا يزالون اقرب منا الى البساطة ومع ذلك قللوا نفقاتهم كثيراً حتى اغنى اغنيائهم لم يتركوا في بيوتهم الا خادمتين واقتصروا على لونين من الطعام على موائدهم و بعضهم صاروا يكتفون باطعمة من الحواضر من ابسط ما يكون يضعونها على المائدة و يقفون حولها و يأكلونها باردة من غير طبخ فاستغنوا عن الخدَم

ونحن في انكلترا اخذنا نقتدي بالفرنسويين مثال ذلك ثياب النساء فان المرأة الغنيَّة التي لم تجعلها الحرب تشعر بالفاقة صارت تخشى ان تشتري ثياباً جديدة وتستحي ان تلبس على الزي الاخير . واذا اتفق انها خرجت بثوب جديد فانها تعتذر الى اللواتي تقابلهنَّ بقولها ان ثيابها صارت خرقاً فاضطرت ان تشتري ثياباً غيرها او ان خادمتها اصلحت لها هذا الفستان حتى تخرج بهِ . وكذلك اقتدينا بهم في الطعام فصرفنا الخدَم ولم نبقِ الاَّ خادمة واحدة وصار من يولم وليمة منا لا يرسل الى الذين يدعوهم اليها اوراق الدعوة بل يكلّمهم بالتلفون قائلاً ارجو ان تأتوا وتتعشوا معنا ولا تؤاخذونا اذا لم نقدم لكم الاَّ طعام الحرب . والخدَم الذين كانوا يخدمون في البيوت و يرشّون المساحيق البيضاء على شعرهم خرجوا من الخدمة وانتظموا في الجيش المحارب حيث تظهر رجولية الرجل فانتصبت قاماتهم وابرقت عيونهم وصرت تصافح الواحد منهم كأَنهُ قرينك بعد ان كنت بالامس لا تلمسهُ بيدك وتدعو لهُ بالتوفيق والنصر في الدفاع عن بلادهِ وتبذل جهدك في الاعتناء بمن لهُ في غيبتهِ لانهُ يدافع عنك وعن ذويك

وقد اختلف البعض في اي الفريقين اكثر اسرافاً الرجال ام النساء . فالنساء يسرفنَ كثيراً في الملابس والرجال في الملاهي ولكن لا شبهة في ان الذي يتعب في تحصيل مالهِ لا ينفقهُ بسهولة ولا يسرف فيهِ كالذي لا يتعب في تحصيلهِ ولذلك فالنساء اميل الى الاسراف من الرجال لكن هذه القاعدة غير مطردة وكثيراً ما تكون المرأة شديدة الاقتصاد الى حد التقتير ولو كان المال مال زوجها لا مالها . وقد حدَّ بعضهم اقتصاد الرجل واقتصاد المرأة بقولهِ ان الرجل يدفع عشرة غروش ثمن ما يساوي غرشين اذا كان محتاجاً اليهِ والمرأة تدفع غرشين ثمن ما يساوي عشرة غروش وهي غير محتاجة اليهِ

هذه خلاصة ما كتبتهُ هذه السيدة التي كانت في صباها زهرة نساء الانكليز وهي من اخبر الناس باحوال البيوت الكثيرة في انكلترا وفرنسا . واذا لم تكن لهذه الحرب فائدة غير حمل الاغنياء والاواسط على الاقتصاد في نفقاتهم والعود الى بساطة المعيشة في المأكل والمشرب والملبس فكفى بها فائدة . ونحن في هذا القطر احق الناس بالاقتصاد والابتعاد عن الاسراف الذي كبَّل اغنياءنا بقيود الديون فان دخل البلاد قليل جداً وقد كانت نفقاتها كثيرة في السنين الاخيرة زادت على مضاعف ما كانت عليهِ منذ ثلاثين سنة في المأكل والملبس وبناء البيوت وتأثيثها بفاخر الاثاث واقتناء المركبات والاوتوموبيلات . هذا والديون تزيد ثقلاً عاماً بعد عام . فعسى ان يكون كلام لادي تشرشل حاثاً للسيدات قارئات المقتطف على الرجوع الى بساطة المعيشة والبعد عن كل سبل الاسراف



استغلال الارض

اركانهُ وكيفياتهُ

(١)

المزارع اما صغيرة او متوسطة او كبيرة · فالمزارع الصغيرة تتمثل في غيطان عامة الفلاحين والغيط الواحد منها لا يزيد غالبًا عن بضعة افدنة يستغلها الفلاح بنفسهِ وعائلتهِ

والمزارع المتوسطة تتمثل في غيطان خاصتهم الذين يُسمون في العرف (عمد الفلاحين) وتبلغ مساحة المزرعة منها بضع عشرات من الافدنة يستغلها عادة صاحبها بواسطة عمّال من اصاغر الفلاحين بالمزارعة غالبًا او باجرة يومية احيانًا

والمزارع الكبيرة تتمثل في الضياع والقرى (العزب والاباعد والجفالك) اما العزب والاباعد فيملكها اعيان البلاد وذواتهم وتبلغ مساحة العزبة او الابعادية منها بضع مئات من الافدنة واما الجفالك فهي المزارع الواسعة التي يملكها امراء الاسرة السلطانية خاصة وتبلغ مساحة الجفلك منها بضعة آلاف من الافدنة فاكثر احيانًا · وفي معناها المزارع الواسعة التي تملكها الشركات العقارية

وتستغل المزارع الكبيرة تحت اشراف اصحابها او وكلائهم بادارة موظفين من قبلهم فيزرعون المزرعة لحساب صاحبها (وسية) كما يعبر في العرف بواسطة عمّال من الفلاحين باجرة يومية كما هو الشائع في الجفالك والمزارع الواسعة · او بالمزارعة كما هو الشائع في العزب والاباعد · او بدلاً من ان تزرع وسية كما ذكر تؤَجر للفلاحين والغالب ان يجمع بين الامرين في المزرعة الواحدة فيزرع بعضها وسية ويؤَجر البعض الآخر وبالتأجير تجزأ المزارع الكبيرة الى مزارع صغيرة

ونسبة ما يُستغل من الغيطان الصغيرة والمزارع المتوسطة اعظم منها في المزارع الكبيرة اي ان ريع الفدان الواحد من الاولى والثانية اكثر منهُ في الثالثة لاسباب اهمها (١) ان الفلاح يعمل في غيطه عمل من يرى ان حال معيشتهِ متوقف على نتيجة عملهِ خصبًا ومحلاً · وليس كذلك عمل الأجير الذي يعمل لغيرهِ باجرة محدودة يستحقها بعد ساعات معينة في

عمله (٢) ان من يعمل لنفسهِ يكون حرًّا في تكييف عملهِ وتدبيرهِ حسب الاحوال التي يراها مناسبة لمصلحتهِ و ينتهز الفرص الملائمة لها بدون اي اعتبار آخر غير الفائدة لذاتها. وليس كذلك الموظف الذي يراعي اعتبارات تقتضيها ادارة الملك او اهواء رئيسهِ او حذره من الظنة او الوشايات التي قد تزعزع مركزهُ (٣) انهُ يتسنى للفلاح بطبيعة حالهِ وحال غيطهِ ان يبذل فيهِ اكبر مجهود باقل مصروف لانهُ يعمل فيهِ هو وعائلتهُ ولا يدفع عادةً اجرة لاجير يعاونهُ الاَّ قليلاً و يستفيد من المواشي التي يستعملها في الفلاحة فوائد اخرى اذ يغتذي بلبن بقرتهِ و يمتطي حمارتهُ في شؤُونهِ الاخرى

ان استغلال الارض يستدعي (١) الخبرة بفنون الفلاحة (٢) آداء مطاليبها باوقاتها (٣) الاستقامة في ادارة شؤُونها بما تقتضيهِ المبادئ الحسنة

ان الاساليب العملية المتبعة في فلاحة الارض من ري وحرث و بذر وخف وعزق لم يتوصل حتى الآن الى افضل منها ولكن مما يلاحظ على كثير من عامة الفلاحين

(١) قصورهم او تقصيرهم في اعطاء الارض حقها من الخدمة اذ يختصرون اجراآتها الى اقل ما يمكن فيكتفون بحرث الارض للقطن مثلاً مرتين بدل ثلاث او اربع مرات وكذلك في العزق ولا يعنون باستجادة التقاوي و يؤَخرون البذر عن اوانهِ وكذلك الخف و يسيئون استعمال الماء في الري و يستهينون بصرف الارض على عظم اهميتهِ ولا ينظفون الحاصيل من الفلت او النفاية الخ (ب) جهلهم المعارف التي تؤَهلهم الى صحة النظر والاستدلال ونبذ الاوهام الشائعة في عرفهم خصوصاً في علاج الزرع من آفاتهِ

يعرف واسعو الاطلاع من الزراع ان من قواعد الفلاحة ما يختلف تطبيقهُ باختلاف مناطق الارض ومراتبها ولذلك قد يخفى على بعض موظفي المزارع الكبرى اذا عملوا في مناطق من الارض لم يختبروها وجه الصواب في بعض الاعمال الزراعية

منذ بضع سنوات اريد تلويط حوض في مزرعة بالجهات البحرية الواطية وكان ناظرها حينئذٍ من اهل الجهات الجنوبية وكان الحوض مزروعاً شعيراً فبعد حصد محصولهِ وقبل التلويط امر فحرثت الارض حرثاً عميقاً وتركت للتشميس (شراقي) الى ان لوطت وزرعت فنكد زرعها ووجدت انهُ قد زاد هزالها وملوحتها من جراء الكيفية التي اتبعت في حرثها وتشميسها وهي لا تصلح الاَّ في ارض الجهات الجنوبية وشتّان ما بين الارضين ففي الارض التي نحن بصددها لوّث الحرث العميق تربتها (القليلة السمك) بما اثارهُ من ثُريتها (الثُرية هي الطبقة التي تحت التربة) العقيمة غير النقيّة — وزاد طول مدة تشريقها وتشميسها

ملوحتها بما رسب عليها من الاملاح الضارة المتصعدة مع الماء المتبخر من باطن الارض

واحدث في السنة الماضية في مزرعة بالجهات الجنوبية ان ناظرها وهو من اهل الجهات البحرية قسم قطعة ارض بالمصارف لانها كانت اقل خصباً ونقاء مما يجاورها حاسباً ان ذلك يحسّنها مع انهُ ليس في منطقتها مصرف عمومي يتصرف اليهِ ماء مصارفهِ ولذلك لم ينشأ عنها فائدة . والمناسب عملهُ في اصلاح مثل هذه القطعة كسح الملوحة الطافية على تربتها ثم تلويطها وتنبيلها وزراعتها برسيماً واشباع ريها وتعهدها بالتنبيل والتشتية اثناء اخلائها من الزراعة حتى تخلو تماماً . وكان المناسب عملهُ في الارض الاولى ريها ثم حرثها حراثة سطحية وغسلها مراراً ثم تلويطها وتنبيلها

ومما يفيد التنبيه اليهِ من مسائل الزراعة التي يختلف تطبيقها باختلاف مراتب الارض ومناطقها ما يأتي

(١) لما كانت الارض الكثيرة الملوحة كالارض المستجدة بالجهات البحرية الواطية احسن ما يخصبها تبويقها بزراعة البرسيم (اذ ان السماد لا يفيدها الأمنى بلغت درجة نقادها نسبة مخصوصة بل قد يضرها اذا سمدت قبل ان تصل اليها) فالموافق فيها اذا كانت برايب ويراد زراعتها في السنة التالية قطناً ان تزرع بعد البرايب برسيماً سواداً بخلاف ارض الرواتب الحلوة فان الافضل في استغلالها زراعتها ذرة بعد ان تسمد لهُ جيداً كالمعتاد

(٢) اذا كانت الارض المزروعة ذرة ستزرع قطناً في السنة التالية فالاوفق فيها اذا كانت من الارض الحلوة العالية ان تترك بعد الذرة لترويحها او تشميسها وخدمتها باكراً لزراعة القطن زرعة بدرية واذا كانت ليست على درجة علية من النقادة من الملوحة فالاوفق ان تزرع برسيماً تحريشاً او تحرث وتغسل الغسلة المعروفة بالتشتية او الدمس او التطويب

(٣) الارض عقب زراعة الرز الدنيبة وان كانت قد ازال الصرف ملوحتها (الاملاح الضارة) لكنهُ قد نزح بعض خصوبتها (الاملاح النافعة) ولذلك كان لا بد لفائدة الزرعة التالية من زراعتها برسيماً او تسميدها بكمية وفيرة من السماد البلدي

(٤) السماد الكيماوي (نترات الصودا) يترك في الارض جانباً من الاملاح المضرة ولكن تأثيرها لا يكاد يحسّ بهِ في الارض الجنوبية لارتفاعها وجودة خواصها الطبيعية وكذلك في الارض الحسنة الصرف اما الارض السيئة الصرف بالجهات الواطية فانهُ كما شاهدت يسبب (نعومتها) ولذلك يستحسن تجنب تسميدها بهِ

(٥) ارض الرواتب الحلوة كلما زاد تفتت تربتها بالحراثة كان ذلك انجب لزرعها بخلاف الارض المزيلة فانهُ يكتفى فيها من الحراثة وتفتيت التربة باقل مما يكتفى في تلك

(٦) ليس الغرض من العزيق ابادة الحشائش فقط كما يظن بعض عامة الزرّاع بل توفير رطوبتها للزرع حتى يمتنع توالى ريهِ او يمكنهُ ان يصبر على شح المناوبات ولذلك فان تأخيرهُ عن الوقت المناسب لهُ ضرر والذي يعمل منهُ قُبيل الري بقليل كما يجري احياناً يكون قليل الفائدة

(٧) اشتهر القول بوجوب تخفيف ري القطن ابان الفيضان ولم يذكر احد افضل ما وجد نافعاً في تطبيق هذه القاعدة في مراتب الارض المختلفة وهاك ما احسبهُ مناسباً . بعد ري القطن من بوادر الفيضان اوائل اغسطس يمنع عنهُ الري اما في الجهات البحرية الواطية فيستمر المنع حتى يجنى القطن الجنية الاولى اي يبقى بدون ري من ٦ — ٧ اسابيع وفي الارض المتوسطة يمنع الري من ٤ — ٥ اسابيع وفي الارض العالية من ٣ — ٤ اسابيع اي ان الارض الخفيفة (الصفراء) تكون مدة المنع فيها اقل اسبوعاً منها في الارض الثقلية (السوداء)

(٨) اكثر ما تنجح الزراعة البدرية في المزروعات الصيفية بالجهات العالية على الخصوص واكثر ما تلزم الزراعة البدرية في المزروعات النيلية والشتوية في الجهات البرية الواطية

هذا بعض من كل مما يمكن ايرادهُ في هذا الموضوع نكتفي بهِ اذ الغرض الدلالة وتوجيه النظر لا الاستقصاء وكما تختلف الظروف بين منطقة ومنطقة كذلك تختلف بين غيط وغيط

والى هنا كان كلامنا باعتبار انا نريد ان نستغل ارضنا باحسن ما نعرف حتى الآن من اصول الفلاحة واساليب تطبيقها . اما التوسع والتفنن والاستزادة في هذه الاصول والاساليب وتطبيقها فهي على ما ارى من اختصاص غيطان التجارب والمعاهد الزراعية المتوفرة على الابحاث الفنية علماً وعملاً حتى اذا انتهى البحث الى قاعدة زراعية يحسن العمل بها يصير تداولها بين الزراع العمليين

وهناك كثير من المسائل الزراعية المفيدة في تخصيب الارض وترقية الزراعة يستطيع اصحاب المزارع الواسعة العمل بها وترقيتها عن مستواها الحاضر ولكنهم مقصرون فيها كانتخاب التقاوي من اجود النباتات المزروعة في اخصب الغيطان المخدومة خدمة متقنة وكالعناية في صناعة السماد البلدي وترقية تربية الاغنام والماشية وصناعة الدريس الخ الخ

احمد الالفي

الصادرات الزراعية والواردات

صدر تقرير الجمارك عن التسعة الاشهر الاولى من هذه السنة وفيهِ قيمة ما صدر فيها وما ورد من الحاصلات الزراعية ومقابلة ذلك بما يماثلهُ في العام الماضي وهاك جدول اهم الصادرات وثمنها بالجنيه المصري

	سنة ١٩١٥		سنة ١٩١٤	
	المقدار	الثمن	المقدار	الثمن
القطن	٤ ٦٠٠ ١٨٧ قنطاراً	١١ ٠٩٣ ٨٠٩ جنيهاً	٤ ٠٠٣ ٥٨٩ قنطاراً	١٣ ٨٢٤ ٢٨٢ جنيهاً
بزرة القطن	٢ ١١٩ ٢٤١ اردباً	١ ٤٥٤ ٠٠٥ "	١ ٦٢٨ ٠٥٠ اردباً	١ ٤٤٢ ٣٦٢ "
السكر	٠ ٠٢٢ ٥٠٥ طناً	٠ ٤٧٣ ١٥٥ "	٠ ٠٣٩ ٣٣١ طناً	٠ ٠٥٩ ٠٣٢ "
القمح	٠ ٣٦٦ ٣٠٩ ارادب	٠ ٣٦٧ ٤٦٠ "	٠ ٠٠٠ ٥٧١ اردباً	٠ ٠٠٠ ٨١٢ "
البيض	١٨٠ ٠٣٥ ٠٠٠ بيضة	٠ ٣٥٤ ٧١٢ "	١٣٥ ٢٩٩ ٠٠٠ بيضة	٠ ١٨٧ ٩٤٦ "
البصل	٠ ٠٦٦ ٤١٦ طناً	٠ ٣٤٧ ٨٨٦ "	٠ ٠٥٦ ٩٧٦ طناً	٠ ٣٤٨ ٣٩١ "
كسب البزرة	٠ ٣٢٤ ٨٨٣ "	٠ ٣٢٤ ٨٨٣ "	٠ ٢١٨ ٨٩٧ "	٠ ٢١٨ ٨٩٧ "
الذرة	٠ ٢٦١ ٥٨٩ اردباً	٠ ٢٤٧ ٨١٨ "	٠ ٠٠٠ ٩٦٥ اردباً	٠ ٠٠٠ ٨٩١ "
الجلود		٠ ٢٢٦ ٢٨٣ "		٠ ١٧٢ ٤٦٦ "
الكتان	٠٠٢ ٩٨٧ طناً	٠ ٢٠٦ ١٢١ "	٠ ٠٠١ ٧٥٧ طناً	٠ ١١٧ ٥٢٣ "
الفول	١٩٧ ٠٥٢ اردباً	٠ ٢٠٩ ٧٢٢ "	٠ ٠٠٢ ٩٨٧ اردباً	٠ ٠٠٤ ٠٦٨ "
العدس	٠٧٧ ٣٢٠ "	٠ ١٢٩ ٨٠٧ "	٠ ٠٠٢ ١٢٨ "	٠ ٠٠٣ ٤٦٣ "
زيت القطن	٠ ٤ ١٦٦ طن	٠ ٠٧٤ ٦٧٧ "	٠ ٠٠٠ ٨١٨ طناً	٠ ٠١٠ ٥٧٩ "
الصمغ	٥٤٥ ٠٤٥ كيلو	٠ ٠١٥ ٦٦٢ "	٠ ٤٤٨ ٥١٣ كيلو	٠ ٠١١ ٦٦٣ "

فالصادرات التي نقصت قيمتها هي القطن وزيتهُ والبصل وسائر الصادرات زادت قيمة ما صدر منها في هذه الاشهر التسعة على قيمة ما صدر في الاشهر التسعة الاولى من العام الماضي. اما القطن فسبب النقص فيهِ نقص سعرهِ فقد صدر منهُ في العام الماضي ٤٠٠٣٥٨٩ قنطاراً وصدر منهُ هذا العام ٤٦٠٠١٨٧ قنطاراً اي ان صادرات هذا العام تزيد على صادرات العام الماضي نحو ستمائة الف قنطار ولولا هبوط سعرهِ في الاشهر الاولى من هذه السنة لزاد ثمن ما صدر منهُ هذه السنة على ثمن ما صدر في السنة الماضية نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات

اما الواردات الزراعية التي يمكن الاستغناء عنها بحاصلات القطر فاهمها ما يأتي :

	سنة ١٩١٥	سنة ١٩١٤
الغنم والمعزى	٥١٦ جنيهاً	١٠٨ ٣٤٥ جنيهاً
السمن والزبدة	٤٨ ٣٠٩ »	٠٧٩ ٤٥٠ »
الجبن	١٦٨ ١٤٣ »	١٣٨ ٤١٠ »
القمح	٠١٧ ٨٦٠ »	٠٢٥ ٤١٠ »
الذرة	١٦٦ »	١٠٥ ٧٣٤ »
الشعير	٢٨ ٨٦٤ »	٠٦٦ ٠١٦ »
الرز	٢٤٥ ٢٧٦ »	٣٥٧ ٩٢١ »
الدقيق	٤٠٧ ٦٣٩ »	١ ٢٣٩ ٧١٤ »
السكر	١١١ ٤٦٩ »	٠ ١٤٢ ٠٠٧ »

وقد نقصت كلها ولم يزد الأَّ الجبن واكثر الزيادة في السعر لا في المقدار وواضح من ذلك ان في طاقة القطر ان يستغني بحاصلاتهِ الزراعية عن اكثر ما يرد اليهِ من الخارج وان يصدر بعضها ايضاً ولكن هل يستطيع ذلك اذا عاد الى توسيع زراعة القطن كما كانت وهل ما وفَّرهُ في ثمن الدقيق وسائر الحبوب وهو نحو مليون ونصف من الجنيهات في السنة وما زاد في ثمن صادراتهِ هذه وهو نحو مليون جنيه يقوم مقام ما خسرهُ بتقليل زراعة القطن . فان نصف مليون الفدان التي كانت تزرع قطناً عادةً ولم تزرع في العام الماضي يبلغ ثمن محصولها من قطن و بزرة نحو عشرة ملايين من الجنيهات فليس من الحكمة ان تمنع زراعة القطن منها والخسارة من ذلك عشرة ملايين من الجنيهات لكي تزرع حبوباً فتكتسب البلاد نحو مليونين ونصف مليون ثمن دقيق وحبوب

اصدار الحبوب

وجدنا بُعَيْد كتابة السطور المتقدمة وقبل طبعها ان الغرفة التجارية المصرية مهتمة بجعل الحكومة تمنع اصدار الحبوب من البلاد . ولكن من يجُل الآن في القطر المصري من اعلى الصعيد الى آخر الوجه البحري يعجب من خصب زراعة الذرة فيهِ واتساع نطاقها ولا عجب اذا جاء محصولها هذه السنة زائداً اربعين في المئة على محصولها في الاعوام الماضية فماذا يصنع القطر بالذرة التي تزيد على مقطوعيتهِ . والذين يطلبون عدم اصدار الحبوب يقولون انهم يطلبون ذلك رحمة بالفلاح ولكن الفلاح بائع لا مشترٍ واحبُّ ما عليهِ ان تصدر الحبوب من القطر وترتفع اسعارها حتى يبيع ما يزيد على مؤُونتهِ بثمن غالٍ و يسدد ما عليهِ من الاموال

موسم القطن

كثر اختلاف الناس في تقدير موسم القطن في القطر المصري وفي اميركا اما الموسم المصري فمن رأي وزارة الزراعة انهُ يبلغ ٤٨٦٣٠٠٠ قنطار · ومن رأي كثيرين من كبار المزارعين انهُ ينقص عن اربعة ملايين ونصف او لا يزيد عليها و يقول فريق منهم انهُ قد يبلغ اربعة ملايين وثلاثة ارباع المليون لا لان متوسط محصول الفدان كما قدَّرتهُ وزارة الزراعة ٣٫٩٩ قنطار في الوجه البحري و ٤٫٤٠ قنطار في الوجه القبلي بل لان زمام الزراعة اكثر كثيراً مما قدَّرهُ الصيارفة · اما متوسط محصول الفدان فقل كثيراً بسبب فتك الدودة القرنفلية دودة بزر القطن · فان اطياناً من اجود الاطيان كان اللوز في قطنها كثيراً جدًّا حتى حسب اصحابهُ ان محصول الفدان منها لا يقلُّ عن عشرة قناطير الى ثمانية لم يبلغ محصول الفدان منها ثلاثة قناطير ولما جمع قطنها ووضع في الشمس ليجف خرج الدود القرنفلي منهُ حتى غطاهُ

ولا يخفى ان تقدير الموسم كل سنة تقديراً قريباً من الصحة على قدر الامكان لازم لكي لا يُغبن المزارع ولا التاجر في سعر القطن ولما كان هذا التقدير مبنيًّا على معرفة المساحة المزروعة بالضبط الكافي وتقدير متوسط محصول الفدان بما يمكن من الصحة وجب على الحكومة ان تبذل اقصى جهدها في معرفة المساحة المزروعة قطناً سنة فسنة نعم ان ذلك صعب المنال ولا يمكن الوصول الى معرفة المساحة بالدقة التامة ولكن لا يحتمل ان تبعد النتيجة عن الحقيقة ١٤ في المئة كما حدث الآن فان احصاء صيارفة الحكومة جعل المساحة ١١٨٦٠٠٠ فدان والتقارير التي وردت على الحكومة جعلت المساحة ١٣٥٠٠٠٠ فدان والفرق بينهما ١٦٤٠٠٠ فدان او نحو ١٤ في المئة من التقدير الاول

اما تقدير محصول الفدان فيجب ان يعتمد فيهِ على ما يرى بعد ما يتم فتك الدود وسائر الآفات الجوية و يجب ان يطرح منهُ السكرتو لان نسبتهُ تختلف باختلاف فتك دود اللوز ودود البزر وثمنهُ بخس جدًّا فعدُّهُ في جملة المحصول يزيد مقدارهُ ويبخس ثمنهُ

هذا من حيث الموسم المصري اما الموسم الاميركي فيظهر مما ورد عنهُ اخيراً انهُ اصغر محصول نتج في السنين الاخيرة وقد لا يبلغ احد عشر مليون بالة

الدودة القرنفلية

نخاف ان الوسيلة التي استعملتها الحكومة الآن لاستئصال الدودة القرنفلية وهي حرق

لوز القطن او اطعامهُ للغنم والمعزى لا تفي بالمراد تماماً لانهُ لا ينتظر الجري عليها بالدقة التامَّة في كل مكان ولان فراش هذا الدود منتشر الآن في القطر فقد رأينا قُبَيل كتابة هذه السطور لوزاً جديداً من لوز القطن ممَّا عقد منذ بضعة ايام وفتحناهُ فاذا في اللوزة منهُ ثلاث دودات او اربع من الدود الصغير الابيض الذي يصير قرنفلياً اذا كبر . وذلك دليل على ان فراش هذا الدود طائر الآن في القطر المصري وما ادرانا ان نسلهُ لا يبقى مستكنًّا في اماكن مختلفة الى ان يظهر موسم القطن التالي

افليس في الامكان ان يُفتَّش عن آفة طبيعيَّة لهذا الدود كالمرض الذي اصاب دود القطن فيمرض و يسقم و يموت او يقل نسلهُ الى ان ينقرض . وعلماء الحشرات في وزارة الزراعة لا يخفى عليهم ذلك فعسى ان يكونوا مهتمين بالتفتيش عن مرض مثل هذا . وحبذا لو اعلنت وزارة الزراعة انها تعطي جائزة كبيرة لمن يكتشف هذا المرض او وسيلة اخرى تخلص القطن من هذه الآفة

اصدار الحاصلات

القطر المصري قطر زراعي محض واهل الزراعة يبيعون الحاصلات الزراعية لا يشترونها وان اشتروا شيئاً منها فانما يشترون ما يقل محصولهُ عندهم عن مقطوعيتهم . وقد يربحون احياناً باصدار صنف ما من حاصلاتهم الزراعية وجلب ذلك الصنف عينهِ من بلاد اخرى اذا كان في بيع الاول وابتياع الثاني فائدة مالية كما كان يحدث وقت اصدار الرز المصري وجلب رز غيره . ولا يخطر على بال حكومة من الحكومات ان تمنع اصدار الحاصلات الزراعية اذا كانت بلادها زراعية كما لا يخطر على بالها ان تمنع اصدار المصنوعات اذا كانت بلادها صناعية الاَّ لسبب خصوصي يفوق الربح المالي كأن تمنع اصدار القمح الى بلاد معادية لها او البارود الى بلاد تحاربها . ولذلك يأخذ منا العجب كل مأخذ كلما طلب بعض التجار او الكتَّاب منع اصدار الحاصلات الزراعية من القطر المصري كأننا نعطي هذه الحاصلات لغيرنا مجاناً ولا نأخذ ثمنها ذهباً وهَّاجاً . وقد جارتهم الحكومة في العام الماضي فكانت النتيجة ان هبط سعر القمح والذرة هبوطاً فاحشاً خسر بهبوطها كل اهالي القطر تقريباً ولم يربح الاَّ بعض التجار الذين تبضعوا منها حتى اذا اباحت الحكومة اصدارها بعد ذلك وارتفع سعرها ربحوا ربحاً طائلاً . فعسى ان لا تفعل الحكومة هذا العام ما فعلتهُ في العام الماضي



عمل الزجاج

(تابع ما قبله)

ان الواح الزجاج التي توضع في الشبابيك هي اكثر اشكال الزجاج استعمالاً وزجاجها مؤلف من الصودا والجير والرمل ولا يكون فيها الاَّ قليل جدًّا من الحديد والالومينا وغيرهما من الشوائب حتى يأتي الزجاج شفافاً خالياً من اللون واذا خيف من وجود الشوائب التي يتلوَّن بها الزجاج اضيف اليهِ مواد تزيل فعلها مثل اكسيد المنغنيس الثاني والزرنيخ

واذا كانت الواح الزجاج بالغة الغاية من حسن التركيب وحللت كيماويًّا وجد فيها ٧٢ في المئة من السلكا و١٣ في المئة من الكلس و١٤ في المئة من الصودا وواحد في المئة من اكسيد الحديد والالومينا ولكن المواد التي يتركب منها هذا الزجاج لا تكون على هذه النسبة لان جانباً كبيراً منها يزول وقت صهرها

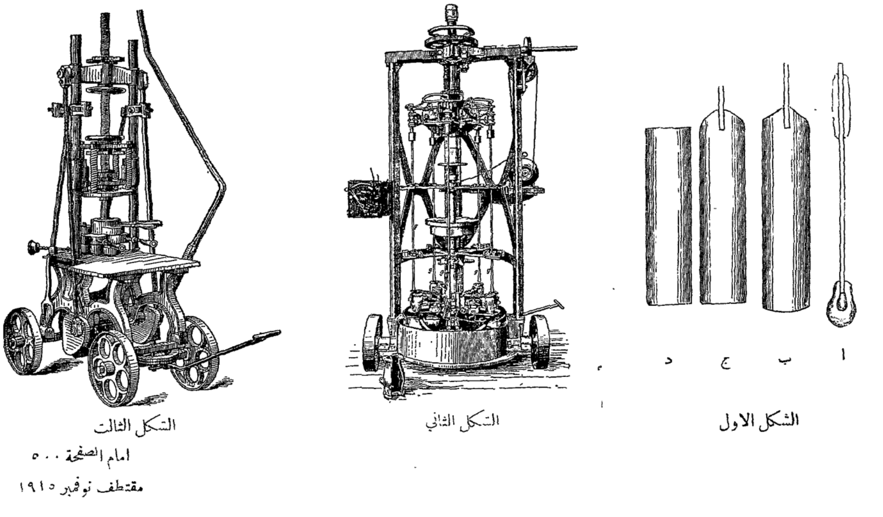
وتصهر مواد الزجاج الآن باشعال الغاز الصناعي او الطبيعي وتكون المواد التي يصنع منها الزجاج موضوعة في بواتق واسعة كالحياض طرف منها شديد الحمو زجاجهُ كالماء في ذوبانهِ والطرف الآخر قليل الحمو حيث تلقى المواد التي يصنع الزجاج منها وبينهما درجات في الحمو ومقدار الانصهار فيتصرف الصناع في اخذ الزجاج منها حسب دواعي الحال. ويوصل الى هذا الحوض بكوًى صغيرة يمدّ الصانع منها انبوبهُ الذي يتناول الزجاج بهِ حتى اذا اجتمع على طرفهِ مقدار كبير او صغير حسب جرم الاناء او اللوح الذي يريد سبكهُ شرع ينفخهُ ويديرهُ بيدهِ فتتكون منهُ اولاً كرة مستطيلة من احد طرفيها كالكمثراة كما ترى فوق الحرف (ا) في الشكل الاول. واذا كان مرادهُ عمل لوح من الالواح التي توضع في الشبابيك واصل النفخ وهو يدير الانبوب ويردهُ الى ما فوق الزجاج المصهور من وقت الى آخر حتى لا يبرد الى ان تتكون منهُ اسطوانة كبيرة كما ترى فوق الحرف (ب) في الشكل الاول ثم يسد الصانع طرف الانبوب بابهامهِ ويحمي اسفل الاسطوانة فتنثقب من هناك بتمدد الهواء فيديرها الصانع بيدهِ فيتسع الثقب ويصير مثل فتحة الاسطوانة كلها. واذا كانت الاسطوانة كبيرة جدًّا يتعذر فتحها على هذه الصورة فيأتي صانع آخر ويمرُّ حول طرفها

الاسفل مقداراً من الزجاج الشديد الحمو فيسهل قصها بالمقراض الذي يقص بهِ الزجاج اللين فتصير كما ترى فوق الحرف (ج) ثم ينزع الانبوب منها بامرار قطعة من الحديد البارد ويقطع طرفها الاعلى بعد ما تبرد باداة محماة من الحديد فتصير كما ترى فوق الحرف (د). ويهذب الطرفان بقطعهما بالماس ثم تشق الاسطوانة على طولها بالماس وتوضع على سطح مستوٍ وتعرَّض لحرارة شديدة الى درجة الحمو فتلين وتبسط على ذلك السطح بقضيب من الفحم فيصير من ذلك لوح مبسوط فيبرَّد رويداً رويداً. هذه هي الطريقة الشائعة لعمل الواح الزجاج ولكن معامل المانيا وبلجكا نجحت في صب الزجاج المصهور من البواتق فيخرج الواحاً ولا سيما اذا كانت الالواح سميكة

وقد كانت الآنية الزجاجيَّة كزجاجات الخمر ونحوها تصنع بالنفخ كلها ولا يزال كثير منها يصنع بالنفخ لانهُ يسهل جعل الزجاج يتخذ اشكالاً مختلفة بنفخهِ وهو مصهور وادارتهِ ولكن يتعذر ان تصنع منهُ زجاجات متساوية تماماً في شكلها وسعتها اذا اقتصر الصناع على النفخ فلا بدَّ من وضعهِ في قوالب ونفخهِ فيها حتى يملأَها تماماً فما يفرغ منهُ في قالب واحد يأتي متماثلاً شكلاً وسعةً وكل قالب يكون مؤلفاً من ثلاثة اجزاء لبدن الزجاجة وجزءين لعنقها فيأخذ واحد مقداراً من الزجاج المصهور على طرف انبوب وينفخهُ قليلاً ويديرهُ على سطح مستوٍ من الحديد او الرخام حتى ينتظم شكلهُ ويسلم الانبوب لآخر فيضع كرة الزجاج التي على طرفهِ في القالب ويضم اجزاء القالب بعضها الى بعض وينفخ في الانبوب بفمهِ او بوصلهِ بآلة فيها هواء منضغط فينفخهُ حتى يملأ القالب فيسلم الانبوب الى آخر يفتح اجزاء القالب ويفصل الانبوب عن الزجاجة بترطيب عنقها ثم يلف قليل من الزجاج حول رأس العنق ويضغط بآلة تسويهِ فيتم عمل الزجاجة وتبرَّد رويداً رويداً

وقد صنعوا الآن آلة ذات قوالب يفرغ فيها الزجاج وتوصل بهِ انابيب يجري الهواء المنضغط فيها فينفخ الزجاج ويمددهُ حتى يملأ القوالب. وترى رسم هذه الآلة في الشكل الثاني وفيها اربعة انابيب عند الحروف g g g g والآلة نفسها تضم اجزاء القوالب وتنفخ الزجاج ثم تفتح اجزاء القوالب وتخرج الزجاجات منها. وعلى هذه الصورة تصنع الزجاجات والاقداح والصحاف والاحواض وما اشبه

اما الواح الزجاج السميكة التي تصنع منها المرايا فلا تصنع بالنفخ كما تقدم بل يصب زجاجها وهو مصهور على مائدة صقيلة مستوية من الحديد وتدار عليهِ اسطوانة ثقيلة تبسطهُ على المائدة بسطاً مستوياً حتى يكون منهُ اللوح المطلوب ويتم ذلك كلهُ الآن بآلات



الشكل الاول

الشكل الثاني

الشكل الثالث

امام الصفحة ٥٠٠

مقتطف نوفمبر ١٩١٥

تخرج الزجاج المصهور ونصبهُ على المائدة وتدير الاسطوانة عليهِ ولا بدَّ من نحت هذا اللوح وصقلهِ بعد ما يبرد

والزجاج السميك الذي عليهِ عروق او اشكال مختلفة يصنع كما تقدم ولكن يكون سطح المائدة او سطح الاسطوانة معرَّقاً بالاشكال والعروق المطلوبة فينطبع شكلها في لوح الزجاج

قلنا سابقاً ان الزجاج الذي يفرغ في القوالب يتشكل سطحهُ بشكل القالب الذي يفرغ فيهِ وقد يراد ان يتشكل الزجاج من الخارج ومن الداخل ايضاً باشكال مخصوصة فلا يكتفى بافراغهِ في قالب ونفخهِ فيهِ بالفم او بالهواء المنضغط بل يفرغ في قالب باطنهُ اجزاءٌ من قالب آخر وقد صنعت لذلك الآلة المرسومة في الشكل الثالث فتصنع آنية الزجاج بالضغط وتأتي جميلة كالبلور الذي تصنع الاشكال عليهِ بالقطع والصقل . و يقال لهذه الآنية نصف بلور وكثيراً ما تسوَّى بعد ما تبرد كما تسوى آنية البلور ولكنها لا تحتاج في تسويتها الاَّ الى صقل قليل لان شكلها يكون قد سُوِّي في القالب



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الفصاحة والبلاغة

ردٌّ

كأن من وظائف صديقي اسعد افندي داغر ان يكون عصا تأديب لي بلغة التوراة او ان يكون الزنجبير لهذا القرد بلغة المثل العامي او « الحديد سطا عليهِ المبردُ » بلغة الشاعر العربي . فكلما عطست عطسة في الادب وجد مجال القول ذا سعة فقال لا مأموراً ولا مأجوراً

تجاولنا على صفحات المقتطف من قبل في زمان وموضوع لا اذكرهما وكان هو البادئ بالعدوان والبادئ اظلم . ولكن ظلم اديب مثلهُ رحمة وعدوانهُ امان و « ضربهُ زبيبٌ وحجارتهُ رمَّان »

قلت انهُ لا يجوز عدّ كلمة نقاخ في البيت المشهور غير فصيحة لانها مقصودة · وازيد قولي هذا بياناً فاكتفي بسؤالين فان كان جواب صديقي عليهما بالايجاب طلقت الكتابة الاّ فيما اسدُّ بهِ الرمق اي انني اهجر الدعابة في الادب ابد العمر وان تكن احلاهُ لمجيئها عفواً واختياراً

(١) هل اذا تناولت ديوان صفي الدين الحلّي وقرأت الابيات التي يقول فيها

انما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيسُ
والحراجيج والشقحيطب والصه قب والعنقفيز والعنتريسُ

الى آخرها تقول ان الحلّي خالف الفصاحة بهذه الابيات او تقول انهُ لم يخالفها لانهُ جاء بها لتقبيح هذه الالفاظ وما اخذ إخذها فهو بذلك مدافع عن الفصاحة لا مفتئت عليها ؟

(٢) هل اذا كنت تدرّس البيان في مدرسة ورددت كلمات مستشزرات ونقاخ وغيرها في خلال شرحك يجوز ان يقال ان كلامك غير فصيح لان فيهِ امثال هذه الكلمات · فانك ان كنت تكررها ففي معرض الطعن عليها

واني احسب حيرتك في كلمة النقاخ هل هي قبيحة باعتبار لفظها ام باعتبار معناها من قبيل تجاهل العارف وهو ما اسميهِ « بالدلع » الادبي · ألست ترى انها واردة في البيت الاول من البيتين المذكورين شاهداً على الاخلال بالفصاحة في اللفظ ؟

هذا فيما يخصّ النقاخ وما جرى مجراها · وقد اصبت في قولك ان موجب النصب في « فيطرب » من شعر شوقي العطف على « ان يغني » لا لوقوعها في جواب طلب محض فان هذا انما يكون بعد « ان » المضمرة وهي ليست مضمرة هنا

اما ان البلاغة تكون بكلام وبلا كلام فاترك الجواب عليهِ للجاحظ · قال في كلامهِ عن الدوالّ الاربع التي تقوم مقام الكلام او البيان ومنها النُّصب ما يأتي :

« اما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والارض وفي كل صامت وناطق وجامد ونامٍ ومقيم وظاعن وزائد وناقص · فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيّ الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان · · · · · قال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت الاسكندر كان امس انطق منهُ اليوم وهو اليوم اوعظ منهُ امس ·

ومتى دلّ الشيء على معنى فقد اخبر عنهُ وان كان صامتاً واشار اليهِ وان كان ساكتاً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ومتفق عليهِ مع افراط الاختلافات »

عجباً للجاحظ كيف يصف الحال بالناطقة ولا لسان و بالمشيرة ولا يدان ؟ . لعلهُ يجوز للجاحظ ما لا يجوز لنا ؟ فاذا قلنا ان البلاغة تكون بلا كلام قيل « بَهْ بَهْ انك لضخم » . قال اليازجيّ ملغزاً بالقمر

لهُ وجهٌ وليس لهُ لسان فيخبرنا و يلزمهُ السكوتُ

لو قرأتَ يا سيدي المجلدات الضخمة عن كبائر الالمان في البلجيك ثم تسنّى لك ان ترى بعض تلك الكبائر بعيني رأسك فاي يكون اوعظ لك وابلغ في نفسك أكلام الكتاب الناطق والمفصح ام تلك الكبائر الصامتة والقائلة بلا لسان . افيقال بعد هذا ان البلاغة لا تكون بلا كلام بل ألا يكون هذا الصمت كلاماً او ما يدرج في الكلام

وبعد هذا وذاك فمن قال ان الكلام يقتصر على النطق باللسان ؟ . جاء في القاموس عن الكلام « قيل هو في اصل اللغة عبارة عن اصوات متتابعة لمعنى مفهوم » . قال المصباح « والكلام في الحقيقة هو المعنى القائم بالنفس لانهُ يقال في نفسي كلام وقال تعالى يقولون في انفسهم . قال الآمدي وجماعة وليس المراد من اطلاق لفظ الكلام الا المعنى القائم بالنفس . . . . وهذه المعاني هي التي يدلّ عليها بالعبارات و ينبّه عليها بالاشارات كقولهِ

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن جعلهُ حقيقة في اللسان فاطلاق اصطلاحيّ ولا مشاحة في الاصطلاح » . اتريد اكثر من هذا ؟ ان جعل الكلام في اللسان اصطلاح . وجعلهُ في القلب هو الحقيقة

ولكن لِمَ نحرم الاجتهاد في هذا الباب اذا صرفنا النظر عن اقوال علماء اللغة والبيان وهي مؤيدة لرأينا فان كان المغنيّ وهو قديديّ في جيش الادب قد جعل للدمع لساناً افلا يجوز لنا نحن امراء البيان و بطانة دولتهِ واصحاب العلَم في جيش الادب ان نسلّ لسان الكلام من قفاهُ والاعدام اسهل من الايجاد فنجعلهُ صامتاً بعد النطق . وما علينا وان كان الاخير زماننا اذا اتينا بما لم تستطعهُ الاوائل (وهي قد استطاعتهُ) من قسمة الكلام الى ناطق وصامت—كلام باللسان اي النطق وكلام بالجنان اي التحدّث في النفس وكلام بالبنان اي الاشارة ؟ على اننا سُبقنا الى هذه القسمة كما تقدم القول فلسنا بمبتدعين ولا بمختلقين

ن . ش

الخمر والنبيذ

حضرة الدكتور العلامة محرر المقتطف الاغر

لا ينكر عليكم ما آتاكم الله من بسطة العلم وسعة الاطلاع على العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها . ولكن الانسان عرضة للخطإ والغلط فيما حذقهُ واتقنهُ فلا غضاضة عليهِ من الخطإ فيما يلمّ بهِ الماماً عند الحاجة الى مراجعة شيء منهُ ولم يكن تلقاهُ عن اهلهِ ولا طلبهُ من اصولهِ ، . وقد اعجبتني كلمة لكم بهذا المعنى فيما رددتم بهِ على محرر مجلة المشرق اليسوعية

وقد اطلعت في باب المراسلة والمناظرة من مقتطف هذا الشهر (اكتوبر) على خطإٍ وقع منكم في مسألة بديهية او ضرورية من ضروريات الشريعة الاسلامية جريتم فيهِ على خطإٍ سابق وهو جزمكم بان علماء المسلمين قد اختلفوا في تحريم شرب الخمر . وللخطإ في هذه المسألة فروع تكرر ورودها في المقتطف ، فاحببت ان ابين لكم الصواب فيها لانهُ لا يحتاج الى وقت طويل ، على كون بيانهِ ضرورياً لا كمالياً

ان تحريم الخمر ثابت بنص القرآن والاحاديث المتفق على صحتها ، وقد اجمع عليهِ المسلمون وقالوا انهُ من المعلوم من الدين بالضرورة فمن انكرهُ وجحدهُ لا يعد مسلماً ، الاَّ ان يكون معذوراً كأن يكون حديث العهد بالاسلام . واراكم استشهدتم الآن على الخلاف في تحريم الخمر بما استشهدتم بهِ في مقتطف سبتمبر سنة ١٨٩٧ من قول ابن الرومي :

أباح العراقي النبيذ وشربهُ وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

ان ابن الرومي لم يرد بقولهِ هذا الاَّ الدعابة والمجون ، فهو يعلم ان الحجازي — وهو الامام الشافعي — إنما قال الشرابان واحد في الحرمة لا في الحل ، ولكنهُ حوّل كلامهُ عن مرادهِ على طريقة اسلوب الحكيم في البديع ، وكلمة « الشرابان واحد » ليست من نص الامام الشافعي فيقال انها تحتمل المعنى الآخر ، فبيتا ابن الرومي من قبيل قول الآخر في المجون :

دع المساجد للعباد تسكنها واذهب بنا حانة الخمار يسقينا
ما قال ربك ويلٌ للاولى سكروا بل قال ربك ويلٌ للمصلينا

فأمثال هذه المسائل لا يؤْخذ فيها بدعابة الفساق من الشعراء وغيرهم وانما تؤْخذ من نصوص الشرع وكلام ائمتهِ ، وقد قلنا انهم اجمعوا على تحريم الخمر . وانما اختلف الفقهاء في النبيذ — وهو نقيع التمر او الزبيب وغيرهما الذي يسميهِ اهل سورية النقوع واهل مصر

الخشاف — اذا اشتد فصار يسكر كثيرهُ فقال جمهور الائمة ان النبيذ كالعصير اذا اشتد واختمر وصار يسكر حرم قليلهُ وكثيرهُ وسمي خمراً . وقال بعض فقهاء العراق انما الخمر من عصير العنب فهو الذي يحرم قليلهُ وكثيرهُ اذا صار مسكراً واما النبيذ فلا يحرم منهُ الاَّ القدر المسكر ، فالخمر محرمة لذاتها والسكر محرم من كل شراب. وترون بسط الخلاف في هذه المسألة مع دلائلهِ في الجزئين الاول والثاني من منار هذه السنة . ومن ادلة الجمهور حديث «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام» رواهُ مسلم في صحيحهِ وابو داود والترمذي عن ابن عمر

كان النبي (ص) والصحابة (رض) يشربون النبيذ — اي النقيع او النقوع — قبل تحريم الخمر وبعدهُ ولا يرون فرقاً بينهُ وبين عصير العنب ، وكانوا يسمون ما اشتد منها وصار يسكر خمراً لا نبيذاً ولا عصيراً ، وانما كانوا يشربونهُ بعد نبذهِ بيوم او يومين الى ثلاثة ، فاذا بدأ فيهِ التغير في هذه المدة كسروهُ بالماء حتى لا يختمر فاذا اشتبهوا فيهِ اراقوهُ . وهذا النبيذ هو الذي فشا شربهُ في العراق وغيرهِ ، وصار بعضهم يتساهل فيهِ فيتركهُ الى ان يشتد ويسكر كثيرهُ . فكان ضعيف الدين يكثر منهُ ويسكر ، واما جمهور المسلمين فكانوا فريقين . الفريق الاكبر يجتنبهُ البتة متى تغير ، والفريق الآخر يشرب القليل منهُ اذا كان يرى رأي الامام ابي حنيفة رحمهُ الله في حل ما لم يسكر منهُ

هذا النبيذ هو الذي كان يشربهُ بعض خلفاء بني العباس وغيرهم لا النبيذ المعروف الآن بمصر وغيرها فان هذا هو الخمر المحرمة بالاجماع التي لم يقل عراقي ولا حجازي بحلّ قليلها ولا كثيرها . ولو كان القاضي يحيي ابن اكثم يشرب هذا النبيذ لما عدّلهُ الامام احمد

ان تسمية اهل هذا العصر الخمرة نبيذاً لا وجه لها في اللغة العربية . فان الكلمة مشتقة من النبذ بمعنى الالقاء والطرح اي نبذ التمر او الزبيب في الماء . فالزبيب يكون منبوذاً والماء منبوذاً فيهِ غيرهُ . ولعلكم ما وقعتم فيما وقعتم فيهِ من الاغلاط في هذه المسألة الاَّ لتوهمكم ان ما كانوا يسمونهُ النبيذ في القرون الاولى هو عين ما يسميهِ الناس النبيذ اليوم

ومن فروع هذه المسألة قولكم في المقتطف الاخير انكم بحثتم في كتب التاريخ والادب ودواوين الشعر فوجدتم ان شرب الخمر كان شائعاً قبل الاسلام وبعدهُ . وانكم بينتم نتيجة هذا البحث في مقتطف سبتمبر ١٨٩٧

الصواب ان شرب الخمر كان كثيراً في بلاد العرب كغيرها قبل الاسلام. ولكنهُ قلَّ بعد الاسلام حتى زال من بعض البلاد الاسلامية او ندر . وقلَّ في غيرها بقدر تأثير الاسلام فيها . ثبت في الآثار الصحيحة والحسنة انهُ لما نزلت آية المائدة في القطع بتحريم

الخمر اراق الناس ما كان عندهم منها في شوارع المدينة حتى كانت تجري كالانهار وبقيت روائحها فيها زمناً طويلاً . ولولا ان الاسلام اقر اهل الذمة على استعمالها لما بقي لها في العالم الاسلامي اثر يذكر في صدر الاسلام

ان ما ترونهُ في مثل كتاب الاغاني ينظر فيهِ من وجوه (١) احدها انهُ لا يصح كلهُ وفي اسانيدهِ كثير من الكذابين (٢) ان الشراب المذكور في تلك الاخبار هو النبيذ في الغالب ولذلك كانوا يشربونهُ بالارطال . وقد علمتم حكمهُ واقسام الناس فيهِ مما تقدم (٣) انكم لو احصيتم عدد الذين نسب اليهم السكر — وهم عدد قليل ممن كانوا يشربون النبيذ — لالفيتموهُ قليلاً جداً . واما الشعر في الخمر فلا يدل على شيء فان اكثر من نظم الشعر طرق باب الخمريات

بل اقول انني بحسب اختباري واطلاعي على احوال العالم الاسلامي لا اعرف بلاداً يكثر فيها شرب الخمر الاَّ مصر وبلاد الترك . فهو قليل في مسلمي سورية حتى انني لم ارَ في طرابلس الشام سكران من المسلمين الاَّ واحداً من باعة الحمص وعبداً اسود كان خادماً لبعض النصارى ولكنني سمعت الناس يتهمون بضعة رجال بشرب الخمر سرًّا . ولا يبعد ان يكون الشاربون اكثر من المتهمين ولكنهم على كل حال قليلون وان كانوا كثروا بعد اعلان الدستور . وقد علمت مما رأيت وسمعت في بلاد الهند انهُ يقل في المسلمين من يشربها . ولم ارَ في المدن الكبرى من مدن الهند التي يكثر فيها المسلمون كدهلي ولكهنئو حانات في الشوارع يعاقر الناس فيها الخمر كما نراهُ في مصر ، ولعل مسلمي الجاوه اشد بعداً عن الخمر من مسلمي الهند لتعصبهم في مذهب الشافعي الذي هو كمذهب مالك وسائر علماء الحجاز في التشديد في ذلك

واخبرني الرحالة السيد محمد بن عقيل ان بعض مسلمي الصين انكر عليهِ في شنغاي شرب الماء الغازي (الغازوزة) توهماً منهم ان كل الاشربة التي تأتي من بلاد الافرنج مسكرة . ولا يزال اهل جزيرة العرب ابعد المسلمين عن شرب الخمر ولاسيما اهل نجد منهم ، فلعل اكثر اهلها لم يروا الخمر باعينهم كما يوجد كثير من اهل بلدنا لم يرَها بل لعلهُ لم يرها منهم الاَّ الذين سافروا الى البلاد التي تشرب فيها جهراً

وقلتم ايضاً في مقتطف هذا الشهر ان حب الغناء والسماع لم يحرمهُ احد . واستشهدتم على ذلك بما يدل على انكم تريدون سماع القيان والمعازف لا مجرد ميل القلب الى ذلك . والصواب ان اكثر العلماء يحرمون سماع القيان الاعلى مالكهنَّ وسماع المعازف الوترية والمزامير على كل احد ، وقد بينا في اول المجلد التاسع من المنار الخلاف في هذه المسألة وادلة

الحاظرين والمبحثين ، وكثرت مراجعة بعض اهل العلم لنا في ذلك كما ترون في منار السنة الماضية . هذا ما تيسر لي كتابتهُ الآن وقد تجاوز في طولهِ ما كنت قدرت فعسى ان يصادف منكم قبولاً محمد رشيد رضا

[المقتطف] اننا نرحّب بكل ما يكتبهُ الاستاذ وقد جاءنا انتقادهُ هذا والمقتطف ماثل للطبع فاوسعنا لهُ صدرهُ وسننشر في الجزء التالي ما يبدو لنا فيهِ

باب التقريظ والانتقاد

شعر عبد الرحمن شكري

اذا كانت العين مرآة النفس فالقلم مرآة ثانية لها . فالاولى تعكس شمائل تلك النفس وتنشر مطاويها للحاضر والثانية تعكسها وتنشرها للغائب . تصفحت الجزء الثالث من ديوان عبد الرحمن شكري فاذا بقلمهِ يعكس لنا مزاجاً سوداويًّا سداهُ غمٌّ ولحمتهُ كأْباء . فهو بكّاء في غرامهِ بكّاء في سرورهِ بكّاء في يوم عيدهِ بكّاء في يوم عرسهِ بكّاء في ضحكهِ ان ضحك . وربما انتحب لجمال الطبيعة كأن الانتحاب عندهُ غزل — بل ربما انتحب في منامهِ انتحابهُ في يقظتهِ . وربما عمد الى التجريد في موتهِ (بعد طول العمر) فانتزع من نفسهِ شخصاً آخر يكون بمكان المؤبن والنادبة فكفانا مؤُونة المؤبنين واغنى نفسهُ من النادبات . الا تراهُ ينعى على الناس اعيادهم حيث يقول

وكلُّ امرىء في العيد بالعيد ناعم وكلُّ محبٍّ ضاحك وسعيدُ
ولكن لي في العيد شجواً وحسرة واني لمن يلتذهُ لحسودُ

وبينا تراهُ واقفاً يناجي الطبيعة ويشبب بها تسمع في طيّ ذلك التشبيب رنة بكاء ونحيب

اذا غنت الاطيار في الايك صدحاً نغنت لاشجان الفؤاد طيورُ
وللريح هبات وللنفس مثلها تغنيّ رُخاءً فيهما ودبورُ
اذا كنت في روض فقلبي طائر يغني على اغصانهِ ويطيرُ
وان كنت فوق البحر فالقلب موجة تسرب في امواجهِ وتسيرُ

واذا مشى في الروض تمثلت لهُ ازهارهُ سوداء فقطف منها ملءَ راحتيهِ وملءَ اعبابهِ

قد جنينا من ازاهير الردى زهرة اليأس وازهار الاسى

زهرة سوداء لا تعدلها زهرة حمراء من زهر الهوى
قد جنينا من ازاهير الشقاء زهرة سوداء من زهر القضاء
تبدل النفس سواداً من ضياء ليس تنمو في رجاء او رخاء
تنفح السمّ اريجاً والبلاء وهي تغذى من زفير و بكاء

وينظم لك قصيدة غرامية يداعب الحبّ فيها ما شاءت المداعبة ولكنك لا تكاد تقرأ بيتاً فيها الاَّ وجدت فيهِ امثالـــ هذه الكلمات « بائس · جرداء · جدبة · اسود داجن · دجي · اعاصر · مجنون ثائر · مقمور وقامر · مقابر · عظمك ناخر · النعي · الموت مراراً وتكراراً » الخ · فلا عجب بعد هذا اذا رأيناهُ ينظم في « شاعر يحتضر »

هذا من حيث مزاجهُ ور بما لا يهمّ احداً غيرهُ · اما شعرهُ فكما رأيت وكما ترى مما ننقل منهُ — معانٍ جديدة مبتكرة في موضوعات جديدة عصرية تحت الفاظ فصيحة · قال في حكمة التجارب :

انضِ عنك الحذار من حدث الده ر فليس الحذار يغني فتيلا
ليس تجديك تجارب المرء لو شب ت لها في الفؤاد داءٌ دخيلا
فأرق فوق نار قلبك ما اسطع ت عزاءً جمًّا وصبراً جميلا
ودع الناس يهذرون بما شا ؤوا فلسنا نخاف قالاً وقيلا
خذ بنصحي فقد حييت كثيراً ولو انّي لم امضِ عمراً طويلا
عشت في كل ساعة ابد الده ر وعالجت نضرة وذبولا
وصحبت الحياة في حالتيها وخبرت القنوط والتأميلا
واعاد الانام قصة من ما ت فكانوا قابيل او هابيلا
فترى الخلق في المطامع اما قاتلا ظالما واما قتيلا

الى ان يقول ويضرب على وترهِ المعهود

ما لهذا الليل البهيم حزين مطرق يبحث الحياة طويلا
سل عيون الظلام انجمهُ الغرّ اما آن حزنهُ ان يزولا
احداداً على الورى يلبس الحا لك من جنحهُ يثل أليلا

وقد كان في غنى عن هذا الإِلّ والاليل · والحقيقة ان الليل والنهار متعاقبان نصف سواد ونصف بياض · اما شاعرنا فيرى العيش كلهُ سواد « ليبلتهُ منوطة بالتناد » او « كأن اول يوم الحشر آخرها » كما قال ابو الطيب

وقال في « طبع الانسان »

سفهاً انظم في وصف الهوى ولقد انظر ما تأتي الامم
من ذنوب مالها من رادع تترك الناس على بؤس وهم
هل لنا من كوكب ذي مرة يصدع الارض اذا ما يصطدم
فيريح الناس من آلامهم ويزيل الشرّ منّا والنهم
يبسط العلم عليهم جلدة بضة الملمس تخفى من نقم
جلدة السخل بها الذئب ارتدى فاذا ما غفل الراعي هجم

وما كان اغناه عن السخل فانها ليست من الشعر في شيء . وربما اغتفر له ذلك في شعره فان اكثره من النوع التعليمي الذي يسميه الانكليز Didactic

ومن الطف شعره قصيدة عنوانها « حلم بالبعث » قال فيها انه حلم بانه ميت والرم حوله وهو بعيد عن الناس واصواتهم مطهر من عيوب العيش

فلا بكاء ولا ضحك ولا امل ولا ضمير ولا ياس ولا ندم
والموت اطهر من خبث الحياة وان راعت مظاهره الاجداث والظلم
حتى بعثت على نفخ الملائك في ابواقهم وتنادت تلكم الرمم
وقام حولي من الاموات زعنفة هوجاء كالسيل جم لجه عرم
فذاك يبحث عن عين له فقدت وتلك تعوزها الاصداغ واللمم
وذاك يمشي على رجل بلا قدم وذاك غضبان لا رجل ولا قدم
ورب غاصب راس ليس صاحبه وصاحب الراس يبكيه ويختصم
جاءت ملائكة باللحم تعرضه ليلبس اللحم من اضلاعنا الوضم
رقدت مستشعراً نوماً لاوهمهم اني عن البعث بي نوم وبي صمم
فاعجلوني وقالوا قم فلا كسل ينجي من البعث ان الله محتكم
قد مت ما مت في خير وفي دعة وقد بعثت فماذا ينفع الندم
استغفر الله من لغو ومن عبث ومن جناية ما يأتي به الكلم

ومن اعجب شعره تسميته حبيبه « صنم » الملاحة وترديده لهذه اللفظة بضع مرات في بضعة وعشرين بيتاً . فلا عجب اذا سمعنا ان ذلك الحبيب تنازل عن سرير الملاحة الذي بوّئه واستعفى من المنصب بعد هذا اللقب

وله قصيدة طويلة اجاد فيها في وصف اخلاق الامة واظهار اماكن النقص فيها .

وغني عن القول انها ليست من الشعر الذي يحبّ بل هي من قبيل « ما كل ما يعلم يقال »
وقدعارض القائل:

هم يحسدوني على موتي فوا أسفي حتى على الموت لا اخلو من الحسد

فقال : هم يحسدوني على عيش فوا أسفي عيشي عليل وصنعي غير مشكور

وعارض بيتي المتنبي المشهورين فقال :

ربّ شعر كالداء مرّ وشعر صادق الفعل ناجع كالدواءْ

منهُ ما يجلب الزمانةُ والسقمُ ومنهُ مستجلب للشفاء

وقد قال المتنبي :

ان بعضاً من القريض هذاءٌ ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ

منهُ ما تجلبُ البراعة والفض لُ ومنهُ ما يجلبُ البرسامُ

والخلاصة ان شعر عبد الرحمن شكري من الشعر الكثير جيدهُ القليل رديئهُ . وعندي انهُ اذا طبع ديوانهُ طبعاً متقناً بالشكل اللازم ونفى منهُ الغزل الذي لا يستحسن اطلاع الصغار عليهِ بنينَ وبناتٍ ولو لم يخرج فيهِ عن حد الادب واللياقة حسن تعليمهُ في المدارس
(ن. ش)

ديوان غصن النقا

من نظم الشيخ رشيد مصوبع اللبناني

صاحب هذا الديوان تعلّق على النظم في صباهُ فنظم كثيراً من القصائد الحسان وقد قصد باريس عروس المدائن منذ عهد غير بعيد ومدح عظماءها مثل المسيو فاليار رئيس الجمهورية الفرنسوية والمسيو بيشون وزير الخارجية سابقاً والمسيو دلكاسه وزير الخارجية المستعفي حديثاً ثم جاء تونس ومدح صاحبها والمغرب الاقصى ومدح سلطانهُ . وقصيدتهُ في مدح المسيو فاليار رئيس الجمهورية من القصائد الحسان وكذا القصيدة التي بعث بها الى اخيهِ وقد قال فيها مودعاً باريس

أُودّعُ يا باريسُ أرضكِ باكياً عليك بجفنٍ ليس بعدكِ باكيا

وان كنتُ افنى في نواكِ صبابةً فانتِ التي ابقيتِ من كانَ فانيا

وان قلتُ شعراً في الفراقِ فانهُ يكون على هذا الفراق مراثيا

أُضيعُ رشادي في مكانٍ سواكِ لو ذكرتُكِ يوماً او خطرتِ ببالیا

وباريسُ لا تُنسى ويلزمُ ذكرُها كأَنَّ اسمَها من مهجتي ولسانيا
فلا تَشمتِ الاعداءُ لا بُدَّ أَنَّها تعودُ كما فارقتُها لي مغانيا
وهل وسعتْني بعدَ باريس بلدةٌ تضيقُ بلادُ الله من بعدها بيا

وقال في مدح باي تونس

ولتعش تونسٌ فما بخست فيـ ـها حقوق العلومِ والادابِ
قد سرى من اميرها في أهاليـ ـها سجايا اميرةُ الانسابِ
لستُ انسى حسناً لها وهو باقٍ في فؤادي وخالدٌ في كتابي
إنَّ خيرَ البلادِ ما تلبسُ الحسـ ـنَ فيُرجَى فيها قضاءُ الطلابِ
هرِمَتْ تونسٌ ولكن كستْها حسناتُ الاميرِ روقَ الشبابِ
نشرَ العلمَ والحضارةَ فيهـا فتبدَّى لهـا نضيرُ إهابِ
وشبابُ الدُّنيا بداعي عمارٍ هرمت دونهُ بداعي الخرابِ
ودواعي العمران علمٌ تلاقى بجميل الاخلاق والآدابِ
كلُّ ارضٍ لا تفتحُ الكتبُ فيها هي ارضٌ مصيرها للذهابِ
للملوك الايام حقٌّ على اهـ ـل القوافي وعصبة الكتّابِ
وأحقُّ الملوك بالمدح مَن يَمـ ـتلكون القلوبَ قبل الرقابِ
مثلُ ذاك المولى محمدٍ النا صرِ من طاب سيرةً كالملابِ
ايها الناصرُ الذي نرتجيـهِ في مصابٍ لنصر كلِّ مصابِ

وقال في مدح باريس

او يمضي حولـــٌ ولستُ ارى با ريس هذا اشدُّ مبتلياتي
كلُّ شعرٍ ما قيل فيكِ شكا وحـ ـشةَ حسنٍ وناح كالثاكلاتِ
انت هذبت لي كلامي فلما قلتُ شعراً اتيتُ بالآياتِ
انتِ انتِ التي بها يُقبسُ المجـ ـدُ وتمشي الايامُ مفتخراتِ
أَنتِ أَنتِ التي بها حيي الفكـ ـرُ واهـدى للعالَمِ المعجزاتِ
قد سباني بنوكِ لفظاً ولا انـ ـسى اشتياقاً للفظهم وقفاتي
نطقوا فالطيور خرَّت من الدو حِ لدى شجو لفظهم ساجداتِ
صدحوا منطقاً ونصدح منهم لغةً تزدري جميع اللغاتِ
هي منهم بلابلٌ وهمُ منـ ـها أراكُ البلابلِ الصادحاتِ



شفاء الجذام

في هاواي وفيلبين من المستعمرات الاميركية كثير من المجذومين عزلوا عن الاصحاء في اماكن وجزر خاصة بهم وبُذل مزيد العناية في تفريج كربتهم ووقف الاطباء المنوطون بهم سعيهم وعملهم على اكتشاف علاج يخفف وطأة الداء عنهم ان لم يستأصل شأفتهُ منهم . وقد جاء في السينتفك اميركان ان فتى وفتاة من اهلي منلاً في فيلبين اصيبا بالجذام من صغرهما فعولجا في مستشفى سان لازارو مدة سنة فزالت منهما جميع اعراض المرض . ولكنهما ابقيا في المستشفى سنتين أخريين لزيادة التثبت من شفائهما فلم تظهر عليهما اعراض جديدة فاطلق سراحهما وسمح لهما بالاختلاط مع الاصحاء . وجاء في السينتفك اميركان ان العلاج الذي كان اشدّ فعلاً من غيره في شفائهما زيت يستخرج من شجرة يكثر وجودها في الهند وتعرف باسم الشولموغرا وهي تنمو ايضاً في بعض انحاء اميركا الجنوبية . وكان زيتها يستعمل من زمان طويل منقياً للدم حتى اكتشف اخيراً فعلهُ الناجع في شفاء الجذام . اما مكتشفو هذا الاكتشاف العظيم فطبيبان اميركيان مقيمان في فيلبين وهما الدكتوران هيزر وجوف يساعدهما طبيب من اهل البلاد

وما كاد خبر هذا الاكتشاف يشيع في فيلبين حتى جُرب العلاج في مصح المجذومين بهاواي فاتت التجربة بالمرام . وعلى هذا الاثر جاء من الهند ان طبيباً انكليزيًّا شفى اربعة من المجذومين بلقاح لم يبح بهِ حتى الآن . واذاع عالم سويسري انهُ يشفي الجذام بالهواء السائل

هذا والذي نعلمهُ ان زيت الشولموغرا استعمل في سورية منذ زمن غير قصير علاجاً للجذام فجاء ببعض الفائدة

علاج البول السكري

قالت مجلة «العلوم الطبية الاميركية» ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية توصل الى صنع علاج يشفي من مرض البول السكري شفاء اكيداً تامًّا . وقد ثبت لرجال المعهد المذكور من التجارب العديدة التي جربت في المصابين بهذه المرض في مستشفيات لايكسيد وكليفلند وجونس هوبكنس في

مدينة بلطيمور بالولايات المتحدة الاميركية ان علاجهم فعال . واهم ما يتألف منهُ هذا العلاج بي كربونات الصودا وقليل من ملح الطعام . وهو يؤخذ جرعات الأ في الاصابات الشديدة فيستعمل حقناً تحت الجلد

وقد قال الدكتور بيجار الطبيب الخصوصي للمستر روكفلر اغنى اغنياء العالم ان اشد الاصابات بالمرض السكري شفيت بهذا العلاج . واذاعت الصحف السياسية والمجلات العلمية خبر هذا الاكتشاف في انكلترا فاهتم بهِ العلماء والاطباء اهتماماً عظيماً جداً واخذوا يذيعون آراءهم فيهِ في الصحف والمجلاّت

عدوى الكتب

شاع وذاع ان الكتب التي تكثر الايدي من تداولها ككتب المكاتب مثلاً كثيراً ما تكون واسطة لنقل المكروبات المرضية من الاعلاء الى الاصحاء . وقدعينت الحكومة الاميركية لجنة لتحقيق هذه المسئلة فاخذت الغبار العالق بكتب مكتبة احدى الجامعات الكبرى وهي جامعة يايل عند تنظيف المكتبة وفحصتهُ فحصاً كيماويّاًفوجدت ان نصفهُ مؤلف من مادة معدنية والنصف الآخر من موادآلية مثل الياف ورق وخشب ولم يوجد فيهِ شيء من المكروبات الحية

جوائز علمية

بين الجوائز العلمية التي وزعتها اكادمي العلوم الفرنسوية هذه السنة جائزة بيارصون بارين منحتها للمسيومور يس دي بروغلي جزاء مباحثهِ في تحويل الغازات الى ايونات وغير ذلك من المباحث المتعلقة بالغازات وصفاتها وقدر هذه الجائزة ٢٠٠ جنيه . ومنحت جائزة ججنر وقدرها ١٥٠ جنيهاً للاستاذ سيزارو البلجيكي جزاء مباحثهِ في التبلور . وجائزة لونشامب وقدرها ١٢٠ جنيهاً للمسيو جادن والمسيو استروك جزاء بحثهما في توزع الزرنيخ والمنغنيس في النبات وماء الشرب العادي والمياه المعدنية

البارود ضدّ الفساد

كان البارود العادي يستعمل منذ زمان طويل بلسماً لجروح الجنود في ميادين القتال . واستعملهُ هنود اميركا الشمالية دواء للسع الحيّات والرعاة في بعض البلاد مرهماً لجروحهم وجروح مواشيهم . وقد ظهر من تجارب احد الاطباء الانكليز ان البارود انجع دواء داخلي في علاج الجروح المسمومة

بعثة علمية نسائية

انتدبت جامعة اكسفورد الانكليزية وجامعة فلادلفيا الاميركية وفداً سافر الى

سيبيريا على نفقتها منذ سنة واربعة اشهر لدرس احوال قبائلها وكان هذا الوفد برآسة المس تسبليكا من اهل بولندا الروسية وقد تخرجت في جامعة فرسوفيا وجامعة اكسفورد . واعضاء الوفد المس كرتيس الانكليزية ووظيفتها مصورة والمس هفيلند وهي من علماء طبائع الطيور والمستر هل الاميركي من علماء طبائع الناس . خرج هذا الوفد من فرسوفيا الى كراسنياك في سيبيريا ثم الى مصب نهر ينيسي فدرسوا طبائع قبيلة تعرف باسم سامو ياد وشتوا بين قبيلة الطنجوس وهي من القبائل الاولية التي لم تمسها الحضارة الروسية . وقضوا الربيع بين قبائل التتر المختلفة وهي اعلى في سلّم الحضارة من القبيلتين المذكورتين . وقد عاد الوفد الى لندن اخيراً ومعهُ كثير من الملابس والاسلحة وادوات الزينة التي لتلك القبائل وستعرض في اوربا واميركا بعد انقضاء الحرب

مقاومة الذباب

ظهر من تجارب كثيرة جرَّبها بعض العلماء الاميركيين لابادة الذباب ان البورق والخربق افعل المواد في قتل بيض الذباب الذي يوجد في الزبل وعلى الاطعمة

الآلات الوقَّادة

اخترع الاميركيون آلة للوقود في وابورات سكك الحديد بدل الوقادين من الناس . وقد اخذت هذه الآلة تحلُّ محلَّ الوقادين شيئاً فشيئاً حتى بلغ عدد الوابورات التي ركبت فيها ١٢٠٠ ومن رأي احد مجلات اميركا الصناعية ان كلَّ وابور قوتهُ ٥٠ الف رطل او يحرق اربعة آلاف رطل فحم فما فوق في الساعة يجب ان تحلَّ الآلة الوقادة فيهِ محل الانسان

التلفون في اميركا

بلغ عدد آلات التلفون في الولايات المتحدة الاميركية ٩٥٤٢٠٠٠ في اول سنة ١٩١٤ . وعددها في اميركا اللاتينية ٢٣٢٨١٦ . والمراد باميركا اللاتينية بلاد اميركا الجنوبية واولها في عدد تلفوناتها جمهورية الارجنتين وفيها ٧٤٢٩٦ تلفوناً . ولكن اولها في نسبة عدد التلفونات الى السكان جمهورية اوروجواي فان لكل مئة من اهلها ١٫٠٥ من التلفون

صيام شهر

صام رجل مالطيّ مدة ٣١ يوماً في معهد كارنيجي بمدينة وشنطن فقيس في خلال تلك المدة جميع ما طرأ من التغير على ثقلهِ وافرازهِ للعرق وحرارتهِ ونبضهِ وضغط دمهِ وتنفسهِ . وكان يعرض للكشف الطبي يوماً بعد يوم ويفحص بولهُ فحصاً كيماوياً

ومكرسكوبيًّا · وكان يقاس ما يفرزهُ في تنفسهِ من اكسيد الكربون الثاني وما يستهلكهُ من الاكسجين و بخار الماء الخارج من جلدهِ ورئتيهِ والحرارة التي اشعها جسمهُ · وقوبل ما بين التغيرات الكيماوية الطارئة على جسمهِ في حالتي النوم واليقظة · فبقيت حالتهُ الطبيعية كما هي تقريباً طول تلك المدة رغم انحطاط قوتهِ انحطاطاً عظيماً وهبوط ثقلهِ من ١٣٣ رطلاً الى ١٠٤ ارطال

ولما افطر ابى ان « يكسر الصفراء » الاَّ بتناول مقدار كبير من الاثمار الحامضة فافضى ذلك الى حدوث اضطراب في امعائهِ واقامتهِ مدة قصيرة في المستشفى

دكتور في الصحة العمومية

تعطي عشر من مدارس اميركا الطبية شهادة دكتور في الصحة العمومية لمن يقضي فيها سنة او سنتين يدرس فرع الصحة العمومية · ولا يشترط على الداخل ان يكون طبيباً بل يجوز ان يكون حاملاً لشهادة البكلوريا في بعض الاحيان

قلم الرصاص

احصى بعضهم ما يصنع من اقلام الرصاص في العالم كل سنة فاذا بهِ الفا مليون منها ٧٥٠ مليوناً تصنع في الولايات المتحدة الاميركية اي ثمانية اقلام وكسور لكل فرد من السكان

وثوب البرغوث

قاس بعضهم قدرة البرغوث العادي على الوثوب فوجد ان معظم طول الوثبة يبلغ ١٣ بوصة ومعظم علوّها ٨ بوصات · والذي حملهم على هذا القياس ما اشتهر من علاقة البراغيث بنقل مكروبات الطاعون الآدمي وغيرهِ · وقد وجد ان وثبة برغوث الجرذ الهندي لا تزيد على ٥ بوصات وان بعض اصناف البراغيث لا تثب البتة

لون السفن الحربية

جرت عادة الدول البحرية ان يصبغن سفنهنَّ التي تعتمد على سرعتها لا على دروعها في مقاومة الاعداء باللون الرمادي الغامق حسبان انهُ اقرب الالوان الى لون ماء البحر فلا ترى السفن الماخرة فيهِ عن بعد او تعسر رؤْيتها · ولكن البحرية الاميركية تجرب غير هذا اللون الآن وتستعين على ذلك بما عرف من تقليد الحيوانات للطبيعة · فان من الحيوانات ما يرى جلدهُ مرقطاً ومنها ما يرى مخططاً طبقاً للمحيط الذي يعيش فيهِ وهذه الرقط وتلك الخطوط تجعل الاهتداء اليهِ عسيراً على طالبيهِ · وقد صورت السينتفك اميركان صورة سفينة اميركية للتوربيد وقد صبغت بخطوط ولطخ ورقط تشبه ما يرى من ذلك على وجه البحر في لونهِ وتموجاتهِ

اكسيد الكربون الثاني ونمو النبات

اثبت الدكتور فشر الالماني ان النباتات التي تزرع في بيوت زجاجية وفي جوّ يكثر فيهِ اكسيد الكربون الثاني تكون اسرع نموًّا وإزهاراً واكثر ثمراً من النباتات العادية . وقد دلَّت تجاربهُ الاخيرة في الطماطم ان ما زرع منهُ تحت الزجاج وفي جوّ من اكسيد الكربون الثاني اخرج ½ ٤ كيلو غرام وما لم يزرع في تلك الاحوال اخرج ½ ٢ كيلو غرام. ولكن ظهر من تجارب عالم الماني آخر ان تعجيل نموّ النبات بمثل هذه الطريقة مضرٌّ ببنيانهِ

الحمام القاطع

مات في حديقة الحيوانات باحدى مدائن اميركا حمامة من النوع البرّي المعروف باسم الحمام القاطع لانها من الطيور القواطع ولها من العمر ٢٩ سنة وهي آخر الحمامات المعروفة من نوعها وكان هذا النوع كثيراً في اميركا منذ عشرين سنة ثم جعل ينقرض بسرعة غريبة حتى لم يبق منهُ الاَّ هذه الحمامة التي ماتت اخيراً

الهرة وارواحها السبعة

تتهم الهرة من بين الحيوانات بتشبثها باهداب الحياة حتى لتصعب اماتتها وحتى قيل انها ذات سبعة ارواح ولكن اذا صحت هذه التهمة على حيّ فعلى القملة لا على الهرة . فهي لا تموت بالتغطيس في الماء ساعات ولا بالتعريض الطويل للبخار الحار او مسحوق الكبريت والكافور او بخار التربنتين واليوكالبتوس . وقد غطست دقيقة في الماء المغلي فتماوتت ثم انتعشت وعادت حيَّة تسعى . ولكن افعل دواء لها البترول فانها تموت هي وصئبانها اذا غطست فيهِ دقيقة واحدة واذا دهن الجسم بهِ وبالفازلين زال كل اثر للقمل فيهِ

امثلة على الغيرية

من احدث الشواهد على الغَيْرية اي بذل النفس في مصلحة الغير ما فعلت ممرضة انكليزية في الميدان الغربي اذ لقحت نفسها بلقاح غنغرينا الغاز مساعدة على اكتشاف انجع دواء لهذا الداء . وقد خرجت من هذه التجربة المحفوفة بالخطر سليمة جزاء غيريتها وايثارها

وليست هذه الفتاة الكريمة باول شاهد على الغيرية في هذا الباب فقد لقح رجل انكليزي نفسهُ بسمّ بعض الامراض الخبيثة فنجا ولكن تجربتهُ هذه لم تفد كثيراً لانهُ بنى عليها نتائج فاسدة . والمشهور في الطب ان مكتشفي علاجات الحمى الصفراء والكولرا والطاعون وحمى التيفويد جربوا علاجاتهم

في انفسهم قبل طرحها على الناس لاستعمالها

نهاية الحرب

بعثت جريدة نيو يورك اميركان الى بعض كبار القواد والمؤلفين وعلماء الاقتصاد السؤال التالي : الى متى تظل هذه الحرب ناشبة قياساً على ما احرزهُ الحلفاء الى آخر السنة الاولى من الحرب واعني بذلك ما ربحوهُ وما استردوهُ وعلى النفقات التي انفقت والحال المالية الحاضرة · فاجابوها بما يلي :

قال السر روبرت بورن : تنتهي الحرب حينما ينتصر الحلفاء

وقال اللورد سيدنهام : يستدل اقتصادياً ان الحرب تستمر ناشبة سنة اخرى ايضاً · واذا لم يطرأ طارئ ليس في الحسبان انتهت الحرب في فصل الخريف او الربيع المقبل

اللورد سويثلن : ارى انهُ مهما يكن من امر التأثير الاقتصادي في الحرب فالاحوال المالية لا تؤثر فيها مباشرة بل التأثير يكون في اميال الامم نفسها

السر جورج ريد : لا يستطيع احد الانبياء بالزمن الذي تضع الحرب فيهِ اوزارها الاَّ اذا كانت معارفهُ كدائرة معارف كبيرة · اما اذا ارغمت على ابداء رأيي ورأيي هو ظن فقط قلت ان الحرب تبدأ بالانتهاء بعد عام من هذا التاريخ

المستر تشسترن : اظن انهُ يحتمل ان تنتهي الحرب في العام المقبل ولكن لا بد لها من الانتهاء ولو دامت الى يوم القيامة

السر جلبرت باركر : ارجح ان الحرب تدوم عاماً آخر او ما يقرب من عام ولكن التنبوء في هذا الشأن مهدد بالنتائج لانهُ لابد ان تجر وراءها اذيالاً طوالاً

المستر سترانشي : ارى انها تنتهي بانتهاء شهر فبراير المقبل ولكنني اعلم انني اكون اقرب الى الصواب اذا قلت انها تنتهي في مثل هذا التاريخ من العام المقبل

المستر دجاروم : تنتهي الحرب حينما تثبط عزائم احد الفريقين المتحاربين وليس قبل ذلك

المستر بولن : وهو من رجال البحرية الطائري الصيت قال : كانت نسبة قوة الحلفاء الى نسبة قوة اعدائهم في نهاية السنة الاولى من الحرب كنسبة ٥ الى ٤ · ولا يأتي عيد الميلاد المقبل (٢٥ دسمبر) حتى تصير النسبة بينهما كنسبة ٦ الى ٤ · وفي مارس سنة ١٩١٦ تكون ٧ الى ٤ وفي يونيو تكون ٨ الى ٤ في الرجال والمدافع والذخيرة وحينما تصير النسبة اعظمَ من ذلك تنتهي الحرب

قالت الجريدة التي كتبت هذه الاجوبة « ان كثيرين من الذين يعتمدون في العوالم على النبوءات المذكورة في التوراة قالوا ان هذه الحرب ستشب نيرانها قبلما دارت رحاها · فان الدكتور جراتان جونيس الذائع الصيت

في علم اللاهوت قال ما يلي : ليس من شأننا ان نقول ان الحرب واقعة لا محالة ولكن ما لا ريب فيهِ ان الذين يعمرون حتى عام ١٩١٧ يرون العالم يمرُّ بزمان لم يذكر التاريخ اشد منهُ ضيقاً واعظم خطراً

وقال لاهوتي آخر مشهور ان احرج الازمنة واشدها ضيقاً وضنكاً يقع بين ابريل سنة ١٩١٤ واكتوبر سنة ١٩١٥ ويكون يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩١٥ انتهاء الحرب (ولم يصدق قولهُ)

ولكن اكثرية الآراء مجمعة على ان عمر هذه الحرب سيكون ثلاث سنوات ونصف سنة »

الثوم من مضادات الفساد

جاء في مجلة اللانست الطبية ان الدكتور كوك والدكتور جبريل من اطباء مستشفى بادنجتون ببلاد الانكليز وجدا لعصير الثوم فائدة كبيرة في معالجة الجروح النارية المتقيحة وانهما قاما باول تجربة من هذا القبيل في الثاني عشر من شهر يوليو الماضي وعالجا بهِ نحو خمسين جرحاً متقيحاً وقد كان بعض هذه الجروح بالغاً فشفيت جميعها شفاء تامًّا

ويظن ان فائدة عصير الثوم قائمة باختراقهِ الانسجة ووصولهِ الى اصل التقيح وامتصاصهِ الالفا من الجروح فتنظف وتلتئم حالاً . ولا يخفى ان معظم المواد المستعملة لمقاومة الفساد لا تخترق الانسجة ويتفق كثيراً في التقيح الشديد ان الحالة تقتضي اتلاف الانسجة للتخلص من المادة ويقال ان عصير الثوم لا يتلف الانسجة مهما طال استعمالهُ

وقد جرى هذان الطبيبان على الطريقة الآتية في استعمالهِ فانهما يغسلان الجرح مرتين في اليوم بمحلول مؤلف من جزء واحد من عصير الثوم واربعة اجزاء من الماء المقطر ثم يضعان عليهِ رفادة رطبة فلا ينقضي يومان حتى يزول التقيح

ولا يخفى ان الثوم من الادوية المعروفة في الطب القديم وهو لا يزال شائعاً عندنا بين الادوية المنزلية فيستعمل من الباطن لتخفيف الحمى والاسهال والكولرا والمغص والدود ومن الظاهر لتحليل الاورام والخراجات ولشفاء القروح وداء الثعلب وقد ذكر ابن البيطار عن اطباء اليونان والعرب انهُ مدر للبول وطارد للريح والدود وانهُ اذا خلط بالملح والزيت ابرأ البثر واذا خلط بالعسل والبورق ابرأ البثور اللبنية (حب الشباب) والقوابي (جمع قوباء) وقروح الرأس والبهق والجرب المتقرح واذا خلط بالجندبادستر وعجنا بالزيت وعمل منهُ ضماد افاد في لسع المقرب — الخ

والثوم قلما يستعمل في الطب الحديث

والمعروف عنهُ انهُ منبه ومدر للبول وطارد للدودة الوحيدة وان فيهِ زيوتاً طيارة وكبريتاً وانهُ اذا طبخ زالت حرافتهُ وخاصية التنبيه التي فيهِ وانهُ اذا استعمل من الظاهر كان منفطاً ومحللاً للاورام

والثوم والبصل والكراث من فصيلة واحدة وجنس واحد ولو اختلفت في النوع والثوم اشدها فعلاً ولاسيما البري منهُ وهذه النباتات جميعها اصلية في مصر والشام والجزائر

النجوم المظلمة

لا ترى النجوم الاَّ بالنور الواصل الينا منها ولا يكون لها نور الاَّ اذا بلغت حرارتها من الاشعاع ما يكفي للتأثير في عيوننا او في آلات التصوير الشمسي . وعليهِ فمن المرجح ان في هذا الفلك الدوار نجوماً كثيرة لا نراها ولا نستطيع تصويرها وقد حسب بعضهم ان هذه النجوم المظلمة اكثر من النجوم المشرقة اضعافاً مضاعفة وابلغها الى اربعة آلاف ضعف النجوم المشرقة

الاكسجين وبخار الماء في جو المريخ

ظهر من المقابلة بين البحث السبكتروسكوبي في جو القمر وجو المريخ ان جو المريخ كثير البخار المائي وان فيهِ من الاكسجين نصف ما في جو الارض

زكائب الرمل الفارغة

ابرمت وزارة الحربية البريطانية عقوداً مع المصانع لتسليمها بضعة ملايين من الزكائب الفارغة كل شهر لاستعمال الجنود في ميدان القتال ولا يخفى ان هذه الزكائب تملأُ رملاً و يرصف بعضها فوق بعض لتكون متاريس تحمي الخنادق

خسارة السفن التجارية في الحرب

يؤْخذ من احصاء لويد السنوي ان السفن الحربية والالغام البحرية اغرقت منذ شبت الحرب الى آخر العام الماضي ٤٣٧ سفينة حمولتها كلها ٣٦٠ ١١٠ طنات منها ١٠١ سفينة بريطانية حمولتها ٢٢٩ ١٧٩ طنًّا و ٤ نمسوية حمولتها ٦٢٨٩ طنًّا و ٧ دنمركية حمولتها ١١٤٠ ١١ طنًّا و ٥ هولندية حمولتها ١١٥٣١ و ٥ فرنسوية حمولتها ١٣٠٩٧ طنًّا و ١٣ المانية حمولتها ٦٧٦٤١ طنًّا و ٨ نروجية حمولتها ١١٩٠٢ طن و٧ روسية حمولتها ٨٢٦٦ طنًّا و ٨ اسوجية حمولتها ٩٨٧٥ طنًّا

وبلغ عدد السفن التي كسرت لبيع خشبها في العام الماضي او لم تعد صالحة للملاحة او غرقت قضاء وقدراً او اغرقتها السفن الحربية والالغام البحرية ٧٦٦ سفينة حمولتها كلها مليون و ٥٥١١٢ طنًّا

فهرس الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد السابع والاربعين

١ دسمبر (كانون اول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢٣ محرم سنة ١٣٣٤

الخمر والنبيذ

اعتذار وايضاح

نشرنا في مقتطف نوفمبر الماضي انتقاد حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار على ما ذكرناهُ في اكتوبر عن الخمر . وقد تناول انتقادهُ اربعة امور حقيقة بالنظر

الاول ان تحريم الخمر ثابت بنص القرآن والاحاديث المتفق على صحتها

والثاني ان النبيذ غير الخمر وهو نقيع التمر او الزبيب وغيرها — الذي يسميهِ اهل سورية النقوع واهل مصر الخشاف — اذا اشتدَّ فصار يسكر كثيرهُ

والثالث ان الشراب الذي كان يشربهُ بعض خلفاء بني العبَّاس والمذكور في مثل كتاب الاغاني هو النبيذ في الغالب

والرابع ان الشعر في الخمر لا يدلُّ على شيء فان اكثر من نظم الشعر طرق باب الخمريات

اما الامر الاول وهو ان الخمر محرَّمة بنص القرآن فلم يغب عنا وقد اشرنا اليهِ في المقالة المسهبة التي كتبناها في تاريخ المسكرات سنة ١٨٩٧ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف حيث قلنا « ولما جاء الشرع الاسلامي حرَّم الخمر مطلقاً لكن العلماء اختلفوا في اطلاق تحريمها (على النبيذ) وقد اشار الى ذلك ابن الرومي » الخ . وكلتا (على النبيذ) ساقطتان من المطبوع ولكن القرينة تدلُّ عليها ولا يستقيم المعنى بغيرها . وقد افضى سقوطها الى خطإٍ صريح في الجزء الماضي حيث قيل ان العلماء مختلفون في تحريم الخمر والحقيقة انهم مختلفون في تحريم النبيذ . وهذا ما نعتذر عنهُ ونشكر حضرة الاستاذ لانهُ نبهنا اليهِ

هذا من حيث الامر الاول وهو فقهي و يجب الوقوف فيهِ عند قول الفقهاء . واما الامور الثلاثة الباقية فالبحث فيها لغوي وكيماوي وتاريخي واجتماعي وهي من مباحثنا وفيها نقول

(١) الفرق بين الخمر والنبيذ — قال لسان العرب « انما سمي (النبيذ) نبيذاً لان الذي يتخذهُ يأخذ تمراً او زبيباً فينبذهُ في وعاء او سقاء (ويصب) عليهِ الماء ويتركهُ حتى يفور فيصير مسكراً . وسواء كان مسكراً او غير مسكر فانهُ يقال لهُ نبيذ ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر » . والفوران يدل على حدوث الاختمار الكحولي لانهُ حادث من تولُّد غاز الحامض الكربونيك . ولا يخفى على دارسي علم الكيمياء ان جراثيم الاختمار تتصل بالسوائل التي فيها سكَّر كعصير العنب ونقيع التمر وتحل دقائق السكر الى كحول (سبيرتو) وغاز الحامض الكربونيك

وكل نقيع فيهِ سكَّر اذا اختمر وفار تولَّد فيهِ كحول مسكر . ولكن مقدار الكحول قد يكون قليلاً فيهِ فلا يسكر من يشرب منهُ كؤُوساً قليلة كما لا يسكر من صب كاساً من الكنياك في جرة من الماء ثم شرب كاساً منها

والفرق الصناعي بين الخمر والنبيذ من هذا القبيل ان نسبة السكر في عصير العنب الى الماء الذي فيهِ محدودة فيكون مقدار الكحول فيهِ محدوداً واما نقيع الحبوب والاثمار فماؤُهُ غير محدود يمكن ان يزاد فيقل الكحول بالنسبة اليهِ ويقل اسكارهُ حتى لا يُشعَر بهِ او يقلَّل الماء الذي يصبُّ عليهِ فيزيد الكحول بالنسبة اليهِ ويزيد اسكارهُ . وسواء كان الشراب عصير عنب او نقيع تمر يمكن ان يغلى حتى تموت جراثيم الاختمار التي فيهِ قبلما تحل سكَّرهُ فيصير دبساً او ما يشبه الدبس

واكثر الاشربة الروحية المسكرة جدًّا لا يستخرج الآن من عصير العنب بل يصنع من سبيرتو الحبوب . فالعرق والكنياك يستخرجان من عصير العنب ويصنعان ايضاً من سبيرتو الحبوب . والروم يستخرج من دبس قصب السكر . والوسكي والجن من الحبوب

وهناك امر آخر يجعل اكثر الانبذة اشد فعلاً من الخمر وذلك ان فيها سمًّا ناقعاً قلما يكون في الخمور وهو المسمَّى بالفرفرال وهو مادة تكون في قشور الحبوب التي تستخرج الانبذة منها

ويظهر مما ذُكر عن النبيذ في الكشَّاف والمحاضرات والعقد الفريد وغيرها انهُ كان شراباً قويهُ يسكر وكثيرهُ يسكر ككل الاشربة الكحولية

نأتي الآن الى الامر الثالث وهو ان الشراب الذي كان يشربهُ بعض خلفاء بني العباس والمذكور في مثل كتاب الاغاني هو النبيذ في الغالب

فنقول ان ما ذكرهُ الاستاذ هنا على فرض صحتهِ لا دليل فيهِ على ان ذلك النبيذ لم يكن مسكراً لاسيما وان النبيذ قد يكون اشد اسكاراً من خمر العنب كما تقدَّم . وما يروى عن

مجالس الشرب والندمان يدل على ان الشاربين كانوا يسكرون وانهم كانوا يقصدون الشرب ليسكروا

الامر الرابع ان الشعر في الخمر لا يدل على شيء

اذا طعنَّا في بعض ما رواهُ الرواة من اخبار الخلفاء والامراء والعلماء بانهُ موضوع وقلنا ان « في اسانيدهِ كثيراً من الكذابين » عسر الطعن في الاشعار بانها موضوعة كلها والشعر ديوان العرب وتاريخهم . وهل يعقل ان نوابغ الشعراء نسبت الاشعار الخمرية اليهم وهم لم ينظموها او نظموا ما نظموهُ ووصفوا الخمر وذكروا طعمها وفعلها وهم لم يروها ولا رأَوا مَن شربها

ولا نخالف حضرة الاستاذ في ان شرب المسكرات قليل الآن في كل البلاد الاسلامية بل هو قليل في مصر بالنسبة الى غيرها من البلدان الاوربية فان اهالي القطر المصري وعددهم ١٢ مليونًا لا يشربون في السنة من المسكرات ما ثمنهُ اكثر من مليوني جنيه واكثرها يشربها الاوربيون النازلون بينهم بينما سكان بريطانيا العظمى وعددهم نحو ٤٥ مليونًا يشربون في السنة من المسكرات ما ثمنهُ ١٦٠ مليونًا من الجنيهات

ثم اذا قابلنا بين الممالك الاوربية من حيث انفاقها على المسكرات وجدنا انها تنفق على نسبة غناها افلا يحتمل ان سكان هذا القطر وكل الممالك العربية كانوا يكثرون من شرب المسكرات حينما كان لهم الثراء الوافر في ايام عزهم . وسواء كانوا يكثرون من شربها او لا يكثرون فان اخبارهم واشعارهم تدل على ان شرب المسكرات كان شائعًا بينهم

ونحن من الذين يكرهون المسكرات على انواعها وينهون عنها ويجاهرون بمضارها ويحثون الناس على هجرها . ولو جُمع ما كتبناهُ في المقتطف وقلناهُ على منابر الخطابة في ذم المسكرات وتبيين مضارها بالادلة العلمية لملأَ مجلداً كبيراً . ولما كان الاطباء يقولون باستعمال الخمور لتسهيل الهضم وتقوية البدن منذ عقدين او ثلاثة كنا نخالفهم ونحاجهم بما نجمعهُ وننشرهُ من الادلة العلمية . وقد عاد الآن كثيرون من اصدقائنا الاطباء الى رأينا . ومع ذلك لا ننكر ان الميل الى شرب المسكرات يسير مع العمران فقد يدلُّ على حداثة دخول المسكرات بين الامم او على غنى الامم وارتقائها كما تزكو الحشائش والحشرات المضرَّة في بلاد دخلتها حديثًا او في ارض كثيرة الخصب

ولتحريم الخمر وكل المسكرات شأن كبير في نفوسنا ونودُّ ان يعمل بهِ جميع الناس مهما كان دينهم وانَّنا نكرر الشكر لحضرة الاستاذ لانهُ نبهنا الى الخطإِ المذكور آنفًا ولانهُ لا يألو جهداً في حث الناس بالكتاب والسنة على نبذ المسكرات

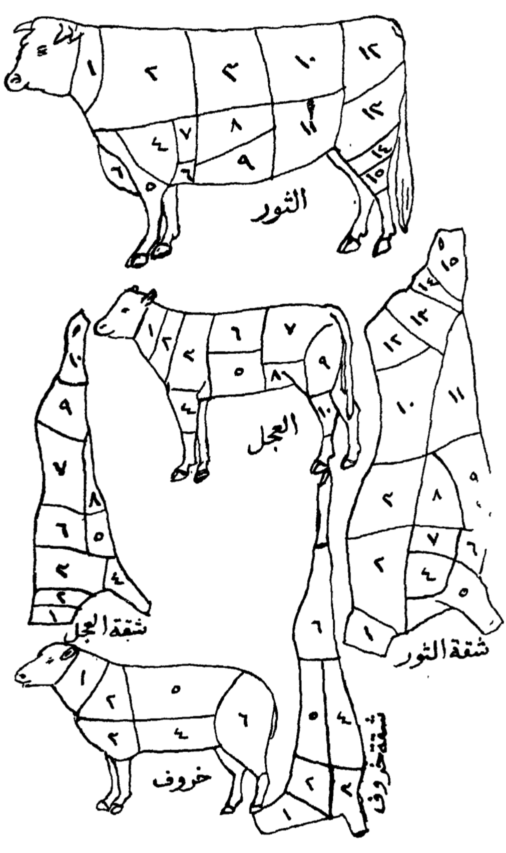
اللحم وما فيهِ من الغذاء

تمهيد

اكَلَ الناس اللحم من قديم الزمان . ومن المحتمل انهم عاشوا على الاثمار والجذور اولاً ثم اتصلوا الى صيد الحيوانات واكلها. و يدلُّ تركيب اسنانهم ومعدهم على انهم من آكلة اللحوم والحبوب والاثمار

ويختلف الناس كثيراً في مقدار اعتمادهم على اللحم في طعامهم. فاهالي الولايات المتحدة الاميركية وعددهم الآن مئة وعشرة ملايين من النفوس يأكلون في السنة من اللحوم ما ثمنهُ ٤٦٠ مليوناً من الجنيهات فكأَن كل واحد منهم يأكل في سنتهِ من اللحم ما ثمنهُ اكثر من اربعة جنيهات . قابلْ ذلك بثمن اللحم الذي يؤكل في القطر المصري سنويًّا فان ما يذبح فيهِ في السنة يبلغ نحو ٧٥٠٠٠٠ رأس من البقر والغنم والمعزى واذا حسبنا متوسط ثمن الواحد منها اربعة جنيهات فثمن كل ما يذبح و يؤكل ثلاثة ملايين من الجنيهات على الاكثر يخص النفس من السكان كلهم ٢٥ غرشاً لا غير في السنة ا.ام اربع مئة غرش تخص النفس في الولايات المتحدة. ومعلوم ان اكثر ما يذبح في القطر المصري يؤكل في المدن فلا يصيب النفس في العزب والكفور في السنة اكثر مما ثمنهُ خمسة غروش او حواليها . والسبب الاكبر لذلك قلة المواشي في القطر المصري وشدَّة الفاقة في الارياف فان عدد البقر فيهِ نحو ٧٠٠٠٠٠ وكذلك عدد الجواميس ولم يحصَ ما فيهِ من الغنم والمعزى ولكنهُ قليل جدًّا اذ ان عدد ما يذبح من الحيوانات كلها يبلغ ٧٥٠٠٠٠ كما تقدم ومن هذه نحو ٤٠٠٠٠٠ رأس كانت ترد من الخارج سنويًّا. فاين ذلك مما في بعض البلدان الزراعية الصناعية من المواشي كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ عدد السكان ايضاً واكتفينا بالملايين

	عدد السكان	عدد البقر	عدد الغنم	عدد الخنازير
الولايات المتحدة	١١٠	٥٨	٥٠	٦٥
المانيا	٠٦٨	٢٢	٠٥	٢٥
بريطانيا	٠٤٦	١٢	٢٨	٠٤
فرنسا	٤٠	١٥	١٦	٠٧
اسبانيا	٠٢	٠٣	١٦	٠٣



مقتطف دسمبر ١٩١٥

امام الصفحة ٥٢٥

لحم الثيران

المعروف عندنا ان مَن يشتري قطعةً من اللحم ليطبخها يختار ما يناسب الطعام الذي يريد طبخهُ بين ان يكونَ مشويًّا او محمَّراً او يخنة او محشوًّا وهلمَّ جرًّا من الوان المآكل المختلفة · وثمن الرطل واحد سواء كان اللحم من الرقبة او الصدر او الظهر او الفخذ او الساعد · لكن الاوربيين يميزون بين هذه القطع في الثمن وعلماء الكيمياء منهم وجدوها مختلفة في ما تحويهِ من المواد المغذية التي تسمَّى بروتين (اكثرهُ في اللحم) والمواد الدهنية والشحمية التي تولّد الحرارة والقوة في جسم من ياكلها · وقد رسمنا في الشكل المقابل صورة ثور وعجل وشقة كاملة من كلٍّ منها ووضعنا لاجزائها المختلفة ارقاماً متناسقة للدلالة عليها في الجدول التالي المستخلص من تحليل العالمين الاميركيين اتووتر و بر ينت ·وهو متوسط تحاليل كثيرة· واقتصرنا على ذكر العناصر في ما يؤْكل من اللحم والدهن بعد طرح ما فيهِ من العظم واكتفينا بذكرمتوسط التحاليل اي لم نذكر السمين وحدهُ والهزيل وحدهُ

القطعة	ما فيها من الماء	من البروتين	من الدهن	الحرارة في الرطل
(١)	٦٦٫٢ في المئة	٢٠٫٧ في المئة	١٢٫٧ في المئة	٨٩٦
(٢)	٦٥٫٠ «	١٩٫٢ «	١٥٫٤ «	٩٧٨
(٣)	٥٧٫٠ «	١٧٫٨ «	٢٤٫٦ «	١٣٣٨
(٤)	٦٨٫٩ «	٢٠٫٠ «	١٠٫٢ «	٧٨٤
(٥)	٧٠٫٣ «	٢١٫٤ «	٠٨٫١ «	٧١٩
(٦)	٥٤٫٦ «	١٥٫٨ «	٢٨٫٥ «	١٤٥٠
(٧)	٥٤٫٩ «	١٥٫٩ «	٢٨٫٢ «	١٤٤٠
(٨)	٥٦٫٣ «	١٦٫٨ «	٢٦٫٩ «	١٣٩٠
(٩)	٦٨٫٦ «	٣٠٫٧ «	٠٠٫٦ «	٠٥٨٢
(١٠)	٦١٫٣ «	١٩٫٠ «	١٩٫١ «	١١٢٥
(١١)	٥٩٫٣ «	١٩٫٦ «	٢١٫١ «	١٢١٧
(١٢)	٦٥٫٧ «	٢٠٫٩ «	١٣٫٧ «	٩٣٨
(١٣)	٦٧٫٨ «	٢٠٫٩ «	١٠٫٦ «	٨١٢
(١٤)	٦٩٫٨ «	٢٠٫٤ «	٠٨٫٦ «	٧٢١
(١٥)	٦٩٫٦ «	٢١٫٧ «	٠٨٫٧ «	٧٤٩

وبين رطل السمين ورطل الهزيل من كل قطعة من هذه القطع فرق في مقدار الماء والدهن والبروتين فالدهن اكثر في السمين منهُ في الهزيل · والماء اكثر في الهزيل منهُ في السمين · والبروتين اكثر في الهزيل منهُ في السمين · فما يزيد في السمين من الدهن ينقص فيهِ من الماء والبروتين لكن الزيادة في الدهن تفوق النقص في البروتين

مثال ذلك القطعة الاولى فانها اذا كانت من ثور هزيل بلغ ماؤُها ٧٠٫١ في المئة من وزنها وبروتينها ٢١٫٤ في المئة ودهنها ٨٫٤ في المئة · واذا كانت من ثور معتدل السمن بلغ ماؤُها ٦٦٫٣ في المئة من وزنها وبروتينها ٢٠٫٧ في المئة ودهنها ١٢٫٧ في المئة فيزيد البروتين في الرطل من الثور الهزيل ٠٫٧ في المئة وينقص دهنهُ ٤٫٣ في المئة فكل الف رطل منهُ تزيد سبعة ارطال من اللحم الهبر وتنقص ٤٣ رطلاً من الدهن · والثلاثة والاربعون رطلاً من الدهن اثمن كثيراً من السبعة الارطال من اللحم كما لا يخفى

كذلك القطعة الثامنة اذا كانت من ثور هزيل كان ماؤُها ٦٩٫١ في المئة من وزنها وبروتينها ٢٢٫٨ في المئة ودهنها ٧٫٧ في المئة واذا كانت من ثور معتدل السمن كان ماؤُها ٥٦٫٣ وبروتينها ١٦٫٨ ودهنها ٢٦٫٩ فتزيد كل الف درهم من الهزيل ٦ دراهم من اللحم وتنقص ١١٢ درهماً من الدهن · وقس على ذلك سائر القطع · ومن ثمَّ تظهر مزية اللحم السمين على الهزيل

وفي الثور عدا ما تقدم من قطع اللحم اجزاء تؤْكل كالدماغ والقلب والكليتين والرئتين والكبد وهاك تفصيل ما فيها من الماء والبروتين والدهن والحرارة كما تشترى

	ماء	بروتين في المئة	دهن في المئة	حرارة في الرطل
الدماغ	٨٠٫٦	٨٫٨	٩٫٣	٥٤٠
القلب	٦٢٫٦	١٦٫٠	٢٠٫٤	١١٢٥
الكليتان	٦٣٫١	١٣٫٧	١٫٩	٣٣٣
الكبد	٦٥٫٦	٢٠٫٢	٣٫١	٣٣٩
الرئتان	٧٩٫٧	١٦٫٤	٣٫٢	٤٣٨
النخاع	٣٫٣	٢٫٢	٩٢٫٨	٣٨٣٠
الحلاوات (البنكرياس)	٧٠٫٩	١٦٫٨	١٢٫١	٨٠٠
الشحم	١٣٫٧	٤٫٧	٨١٫٨	٣٤٢٠
الدهن الصرف	١٣٫٤	٤٫١	٨٢٫١	٣٤٢٥
اللسان	٧٠٫٨	١٨٫٩	٠٩٫٢	٧١٩

فعلى الذين يأكلون لحم الثيران ان يفضلوا السمين على الهزيل وان يختاروا من القطع اقلها ماء واكثرها غذاء اذا كان ثمنها مثل ثمن غيرها

لحم العجول

تقضي شرائع الولايات المتحدة ان لا يذبح العجل وعمرهُ اقل من ثلاثة اسابيع · واهاليها يفضلون لحم الثور على لحم العجل ولاسيما اذا كان العجل صغيراً جداً · وقد اثبت غير واحد ان لحم العجل الصغير عسر الهضم وهو اذا طبخ قسا اكثر مما يقسو لحم الثور ولذلك يشار على المصابين بسوء الهضم ان لا يأكلوهُ · وقد اخذ ديوان الزراعة في اميركا يمتحن لحم الثيران ولحم العجول ليرى ايها اسهل هضماً

ويقطع لحم العجل الى عشر قطع مختلفة كما ترى في الشكل المتقدم وهاك خلاصة ما وجد في كل قطعة منها من الماء والبروتين والدهن وما في الرطل منها من القوة المولدة للحرارة

القطعة	ما فيها من الماء	من البروتين	من الدهن	الحرارة في الرطل
(١)	٧٢٫٦ في المئة	٢٠٫٣ في المئة	٦٫٩	٦٥٠
(٢)	٧٣٫٨ «	١٩٫٧ «	٥٫٨	٥٩٥
(٣)	٧٣٫٤ «	٢٠٫٧ «	٤٫٦	٥٦٣
(٤)	٧٤٫٠ «	٢٠٫٧ «	٥٫٢	٥٨٨
(٥)	٦٨٫٢ «	٢٠٫٣ «	١١٫٠	٨١٧
(٦)	٦٩٫٨ «	٢٠٫٢ «	٩٫٤	٧٥٠
(٧)	٦٩٫٥ «	١٩٫٩ «	١٠٫٠	٧٧٠
(٨)	٦٦٫٩ «	٢٠٫١ «	١٢٫٧	٨٨٤
(٩)	٧١٫٧ «	٢٠٫٧ «	٦٫٧	٦٤٩
(١٠)	٧٤٫٥ «	٢٠٫٧ «	٤٫٦	٥٦٣
القلب	٧٣٫٢ «	١٦٫٨ «	٩٫٦	٦٩٧
الكليتان	٥٧٫٨ «	١٦٫٩ «	٤٫٦	٥٦٨
الكبد	٧٣٫٠ «	١٩٫٠ «	٥٫٣	٥٦١
الرئتان	٧٦٫٨ «	١٧٫١ «	٥٫٠	٥١٤

يظهر من هذا الجدول ان قطع اللحم من بدن العجل متماثلة تقريباً في مقدار ما فيها من الماء والبروتين ولكنها مختلفة في الدهن

الغنم الحملان والكباش

اهالي المشرق يكثرون من اكل لحم الغنم ويقلون من اكل لحم البقر واهالي اوربا واميركا لا يزالون يجرون على خلاف ذلك لكنهم لا يذبحون اناث البقر · وقد بحث العالمان اتووتر وبرينت فيما في قطع لحم الغنم المختلفة من الماء والبروتين والدهن وما في الرطل منها من القوة المولدة للحرارة · وهاك خلاصة بحثهما مع الالتفات الى عدد هذه القطع في الشكل السابق

الحملان

القطعة	ما فيها من الماء	من البروتين	من الدهن	من القوة المولدة للحرارة
(١)	٥٦,٧	١٧,٧	٢٤,٨	١٣٣٤
(٢)	٥٦,٢	١٩,١	٢٣,٦	١٣١٠
(٣)	٥١,٨	١٨,١	٢٩,٧	١٥٤١
(٤) و(٥)	٥٣,١	١٨,٧	٢٨,٣	١٤٩٥
(٦)	٦٣,٩	١٩,٢	١٦,٥	١٠٢٢

الكباش

القطعة	ما فيها من الماء	من البروتين	من الدهن	من القوة المولدة للحرارة
(١)	٥٨,١	١٦,٩	٢٤,٦	١٣١١
(٢)	٤٨,٢	١٤,٦	٣٦,٨	١٧٦٧
(٣)	٦١,٩	١٧,٧	١٩,٩	١١٣٣
(٤)	٤٦,٢	١٥,٢	٣٨,٢	١٨٣٩
(٥)	٥٠,٢	١٦,٠	٣٣,١	١٦٤٢
(٦)	٦٦,٨	١٨,٥	١٨,٠	١٠٧٠
القلب	٦٩,٥	١٦,٩	١٢,٦	٠٨٢١
الكليتان	٧٨,٧	١٦,٥	٠٣,٢	٠٤٣٠
الكبد	٦١,٢	٢٣,١	٠٩,٠	٠٨٧٨
الرئتان	٧٥,٩	٢٠,٢	٠٢,٨	٠٤٨١

وسيأتي الكلام على ما في اللحم من المواد المعدنية وعلى فعل الطبخ بهِ ونحو ذلك مما تلذ معرفتهُ وتفيد

الحرب في الخنادق

رأينا في مجلة بيرصن الانكليزية وصفاً لمناوشة صغيرة في الخنادق مما لا يذكر في البلاغات الرسمية او يشار اليهِ كأنهُ ليس شيئاً كتبهُ شاهد عين فاقتطفنا منهُ ما يأتي للدلالة على ما يعانيهِ الجنود في هذه الحرب الزبون

قال الكاتب نزلت الارطة المسماة «بنجوم الملك» في الخنادق التي ارسلت اليها وكان الوقت ليلاً والظلام دامساً والبرد شديداً والمطر غزيراً ومع ذلك كان رجالها راضين مسرورين كأنهم خرجوا للصيد والقنص لان هذا اول عهدهم بالحرب فانهم قضوا بعض الاسابيع وهم يعملون في حفر الخنادق الخلفية حتى عيل صبرهم وودُّوا ان يؤْمروا بالتقدم الى الخنادق الامامية ليحاربوا فيها فلما جاءَت نوبتهم اتوها راضين جذلين كأنهم مُنحوا منحة سنيةً جزاء صبرهم وطول اناتهم

ولم يستقر بهم المقام حتى جعل ضباطهم الصغار يتفقدون الخنادق التي نزلوها تفقُّد من يعدُّ نفسهُ مسأولاً عمَّا بيدهِ. والضباط الذين فوقهم يظهرون الاهتمام الشديد كأن الشأن شأنهم والمسؤُلية كلها ملقاة عليهم . وقد استحكم القلق والاضطراب من القائد الذي يقود هذه الارطة فاخذ يمعن نظرهُ في خريطة الخنادق ويفرض ان العدو هاجمهُ من هذه الجهة او من تلك ويقدّر ما يجب عملهُ في الحالة الاولى او الثانية ويرسم بالقلم خطوطاً من بنادقهِ الآلية الى النقط الحمراء على الخريطة التي تمثل مواقع الالمان والاسلاك الشائكة التي تحصنوا داخلها وهو يبشُّ تارة ويعبس اخرى وينعم نظرهُ في الاشارات التي رسمها على الخريطة قائد الارطة التي كانت هناك قبلهُ مشيراً بها الى ما قدَّرهُ من مواقع مدافع الالمان. ثم قام وجال في الخنادق كلها خائفاً وحُولها. وحاول ان يخفي عن الضباط الذين تحتهُ ما على وجههِ من امارات القلق ويتظاهر بالبشاشة وطلاقة الوجه فكلمهم مستخفًّا بالامر وكان يهزل معهم احياناً معرباً عن ثقتهِ التامَّة بهم كما رآهم فلالا الثقة بانفسهم. ثم عاد الى مركز القيادة لتلك الارطة وراء الخنادق التي يأتي منها المدد وهو في قبو مزقت القنابل جدران البيت الذي فوقهُ وهدمتهُ . وتعشى مما لديهِ من الطعام المخلوط بالرمل والتراب

وكان رجال الاشارات قد اقيموا عند باب القبو ومعهم تليفوناتهم وخطوطها ممتدة الى الخنادق والى مركز القيادة العامَّة وكان القائد يسمع كل كلمة تقال سواء اتت من الخنادق او من مركز القيادة العامَّة . ولما اتمَّ عشاءهُ سأل الذين في الخنادق الامامية عمَّا عندهم ثم خلع

جزمتهُ وعاد فلبسها واستلقى على فراش من القش كظهر الترس واغمض عينيهِ ومضت ساعة وهو يسمع صوت كل بندقية ومدفع وكل كلمة يتكلم بها رجال الاشارات بالتلفون واخيراً قال في نفسهِ ان الارطة في خنادق لم تهاجَم منذ اسابيع فلا يرجَّح انها تهاجَم الآن وكل ضباطها موثَّمنون كبارهم وصغارهم فيمكن الاعتماد عليهم في التيقظ والدفاع فلا موجب لقلقي وارقي ويجب عليَّ ان انام الآن واستريح

فجلس وخلع جزمتهُ واستلقى على ظهرهِ واغمض عينيهِ ولكنهُ لم ينم بل بقي مستيقظاً الليل كلهُ . نعم انهُ كان يعرف جنودهُ حق المعرفة وهم من المتطوعين وقد علَّمهم ودرَّبهم منذ بداءة التعبئة الى الآن ورآهم اطوع لهُ من بنانهِ لا يشكون من مشقة ولا يحجمون عن متعبة ولكنهم لم يدخلوا معمعة حتى الآن وقد تكون هذه الليلة اول ليلة يذوقون فيها طعم النار ولا يعلم طعمها الاَّ الذي ذاقها . ولقد كان اولئك الجنود على غاية التشوُّق الى الحرب ولكن تشوُّقهم هذا قد يلقي بهم الى التهلكة . وكان يعلم انهم يصبرون على القتال صبر الكرام ويستبسلون في الدفاع عن شرف بلادهم الى ان يقتل آخر رجل منهم ولا يتخلَّون عن شبر من خنادقهم . وكان يثق بهم كما يثق بنفسهِ ولكنهُ هو لم يدخل معمعة حتى الآن ولا هم دخلوها فلم تمتحن بسالتهم كما لم تمتحن بسالتهُ . وكثيراً ما خارت عزائم اناس مثلهُ ومثلهم وقت الشدَّة . وقد اجمع قوَّاد الحرب في كل العصور على عدم الاركان الى الجندي الذي لم يجرَّب . اما هو فقد فعل كل ما يستطيعهُ وسيبين الآن هل احسن صنعاً في ما فعل او اساء

اما الجنود فجلسوا آمنين في خنادقهم غير دارين بما يخامر قلب قائدهم من الظنون والمخاوف ولو دروا بها لازدروها . واقاموا عليهم الحرَّاس وقضوا جانباً كبيراً من وقتهم وهم يوصوصون من فوق المتاريس لعلهم يرون نوراً عند اعدائهم او اشارة تبدو منهم . واوقدوا من المشاعل تلك الليلة ما لا توقدهُ ارطة مثلهم في شهر من الزمان . وكان الالمان مشغولين بمد بعض الاسلاك الشائكة فرأوا تلك المشاعل توقد من وقت الى آخر على غير المعتاد واستغربوها واطلقوا على الارطة بعض البنادق وللحال اسرع رجال الارطة الى متاريسهم وصبوا على خنادق الالمان ناراً حامية وهم لا يرون احداً منهم . فابطل الالمان اطلاق بنادقهم الاَّ نحو عشرة منهم من المشهورين بحسن الرماية فانهم استمروا على اطلاق بنادقهم بين آونة واخرى فاصابوا سبعة من جنود الارطة فقتل منهم واحد وجرح الستة الباقون وللحال امرهم ضباطهم ان يكفوا عن اطلاق الرصاص جزافاً ويستكنُّوا في خنادقهم ونُقل الجرحى الى خيمة الاطباء وراء الخنادق واخذ الذين كانوا على مقربة منهم يحدثون رفاقهم بما رأوا ثم عاد واحد من

الجرحى الى الخنادق بعد ان رُبط جرحهُ وجعل يحدّث رفاقهُ كيف يشعر من اصابتهُ رصاصة وماذا قال لهُ الطبيب وكيف حال رفاقهِ الجرحى ويستعين بالاشارات على ايضاح مرادهِ كأنهُ في مشهد التمثيل . وبينهم ملتفون عليهِ يسمعون حديثهُ امطرت السماء فاسرع الحراس الى متاريسهم وتفرّق الباقون الى مخادعهم لان ما يكفُّ من سقوفها اقل مما تصبُّهُ السماء من المطر . وبات الضباط يطوفون على المتاريس لئلاَّ ينام احد من الحرّاس ودامت الحال على هذا المنوال الى الساعة الرابعة بعد نصف الليل وحينئذٍ خرج بعض الالمان من خنادقهم ليتموا نصب الاسلاك الشائكة وجعلوا ينطرحون على الارض كلما رأوا نوراً بزغ من خنادق الانكليز ويعودون الى عملهم متى طفئ النور وعادت الظلمة . وكانوا يعملون بايديهم متلمسين وعيونهم شاخصة الى حيث خنادق الانكليز

وكانت الارض بين خنادق الالمان وخنادق الانكليز مغطاة باشلاء القتلى واكثرهم من الالمان فاذا نام بينهم عشرون رجلاً او اكثر عسر تمييزهم في ذلك النور الضئيل . واتفق انهُ لما كادوا يتمون عملهم وعاد واحد منهم وصعد على متاريس خنادقهم اضاء الانكليز مشعلاً فوقع نورهُ عليهِ فوقف متردداً بين ان يرمي نفسهُ في الخندق او يعود ادراجهُ لكنهُ فضل العود فوثب وارتمى على الارض امام المتاريس فبان جليًّا بنور المشعل ورآهُ احد الحراس الانكليز فبادرهُ بنار حامية وصرخ باعلى صوتهِ اتوا اتوا . فبادر الجنود كلهم الى بنادقهم ومدافعهم وانطرح الالمان على الارض ولكن اشعة المشاعل وُجهت اليهم حينئذٍ فكشفتهم وانهال الرصاص عليهم فنهضوا وحاولوا الهرب وهم لابسون اردية طويلة فتعثَّروا بها فاصاب رصاص الانكليز ستة او سبعة منهم وارداهم ثم اصاب اثنين او ثلاثة قبلما ساروا خطوتين واصاب غيرهم بعد ذلك وكان الباقون قد نهضوا وحاولوا الهرب وهم يرتطمون بالوحل ويتعثرون باذيالهم ورصاص المكسيم يتبعهم ويشويهم الى ان لم يبقَ منهم احد . وصار الرصاص يصيب متاريس الالمان لانهُ لم يبقَ امامهُ اشخاص يصيبها . ولم يقف الرماة عن الرمي الاَّ لما فرغت خزائن تلك المدافع الآلية من رصاصها ودعت الحال الى وضع خزائن غيرها وقد تمَّ ذلك كلهُ ووقفت البنادق عن اطلاق الرصاص قبلما تمكن المدفعية من تسديد مدافعهم واطلاق القنابل منها لكنهم لم يدعوا تعبهم في تسديدها يذهب سدًى فاطلقوا بعض القنابل منها فوق متاريس الالمان ولما رأوا ان البنادق ابطلت اطلاق الرصاص ابطلوا هم اطلاق القنابل ايضاً وانتظروا اوامر ضباطهم حتى اذا جاءتهم تركوا مدافعهم وعادوا الى مخادعهم والتفُّوا باحرمتهم . ووصل الخبر الى رجال المدافع البعيدة وكانت مسدَّدة على

خنادق الالمان فاصلتها ناراً حامية لكي تري الالمان انها ساهرة يقظة ولم تبطل صب القنا بل عليها الأَّ بعد ما بطلت بنادق الخنادق الامامية ومدافعها · وقد حدث ذلك كلهُ لان جنديًّا من جنود الالمان العاملة وقع عليهِ النور وهو صاعد على متراس قومهِ · اما الجنود النظامية النازلة على يمين هذه الارطة وشمالها فعرفت ان ما حدث انما حدث عن ذعر فلا شأن لهُ فلم تطلق من المدافع الأَّ ما اعتادت اطلاقهُ كل ليلة

وكانت النتيجة ان النجوم اي جنود هذه الارطة شاهدوا القنابل تسير في اقواسها فوق خنادق الالمان وقنابل الالمان تقع في خنادقهم وتنفجر فيها ولكنها لم تكن كثيرة فلم يعبأُوا بها الأَّ بعد ان اصابت نحو اثني عشر رجلاً منهم · والذين يصابون بالقنابل المنفجرة لا يروق منظرهم احداً ولاسيما اذا تمزقت اعضاؤُهم واضطر رفاقهم ان يجمعوا قطعها ويحملوها في زنبيل · وبزغ الفجر وجنود الارطة وقوف في خنادقهم وبنادقهم في ايديهم وهم يرتجفون برداً على رغم ثيابهم الصوفية وارديتهم الكبيرة والرصاص يئنُّ فوق رؤُوسهم والقنابل تتساقط في خنادقهم · والفجر اشد الاوقات ضيقاً على الجندي اذ ينهض ويخرج من دثارهِ فيجد كل شيءٍ حولهُ بارداً رطباً ملطخاً بالوحل والحمأَة · ومهما تكرر ذلك عليهِ يوماً بعد آخر لا يألفهُ ولا تزول كراهتهُ من نفسهِ · وهذه الارطة على ما فيها من الغيرة والحمية ومحبة الجديد كرهت تلك الساعة واستثقلتها وسرَّت لما رأَت ضباطها ينظرون الى ساعاتهم الى ان امروا رجالها بالانصراف فشرعوا للحال يوقدون النار ويغلون الماء لعمل الشاي حتى اذا افطروا عادوا الى الاعمال العادية التي يعملها الجنود في الخنادق وهكذا انتهت الليلة الاولى

واختير الذين يحسنون الرماية لكي يقيموا في المتاريس لازعاج العدو وارهابهِ فجعلوا يطلقون رصاصهم على متاريسهِ وعلى كل منفذ يظنون ان الالمان يمرون وراءهُ · وكان مع كلٍّ منهم نظارة يرقب بها ما امامهُ من الاشجار والانجم والآكام والجدران وكل ما يمكن ان يختبئ رماة الالمان وراءهُ حتى اذا برق بارق من ورائهِ علم ان هناك جنديًّا من رماة الالمان وقد اطلق بندقيتهُ فيسدد هو بندقيتهُ اليهِ ويستمر على اطلاق الرصاص عليهِ الى ان يُقتل او يهجر ذلك المكان · وكان رماة الالمان يفعلون كما يفعل رماة الانكليز فاصابوا من رماة الانكليز اكثر مما اصاب رماة الانكليز منهم إما لانهم امهر في الرماية او لان رماة الانكليز لازموا مواقفهم اكثر مما تقتضيهِ الحكمة

والاعمال في الخنادق مختلفة مثل نزع الماء منها وبناء المخادع فيها واقامة المتاريس عليها واملاء الاكياس بالرمل لسد ما تثغرهُ القنابل منها · فعمل جنود الارطة هذه الاعمال

كلها وقد تعلموا الآن ان لا يرفعوا رؤوسهم ولا يشرفوا من فوق المتاريس ولا يوصوصوا من ثغورها ولا يقيموا في الخنادق التي اهتدت اليها مدفعية الاعداء وجعلتها هدفاً لها بل يلصقوا دائماً بجدار الخندق سواء وقفوا فيه او ساروا . وعرفوا كل الاماكن التي يكثر الخطر فيها فاجتنبوها الا عند الضرورة . وبقي شيء واحد لتمرينهم على الحرب في الخنادق فجاء نحو الظهر وهم ينتظرون غداءهم سمعوا صوتاً كصوت مدفع صغير لا يُعبأ بهِ وبعد لحظة من الزمان سمعوا شيئاً وقع على الوحل خلف الخندق فنظر اليهِ الرجال القريبون منهُ وهم لا يعلمون ما هو وبعد لحظة اخرى سمعوا منهُ صوتاً كالرعد القاصف فاركنوا الى الفرار باسرع ما يمكن لكن بعضهم اصيب بقطع من الحديد والمسامير. فان الذي رُمي وانفجر قنبلة من القنابل المنفجرة رشقهم بها الالمان ولحسن حظهم وقعت بعيدة عنهم فلم يصابوا الا بجروح غير بالغة . ثم سمعوا صوتاً آخر ورأوا قنبلة آخر آتية نحوهم وظن كل واحد منهم انها واقعة عليهِ لا محالة لكنها وقعت امام الخندق ولم تصل اليهِ ولما انفجرت طار منها الى الخندق بعض الشظايا وكثير من التراب فلم تؤْذِ احداً

واذا بقنبلة ثالثة وهذه وقعت وراء الخندق ورابعة وهذه وقعت امامهُ قريبة منهُ ولم يفقه الجنود معنى ذلك فاطمأَنوا بالهم وازدروا هذه القنابل ولكن اطمئنانهم وازدراءهم زالا اذ رأوا بعد لحظة القنبلة الخامسة وقعت داخل الخندق تماماً وانفجرت بصوت صمَّ الآذان وملأَت الهواء بالشظايا والدخان والروائح الخبيثة

ولما رأَى الالمان انهم اصابوا الغرض اخذوا يطلقون القنبلة بعد القنبلة فتقع كلها في الخندق ولم يتركوا قدماً منهُ في ما طولهُ ستمائة قدم الا اوصلوا اليها قنابلهم. وهنا لا ينفع الالتصاق بالجدران ولا الاستلقاء على الارض ولا الدخول الى المخادع المحفورة في جوانب الخنادق ولا سبيل للنجاة الا الغوص في الوحل وقد لا يسلم الغائص

واستغاث قائد الارطة بالمدفعية فاطلقت مدافعها على خنادق الالمان فلم تسكت الهاون الذي كان يرشق هذه القنابل . واستشار القائد الذي فوقهُ عمّا يقولهُ لاسكاتهِ فاشار عليهِ ان يقابلهُ بهاون الخنادق فقال ليس عندي من هذا الماون ولا عندي رجل يعرف ان يستعملهُ فاستغرب القائد الاكبر ذلك وقال لهُ انهُ سيرسل اليهِ هاوناً ورجلاً يعرف استعمالهُ وامرهُ ان يعلّم رجالهُ في المستقبل كيفية استعمالهِ

فاجاب القائد بالسمع والطاعة وقال للقائد الاكبر هذا سافعلهُ حسب امرك ولكن ماذا افعل الآن حتى لا تُستأْصل ارطتي كلها . وبعد قليل وصل اليهِ هاون وكثير من القنابل

التي تطلق بهِ وضابط ليستعملهُ فسرَّني عنهُ وحسب ان ساعة الشدَّة زالت ولكن الضابط قال انهُ لا يعلم كيف تستعمل هواوين الخنادق وانهُ لم يرَها الاَّ منذ اسبوع والذي اراهُ اياها شرح لهُ كيفية استعمالها باللسان ولكنهُ لم يجرّبها امامهُ

وأُتي بالهاون الى الخندق الامامي وجعل ضابطهُ يشكو من رئيس المدفعية قائلاً انهُ ارسلهُ مع آلة لا تصلح للاستعمال في الحرب ولا تقتضي علماً بتسديد المدافع · وكان هذا الهاون انبوباً من الحديد الزهر مسدوداً من احد طرفيهِ منصوباً بين قائمتين مائلاً على زاوية ٤٥ درجة يحشى بصرر صغيرة من البارود ملفوفة بالورق وتزحم بقضيب يشق الورق حتى يخرج البارود منهُ في اسفل الهاون ثم تُدخَل بعدهُ قنبلة من الصفيح كصفائح المربّى مملوءة بمواد منفجرة وقطع من الحديد والمسامير ولها فتيل يوضع فيها قبل اطلاقها ويشعل طرفهُ ثم تطلق · وتظهر على كل ذلك آثار السذاجة حتى كأن هذا الهاون وقنبلتهُ من العاب الاولاد التي لا يخطر على بال عاقل استعمالها في هذه الحرب المشهورة بدقة آلاتها ووضعها على القواعد العلمية · ولما رأى القائد كيفية وضع البارود في الهاون قال هل يحتمل ان تصيب القنبلة شيئاً

فقال الضابط نعم انها تصيب احياناً

فقال القائد فلماذا اذا بعثوا الينا بآلة لا تصلح الاَّ لان توضع في معرض الاسلحة القديمة فقال الضابط ان هذا الهاون من احدث طرز لاطلاق القنابل المنفجرة وقد صنع في دار الصنعة الملكية والقنابل وان كانت من صفائح المربى الاَّ ان استعمالها على هذه الصورة حديث لم يمضِ عليهِ بضعة اشهر وانظر كيف تنفجر · ثم رمى واحدة منها في الطين والفتيل فيها فانفجرت واثارت الطين فوق المتاريس وقال للقائد والذين معهُ تنحوا عني وراء منحنى الخندق وساتبعكم حينما اضع هذه القنبلة في الهاون لئلاَّ تنفجر ههنا فتفعل بنا اكثر ممَّا اودُّ ان تفعل بالالمان

فتوارى القائد والذين معهُ ثم تبعهم الضابط بعد ان اطلق بارود الهاون ورأى الجنود القنبلة تخرج منهُ وتسير نحو خنادق الالمان في خط منحنٍ وهي تدور على نفسها ثم وقعت في خنادق الالمان وحينئذٍ اطل الضابط من فوق المتراس ليرى ما فعلتهُ واذا برصاصتين من رصاص الالمان مرَّتا بجانب اذنيهِ فعاد ادراجهُ وطلب من القائد ان يأمر رجالهُ لكي يكثروا من اطلاق بنادقهم على خنادق الالمان حتى يتمكن هو من مراقبة قنابلهِ من كوة في المتاريس · ولم يكد يضع عينهُ على الكوة حتى سمع صوت هاون الالمان ورأى الدخان يخرج منهُ فقال عرفت اين هو ثم سدَّد هاونهُ وزاد مقدار البارود الذي وضعهُ فيهِ واطلق قنبلة اخرى فكان لانفجارها دوي عظيم اثار التراب من خنادق الالمان كالزوبعة ونظر من الكوَّة واقسم

ان هذا الصوت لا يمكن ان يكون صوت انفجار قنبلتهِ فقط فلا بدَّ من انها اصابت هاون الالمان ونسفت قنابلهُ وقد هان الامر علينا الآن

وابطل الالمان اطلاق القنابل من هاونهم فترجح انهُ اصيب كما قدَّر الضابط اما هو فاستمرَّ على اطلاق القنابل عليهم ساعة زمانية وكانت قنابلهُ تسير جزافًا بعضها يقع في خنادق الالمان وبعضها يتعدَّاها و بعضها يقصر عنها وهو يقول اننا اذا اصبناهم في واحدة من ست فذلك من التوفيق

وكاد جنود الارطة يطيرون فرحًا بفعل هاونهم واسكاتهم لهاون اعدائهم ولكن فرحهم لم يطل لانهم سمعوا طلقين في وقت واحد ورأَوا كرتين سوداوين تسقطان عليهم من الجو ثم توالى سقوط هذه الكرات وكانت تنفجر في خنادقهم و يخرج منها نار ودخان وقطع من الحديد تنتشر في كل مكان منها فجعل ضابط الهاون ينقل هاونهُ من مكان الى آخر لان الالمان اهتدوا الى محلهِ وجعلوهُ هدفًا لهم ولم يكف عن اطلاق القنابل حتى كاد هاونهُ يتمزق الى ان اطلق آخر قنبلة منها

والظاهر ان هواوين الالمان كانت امتن من هاونهِ واجود فاستمروا على اطلاق القنابل منها ساعة اخرى حتى كادوا يخربون خنادق الارطة كلها وما عليها من المتاريس ولما حاول الجنود اصلاح متار يسهم قابلهم الالمان بمدافع مكسم والقنابل الرشاشة

ودامت هذه المعركة ٢٤ ساعة فقتل من الارطة تسعة وجرح ستة وثلاثون ثم أُبدلوا تلك الليلة بغيرهم

و يقال بالاختصار ان النجوم خرجوا من خنادقهم مسرورين بما فعلوا ولو قُتل منهم مَن قتل وهنأَهم قائدهم بما ابدوا من الشجاعة والجلَد · فعادوا الى ساقة الجيش وهم يتوقعون ما تكتب عنهم الجرائد حاسبين انهم صدُّوا هجمات العدو ولا بدَّ ما يوصفوا بالبسالة والمهارة لاسيما وانهم اول الجنود المتطوعة الذين دخلوا حومة الوغى · وقدَّر المتفائلون منهم انهم يرون عمودًا تامًّا في الجرائد في وصف ما فعلوا ورجح المتشائمون انهُ لا يكتب عنهم غير بضعة اسطر ولا يذكر اسم ارطتهم بالذات بل يقال ارطة من المتطوعة

فقال المتفائلون مهما كُتب عنا فاننا نكتب الى اهالينا ونخبرهم اننا نحن الذين اشير اليهم بتلك الكتابة · وجعل الفريقان يتصفحان الجرائد من اولها الى آخرها يومًا بعد يوم و يفتشان عمَّا يقال تحت عنوان شاهد عيان وعنوان البلاغ الرسمي فلم يجدا شيئًا وكل ما ذكر فيها في اليوم الذي حاربت فيهِ هذه الارطة هو الكلمات التالية · « لم يحدث شيء يستحق الذكر في الميدان الغربي »

كيف ندفع اعداءنا عنا

من مقالة للاستاذ هرس الاميركي نشرت في مجلة العلم العام

ما برح الانسان من اول عهدهِ بالوجود الى الآن ينازع البقاء عدداً غفيراً من اعدائهِ الاحياء وغير الاحياء . فقد كان مضطرًّا في العصر الخالي ان يحمي نفسهُ من فواجئ الطبيعة — من حرّ وبرد وعاصفة وبرق وسيل وزلزلة واشباهها . ولا بدّ ان الانسان في عهد بداوتهِ الاولى كان عائشاً في وسط كلهُ مخاوف واهوال فاستذري من الريح والمطر والثلج بالكهوف والاغوار التي لا تزال تضمّ رفاتهِ وعظام الحيوانات التي كان يقتلها استطعاماً للحمها واستدفاء بفرائها

وفي كثير من انحاء الارض بنى اكواخهُ على دعائم وعَمَدٍ فوق الماء عند شواطئ البحيرات فاقتات بالسمك يصيدهُ من تحتهِ واصبح بذلك اكثر امناً على سربهِ في وجه غارات الحيوانات المفترسة . لانهُ انما يحمي منزلهُ من جهة واحدة في حين انهُ مضطرّ على اليابسة ان يحميهُ من جهاتهِ الاربع . وتمكن بمساعدة القوة الكامنة في جهازهِ العصبي من ترقية قوة الركض فيهِ عند الفرار من اعدائهِ فنجّى نفسهُ من مفاجأة جرف الثلج لهُ واجتياح السيل اياهُ وبطش الحيوان المفترس بهِ . وكان في حاجة مع سرعة الفرار الى ان يكون جهازهُ العصبي سريع الشعور بالخطر لينذرهُ بهِ قبل وقوعهِ فيتخذ الحيطة لهُ . فكان اطول الناس عمراً في ذلك الزمان مَن كان اسرع تلبية لنذير الخطر واخفّ قدماً في الانتقال من تحت الجُرُف الهاري والصخر المتداعي واشدّ عدواً في وجه الدب والاسد

وفي ذلك العهد اخترع ادوات واسلحة للهجوم فاطلق سهاماً ذات رؤُوس صوانية على الحيوانات التي خاف اذاها والحيوانات التي اراد اذخارها لطعامهِ في الفصول التي يقل فيها الصيد . فكان احسن الناس حالاً من كان اكثر اصابة في رمي حجرهِ او سهمهِ . وبذلك كانت سرعة التلبية وحسن الرماية في عهد الانسان الاول — وهما من قوى الجهاز العصبي — واسطتين لاتقاء الاعداء واذخار الزاد

وعليهِ ترى ان اول خط للدفاع نظمهُ الانسان كان عصبيًّا او عقليًّا . فان جدودنا تمكنوا في الارض بقوى الجهاز العصبي مثل السرعة والاصابة وتلاؤُم الحركات المختلفة وهي لا تزال في المكان الاول حتى الآن . فان اسرع الناس وثوباً الآن من طريق فرس جامح هو الذي ينجو بنفسهِ منهُ . والشيخ المسنّ الذي كلّت عزماتهُ وتثاقلت حركاتهُ لا يستطيع الاسراع

للفرار من طريق مركبة اهاب الحوذي بفرسيها فسار العَنَق فتدوسهُ لذلك سنابكها ·
والصيادون الذين هم اسرع من غيرهم الى الحيدان عن سبيل الحوت بعد اثخانهِ
بالجراح هم الذين يبلغون بزورقهم سفينتهم سالمين · واسرع الناس الى القاء الجمرة من
يدهِ اقلّهم احتراقاً

على انهُ وان كان الاسراع في التلبية (وهو ما نسميهِ ايضاً قصر الوقت لردّ الفعل)
قلّما يساعد على حفظ الحياة وانقاذها من الخطر في هذا الزمان فهو يساعد على نجاح الاعمال
بلا ريب ·فان السريع الى الشعور بالخطر قبل وقوعهِ والى العمل لدرئهِ لهُ مزية على جارهِ
البطيء في الشعور والعمل · وظاهر ان الانسان بترقية قوة الادراك فيهِ — وهي من قوى
الجهاز العصبي — قهر الطبيعة حية وميتة وتعلّم كيف يستخدم قواتها حتى اشدّها عداوة لهُ في
سبيل راحتهِ ورفاههِ

رأيت ممّا تقدم ان خط دفاعنا الاول عقليّ وان عاملي الوقت والدقة جوهريان فيهِ ·
لكنّ لنا اعداء اوسع حيلة واكثر ظهوراً واصعب مراساً من الصاعقة والاسد والدب
والسمك الرعّاد · وهي الافاعي والعقارب والحشرات السامة التي لاعداد لها وهي دائمة الاهبة
لنفث سمومها في اجسامنا · وقد عرف الانسان ان المواد القلوية تبطل فعل سمّها ووفق في
الزمان الاخير الى اصطناع ترياق لسمّ الافعى

ونحن نعالج العوادي والآفات الكيماوية بوسائل كيماوية · ولكن مصادر هذه العوادي
والآفات كلها لا تعدّ شيئاً في جنب الاخطار والاضرار التي هي خارج دائرة مشاعرنا
وادراك حواسنا · فحولنا وحول سائر الاحياء مثلنا حييويات حلَمية دأبها السطو علينا
والتطفل على موائد اجسامنا · وكأن بين نواميس الاحياء ناموساً فحواهُ ان لكلّ حيّ
حيواناً كان ام نباتاً صنفاً من الحلَم خاصّاً بهِ · فللبطاطس حلَم · وللكرْم حلَمٌ ولغيرهما غيرهما ·
والحيوانات الدنيا آفة حيوانات اعلى منها · وهذه آفة حيوانات اخرى اعلى منها وهكذا الى
اعلى درجة في سلّم الخليقة · فالنباتات الفطرية تسطو على النبات والحيوان بالسواء · ومن
الحيوان ما يسطو على النبات · فالخنافس والعثّ تأكل الجذور وبراعم الازهار · والمن يتلف
الورد · وغيرهُ يلتهم البطاطس · والعفص آفة السنديان

قلنا ان النباتات الفطرية تسطو على الحيوان والنبات على السواء فالسمك لهُ حمّهُ ·
والدجاج لها كوليراها · والخنازير حمّاها · والمواشي طاعونها وجمرتها الخبيثة · والخيل
سقاوتها · ثم ان من الحيوان ما يسطو على الحيوان · ففي امعاء الكلاب والقطط والخنازير

والخيل وغيرها حتى الناس دوَد مضرٌّ بها . وهذه هي القاعدة في جميع الخليقة لا الشذوذ . بل ان هناك ادلة تدلُّ على ان الطبيعة قضت بان يكون حيوانها ونباتها بين ساطٍ ومسطوٍّ عليهِ بدليل ان الدود الذي يسكن امعاء الخيل مجهزٌ بترياق يمنع السوائل الهاضمة التي تفرزها الامعاء من هضمهِ . فطريقة الطبيعة هي هجوم ودفاع دائمان وفعل وردٌّ فعل لا ينقطعان . فلا راحة ولا عزلة بل لا بدَّ ان نهاجمَ ونستهدف للغزاة وندافع ابد الدهر

ومن النبات والحيوان ما يلجأُ الى التقليد والمحاكاة في الدفاع عن نفسهِ . فالقرَّاص غير السامّ يقلّد جارهُ السامّ فتجتنبهُ الحيوانات كما تجتنب الآخر . وبعض الحشرات يقلّد ورق الشجر الذابل والميت ويقلّد العسالج والاغصان فلا يلتهمها الطير الآكل للحشرات

ولكن معظم الاعداء التي يكافحها الانسان احيل من دود الامعاء او البعوض او النباتات الفطرية التي مرَّ الكلام عليها . فان في الهواء ربوات وملايين من المكروبات التي تعوم لشدة خفتها في حين ان ذرَّات الهباء المنثور تغوص وترسب فيهِ . وهي صغيرة الى حدّ ان ملايين منها تسكن نقطة ماء . وكثيرة الى حدّ ان يفوتها الحصر ويخطئها العدُّ . ولقد كانت وفيات حرب البوير تكون شيئاً غير مذكور لو لم يجد الانكليز امامهم سوى بنادق موزر . فان مكروبات الحمّى التيفويدية كانت اشدّ فتكاً بكثير من جميع مدافع البوير وبنادقهم

والمشهور الآن ان تسعة اعشار الامراض المعروفة لها مصدر او سبب طبيعي يرجع الى مكروب خاص مستطيل الشكل او مستديرهِ . نعم ان من الامراض ما سببهُ احياء اخرى مكرسكوبية من نوع الحيوان كالملاريا والحمّى الصفراء والدوسنطاريا ومرض النوم ولكن معظم الامراض سببهُ مكروبات نباتية . فقد ثبت بالامتحان ان سبب الدفثيريا والحمى التيفويدية والكولرا والطاعون والسل وذات الرئة والانفلونزا والروماتزم والزكام العادي وشلل الاطفال مكروبات لا تحصى تغير على اجسام الناس وهي اما مستطيلة او مستديرة

على انهُ ليس كلّ مكروب من حملة الامراض بل ان كثيراً من المكروبات لا ضرر منهُ البتة ولا همَّ لهُ الاَّ تطهير الارض من الجثث الميتة ببثّ جيوش الاختمار فيها حتى تحلها وتردها الى عناصر ومركبات غير ضارَّة . وهذا الصنف غير الضار لا نبحث فيهِ بل نحصر بحثنا في المكروبات المعادية لنا لنرى كيف نحمي اجسامنا منها وكيف نتقي سمها

للاجسام ثلاث طرق رئيسة في درء المكروبات : الاولى الطريقة الطبيعية . والثانية الحيوية او البروتوبلازمية . والثالثة الكيماوية

الطبيعية

ان استحكامات الجسم الطبيعية الخارجية او خط دفاعه الاول مؤلفة من البشرة واغشيتها المخاطية وبعبارة اخرى من طبقة الجلد القرنية والطبقة المخاطية التي تحتها وكلتاهما لا تنفذهُ المكروبات . فكأن الجسم سفينة مدرّعة وطبقة الجلد القرنية درعهُ . فاذا ثقبت الدرع لسبب من الاسباب كأن يكون ذلك السبب خدشاً او جرحاً او وخزة او غيرها بات دخول الاعداء ممكناً بل مرجحاً . وقد لا تكون تلك الثقوب او النوافذ مما يرى بالعين ولكن ذلك لا يمنع المكروب من دخولها . ولا يستطيع المكروب مهاجمة مينا الاسنان مواجهة لان المينا اصلب المواد التي يتركب الجسم منها فلذلك يحتال عليها ويأخذها مجانبة فيدخل الاسنان من تحتها ويفتتها بسهولة

ومن الاستحكامات الطبيعية البَلَل . فان الاغشية المخاطية المبلّلة التي في الانف والحلق والرئتين تمسك ذرات الغبار والمكروبات الداخلة فتلتصق بها لان البلل للمكروبات بمثابة سجن لها فلا تستطيع اتيان شيء من التدمير والتخريب الا وهي جافّة . ثم ان الاغشية المخاطية المذكورة مغطاة باهداب وهذا يفضي بنا الى الطريقة الثانية اي

الحيوية

فالاهداب اجسام شعرية نامية على الخلايا التي تبطّن مجاري التنفس وهي في حركة دائمة وسط المادة المخاطية التي تغطيها فتدفع تلك المادة والغبار العائم عليها نحو فتحة الفم والانف . وبهذه الواسطة تطرد المكروبات التي في المادة المخاطية الى خارج الجسم . ولهذا السبب يجب حرق اللعاب والمخاط الحاويين للمكروبات المرضية وعدم تركها يجفّان ويطلقان ما هو عالق بهما من المكروبات لتعيث في الناس فساداً . والمعروف ان هذه الاهداب تفقد من غشاء الشعب المخاطي في الاصابات المزمنة فيخرم واسطة لا غنى له عنها في صدّ غارات المكروبات

واهمّ الاسلحة الحيوية في محاربة اعداء الجسم غير المنظورة كريات الدم البيضاء . فانها شديدة الاحساس بوجود المكروبات ومفرزاتها فلا تكاد المكروبات تدخل الجسم حتى تخرج الكريات البيضاء من الاوعية الشعرية فتصمد للمكروبات وتصليها القتال مواجهة وتلتهمها جملة وتهضمها . فاذا لم تكن المكروبات شديدة السمّ بقيت الكريات حية والاّ فاذا كان سمها زعافاً فان الكريات تموت وجثثها هي ما يسمّى بالمدّة او القيح او الصديد

وهذه الكريات البيضاء تكون شديدة الفتك او ضعيفتهُ تبعاً لحالها من قوة او ضعف. فكلُّ ما يبسط النفس ويشرح الصدر يقويها وكلّ ما يغمّ النفس ويضيق الخلق يضعفها . فهي والحالة هذه خطّ الدفاع الثاني او جنود الجيش المدافع . فاذا أُخذت الاستحكامات الطبيعية الخارجية واخترقتها صفوف المهاجمين تولت هذه الكريات الدفاع عن قلعة الجسم الانساني بهجوم تقدم عليهِ وحرب عوانٍ تصليها جموع الغزاة

الكيماوية

بقيت الطريقة الثالثة وهي قدرة خلايا الجسم على اصطناع مواد كيماوية تبطل فعل سموم المكروبات وتكون ترياقاً لها . فان هذه السموم تهيج انسجة الجسم او خلاياهُ فتفرز مادة كيماوية تتحد بها وتبطل فعلها . فاذا فاز الجسم بعملهِ هذا شفي والاَّ بقي سقيماً وربما آل بهِ الامر الى الموت

فافراز الجسم المصاب لهذه المادة عمل كيماويّ او دفاع كيماوي امام هجوم كيماوي . فاذا كانت خلايا الجسم تستطيع افراز قدر كافٍ من هذا المصل لابطال تأثير السمّ كلهِ لا بعضهِ شفي الجسم تمام الشفاء وحصل فوق ذلك على مناعة تقيهِ من هذا المكروب في المستقبل وتبقى فيهِ زمناً طويلاً . ذلك لان معامل خلايا الجسم تصنع من المصل مقداراً اكثر مما يلزم لابطال فعل السمّ الذي دخلها . فلهذا السبب تجد المجدور الذي نقه من الجدريّ لا يصاب بها مرة اخرى . واذا اصيب بها ثانيةً فبعد مرور وقتٍ طويل على الاصابة الاولى

وقد توسل الانسان بهذه المناعة الطبيعية الكيماوية الى الحصول على مناعة صناعية . فانهُ اذا شفي مصاب بالدفثيريا فلأَن خلايا جسمهِ افرزت من المصل المضاد لسمّ الدفثيريا ما يكفي لابطال فعل ذلك السمّ . فظاهر من هذا انهُ اذا امكنهُ الحصول على مصل مثل هذا كان ذلك سبباً في ابطال فعل الدفثيريا باوفر سرعة. فيعمد لذلك الى فرس اصيب بالدفثيريا وشفي منها ولكن دمهُ لا يزال مثقلاً بالمصل المضاد لها فيستنزف شيئاً من دمهِ ثم يحقن ولداً مصاباً بالدفثيريا بشيءٍ من ذلك الدم فيشفى منها او يحقن ولداً آخر غير مصاب بها فيمتنع عليها ويوقى منها . وهذا ما نسميهِ بالمناعة الصناعية

وعليهِ ترى ان المناعة على ثلاثة انواع : الاول المناعة الطبيعية . والثاني المناعة المكتسبة من الاصابة بالامراض والشفاء منها . والثالث المناعة المكتسبة بالصناعة او التلقيح وهي الصناعية . وهذه الانواع الثلاثة وسائل كيماوية للدفاع

ومن هذه الوسائل وجود حامض في العصارة المعدية هو الحامض الهيدروكلوريك . والمعروف ان وجود كمية ملائمة منهُ في المعدة يمنع العدوى بطريق القناة الهضمية في الغالب . فقد عرف كاتب هذه السطور ضابطاً اصيب بالكولرا وشفي منها فسأله « ألم تخف عند ما اصبت بها » . قال « لا لاني كنت اعلم ان عمل الهضم في معدتي وامعائي جارٍ على تمام المرام بلا اضطراب ولا خلل »

هذا فيما يخص اعداءنا الخارجية . ولكن اعداء الانسان اهل بيتهِ وهذه الحكمة صحيحة بالمعنى الطبيعي وغير الطبيعي معاً . فان اجسامنا معرَّضة لغارات كيماوية من الداخل سواء كانت الغارات عن يد مكروبات تقطن اعضاءنا الداخلية او عن يد سموم ناشئة عن سوء هضم الطعام . فقد يحلوي الطعام على سموم عند اكلنا اياهُ وهي المعروفة باسم « بتوماين » . او قد تتولد منهُ سموم بسبب سوء الهضم . وامر جميع هذه السموم الهضمية موكول الى الكبد وهي غدة كبيرة موضوعة بحيث يمرُّ بها جميع الدم الآتي من اعضاء امتصاص الطعام في طريقهِ الى القلب فتبذل جهدها في اصلاح السمّ الذي يأتيها من الامعاء . ففي بعض الحالات تستبقيهِ مدة ثم تقذفهُ بصورة اخرى . وفي حالات اخرى تحوّلهُ مادة لا ضرر منها ثم تطلق سراحهُ في الدورة الدموية فتنقي الكليتان الدم منهُ . وهذا يفسّر لنا كيف ان الجسم يسمّ اذا اختلّت الكبد . فانهُ اذا كانت الكبد مختلة مرّ الدم بها من غير ان تنزع سمومهُ منهُ فيسم الجسم كلهُ . ومن اعراض هذا السمّ الصداع والشعور بانقباض الصدر . وقد يكون الدفاع الكيماوي في بعض الاشخاص ضعيفاً حتى يكاد الصداع يتولاهم على الدوام . ومن الناس من يتولاهم الصداع النصفي وبين هؤلاء كثيرون من مشاهير اهل العلم والادب مثل هولر واميل دي بواريمون وجورج اليوت (الكاتبة الانكليزية) والسر جمس سمبسون

وخلاصة القول انهُ اذا عرف الانسان اعداء جسمهِ الخارجية والداخلية سواء كانت تلك الاعداء مكروبات او سموماً متولدة فيهِ وعرف كيف يتقيها ويتخذ الحيطة لها أمن الوقوع في مخالب الامراض وعاش صحيحاً معافى حقبة العمر وفني فناء طبيعياً اي انهُ يموت من غير ان يطرأ على جسمهِ طارئ يوقع الخلل فيهِ ويصرم حبل اجلهِ بل بانحلال قواهُ انحلالاً تدريجياً تكون آخرتهُ الطبيعية فيهِ اقرب الى الراحة بعد التعب والمنام بعد اليقظة منها الى الداهية الدهماء التي تعوّد الانسان ان يحسبها والموت سيين

صنفان من التربية [1]

مقابلة بين التربية الالمانية والانكليزية

لا ينكر ان الحرب الحالية ستغير شؤون نوع الانسان وسيكون لها الحكم الفصل فيما نحسبهُ غاية الانسان في هذه الحياة وما يرمي اليهِ وما يعدهُ عين الكمال. ولم يعلم ما هو حكمها حتى الآن ولكن يجدر بنا ان نحاول معرفتهُ من الآن

ان في مقدمة ما نتوخاهُ الغايات التي يرمي التعليم والتربية اليها. فما يكون حكم الحرب في اساليب التعليم والتربية التي نجري عليها الآن هل يحكم انها صالحة لحياة الانسان منطبقة على ما يرمي اليهِ ويعدهُ عين الكمال. فان الذين يقولون ان الغرض منها تقوية الانسان واظهار مكنونات طبعهِ يودّ يبدون ذلك ويقولون ايضاً ان غرض التعليم والتربية هو اظهار ما تكنهُ النفس وما ينطوي عليهِ جسم الانسان حتى يعرف المتعلم نفسهُ حينما يصير حرًّا ليعيش حسب مقتضى طبعهِ او حسب مشيئة من يتسلط عليهِ. وهناك فئة تنكران من عمل المعلم الاهتمام بنمو جسم المتعلم ولقول ان مهمتهُ الوحيدة تعليم الصغير وتثقيف عقلهِ ولكنها تعترف بانهُ اذا حصر المعلم همهُ في ذلك ولم يطلع الفتى على مقتضيات جسمهِ بل تركهُ جاهلاً الى ان يبلغ اشدهُ في الثامنة عشرة او العشرين فانهُ يقع حينئذٍ في شرك الردى

ان النظام التعليمي في الامم يجب ان يكون مطابقاً لنظام معيشتها. ويجب ان يكون على رأس النظامين مبدأ واحد متسلط عليها ونصب عينها غاية واحدة يطمحان اليها. وهذا قلما يكون. وليس في عصرنا الحاضر سوى امة واحدة اقتدت بسبارطه القديمة وطابقت بين نظام عيشتها ونظام تربيتها وهذه الامة هي الامة الالمانية. فان نظام التعليم والتربية في المانيا هو ما يجب ان يكون على الدوام اي عمل يدوم مدى العمر بلا فترة ولا انقطاع. ذلك ان الحكومة تراقب الفرد مراقبة دائمة لا تختلف عن مراقبة المعلم لتلميذهِ في المدرسة الاّ في درجتها. فمن يوم ولادتهِ الى ان يبلغ اشدهُ يوضع الرسن في رأسهِ ثم يخفف الضغط عنهُ الاّ في سني خدمتهِ العسكرية ولكن الرسن يبقى في رأسهِ حتى يوم موتهِ. وهذا هو السبب في كون الامة الالمانية قوية من بعض الوجوه الى حدّ انها لا تقاوَم

ولكن الجماعات كالافراد لها عيوب وفيها نقائص. فان وضعك نفسك تحت حكم قانون معلوم يختلف عن امتلاكك قانوناً يستحقّ ان تخضع لهُ. وشتان بين الامرين فان نظام

(١) من مقالة للمستر هومز الذي كان اكبر مفتشي المدارس الابتدائية في انكلترا .

التعليم الذي اتخذتهُ المانيا اساساً لعيشتها لا يختلف في جوهرهِ عن سائر النظامات . ففي جميع العالم الذي نصفهُ بالمتمدن نظام للتعليم متبع من عهد بعيد وقوامهُ ما يأتي: من جانب المعلّم تأديب الزامي* وتعليم لا يحتمل الجدل والنقض والاخذ والرد . ومن جانب التلميذ طاعة عمياء والعمل بما يؤمر . وترانا نحسب هذه الظواهر اموراً لا بدّ منها وانها متأصلة في طبيعة التعليم لا مجال فيها للمؤاخذة والانتقاد . ولكن جميع الامم المتمدنة ما عدا المانيا لا تسمح لهذا النظام بان يسيطر على حياة رجالها عن علم منها بل تفكر فيهِ كنظام ملائم للصغار فاذا شبّوا اطّرحوهُ ظهريًّا كما تطرح سائر الاشياء الصبيانية . هذا ما يحدث ظاهراً ولكنهُ يبقى عاملاً مؤثراً في معايشهم ما داموا في قيد الحياة من غير ان يشعروا بذلك . والعادة ان يطرح ذلك النظام متى انتهت مدة تعليم الصغير المصطلح عليها اي متى بلغ سنّ ١٤ عند قوم او سن ١٦ عند قوم او سن ١٨ عند آخرين او بعد تلك السنّ عند غيرهم . وحينئذٍ يشرع الحدَث يبني حياتهُ على اسس غير اسس تربيتهِ الاولى

وهنا مفرق الطرق والنقطة التي تختلف عندها امة عن امة والمانيا تختلف عن سائر الامم في تمسكها بنظام التربية الاولى والبناء على الاسس القديمة . وقد بلغ من تعلقها بهذا النظام الاصطلاحي انها جعلتهُ اساساً لعيشة الافراد مدى العمر بل جعلت غايتهُ المبدأ الغالب على تربيتها القومية . وهذا ما لا يمكن لو لم يكن الالمان ألين امم الارض عريكة واسلسها القياداً

اما كون الالمان كذلك فامر لا ينكرهُ عارف . فهم يفعلون ما يقال لهم بلا تردّد ولا تململ ولا ادنى خلل . ولكن روح هذه الطاعة تحملهم الى ابعد من ذلك فانهم يعتقدون ما يقال لهم . ويصدّقون ما يطلب منهم . ويقولون ما يؤمرون بهِ بل ربما يشعرون بما يرادون عليهِ من حب الوطن وحبّ التبسط والفتح وحب الحرب وبغض انكلترا وغير ذلك من الشهوات

وربّ سائل يسأل وكيف تحولت طاعة الامة الالمانية عبودية وهي الامة التي اشتهرت فيما مضى بمحبة الحرية . وتعليل ذلك تاريخيّ لا جنسيّ* . ففي هذا الباب كما في سائر الابواب نجد تأثير الوراثة ضعيفاً وتأثير التقليد عظيماً لأن التقليد يكاد يكون كل شيء . والمان هذا العصر فريسة تقليد نشأ في العصور المتوسطة واتخذ لهُ شكلاً ثابتاً لا يتغير بعد حرب الثلاثين سنة [1] . فان النظام الاقطاعي الذي صار بهِ الفلاح الالماني عبد ارباب الاطيان الذين بسطوا حمايتهم عليهِ فدان لهم سياسيًّا بعد ما كان خادم الامة والحكومة — هذا

(١) حرب اهلية المانية انتهت بمعاهدة وستفاليا الشهيرة التي عقدت سنة ١٦٤٨

النظام هدم الحرية الاهلية في المانيا كما هدمها في سائر البلاد . ولكنك بينا ترى غير الالمان استردوا ما فقدوا في هذا السبيل ترى الالمان وقد ناؤوا باعباء اربعة عوامل مخربة مهدمة : الاول تفرقهم شيعاً واسباطاً . والثاني النظام الاقطاعي . والثالث اضعاف الملك ورزوحه تحت حمل الامبراطورية الرومانية المقدسة . والرابع الشقاق الديني الذي تفاقم امرهُ فانتهى بفظائع الحرب المذكورة . وكان على اثر هذه العوامل ان تقسمت البلاد ولايات شتى مستقلة حتى استحال على القوم ان يجدوا لاستعادة حقوقهم السياسية

فثورة مثل الثورة الفرنسوية لا يمكن ان تقوم في المانيا . وذلك لان الملك في فرنسا تمكن من التغلب على الاعيان . اما في المانيا فان الاعيان تغلبوا على الملك . وفي فرنسا كان حاكم واحد ووطن واحد وشعب واحد . اما في المانيا فكان ثلاث مئة حاكم اقتسموا الارض فيما بينهم . وفي فرنسا انفتح امام سخط الجمهور مجرى واحد عريض فاستطاع بذلك ان يقوم بحركة وطنية على دولة الاستبداد والظلم . اما في المانيا فان حركة وطنية مثل تلك كانت مستحيلة لأن النهر الذي يجري في ٣٠٠ مسيل لا يؤثر فيهِ سيل عرم وفي فرنسا كان الملك بلا حول ولا قوة لمقاومة مشيئة شعب مستيقظ ولو صاح مرة بلهجة المستبد المزهوّ وقال انا المملكة[1] . اما في المانيا فان تجزئة الامة دلت على انها لم تكن قد انتبهت من سباتها وانهُ لم يكن لها مشيئة واحدة

ولما انتهت حرب الثلاثين سنة باتت المانيا لحماً على وضم وهي مقطعة ثلاث مئة قطعة او امارة مساحة كلٍّ منها من ٣٠ الف فدان الى ٣٠ الف ميل ويحكمها ثلاث مئة امير او شيخ كلٌّ منهم الآمر الناهي في ارضهِ . وقد رضي القوم بهذه الحالة بلا اعتراض ولا تذمّر حتى باتت الطاعة العمياء المحور الذي يدور عليهِ خلق الامة اجمالاً . وفي خلال تلك الحرب باع بعض الامراء رجالهم لفردريك الكبير كما تباع السائمة . فرجال يسكتون على مثل هذه المعاملة جديرون بان يسكتوا على كلّ شيء

غير ان الامراء لم يكونوا كلهم من طراز واحد . فمنهم امراء مستبدّون استبداداً للخير كانوا حماة العلم والادب والفنون فقام بين رعيتهم رجال عظام في الشعر والفكر والموسيقى والعلم لا في السياسة والحرب . وفيهم امراء اصحاب مطامع عالية أوتوا مواهب حربية ووجدوا في رعيتهم المستكينة لهم نواة ينسجون عليها جيشاً عظيم الدربة . فلما ان جهزوا انفسهم بمثل ذلك الجيش اندفعوا الى التبسط والفتوح بقوة السلاح

(١) هو الملك لويس الرابع عشر

وقد قيض لالمانيا ان يطبعها امراء الطراز الثاني بطابعهم و يكووها بميسمهم لان الثانين يعطونها ما لا يعطيهِ الاولون من الاتحاد السياسي والقوة المادية اللذين يمكنانها من الوقوف في وجه اعدائها . وخلاصة القول ان المانيا اصبحت بروسية اذ طبعتها بروسيا بطابعها والاتحاد الذي بلغتهُ انما اكرهت عليهِ اكراهاً فهو لذلك صناعيٌّ ماديٌّ عسكريٌّ لا اختياريٌّ ولا روحانيٌّ ولا سياسيٌّ صادقٌ

من اقوال الالمان ان البلد الفلانيّ لهُ جيش اما المانيا فجيش لهُ بلد . ومن اقوالهم ان بروسيا من صنعة الجيش والمانيا من صنعة بروسيا . كذلك يقولون ان الجيش في المانيا هو الامة والامة هي الجيش . فهذه الاقوال تدلُّ على حقيقة كبيرة الشأن وهي ان المانيا دون سائر البلاد بلد حربيٌّ محض . فالطبقة المحكومة قابلة للتدريب العسكري طائعة في هذا السبيل طاعة عمياء ما بعدها طاعة . والطبقة الحاكمة موءلفة من رجال كلّهم معلّمون للجيش مجبولون على الدربة والنظام من الفطرة . وقد تجد بين الامم امة حربية بطبعها مثل الامة الالمانية ولكنك لا تجد امة جرى النظام العسكري في مفاصلها مجراهُ في الالمان . ولا امة نظامها الاجتماعي عسكريٌّ في جوهرهِ مثلها . ولا امة غيرها وظيفة ملكها الاولى قيادة الجيش والثانية حكم البلاد والعباد

فالجيش في المانيا مدرسة كبيرة يتخرج منها معظم الذكور ان لم يكن كلهم . وفي هذه المدرسة ترى نظام التربية الاصطلاحي ماثلاً على اشدّ مظاهرهِ . فليس في المدارس الاخرى شبه لما يرى في هذه المدرسة من النظام الشديد والتعليم الشبيه بالمنزَل والطاعة الميكانيكية وتلقّن ما يوحي بهِ المعلّمون بلا سوءال ولا جدال . وليس الجيش بالمدرسة الوحيدة التي يدخلها الالماني . بل هناك المدارس الملكية والهيمنة فيها تزداد شدة سنة فسنة . وليست عيشة الالماني في عملهِ سوى التتمة الطبيعية لعيشتهِ طفلاً وجندياً . نعم ان النظام بات اخفّ وطأة عليهِ واقلّ شدّة مما كان في المدرسة والثكنة ولكنهُ ما زال ثقيلاً وشديداً . فان حركات الالماني في رواحهِ ومجيئهِ تدار و يوءمر بها الى حدّ لا يحتمل في بلد آخر . و يجد الاوامر والنواهي في وجههِ ايّان ذهب وكيفما انقلب . وموظف الحكومة والبوليس قائمان مقام المعلم في المدرسة والضابط في الثكنة . وليس بين هذه الحقبة من العمر و بين سابقتيها فرق اساسيٌّ

لالمانيا دين علينا لانها تضيّق على رجالها في النظام وتقيدهم بقيود لا يقيّد بها في سائر البلاد الأَ الصغار والأيفاع . وعملها هذا يعدّ تجربة عظيمة الشأن . فقد وقع في

انفسنا نحن الانكليز ان نظام التربية المعمول بهِ عندنا هو النظام الوحيد الملائم للصغار والبالغين حتى فقدنا قوة نقدهِ الصحيح . وحيثما نقدناهُ كان النقد موجهاً الى عَرَضهِ دون جوهرهِ

ولننظر الآن الى نتائج استبداد الالمان في تربيتهم فنقول انها ثلاث : الاولى جعل نظام العيشة ميكانيكيًّا . والثانية جعلهُ صوريًّا ظاهريًّا . والثالثة اضعاف الارادة التي هي قوام الحياة وروحها

اما عن النتيجة الاولى فنقول : اننا اذا وصفنا الجيش الالماني بانهُ آلة محكمة نريد بذلك ان المحرّك لهُ في جملتهِ وفي تفاصيلهِ ارادة واحدة . فان اهل الشأن يرمون الى تنسيق المعيشة بقواعد واصول وخطط واوامر ونواهٍ وما اشبه ذلك وغايتهم اخماد الحرية التي من شأنها ان تدخل في سلوك الفرد اشياء لا يحسب حسابها ولا تقدَّر عواقبها . ونتيجة هذا التضييق اماتة الشعور الادبي والعقلي . ونريد بالشعور في هذا المقام القوة على توليد حواسّ . او وظائف يدرك بها المرء ما يجري حولهُ اجابة لدواعي الاختبار . وهذه القوة موجودة في كلّ منَّا يستخدمها لتسديد خطاهُ في دار هذا العمر كما يستخدم حواسهُ الخمس لارشادهِ في العالم المادّي

ومن الاعتراضات على هذا الاسلوب اي الافراط في الاعتماد على القواعد الموضوعة والخطط المرسومة انها لا تستطيع البلوغ الى اسرار الطبيعة ومناحيها ولا يصل الى ذلك الاَّ سليقة الانسان . واعظم من هذا الاعتراض ان الاعتماد على الرسوم والقواعد الموضوعة يكفينا مؤُونة استخدام حواسنا الظاهرة والباطنة فاما ان تبيت اثرية واما ان تموت في المهد . وتكون النتيجة احلال يد الصناعة محلّ الطبيعة بحقائقها الناصعة . واعلم ان التضييق الذي يضعف الشعور الادبي يفضي الى موت ذلك الشعور او فقد الاحساس في الضعفاء والى التوحش في الاقوياء وهذا هو سبب توحش الالمان في ميدان الحرب وكثرة جرائمهم في المانيا نفسها . هذه احكام شديدة في الفاظ ثقيلة ولكنني لا اتردد فيها البتة . فقد طالما سمعنا عن توحش الجندي الالماني وقلما سمعنا عن إجرام الالماني العادي في حين ان الثاني اعظم شأنًا واكثر دلالة من الاول . ثم ان احصاءات الحكومة الالمانية نفسها تؤيد ازدياد الجرائم في البلاد . اما فظائع الجنود فلا اسهل من انكارها مهما تكن الدلائل عليها وجيهة . فان امثلة جَرْح الناس تعمداً والسطو عليهم هي في المانيا ١٢٠ ضعف ما هي في انكلترا . وجرائم العار كما يسميها الالمان اربعون ضعف ما هي في انكلترا . وفي سنة ١٩١٢ ارتكب الاحداث والشبان الالمان الذين بين سن ١٢ و ١٨ من حوادث القتل عمداً او خطأً اكثر مما ارتكبهُ

اهل انكلترا كلها . ومن حوادث الجرح والسطو سبعة اضعاف ما ارتكب في انكلترا . ومن جرائم العار اكثر من اربعة اضعاف

هذا من حيث اماتة الشعور الادبي اما اماتة الشعور العقلي فتؤدي الى التوكل في ضعفاء العقول والى الصلف والدعوى فيمن هو اعلى منهم منزلة . ففي الجيش الالماني حيث الضغط والتضييق على اشدهما يرمي اركان الحرب الى تحويل الجندي آلة صماء عمياء في يد رئيسه . قال احد مشاهير الكتاب العسكريين « ان من عيوب التدريب العسكري في الجيش الالماني كون الجندي لا يمكَّن من ابداء ما عندهُ من قوة الابتكار . فلا يسمح لهُ في حال من الاحوال ان يعمل لنفسهِ او يفكر لنفسهِ وانما جيء بهِ الى الجيش ليعمل ما يؤْمر بهِ » . وسبب ذلك واضح وهو انهُ كلما كان الجيش اشبه بالآلات قلَّ المجال امام جنودهِ لابداء استقلال فكرهم وذكائهم وقوة ابتكارهم . ولو كان مسمار او لولب في آلة يفكر ويعمل لنفسهِ مستقلاً منفرداً لاختلَّ سير تلك الآلة وفقد نظامها . وهذا ما يجري ايضاً في المعيشة المدنية اي في حياة الالمان العادية خارج الجيش . فان الضغط الذي يتعرَّض لهُ الالماني الملكي هو مثل الضغط الذي يتعرَّض لهُ العسكري نوعاً وان اختلفا درجة

***

واما عن الثانية فنقول ان حكم اهل السلطة يحلُّ محلَّ حكم الاختبار والطبيعة . اي ان ما يقدرهُ الضابط من حيث كفاءة مرؤُوسهِ والمعلم من حيث مقدرة تلميذهِ يعدُّ حكماً باتًّا لا يقبل نقضاً ولا ابراماً . وشهادة الممتحن هي التي تقدر مقام الانسان وكفاءته . وترى قوائم فرق المدرسة ونياشين الاستحقاق والجوائز والمداليات والالقاب والدرجات تعترض بين ظواهر الوجود وحقائقهِ . فلا عجب اذا فقد المرء في كنف دولة مثل هذه ادراك الحقائق كما هي اذ يبيت وهمّهُ الاول ما يشتهر بهِ لا ما هو عليهِ حقيقة

اننا نعتقد ان اعمالنا ناقصة ووراءها غاية كاملة يجب ان نسعى دواماً اليها فاذا جعلت الغاية التي نسعى اليها ارضاء اهل السلطة والعمل حسب اوامرهم لم يبقَ امام المرء غاية اخرى سامية غير متناهية يسعى اليها بل تقوم الحدود والفروض الزمنية مقام اماني النفس ومطالبها

وعواقب التضييق على اماني النفس الى هذا الحد وخيمة جدًّا . فان الذي يعيش لاغراض توزن بموازين الناس فانما يعيش لاغراض سخيفة محدودة . وهذه هي الانانية بعينها . وهي اول الرذيلة وآخرها . واذا فقد المرء اماني النفس وتطلُّب الكمال الحقيقي وهجر

السعي الى تحقيق امانيهِ فقد ضاع مطلبهُ الاعظم وتوقف عمل الارتقاء فيهِ وبدأ عمل الانحطاط والانحلال

وليس بين الممالك مملكة مثل المانيا من حيث شدة العناية بالمظاهر الخارجية تحت سيطرة اهل السلطة . ومن حيث شدة الشعور بالفرق بين طبقة وطبقة . ومن حيث المغالاة في تأليه الجيش . قال بسمرك « ان الامة الالمانية قبيلة من صف الضباط وغرض كل رجل منها الحصول على شرائط يضعها على كميهِ . وكل موظف من موظفي الحكومة لهُ من قوة الاعتماد على نفسهِ ما يقابل درجتهُ في وظيفتهِ . والشواذ عن هذه القاعدة محمودة لكنها نادرة » . وقد بلغ من شغف الالماني بالالقاب واعتدادهِ بالشهرة الظاهرة دون الحقيقية انك اذا اردت ان ترضيهُ بعد ان تغضبهُ فاعطهِ لقباً فوق لقبهِ . فاذا دخل الالماني مطعماً واراد مناداة الخادم قال في ندائهِ لهُ « هرأوبر » اي « يا رئيس الخدم » فيأتيهِ منقاداً واما اذا لم يعطهِ الرآسة حسب في ذلك اهانة لهُ فلزم مكانهُ ولم يلبِّ النداء . واذا شئت ارضاء الماني ما من العامة فنادهِ بلقب « فون » في اول اسمهِ . او ارضاء تلميذ مرشح لمنصب في الحكومة فنادهِ بلقب يدل على انهُ جاز الامتحانات اللازمة للحصول على ذلك المنصب . او رمت اخذ شيء من الماني فأيسر السبل الى ذلك واخصرها ان تقول لهُ « يا عزيزي الكونت » . وليست هذه الامور الصبيانية من احتكار الالمان فانها شائعة في كل مكان ولكن للالمان السهم الاوفر منها

ولما كانت هذه هي منزلة الالماني من حكومتهِ وكانت الحكومة هي المفكرة وكان هو منفذ فكرتها فلا بدع اذا رأيناها تحكم في الكنيسة والصحافة والجامعة والمدرسة وبواسطتها تبلغ الناس ما تريد منهم ان يفكروا فيهِ ويعتقدوهُ ويقولوهُ . وشرّ ما هناك ان الذي يؤمَر بما يفكر ويعتقد ويقول لا يلبث طويلاً ان يعدّ تلك الافكار والاعتقادات والاقوال صادرة منهُ لا انهُ مأمور بها ومتى بلغ امرؤٌ هذا الحد — حدّ الاعتقاد بان ما اكره عليهِ من الخارج صادر منهُ من الداخل — كان تسلط اهل السلطة على اعماق نفسهِ تامًّا ونصرهم مبيناً

***

واما عن الثالثة فنقول ان السلطة التي تجعل الفرد آلة ميكانيكية وتعتني بظاهرهِ اكثر مما بباطنهِ تضعف قوة ارادتهِ . فان التضييق الذي يجعل الانسان آلة بيد غيرهِ يحركها

كيفما شاء يضعف ارادتهُ بالضرورة · ويعبّر عن قاعدة التربية الالمانية بكلمات هي قولك « افعل ما اقول لك » · وهذا ما يقولهُ المعلم لتلميذهِ والضابط لجنديهِ والرئيس لمرؤوسهِ والحكومة للامة · وهو ما تريد الامة الالمانية ان تقولهُ لسائر امم الدنيا · وغنيٌّ عن البيان ما في هذا القول من الريبة في الطبيعة البشرية والثقة العمياء بالنفس والصلف وعدم التسامح وفقدان روح العطف والمروءة · ونحن نشكر المانيا لانها ابانت لنا انهُ اذا ادارت الهيئة الحاكمة زمام افكار الهيئة المحكومة وحصرت في يدها كلَّ قوة فكانت هي البادئة بكل مشروع والمنفذة لهُ فبشر الهيئة المحكومة بذبولها وموتها بعد قطع كل صلة بينها وبين مركز حياة الانسانية والطبيعة كما يذبل الغصن المقطوع من الشجرة

ان النتيجة المادية لهذه الحرب لا تزال مجهولة غير اكيدة ولكن نتيجتها الادبية ظهرت من زمان طويل فان المانيا قضت على نفسها بنفسها وسعت الى حتفها بظلفها اذ أرت العالمين غايتها من هذه الحياة الدنيا

هذا فيما يخصّ الالمان من حيث آرائهم في التربية والحياة · اما نحن الانكليز فليس لنا آراء محدودة · وان كان لنا رأي في التربية فهو لا يختلف كثيراً عن رأي الالمان · اما رأينا في الحياة فيختلف عن رأيهم بل يناقضهُ كلَّ المناقضة · وعندنا ان قاعدة « افعل ما اقول لك » يجب العمل بها في تربية الاطفال وتعليم الاولاد في المدارس حتى اذا خرجوا منها نسخت هذه القاعدة وقامت مكانها قاعدة اخرى وهي « عش ودع الناس يعيشون » · وليست هذه القاعدة بنافية للاولى ولكنها تشتمل على فلسفة عميقة · ولما وضعناها واتخذناها شعاراً لنا بلغنا بها حقيقة عظيمة وجوهرية ولبيان ذلك نقول

ان الانكليزي رجل مستقلٌّ في صفاتهِ واخلاقهِ · فهو يكره ان يُؤمر ويُنهى ويستنكر ان يتعرَّض احد لشؤونهِ الخاصة ويحسب نفسهُ حرًّا في اختيار ما يريد من الاعمال كأن ذلك حقٌّ من حقوقهِ · وكلُّ رجل مستقلٍّ في طبعهِ يرى عاجلاً او آجلاً انهُ اذا شاء الاحتفاظ بذلك الاستقلال وجب عليهِ ان يرعى استقلال غيرهِ · اي انهُ يجب ان يعيش و يترك الغير يعيشون · واذا لم يفعل ذلك اضطر ان يقاتل على الدوام دفاعاً عن نفسهِ وعاقبة ذلك فوضى المجتمع

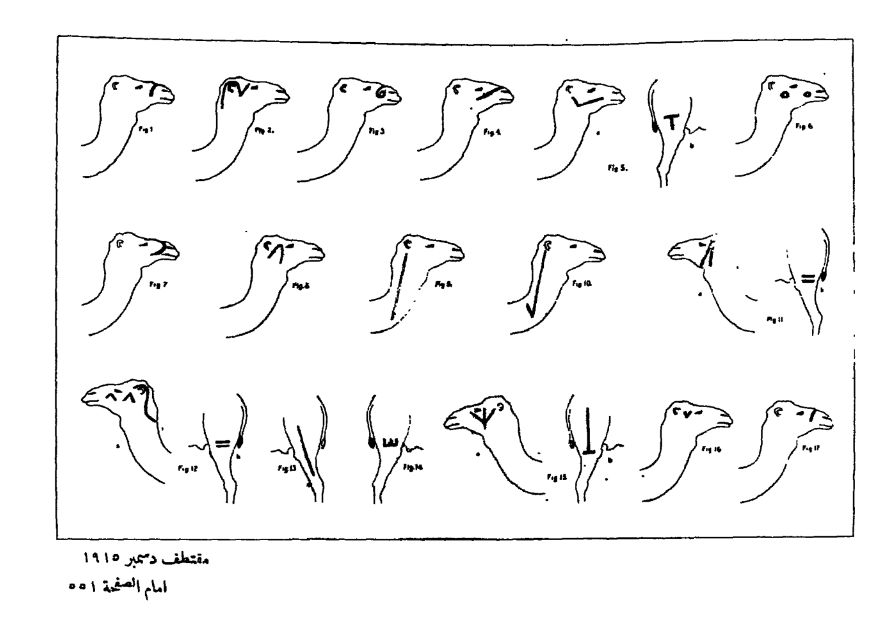
ولا ريب ان الامة الانكليزية اكثر الامم انقياداً لغرائزها فلا بدع اذا تركت هذه الغرائز تعيّن لها الطريقة التي تعيش بها · وبعملها هذا اختارت آمن السبل وافضل الهداة اليهِ وهي الغرائز الطبيعية · ونحن مديونون لهذا المبدإ الذي جرينا عليهِ في حياتنا السياسية

واليهِ ينسب اتساع سلطنتنا . ولو كان شعارنا « افعل ما اقول لك » لتمزقت هذه السلطنة شماطيط من زمان طو يل . ونحن مدينون لهُ ايضاً في انهُ لما نشبت الحرب الحالية التفّت تلك السلطنة حولنا كما لو كنّا جميعاً امة واحدة . وهو ايضاً سبب انعطاف الامم المحايدة كلها تقريباً علينا . ومصدر افضل ما يرى في حياتنا الاجتماعية والسياسية اريد بهِ ميلنا الى حلّ اسباب الشقاق بالتسوية مما يجعل التقدم السياسي ممكناً . والتسامح الذي يشفي جميع الجروح ويزيل ندبها . وروح الالفة والمزاملة التي تربط جميع الطبقات والاحزاب بربط الاخاء عند الاقتضاء وتزيل الحدود القديمة التي تفصل طبقة عن طبقة والتي ورثناها من العهد الاقطاعي في الاعصر المظلمة

اذا شئنا ان نعيش فعلاً فلا غنى لنا عن ترك غيرنا يعيشون مثلنا . فان من يعتدي على الحرية تعمداً يحبس نفسهُ ضمن الجدران التي بناها لغيرهِ . والذي يترك الناس يعيشون يوسّع دائرة حياتهِ بالخروج من نفسهِ والاندماج في نفس غيرهِ

فمجال التقدم امامنا وسيع لكن تقدمنا لا يتحقق ما لم نطابق بين رأينا في التربية ورأينا في المعيشة . وهذه هي نقطة ضعفنا كامنة بازاء المانيا فان رأي الالمان في التربية يطابق رأيهم في المعيشة من كل وجه اما نحن فرأينا في التربية اذا صح ان لنا رأياً فيها مناقضٌ لرأينا في المعيشة . فاننا نؤيد التربية الالمانية ونحن نربي اولادنا وننكر المعيشة الالمانية في عيشتنا . وقوة المانيا قائمة بانها تسمُ كل ولد من اولادها بميسم فلسفتها المعيشية من المهد الى اللحد . اما نحن فبرأيين وهذه هي نقطة الضعف فينا وان كانت هذه الحرب قد حكمت على المانيا لاتباعها نموذجاً كاذباً في هذه الحياة فستحكم علينا لاننا حاولنا ان نعيش في ظلّ نموذجين متناقضين لا يمكن التوفيق بينهما

لنسأل انفسنا هذا السؤال: هل نريد تطبيق رأينا في الحياة على رأينا في التربية على ما في هذا من اكراه واستبداد . وإلاّ فان كنّا نرتعد من ذلك فرقاً فلا بدّ لنا من الامر الآخر وهو ان نجعل رأينا في التربية مطابقاً لرأينا في المعيشة . وهذه القضية من اعقد القضايا واعضلها وحلّها لا يكون قبل تعاقب اجيال كثيرة . فلنبدأ بعمل اراهُ لازماً كل اللزوم وهو ان نسمح للاولاد بان يترك بعضهم بعضاً يعيش . وبعبارة اخرى لنعطهم حياة اجتماعية فيها من من الحرية والاستقلال اكثر مما يتمتعون بهِ الآن وليكن ذلك اساساً يبنى عليهِ في المستقبل لعلّ المرافقة والمزاملة تنزعان منا بقايا عيشتنا الاقطاعية القديمة



مقتطف دسمبر ١٩١٥
امام الصفحة ٥٥١

عرب مرسى مطروح

ذهب المستر اوريك بايتس الى مرسى مطروح وبحث في احوال سكانهِ وكتب مقالة في ذلك نُشرت في اعمال الجمعية الاسيوية الملكية فعرَّبنا منها ما يأتي لما فيهِ عن اناس يسكنون على مقربة منا وقلما نعلم شيئاً من احوالهم . قال الكاتب :

مرسى مطروح وهو المسمى قديماً برتيونيوم على نحو ١٥٠ ميلاً من الاسكندرية غرباً زرتهُ في اواخر سنة ١٩١٣ واوائل سنة ١٩١٤ وبحثت في اثارهِ واخلاق سكانهِ على قدر ما سمحت لي الفرصة

والسكان كلهم من العرب البدو وهم يدَّعون انهم من اصل عربي صميم ولكنني ارى انهُ يخالطهم شيء من دم البربر ولذلك لا يمكننا الجزم اي عاداتهم عربي وايها مقتبس من عادات سكان البلاد الاصليين لشدة اختلاطهم بالسكان الذين حولهم

وكلهم من اولاد علي ويقسمون الآن الى اثنتين وعشرين قبيلة وهي العبيدي والافراد وعراوه والعشيبات والمغاورة والعوامة والجماعات والقنيشة والقطعان والجربضات والصراحنة والمنفه والسناجرة والكيلات والصريحات والسملوس والحوته والمحاجمة واولاد منصور والمجارمه والموالك وعميره . هذا هو التقسيم الذي اخبرني بهِ الدكتور ميخائيل افندي ايوب المقيم هناك وهو يختلف عن اسماء اشكال الوسم الذي توسم بهِ جمالهم على ما جمعهُ المستر كينج في مطروح فانهُ جمع سبعة عشر نوعاً من انواع الوسم عشرة تتفق اسماؤُها مع اسماء القبائل المذكورة هنا وواحد مع اسماء القبائل التي ذكرها المسيو باشو الرحالة الفرنسوي الذي جال في تلك البلاد في اوائل القرن الماضي

والوسم اما ان يكون على رأس الجمل فقط واما ان يكون على فخذهِ واما ان يكون على رأسهِ وفخذهِ معاً كما ترى في الاشكال المقابلة

وكثيراً ما تحفر هذه السمات على الصخور في جوار مطروح ولاسيما على الحجارة التي تلقى في دائرة حول القبور دلالة على انها سمات القبائل النازلة هناك

الولادة والصبوة

اذا ولد طفل أولم ابوهُ لذويهِ وذبح لهم خروفاً ويشترك المدعوون الى الوليمة في الرقص واطلاق البنادق والطبنجات . وتقطع سرَّة الطفل ويربط معها قليل من وبر جمل او شعر

ثور فيصير ذلك الجمل او الثور ملكاً للطفل · ومتى صار عمر الطفل اربعين يوماً يحلق شعر رأسهِ ويلف بخرقة تعلق في عنق بقرة او شاة او نحو ذلك من الحيوانات فيصير ذلك الحيوان ملكاً للطفل · وهم يقولون ان هذا الشعر الذي يحلق اولاً هو شعر الملائكة

واول سن تقع من فم الولد يرميها في الهواء ويقول « بدلتُ ضرسي فيكِ يا نجمة » والولد من اهل الجزائر يرمي سنهُ الاولى في الشمس ويقول يا شمس اعطني سنًّا جديدة (١)

النساء والزواج

نساء اولاد علي متمتعات بجانب كبير من الحرية وتدل الدلائل على انهن لا يسئن استعمالها واذا راقت فتاة في عيني شاب جاء امرأة عجوزاً تسمَّى خلينة وجعلها واسطة بينهُ وبينها لتخطبها لهُ · وينادي الفتاة زمن الخطبة ياسعادة السلطانة ويعمل كل ما تأمرهُ بهِ · وهم يحتفلون بالاعراس احتفالاً كبيراً حسب مقدرتهم ويذبحون الذبائح ويطلقون البنادق ويرقصون ويطربون

الزراعة

اراضي مطروح على جانب من الخصب ولكن الماء قليل هناك والمطر لا يقع دائماً عند الحاجة اليهِ وقد احتفر الرومان اباراً وصهاريج كثيرة ولكن السكان الحاليين لا يستعملونها وغاية ما يفعلون انهم يحرثون الارض حرثاً سطحيًّا ويلقون البذار وينظرون الغيث وهم يقولون « يا رب اعطنا واطعمنا يا رزاق من غير منَّة » واذا اشتد القيظ استمطروا على هذه الصورة وذلك انهم يجتمعون ويقدم كل فريق منهم قطعةً من الثياب ويأتون بعمود يلبسونهُ تلك الثياب حتى يصير في شكل امرأةٍ يسمونها زرافة او ذرافة ويطوفون بها وهم ينادون يا زرافه هاتي الرفعه · ومتى اتموا طوافهم نزعوا الثياب عن العمود وردوها الى اصحابها

وكثيراً ما ينصبون في حقولهم عصاة كبيرة يلبسونها خرقاً حتى تصير في شكل الرجل زجراً للطيور ويسمونها خيالاً او بوًّا ولكن اشكال اخيلتهم لا تشبه الاشكال التي ينصبها المصريون في حقولهم

المرض والعلاج

الطب والسحر سيَّان عندهم يعسر الفصل بينهما ولا يزالون يعتقدون ان الانسان يمرض لانهُ سُحِر او اصيب بالعين · والاعتقاد باصابة العين راسخ فيهم ويقولون ان رجلاً منهم في

(١) وفي بلاد الشام يرمي الولد سنهُ الاولى في الشمس ويقول يا شمس خذي سن الحمار واعطني سن الغزال

مطروح ينظر الى ارنب جارية فتقع ميتة للحال وفعل العين كفعل الرصاص واذا اقام احد الادلة على ان رجلاً اصابهُ بالعين فاضرَّ بهِ غرّم صاحب العين

وعندهم ان المرض يحدث بالسحر والاحجبة فاذا اراد احد ان يمرض غيرهُ جاء فقيهاً فكتب لهُ حجاباً فيأخذهُ ويخفيهِ في خيمة من يقصد ان يمرضهُ او في عدة فرسهِ

وتشفى الامراض بالسحر كما تحدث بالسحر واشد الادوية فعلاً عندهم اكل بدن الحيَّة غير رأسها وذنبها وانفع لحمها دهنها فانهم يستعملونهُ دهوناً للجروح . ولكنهم يستعملون بعض النباتات ايضاً فيتداوون بالثوم في لسع الحشرات وبعصير البصل لمنع التهاب الجروح وبالصعتر في الحب الافرنجي وبالشيح في دود الامعاء وبالجعدة في الزكام

القوانين والاحكام

قوانينهم عرفيَّة كلها ينفذها شيوخهم واذا تعذَّر عليهم ذلك لجأُوا الى شيخ جامع سيدي عوَّام . واذا وقعت بينهم خصومات تستدعي القتال رفعوا امرهم الآن الى رجال خفر السواحل فيفصلون بينهم من غير ان يلجأُوا الى المحاكم المصرية

اذا سُرق لاحد منهم شيءٌ ذهب الى فقيه بارع بضرب الحصى فيقسم حصاهُ الى اربعة اقسام وهي حر وانكيس واشهب ودبَّار وجبَّار . وحر وانكيس قسم واحد ثم يتلو بعض التعازيم فيعلم على زعمهم هل السارق رجل او امرأة وما هو شكلهُ . ويُقبَض على السارق ويؤْتى بهِ الى امام مجلس من الشيوخ يحكم عليهِ بان يرد الى صاحب السرقة اربعة اضعاف ما سرقهُ منهُ . واذا تعذَّر عليهِ الرد وجب ذلك على قبيلتهِ

ويغرَّم من آذى غيرهُ بغرامة مالية يحكم بها احد الشيوخ بعد ان يحقق نوع الاذية ومقدارها . وللجرح غرامة وللرض غرامة اخرى وتكون الغرامة من الغنم والبقر والجمال وقد تكون نقوداً من عشرة جنيهات الى عشرين جنيهاً . ويدفع الجاني الغرامة من غير تذمر مع علمهِ ان خصمهُ قد يكون رشا الشيخ . ومتى دفعت الغرامة اولمت وليمة اكل منها الجاني والمجني عليهِ وزال ما بينهما من الخصام . واذا تعذر عليهم عقاب احد تركوهُ وتناسوا ذنبهُ

والسب والشتم جريمة عندهم كالضرب والجرح ويسب احدهم الآخر بقولهِ لهُ تُدفَن امك او يُدفَن ابوك او بقولهِ لهُ يا حمار يا كلب . واذا كان المسبوب شيخاً جليلاً اضطرَّ الساب ان يترضاهُ بخروف يذبحهُ لهُ

واذا قتل رجل آخر لزمتهُ الدية التي يحكم بها الشيخ فاذا كان القتل عمداً فالدية ٤٠٠ جنيه او ما يساويها من القطعان واذا كان عرَضاً فالدية ٣٠٠ جنيه . واذا كان القاتل فقيراً وقبيلتهُ لا تستطيع دفع الدية عنهُ قُتِل في المقتول هو او احد اقاربهِ . وقد تقع العداوات بسبب ذلك بين القبائل فيصلح الشيوخ بينهم

العوَذ والرُّقَى

حدث قبلما زرنا مطروح بشهرين ان شيخًا من اكبر الشيوخ اراد ان يحفر بئراً وكان هناك رجل جزائري فقال انهُ يرشدهُ الى مكان يحفر فيهِ البئر ثم اخذ ورقةً وكتب عليها بعض الكلمات ورماها في الهواء وكانت الريح شديدة فعبثت بالورقة والقتها في نجم من النبات فعلقت بهِ فقال الجزائري للشيخ احفر هنا فتجد ماء فحفر واذا هو ببئر من آبار الروم القديمة

ويكتب الفقهاء رقَى لاجل الحب يضعون فيها اسم العاشق والمعشوق ويضعونها في حجاب يحملهُ احدهما او يوضع في بيتهِ . وقد وجدنا رقية كُتبت لامرأة لكي يحبها زوجها بعد ان تغيَّر قلبهُ عليها وعلى احد وجهيها الكتابة التالية

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم . الله معك ولا اله غيرهُ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوءًا احد بسم الله ما شاء الله لا اله الاَّ الله والسوءَال لله بسم الله ما شاء الله مَن كان حاكيم (كذا) فمن الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الاَّ بالله العلي العظيم والامر لله »

ويلي ذلك خطوط متقاطعة كرقعة الشطرنج في بيوتها هذه الحروف ك ه ك ع و مصفوفة على طرق مختلفة وعلى الوجه الآخر شكل متوازي الاضلاع منحرف يقطعهُ خطان منحرفان

الاحلام وايام السعد

اولاد علي يعتقدون اعتقاداً راسخًا بصدق الاحلام فاذا حلم احد منهم بولد اعتقد انهُ سينال شيئًا واذا حلم برجل صالح اعتقد ان شهرهُ سيكون شهر نعيم او برجل طالح فشهر بؤس واذا حلم بامرأة حسناء فسنتهُ كلها ستكون سنة رخاء واذا حلم بشنيعة فسنة ضيق

وعندهم ان الاربعاء يوم نحس وكذلك يوم الجمعة الاخير من الشهر والتاسع منهُ والسادس عشر والتاسع عشر واما اليوم الثاني والثامن والرابع عشر والثامن عشر والعشرون فايام سعد

والاعتقاد بوجود الجن والغيلان والعفاريت عامٌّ عندهم ويقولون ان بعض العفاريت شرير و بعضها صالح وكلها ترصُد في الرماد وعندهم نوع من الفقهاء يسمونهم الفقهاء الروحانية تتسلط على العفاريت بالرقى والعوذ . وعندهم ان كل مجنون يسكنهُ جان فيكرهون ان يقولوا لاحد يا مجنون

و يعتقدون ان عدد النجوم كعدد الاحياء على الارض وكلما وقع نجم منها (نيزك) مات انسان او حيوان

الحداد

تتمنطق المرأة عادة بمنطقة حمراء عريضة فاذا مات لها قريب ابدلتها بمنطقة بيضاء وقصت شعرها وكيَّست حلاها الفضية بكيس من جلد . ومدة الحداد سنة

سيدي عوام

هو ولي مشهور في مطروح والبلاد المجاورة لهُ وباسمهِ تسمت قبيلة العوَّام . وقبرهُ امام المرسى وقد اقامت وزارة الاوقاف المصرية جامعاً صغيراً عليهِ منذ عهد غير بعيد . وقصة هذا الولي على ما سمعها احد رجالي انهُ كان صياداً في مرسى مطروح ولهُ فلوكة صغيرة وكان التوفيق خادماً لهُ فغار منهُ رجل يهودي وبنى فلوكة مثل فلوكتهِ ليصطاد بها وخرجا للصيد معاً ذات يوم فامتلأت فلوكة سيدي عوام من السمك واما اليهودي فلم يصطد شيئاً فاغتاظ من سيدي عوام وقتلهُ . وعرف العرب بما حدث فبكوا سيدي عواماً ودفنوهُ حيث بني الجامع الآن وقتلوا اليهودي في ثأرهِ ودفنوهُ في جزيرة شرقي المرسى وتسمَّى هذه الجزيرة الى الآن جزيرة اليهودي

لكنني سمعت من جهة اخرى ان سيدي عواماً هذا جاء مطروح في قارب من المغرب وانهُ كان معدوداً وليًّا في حياتهِ ومات موتاً . وان جزيرة اليهودي سميت بهذا الاسم لانهُ كان فيها يهوديان صائغان

وللناس في مطروح اعتقاد كبير بسيدي عوام فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله ويقولون ان من يحلف بهِ كذباً نزلت بهِ النوازل وتزورهُ النساء العواقر و يقدمن لهُ النذور من الارز والشعير و يذبحن الغنم و يولمن الولائم للفقراء لكي ينعم عليهن بالاولاد . ومولدهُ اكبر عيد وطني في تلك الجهات وهو في اواسط شهر مايو وقت بداءة الحصاد فيتقاطر اليهِ الناس من كل الجهات و يكثر في اليوم الاول منهُ سباق الخيل واطلاق البنادق والرقص والزغردة وذبح الذبائح

الاشباح البعيدة في الحروب

اظهارها واخفاؤُها

ان بعد مدى المدافع والبنادق الحديثة افضى الى بحث جديد هو البحث في الاشباح الارضية البعيدة ورؤْيتها بالعين المجردة او بالتلسكوب وتغير منظرها بتغير بعدها . وترى المباراة في هذا المضمار مشتدة بين الجندي الذي لا همَّ لهُ الاَّ تعيين مواقع خصمهِ ومعرفة عددهِ والجندي الذي يحاول بجميع ما لديهِ من الوسائل اخفاء تلك الامور جهد المستطاع

يقال اجمالاً انهُ متى شابه منظر شبحٍ ما ولونهُ المحيط الذي هو فيهِ بات لا يميز عن ذلك المحيط . لذلك ترى ان اللون الاغبر او الرمادي واللون المعروف باسم الخاكي يفضلان على غيرهما في صبغ ملابس الجنود لسهولة امتزاجهما بلون المكان الذي يكونان فيهِ ولكن فائدتهما من هذا القبيل تتوقف مع ذلك على طبيعة الارض التي يزحف الجنود فيها . فالخاكي صعب التمييز في الارض الرملية . والاغبر او الاخضر احسن منهُ في الارض المزروعة . والاحمر اسهل الالوان ظهوراً ورؤْية عن بعد لانهُ اكثر الالوان اختلافاً عن لون ما حولهُ وبعبارة اخرى لانهُ قليل في الطبيعة . هذا اولاً وثانياً لان هناك عوامل فسيولوجية تزيد ذلك الاختلاف على ما يظهر . مثال ذلك ان الجزء الاوسط من شبكية العين الذي ترتسم عليهِ صور الاشباح البعيدة شديد التأثر باللون الاحمر وقليل التأثر بالازرق والاخضر. واكثر الناس يستصعبون رؤْية الاشباح الزرقاء او البنفسجية عن بعد فيمتزج نظر هذه الاشباح بسهولة بما حولها لان حدودها غير واضحة . لذلك ترى مهرة البستانيين ينظمون ازهارهم ويرتبون زرعها بحيث يرى اللون الازرق او الليلكي عن قرب والاحمر او البرتقالي عن بعد

على ان هذا التأثير يختلف في النور الباهر نور رائعة النهار عنهُ في النور الضئيل نور الفجر او الشفق . ففي النور الضئيل تمسي العين قليلة التمييز بين الالوان وضعيفة التأثر باللون الاحمر فتراهُ اسود . اما الاخضر والازرق فيلوحان اغبرين . لذلك يعسر جداً رؤْية جماعة من الجنود لابسين ملابس غبراء خضراء وزاحفين في ارض مزروعة تحت نور الشفق

هذا كلهُ يدلُّ على ان مسألة اختيار ملابس للجيوش تعسر رؤْيتها ويسهل اخفاؤُها ليست من الهنات الهينات ولاسيما ان من المهم لكل جيش من الجيوش ان تبقى اجزاؤُهُ

ظاهراً بعضها لبعض ولو خفيت على الجيش المناوئ له · وقد اقترح بعضهم لبلوغ هذا الغرض جعل ملابس الجنود من لونين مختلفين احدهما في الصدر والآخر في الظهر

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان بعض الكشافة الالمان في بولندا لبسوا ملابس بيضاء فلم يروا في سهولها المكسوَّة بالثلج وان رماة البنادق العثمانيين في غليبولي صبغوا ايديهم ووجوههم باللون الاخضر لكي لا يروا وهم مستترون بالانجم والاشجار

واصعب من ذلك التشبه بمحيط دائم التغير في لونهِ كالجوّ والبحر · ولكن هناك مبدأ آخر يجب على الجنود مراعاتهُ لتعسر رؤيتهم في هذه الاحوال وهو ما نسميهِ بالترقيع · ومآلهُ ان حدود الشبح تصير صعبة التمييز عمَّا حولها بخطوط ورقاع تمدّ عليهِ · وقد اتبع هذا المبدأ في الطيارات والقلاع التي تعترض الافق عن بعد وغيرها من الاستحكامات الوقتية المختلفة · كذلك صبغت ابدان السفن الحربية ومداخنها بلون مغبّر ورسمت عليها خطوط ورقع سوداء محاكاة للون البحر او السماء · وقد اشرنا الى ما فعلتهُ البحرية الاميركية ببعض سفنها من هذا القبيل في المقتطف الماضي حيث قلنا : ولكن البحرية الاميركية تجرب غير اللون الرمادي الغامق وتستعين بما عرف من تقليد الحيوانات للطبيعة · فان من الحيوانات ما يرى جلدهُ مرقطاً ومنها ما يرى مخططاً طبقاً للمحيط الذي يعيش فيهِ · وهذه الرقط وتلك الخطوط تجعل الاهتداء اليهِ عسيراً على طالبيهِ · وقد صورت السينتفك اميركان صورة نسّافة اميركية صبغت بخطوط ولطخ تشبه ما يرى من ذلك على وجه البحر في لونهِ وتموجاتهِ »

وقد كتبت التيمس تصف حيلة للالمان في صبغ اكياس الرمل التي تستخدم متاريس في الميادين فقالت انهم يضعون هنا وهناك كيساً اسود اللون بين الاكياس العادية فيعسر الاهتداء الى الثغرات التي يطلقون النار منها على اعدائهم · وكتب ضابط يقول : وكان هذا الامر اول ما لاحظتهُ عن خنادق الالمان حتى استحال علينا رؤية ثغراتهم في حين انهم يرون ثغراتنا بسهولة

على ان هناك طريقاً آخر لاخفاء الاشباح ربما كان العمل بهِ صعباً ولكنهُ اصح الطرق واتمها اذا امكن تحقيقهُ وهو ان يغطَّى ما يراد اخفاؤُهُ بصفائح كالمرايا تعكس صور ما يحيط بها فيختفي تماماً ولا تظهر الأ صور ما يحيط بهِ · ويمكن استعمال ذلك في كل محيط سواءٌ كان ثابت اللون او متغيراً · ويقال ان الالمان كسوا بالوناتهم الاخيرة ثوباً من مسحوق الالومنيوم اللامع يعكس لون الجوّ ويجعل رؤية البالونات صعبة جداً وهي محلقة فيهِ

سبيل النجاح

او اغراض العلم والانسانية (١)

ان مطالب الحياة في هذا العصر اضطرتنا الى السعي على اساليب تختلف باختلاف القائمين بها من العلماء والفلاسفة والصنّاع والتجار . وقد تكون هذه الاساليب متناقضة الغايات . وكل فريق منا اذا نظر الى مجموع الامة من وجهتهِ الخاصَّة وحصر نظرهُ فيما بينهُ وبين غيرهِ من الفوارق والمنافسات فقد يغضي عمَّا هو لازم للمجموع ولكن لما نزلت بنا هذه النازلة التي تناولت الامة كلها رأينا ان ما بيننا من التنازع في المصالح امر طفيف بالنسبة اليها فقويت فينا رابطة الوحدة التي كنا نحسبها واهنة وصارت من امتن ما يكون . وما هي هذه الرابطة . ان الوطنيَّة شعارها الظاهر واما قوامها فالجامعة العقلية التي تبقى معنا وتتسلط علينا في غير زمن الحرب حينما يسعى كلٌّ منا في طلب معيشتهِ وقضاء اعمالهِ والتمتع بحياتهِ العقليَّة

اذا نظرنا الى الامَّة رأيناها مقسومة الى عناصر مختلفة لكل عنصر منها افكار تختلف عن افكار العنصر الآخر ومناحٍ ومساعٍ تخالف مناحي سائر العناصر ومساعيها . ولكن اذا طرحنا هذه الظواهر ونظرنا الى ما تحتها من الاميال والعواطف التي تتسلط على افكارنا واعمالنا زالت الفروق من بيننا وبانت لنا وحدة الغاية والمقصد وهي على اتم قوتها . لا شبهة ان عقول الناس واخلاقهم تختلف كثيراً ولكن هذا الاختلاف انما هو في العرَض لا في الجوهر ولولا ذلك لما استطاع مجمعنا هذا ان يقوم بعمل من اهم اعمالهِ العمل الذي لم يكن منويًّا لما انشئَ المجمع اولاً ولكنهُ نتج عمَّا في قانونهِ من التساهل بحيث يجري في اعمالهِ وغاياتهِ حسب مقتضيات الزمان . فان الذين انشأوهُ اولاً التفتوا الى مصالح رجال العلم وقصروا همهم عليهم من حيث مباحثهُ والانتظام في عضويتهِ او كما قال السر داڤد بروستر الذي كان لهُ اليد الطولى في انشائهِ « انهُ مجمع للاشراف والقسوس والكبراء والفلاسفة » . وكان الغرض من اجتماعاتهِ تقوية رُبُط الالفة والاغراء بالمباحث العلمية وتعزيز شأن العلماء . وحُصِرَ حق الانتظام في عضويتهِ بالمنتظمين في جمعيات علميَّة اخرى حتى لقد اشار احد انصارهِ ان لا ينتظم في عضويتهِ الاَّ من انشأ مقالات نشرتها جمعيَّة من الجمعيات العلمية لكي لا تكون

(١) من خطبة الرئاسة للاستاذ ارثر شستر رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في اجتماعهِ الاخير

ابوابهُ مفتوحة لكل عضوٍ من المنتظمين في سلك الجمعيَّة الملكية سواء كان من العلماء العاملين او من غيرهم

ومهما تكن الاغراض الاولى التي توخاها منشئو هذا المجمع فان المسائل التي تهمُّ الامَّة كلها لم يكن في الامكان ان تقصى عنهُ دواماً بعد ان ثبت ان نجاح اجتماعاتهِ يتوقف على الرغبة التي يبثها في نفوس الامَّة

وذكر الخطيب هنا امثلة تدلُّ على تحريج رجال المجمع الاولين في اختيار الاعضاء ومواضيع البحث وما خدموا بهِ البلاد من الخدم العلميَّة الجليلة ممَّا يدلُّ على ان عملهم لم ينحصر في تقوية ربط الالفة بين رجال العلم وسائر ابناء البلاد ثم قال: — ولكن فوائد المجمع لم تكن متصلة بل متقطعة غير ان الحرب الحاضرة تدعونا الى مجاراة احوال الزمان ولا بدَّ من النظر في ذلك قريباً وقد انتبه اعضاء مجمعنا لذلك قبل الآن فقال الرياضي المشهور الاستاذ بابدج خليفة المحقق نيوتن « انهُ يجب ان تعقد جلسات المجمع حيث يمكن تطبيق العلم النظري على العلم العملي الذي تتوقف عليهِ ثروة البلاد. واني احث على ذلك بنوع خاص لانني استفدت لو لدى جمة من الاماكن التي فيها معامل صناعيَّة زادت في عينيَّ قيمة العلوم النظرية التي نتابعها في مجمعنا . ولقد كان في نيتي ان اطلب عقد اجتماعنا التالي في مدينة من المدن الصناعيَّة الكبرى واثق اننا سنتمكن في المستقبل من الاتصال بمصالح البلاد التجارية اتصالاً مفيداً لنا في مباحثنا العلميَّة المجردة »

ولا يخفى ان اجتماعاتنا التي كثر عدد المشتركين فيها هي التي عُقدت في المدن الصناعية . وقد تقدَّم ان بابدج قال بوجوب الاجتماع في المدن الصناعية ليستفيد رجال العلم من تطبيق النظر على العمل . اما علماء هذا العصر فيقولون ان العلماء يجب ان يخالطوا ارباب الصناعة ليفيدوهم بعلومهم في صنائعهم . فانتقل الغرض من فائدة معنوية لرجال العلم الى فائدة ماديَّة لرجال العمل . ولعلَّ الامرين صحيحان على حد سوى اي ان كلاً من العلماء والصناع يفيد و يستفيد والفائدة متبادلة بين الطرفين ولكن يجب ان لا يزيد الاطناب في الفائدة المادية . ولا يخفى ان رجال العلم ورجال العمل مشتركون في امور كثيرة ومن الخطإ ان نعزو اشتراكهم الى طلب الفائدة المادية دون سواها وانما هي التي يجب ان تقصد بالذات

ولا حاجة بي الى ايضاح هذه الحقيقة في مدينة اثبت اهلها بادلة كثيرة انهم يهتمون شديداً بغير ما يجلب لهم الربح المادي . فلم يكن لهم غرض مادي من اهتمامهم المتواصل منذ سنة ١٦٤٠ بانشاء مدرستهم الجامعة . ولا كان لهم ربح مادي من انشائهم دار العلم الملكية وكلية

اونس · ولا قصدوا الكسب المادي لمّا جعلوا المقام الاول في دار مجلسهم البلدي لتمثالي دلتون وجول

اذا نظرنا الى الفرق المختلفة التي تتألف منها الامّة — الى طلاّب العلوم والمعارف والمهندسين الذين يطبقون العلم على العمل وعلماء الجيولوجيا وعلماء الزراعة الذين يستنبطون خيرات الارض والتجار الذين يوزعون الثروة ظهر لنا بادئ بدء انهُ يسهل علينا ان نعرف نوع القوى العقليَّة التي يحتاج اليها كلٌّ منهم لنجاحهِ · ولكننا اذا امعنا النظر في ذلك بانت لنا صعوبة المطلب فان قوة الاستدلال وقوة الاستنباط وصحة الحكم لازمة للجميع على حدّ سوى فيبقى هل تتنوَّع هذه القوى وهل لكل فريق من هؤُلاء تنوُّع خاص لازم لهُ ليفلح في عملهِ ؟

يظهر في بادي الرأي ان العلوم الرياضية احوج من غيرها الى قوة عقلية غير عاديَّة لكن بوانكارى وهو من اعظم المفكرين واشهر الشارحين للعلوم الرياضية تعذَّر عليهِ تحديد القوى العقلية اللازمة للنجاح في العلوم الرياضية واضطرَّ ان يقول ان في الرياضي نوعاً من الذاكرة يمتاز بهِ على غيرهِ وهذه الذاكرة ليست اقوى من ذاكرة غيرهِ لان بعض الرياضيين ينسون اكثر من غيرهم وكثيرين منهم يتعذَّر عليهم ان يجمعوا ارقام عمود واحد من غير غلط · ولكن ذاكرتهم تستطيع ان تنسق حلقات سلسلة البرهان بعضها وراء بعض وتصل الى النتيجة من غير نظر في تلك الحلقات كلٍّ منها على حدة · ومثَّل على ذلك بالفرق بين الرياضي ولاعب الشطرنج فقال اني حينما العب الشطرنج اقول في نفسي اني اذا نقلت هذه القطعة الى هذا المحل تعرَّض لخطر من الجهة الفلانية فاعدل عن نقلها وافكر في نقل قطع اخرى فارى ان لا فائدة لي من نقلها فاعود الى نقل القطعة الاولى ناسياً السبب الذي منعني من نقلها اولاً فلماذا نسيت ذاكرتي الآن ما افتكرتُ فيهِ منذ لحظة من الزمان ولا تنسى حلقات قياس رياضي يعجز عن تذكرها اكثر لاعبي الشطرنج · والجواب لان البرهان الرياضي لا يؤَلَّف من اقيسة متوالية بل من اقيسة مرتبة في نظام مخصوص ولترتيبها شأن اكثر ممَّا لاجزائها فاذا كانت بداهتي قوية حتى ادركت هذا الترتيب بنظرة واحدة فلا خوف عليَّ ان انسى الاجزاء التي يتركَّب منها لان كل واحد من هذه الاجزاء يأتي محلهُ من غير ان اجهد ذاكرتي في تذكرهِ

ثم بحث بوانكارى في المزايا العقلية التي تميز الذين يكتشفون مكتشفات جديدة يتسع بها نطاق المعارف وبيّن ان الاختراع هو انتخاب شيء ذي قيمة كبيرة من بين اشياء اقل قيمة

منهُ فان الناظر فيما حولهُ يرى اموراً كثيرة وطرقاً متعددة وتخطر على بالهِ خواطر شتّى فاذا لم ينتخب اصلحها بل وقع هذا الانتخاب لغيرهِ التي اللوم على التوفيق وانما اللوم عليهِ لانهُ لم يميز ذلك الاصلح عن غيرهِ

وبعد ان افاض الخطيب في هذا البيان قال ان التفريق بين النظر والعمل كبير الضرر لانهُ ما من شيءٍ نافع الاَّ وهو شامل لامور نظرية وعمليَّة معاً. والذين يحطُّون من قيمة العلوم النظرية ويقولون انها تورث السآمة والملل ينسون انهُ لا يصعب الحط من قيمة العلوم العملية ايضاً حتى يقال فيها ما قالهُ دزرائيلي وهو ان رجال العمل هم الذين يجرون على اغلاط اسلافهم . ولا تقع المناقضة بين النظر والعمل الاَّ اذا كان احدهما خطأً ولكن لا شبهة ان بعض الناس يميل الى الامور النظرية وبعضهم يميل الى الامور العملية وهؤلاء واولئك يوجدون في المدارس والمعامل وفي كل مكان . والعلم والعمران مديونان للفريقين على حدٍّ سوى. ولقد ابتدأ العلم الطبيعي الحديث يوم صمَّم غليليلو على نشر مذاكراتهِ بلغة العامَّة فان عملهُ هذا غيَّر منهج العلم وجعلهُ مشاعاً لجميع الناس بعد ان كان ملكاً لفئة مخصوصة ممتازة . فقد كان غليليو من رجال العمل كما كان من رجال العلم وكذلك كان باستور وكلفن ولستر وامثالهم . ولا شبهة ان بعض الفلاسفة لا يستطيعون تدبير امورهم الخاصَّة فهم اهل نظر لا غير ولكن انقطاعهم للامور النظرية لا يعلي قدرهم كفلاسفة بل يجعلهم من احط الفلاسفة ومن احط الناس شأناً

وقد قال السر ميخائيل فوستر في خطبة الرئاسة التي القاها في هذا المجمع سنة ١٨٩٩

« ان الطبيعة تناجينا دائماً لتكاشفنا باسرارها ولو باصوات خفية فعلى رجل العلم ان يكون منتبهاً على الدوام اليها مستعدّاً ان يسمع صوتها ولو كان ركزاً ويرى اشارتها ولو خفيت عن الابصار وان يكون شجاعاً صبوراً لان مسالك العلم لا تخلو من العقبات. وكثيراً ما يكون البحث عقيماً لا ينتج الاَّ الفشل او تتعوَّج سبلهُ بعد استقامتها وتضيق بعد اتساعها فيرى الباحث انهُ ابتدأ والامل رائدهُ والرجاء يهدي خطواتهِ لكنهُ لا يلبث ان يقع في لجة اليأس وهناك يجب الصبر وتفيد الشجاعة الادبية » ثم وصف رجال العلم بقولهِ « وكأني اسمع قائلاً يقول ان هذه الاوصاف غير خاصَّة برجال العلم بل عامَّة لهم ولغيرهم ممن يتوخَّى النجاح مهما كان مطلبهُ من الحياة . والقائل مصيب في قولهِ وهذا الذي اعنيهِ فان رجال العلم لا يمتازون على غيرهم بل هم مثل سائر الناس والعلم نفسهُ معارف عموميَّة منسَّقة ومنظمة كما صوَّرهُ هكسلي » (١)

(١) انظر الصفحة ٨١١ و٨١٢ من مقتطف سنة ١٨٩٩ والخطبة كلها في جزئي اكتوبر ونوفمبر تلك السنة

لماذا يسرُّ العلماء بدرس الطبيعة. لنسمع ما قالهُ بوانكاري في هذا المعنى قال « ان دارس الطبيعة لا يدرسها لان درسها يفيده ُ ماديًّا بل لانهُ يلذُّ لهُ ويلذُّ لهُ لان الطبيعة جميلة ولو لم تكن جميلة لما استحقت ان تُعلَم ولا استحقت الحياة ان تُحيا وانا لا اشير الى ما في ظاهر الطبيعة من الجمال ولو كان هذا الجمال بديعًا مدهشًا ولكنهُ ليس من مباحث العلم وانما اشير الى الجمال الباطن الى ما في اجزاء الطبيعة من الانتظام التام . هذا هو الجمال الذي تراهُ البصيرة وتندهش منهُ وتسحَر بهِ . هذا هو الجمال الذي يدفع رجال العلم الى متابعة درسهم ومباحثهم على ما فيها من التعب والمشقة والى اختيار الامور الطبيعية التي تُظهر هذا الانتظام باتم مجاليهِ كما يختار المصور الاشياء التي هي من اخص خصائص ما يصورهُ ويظهرها جليًّا حتى يتجلى بها المصوَّر لعين الرائي . ولا خوف من ان هذا الميل الى اختيار الامور الطبيعية يحيد بالعلماء عن محجَّة الحق لان العالَم اجمل جدًّا ممَّا يتصورون

ان اليونان وهم امهر رجال الفنون الذين نشأوا على وجه البسيطة تصوَّروا لاجرام السماء وحركاتها ونسبتها بعضها الى بعض شكلاً بديعًا فاذا هو دون الحقيقة التي نعرفها الآن بمراحل كثيرة . والبساطة متى اقترنت بالعظمة كانت من الجمال بمكان عظيم ولذلك ترانا نختار ابسط الامور واعظمها فنجد لذة فائقة في رصد افلاك الكواكب والبحث عن اصغر المكروبات واستقصاء اسرار العصور الجيولوجية وتوغلها في القِدَم فيجتلب جمال الطبيعة نفوسنا كما تجتلب منافعها عقولنا »

وتوسَّع الخطيب في الكلام على اميال الانسان من صغرهِ الى ان يشب ويكتهل وتأثير التربية فيهِ ثم قال ان الغاية العظمى من العلوم والفنون يجب ان تكون البحث عمَّا هو جميل وعمَّا هو نافع لنوع الانسان . فالبعض يختارون البحث عمَّا هو جميل والبعض عمَّا هو نافع ولكن لا غنى للواحد عن الآخر ولا بد من ان يتحد المطلبان معًا لان طبع الانسان يستلزم ذلك . ولقد حذرتكم في اول خطبتي من الاطناب في مدح المطالب المادية واسهبت في الكلام على المطالب الادبية ولكن احوال الزمان الحاضر تدفعنا في سبيل المنافع المادية . ورب قائل يقول انهُ لمن الحماقة الاهتمام بالامور الادبية كجمال الطبيعة ونحوهِ حينما يكون الناس مضطرين ان يدافعوا عن وجودهم ويقول اني في ما قلتهُ حتى الآن حصرت كلامي في ما يصلح لفئة مخصوصة ممتازة وانا احاول الكلام على الروابط العامَّة التي تربط اجزاء الامَّة كلها بعضها ببعض . افلم اجد للعلم مزية اخرى تعلي شأنهُ مع ما لهُ من الايادي البيضاء على الصناعة والتجارة

اني لم اقل شيئاً يستدلُّ منهُ على اني لا اقدر العلم قدرهُ من حيث نفعهُ الكبير ولزومهُ لنوع الانسان ولكن الا ترون ان نيل الثروة والمنعة مجردتين عن كل غاية شريفة انما هو نجاح سطحي زائل لانهُ يشتمل على سم يقضي عليهِ. ألا ترون اننا نجد في التعبُّد للنجاح المادي بزور الطمع الاشعبي الذي اختلب لب احدى الدول — فحملها على الزج باوربا كلها في هذه الحرب. ألا ترون ان ازدراء الناس للمبادىء الادبية هو الذي ولَّد الرأي الفاسد القائل ان القوة على امتلاك الشيء تخوّل صاحبها حقّ امتلاكهِ وان امتلاك الشيء واجب لذاتهِ من غير التفات الى الغاية التي يستعمل لها. ولذلك اقول واصر على قولي اننا اذا سررنا بالحصول على كل ما في الارض من الثروة وما في كواكب السماء وجواهر المادة من القوة فما ذلك لاننا نضع الغنى المادي فوق اللذة العقلية بل لاننا نجد لذة مضاعفة في استعمال العقل قواهُ لنفع الامة. لما علَّمنا مواطننا جول كيفية استخدام القوى الطبيعية على احسن اسلوب لم يفعل ذلك لكي يزيد ثروتهُ او ثروة امتهِ بل لانهُ ربي في مدينة تجارية وشرب من معين العلم حتى ارتوى فوجد اعظم لذة لهُ في الجمع بين حقائق العلم وفوائدهِ. وكذلك لما بيَّن رجل آخر من مواطنينا وهو هنري ويلد ان القوة الكهربائية يمكن جمعها حتى تصير كافية لادارة الآلات في اماكن بعيدة بنفقة قليلة طابت نفسهُ بما وجدهُ في ذلك من اللذة العقلية لا بما توقَّعهُ من النفع المادي. فلم احصر كلامي بفئة مخصوصة ممتازة بل قلت واقول ان النفوس كلها تشتاق الى اللذة العقلية ويجب ان تتاح الوسائل لكل احد حتى يتمتَّع بهذهِ اللذة. ولكل انسان ان يعيش ويفتكر ويعمل. وهذه الحقوق الثلاثة من لوازم الحياة ومَن فقد واحداً منها فحياتهُ ناقصة

ويسهل عليَّ ان اذكر امثلة كثيرة تدلُّ على تأثير الحقائق العلمية في الناس الغائصين في بحار الاعمال ولكن ضيق الوقت يضطرني الى الاكتفاء بمثال واحد

عند احد اصدقائي الاميركيين تلسكوب كبير. فزارهُ ذات ليلة رجل من رجال السياسة المتحمسين فيها وكان حينئذٍ زمن الانتخاب لرئاسة الولايات المتحدة وكانت الاحزاب مختلفة بين ان يكون المنتخب للرئاسة بريان او تافت والنضال على اشدهِ بينها فنظر الزائر الى مجاميع النجوم بالنظارة ثم قال لصاحبها اتقول لي ان كل نجم من هذه النجم شمس مثل شمسنا

فقال نعم

فقال لهُ وان لكل شمس منها سياراتٍ تدور حولها كما تدور السيارات حول شمسنا

فقال نعم

فقال لهُ وانهُ قد يكون في كل سيار منها احياءٌ كما في الارض

فقال نعم قد يكون في كثير منها احياء

ففكَّر الزائر قليلاً ثم قام وقال اذاً لا فرق عندي سواء تمَّ الانتخاب لبريَن او لنفت

ما اسعد الايام التي تزول فيها المنازعات السياسية امام نور الحقائق العلمية · والآن حقَّت الكلمة ووقع النزاع الاكبر الذي شمل العالم وتناول المطالب العلمية فجاء العلم لخدمة الحكومة بكل ما لديهِ والدموع ملءُ عينيهِ لانهُ وصل الى ما وصل اليهِ بعد جهاد طويل قام بهِ افضل ابناء الانسان لاشرف الغايات ولم يكن الغرض منهُ قتل الناس بل احياؤُهم · ولكنهُ يخدم الحكومة عن طيب نفس لان هذه الحرب العدوانية تتهدَّد العمران وبالظفر فيها تنال السلم الذي يرفع فيهِ العلم رأسهُ ثانيةً مفتخراً بانهُ حفظ الحرية العقلية التي هي اثمن من كل المقتنيات المادية وخضد شوكة الشر الذي يستأصل محبة الامم بعضهم لبعض ونشر الحق والمحبة في المسكونة

مصر من تسعين سنة

١

عثرت على بعض مقالات في وصف مصر واهلها وعاداتهم منذ تسعين سنة مضت للسائح الفرنسوي دي نرفال De Nerval فعنيت بتعريبها لما فيها من الفائدة والفكاهة والنوادر الغريبة · وكان هذا السائح معروفاً بين قومهِ في عالم الادب لابحاثهِ في الاخلاق والهيئة الاجتماعية في القرن الماضي · وقد قال في مقدمة سياحتهِ « ما جئت مصر لاكتشف مدافن الملوك او لارى الاهرام وادرس تاريخ المصريين وآثارهم البائدة · · · وما جئت لمهمة علمية او تجارية بل لأدرس اخلاق المصريين وعاداتهم في هذا العصر · ولا اقدر ان اصل الى غرضي هذا كمتفرج او عابر سبيل كما يفعل غيري من السياح الذين يقيمون في الفنادق ولا يجولون في الشوارع الأ وهم راكبو الحمير بين التراجمة والادلاء الجهلاء فيعتمدون في كتاباتهم عن الشرق والشرقيين على ظاهر ما يشاهدون او على اقاويل التراجمة الخادعة ولا يختلطون باحد من الاهالي · قصدت ان اجعل نفسي مصريًّا اجالس القوم واوا كلهم واسكن بينهم واختلط بهم واتزوج منهم واحضر مجتمعاتهم الحافلة واشاهد بعيني معائشهم العائلية والمنزلية حتى اكون على ثقة مما اكتب وعلى هدًى من الحقائق · وللوصول الى ذلك تذرعت بالصبر على شظف العيش والتروي ودعة الاخلاق المقرونة بالحزم والاقدام وابتعدت عن

مظاهر الفخفخة في المعيشة والصلف الاوربي . وعلمت بعد ذلك ان كل ما كتبهُ السياح من قبلي في اسفارهم عن الشرق والشرقيين والاسلام وخصوصاً عن المرأة المصرية والرق وعاداتهِ كلها روايات وهمية بعيدة عن الحقيقة »

ولقد صدق في اكثر ما كتبهُ عن مصر ورفع حجب الاوهام التي كانت شائعة وقتئذٍ في اوربا عن الشرقيين ووصف حالة المصريين عموماً مسلمين واقباطاً ومعايشهم وعاداتهم في الاعراس والمآتم والاعياد والموالد ووصف حالة الاقباط وشهد بعض اعراسهم . وذكر اخطاط مصر واحياءها واسواقها ومصنوعاتها وقهواتها حتى اسواق بيع العبيد والجواري وذكر في سياحتهِ هذه كثيرين من القواد والوزراء وبعض الافرنج من بقايا الحملة الفرنسوية الذين انتظموا في خدمة محمد علي باشا بين اطباء ومهندسين واكثرهم انتحلوا الاسلام ونفعوا مصر بعلومهم ومعارفهم . وبالاجمال جمعت اخبار سياحتهِ كثيراً من الفوائد في السياسة والتاريخ والادب والنوادر الفكاهية والغرائب المدهشة . وهاك خلاصتها :

(١) وصف القاهرة

اقلعت بنا السفينة ليونيداس من مرفإِ سيرا وبعد ثلثة ايام وصلنا الى الاسكندرية وصلت الى بلاد العجائب والغرائب التي دفن في جوفها كنوز ملوك طيبة ومنف والتي فيها اهرام الجيزة وسقارة ومسلات هليوبوليس . وطئت ارض الفراعنة بعد ان توالت عليها احكام ممالك العالم اجمع منذ الخليقة الى الآن فاستولى عليها الملوك الرعاة والاشوريون والفرس واليونان والرومان وقياصرة الروم والعرب والاتراك والمماليك والفرنسويون الى ان استقلت الآن تحت حكم واليها محمد علي باشا

وصلت الى بلاد القبور والمدافن ولولا نيلها الفياض الجاري في وسطها لكانت صحراء قاحلة ورمالها اتوناً محرقاً . نزلت في الاسكندرية ولم امكث فيها سوى يوم واحد . وليس فيها ما يستحق الذكر سوى عمود بمبي وحمامات كليوبطرة ومنتزهات المحمودية حولها الرياض الغناء تتخللها اشجار النخل الباسقة . هنالك ترى الارض حية نامية وما سواها اطلال دارسة ومفاوز قاحلة . واكثر بيوتها صغيرة حقيرة تسكنها طوائف من الصيادين والبحارة وقد بنى حاكم مصر في ساحتها قصراً فخماً غرس حولهُ الاشجار . وهناك بعض منازل لبعض القناصل والتجار الافرنج عليها لمحة من الطرز الافرنجي . واما تجارتها فقليلة لبعد المواصلات بينها وبين داخلية البلاد

وقد بدأَت ترسو فيها بعض السفن بعد فتح الترعة المحمودية واما اكثر السفن والمراكب

التي تأتي من سوريا واليونان واوربا فترسو في دمياط الميناء التجاري الاكبر لداخلية البلاد بواسطة الترعة الدمياطية . ودمياط مدينة عامرة زاهرة وفيها قناصل بعض الدول وكثيرون من التجار الافرنج والسوريين

***

وفي اليوم التالي استأجرنا مركباً للسفر الى القاهرة فركبناهُ ووصلنا بعد يومين الى المعطف حيث استأجرنا مركباً آخر اوصلنا بعد اربعة ايام الى بولاق مرفإ القاهرة وهي مدينة كبيرة عامرة على بعد ساعة منها

اما القاهرة فاحدى المدن العظمى في الشرق نساؤُها متحجبات ببراقع سوداء والحجاب هنا اكثر صفاقة من حجاب نساء ازمير واستانبول . فالحجاب فيهما منديل سخيف يقال لهُ يشمك لا يخفي جمال المرأة التركية . واما في مصر بلاد الاسرار والخفايا فالحجاب صفيق . ثم ان المرأة المصرية اميَّة ولكنها ليست اسيرة كما هو شائع عندنا بل تسير حرة في الشوارع والمتنزهات مصحوبة بقريبة او جارية لها . واذا كانت ذات منزلة ووجاهة فتحت حراسة خصي زنجي يقال لهُ الاغا . تركب الحمار ركبة غير مألوفة عندنا . اذ لا وجود للمركبات في مصر الأ عند الباشا الحاكم وقنصلي انكلترا وفرنسا . ولا يجوز ان يقتني احد عربات سواهما

الليلة التي وصلت الى القاهرة كنت حزيناً منقبض الصدر فاشار عليَّ ترجماني عبدالله ان اجول في شوارع المدينة راكباً حماراً ففعلت وقضينا ساعة في النزهة ولما رجعت الى منزلي تشددت عزائمي وسري عني الغم وعزمت ان اقيم في مصر ستة اشهر . وما ضرني لو اقمت هذه المدة في بلاد العجائب والغرائب الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة عاصمة بلاد الفراعنة وقاعدة الخلفاء الفاطميين

توغلت في احياء المدينة وجلت في شوارعها الضيقة المتعرجة يعقد عثيرها في الفضاء سحاباً قاتماً يعمي الابصار بين قوم توسدوا التراب لا تستر اجسامهم سوى اطمار بالية بين حارات ضيقة وطرق مكتظة بقطعان الكلاب الشاردة وقوافل الجمال المثقلة بالاحمال والشمس تغيب في تلك الاحياء قبل اوان غروبها لضيق الطرق والمسالك وعلو البيوت والجوامع من الجانبين

ما الذي انتظرهُ من السياحة في هذه المدينة الكبرى وهي اكبر من باريس ورومية في تعداد سكانها الأ ان منازلها حقيرة تتخللها بعض سرايات للامراء المماليك مسورة بجدران عالية وجوامعها كثيرة تعد بالالوف ذات منائر شاهقة وجدران متينة مزخرفة لم تقوَ القرون

الخالية على دكها لمتانة بنائها . ومن يجل فيها من الافرنج يرَ نفسهُ كأنهُ في حلم او انهُ من ابناء العصور السالفة — مدينة عظيمة تتحرك فيها الاشباح والخيالات ليس فيها دلائل النماء والحياة . والقاهرة موَّلفة من احياء واقسام كثيرة كل قسم مفصول عن الاخر باسوار وجدران عالية وبوابات عظيمة تقفل ليلاً وعليها الحراس . واشهر بواباتها باب المتولي من الجنوب وباب الفتوح من الشمال وباب الحديد من الغرب وباب الموسكي الفاصل بين حارات الاقباط وداخلية المدينة . وكلها من العصور المتوسطة على عهد صلاح الدين الايوبي ذات بناء متين فخم معقود باقبية شاهقة فاذا اجتازها المرء الى الداخل يرى منازل حقيرة ومنعطفات ودروباً غير نافذة فيسير في ظلام دامس الاَّ ان الحمَّارة كانوا يحملون امامنا مصابيح من الورق (فنارات) لينيروا لنا الطريق . وكل الحوانيت تقفل بعد صلاة الغروب الاَّ بعض قهوات بلدية تضاء بامسرجة زيتية دخانها معقود في المكان كالضباب . وهناك مقاعد من جريد النخل يجلس عليها المدخنون وبيد كل منهم حجر او قصبة وهم صامتون خاشعون كأَنهم جالسون في مأتم وفي بعض المنازل شرفات بارزة مغطاة بعيدان الجريد يقال لها « مشربيات » واما في حي الافرنج على شمال الموسكي فيمكن الاجنبي ان يسير في الليل وحدهُ بشرط ان يحمل في يدهِ مصباحاً

وصف الازبكية

في اليوم التالي ذهبت الى محلة الازبكية وفيها بحيرة كبيرة او مستنقع من المياه حولهُ الاشجار تظلل الطريق من حرارة الشمس المحرقة وهناك بعض ابنية كبيرة متفرقة . فان عرَّج المار على طريق بينها يصل الى ساحة واسعة يقال لها العتبة الخضراء ارضها متربة يثير الهواء غبارها الناعم الحار والساحة مكتظة بالناس الجالسين على التراب او المتوسدي الغبراء من شيوخ وغلمان ونساء واطفال وهناك باعة الموز والبرتقال وقصب السكر والبلح والفاكهة والامتعة . والناس يموجون في ذلك الميدان وكلهم يحملون في ايديهم عيدان القصب يمصونها وترى الحواة على اعناقهم الثعابين والافاعي والبهلوانية وحولهم المتفرجون وعلى وجوههم علامات الدهشة صامتين خشوعاً . وهناك كثيرون من فاتحي البخت وضاربي الرمل والنساء من حولهم جالسات القرفصاء يسألنهم عن بختهنَّ واطباء دجالون امامهم كتب مخطوطة واحجبة ذات ارقام وخطوط سرية يقصدهم ذوو الاسقام والعاهات للاستشفاء فيعطونهم حجباً يعلقونها في اعناقهم او حشائش يشربون منقوعها . ورأيت في خيمة اناساً يمثلون روايات خرساء (بانتوميم) بالاشارة الاَّ انها معيبة والناس يتفرجون عليها بارتياح وسرور . وخيمة اخرى فيها الاعيب صغيرة بتماثيل من الورق تدعى في عرفهم « قره قوز »

(خيال الظل) فتظهر اخيلتها الصغيرة من وراء النور على القماش واصحابها من داخل يتكلمون بلسانهم . ولا تخلو هذه الالعاب من القول الفحش والحركات المخلة بالاداب . والرجال والنساء والاولاد يقهقهون ضحكاً . وفي بقعة اخرى من الساحة رأيت العاب الكلاب والقردة وقتال الديكة

وعند الساعة العاشرة رجعت الى الفندق وفي نفسي انقباض لاني لم اجد ما كنت أؤمله من اللهو والمسرات فرقدت على السرير ولم تكد عيناي تغمضان حتى افقت على ضجة وضوضاء وصدى اصوات مشوشة بعيدة وكانت تزداد وضوحاً شيئاً فشيئاً الى ان صارت على مقربة من النزل الذي انا فيهِ . فقلت في نفسي هل انا في حلم او يقظة ثم نزلت من السرير فاذا بي ارى جموعاً كثيفة واستمع ضربات طبول ونقر دفوف واغاني واناشيد لا اعلم هل هي محزنة لتشييع ميت او مفرحة لزفة عرس . يتخللها وقع اقدام تأتلف على ايقاع الالحان وعزف الآلات الموسيقية . فعلمت ان القوم يرقصون وهم سائرون في الشوارع على انوار المشاعل ووراءهم رجال عراة تستر عوراتهم وزرات من الجلد وهم حاملو المزاريق يتبارزون بالسيوف والعصي . وظهرت زمرة من الغلمان يحملون اخشاباً على شكل هرم مثلث تتقد فيها الشموع ووراءهم المنشدون والمغنون وضاربو الطبول . ومرت بعدهم النساء تتقدمهنَّ «الغوازي» الراقصات على الصنوج . ثم ظهرت فتاة مترديه بثوب احمر موشَّى بالذهب وعلى وجهها برقع ابيض مسدول الى قدميها وعلى رأسها تاج مرصع بحجارة تسطع بهاء وهي تتهادى في سيرها تيهاً ودلالاً وتسندها من تحت ابطيها امرأتان من اهلها والنساء من حولها يزغردن باصوات عالية

فتأكدت حينئذٍ انهُ موكب زفة عروس فعزمت ان اتبع سيرهُ لارى بعيني خاتمة هذه الحفلة الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة . فذهبت وقرعت باب غرفة ترجماني عبدالله واعلمتهُ بعزمي فنهض مذعوراً وقال ان الخطر يكون عظيماً على حياة «افرنجي نصراني» يسير ببذلتهِ الاوربية وقبعتهِ الغربيَّة ليلاً وسط هؤلاء الجموع . فقلت لهُ لا بد من ذلك ولم يرض ان يتبعني الاَّ بعد ان اتشحت بحرام طويل اسود يقال لهُ مشلح فوضعتهُ على كتفي لاخفي زيي الاوربي . ووضعت على رأسي كوفية وعقالاً فلم يظهر بذلك سوى وجهي ولحيتي وظهرت كاني عربي صميم

(وفي المقالة التالية وصف الاعراس المصرية واسواق الجواري وما جرى لهذا السائح من الحوادث النادرة) ديمتري نقولا

البول السكري وعلاجهُ

للاطباء آراء كثيرة في ماهية البول السكري واشهر هذه الآراء ثلاثة مرجعها الى البنكرياس والكبد والجهاز العصبي

فمن وظائف البنكرياس افراز الخمائر لهضم الكربوهيدرات اي الاطعمة النشوية والسكرية فتتحول الى غلوكوس وهو نوع من السكر يحمل في وريد الباب الى الكبد ومنها الى الدورة الدموية فتوزعهُ على انسجة الجسم حيث تحرقهُ العضلات وغيرها فتتولد من احتراقهِ حرارة وقوة . ومن عهد قريب عرض الدكتور ملتسر والدكتور كلينر من معمل روكفلر الطبي في اميركا على جمعية الاطباء الاميركيين في وشنطن نتيجة تجارب جرياها في السنتين الماضيتين واثبتا بها انهُ اذا حقن حيوان صحيح الجسم لا اثر من السكر في بولهِ بشيء من الدكستروس (نوع من الغلوكوس) يختفي الدكستروس في الدورة الدموية ولا يظهر اثرهُ في بدن الحيوان المحقون . ووجد ايضاً انهُ اذا حقن كلب نزع بنكرياسهُ بشيء من الدكستروس فان الدكستروس لا يختفي في الدورة الدموية ولا يمتصهُ الجسم بل يفرز مع البول . ولكن اذا حقن الكلب مع الدكستروس بشيء من خلاصة البنكرياس فان الدكستروس يختفي اذ يمتصهُ الجسم ويقوم مقام الكربوهيدرات فيهِ . ولذلك لا يظهر اثر للسكر في البول

فيستنتج من ذلك ان البنكرياس لا يقوم بعملهِ في كثير من اصابات البول السكري ان لم يكن فيها كلها . وان عصارات البنكرياس تمدّ الجسم في حال الصحة بخمائر لهضم الكربوهيدرات . وهذه العصارات تدخل الامعاء بواسطة القناة البنكرياسية تحت المعدة . ومعلوم ان المعدة لا تهضم الكربوهيدرات وان جميع المواد النشوية التي تؤْكل تتحول سكراً في الجسم بدخول جوهر من الماء في تركيبها الكيماوي

وعليهِ اذا اختلّ البنكرياس فلم يقدم الخمائر اللازمة لهذا التحويل تراكمت الكربوهيدرات في الجسم اذ لا يستطيع امتصاصها وحمّلت الدورة الدموية ما لا تطيق حملهُ فتفرزها الكليتان الى البول وبفحص البول يظهر السكر فيهِ

ويؤمّلون ان نتيجة هذه الابحاث تُتّخذ اساساً لاكتشاف دواء يشفي من البول السكري . والمعقول ان هذا الدواء يكون خلاصة مستحضرة من بنكرياس الغنم او غيرها من الماشية ومحتوية على الخمائر التي تهضم الكربوهيدرات ولا توجد في كثير من المصابين بالبول السكري ان لم يكن كلهم . ويحتمل ان خلاصة مثل هذه تشفي هذا الداء كما تشفي

خلاصة الغدة الدرقية المستخرجة من الغنم المرض المعروف بالاوزيما المخاطية

على انهُ لا يرجح ان مستحضراً مثل هذا يشفي جميع انواع البول السكري لان من الاصابات ما تكون فيهِ وظيفة الكبد الخاصة بهضم السكر متوقفة عن العمل رازحة بهِ كلَّ الرزوح . وقد ذهب الاطباء من زمان طويل مذهباً وجيهاً فحواهُ ان من وظائف الكبد خزن سكر الغلوكوس بصورة غليكوجين وردّهُ الى الدورة الدموية بواسطة الوريد الكبدي بعد تحويلهِ الى غلوكوس . وعليهِ قد يكون البنكرياس سليماً يعمل عملهُ والجسم مصاب بالبول السكري اذا كانت الكبد لا تقوم بعملها او كانت لا تستطيع خزن كلّ ما يقدم اليها من الكربوهيدرات . ففي هذه الحالة يمتلئ الدم من الغلوكوس الفاضل ويكون البول السكري . وفي اصابة مثل هذه لا يكفي حقن الجسم بخلاصة البنكرياس بل لا بدّ ان يمنع المصاب من اكل المواد النشوية والسكرية (الكربوهيدرات) كلها او بعضها

كذلك عرف ان الانسان يصاب بالبول السكري والبنكرياس والكبد سليمان . فقد اثبتت التجارب في الحيوانات ان البول قد يمتلئ سكراً من ضربة على الراس او السلسلة الفقارية او البطن او تهييج ارض البطين الرابع في الدماغ . وفي هذه الحالة كانت الضربة سبب المرض . ومن القواعد الاساسية في البيولوجيا ان العضو من اعضاء الجسم لا يسير سيرهُ الطبيعي ما لم تسر اعصابهُ سيراً طبيعيًّا مثلهُ . فاذا اصيب الجهاز العصبي بخلل اختلت آلة الجسم كلها . ويرى بعض الاطباء ان سبب اصابات البول السكري كلها اختلال الجهاز العصبي ووصول الاختلال الى وظائف البنكرياس والكبد بواسطة العقد السمباثوية

فحيث كان اختلال الجهاز العصبي سبب الداء لا ينفع الحقن بخلاصة البنكرياس ولا الامتناع عن اكل النشاء والسكر في علاجهِ بل لا بدّ من مداواة الجهاز العصبي نفسهِ

ولا يخفى ان البول السكري داء عضال وهو اشدّ وطأة على الصغار منهُ على الكبار . فان الصغار المصابين بهِ يموتون كلهم تقريباً اما الكبار فانهم يعيشون طويلاً ولو لم يخلُ بولهم من السكر الأ في النادر . واصحابّ الاشغال التي لا تقتضي حركة اكثر استهدافاً للداء من اصحاب الاعمال التي تقتضي حركة فان حالة معيشة هؤُلاء تمكن اجسامهم من استهلاك كلّ ما يرد اليها من المواد النشوية والسكرية

هذا ما تقولهُ السينتفك اميركان في البول السكري واسبابهِ ولعلّ ما عرضهُ الطبيبان المذكوران على جمعية الاطباء الاميركيين هو اصل الاشاعة التي شاعت عن اكتشاف دواء شافٍ لهذا الداء العياء

النترجة

يراد بالنترجة تحويل املاح النشادر الى املاح النترات في الاراضي الزراعية مع شرح عملية هذا التحويل بكتيريولوجيًا · هذه هي العملية الثانية التي غايتها تكوين املاح النترات لتوفير اغذية النبات

اذا تعفنت المواد الآلية النتروجينية المختلطة باجزاء التربة وتم انحلالها تكون منها غاز النشادر كما سبق فيتصاعد بعضهُ الى الجو ويبقى اكثرهُ في التربة لتتكون بسبب اتحادهِ مع الحوامض الارضية املاح نشادرية مختلفة · فاولاً يتحد مع الحامض الكبريتيك فيتكون كبريتات النشادر ولا يلبث كبريتات النشادر هذا طوبلاً حتى يستحيل الى كربونات النشادر بسبب اتحادهِ بكربونات الكلسيوم الذي يكون في التربة عادة بكميات وافرة

من اوصاف كربونات النشادر انهُ لا يتطاير فمتى تكون يبقى في التربة الى ان يجيء وقت تستخدمهُ فيهِ النباتات كغذاء نتروجيني ولكن النباتات ليس في مقدرتها عادة استخدامهُ على هذه الصورة للحصول على عنصر النتروجين اللازم لحياتها الأ بعض انواع معروفة في استطاعتها ذلك اما ما عداها فلا يتسنى لهُ استخدام هذا الملح الأ اذا طرأ عليهِ تغير في الطبيعة يحولهُ الى نترات اخيراً

التغير الذي يحول بسببهِ كربونات النشادر الى النترات هو عملية بكتريولوجية يعبر عنها بالنترجة وهو لا يتم الأ بفعل طائفتين مختلفتين من المكروبات الارضية الاولى تؤكسد نشادر الكربونات فتحولهُ الى الحامض النتروس وهذا بمجرد تكونهِ يتحد بالقواعد الارضية التي منها الجير فتتكون املاح النتريت والثانية تؤكسد الحامض النتروس في املاح النتريت فتحولهُ الى الحامض النتريك الذي يبقى متحداً بالقواعد ليكون املاح النترات وتعرف الاولى بمكروبات النتريت[1] والثانية بمكروبات النترات[2]

مكروبات النتريت — تختلف مكروبات النتريت في شكلها فتكون كروية او بيضية متحركة بذنيب[3] طويل او قصير او غير متحركة ولها انواع عديدة منتشرة في بقاع الارض قد امكن العلماء تمييز بعضها تمييزاً تاماً والفضل في هذا راجع الى ڤينوجرادسكي فانهُ اكتشفها في اراض مختلفة ودرس اشكالها ووظائفها ثم قسمها الى جنسين بيولوجيين يدخل تحت كل جنس انواع مخصوصة منها · وقد اطلق على الجنس الاول اسم نتروكوكوس[4] وعلى الثاني

(١) Nitrite Bacteria (٢) Nitrate Bacteria (٣) فلاجلوم (٤) Nitrococcus

نتروسوموناس[١] او نترومو ناس[٢] ووضع تحت الجنس الاول المكروبات غير المتحركة الكروية الشكل التي يبلغ طول قطرها ثلاثة مكرونات فاقل وهذه شائعة في اراضي امريكا الجنوبية واستراليا · ووضع تحت الجنس الثاني المكروبات المتحركة البيضية الشكل وميز نوعين مهمين منها اطلق على الاول اسم نتروسوموناس اوربا[٣] لشيوعهِ في اراضي اوربا الغربية وان كان قد ثبت انهُ شائع كذلك في اراضي افريقية واليابان يتراوح طولهُ بين ٢ و١-٨ و١ ميكرون وعرضهُ بين ٩ و٠-١ ميكرون ولهُ ذنيب قصير · واطلق على الثاني اسم نتروسوموناس جاوى[٤] لشيوعهِ في اراضي جزيرة جاوى وهو كروي الشكل تقريباً يتراوح طول قطرهِ بين ٥ و٠-٦ و٠ ميكرون ولهُ ذنيب قيل انهُ اطول ما عرف بين ذنيبات المكروبات يبلغ طولهُ ٣٠ ميكروناً · ومكروبات النترية عموماً لم يعرف لها جراثيم الى الآن

ان مكروبات النترية لا تنمو في البيئات الصناعية العادية كالجلاتين والآجار اجار[٥] والمرق لانها لا تخلو من المواد الآلية التي لا تلائم حياة هذه المكروبات اما اذا اريد انماؤها وتربيتها فيجب عمل ذلك في بيئة هلامية من السلكا[٦] خالية من المواد الآلية بشرط ان تكون مشتملة على الغذاء المعدني الضروري لحياتها وبذلك تنمو وتتكاثر جدًّا وتتكون منها مجموعات على سطح البيئة مستديرة الشكل صغيرة الحجم جدًّا ذات لون شفاف في اول تكونها يتغير الى السمرة بتقادم عهدها وبهذه الكيفية يمكن فصلها نقية خالية من اي مكروب آخر كما يمكن زرعها في محاليل مختلفة للوقوف على عملها بدقة

اننا اذا اخترنا محلولاً مركباً من جرامين من كبريتات النشادر وجرام من فصفات البوتاسيوم ونصف جرام من كبريتات المغنيسيوم مع قليل من كلوريد الكلسيوم وكمية وافرة من كبريتات المغنيسيوم القلوي مذابة في لتر من الماء المقطر يكون هذا المحلول بيئة صالحة لتربية مكروبات النترية ومباشرة عملها فلو وجدت نقية وزرعت فيهِ نتج من عملها تحويل كبريتات النشادر الى املاح النتريت تدريجاً فلا يمضي اسبوع في الغالب الاّ ويكون عملها في المحلول محسوساً الى درجة ان يتكون في كل لتر من المحلول ٩٠ مليجراماً من ملح النتريت في اليوم الواحد · وليلاحظ ان هذه العملية وان كانت تتم ببطء في الاحوال الصناعية الاّ انها تحدث بسرعة في التربة الزراعية

---

(١) Nitrosomonas (٢) Nitromonas (٣) Nitrosomonas europea

(٤) Nitrosomonas javanensis (٥) Agar agar (٦) Silica jelly

مكروبات النترات — تشتمل مكروبات النترات على جنس واحد افراده اصغر حجماً من مكروبات النتريت عصوية الشكل لا تتحرك ولا تكوّن جراثيم . يتراوح طولها بين ٢٥و٠—٥و٠ ميكرون وعرضها يبلغ ٤و٠ ميكرون اطلق على هذا الجنس اسم نتروباكتر[1] ويدخل تحتهُ في الغالب انواع كثيرة لم يتمكن العلماء من فصلها الى الآن . اما جنس النتروباكتر اجمالاً فيمكن فصلهُ وتربيتهُ نقياً من الاجناس الاخرى في البيئات الصناعية الجامدة مثل نتريت الأجار[2] وبذلك تسهل دراستهُ

ان مكروبات النترات منتشرة في الاراضي ملازمة لمكروبات النتريت فهما يوجدان معاً في مياه الانهار والآبار وفي الطبقات السطحية لجميع الاراضي الزراعية وعلى الخصوص في الطبقة التي يتراوح عمقها بين ١٠ — ٢٢ سنتمتراً من سطح الارض ولا توجدان عادة في الطبقة التي عمقها يزيد عن ٥٠ سنتمتراً واذا وضعت مكروبات النتريت مع مكروبات النترات في محلول مشتمل على املاح النشادر لا تلبث الاملاح المذكورة ان تتحوّل جميعها الى املاح النتريت بعمل المكروبات الاولى قبل ان تبدأ الثانية بتحويل املاح النتريت الى نترات وقد عرف ذلك بالاختبارات الكيماوية اما في التربة الزراعية فالامر على غير هذا اذ بالنظر لاختلاف الظروف لا يمكن العثور على املاح النتريت مطلقاً وانما يمكن تحقيق وجود النترات التي تنتج اخيراً والسبب في ذلك هو ان املاح النتريت التي تنشأ من املاح النشادر اولاً تتأكسد بسرعة عظيمة في التربة الزراعية بجرد تكونها فتتحول الى املاح النترات وذلك لان طائفتي المكروبات يعملان معاً وعلى التعاقب بسرعة زائدة . واذا اختير محلول مركب من جرام من نتريت الصوديوم ونصف جرام من فصفات البوتاسيوم و٣و٠ جرام من كبريتات المغنيسيوم وجرام واحد من الصودا الخالية من الماء ونصف جرام من كلوريد الصوديوم و ٤و٠ جرام من الكبريتات الحديدوس مذابة في لتر من الماء المقطر كان هذا المحلول بيئة صالحة لتربية النتروباكتر ومباشرة عملها فتبدأ مكروبات هذا الجنس بتحويل النتريت الى نترات ولا يشعر بهذه الاستحالة في اقل من ٤٨ ساعة ثم تسير ببطء مدة خمسة ايام في الغالب وبعدها تحدث بسرعة مستمرة الى ان يستحيل جميع النتريت في المحلول الى نترات في مدة لا تتجاوز اسبوعين . وبما ان هاتين الطائفتين تعيشان في التربة معاً وتتناوبان العمل دوماً على نوع من الشركة كما سبق فالشروط التي تناسب حياة طائفة منهما هي نفس الشروط التي تناسب حياة الطائفة الاخرى

(1) Nitrobacter (2) Nitrite Agar

فاولاً يجب ان يتوفر لها في التربة وجود الاملاح النشادرية حتى يتسنى لها العمل

ثانياً يجب ان تكون التربة متخللة بالهواء الجوي اذ مكروبات النترجة من المكروبات الهوائية التي تحتاج الى الاكسجين حتماً وكلما ازدادت كمية الهواء في التربة ازداد عملها وعلى ذلك تكون هذه المكروبات نشيطة قوية في الاراضي الخفيفة المفككة الاجزاء التي يتخللها الهواء بسهولة والحسنة الصرف اما في الاراضي الطينية الثقيلة وفي الاراضي النزازة فانها تموت غالباً او يكون عددها قليلاً

ثالثاً ان تكون التربة مشتملة على اكبر نسبة من الرطوبة بحيث لا يترتب على وجود تلك النسبة نقص في كمية الهواء الضروري لها . وقد قدر العالم كولمان[1] ان احسن نسبة للرطوبة في اراضي الطمي تساعد عملية النترجة تبلغ ١٦ في المائة اما اذا نقصت الى ١٠ في المائة او زادت الى ٢٦ في المائة فان عمل المكروبات يقف او يتعطل كثيراً

رابعاً ان تتوفر درجة الحرارة المناسبة في التربة وهي الدرجة ٣٧ سنتجراد اما اذا انخفضت الى ٥ سنتجراد او الى درجة التجمد كما يحدث مدة الشتاء احياناً فان عمل المكروبات يتعطل تماماً حينئذٍ حتى اذا زادت الحرارة ابتدأ العمل ثانية واخذ في الازدياد مستمراً

خامساً ان يتوفر في التربة وجود المركبات القلوية وعلى الاخص الجير او كربونات الكلسيوم والمغنيسيوم والصوديوم فانها ضرورية جداً لتعديل الحوامض التي تحدثها المكروبات في التربة ولكي تساعدها على القيام بعملها المهم الا وهو اكسدة المركبات النشادرية وتحويلها الى نترات . فاذا فرض ان التربة الزراعية كانت مجردة عن الكمية الكافية من الجير مثلاً وجب ان يضاف اليها مقدار منهُ كسماد والاَّ بقي النتروجين فيها على صورتهِ الاصلية لا يتحول الى نترات صالحة للتغذية النباتية بسبب الحموضة الزائدة . وليلاحظ ان تأكسد المركبات النشادرية لا يقع مباشرة الاَّ في كربونات النشادر اما المركبات النشادرية الاخرى سواء كانت ناتجة عن حوامض معدنية كالكبريتات والكلوريدات وغيرها مثلاً فلا تقع عملية النترجة فيها الاَّ اذا كانت التربة مشتملة على كربونات قلوية وعلى الاخص كربونات الكلسيوم لتتحد الكربونات القلوية مع الاملاح النشادرية فينتج عنها كربونات النشادر الصالح للنترجة مباشرة

وبالجملة فان تعادل الحوامض والقلويات ضروري في جعل التربة صالحة لحياة

(1) Coleman

المكروبات اذ زيادة النسبة في القلويات ضارة كزيادتها في الحوامض وعلى الخصوص وجود غاز النشادر المطلق فانهُ يعطل عملية النترجة تماماً

سادساً ان يتوفر في التربة غاز ثاني أكسيد الكربون الجوي بوجوده في الهواء المتخلل لها لتستمد منهُ الكربون اللازم لحياتها فليس في قدرتها ان تستمدهُ من الكربونات التي في التربة وانما تستمدهُ من الهواء فكأنها في عملها هذا تشبه النباتات الخضراء وان كانت مجردة عن الكلوروفيل بطبيعتها وغير محتاجة الى ضوء الشمس لعدم ملاءمتهِ لحياتها . اما القوة التي تستنفدها لحل ثاني أكسيد الكربون والحصول على الكربون فتستمدها من المركبات النشادرية اثناء تأكسدها

سابعاً ان لا تكون المواد الآلية موجودة بكثرة في التربة اذ كثرتها تؤثر في حياة هذه المكروبات تأثيراً عظيماً . وهذا هو السبب في عدم امكان تربيتها في البيآت الصناعية العادية كبيآت الجلاتين والمرق المشتملة على كثير من المواد الآلية وهو السبب كذلك في ضعف عملها في أكوام السماد الآلي وفي الاراضي الطينية التي اضيف اليها كميات كبيرة من الاسمدة الآلية

ثامناً ان لا تكون التربة مشتملة على الكبريتات الحديدوس والحوامض الآلية واملاح الكبريتيت والكبريتيد وغيرها من المركبات التي لها تأثير عظيم في حياة هذه المكروبات النافعة وكذلك تراكم الاملاح الذائبة الناتج من عدم الصرف . فالضرر الناتج عن وجود مركبات الحديدوس والحوامض الآلية المذكورة عظيم وهو مشاهد في اراضي المستنقعات المنخفضة واما الضرر الناتج من تراكم الاملاح الذائبة فهو صيرورة الاراضي قلوية لا تصلح لحياة هذه المكروبات وبذلك تبقى مجدبة

ان مكروبات النترجة من المكروبات النافعة التي تؤدي عملاً جليلاً في خدمة التغذية النباتية لذلك يجب ان لا تنسى معاونتها على اداء هذه الخدمة . فليس للفلاح ان ينسى ما للجير ومركباتهِ من النفع في هذه المعاونة وما للصرف وفلاحة الارض وتخلل اجزائها بالهواء وانتقاء الاسمدة من المعاونة على ذلك ايضاً

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة



صناعة المانيا وتجارتها

تصدر في فرنسا نشرة شهرية لتشجيع التجارة والصناعة متضمنة آراء كبار العارفين والباحثين في الشؤون التجارية والصناعية ٠ وقد صدر العدد الاخير منها وفيهِ بضع مقالات في الاسباب التي تمكن بها الالمان من الحلول محلَّ الفرنسويين في بعض فروع التجارة الفرنسوية نفسها ٠ ووصف الكاتبون العلاجات التي يرونها فعّالة لمنع اعتداء الالمان على تجارتهم بعد الحرب

ومما اقترحوهُ اولاً ان يسنَّ قانون يمنع الاجانب وخصوصاً الالمان سواءٌ كانوا افراداً او شركات ويمنع الحاصلات الالمانية ايضاً من الظهور بمظهر فرنسويّ ٠ وان تكون جميع الآلات الصناعية والمصنوعات من صنع الفرنسويين انفسهم ما امكن ذلك ٠ وثانياً ان تصدر نقابة مهندسي الآلات وصانعي القزانات والسباكين منشوراً وتوزعهُ على الفرنسويين تحذرهم فيهِ شراء شيءٍ من مصنوعات المانيا والنمسا والمجر وتوصيهم بشراء كل ما يلزمهم من الحلفاء ٠ وثالثاً ان يمنع الفرنسويون من ان يكونوا وكلاء للاعداء ٠ ورابعاً ان لا تستخدم واسطة من وسائط النقل التي لهم

ومعلوم ان كثيراً من المصنوعات الالمانية كانت تصنع في الاراضي الفرنسوية التي يحتلها الالمان الآن وهي تبلغ خمس فرنسا كلها مساحة ٠ وكان يصنع فيها ٩٥ في المئة من الصلب و ٩٠ في المئة من الحديد الخام و ١٠٠ في المئة من انابيب الصلب و ٧٦ في المئة من قضبان سكك الحديد ٠ اما سائر اصناف الحديد كالحديد الزهر والملبّس بالزنك والنحاس والرصاص فلم يؤثر فيها الاحتلال الالماني الاَّ قليلاً

واقترح آخر ان تعفى المواد الخام التي ترد على فرنسا من الرسوم التي طالما حالت دون مجاراة المصنوعات الفرنسوية لغيرها فضلاً عن السبق عليها

واقترحت نقابة الصيدلة ان يوزع منشور على الاطباء الفرنسويين تبيّن فيهِ العقاقير التي من اصل الماني ويوصون باجتنابها

وقالت جمعية الطبع على الحجر ان تجارة الطبع يؤتى بها من مونيخ ولكن يمكن استبدالها

لصفائح من الزنك والالومنيوم · واشارت بان يشرع الفرنسويون في صنع ورق البرونز ومساحيق البرونز والنحاس الاصفر والالومنيوم التي لا تصنع في فرنسا

اما السبب الاعظم في نجاح التجارة الالمانية فهو البيع بالنسيئة · فان الالمان يبيعون مصنوعاتهم ديناً لان نظام البنوك عندهم يمكنهم من تأجيل اخذ الثمن مدداً طويلة · ثم ان منح الحكومة لشركات النقل براً وبحراً اعانات مالية يجعل للصانع الالماني مزية ليست لغيره حتى ان الفرنسوي يجد اصدار بضاعته بطريق همبرج ارخص عليه من اصدارها رأساً بطريق الثغور الفرنسوية

وجاء في مقالة ان مزاحمة الالمان للفرنسويين في سمنت بورتلند لم تؤثر في تجارته ولكن آلاته من صنع الالمان و٨٠ في المئة من معامل السمنت في ايدي الالمان الآن

وانشأ الاستاذ هنري هوز مقالة في « الصناعة الالمانية وعلاقتها بالحرب » فقال ان الالمان يمتازون بالسير في اعمالهم على سنن دقيق لا يشوبهُ خلل وبالقدرة على التنظيم وربما كانت هذه الخلة الاخيرة موهبة من مواهبهم الطبيعية · فان الثروة الالمانية نتيجة تعاون المعمل العلمي والمعمل العملي وتآزرهما · ولا ننسَ ايضاً ان هناك علاقة متينة العرى بين مكتب مدير المعمل ومكتبة العالم الاقتصادي والجغرافي والمؤرخ وان الكيماوي والتاجر يمشيان جنباً لجنب الى فتح العالم · فهذه الامور واشباهها هي التي تفسّر لنا سير التجارة الالمانية سيراً حثيثاً يستدعي الدهشة والاعجاب

وليس ثمة فكرة اسقم من فكرة القائلين ان المانيا بلد يغصّ بسكانه · فان عدد الالمان ٦٧ مليوناً منهم ١٧ مليوناً من الفلاحين واهل الزراعة · ولكن الفلاحين يتحولون الى المدن سنة فسنة حتى بات في المانيا ٤٥ مدينة سكان كلّ منها مئة الف او اكثر فلذلك تضطر المانيا الى ان تستورد حبوباً ولحماً من الخارج لعشرين مليوناً من سكانها · واعظم وارداتها القطن فانها تستورد منهُ كل سنة ما قيمتهُ ٢٥ مليون جنيه · وهي في حاجة الى رؤوس مال كثيرة لنشوء الشركات والمشروعات فيها على الدوام فلا يكاد رأس المال يظهر حتى تبتلعهُ بسبب نظام الكريدتو الشائع في بلادها · فان الشركات ذات رؤوس المال الكبيرة تعتمد على كريدتو البنوك الصناعية · وهذه على البنوك المركزية · وهذه على الدتش بنك الذي يضمنهُ الريخسبنك وهذا هو الامة كلها · والتجارة الاجنبية لازمة كل اللزوم لالمانيا لتدفع ثمن وارداتها فلا بد لها والحالة هذه من بيع مصنوعاتها · وقد شهرت هذه الحرب قصد المحافظة على تجارتها الاجنبية وتوسيع نطاقها · قال احد كبار الديموقراطيين الاشتراكيين

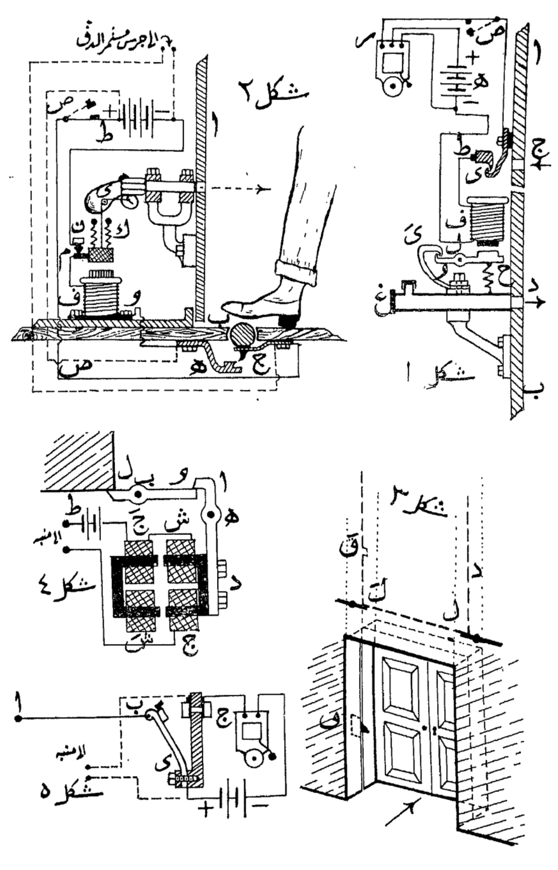
فيها : «ان مصالح الفقراء الاشتراكية هي التي تجعل الانتصار الالماني ضربة لازب اكثر من الاعتبارات السياسية» . وهذا ما يقضي على الهيئة الصناعية بالاشتراك في السياسة العامة

ومعظم الشركات التي يؤلفها الالمان في الخارج هي باموال اجنبية ولكن معظم المديرين المان . فان بنك سكك الحديد الشرقية في زوريخ واسمهُ فرنسوي لهُ ثمانية مديرين المان وواحد نمسوي وخمسة من اهل سويسرا وواحد فرنسوي وواحد بلجيكي والاسهم الاعتيادية جميعها في ايدي الالمان . اما الاسهم الممتازة وفائدتها اقل من الاولى ففي ايدي غير الالمان لان الالماني لا يميل الى الفائدة القليلة . وهذه هي الحالة في ايطاليا ايضاً

ووزارة الخارجية الالمانية تدفع اعانات مالية الى جميع الشركات الكبرى أتجارية كانت ام صناعية مثل شركة بواخر نوردنشر لويد وخط همبرج اميركا والدلش بنك وكروب وجيزون وغيرها . وقد حسبت المانيا الخسارة الهائلة التي تلحق مصانع السلاح وغير السلاح فيها لو ان اهل رومانيا واليونان والسرب وغيرهم اخذوا جميع مدافعهم وحاجات سككهم الحديدية من المصانع الانكليزية والفرنسوية بدل الالمانية فرأت الحرب خيراً لها من نكبة تجارية هائلة فحلت الكف الحديدية محل الكف المخملية . وساد في رؤُوس طبقة العمال شيئاً فشيئاً ان الحرب لا غنى عنها حتى باتت امنية لهم والاَّ افلس ارباب المصانع واصحاب رؤُوس المال وهلكوا هم جوعاً . وهم يقولون في انفسهم الآن «متى تنتهِ هذه الحرب تقم مكانها حرب تجارية علينا . فلنتأهب من الآن لها»

ومما جاء في بعض مقالات النشرة ان الصناع الفرنسويين يخرجون عادة من مصانعهم ومعاملهم ما يسدُّ المطلوب ولا يزيد عليهِ . فاذا ازداد المطلوب لا يستطيعون سدَّهُ فيضطر زبائنهم وعملاؤُهم ان يشتروا سلعة المانية لان عند الالمان آلات احتياطية يذخرونها للحاجة فلذلك نراهم اسرع تلبية من الفرنسويين . وما يقضي الصانع الفرنسوي ثلاثة اشهر في صنعهِ يصنعهُ الالماني في اسبوعين اي في سدس الوقت الاول

ووجَّه آخر انظار الحلفاء الى مسئلة صنع الاصباغ وابان المصاعب الهائلة التي يجب عليهم ان يهدوها قبل مجاراة الالمان في ذلك . وقال ان العقاقير الطبية والاصباغ والمفرقعات مشتبك بعضها ببعض فلا يمكن الفصل بينها لأن ما يعدُّ نفاية صناعة منها يكون مادة خاماً للاخرى



مقتطف دسمبر ١٩١٥
امام الصفحة ٥٧٩

وقال غيره ُ ان الشركات الالمانية في البلاد الاجنبية كالارجنتين مثلاً تلجأ الى غش سلعها وكثيراً ما تبيعها بخسارة حتى تقتل مزاحميها فيخلو لها الجو

هذه خلاصة ما ورد في النشرة · وقد اطلع عليها السر وليم رمسي العالم الانكليزي المشهور فقال : ان النتيجة التي يستنتجها مطالع هذه المقالات هي ان التجارة الالمانية خدّاعة على الغالب صادقة احياناً منتظمة على الدوام · وان الحكومة ترى من واجباتها مساعدة التجارة بجميع الوسائل الادبية وغير الادبية · وانهُ لا غنى لفرنسا عن اتخاذ التدابير اللازمة للوقوف في وجه التجارة الالمانية واغلاق الباب دونها اذا شاءت الاحتفاظ بمركزها كأُمة صناعية تجارية · اما ماهية تلك التدابير فلا نعلمها الآن وانما ننتظرها بفروغ صبر · ولكن كلّ قرار تقرّ فرنسا عليهِ يجب ان يكون باشتراك حلفائها »

محاربة اللصوص بالكهربائية

إن للكهربائية دخلاً عظيماً في امورنا المعاشية فبواسطتها امكن تسيير القطارات وانارة المدن والمنازل والتخاطب على مسافات شاسعة ومداواة الامراض وهلمّ جرّاً

ولكن اظن ان استعمالها في محاربة اللصوص او التنبيه على وجود الحرائق او اي نوع من الاخطار لهو الذ ما يشتغل بهِ المهندس الكهربائي لما في ذلك من التفنن في ابتداع الحيل لوقوع اللص في الفخ

واما شكل الفخ وكيفية وضعهِ فيتعلقان مباشرة بما يتراءى للمهندس من الموقع وما يتبع ذلك من الحالات الاخرى وانما اذكر هنا بعضاً من الامثال من غير توسّع خوفاً من افادة اللص الحريص اكثر من القارىء الكريم

مثال ١ — كان لشخص خزانة يضع فيها ما يملك وقد تجرأ لص مراراً على فتح هذه الخزانة فلم يفلح وفي الوقت نفسهُ لم يتمكن صاحب الدار من القبض عليهِ ولكنهُ تمكن اخيراً من اصابتهِ بالطريقة المبينة في شكل ١ الذي فيهِ اب عبارة عن باب الخزانة وقد صُنع فيهِ ثقبان عند ج ن د الاول على شكل ثقب المفتاح موضوعاً امام عين اللص تضليلاً لهُ ليدخل فيهِ آلة الفتح والثاني توضع خلفهُ ماسورة غدارة غ زنادها عبارة عن الياي يَ واحد طرفي هذا الياي مثبت والاخر مرتكز على نهاية الرافعة و ل ح (التي نقطة إرتكازها ل) — فعند ما يضع اللص آلة الفتح داخل الثقب ج فان الياي ي يرجع الى الوراء ويلامس القطعة ط

فتتم بذلك الدائرة الكهربائية ويخرج تيار من البطارية ه ويمر في الملف ف فيتمغطس قلبهُ ويجذب اليهِ الطرف ح من الرافعة و ل ح فينخفض بذلك الطرف و ويترك الياي يَ الذي ينزلـــ بقوتهِ على كبسونة الغدارة فتنطلق وتصيب اللص في رجليهِ او في مقتل ان اريد ذلك

ومن السهل ايضاً توصيل جرس مستمر الدق بالبطارية ه كما في الشكل لحصول التنبيه اللازم عند قفل الدائرة

ولمنع خطر الاصابة عن صاحب الدار نفسهِ يوضع مفتاح التوصيل ص في الدائرة الكهربائية فيفتح هذا المفتاح نهاراً ويُقفل ليلاً

مثال ٢ — الغدارة السابقة لا تنطلق الاَّ مرة واحدة فضلاً عن انهُ يحتمل ان لا يضع اللص آلة الفتح في الثقب ج ولكن قد يمكن اطلاق الغدارة مراراً عند ما يقرب اللص من الخزانة قبل ان يلمسها كليةً وذلك بطريقة كالمبينة في شكل ٢ فعند وضع اللص قدمهُ على الكرة ب المخبأة في ارض القاعة امام الخزانة تنزل الى اسفل وتوصل النتوء ج بالنتوء ه وتتم الدائرة الكهربائية ج ه و ف م ن ط ص ه فيمر تيار كهربائي في الملف المغناطيسي ف ويجذب اليهِ القطعة الحديدية م التي تشد معها الخيط المتصل بالزناد ي فتنطلق حينئذٍ الرصاصة الاولى ولكن في هذه الاثناء تكون الدائرة الكهربائية انقطعت ثانياً لان النقطة م بعدت عن النقطة الثانية ن وقد ينتج عن قطعها رجوع القطعة الحديدية م الى محلها الاصلي بقوة الزنبلك ك فعند حصول ذلك يتجدد التلامس بين النقطتين م و ن ويمر التيار في محلهِ الاولى وهكذا يتكرر العمل الى ان تنطلق رصاصات الغدارة كلها

مثال ٣ — بعض كبار التجار واصحاب البنوك يفضلون كثيراً القبض على اللص بدلاً من اصابتهِ وقد يمكن ان يتوصلوا الى ذلك بعمل باب سري آخر من الصاج في الحائط ينزل من العتبة العليا للباب الاصلي كالباب د ل لَ من شكل ٣

وهذا الباب يُحمل من طرفيهِ ل لَ برافعتين كالمبينة في شكل ٤ تمنعانهِ من السقوط

فاذا كسر اللص باب القاعة الاصلي ودخل فعند اقترابهِ من الخزانة او تعمدهِ فتحها يقفل دائرة كهربائية كما سبق في المثال ٢ فيخرج تيار في هذه الحالة من البطارية الى ملفي المغناطيس ش ج و شَ جَ ولف هذين الملفين محمولاً بعكس بعضها لتتكون اقطاب مختلفة امام بعضها ليكون الجذب بينها قوياً (لان الاقطاب المغناطيسية المتجانسة تتنافر والمختلفة تتجاذب) فعند

حصول هذا الجذب يرجع الطرف د من الرافعة د ه ا (نقطة الارتكاز ه) الى جهة اليسار و برجوعهِ يمنع الضغط عن الطرف و من الرافعه د ب ل (نقطة الارتكاز ب) فلا يعيق الباب حينئذٍ شيء من السقوط بثقلهِ الى اسفل و يغلق المنفذ فيصير اللص سجيناً داخل القاعة

ولعدم امكان رفع الباب السري ثانياً يثبت قفل ذو اكرة بجانب الحائط كالقفل من شكل ٣ فلسان هذا القفل يدخل في الفتحة قَ المصنوعة في الباب فلا يمكن حينئذٍ رفعهُ

مثال ٤ — اللصوص المهرة يبتدئون عملهم اولاً بقطع الاسلاك الكهربائية التي تصادفهم في طريقهم ليفسدوا بذلك اي مشروع وضع للايقاع بهم ولكن قد يمكن اتخاذ طريقة قطعهم السلك سلاحاً للعمل ضدهم وذلك بوضع سلك عمداً في طريقهم كالسلك ا ب شكل ٥ فاذا قطعوا هذا السلك فقد يتسبب عن ذلك رجوع الياي ب الى جهة اليمين وحصول تلامس بين النقطتين ج ى ب فتتم الدوائر الكهربائية اللازمة لذلك و يحصل التنبيه المطلوب .

وخلاصة القول ان استعمال الطرق الكهربائية للايقاع باللصوص او التنبيه على وجودهم سهل جداً لمن يعطيهِ قليلاً من الفكر فمثلاً ربما يستغرب اي شخص امكان اخذ صورة لص ليلاً وهو يسرق بدون وجود اي شخص ما ولكن قد يزول استغرابهُ اذا علم ان المسألة لا تخرج عن اقفال دائرتين اولهما دائرة قوس كهربائي يتغذى من التيار المستعمل عادةً في اضاءة المنازل فينير نوراً شديداً لرسم الصورة وثانيهما دائرة مغناطيس كهربائي يمكن بواسطتهِ رفع غطاء عدسة الآلة الفتوغرافية مدة قصيرة من الزمن وهذا الغطاء يرجع ثانياً الى محلهِ الاصلي بحركة ميكانيكية بسيطة

محمود حامد محمد
مدرس علم الكهرباء بمدرسة الصنائع بمصر

(تنبيه) الناشر يحفظ لنفسهِ الحق في نقل الطرق السابقة او استعمالها لانها من تصميمهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة .

ايدث كافل
Edith Cavell

ايدث كافل ممرضة انكليزية كانت تقيم في البلجيك تمارس عملها المبرور فآوت في منزلها بعض الجنود الانكليزية والبلجيكية وساعدتهم على الاختفاء عن عيون الالمان الواقفين بالمرصاد لكل من يدخل البلجيك ويخرج منها وهرَّبتهم الى فرنسا حيث انضموا الى جنودهم . فدرى الالمان بها فقبضوا عليها في اواسط اوغسطس الماضي وحاكموها في اواسط اكتوبر وحكموا عليها بالاعدام ونفذوا الحكم في اوائل نوفمبر الماضي

هذه خلاصة حكاية ممرضة طبَّق ذكرها الخافقين بعد موتها ولم يكن يعرفها في حياتها سوى ذويها والمتصلين بها من اهل حرفتها . وقد كانت قانعة بما قُسم لها في دائرة عملها الضيقة لانها لم تكن ترمي الى نباهة الذكر وبعد الصيت والاَّ لما وقفت سعيها وعمرها على التمريض وهو اكثر الحرف تعباً واقلها اجراً واضيقها نطاقاً ولكنها هفت هفوة عوقبت عليها عقاباً بينهُ وبين هفوتها من التناسب والتجانس ما بين غليظ القلب ولينهِ اوما بين اللؤْم ومكارم الاخلاق

احسن ما قرأناهُ تأبيناً لها وتبييناً لماهية هفوتها مقال للمستر تشسترتون قال ما خلاصتهُ :

« يقل‌ُ الكلام في مقتل ايدث كافل وفي مجاليهِ العظمى . فاذا قلنا « عزيز في عيني الرب‌ُ موت اتقيائهِ » فقد قلنا ابلغ ما يجري بهِ قلم انسان في امر مقتلها . ولكن لنا عظات كثيرة في هذه المسئلة الحيَّة التي لا تزال تشغل خواطرنا واوعظ تلك العظات ما ابدت القتيلة من البساطة والصراحة الخالصتين وامتهان التعلق باهداب القانون . فقد كانت تمثل حضارة تامة ناضجة بازاء حضارة ناقصة فجَّة تحاول خنق الاولى . كانت تمثلها في امرين الاول جوعها وعطشها للحق كلهِ . والثاني رغبتها في الحقيقة الحقة كما يسميها الفرنسويون الذين هم اعظم انصارها . فروح مثل هذه تأبى ان يدافع عنها بالسفسطة او تفتح لها طريقاً بين



مقتطف دسمبر ١٩١٥
امام الصفحة ٥٨٢

السفسطات كما تفتح القنبلة طريقها في الاسلاك الشائكة · وفي محاكمتها كانت هذه المجرمة هي القاضي في النطق بالحكم وكان القضاة هم المجرمين في موار بتهم

ان المانيا الحديثة عظيمة بفناها واستعدادها الطويل وليست عظيمة بشيء آخر بل ليست عظيمة عظمةً حقيقية في استبدادها وعتوّها · ففي كل حادثة استترت بستر المعاذير الملفقة التي كانت هذه الفتاة اعظم فرائسها تحتقرها بوجه خاص· · فان جميع اعمال المانيا العقلية الصرفة موصومة بوصمة العار · وهذا ما جرى في امر البلجيك ايضاً · فلو سئل البرومي ذلك السؤال القديم الذي كان المجرمون يسألونهُ وهو « اقتلاً وسلباً » لأجاب « نعم وقذفاً ايضاً » · فقد حملهُ لؤم الطبع على القول انهُ وجد عذراً على الجرم الذي ارتكبهُ ولم يكن لهُ ذلك العذر عند ارتكابهِ · وليس لهُ ما يدفع بهِ عن نفسهِ لقتلهِ جارهُ سوى قولهِ انهُ سلبهُ ايضاً

ومن اباطيلهِ التي هي اشبه شيء بالالعاب الصبيانية قولهُ ان الحلفاء لم يوفقوا حتى الآن الى قتل ممرضة في ارض اعدائهم لانهم لم يفتحوا شيئاً من البلاد · ومعنى ذلك في عرفهِ اننا اذا فتحنا الدنمرك عنوة قصد الاستيلاء على ترعة كيال وما فيها من السفن صار يحق لنا قتل النساء الصالحات لصلاحهنّ · على ان الذين لا يحترمون المرأة انما هم الذين لا يحترمون المعاهدات

واقبح من هذا الغدر قول الموظف البرومي المسؤول اكثر من غيرهِ في هذه الحادثة : ان قتل مس كافل مثل قتل امرأة روسية تحارب في صفوف الروس كجندي · ولكن شتان ما بين المثلين · فانهُ ما من احد يلوم جندياً بروسياً على قتل امرأة روسية شهدت الوغى بلباس جندي · اولاً لانهُ لا يعرف انها امرأة اذ يراها لابسة لباس الجندي · وثانياً لانهُ يقتلها في سبيل الدفاع عن نفسهِ وقتلهُ اياها هو السبيل الوحيد لمنعها من قتلهِ فيما يرجح · لكن الممرضة كافل لم تكن لابسة ملابس الحرب بل ملابس السلام · ولم تكن تسعى في قتل جنود الالمان بل في تمريضهم وشفائهم · والرأفة التي حملتها على تمريض الجنود الالمان هي التي حملتها على تخليص الجنود الانكليز واذا عدّت هذه الرأفة هنا ذنباً فهي ذنب اصطلاحي · وكل شعب عاقل يجزي على هذا الذنب بعقاب اصطلاحي من جنسهِ بل كان يمكن ان تعاقب عقاباً يجيءُ بجميع الغايات المطلوبة من تأمين الالمان على انفسهم واماكنهم ويكون مع ذلك كلهِ بعيداً بمراحل عن العقاب الذي حلّ بها

ولا حاجة بي في هذا المقام الاّ الاشارة تلميحاً الى ما اتاهُ الالمان من اسباب التأجيل

والتسويف والتمويه لعرقلة ما كان سفيرا اميركا واسبانيا يبذلان من المساعي لتخليص هذه المرضة فهي وسائر اعمالهم من سدى واحدة

ان قتل ايدث كافل لم يكن لصيانة قوة بروسيا بل لاشباع نهمها والاَّ لاكتفت بسجنها مدة طويلة . واذا شئت فهم هذا العقل ففهمهُ يتوقف على علمك بهذه الحقيقة وهي ان البروسي يعتقد من صميم قلبهِ بانهُ يكون محلَّ اعجاب الناس بهِ حيثما يكون محل خوفهم منهُ . فان ارتكابهُ عملاً كبيرا لا مسوّغ لهُ هو عندهُ كالنظم عند الشاعر وكالتغريد عند الطائر اي انهُ ينفّس كربتهُ ويجلو للناس ماهيتهُ ويشعرهُ بشخصيتهِ في اثناء عملهِ

وجميع اعمالهِ السياسية فجائية اعتباطية مثل هذا العمل . ففي بولندا والالزاس واللورين وشلزويج وهولشتين اخفق في ادارة شؤُون البلاد بل لم يحاول ادارتها حقيقة . وذلك لان معنى الادارة اشعار الناس بانهم في امان واطمئنان ولكن البروسي حيثما يذهب يلجأُ الى امثال هذه الفظائع الدموية . وجدير بهذا المجرم المستعصي على الدواء —والناس يتحدثون الآن بامكان اصلاحهِ وشفائهِ — ان يوافيهم بهذا الجواب القاطع وعلى هذه الصورة الشنيعة

السم في الدسم

يؤْخذ هذا القول كمثَل او كاستعارة لكنهُ حقيقي فان الانسان قد يأْكل طعاماً سليماً لم يضع احد فيهِ سمًّا ومع ذلك يفعل بهِ فعل الطعام المسموم . ويحدث ذلك في الاطعمة الحيوانية كاللحم والسمك والجبن التي ابتدأَ فيها شيءٌ من الفساد او التي وضعت في آنية كان فيها آثار فاسدة من الاطعمة قديمة . فان هذا الفساد ينتج من انواع من المكروبات تحل الاطعمة الحيوانية وتولد منها مواد سامَّة تسمى بالبتومايين

وهذه المواد السامَّة تتولَّد ايضاً في جسم الانسان ولكنهُ يفرزها ما دام في حال الصحَّة او يبيتها الاكسجين التي يتنفسهُ ويدور في بدنهِ فلا تضر بهِ ولكن اذا انحرفت صحتهُ فعلت بهِ فعلها السام

واكثر ما يتولد البتومايين في اللحم اذا عتق سواءٌ كان نيئًا او مطبوخًا وسواءٌ كان مقدداً او غير مقدَّد ولكن التقديد والثلج يقللان تولُّدهُ

الاعراض — اذا كان بتومايين الطعام قليلاً فاعراضهُ الاسهال وارتفاع حرارة الجسم ولو قليلاً والخمول . واذا كان كثيراً عقبهُ جشاءٌ وقيءٌ واسهال كريه الرائحة جدًّا

وانحطاط عام وصداع وتقلص العضلات ودوار وقد يفضي الحال الى الموت

العلاج — يقوم العلاج اولاً بمنع بيع الاطعمة الحيوانية الفاسدة او التي ابتدأ فيها الفساد . وبوجوب تنظيف كل الاماكن التي يوضع فيها اللحم والسمك ونحوهما من الاطعمة الحيوانية في السوق او في البيت ولاسيما في فصل الحر لان الاثر القليل الذي يبقى فيها وتصل اليهِ مكروبات الفساد يفسد ما يتصل بها بعد ذلك من اللحوم وسائر الاطعمة الحيوانية .

ذبح طبّاخ ديكاً روميًّا ذات ليلة وعلقهُ بكلاب من الحديد الى الصباح وهي عادة متبعة لان الديك اذا ترك كذلك سهل طبخهُ ونضجهُ . ونظر اليهِ في الصباح فاذا الفساد قد دبَّ فيهِ وسألنا عن تعليل ذلك فقلنا انهُ كان في الكلاَّب اثر لحم فاسد فاتصلت مكروبات الفساد منهُ الى الديك وافسدت جانباً كبيراً من لحمهِ فاحمِ هذا الكلاب بالنار وعلّق بهِ ديكاً آخر فلا يصيبهُ ما اصاب الاول ففعل كما قلنا وبقي الديك الثاني سليمًا الى ان طبخهُ في مساء اليوم التالي

فيجب على كل ربة بيت ان تنظف دائمًا كل الاوعية والآنية التي تتصل باللحم حتى لا يبقى فيها اثر منهُ من يوم الى آخر لئلاَّ يفسد و يفسد ما يوضع فيها او يتصل بها بعد ذلك من اللحم

هذا من جهة العلاج الواقي اما العلاج الشافي في الحوادث الخفيفة فسهل من زيت الخروع او الكلومل لاخراج السم من الجسم واذا كان السم كثيراً وظهر تأثيرهُ عقب الاكل فلا بدَّ من اخذ مقيءٍ يدفعهُ من المعدة وشرب المنبهات بعدهُ كالكنياك والقهوة

قواعد للحلاقة

(١) اغسل عارضيك وذقنك جيداً بالصابون والماء البارد ثم نشفها وعد فاكثر رغوة الصابون عليها لانهُ كلما كثرت الرغوة سهلت الحلاقة

(٢) لا تستعمل الماء الحار مطلقاً في حلاقتك لانهُ يليّن البشرة كثيراً فتجف وتتعرض للتقشّر (القَشَب)

(٣) الموسى ليس في الحقيقة سوى نوع من المنشار فيجب ان يجرَّ عند الحلاقة كما يجرّ المنشار على الخشب وليكن فرندهُ ملاصقاً للبشرة تقريباً مائلاً بعض الميل عليها . فاذا بدأت الحلاقة من رأس الموسى نحو كعبهِ فقيشهُ من الكعب الى الرأس او من الكعب نحو الرأس فقيشهُ من الرأس الى الكعب

(٤) افضل الاوقات للحلاقة عند النهوض من السرير او بعد الحمام

الاقتصاد في النفقات

اكثر الاوربيون في هذه الايام من الحث على الاقتصاد في نفقاتهم البيتيّة لكي يتمكنوا من الانفاق على جنودهم المحاربة · ونحن في هذا القطر احق منهم بالاقتصاد لأن دخل البلاد نقص في العام الماضي وهذا العام نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات بسبب قلة محصول القطن هذا العام ورخص ثمنهِ في العام الماضي · وقد سدَّت الاموال التي انفقها الجيش الانكليزي جانبًا كبيرًا من هذا النقص ولكن ما بقي منهُ يستدعي الاقتصاد الشديد لكي لا يزيد الدين على البلاد

وقد جعل الانكليز يكتبون في جرائدهم عن الاساليب التي يسهل الاقتصاد فيها وهي

اولاً الإقلال من اكل اللحم

ثانيًا التدقيق في ما يؤْكل من الخبز لكي لا يضيع منهُ شيء

ثالثًا الحذر التام لكي لا يضيع شيء ولا يتلف شيء من مواد الطعام واللباس

رابعًا الاقتصاد بنوع خاص في كل ما يؤْتى بهِ من خارج البلاد

خامسًا الاقتصار على حاصلات البلاد ومصنوعاتها على قدر الامكان

سادسًا قبلما تنفق شيئًا او تستهلك شيئًا قف وفكر هل انفاقهُ ضروري او هل استهلاكهُ لازم · فيحسن بنا ان نجاريهم في ذلك كلهِ · ونحن احق منهم بالاقتصاد لانهم ليسوا مديونين لغيرهم بل هم دائنون واموالهم المشغَّلة في الدنيا تأْتيهم بمئات الملايين من الجنيهات ربحًا كل سنة · ونحن مديونون ونضطر ان ندفع الى اوربا الدائنة نحو سبعة ملايين من الجنيهات او اكثر كل سنة فائدة الاموال التي استدانها سكان هذا القطر وحكومتهُ · ولا سبيل للتخلص من الفاقة الاَّ بالاقتصاد التام والاهتمام الشديد بزيادة الدخل

فائدة الصوم

الصوم خير دواء لما ينتج من التعب عن سوء الهضم فانهُ يغني عن المقيئات والمسهلات والمسكنات للصداع ومزيلات الحموضة من المعدة · واذا شعر الانسان يومًا بتخمة شديدة وسوء هضم ثم اكتفى في اليوم التالي بطعام الغداء فقط وكان خفيفًا ولم يأْكل في الصباح ولا في المساء زال كل ما كان يشعر بهِ من التخمة وما يترتب عليها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوّلة

الفصاحة والبلاغة

الى صديقي ن . ش .

أُجيبك بما استطيعهُ من الاختصار لئلاَّ نضيع وقتنا و يفرغ صبر القرّاء و يضيق صدر المقتطف على سعتهِ ورحبهِ

(١)

أراك قد وافقتني على ان كلمة « نقاخ » غير فصيحة لكراهتها في السمع ولكنك باقٍ مصرّاً على زعمك ان استشهاد البيانيين بها في البيت المشهور في غير محلهِ لان الشاعر انما أتى بها للتمثيل والاستشهاد . فكأني بك اردتَ الطعن في حكم علماء البيان من حيث خفاء مراد هذا الشاعر عليهم فادّعيت انهُ لم يجهل إخلال هذه الكلمة بشروط الفصاحة ولكنهُ تعمَّدها في بيتهِ تعمُّداً للتنفير من الماء . وانا اقول لك ان البيانيين ادرى من المتأخرين بمراد شاعرٍ عاصرهم او تقدّمهم فلا بد ان يكون علمهم بهِ اصحّ من علمنا والاَّ اتَّهمناهم بالجهل وحكمنا عليهم بالافتئات . وإمَّا يُرضينَّك ان تخالفهم في آرائهم فما اظنك ترضى ان تُوجَّه هذه التهمة اليهم و يُقْضَى بمثل هذا الحكم عليهم

وقد وجَّهتَ اليَّ سؤالين مشترطاً على نفسك تطليق الكتابة — الاَّ في ما يسدّ الرمق — ان اجبتك عنها بالايجاب . وظاهر كلامك هذا يوهم صغار الاحلام انك غامرت وخاطرت وافرطت في الاشتراط كل الإفراط . ولكن من لهُ اقل المام بعلم البيان يعلم انهُ لا خوف عليك فيما اشترطتهُ من خطر طلاق الكتابة وهجر الدعابة لان الجواب عن كلٍّ من هذين السؤالين لا يكون الاَّ بالنفي

و يقيني انك بعدما فرغت من كتابتها توقعت ما يعتريني من الدهشة عند مطالعتها

فأمعنتَ في الضحك كل الإمعان وقلتَ « هذه احدى حظيّات لقمان » نعم واحد اساليب الخلاَّب الدعَّاب في مضمار البيان . وهي « شنشنة اعرفها من اخزم » وصديقك ادرى بك واعلم

(٢)

لم اخالفك قط في ان الكلام لا يقتصر على النطق باللسان . فلست ادري وليتني كنت ادري لماذا كلّفت نفسك مشقة الاستشهاد بكلام الجاحظ والقاموس والمصباح والآمدي وبعض الخطباء والشعراء مما شغلت بهِ صفحة من المقتطف ؟ تحكَّم ما شئتَ في اطلاق الكلام وخصّ حقيقتهِ بالمعنى القائم في القلب او النفس واجعل الصامت ناطقاً والاخرس متكلماً تجدني غير مناقض لك ولا معارض . ولكن علماء البيان قصروا البلاغة على الكلام باللسان وانت تروم نزع القصر ورفع الحصر وتحاول مطّ نطاق البلاغة حتى يطول ويتناول الكلام بالقلب وهذا ما اخالفك فيهِ ولن اوافقك عليهِ . اما اذا شئتَ ان تكون حرًّا طليقاً من قيودهم وقواعدهم فلك ان تقول ان الكلام باللسان فرع للكلام بالقلب وما جاز ان يخصّ بالفرع يجوز اطلاقهُ على الاصل وكما صحّ القول كلام بليغ يصح ان يقال سكوت بليغ . بل لك ان تجول جولة ابعد من هذه في مضمار الاستئثار — حيث لا وازع ولا مانع — وتفعل بالفصاحة ما فعلتُ بالبلاغة لانها ليست اعزّ من شقيقتها جانباً ولا امنع حمًى فتشنّ عليها غارة الالمان على البلجيك . وعلى رغم انف علماء البيان تلغي اختصاصها بالكلام باللسان وتطلقها على الجامد والصامت من الجماد والنبات والحيوان

بل ليس بعيداً بعد هذا كلهُ ان اراك مطلقاً ما تخصهُ بقطار سكة الحديد على القطار لقطيعٍ من الابل في نسق واحد وتردّ على المعترض بقولك ان القطار لقطيع من الابل حقيقة ولمركبات سكة الحديد اصطلاح وما خصّ بهِ في معناهُ الثاني الفرعي يجوز اطلاقهُ عليهِ في معناهُ الاول الاصلي . ولئن فعلت هذا وما إخالك الاَّ فاعلهُ فلا تنسينّ انهُ ليس في شيء من الاجتهاد بل هو من قبيل التحكُّم والاستبداد

بقي انك ادّعيتَ أنَّنا معاشر الكتاب « امراء البيان وبطانة دولتهِ واصحاب العَلَم في جيش الادب » وانهُ يجوز لنا « ان نسلّ لسان الكلام من قفاهُ » وهي لعمر الحق دعوى عريضة يعيينا تحقيقها ويصعب على الناس تصديقها

« وما اعجبتني قطُّ دعوى عريضة ولو قام في تأييدها الف شاهدِ . »

وليكن هذا آخر عهدنا بفصاحة النفاخ والبلاغة بلا كلام ولك مني التحية والسلام

القاهرة اسعد داغر

كذب المنجمين

حضرات العالمين منشئي مجلة المقتطف الزاهر

لا يخفى ان المشتغلين بعلم الفلك (الهيئة) في هذا القطر قلال جدًّا لعدم انتظار النفع المادّي من هذا العلم والمؤلفات العربية في هذا الفن قليلة جدًّا واغلبها مضى عليها ما ينيف على الاربعين ولم تنفد طبعتها لقلة الطالبين وكلها تبحث في هذا العلم بحثًا وصفيًّا والآن لم يطبع كتاب يبحث في هذا العلم بحثًا عمليًّا

ولا يخفى ما يزعمهُ العامة من مزج علم الفلك بعلم التنجيم بل ظن اغلبهم ان علم الفلك هو علم التنجيم ذاتهُ نظراً لانباء الفلكيين بحوادث وقوع الخسوف والكسوف ووجود النجوم ذوات الاذناب في مواعيدها وذلك قبل وقوع هذه الحوادث بمدة من الزمن

ويصدر في هذا القطر تقويم يدعي صاحبهُ معرفة الغيب و يذكر اسماء اناس و يضيف اليها حروفًا وارقامًا على صور مبهمة يفسرونها بما يقع لهم من الحسنات او السيئات

فان كان يعرف الغيب كما يدعي فليقل لنا بكلام صريح متى تنتهي هذه الحرب او مَن سرق الخمسة آلاف جنيه التي ضاعت من بنك الانجلو فينال الجائزة التي وعد بها ذلك البنك او فلينبئ بما يصير اليهِ ثمن القطن وهلمَّ جرًّا

هذا والشيء بالشيء يذكر اقول عن نفسي اني كنت في صغري قد تولعت جدًّا بمعرفة علم التنجيم ودرستهُ على انواعهِ من رمل وزايرجه وفال وغيرهِ وكنت اتسلى بهِ في وقت الفراغ حتى صرت من كثرة الممارسة اعرف بعض ما يضمرهُ السائلون وكنت انبئهم بما يحصل لهم في المستقبل وذلك بطريقة فكرية فكان بعضها يصيب واكثرها يخطىء وان اخطأت نسبوا الخطاء لتشويش ذهن السائل وعدم توجيه فكرهِ وهذا امر مستغرب ولكن وجدتهُ عند اغلب الذين عاشرتهم وهذا لا يزول الّا بنشر العلوم الطبيعية والكيماوية والفلكية في عموم المدارس

احمد السيد

تبع قسم كرموز باسكندرية



استغلال الارض

اركانهُ وكيفياتهُ

(٢)

إداء مطاليب الفلاحة باوقاتها اولاً فاولاً حسبما تقتضيهِ اصولها اهم الوسائل في استغلال الارض وكل قصور او توانٍ فيهِ يضيع من غلتها بحسبهِ ولا ابالغ اذا قلتُ ان قليلاً من الخبرة خصوصاً في فلاحة الغيطان مع القدرة على هذا الإداء وحسن التدبير فيهِ اجدى نفعاً من زيادة المهارة مع نقص الوسائل وسوء الادارة . ولا شيءَ قد يكون في السخاء عليهِ احتياط وجلب للنفع اكثر من الاقتصاد فيهِ على اقل ما يمكن كالفلاحة . مثلاً اذا تراوح تقديرنا فيما يلزم لتقاوي الفدان بين ٦ او ٧ كيلات ووضعنا ٧ لا ٦ كان ذلك خيراً من العكس لانهُ اذا فرض وكان الواقع ان الكيلة جاءت زائدة عن اللزوم فانا بذلك لم نخسر اكثر من قيمتها هي وحدها بخلاف ما اذا كانت الكيلة نقصاً عن الواجب فانا نكون حينئذٍ قد فرّطنا في استغلال الارض على نسبة قلة تقاويها . وكذلك اذا تراوح نظرنا فيما اذا كانت الارض تعوزها ٣ او ٤ حرثات و ٤ او ٥ عزقات او ايٌّ احسن أجني القطن مرتين او ثلاث مرات كنا مع الزيادة متحققين معنى اداء الواجب مع الاتقان وزيادة النفع وليس كذلك اذا اكتفينا بالاقل . او اذا كان مع الزراعة البدرية في مثل القطن يخشى من زيادة التعب والمصروف في الترقيع كان ذلك خيراً من عدم التبكير في الزراعة وان لم نحتج معهُ الى الترقيع اصلاً

وكذلك التبكير في طفي شراقي الذرة ولو بالآلات بدل انتظار ورود مياه الراحة حتى ولو كانت المسافة بين الحالتين غير طويلة . وهؤُلاء فلاَّحو الجهات الجنوبية كمديرية المنوفية مثلاً يفضلون التبكير في ذلك حتى قبل وقت الاباحة بالطفي ولو ادَّى بهم الامر الى دفع غرامة الري لانهم تحققوا بالاختبار ان الربح من التبكير في محصول الذرة يربو على تلك الغرامة فضلاً عن انهُ يساعد على التبكير في زراعة الزراعات التالية لهُ

اكثر الفلاحين على درجة واحدة في معرفة عمليات الفلاحة اجمالاً ولكنا نرى الغيطين المتلاصقين المتماثلين في جميع احوالها الزراعية وزراعة احدهما اجود نماء ومحصولاً ونوعاً من زراعة الآخر ولا سبب في ذلك الاَّ ان فلاح الغيط الاول احسن قياماً بواجبات الفلاحة من فلاح الغيط الثاني . نخير للفلاح ان يصرف على غيطهِ ١٠ جنيهات ويستغل منهُ ٣٠ جنيهاً من ان يصرف ٨ ويستغل ٢٥ لانهُ في الحالة الاولى يزيد صافي ربحهِ ٣ جنيهات عنهُ في الحالة الثانية

ان الفلاح الحقيقي هو الذي يقوم على فلاحة غيطهِ بقدرة ومهارة حتى يستغل منهُ اقصى ما يمكن استغلالهُ لاذلك الرجل الذي يملك فدادين كثيرة ثم يهمل في فلاحتها اهمالاً يضيع معهُ ريعها وتفسد خصوبتها

نرى الزارعة المتقنة فلاحتها وقد استوفت وسائل عمارة الارض من ري وصرف وعمال وآلات ونرى اجزاءها وقد قسمت تقسيماً حسناً ونرى ان مجاري الري والصرف فيها نظيفة وان تربتها معتدلة نقية ونباتها قويًا نماوءُهُ باسماً اخضرارهُ وغلتها جيدة وفيرة وماشيتها قوية سليمة وآلاتها كافية وعمالها مستريحون من جهة معاشهم لذلك يكونون نشطين في اعمالهم منصرفين بكليتهم الى اتقانها . مثل هذه المزارع التي وصفناها يستغل اصحابها منها افضل غلة مع حفظ خصوبة الارض واحتمال المزيد فيهما برهة بعد برهة وليست كذلك المزارع المهملة اذ يخسر صاحبها وتأول هي الى التلف فيخرج الفلاح عنها خاسراً خسراناً مبيناً

احمد الالفي

موسم القطن المصري

اهم ما حدث في الشهر الماضي في باب الزراعة تقدير شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية للموسم الحاضر فقد قالت انهُ يوءْخذ من الاجوبة التي تلقتها عن حالة زراعة القطن المصري في شهر اكتوبر ان الحرارة ارتفعت في شهر اكتوبر في الوجه البحري ولكن الزراعة لم تستفد كثيراً من هذا الارتفاع بسبب ما اصابها من قبلُ من فتك دودة اللوز القرنفلية وقد شوهد ان الدودة الحقت ضرراً جديداً بالزراعة في شهر اكتوبر . ويقال بالاجمال ان محصول الفدان في الجنيتين الاوليين في الوجه البحري كان دون محصولهِ منها في العام الماضي . اما الجنية الثالثة المعبَّر عنها بالنيلي فقد كادت تكون معدومة . لان الدود

فتك باللوز · وصافي الحلج غير منتظم وهو دون صافي العام الماضي و يختلف متوسط النقص من ٣ الى ٥ في المئة

وما حدث في الوجه البحري حدث في الوجه القبلي فان الجنية الثانية التي فتكت دودة اللوز بها لم تنتفع من حرارة اكتوبر ومع ذلك فقد كان محصول الفدان من الجنيتين يزيد على محصولهِ منها في العام الماضي اما الجنية الثالثة فلا تعدُّ شيئًا مذكوراً · وصافي الحلج احط منهُ في العام الماضي

ثم قالت ان معلوماتنا تبعثنا على تقدير المحصول باربعة ملايين وثلاثة ارباع المليون من القناطير ويدخل في هذا القطن الباقي في قرى البلاد ومزارعها من محصول العام الماضي · انتهى

اما القطن الذي كان باقياً في داخلية البلاد فيقدَّر بنحو ربع مليون قنطار فيكون محصول قطن هذا العام اربعة ملايين ونصف مليون من القناطير. ولما علم ذلك في الثالث من شهر نوفمبر ارتفع سعر القطن في بورصة الاسكندرية بعض الارتفاع فبلغ سعر يناير $\frac{7}{32}$ ١٨ ثم تراوح بين ارتفاع قليل وهبوط اكثر منهُ الى ان بلغ في ١٥ نوفمبر يوم كتابة هذه السطور $\frac{20}{32}$ ١٧ فبلغ هبوطهُ ١٩ بنطاً مع ان قلة المحصول المصري والاميركي تدعو الى ارتفاعهِ ولكن الحالة السياسية تقوي ساعد حزب النزول على خفض الاسعار حتى يشتري بثمن بخس اما لتغطية مبيعات سابقة او للحفظ الى ان ترتفع الاسعار

ومما لا شبهة فيهِ ان صادرات القطن المصري هذا العام بلغت حتى ١٢ نوفمبر مضاعف ما كانت عليهِ في العام الماضي · نعم ان المحصول كان هذا العام ابكر منهُ في العام الماضي ولكن كان الطريق الى المانيا والنمسا وروسيا لا يزال مفتوحاً في العام الماضي بطريق ايطاليا والدردنيل وما نقص هذا العام من هذه الجهة زاد في ما صدر الى الولايات المتحدة الاميركية فقد بلغ الصادر اليها حتى ١٢ نوفمبر ٢٥١٥٤٢ قنطاراً وكان في العام الماضي ١١٧٨٨١ قنطاراً وتضاعف الصادر الى انكلترا فبلغ ٥٦٠٦٣٤ قنطاراً وكان في العام الماضي ٢٦١٥٧٩ قنطاراً

ولا يخفى ان الموسم الاميركي ناقص جدًّا حتى لا يقدَّر باكثر من احد عشر مليون بالة او ٥٥ مليون قنطار وكان في السنين الاخيرة يتراوح بين ١٣ و ١٦ مليون بالة اي بين ٦٥ و ٨٠ مليون قنطار فالنقص في موسم اميركا يضطر اصحاب معامل الغزل والنسج الى ابتياع القطن المصري ولو بثمن غالٍ

بزرة القطن

اذا ثبت ان موسم القطن هذا العام لا يزيد على اربعة ملايين ونصف مليون قنطار والمعتاد ان يكون سبعة ملايين فبزرتهُ نقصت وزاد النقص بان جانباً كبيراً منها دخلهُ الدود فهو لا يصلح للعصر ولا للزرع ولذلك لا يحتمل ان يزيد الصادر من بزرة القطن على مليوني اردب لانهُ اذا كان الموسم ٤٥٠٠٠٠٠ قنطار ففيهِ ٣٥٠٠٠٠٠ اردب والعادةً ان يبقى في القطر مليون ونصف للتقاوي وللعصر ولذلك لا ينتظر ان يصدر اكثر من مليوني اردب بعد ان كان يصدر منهُ في السنين العادية نحو اربعة ملايين . لكن كانت المانيا تأخذ نحو ٤٠ في المئة من البزرة الصادرة وانكلترا نحو ٦٠ في المئة فالمليونا الاردب التي يمكن اصدارها من هذا المحصول لا تكاد تكفي انكلترا وحدها ولذلك ارتفع سعر البزرة فزاد ثمن الاردب على مئة غرش وبلغ في بعض الاصناف ١٠٧ غروش رغماً عن غلاء اجرة الشحن . واذا اريد ادخال كسب البزر في علف الخيل الانكليزية في هذا القطر فلا بدَّ من ان يزيد السعر ايضاً . وحبذا لو ابتاعت وزارة الزراعة مقداراً كبيراً من البزرة الجيدة الخالية من الدود من الآن لكي تبيعها للفلاحين حتى لا يأتي وقت زرع القطن والتقاوي الجيدة السليمة غير موجودة او غير كافية او غالية جدًّا

زراعة الفول

وزعت وزارة الزراعة منشوراً بالاحتياطات اللازمة لزراعة الفول وهذا نصهُ :

كثيراً ما تكرر حث المزارعين على اتخاذ بعض الاحتياطات البسيطة التي لا تكلفهم كبير عناء درءًا لخطر الآفات التي تتهدد زراعتهم ودفعاً لما يقع بهم من الخسائر بسبب تلك الآفات

على اننا أثناء طوافنا في الوجه القبلي في شهر ابريل سنة ١٩١٥ قد شاهدنا من العجز الذي حل بمحصول الفول ما يحمل على الاعتقاد بان المزارعين لم يوجهوا ما ينبغي من العناية الى القيام بتلك الاحتياطات

ولذلك رأينا ان نلفت نظرهم الى الارشادات البسيطة الآتية التي تجب مراعاتها عند زرع الفول في المستقبل

من الآفات الخطيرة التي لم يبذل ما يجب من الاهتمام لمنع اذاها في كثير من مديريات

الوجه القبلي ندوة الفول . والعادة ان تظهر الندوة في بادىء امرها في اطراف الغيطان واذ ذاك يسهل استئصالها باستعمال محلول الكريوزين الذي سبق وصف طريقة تحضيرهِ في المنشور ٢٧ ويجب ان ترش بذلك المحلول جميع النباتات التي أُصيبت بالندوة فيمتنع تفشي هذه الآفة في الحال فان اهملت تنتشر انتشاراً سريعاً فتصيب جانباً عظيماً من الزراعة وكثيراً ما يترتب عليها ضياع المحصول كلهِ

اما اذا اتسع نطاق الاصابة بحيث يتعذر تداركها بالعلاج المتقدّم ذكرهُ فيجب قلع النباتات المصابة وإحراقها لان خسارة خطين او ثلاثة من الفول اقل ضرراً من تعريض المحصول كلهِ للضياع

ومن آفات الفول الاخرى الخطيرة النبات المعروف « بالهالوك » وهو نبات طفيلي كثيراً ما يصعب التخلص منهُ وقد تفشى في الوجه القبلي هذا العام تفشياً ذريعاً بحيث لم يكد يسلم منهُ غيط واحد فمتى تم الحصاد توجد الارض مغطاة برؤُوس هذا النبات التي تحمل بذورهُ

وقد تبيت بذور الهالوك في الارض عدة سنوات فلا تؤَثر على القطن او القمح ولكنها تظهر في الحال بمجرد ما يزرع الفول او الطماطم او الجزر او البرسيم ويصيب الهالوك جذور هذه النباتات ثم ينمو ويتغذى من النبات الى ان يقضي على حياتهِ

والطريقة الوحيدة لابادة الهالوك هي ان يستأصل من جذورهِ قبل ان تتكون بذورهُ ويجب مع ذلك ان يعتنى باحراقهِ في الحال لانهُ ان ترك مكوّماً على الارض يزهر وتتكون بذورهُ

وقد ترتب على اهمال اصابات الهالوك في بعض الاراضي ان اصبحت لا تصلح لاصناف الزراعة التي تقدم ذكرها وستبقى كذلك الى ان يباد منها ذلك النبات الطفيلي قطعيًّا

وقد شكا لنا بعض المزارعين مما اصاب محصول الفول الماضي من التلف بسبب الرياح الحارّة التي قامت في شهر ابريل على ان المرجح ان هذه الرياح انما اقتصر ضررها على الزراعة المتأخرة فأذبل زهرها او قرونها ولذلك يجب ان يبكر بزرع الفول البلدي لكي يشتدّ الحب في قرونهِ قبل ان تثور زوابع الخمسين

زراعة القمح

ووزعت منشوراً آخر بشأن وجوه الاحتياط التي يجب اتخاذها في زراعة القمح وهذا نصهُ :

انهُ نظراً لان مرضي الصدإ والدودة الشبيهة بشعبان البحر كانا منتشرين بنوع خاص في القمح الذي زرع بالوجه البحري في السنة الماضية فانهُ يجب الحرص للحصول على التقاوي اللازمة من الاماكن التي لم تحل بها تلك الآفات ثم غربلتها لازالة الحبوب الصغيرة المصابة بالدود وكذا الحبوب التي تكمشت من الصدأ . وعندئذٍ تعالج الحبوب الباقية بمحلول كبريتات النحاس من قبيل الاحتياط

والطريقة التي تتبع لمنع وصول العدوى الى البذرة اثناء انباتها سواء كان ذلك من جراثيم موجودة في الارض او من حبوب مصابة مختلطة بحبوب سليمة هي ان تخلط خمسة اجزاء من ملح كبريتات النحاس بخمسة وتسعين جزءاً من الماء و بعد ذوبان الملح المذكور يصب المحلول على كومة البذرة قبيل بذرها مباشرة ثم تحرك حتى تتبلل البذور جميعها وتنشر بعد ذلك لتجف . ولا بد من غسل الايدي جيداً بعد اجراء الخلط المطلوب اذ ان كبريتات النحاس سم ان كان لا يؤذي من الخارج فانهُ يؤذي اذا تطرق الى الباطن

و بما ان الامراض الفطرية التي كالصدأ تزداد نشاطاً في النمو والانتشار في الرطوبة والحرارة فانهُ يحسن ان يكون الري في اواخر الشتاء واوائل الصيف قليلاً ما امكن . اذ يترتب على ذلك انهُ اذا اصيبت النباتات فانتشار العدوى يتأخر الى اجل لا تضر فيهِ الحبوب . وقد شوهد ان جراثيم الصدإ المصري كثيراً ما تصيب القمح في الشتاء ولكن النباتات على رغم الاصابة لا يقع بها شيء من الضرر في نهاية الامر إما بسبب عدم ملاءمة الاحوال لنمو الجراثيم او بسبب قوة المقاومة التي تبديها بعض اصناف القمح انتهى

زراعة الكتان

زُرع الكتان في القطر المصري منذ ايام المصريين الاولين قبلما زرع فيهِ القطن بمئات من السنين . ولا تزال المنسوجات المصرية القديمة التي وجدت في قبور المصريين الاقدمين محفوظة حتى الآن تدلُّ على انهم كانوا يحسنون زرع الكتان وتعطينهُ وغزلهُ ونسجهُ . ولا يبعد ان تعود زراعتهُ الى الانتشار في هذا القطر ولاسيما بعد ما تعرَّض القطن للآفات الكثيرة

ويزرع الكتان عادة في هذا القطر بعد الذرة او بعد القطن و يفضَّل زرعهُ في ارض كانت مزروعة برسيماً في الشتاء السابق لان البرسيم ينظف الارض من الحشائش والأ لبتت مع الكتان واضعفتهُ

وقد قال المستر كارتريت في كتاب الزراعة المصرية « ان شعر الكتان المصري ليس من الانواع الجيدة جدًّا » . لكننا ارسلنا من الكتان المصري الى احسن معامل الكتان في ارلندا ففحصوهُ واخبرونا انهُ اجود جدًّا من الكتان الرومي ويماثل اجود انواع الكتان البلجيكي مع انهُ من زراعة عادية بقيت في الارض الى ان تكامل نضج بزرها . وقد زرعنا بزر كتان اوربي من بلاد النمسا فجاءت عيدانهُ اطول من عيدان الكتان البلدي والبافها ادق وانعم ولما مشط في ارلندا جاءت اليافهُ كالحرير في دقتها ونعومتها

ولا بد من كون الارض التي يزرع الكتان فيها شديدة الخصب نظيفة من الحشائش . واجود الاراضي لهُ الصفراء وهو يسمَّد عندنا بالسباخ البلدي ويقال ان السباخ الكفري افضل لهُ . وتحرث الارض لهُ اولاً وتروى ثم تحرث مرتين وتقسم الى مسائح صغيرة وتروى ثم تبذر وهي رطبة . وزمن الزرع في شهر نوفمبر والغالب ان يبذر في الفدان من ست كيلات الى ثماني كيلات . وسبع كيلات كافية لجعل سوق الكتان طويلة دقيقة واذا زادت التقاوي عن ذلك عفَّن بعضها . والكتان المصري ينتج بزرًا وعودًا في وقت واحد واما الكتان الاوربي فاذا أُبقي في الارض الى ان يبلغ بزرهُ تمامًا ويجف خشن عودهُ وصلب ولذلك يقلع قبلما يبلغ بزرهُ جيدًا

ويروى الكتان مدة اقامتهِ في الارض مرتين او ثلاثًا ولا بدَّ من تنقية الحشائش منهُ ولاسيما الكبيرة كالحامول والقرولا

ويقلع الكتان من الارض قلمًا ويترك في الغيط حتى يجف ثم يخبط بالخابيط حتى يتناثر بزرهُ منهُ وتعطَّن العيدان في المعاطن وهي حياض واسعة تملأُ ماءً وتوضع حزم الكتان فيها واقفةً وتترك فيها ١٢ يومًا الى ١٥ يومًا حتى يصير قشرهُ ينزع بسهولة . ثم يخرج ويجفف في الشمس ويدق بعد ذلك بعصي حتى ينفصل الغلاف الخشبي عن الشعر الذي يحويهِ ثم يمشط بامشاط خشبيةٍ ويمرُّ بين اسطوانتين حتى يدق الشعر وينتظم . وقد استنبط اهالي اوربا آلات تستخرج بها الياف الكتان من عيدانهِ من غير تعطين . واذا اتسعت زراعتهُ في هذا القطر فلا بدَّ من جلب الآلات اللازمة لاستخراج اليافهِ الدقيقة من عيدانهِ

وعسى ان تهتم وزارة الزراعة بمساعدة الذين شرعوا في جلب تقاوي الكتان الاوربي لكي ينشئوا زراعة جديدة في هذا القطر تسدُّ مسد ما نقص من فعل الحشرات بزراعة القطن

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) طبائع النمل

مصر . سيد محمود خيري . قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين سنة ١٩٠٨ في باب الاخبار العلمية صفحة ١٠٧١ ما يأتي :

« نشر الاب وسمان مقالات ضمنها مباحثهُ الكبيرة في طبائع النمل بيَّن فيها ان بعض انواع النمل يعيش معاً في قرية واحدة على تمام الوئام ولا يعتدي نوع منهُ على النوع الآخر وبعضها يسمح للخنافس الصغيرة ان تعيش معهُ آمنة وبعضها يسمح لتلك الخنافس ان تعيش معهُ اذا كان عددها قليلاً فاذا زاد قام عليها وفتك بها » الخ . فهل هذه المقالات مطبوعة باللغة العربية وهل تباع في المكاتب المصرية

ج . كلاَّ لم تطبع بالعربية ولا نتذكر اننا رأينا في العربية مقالات تبحث في طبائع النمل غير ما جاء منها في بعض مجلدات المقتطف الماضية

(٢) صياح الديك

الاسكندرية . محمد افندي علي داود كاتب بالمكتبة البلدية . ان الديك وهو من الطيور الاهلية يصيح وقت اذان الصلوات الخمس بالتقريب فما هو سبب ذلك وما سبب تغريد ذكور الطيور دون الاناث

ج . ان الذي نعلمهُ هو ان الديك يصيح عند فجر النهار ويصيح في النهار في اوقات مختلفة لا ضابط لها . واصوات الذكور من الطيور من الجواذب التي تجذب الاناث اليها وقد كانت الدجاج كلها برية اولاً في غابات برما في اقاصي الهند الشرقية على الراجح وكانت ذكورها تستيقظ عند الفجر وتصيح كاكثر الطيور الصيَّاحة وتتبارى في ذلك اغراء للاناث ولا يزال الديك يصيح كلما شعر بالفوز على غيرهِ وكثيراً ما يصعد على مكان مرتفع حينما يصيح لكي يمتد صوتهُ الى بعيد

والصياح والتغريد خاص بذكور الطيور في الغالب لهذا السبب اي لانهُ من الوسائل التي يستعملها الذكور لجذب الاناث

(٣) دوران اورانوس ونبتون

ومنهُ . في كم من الوقت يدور كلٌّ من اورانوس ونبتون على محورهِ

ج . ان ذلك غير معروف لانهُ لم يشاهد عليها كلف او مناطق يمكن الاستدلال بها على المدة التي يدور بها كلٌّ منها على محورهِ

(٤) سنة اورانوس ونبتون

ومنهُ . وفي كم من الوقت يدور كلٌّ منها حول الشمس

ج . يتم اورانوس دورتهُ حول الشمس في نحو ٨٤ سنة ونبتون في نحو ١٦٤ سنة من سنينا

(٥) سبب دوران السيارات

ومنهُ . ما سبب دوران الكواكب الثانية السيارة على محورها وما سبب دورانها حول الشمس

ج . سببهُ في ما يرجح ان الشمس كانت سديماً منتشراً في الفضاء وكانت السيارات جزءاً من هذا السديم فانفصلت عنهُ حلقات وبقيت هذه الحلقات دائرة بقوة الاستمرار حول محور الجزء الكبير الذي انفصلت عنهُ ومحيط كل حلقة اسرع من باطنها فلما تكاثفت وتجمعت دقائقها دارت على نفسها ايضاً لان اجزاءها الخارجية كانت اسرع من الداخلية

(٦) بيضة صغيرة

بورت سودان . اسكندر افندي سوريا . في منزل احد اصدقائي مكان خاص للدجاج دخلتهُ خادمة ذات يوم فوجدت فيهِ بيضة صغيرة الحجم جدًّا (وها انا مرسلها اليكم بطريق البوسطة) الاَّ انها اشد صلابةً من بيض الحمام فانها وقعت مراراً من ارتفاع متر ولم تنكسر . وقد اختلفت الآراء فيها فمن قائل انها بيضة دجاجة صغيرة او بيضة حمامة ولكن ليس في البيت دجاج صغير ولا منفذ لدخول الحمام او اليمام وظن البعض انها بيضة ضب وغيرهم انها بيضة ديك جرياً على قول الذين يقولون ان الديك يبيض مرة في السنة واستناداً على قول الشاعر

قد زرتنا زورةً في الدهر واحدةً
ثني ولا تجعليها بيضة الديك

فنرجو ان تكرموا علينا بالحقيقة

ج . وصلت البيضة التي ارسلتموها في علبة من الصفيح يحيط بها القطن وصلت سليمة مع انكم ارسلتموها نيئة وقطرها الاطول نحو سنتمترين ونصف والاقصر اقل من سنتمترين . وحالما وقع نظرنا عليها رجحنا انها بيضة دجاجة وحينئذٍ تكون خالية من الصفار . فسلقناها ونزعنا قشرها وشققناها فاذا هي خالية من الصفار ولذلك فهي بيضة دجاجة لا بيضة حمامة ولا بيضة ضب ولا بيضة حيوان آخر . اما خلوها من الصفار فسببهُ ان الصفار هو البيضة الحقيقة ومتى تكامل يخرج الى القناة التي قبل المخرج فيجتمع البياض حولهُ هناك ثم

ترسب مادة القشرة حول البياض فلا يحتمل ان يكون الصفار موجوداً فيها وهي صغيرة الى هذا الحد . وقد أُرسلت الينا بيضة مثل هذه في العام الماضي من الموصل ولم يعتنَ بارسالها فوصلت مكسورة منتنة فرأينا اتماماً للفائدة ان نعيد هنا ذكر السؤال والجواب كما وردا في مقتطف اغسطس سنة ١٩١٤ لان ذلك الجواب يصلح ان يكون جواباً لسؤالكم

« الموصل . ن ع عندنا دجاجة مع ديكها كبيرة الحجم بقدر الاوز وقد جلبناها من كرمنشاه ببلاد العجم وهي نادرة الوجود في بلادنا وتبيض كل يوم بيضة بحجم بيض الاوز و بعد ان دامت على البيض اثني عشر يوماً باضت في اليوم الثالث عشر بيضة صغيرة قدر بيض الحمام وقد ارسلناها اليكم مع البريد وظاهر البيضة انها كاملة لا ينقصها شيء . ولا نعرف سبباً لهذا التغيُّر الفجائي غير تغير المكان . ومن بعدها عادت تبيض بيضاً كبيراً كعادتها فنرجو ان تعللوا لنا سبب ذلك

ج . وصلت البيضة والظاهر انكم ارسلتموها نيئة فانكسرت قشرتها في الطريق وفسدت فلم نستطع ان نرى ما فيها لشدة فسادها ونتانتها وحبذا لو سلقتموها جيداً قبل ارسالها فانها كانت تبقى سليمة ولو كسرت قشرتها في الطريق . والبيض الصغير كذلك نادر وسببهُ تكوُّن البيضة في القناة التي بين المبيض والمخرج فلا يكون فيها مح (صفار) لان المح يتكون في المبيض فتخرج صغيرة . ولو وصلت هذه البيضة سليمة لوجدنا انها بياض فقط لا محَّ فيهِ . والغالب ان يكون ذلك في آخر فصل البيض فتكون البيضة الصغيرة آخر بيضة تبيضها الدجاجة . والظاهر انهُ حدث سبب لدجاجتكم في اليوم الذي باضت فيهِ البيضة الصغيرة فلم يخرج مح من مبيضها فاجتمع البياض الذي كان في انتظارهِ وتجمَّع القشر عليهِ فخرج بيضة صغيرة . و يقول العامَّة ان هذه البيضة الصغيرة هي بيضة الديك والقول خطأ كما لا يخفى » . انتهى

(٧) مستقبل تركيا

جو ندبا هو بالبرازيل . الخواجه حسيب ابوخلف ما هو رأيكم في مستقبل تركيا عموماً وسوريا خصوصاً لو انتصرت المانيا في هذه الحرب او لو تم النصر للحلفاء وهل يصح ما يقال الآن من ان روسيا تأخذ الاستانة وانكلترا وفرنسا تقتسمان سورية

ج . يظهر لنا ان الفرض الاول وهو انتصار المانيا ضرب المحال لان خصومها اقدر منها على ادامة الحرب سنوات عديدة الى ان تستنزف قوتها وتدور الدائرة عليها . ولكن يحتمل ان يعقد الصلح قبل ان تخور كل قوة المانيا وحليفتيها كما يحتمل ان تستمر الحرب الى ان يقضي عليها القضاء التام . ومستقبل تركيا في كلٍّ من هاتين الحالتين يتوقف على احوالها الداخلية وعلى مقدرة اصحاب الديون

العثمانية وهذان العاملان اي احوال البلاد ومقدرة الدائنين لا يمكن التكهن بما يكونان عليهِ عند انتهاء الحرب ولذلك نرى انهُ لا يمكن الجزم بمستقبل البلاد من الآن

(٨) ادرار اللبن

طنطا . الخواجه سيمون دهان . قيل ان رجلاً حُكم عليهِ بالحبس اربعين يوماً من غير اكل ولا شرب فكانت ابنتهُ البالغة من العمر عشرين سنة تتردَّد عليهِ وهي بكر لكن شدَّة حنانها عليهِ ادر لهُ اللبن من ثديها فهل ذلك محتمل . وقد سمعت ان امرأَة توفيت على اثر الولادة بعد ان ولدت توأمين فاخذت امها الولدين وارضعتها مع انها كان عجوزاً فهل ذلك صحيح

ج . ان القصة الاولى محتملة ولو كنا نرجح انها غير صحيحة لانهُ ليس في الشرائع المعروفة شريعة تحكم على الجاني ان يصوم اربعين يوماً بلا اكل ولا شرب اما احتمالها فلانهُ ذُكر عن رجل كبرت ثندوتاهُ (ثدياهُ) فارضع طفلاً منها فلا يستحيل ان يدر ثديا البكر لبناً وهي في هذا السن . واما القصة الثانية فلا ما يمنع صحتها ونحن نعرف امرأَة ارضعت ابن ابنتها بعد ان انقطعت عن ولادة الاولاد نحو عشر سنوات

(٩) اناتول فرانس

مصر . الخواجه لبيب نعمان طبشي . ذكرتم في الجزء الماضي اناتول فرانس فحبذا لو ذكرتم لنا الآن شيئاً عنهُ وعن مبادئهِ الفلسفية

ج . هو جاك اناتول نيبول ولد في باريس سنة ١٨٤٤ وكان ابوهُ كتبيًّا من الطراز القديم اي من الذين كان العلماء يجتمعون في مكاتبهم للمذاكرة والمناظرة في المواضيع العلمية والفلسفية . فغاص من صغرهِ في فن الانشاء ونشر اول كتاب من تأليفهِ سنة ١٨٦٨ ثم نشر ديوان شعر سنة ١٨٧٣ وديواناً آخر سنة ١٨٧٦ وشعرهُ من الطبقة الاولى ولكنهُ لم يكتفِ للتعبير من جواهر معانيهِ فاعتمد على النثر ونثرهُ من السهل الممتنع خالٍ من التعقيد والتعمُّل ولقد قال «ان الانشاء البسيط كالنور مركَّب ولكن العين لا ترى تركيبهُ . وما البساطة المستجادة سوى صورة ظاهرة باطنها الايجاز المحكم وحسن اختيار الالفاظ وتنسيقها» . وهذا القول يصدق على اسلوبهِ في الانشاء فان سلاستهُ قائمة برشاقة الفاظهِ وحسن انتقائها وتنسيقها . وهو من اهل الشكوك واساس فلسفتهِ الشك في كل شيء فيشك في صحة الاديان والآداب والعلوم والاصول الفلسفية بل يشك في صحة شكهِ لكنهُ خفيف الروح جدًّا لا يسيء احداً . وقد يعبّر عن شكهِ بنفسهِ وقد يعبّر عنهُ بلسان غيرهِ من الذين يذكرهم في رواياتهِ وهي كثيرة جدًّا تدور على مواضيع مختلفة فلسفية وادبية واخلاقية

وسياسية وانتقادية . وقد ضمَّن بعضها كثيراً من الحقائق العلمية الحديثة التاريخية والاثرية وهو من اعضاء الاكادمية الفرنسوية

(١٠) برنارد شو

ومنهُ . وحبذا لو نشرتم لنا ايضاً شيئاً عن صديقهِ برنارد شو

ج . برنارد شو مؤلف ارلندي ولد سنة ١٨٥٦ وتلقى علومهُ في مدرسة دبلن ودخل كاتباً عند بائع اراضٍ وعمرهُ ١٥ سنة ثم جاء مدينة لندن وجعل يكتب الروايات وانضم الى الجمعية الفابية[1] سنة ١٨٨٤ وعاون الاشتراكيين في عملهم بالقلم واللسان وحرَّر المقالات الفابية ولهُ منها مقالة موضوعها اساس الاشتراكية المعاشي The Economic Basis of Socialism والانتقال الى الشعوبية . وانضم الى الكتَّاب المنتقدين في جرائد عديدة كالبال مال والستار والستردي رفيو . ثم انشأ روايات تمثيلية كثيرة فلم يقبل عليها غير الاشتراكيين لما ضمَّنها من المبادي الاشتراكية . ومنع الرقيب احدى رواياتهِ من التمثيل في انكلترا فمثلت في اميركا ولكن حُكم على ممثليها . واخيراً فاز في انشاء رواية كنديدا فكان لها وقع حسن جدًّا ومن ثم صار الجمهور يقبل على رواياتهِ التمثيلية وهي كثيرة

(١١) مجلة كالمقتطف

مصر . امين افندي شحاته . ما هي احسن مجلة انكليزية تضاهي المقتطف وما قيمة اشتراكها السنوي

ج . في الانكليزية مجلات كثيرة في كل علم ومطلب ولكننا لا نعرف مجلة علمية عمومية كالمقتطف الاَّ مجلة نالشر وقيمة الاشتراك فيها نحو ١٥٠ غرشاً مصريًّا في السنة لكن مباحثها علمية محضة في الغالب وقلما تكتب شيئاً في الصناعة او الزراعة او تدبير المنزل . وقد اضطررنا ان نجعل المقتطف عموميًّا لان عدد القراء في العربية الذين يحسنون فهم المواضيع العلمية المحضة لا يزال قليلاً جدًّا فاذا نشرت فيها مجلة تختص بعلم من العلوم لم تجد من القراء العدد الكافي للقيام بنفقاتها

(١٢) تاريخ الرومان واليونان

الاسكندرية . بعض طلبة مدرستها الثانوية . ما هو احسن المؤلفات الانكليزية في تاريخ الرومان واليونان والتاريخ العام

ج . نرى التاريخ الذي طبعتهُ جريدة التيمس في ٢٥ مجلداً وسمتهُ تاريخ المؤرخين يفي بمطلوبكم لانهُ تاريخ عام مسهب مدقق على قدر الامكان

(١٣) دائرة المعارف الانكليزية

ومنهم كم ثمن دائرة المعارف الانكليزية وكم عدد مجلداتها واين تباع

---

(١) او جمعية الارهاق نسبة الى القائد فابيوس الروماني الذي اتعب هانيبال القائد القرطاجني وارهقه حتى تغلب عليهِ

ج· دوائر المعارف الانكليزية كثيرة واوسعها واحدثها الانسكلوبيذيا البريطانية· والطبعة الاخيرة منها جاءت في ٢٨ مجلداً ما عدا مجلد الفهرس وقد طبعت سنة ١٩١١ ثم صدر لها ملحق سنة ١٩١٣ ولم يبلغنا انهُ صدر لها ملحق آخر· اما ثمنها الآن فنظن انهُ ٣٥ جنيهاً وتباع عند كل باعة الكتب الاوربية في انكلترا ويستطيع كل احد ان يطلبها من Cambridge University Press. Fetter Lane, London فترسل اليهِ في صندوق كبير

(١٤) سن الزواج

ومنهم ما هو احسن سن مناسب لزواج الشاب والشابة في هذا الزمان

ج · ابكرهُ افضلهُ متى تمَّ بلوغ الشاب والشابة · الشاب بين الخامسة والعشرين والثلاثين والشابة بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين

(١٥) اول حرب تاريخية

ومنهم ما هي اول حرب ذكرها التاريخ

ج· ان اوائل التاريخ مخلوطة بالخرافات حتى يعسر الفصل بينهما والحكم بان هذا من التاريخ وهذا من الخرافات · ولكن الدلائل قوية على ان حمورابي وهو ملك تاريخي لان شريعتهُ منقوشة في الصخر هو امرافل ملك شنعار المذكور في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين من جملة الملوك الذين اثاروا حرباً فتكون هذه الحرب تاريخية لانها منسوبة الى ملك تاريخي وقد كان حمورابي قبل المسيح بالفين وثلثماية وخمسين سنة

(١٦) الكتابة من اليمين الى الشمال

ومنهم تكتب اللغات الشرقية من اليمين الى الشمال والغربية من الشمال الى اليمين فما سبب ذلك

ج · يزعم بعض الاوربيين ان حركة اليد من الخارج الى الداخل اي من اليمين الى الشمال في اليد اليمنى دليل الضعف او الانحطاط ومن الداخل الى الخارج دليل القوة او الارتقاء· فالرجل القوي اذا ضرب بيدهِ ضرب بها دفعاً اي انهُ يحرك يدهُ من صدرهِ الى الخارج كأَنهُ يبعد من يضربهُ عنهُ والمرأَة اذا ضربت بيدها فعلت على ضد ذلك وعلى هذا القياس يقولون ان بعض الشعوب القديمة كانت تكتب من اليمين الى اليسار فلما قويت وارتقت صارت تكتب من اليسار الى اليمين· ولا ندري كم في هذا الزعم من الصحة

ولا شبهة ان الحركة الاولى التي تحركها اعضاء الحيوان تكون من الخارج الى الداخل اذ تجلب الطعام وتدفعهُ الى الفم ثم تأتي بعدها الحركة من الداخل الى الخارج وهي حركة دفع الاعداء وابعادها · ومن المحتمل ان الناس جروا على هذا الترتيب في كتابتهم فكتبوا اولاً بالحركة الاولى ثم بالحركة الثانية· ومما نعلمهُ من انفسنا اننا نستسهل رسم

الخط المستقيم من اليسار الى اليمين اي من الداخل الى الخارج ونستعصبهُ من اليمين الى اليسار او من الخارج الى الداخل

(١٧) متى تأسست جريدة ناتشر

ومنهم متى تأسست جريدة ناتشر وهل يمكن ان تباع مجلداتها الماضية

ج · آخر عدد وصل الينا منها عند كتابةهذه السطور هو العدد ٢٤٠١ فيكون قد مضى عليها الآن نحو ٤٦ سنة ولا نعلم هل تباع مجلداتها الماضية الآن

(١٨) الانباء بالغيب

مصر · فهمي افندي حنا سليمان ·
حضرت في هذا الاسبوع حفلة سنماتوغرافية تخلَّل فصولها فصل في التنويم المغنطيسي قام بهِ شابان ايطاليان واظهر فيهِ المنوَّم ما بطن من اسرار اغلب الموجودين الذين سألوهُ مع ذكر اسماء مَن كانوا يفكرون فيهم بصريح اللفظ والقول هذا فضلاً عن ذكر الاعداد وايضاح اسماء مختلفة ممَّا لم يبقِ للريب والشك مجالاً

ونقطة الاهمية والسؤَال الآن هي لماذا لا يُنتفَع بهذا العلم او هذه المعرفة او هذا السر المؤَكد والغريب في حروب اليوم اي تكليف المنوَّم مثلاً بالإخبار عن قوة جيش العدو ومكانهِ وحركاتهِ وسكناتهِ الامر الذي يُستغنى بهِ عن الاستكشاف بالطيارات والطلائع صوناً للارواح · هذا وارجو ايضاً الافادة هل للتنويم المغنطيسي قوة في اظهار المستقبل كما لهُ قوة في اظهار الماضي والحاضر

ج · لا ينتفع بهذا العلم او هذه المعرفة او هذا السر لانهُ غير مؤَكد بل غير صحيح · ما قولكم لو جاءكم رجل فقير يستعطي وقال لكم انهُ قادر ان ينظر الى النحاس فيحوّلهُ ذهباً ألا تقولون انهُ لو كان صادقاً لاغتنى واستغنى عن الاستعطاء · واذا حوَّل امامكم قطعةً من النحاس ذهباً أفلا تقولون انهُ احتال عليكم حتى اوهمكم انهُ حوَّل النحاس وهو لم يحولهُ بل اخفاهُ وابدلهُ بالذهب · متى رأينا امراً مناقضاً لاحكام الطبيعة واختبار الناس في كل العصور فسبيلنا ان نتّهم عقولنا او عيوننا او صدق الفاعلين واخلاصهم ولا نتّهم الطبيعة والاختبار

وبعدُ فقد بلغتنا امور كثيرة من هذا القبيل وبحثناها بانفسنا فوجدنا ان كل ما يُعمَل فيها من قبيل الغش والخداع او الاستهواء والانخداع · منذ عهد غير بعيد جاءنا اثنان من اصدقائنا واحدهما من اكابر العلماء واخبرانا انهما رأَيا رجلاً يعرف الغيب ويقرأُ الافكار واكَّدا لنا انهما امتحناهُ في امور كثيرة فصدق فيها كلها وقال لنا احدهما انهُ فكَّر باخيهِ المتوفى فقال لهُ هذا الرجل انك تفكر باخيك واسمهُ كذا وهو لا يعرفهُ ولا يعرف اخاهُ واخبرانا اموراً كثيرة من هذا القبيل والحا علينا حتى حضرنا معهما جلسة من جلسات

هذا الرجل في بيتهِ او بيت احد اقاربهِ وكلهم متفقون على الشعوذة والخداع رجالاً ونساء على ما ظهر لنا فلم تخفَ علينا حيلهُ بل حيلهم كلهم · ولما تبينوا ان حيلهم لا تجوز على كاتب هذه السطور من شكل الاسئلة التي كان يسألها وشكل استيضاحهِ والفات رفيقيهِ الى ما لم ينتبها لهُ قالوا ان الارواح ظهرت ثم غابت وابت الرجوع

والامر المهم الذي يستحق الالتفات هو كيف تروج هذه الاخاديع وكيف يصدقها الناس · والجواب ان بعض الناس يتغلَّب عليهم الوهم في بعض الاحوال والاوقات وهم لا يدرون فيسألون مثلاً عن اسم قريب لهم اسمهُ احمد فاذا ذكر المسؤول اسم محمد سمعوهُ احمد واذا ذكر اسم ابرهيم سمعوهُ احمد · واذا سألوهُ عن الجهة التي سافر فيها وكانت الى الشمال فقال الى الشرق سمعوها الى الشمال · وهذا المسؤول يجتهد دائماً لكي ينطق نطقاً غير واضح فيسمع السامع ما قام في ذهنهِ لا ما سمعهُ باذنهِ · اما معرفة الارقام الهندية فلا تتم الاَّ اذا كان المنوّم قادراً على التكلم من بطنهِ (ڤنترلوكوست) فيطلع على الارقام و ينطق بها من غير ان يفتح فاهُ وانت تحسب ان المنوّم نطق بها لان المتكلم من بطنهِ يستطيع ان يكيف صوتهُ حتى تحسب انهُ صادر من الجهة التي يريدها

وهب اننا لم نكتشف كل الحيَل التي يستعملها هؤُلاء فاكتفاؤُهم بعرض بضاعتهم على هذه الصورة المزرية وعدم انتفاعهم ونفع العالم بها على اسلوب شريف دليلان قاطعان على انها من انواع الشعوذة

(١٩) اصل الاسبوع

مصر · مدرسة القضاء الشرعي · محمد افندي محمد سعفان · كيف قسمت السنة الى اسابيع وسمي كل يوم من الاسبوع باسم مخصوص ومَن هو الواضع لذلك

ج · يظهر من اختلاف الامم في عدد ايام الاسبوع ان الاصل في القسمة الشهر القمري اوالاسواق التي تقام للبيع والشراء · فالذين اعتمدوا على الشهر قسموهُ الى ثلاثة اقسام او ستة كالمصريين الاقدمين فكان اسبوعهم عشرة ايام اوخمسة والذين اعتمدوا على الاسواق كانوا يقيمون اسواقهم مرةً كل ثلاثة ايام او اربعة اوخمسة او ستة فيقسمون السنة الى اسابيع كلٌ منها ثلاثة ايام كالمسكاس في اميركا الجنوبية او اربعة كالشبشاس او خمسة كاهالي ملقا وجاوى وغينيا الجديدة والمكسيك الخ اما قسمة السنة الى اسابيع كلٌ منها سبعة ايام فابتدأت في غربي اسيا ولم تصل الى رومية الاَّ في عهد ثيودوسيوس · والذين لا يعتقدون ان اصل هذا الاسبوع ما ذكر في سفر التكوين يقولون انهُ بني على عبادة الكواكب فانها كانت محسوبة سبعة عند القدماء وهي زحل

والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر فصار الاسبوع سبعة ايام حسب عددها وعلى ذلك سمَّى الرومان اليوم الاول منهُ بما معناهُ يوم الشمس والثاني يوم القمر والثالث يوم المريخ الخ وهي هكذا :

الاحد	Dies Solis
الاثنين	Dies Lunae
الثلاثاء	Dies Martis
الاربعاء	Dies Mercurii
الخميس	Dies Jovis
الجمعة	Dies Veneris
السبت	Dies Saturni

ومن المحتمل ان جعل الاسبوع سبعة ايام نتج من قسمة الشهر القمري الى اربعة اقسام حسب اوجه القمر. اما الاسماء العربيَّة فالحديث منها مبني على العدد ما عدا الجمعة

(٣٠) مرض افلاطون

ومنهُ . نرى في كتب التاريخ التي في ايدينا ان افلاطون اليوناني عاش ما عاش ولم يصبهُ ادنى مرض فهل هذا صحيح واذا قلتم بصحتهِ فهل لهُ نظير

ج . لم نرَ ذلك في كتاب من كتب التاريخ التي بين ايدينا بل رأينا ما ينقضهُ فان افلاطون نفسهُ قال في احد كتبهِ ان مرضهُ منعهُ من الحضور لسماع استاذهِ سقراط قُبَيل موتهِ . وكان عمر افلاطون حينئذٍ ٢٨ سنة ورجل يمرض وهو شاب في عنفوان قوتهِ يرجح انهُ مرض ايضاً اكثر من مرة في صبوتهِ وشيخوختهِ

(٣١) حب الشباب

ومنهُ . ما الدواء النافع للحب الذي يبرز في وجه الانسان ويسمى بحب الشباب

ج . لقد ذكرنا علاج هذا الحب مراراً كثيرة في المقتطف تحت اسم حب الصبا او الاكنة وآخر ما ذكرناهُ من هذا القبيل في مقتطف مايو من العام الماضي وهو بنصهِ

« تظهر الاكنة او حب الصبا في الجبهة والانف والذقن والصدر والظهر والكتفين واماكن اخرى من البدن ولكن اكثر ظهورها في الوجه . ويكون ظهورها غالباً بين السنة الرابعة عشرة والعشرين من العمر ولاسيما في الذين يكثر برد ايديهم وافواههم او الذين تكون الدورة الدموية ضعيفة فيهم . وتزيد بالامساك وقد يرافقها سوء الهضم . وتشتد اذا قلَّت الرياضية البدنية وقلَّ غسل الوجه فضعف فعل الغدد الجلدية . ومن اعراضها العامَّة القبض وسوء الهضم وضعف الدورة الدموية وهي تفعل كاسباب لها . وحب الصبا نفسهُ نقط سوداء صغيرة تدل على ان افواه الاقنية الدهنية قد سُدَّت بالغبار والوسخ واذا عصرت خرج منها مادة دهنية كالدودة الدقيقة . وكثيراً ما يكون هناك انتفاخ محمر والنقطة السوداء في رأسهِ وقد يكون صغيراً اصغر من حبة العدس ويزول سريعاً او

كبيراً اكبر من الفولة ويبقى اسابيع او اشهراً ويقيح ويشفى ويبقى مكانهُ ندبة او تصلُّب دائم

العلاج — يجب الالتفات الى الصحة العامة ومداواة سوء الهضم والقبض ونحوهما واذا كان الجسم ضعيفاً وجبت تقويتهُ بشرب زيت السمك مثلاً او غيرهِ من المقويات واذا كان مصاباً بفقر الدم وجبت معالجتهُ . واذا كان المصاب قليل الحركة والرياضة وجب ان يروض جسمهُ في الخلاء ويتعهد جسمهُ بالغسل بالماء البارد وينشفهُ بالمناشف الخشنة وتقوى الغدد على افرازها بدهنها بدهون الكبريت قبل النوم وغسلها صباحاً ومساءً بمذوب خفيف جداً من السليماني جزء منهُ في عشرين الف جزء من الماء او قمحة منهُ في نحو اقة من الماء او بماء كولونيا . ولا بدَّ من عصر امكنة النقط السوداء مراراً كل يوم بعد غسلها حتى يخرج ما فيها . والبثور التي يظهر فيها القيح تلمس بعود دقيق غمس في الحامض الكربوليك النقي فيساعد على شفائها وزوالها»

(٣٢) انواع الجنود العثمانية

مصر . فهمي افندي حنا سليمان رأيت في تاريخ السيد عبد الرحمن الجبرتي الكلمات الآتية وهي الانكشارية والوجاقالية والمستحفظان فما معناها

ج هذه اسماء الانواع المختلفة من العساكر العثمانية في ذلك العصر . فالانكشارية من اولاد المسيحيين الارناؤوط والبشناق والبلغار والارمن الذين كانوا يؤسرون او يخطفون صغاراً ويربون جنوداً وكانوا يقيمون دائماً في الثكنات ويواظبون على تعلُّم الفنون الحربية ومتى سار السلطان الى الحرب ساروا في خدمتهِ فتسير كل فرقة منهم بما يلزم لها ولا يخطر لهم الاَّ ان يَقتلوا او يُقتلوا لانهم تربوا منذ الصغر على انتظار الحرب . وكانوا يمنعون من التزوج ما داموا قادرين على القتال فاذا عجزوا أُعطوا معاش التقاعد وحينئذٍ يتزوجون . وكان للدولة ثكنات مخصوصة لاقامة الفتيان الذين يراد انتظامهم في سلك الانكشارية . وفي كل سبع سنوات ينظر في فِرَق وجاقات الانكشارية ويتمم نقصها من هؤلاء الفتيان

والوجاقالية سائر عساكر الدولة العثمانية الموظفة ومنهم تكون الاجزاء الاصلية التي ينتظم منها العسكر الخاص الهمايوني

والمستحفظان حامية القلاع والحصون السلطانية فكان بعضهم يقيم في القلاع وبعضهم يقيم في اهلهِ الى حين الحاجة اليهِ

(٣٣) انقلاب التوأم قطة

حوض السويس . شلبي افندي بولس . ما رأيكم فيما يقال وقد سمعت ذلك من اناس عديدين في بلدان مختلفة من ان التوأم ينقلب قطة عند ما يشم رائحة السمك المطبوخ وقد اكَّد لي البعض ان قطة انتقلت من بيت الى

آخر وكانت عروساً بحليها وقد خلعوا عنها الحلى فلم تهرب حتى رُدَّ اليها . وحكايات اخرى عديدة مثل هذه فهل لذلك تعليل معقول

ج . اذا اردتم تعليل هذه الحوادث كانها حوادث صحيحة فليس لها تعليل لانها غير صحيحة واذا اردتم تعليل ذكر الناس لها كأنها صحيحة وهي غير صحيحة فهذا التعليل مستطاع وهو ان الاوهام كثيرة التطرق الى الذهن ونحن نصلحها بقوة الحكم العقلي المبنيَّة على الاختبار الطويل فاذا كانت قوة الحكم متوقفة عن العمل كما تكون في حالة النوم سادت الاوهام فيحلم النائم مثلاً انهُ في مصر وبعد لحظة ينتقل الى الاسكندرية ويرى فيها اشجاراً ثم تصير تلك الاشجار رجالاً او مراكب . وهي اوهام تتوالى عليهِ ولا يستطيع نفيها ولا اصلاحها لان قوة الحكم فيهِ تكون نائمة . وهذا شأن بعض الناس في اليقظة اذا لم تستنر عقولهم بالعلم ولا تثقَّفت بالاختبار . ثم ان لبعض الناس ولعاً باختلاق هذه الخرافات لكي يظهروا امام الذين يسمعونها انهم اطَّلعوا على امور غريبة لم يطَّلع عليها غيرهم فيستخدمون الكذب والتدجيل بضاعة يتاجرون بها . وكثيراً ما كنا نسمع في صبانا الواحد من هؤلاء يروي حكايات مثل الحكايات التي ذكرتموها فيدهش السامعين ويزيدهم تصديقاً للمستحيلات . وسمعنا مرةً واحداً منهم يقول انهُ مرَّ امام بئر في ليلة قمراء فرأى عروساً تجلى على حافتهِ فقال في نفسهِ هي جنيَّة وصلب على وجههِ فسقطت في البئر فصرنا كلما مررنا من هناك يقشعر بدننا خوفاً من الجن . ولولا نور العلم وسعة الاختبار لكنا حتى الساعة مصدقين قولهُ

(٣٤) مصير النساء بعد قتل الرجال

بني سويف . خله افندي غبرانيوس . ذكرتم في مقتطف سبتمبر الماضي تحت عنوان « خسائر هذه الحرب في النفوس » ان مجموع القتلى فقط لغاية ١٢ اغسطس سنة ١٩١٥ يبلغ ٦ ملايين ونصف مليون من نخبة رجال اوربا . فاذا فرضنا انهُ عند نهاية هذه الحرب يبلغ عدد القتلى ١٢ مليوناً فقط وان ثلثي هذا العدد من غير المتزوجين وحيث ان عدد الرجال يقرب من عدد النساء في اوربا فما هو مصير النسوة اللواتي اعددن انفسهنَّ للزواج بمن قتلوا في الحرب ولكنهنَّ حرمن قهراً منهُ

ج . اننا لما ذكرنا الاحصاء المشار اليهِ آنفاً ذكرناهُ بكل حذر لاننا كنا نرتاب في احصاء جريدة الديلي ميل وقد اتضح بعد ذلك انهُ كان مبالغاً فيهِ . الاَّ ان ذلك لا يغير وجه المسألة فان خسارة اوربا من الشبان ستكون فادحة جداً واذا لم يبلغ القتلى ١٢ مليوناً فقد يبلغون سبعة ملايين او ثمانية . اما النساء فغير مضطرات الى التزوج

وكثيرات من المتعلمات منهنَّ يرفضنَ التزوج عمداً مع كثرة الخطَّاب لهنَّ ولذلك اسباب كثيرة اهمها تغير مقام المرأَة في الهيئة الاجتماعية فقد انتقلت من استعبادها للرجل الى مساواتهِ ومباراتهِ في الاعمال فصار من السهل عليها اكتساب ما يقوم بمعاشها فزال سبب من الاسباب الداعية الى تزوجها . ومنها ازدياد اسباب الملاهي التي يتمتع بها البنات ويحرمنَ منها اذا تزوجنَ فيفضلنَ العزوبة على المعيشة الزوجية بسبب ذلك

(٣٥) تأثير الحرب في النسل

ومنهُ . ما هو تأثير الحروب السابقة مثل حروب اميركا الاهلية وحروب نبوليون في النسل والاخلاق

ج . لم نقف على بحث مدقق في هذا الموضوع الأَ فيما يتعلق بحروب نبوليون فقد رجح الباحثون انها آلت الى تقصير قامة الفرنسويين بوجه عام بما قُتل فيها من الشبان الاقوياء الابدان . اما نحن فنرتاب في صحة ذلك كما سيجيءُ في جوابنا عن سوءَالكم التالي

(٣٦) تأثير الحرب في العمران

ومنهُ . بفقد زهرة شبيبة اوربا في هذه الحرب الدموية سيحرم العالم من نتاج جيش عرمرم من اقوياء الابدان واصحاء العقول وذوي الهمَّة والاقدام وسيحل محلهم نتاج من هم دونهم بالطبع فهل يكون هذا النقص ملموساً وظاهراً بحيث يعيق تقدُّم الاختراعات والاكتشافات

ج . كلاَّ . جرَّب احد العلماء في هذا القطر تجربةً تصح ان تكون جواباً لذلك وهي انهُ اخذ مقدارين متساويين من القمح ونزع الحبوب الكبيرة السمينة من احدهما والحبوب الصغيرة الدميمة من الآخر وزرعهما في غيطين متماثلين وخدمهما خدمةً واحدة فجاء نتاج الواحد مثل نتاج الآخر . والعبرة بالخلقات الوسطى من كل شيءٍ تتنوَّع اجزاؤُهُ وهي الاكثر فالحبوب الكبرى والصغرى من القمح الواحد ليس لها شأن كبير في محصول القمح وكذلك لا كبير شأن لنوابغ الامة وادنيائها في نسلها لان هؤُلاء ينقرض نسلهم غالباً او لا يجري اولادهم في خطتهم . كأَن في الطبيعة ناموساً يقضي بانقراض الذين يبعدون كثيراً عن الحد الاوسط ارتقاءً او انحطاطاً . وسواءٌ قُتلوا في الحرب او ماتوا حتف انوفهم لم يؤَثر فقدهم في شعوبهم تأثيراً تطول مدتهُ

وانما يخشى من امر آخر وهو ان هذه الحرب تمكِّن الضغائن في النفوس وتزيد في التأَهب لحرب اخرى امرّ منها وافتك

(٣٧) الكبريت الاحمر

مصر . اسمعيل بك عبد الخالق ثروت . لقد تعوَّد الناس ان يقولوا اندر من الكبريت الاحمر عندما يشيرون الى قلة وجود شيءٍ . والمعروف ان الكبريت الاحمر كثير الوجود

جدًّا واذا فرضنا انهُ كان قليل الوجود في زمن العرب فلماذا لم يقولوا الدر من الكبريت الاصفر او غيرهِ من الالوان الكبريتية

ج · ان الكبريت الاصفر كثير جدًّا في اكثر البلدان التي دخلها العرب وفي كل البلدان البركانية · ففي جهات كثيرة من بلاد الشام تراهُ على وجه الارض كالتراب اما الكبريت الاحمر الطبيعي فنادر وهو في الغالب مزيج من الكبريت والسلينيوم · والكبريت الاحمر الصناعي لا يدوم لونهُ مدة طويلة الاَّ اذا صهر مراراً عديدة وبرّد بالماء ولونهُ حينئذٍ بني محمر · ونظن ان العرب عرفوا انهُ اذا أحمي الكبريت حتى يصير لزجًا اكتسب لونًا بنيًّا واذا صبّ حينئذٍ في ماء بارد بقي لينًا كالعجين مدة ثم عاد الى حالتهِ الاولى ولونهِ الاول فقالوا ان هذا اللون الحمر زائل لا يدوم وعرف بعضهم انهُ اذا اعيد احماؤُهُ وصبهُ في الماء مراراً عديدة ثبت فيهِ هذا اللون ولكنهم لم يفشوا سر صناعتهم فقام في الاذهان ان هذا الكبريت نادر جدًّا اذا كان هو المراد وان كان المراد الكبريت الاحمر الطبيعي الممزوج بعناصر اخرى تجعل لونهُ احمر فهو قليل طبعاً

(٢٨) اصل الاختزال

مصر · عبد الملك افندي باسيلي · هل اختزال الكتابة الانكليزية على طريقة المستر بتمن Pitman مأخوذ من الكتابة العربية

ج · ان اقل نظر الى طريقة المستر اسحق بتمن يدل ان لا علاقة بينها وبين الكتابة العربية · ولكن لا شبهة ان اجتزاء الخط العربي عن رسم حروف العلَّة غالبًا واتصال اكثر حروفهِ بعضها ببعض هو نوع من الاختزال ولا يبعد ان يكون هذا الاختزال قد نبَّه بعض الذين وضعوا طرق الاختزال الاوربية الى اختزال كتابتهم · ولم نرَ في ترجمة بتمن في الانسكلوبيذيا البريطانية اشارة الى انهُ اخذ الاختزال عن الكتابة العربية ولكن لهُ ترجمة مسهبة طبعت سنة ١٩٠٨ لم نطلع عليها فلعلَّ فيها اشارة الى ذلك

(٢٩) التهذيب المدرسي والبيتي

غليانو بكوبا · الخواجه ابرهيم عصفور · ايُّ اكثر تأثيراً في حياة الانسان التهذيب المدرسي ام تهذيب الوالدين في البيت

ج · تصعب المقابلة بين هذين التهذيبين لانهما لا يكونان في سن واحد واحوال واحدة ولاهما من نوع واحد فاذا اتفق وكان احدهما ملائمًا للطبع الموروث كان لهُ التأثير الاكبر والاَّ فالطبع غلاَّب وتأبى الطباع على الناقل

(٣٠) ابادة الناموس

مصر · فهمي افندي حنا سليمان · ما هي الطريقة النافعة لابادة الناموس

ج. تجفيف كل مستنقعات الماء وما لا يمكن تجفيفهُ منها يصب فيهِ قليل من البترول. بهذه الواسطة ابيد الناموس من الخرطوم حتى قيل ان معمل البحث العلمي فيها عرض ر يالاً لمن يأتيهِ بناموسة . والغالب ان يتولَّد الناموس في البيت من الماء الذي يترك على السطح من اسبوع الى آخر لاجل الغسل لا لان الناموس يخلق من الماء بل لان ناموسة تبيض في الماء و يصير بيضها دعاميص صغيرة وهذه الدعاميص تصير ناموساً

(٢١) الخرس والشطة

ومنهُ . حدثني احد اصدقائي فقال انهُ شاهد بالتجربة ان الاخرس اذا اعطي مقداراً كبيراً من الشطة المعروفة فانهُ يتلفظ بكلمات مفهومة فما تعليل ذلك

ج . كيف تطلبون التعليل لامر لم يثبت ولا يحتمل ثبوتهُ لان التلفظ بالكلمات المفهومة في لغة من اللغات لا يتم الاَّ بعد السماع والتمرُّن مدة ايام وشهور. والاخرس يكون اطرش ايضاً فلا يعرف شيئاً من اللغة التي ولد بين اهلها . ولكن قد يفقد احد قوة النطق عرَضاً بسبب صدمة عصبيَّة او مرض في مركز النطق وهو المعروف بالافازيا بعد ان كان ينطق جيداً فاذا اثَّر فيهِ مؤثّر شديد الفعل كالشطة الحارَّة فيحتمل ان تزيل ذلك التأثير العصبي منهُ

باب الاخبار العلمية

التلفون اللاسلكي

استتبَّ لشركة التلفون والتلغراف الاميركية ان تتكلم مع برج ايفل في باريس اي ان تنقل الكلام المسموع من اميركا الى باريس من غير اسلاك معدنية مسافة ٣٨٠٠ ميل وذلك بالآلة التي استعملتها لنقل الكلام من ارلنتون الى سان فرنسسكو وجزائر هواي مع ان المسافة بين ارلنتون وهواي فيها ٢٥٠٠ ميل من البر وفي هذا البر سلاسل من الجبال العالية

دوران نبتون على محورهِ

سئلنا عن مقدار يوم السيار نبتون اي المدة التي يدور فيها على محورهِ فاجبنا في باب المسائل في هذا الجزء ان ذلك لم يعلم حتى الآن . ولم يكد باب المسائل يطبع حتى قرأنا في العدد الاخير من السينتفك اميركان

ان المستر مكسول هول شاهد تغيراً في اشراق لبتون استدلَّ منهُ على انهُ يدور على محورهِ في ٧ ساعات و٥٠ دقيقة و٤ ثوانٍ

قتلى الصدمة في الحرب

اشاعت صحف اوربا كلها ان كثيرين من الجنود يقتلون في ساحات الحرب بتأثير الصدمة والارتجاج اي بانفجار القنابل على مقربة منهم دون ان تصيبهم بجروح او بخدش. وقد علل العلماء ذلك بان الهواء والحامض الكربونيك اللذين في الدم يفلتان بشكل فقاقيع تدفع الى الشرايين الصغرى فتوقف الدورة الدموية. وقد اشرنا الى ذلك في عدد اغسطس الماضي من المقتطف. ولكن الدكتور هلداين الذي انتدبتهُ الحكومة الانكليزية في الربيع الماضي لتحقيق فعل الغازات السامة التي كان الالمان اول من استعملها في الحرب كتب مقالة في مجلة نانتشر الانكليزية ابان فيها بالدليل الكافي ان كل ما شاع من هذا القبيل غير صحيح. وانهُ لا الغازات السامة ولا غيرها من الاسباب المعروفة تقتل الجنود حالاً في ميادين القتال من غير ان يصابوا بضرر آلي. نعم ان انفجار القنابل الضخمة يولّد موجة هوائية تكفي لاسقاط الجنود الى الارض فيصابون بجروح قد تميتهم ولكن ظهر من البحث ان معظم الذين يقتلون في مثل هذه الاحوال يصابون بشظية قنبلة او بحجر اثارهُ انفجارها

شجرة العائلة

اعتاد الناس ان يحفظوا سلسلة انسابهم ويوصلوها الى اجداد واسلاف كانوا ارومة طيبة وربما كانوا خير خلف لشر سلف او « نعم الجدود ولكن بئس من ولدوا » كما قال الشاعر. وكثيرون منهم يرسمون شجرات يبينون فيها تفرّع نسبهم من اول جدٍّ لم يعرف ويكون جذع الشجرة الى آخر فرع من فروعها.

على ان الناس لم يسمعوا بشجرات للعائلات ترسم لا لبيان نسب ماضٍ بل للارشاد في المستقبل. وهذه الشجرات يرسمها مكتب اميركي لكل من يهمهُ امر عائلتهِ المستقبل بشرط ان يجيب على ستين مسئلة تلقى عليهِ. وقد اصدر هذا المكتب نشرة في هذا الموضوع قال فيها ان درس هذه المسئلة مهم للفرد لانهُ يبيت اقدر على تسديد خطواتهِ اذا عرف ما لهُ وما عليهِ من الوجهة الوراثية. ومهم للمجتمع اذ يستطيع معاملة العضو المهمل فيهِ معاملة موسومة بالعقل والعطف والفاعلية اذا عرف ماضي ذلك العضو. ومهم من حيث اسناد الاعمال الى العالِم ووضع كل شيء في محلهِ ليقيم كل رجل في اصلح محلٍّ لهُ. ومهم من

حيث التربية اذ لا غنى فيها من قدر فطرة كل فرد . ومهم من حيث الزواج اذ يقسم الناس بهِ ازواجاً متلائمة و ينبذ كل زواج يكون اختلاف الزوجين فيهِ واضح الظهور

وتقول مجلة نانشر التي نقلنا عنها هذا الخبر ان المكتب المشار اليهِ يسأل عن كل صفة وحركة وسكنة ومزية مما يختص بالفرد حتى ليعسر ذكر خاصة لا يسأل عنها . وربما دبّ الى موضع الاسرار فلا يقف عندهُ بل يطلب الولوج ليكون على هدًى في بيانهِ . و يهدئ بال المسئول بقولهِ ان ما يطلع عليهِ من احوالهِ الشخصية يبقى سرًّا مكتوماً عندهُ لن يبوح بهِ . ومن رأي المجلة المذكورة « ان الشجرة العلية امر يستحق البحث فيهِ وعمل المكتب خطوة مفيدة في سبيل تربية الرأي العام وفتح مجال البحث امام النقّاد ولكن رسم شجرة علية للعائلة في المستقبل يستلزم حساب الخصائص الموروثة وغير الموروثة معاً »

الحرب والطيور

ذكرت احدى الصحف العلمية شيئاً عن تأثير الحرب الحاضرة في طيور البلجيك وشمال فرنسا فقالت ان اسراب طائر السنونو عادت الى عشاشها في المنازل التي تركتها عامرة فصيرتها الحرب رسوماً بالية فلما لم تجدها اتخذت بدلاً منها الاكواخ التي اقامها رجال العسكرية مكانها لاغراضهم . وفي هذا اعظم دليل على تشبث هذا الطائر بوطنهِ القديم

وقالت ايضاً ان الطيور التي تأوي الى الاشجار بين الصفين المتحاربين طالما انذرت جنود الحلفاء النائمين باطلاق الالمان للغازات الخانقة اذ كانت تطير في جهتهم هاربة من الغازات وهي تصفق وتصيح كأنها تستغيث

المغنطيسية الارضية

انشأ معهد كارنجي في وشنطن عاصمة الولايات المتحدة الاميركية فرعاً لهُ سماهُ فرع المغنطيسية الارضية وعهد اليهِ منذ تأسيسهِ في اوائل سنة ١٩٠٤ ان يمسح سطح الكرة الارضية كلهُ ويعين اتجاه الابرة المغنطيسية فيها كلها . وقد قارب عملهُ التمام وسينتهي منهُ في آخر السنة القادمة اي بعد انقضاء ١٢ سنة عليهِ

ويؤخذ من التفاصيل الاخيرة انهُ اذا جاء آخر سنة ١٩١٦ يكون الوفد الذي انتدب لهذا العمل قد اتمّ عملهُ ما بين الدرجة ٧٠ من العرض الشمالي والدرجة ٦٥ من العرض الجنوبي اي الارض كلها ما عدا الاصقاع القطبية . وقد قطعت سفنهُ بين سنة ١٩٠٥ وآخر سنة ١٩١٣ نحو ١٦٠ الف ميل ووقفت على الاحوال المغنطيسية فيها . واجتازت بعثاتهُ ٨٠٠ الف ميل على

اليابسة واقامت ٢٥٠٠ محطة بين الواحدة والتي تليها ٧٥ ميلاً . فتكون قد قطعت كلها نحو مليون ميل او ما يساوي ار بعين ضعف محيط الارض

وبلغ عدد البعثات البرية ٣٨ منها ٤ ارسلت الى الانحاء القطبية . ودخلت تلك البعثات ١٠٣ بلاد. ونشرت في خلال عملها ١٢٥ مقالة ومذكرة في فروع العمل المختلفة. ومن البلاد التي اجتازتها بلاد ساحل افريقية الغربي . وقطعت الصحراء الكبرى من الجزائر الى لاغوس بطريق تمبكتو . وقارة استراليا من الجنوب الى الشمال . وقارة اميركا الجنوبية طولاً وعرضاً

ثروة الولايات المتحدة

تقدَّر ثروة الولايات المتحدة بثلاثين الف مليون جنيه (٣٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه) فمتوسط ثروة النفس من اهاليها نحو ٣٠٠ جنيه واذا قدرنا ثروة القطر المصري بستمائة مليون جنيه وفي ذلك مبالغة كبيرة فمتوسط ثروة النفس هنا خمسون جنيهاً اي سدس ثروة النفس في اميركا

واكثر ثروة الولايات المتحدة في يد الشركات فان فيها اكثر من ثلثمائة الف شركة رأس مالها ٦٤ الف مليون ريال او نحو ١٣٠٠٠ مليون جنيه وعندها اسهم وسندات قيمتها ٣٧ الف مليون ريال اي ٧٤٠٠ مليون جنيه فكأن الشركات تمتلك اكثر من ثلثي ثروة البلاد . ولكن المرجح ان الشركات تبالغ في قيمة ما تمتلكهُ ومع ذلك يبقى جانب كبير من ثروة البلاد في يدها وهي تعبر عنهُ باسهمها وسنداتها . ويستطيع كل احد في اقصى المعمور ان يمتلك ما شاء من ثروة اميركا بابتياعهِ من اسهم شركاتها كشركات سكك الحديد وشركات المعامل وشركات المتاجر وشركات المناجم وما اشبه

وقد صارت المعاملة بالوف الجنيهات وعشرات الالوف ومئات الالوف من الامور العادية في تلك البلاد . يحكى ان احد اصحاب المعامل احتاج الى النقود لتوسيع معملهِ فجاء مدينة نيويورك هو وصهرهُ زوج ابنتهِ وعرض الامر على المستر بيربنت مورغان فقال لهُ مورغان اننا نسلفك حينما ترى نفسك محتاجاً. فذهب راضياً وبعد بضعة اشهر ارسل صهرهُ الى نيويورك ليذكر المستر مورغان بوعدهِ ويطلب منهُ خمسين الف جنيه ففكر مورغان بضع دقائق ثم قال لهُ نعم وانا على وعدي فظن الشاب ان استلاف هذا المبلغ الطائل يقتضي معاملات كثيرة فقال لمورغان ما هي المعاملات المطلوبة فقال مورغان اسحبوا علينا فقط

خمسون الف جنيه استدانها صاحب معمل في بضع دقائق وكل ما اقتضتهُ من المعاملات ان يكتب تحويلاً بالمبلغ على محل مورغان ويقدمهُ الى اي بنك اراد فيدفع

اليهِ. وبمثل هذه السهولة في المعاملات ترتقي الصناعة والتجارة

الراديوم في ماء البحر

لما ظهرت فوائد الراديوم الكثيرة وكان نادر الوجود نقب كثيرون من العلماء عنهُ في صخور الارض واتربتها وجداولها وانهرها فلم يروِ ذلك التنقيب لهم غليلاً . فاستجار بعضهم بالبحر لعلهُ ينقع لهم غلة لم يتقمها البرّ . واشهر المنقبين عنهُ في البحر اربعة احدهم العالم جولي الاميركي جاء ببضعة نماذج من الاوقيانوسات والبحور وحللها فوجد الراديوم فيها كثيراً ولكن عالمين آخرين هما ايف وسترلي فتشا عنهُ في مياه الاتلنتيكي فلم يجدا فيها كثيراً منهُ . وقام اخيراً الاستاذ لويد من اساتذة جامعة الاباما الاميركية ينقب عنهُ في مياه خليج المكسيك فوجد اثرهُ فيها ضئيلاً جداً حتى لو استخرج كل ما في الاقيانوس الاتلنتيكي منهُ لما زاد على ١٤٠٠ طن

نجم مفقود

في صورة السرطان نجم مزدوج اكتشفهُ هرشل سنة ١٨٢٠ . واليوم قام فلكي فرنسوي يقول ان الشقيق الاصغر من النجم المزدوج اختفى فعاد لا يراهُ بعد ان كان يراهُ جليًّا بتلسكوب مرصد مرسيليا وقطر عدسيتهِ ٣١,٥ البوصة . وهذا الشقيق المفقود نجم من القدر الحادي عشر او الثاني عشر والبعد بينهُ وبين شقيقهِ الاكبر وهو اكبر نجم في السرطان نحو ١١ ثانية . وقد استغاث هذا الفلكي باخوانهِ في المراصد الكبرى طالباً موازرتهم عساهم ان يردوا ذلك المفقود

التلغراف اللاسلكي والاحياء

شاع بعد كثرة استعمال التلغراف اللاسلكي ان امواجهُ الاثيرية تضرُّ بالناس وغيرهم من الاحياء حتى اقترح بعضهم سنَّ قوانين لصيانة الناس من ضررهِ . ولكن خطر لاحد العلماء الاميركيين ان يستفتي اشهر علماء المانيا في الامر فكانت خلاصة اجوبتهم ان تلك الامواج لا تؤثر اقل تأثير في الاحياء ولا في الطقس عامة وان يكن بعض المجاري الكهربائية يزيد وقوع الامطار

الكهربائية في المطبخ

تستخدم الكهربائية في مطبخ احدى مدارس اميركا العسكرية لادارة الآلات التي تقشّر البطاطس وتصنع الدندرمه وتفرم اللحم وتغسل الصحون وتعقم اللبن وتقطع الثلج وتسنّ السكاكين . كذلك تستعمل لادارة آلات الخياطة وكيّ الثياب ويقال انهم يكوونها بسرعة الف قطعة في الساعة . ولعجن دقيق الخبز والحلوى

الزجاج في المانيا

ان ندرة اللستك او الكاوتشوك في المانيا بسبب الحصر البحري حملت الحكومة الالمانية على اصدار امر غريب وكلت تنفيذهُ الى تلاميذ المدارس بوجه خاص . ذلك ان كل معلم مدرسة اوصى تلاميذ مدرستهِ بان يفتشوا في طريقهم عن قطع الزجاج واجزاء المعادن الحادة و يلتقطوها تفاديًا من جرح اطارات الموطرات المصنوعة من اللستك . وقد بسط المعلمون لتلامذتهم اهمية الموطرات في الحرب واوضحوها باتم بيان فلم يمض الأ القليل حتى باتت طرق المانيا وشوارعها خالية من كل شيء حادّ يخشى منهُ على الاطارات

واصدرت امرًا آخر فحواهُ ان كلّ من يلقي زجاجًا على قارعة الطريق يعاقب بالتوبيخ الشديد فاذا عاد الى فعلتهِ غرّم غرامة مالية

النجم سهيل

قدر احد الفلكيين ان النجم سهيلاً اسطع نورًا من شمسنا بتسع وار بعين الف مرة . وان قطرهُ ١٣٤ ضعف قطرها وحجمهُ ٢٤٢٠٠٠٠ ضعف حجمها . و بعدهُ عنا ٤٨٩ سنة نور ية (١)

(١) السنة النورية هي المسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان

الجامعات الالمانية والحرب

يؤْخذ من بيان الماني ان ٨٤ في المئة من طلبة جامعة كونجسبرج البروسية انتظموا في سلك الجنود . و٦٠ في المئة من طلبة جامعة هيدلبرج . و٥٦ في المئة من جامعة مونيخ . و ٥٤ من جامعة برلين . و ١١ من جامعة فرنكفورت

وقد بلغ عدد الاساتذة والطلبة الذين قتلوا حتى آخر مايو الماضي ١٩١١ منهم ٢٦٦ من جامعة دانتسك وحدها

الموطرات في الجيش الانكليزي

ظهر من بعض الاحصاءات ان في الجيش الانكليزي المحارب في فرنسا ٣٠ الف موطر لنقل الذخيرة والمؤُونة . وهذا العدد لا يشمل الموطرات المدرعة المعدة للقتال وغيرها مما يستعمل لنقل الجرحى والمرضى والمعدات الطبية المختلفة

جوائز نوبل

اعطيت جائزة نوبل على المباحث الطبية لسنة ١٩١٤ للدكتور روبرت باراني استاذ امراض الاذن في جامعة فينا . وذلك جزاء كتاب نشرهُ في ادواء دهليز الاذن وادويتها وقدر هذه الجائزة ثمانية آلاف جنيه اما جائزة المباحث الطبية عن سنة ١٩١٥ الجارية فاجلت الى السنة القادمة

فهرس الجزء السادس من المجلد السابع والاربعين

صفحة

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد السابع والاربعون

يوليو الى دسمبر سنة ١٩١٥

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

Vol. XLVII

JULY–DECEMBER, 1915.

PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO EGYPT

فهرس المجلد السابع والاربعين

